

المنهج الموضوعي

لشرح ابن أبي الحديد لكتاب نهج البلاغة

المجلد الثالث

بإشراف

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

ومسايحي الدكتور احمد القرائي

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهج الموضوعي

لشرح ابن أبي الحديد لكتاب نهج البلاغة

المجلد الثالث



باشراف

الأستاذ محمد واعظ زاده الخراساني

ومساعي الدكتور احمد القرائي

واعظزاده خراساني، محمّد ۱۳۰۴ ـ ۱۳۹۵.
[شرح نهج البلاغه]
المنهج الموضوعي لشرح ابن ابي الحديد لكتاب نهج البلاغة/ باشراف محمّد واعظزاده الخراساني ومساعي احمد القرائي سلطان آبادي. ـ مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ۱٤۳۳ق. = ۱۳۹۰ش.
ج.
ISBN 978-600-06-0212-3 (ج۳)
فيپا.
ISBN set 978-964-971-505-6
۱. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ق. ـ خطبه‌ها. ۲. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ق. ـ نامه‌ها ۳. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ق. ـ كلمات قصار ۴. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ق. ـ نهج البلاغه ـ نقد و تفسير ۵. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ ۴۰ق. ـ شرح نهج البلاغه ـ نقد و تفسير الف. قرائي سلطان آبادي، احمد ب. ابن ابي‌الحديد، عبدالحميد بن هبة الله، ۵۸۶ ـ ۶۵۵ ق. شرح نهج البلاغه ج. علي بن ابي‌طالب علیه‌السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت ـ۴۰ق. ـ نهج البلاغه. شرح د. بنياد پژوهشهاي اسلامي. هـ عنوان.
BP ۳۸ / ۰٤۲۳ / ۱۳۹۲ ۲ الف
۲۹۷/۹۵۱۵
کتابخانهٔ ملی جمهوری اسلامی ایران
۲۵۹۰۵۹۹

المنهج الموضوعي

لشرح ابن ابي الحديد لكتاب نهج البلاغة

المجلّد الثالث

باشراف محمّد واعظزاده‌الخراساني
و مساعي الدكتور احمد القرائي
مراجعة : محمد حسن مؤمن زاده

مقابلة: يوسف ظهوريان ـ سيدرضا سيادت

الطبعة الأولى: ۱٤۳۹ق / ۱۳۹٦ش
۵۰۰ نسخة ـ وزيري/ الثمن: ۳۰۰۰۰۰ ريال إيرانيّ
الطباعة: مؤسسة الطّبع والنشر التّابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب ۳٦٦-۹۱۷۳۵
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ۳۲۲۳۰۸۰۳
معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلاميّة، (مشهد) ۳۲۲۳۳۹۲۳، (قم)۳۷۷۳۳۰۲۹

www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاة و السّلام على نبيّنا محمّد خاتم النّبيّين، و على آله الطّاهرين، و صَحبه المنتجبين، و التّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

و بعد، فهذه كلمةٌ موجِزة حول المجلّد الثّالث من كتاب: «المنهج الموضوعيّ لشرح ابن أبي الحديد»، و كان المجلّد الأوّل حاويًا خمسة أبواب في المسائل الكلاميّة و الفقهيّة و غيرهما. و المجلّد الثّاني فكلّه في المسائل الأخلاقيّة و العرفانيّة و نحوها و هو الباب السّادس من أبواب الكتاب.

و أمّا هذا و هو المجلّد الثّالث فيحتوي خمسة أبواب من الباب السّابع إلى التّاسع في المسائل التّاريخيّة: من أحوال الجاهليّة، وبعثة النّبيّ و حروبه، و وفاة النّبيّ و ما وقع في السّقيفة، و الباب العاشر و الحادي عشر في المسائل الاعتقاديّة: من الإمامة و ما ورد في أهل البيت عليهم السلام.

و الّذي يزيد في اهتمام الشّارح بهذه المسائل من الكتاب أنّ ابن أبي الحديد لم يكتف بشرح كلمات الإمام عليّ عليه السلام في تلك المسائل، بل أضاف إليها حِكَمًا و كلمات كثيرة من الشّعر و النّثر عن غير الإمام من الحكماء و الشّعراء بحيث صار شرحه أكبر ذخيرة و أعظم خزينة من الأدب و الحِكَم في الإسلام، و لا يوجد له نظير.

و آخر دعونا أن الحمد لله ربّ العالمين، و سلام على المرسلين.

محمّد حسن مؤمن زاده
مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة
في الآستانة الرّضويّة المقدّسة
١ ربيع الثّاني، عام ١٤٣٩ هـ ق

الباب السّابع ـ في أحوال الجاهليّة،

و فيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[في ذكر العرب بما كانوا عليه قبل البعثة]

(الخطبة: ٢٦) ومن خطبته له عليه السلام: إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، اَلْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

الشّرح: يجوز أن يعنى بقوله: «بين حجَارة خُشْن وحَيّات صُمّ»، الحقيقةَ لا المجاز؛ وذلك أنّ البادية بالحجاز ونجد وتِهامة وغيرها من أرض العرب ذاتُ حيّاتٍ وحجارة خُشْن، وقد يعنى بالحجارة الخُشْن الجبال أيضًا، أو الأصنام، فيكونُ داخلًا في قِسْم الحقيقة إذا فرضناه مرادًا، ويكون المعنى بذلك وصفَ ما كانوا عليه من البُؤس وشَظَف العيشة وسوء الاختيار في العبادة، فأبْدَلهم الله تعالى بذلك الرِّيفَ[1] ولينَ المهاد وعبادةَ مَن يستحقّ العبادة.

ويجوز أن يعنى به المجاز، وهو الأحسن؛ يقال للأعداء: حَيّات. والحيّة الصَّمّاء أدْهَى من الّتي ليست بصمّاء، لأنّها لا تنزجر بالصّوت. ويقال للعدوّ أيضًا: إنّه لحجر خَشِن المسّ، إذا كان ألدّ الخصام ...

وقال أبو البَخترِيّ وهب بن وهب القاضي: كنتُ عند الرّشيد يومًا، واستدعى ماء مبرّدًا بالثّلج، فلم يوجد في الخزانة ثلج، فاعتذر إليه بذلك، وأُحضِر إليه ماءٌ غير مثلوج، فضرب وجهَ الغلام بالكوز، واستشاط غضبًا، فقلت له: أقول يا أمير المؤمنين وأنا آمِن! فقال: قل، قلت: يا أميرَ المؤمنين، قد رأيتَ ما كان من الغير بالأمس، يعنى زوال دَوْلة بني أُميّة والدّنيا غير دائمة ولا موثوق بها، والحَزم ألّا تعوّد نفسَك التّرفّه والنِّعمة، بل تأكل اللّين والجشِب، وتلبس النّاعم والخشِن، وتشرب الحارَّ والقارّ. فنفحني بيده، وقال: لا والله، لا أذهب إلى ما تذهب إليه، بل ألبسُ النّعمة ما

١ـ الرِّيف: أرض فيها زرع وخصب وسِعَة في المأكل والشّرب.

لبِسَتْني، فإذا نابتْ نَوْبة الدّهر عُدْتُ إلى نِصَاب غير حَوَار[١].

وقوله: «والآثام بكم معصوبة»، استعارة، كأنّها مشدودة إليهم.

وعنى بقوله: «تسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم» ما كانوا عليه في الجاهليّة من الغارات والحروب. (٢: ١٩ ـ ٢٠)

الفصل الثّاني ـ[في ذكر حال النّاس قبل البعثة و بعدها]

(الخطبة: ٨٨) ومن خطبة له عليه السلام: أَرْسَلَهُ عَلَى حينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ[٢] مِنَ الْفِتَنِ؛ وَانْتشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ؛ عَلَى حينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَ إِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ[٣] مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى؛ فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ في وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الْأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ في أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ.

وَاللهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالْأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الْأَبْصَارُ، وَجُعِلَتْ لَهُمُ الْأَفْئِدَةُ في ذلك الزَّمَانِ؛ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا في هذَا الزَّمَانِ. وَوَاللهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئًا جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلًا خِطَامُهَا، رِخْوًا بِطَانُهَا؛ فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

١ـ الحوار، كسِحاب: النّقصان والكساد.

٢ـ مخطوطة النّهج: «واعترام».

٣ـ مخطوطة النّهج: «وإغورار».

الشّرح: الفَترة بين الرُّسل: انقطاعُ الرّسالة والوحى؛ وكذلك كان إرسال محمّد ﷺ، لأنَّ بيْن محمّد وبين عهد المسيح عليه السلام عهدًا طويلًا، أكثر النّاس على أنّه ستّمائة سنة، ولم يرسَل في تلك المدّة رسول، اللّهمّ إلّا ما يقال عن خالد بن سِنان العبسيّ. ولم يكن نبيًّا ولا مشهورًا ... [ثمّ ذكر شرح لغات الخطبة، كما سيجيء في بابها، وقال:]

وخلاصة هذا الكلام أنّ جميع ما كان رسول الله ﷺ قاله لأصحابه قد قلتُ مثله لكم، فأطاع أولئك وعصيتم أنتم، وحالكم مساوية لحالهم.

قلت: لو أنّ مجيبًا منهم يجيبه لأمكن أن يقول له المخاطبون: وإن كانوا نوعًا واحدًا متساويًا؛ إلّا أنّ المخاطب مختلف الحال؛ وذلك لأنّك وإن كنت ابنَ عمّه في النَّسب وأخاه ولحمه ودمه؛ وفضائلك مشتقّة من فضائله، وأنت قَبَس من نوره وثانيه على الحقيقة، ولا ثالث لكما؛ إلّا أنّك لم تُرزَق القبول الّذي رزقه؛ ولا انفعلت نفوس النّاس لك حسب انفعالها له؛ وتلك خاصيّة النّبوّة الّتي امتاز بها عنك؛ فإنّه كان لا يسمع أحدٌ كلامَه إلّا أحبّه ومالَ إليه؛ ولذلك كانت قريش تسمّى المسلمين قبل الهجرة الصّباة؛ ويقولون: نخاف أن يَصْبُو الوليد بن المغيرة إلى دين محمّد ﷺ؛ ولئن صَبا الوليد وهو ريحانة قريش لتصبوَنّ قريش بأجمعها.

وقالوا فيه: ما كلامه إلّا السّحر؛ وإنّه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر؛ ونهوْا صبيانَهم عن الجلوس إليه لئلّا يستميلهم بكلامه وشمائله؛ وكان إذا صلّى في الحِجْر وجهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفًا أن يسحرهم ويستميلهم بقراءته وبوَعْظه وتذكيره؛ هذا هو معنى قوله تعالى: ﴿جَعَلُوا اَصَابِعَهُمْ فى اٰذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾[1].

ومعنى قوله: ﴿وَاِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْاٰنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلٰى اَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾[2]، لأنّهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن، خوفًا أن يغيّر عقائدهم في أصنامهم؛ ولهذا أسلم أكثر

١ـ نوح/ ٧.

٢ـ الإسراء/ ٤٦.

النّاس بمجرّد سماع كلامه ورؤيته ومشاهدة رُوائه ومَنْظره، وما ذاقوه من حلاوة لفظه وسَريّ كلامه في آذانهم، ومَلَك قلوبهم وعقولهم، حتّى بذلوا المُهَج في نصرته؛ وهذا من أعظم معجزاته عليه السلام، وهو القبول الّذي مَنَحه الله تعالى، والطّاعة الّتي جعلها في قلوب النّاس له، وذلك على الحقيقة سِرّ النّبوّة، الّذي تفرّد به صلوات الله عليه، فكيف يروم أمير المؤمنين من النّاس أن يكونوا معه كما كان آباؤهم وإخوانهم مع النّبيّ صلى الله عليه وآله، مع اختلاف حال الرّئيسَيْنِ وتساوى الأثريْنِ كما يعتبر في تحقّقه تساوى حال المحلّين، يعتبر في حقيقته أيضًا تساوى حال العلّتينِ ... (٦: ٣٨٧ ـ ٣٩١)

(الخطبة: ٩٤) الأصل: بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ؛ حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ؛ فَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ، وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.[1]

الشّرح: ...[وذكر شرح لغات الخطبة، كما سيجيء عنه في بابها]. (٧: ٦٦)

(الخطبة:١٠٣) الأصل: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا؛ فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ؛ يَسُوقُهُم إِلَى مَنْجَاتِهِمْ؛ وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ؛ يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ؛ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ؛ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا؛ مَا ضَعُفْتُ، وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ. وَايْمُ اللهِ، لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قال الرّضي رحمه الله: وقد تقدّم مختار هذه الخطبة؛ إلّا أنّي وجدتها في هذه الرّواية على

---

١ ـ ساقطة من مخطوطة النّهج.

خلاف ما سبق من زيادة ونقصان؛ فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

الشّرح: لقائل أن يقول: ألم يكن في العرب نبيّ قبل محمّد، وهو خالد بن سنان العبسيّ؟[1] وأيضًا فقد كان فيها هود وصالح وشعيب.

ونجيب هذا القائل بأنّ مراده عليه السلام أنّه لم يكن في زمان محمّد ﷺ وما قاربه مَن ادّعى النّبوّة، فأمّا هود وصالح وشعيب؛ فكانوا في دَهْرٍ قديم جدًّا، وأمّا خالد بن سنان فلم يقرأ كتابًا، ولا يدّعى شريعة وإنّما كانت نبوّة مشابهة لنّبوّة جماعة من أنبياء بني إسرائيل الّذين لم يكن لهم كُتُب ولا شرائع؛ وإنّما ينهون عن الشّرك، ويأمرون[2] بالتّوحيد ...

وهذا الكلام من باب الاستعارة والمجاز، يقول عليه السلام: كان النّبيّ ﷺ لحِرْصه على الإسلام وإشفاقه على المسلمين، ورأفته بهم، يلاحظ حالَ من تزلزل اعتقاده، أو عرضتْ له شبهة، أو حدَث عنده ريب، ولا يزال يوضّح له ويرشده حتّى يزيل ما خامر سرَّه من وساوس الشّيطان، ويلحقه بالمخلصين من المؤمنين، ولم يكن ليقصِّر في مراعاة أحد من المكلّفين في هذا المعنى إلّا مَنْ كان يعلم أنّه لا خير فيه أصلًا، لعناده وإصراره على الباطل، ومكابرته للحقّ.

ومعنى قوله: «حتّى يلحِقه غايته»، حتّى يوصّله إلى الغاية الّتي هي الغرض بالتّكليف؛ يعني اعتقاد الحقّ وسكون النّفس إلى الإسلام؛ وهو أيضًا معنى قوله: «وبوّأهم مَحلّتهم».

ومعنى قوله: «فاستدارت رحاهم»، انتظم أمرُهم، لأنّ الرّحا إنّما تدور إذا تكاملت أدواتها وآلاتها كلّها؛ وهو أيضًا معنى قوله: «واستقامت قناتُهم»؛ وكلُّ هذا من باب

---

١ ـ هو خالدبن سنان بن غيث العبسيّ، ذكره الرّسول ﷺ؛ وقال: «ذلك نبيّ أضاعه قومه». وانظر أخباره في «مروج الذّهب» ١: ١٣١ (طبع أروبا).

٢ ـ ساقطة من ب.

الاستعارة.

ثمّ أقسم أنّه عليه السلام كان من ساقتها،... وهذا الضّمير المؤنّث يرجع إلى غير مذكور لفظًا، والمراد الجاهليّة، كأنّه جعلها مِثْلَ كتيبة مصادمة لكتيبة الإسلام، وجعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه؛ حتّى فرّت وأدبرت، واتّبعها يسوقها سوقًا، وهي مولّية بين يديه. حتّى أدبرت بحذافيرها، أى كلّها عن آخرها.

ثمّ أتى بضمير آخر إلى غير مذكور لفظًا، وهو قوله: «واستوسقت في قيادها»، يعنى الملّة الإسلاميّة أو الدّعوة، أو ما يجرى هذا المجرى. واستوسقت: اجتمعت؛ يقول لمّا ولّت تلك الدّعوة الجاهليّة: استوسقت هذه في قيادها كما تستوسق الإبل المقودة إلى أعطانها.

ويجوز أن يعودَ هذا الضّمير الثّاني إلى المذكور الأوّل وهو الجاهليّة، أى ولّت بحذافيرها واجتمعت كلُّها تحت ذلّ المقادة.

ثمّ أقسم أنّه ما ضعف يومئذٍ ولا وَهَن ولا جَبُن ولا خان؛ وليبقرنّ الباطل الآن حتّى يخرج الحقّ من خاصرته؛ كأنّه جعل الباطل كالشّيء المشتمل على الحقّ غالبًا عليه، ومحيطًا به، فإذا بقر ظهر الحقّ الكامن [1] فيه، وقد تقدّم منّا شرح ذلك. (٧: ١١٤ ـ ١١٦)

(الخطبة: ١٠٤) الأصل: حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله، شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا، و أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً.

فَمَا احْلَوْلَتِ الدُّنْيَا لَكُمْ فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا، قَلِقًا وَضِينُهَا، قَدْ صَارَحَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللهِ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مَسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا،

١ـ ب: «الكائن».

وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ. فَأُقْسِمُ بِاللهِ، يَا بني أميّة، عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ!

الشّرح: ... يقول عليه السلام: مخاطبًا لمن في عصره من بقايا الصّحابة ولغيرهم من التّابعين، الّذين لم يدركوا عصر رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله بَعَث محمّدًا، وهو أكرم النّاس - شيمةً، وأنداهم يدًا، وخيرهم طفلًا، وأنجبهم كَهلًا، فصَانَه الله تعالى في أيّام حياته عن أن يفتح عليه الدّنيا، وأكرمه عن ذلك فلم تفتح عليكم البلاد، ولادَرَّتْ عليكم الأموال، ولاأقبلت الدّنيا نحوكم، وما دالت الدّولة لكم إلّا بعده، فتمكّنتم من أكلها والتّمتّع بها، كما يتمكّن الحالب من احتلاب النّاقة فيحلبها، وحلّت لذّاتها لكم، واستطبتم العيشة، ووجدتموها حُلْوةً خضرةً.

ثمّ ذكر أنّهم صادفوها ـ يعنى الدّنيا ـ وقد صعبت على مَن يَليها ولاية حقّ، كما تستصعب النّاقة على راكبها إذا كانت جائلة الخِطام، ليس زمامها بممكّن راكبها من نفسه، قلقة الوَضين، لايثبت هَوْدجها تحت الرّاكب، حرامها سهل التّناول على مَن يريده، كالسِّدر الّذي خضد عنه شوكه، فصار ناعمًا أملس، وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه، وكونه صار مغمورًا مستهلكًا بالنّسبة إليه، وهذا إشارة إلى ما كان يقوله دائمًا من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر، وإنّه كان الأولى والأحقّ. (٧: ١١٩)

(الخطبة : ٢٣٨)... أَلَا وَإِنَّكُمْ قَد نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَد امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ الْأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ، تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ! كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكًا لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَمًا

في أَرْضِهِ، وأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ.

وإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرِينَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأُمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ تَعَالَى وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَا اللهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي!

الشّرح: ... قوله: «صرتم بعد الهجرة أعرابًا»؛ الأعراب على عهد رسول الله ﷺ مَن آمن به من أهل البادية، ولم يهاجر إليه، وهم ناقصو المرتبة عن المهاجرين لجفائهم وقَسْوتهم وتوحّشهم، ونشئهم في بُعْد من مخالطة العلماء، وسماع كلام الرّسول ﷺ، وفيهم أُنزِل: ﴿اَلْأَعْرابُ اَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفاقًا وَ اَجْدَرُ اَلّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما اَنْزَلَ اللهُ عَلى رَسُولِهِ﴾[1]، وليست هذه الآية عامّة في كلّ الأعراب بل خاصّة ببعضهم، وهم الّذين كانوا حول المدينة وهم جُهَينة، وأسلم وأشجع، وغِفار، وإليهم أشار سبحانه بقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرابِ مُنافِقُونَ﴾[2]، وكيف يكون كلّ الأعراب مذمومًا، وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْاَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ﴾[3]، وصارت هذه الكلمة جارية مجرى المَثَل. وأنشد الحجّاج على منبر الكوفة:

قد لفّها اللّيل بعصلبي[4] أروع خراج من الدّوِيّ[5]

١ـ التّوبة/٩٧.

٢ـ التّوبة/١٠١ .

٣ـ التّوبة/٩٩ .

٤ ـ العصلبيّ: الشّديد الخلق.

٥ ـ أروع: أى ذكيّ. يقول: خرّاج من كلّ غمّاء شديدة، ويقال للصّحراء: دويّة، وهي الّتي لا تكاد تنقضي، منسوبة إلى الدوّ، والدوّ: صحراء ملساء لاعلم بها.

* مهاجر ليس بأعرابيّ[١] *

وقال عثمان لأبي ذرّ: أخشى أن تصير بعد الهجرة أعرابيًّا ... (١٣ : ١٨١)

الفصل الثّالث ـ[القول في أديان العرب في الجاهليّة]

فأمّا الأمّة الّتي بُعِثَ محمّد ﷺ فيها فهم العرب. وكانوا أصنافًا شتّى، فمنهم معطِّلة، ومنهم غيرُ معطِّلة.

فأمّا المعطّلة مِنهم، فبعضُهم أنكر الخالق والبَعْث والإعادة، وقالوا ما قال القرآن العزيز عنهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[٢]، فجعلوا الجامعَ لهم الطَّبْع، والمهلِك لهم الدَّهر.

وبعضهم اعترف بالخالق سبحانه وأنكر البعثَ، وهم الّذين أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٣].

ومنهم مَنْ أقرّ بالخالق ونوعٍ من الإعادة، وأنكروا الرّسلَ وعبدوا الأصنام، وزعموا أنّها شفعاء عندالله في الآخرة، وحجّوا لها، ونحروا لها الهَدْي، وقرّبوا لها القُربان، وحلّلُوا وحرّموا، وهم جمهور العرب، وهم الّذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[٤].

فممّن نطق شعره بإنكار البعث بعضُهم يرثي قَتْلى بدر:[٥]

---

١ ـ الكامل للمبرّد ١: ٣٨١ (طبعة نهضة مصر).

٢ ـ الجاثية/٢٤.

٣ ـ يس/٧٨ .

٤ ـ الفرقان/٧.

٥ ـ سيرة ابن هشام ٢: ١١٣، مع اختلاف في الرّواية وترتيب الأبيات وعددها، ونسبها إلى شدّاد بن الأسود.

فَمَـــاذَا بِالْقَلِيـــبِ قَلِيـــبِ بَـــدْرٍ مِـــنَ الْفِتْيَـــانِ وَالْقَـــوْمِ الْكِـــرَامِ ![1]
وَمَـــاذَا بالْقَلِيـــبِ قَلِيـــبِ بَـــدْرٍ مِـــنَ الشَّـــيزى تُكَلَّـــلُ بالسَّـــنَامِ ![2]
أيخبرنـــا ابـــنُ كبشـــة أن ســـنحيا وَكَيْـــفَ حَيـــاةُ أصْـــدَاءٍ وَهَـــامِ !
إذَا مـــا الـــرأسُ زالَ بمنكِبَيْـــهِ فقـــد شَـــبعَ الأنِـــيسُ مِـــنَ الطَّعَـــامِ
أيقتُلِـــني إذا مـــا كُنْـــتُ حَيًّـــا وَيُحْيِيـــنِي إِذَا رَمَّـــت عِظَـــامِي!

وكان من العرب مَن يعتقد التّناسخ وتنقُّل الأرواح في الأجساد، ومن هؤلاء أربابُ الهامة، الّتي قال عليه السلام عنهم: لا عَدْوَى ولاهامّة ولاصَفَر[3]، وقال ذو الأصبع:

يـا عَمْـرُو إلّا تـدعْ شَـتْمِي ومَنْقَصَـتِي أضْـرِبْكَ حَتَّى تَقُولَ الهَامَـةُ اسْـقُونِي[4]

وقالوا: إنّ ليلى الأخيليّة لمّا سلّمت على قبرتَوْبة بن الحُمَيِّرخرج إليها هامَة من القبرصائحة، أفزعت ناقتها، فوقصت[5] بها فماتت، وكان ذلك تصديق قوله:

وَلَـــوْ أنَّ لَـــيْلَى الأَخْيليَّـــةَ سَـــلَّمَتْ عَـــلَيَّ ودُوني جَنْـــدَلٌ وَصَـــفائِح[6]

١ـ ابن هشام: *مِنَ الْقَيْنَاتِ والشَّرْبِ الكِرَامِ*
والقليب: البئر.

٢ ـ البيت في اللّسان ٧: ٢٣٠، ورواه: «يزيّن بالسّنام»، و قال في شرحه: الشّيزى: شجريتّخذ منه الجفان، وأراد بالجفان أربابها الّذين كانوا يطعمون فيها وقتلوا ببدر و ألقوا في القليب، فهو يرثيهم، وسمّي الجفان شيزى باسم أصلها».

٣ ـ كانت العرب تزعم أنّ في البطن حيّة، يقال لها: الصّفر، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه. (نهاية ابن الأثير٢: ٢٢٦).

٤ ـ من قصيدة مفضّليّة، المفضّليّات:١٦٣ .

٥ ـ وقصت بها، أى سقطت عنها فماتت .

٦ ـ ديوان الحماسة لأبي تمّام بشرح التّبريزيّ٣: ٢٦٧. والصّفائح: الحجارة العراض تكون على القبور

لَسَـلَّمْتُ تَسْـلِيمَ البَشاشَـة أو زقى إليها صدًى مَنْ جانِبِ القبر صائحُ

وكان تَوْبةُ وليلى في أيّام بني أميّة.

وكانوا في عبادة الأصنام مختلفين، فمنهم مَنْ يجعلها مشارِكة للبارئ تعالى، ويُطلِق عليها لفظة الشَّريك، ومن ذلك قولهم: في التّلبية: «لبَّيْك اللّهمّ لبَّيْك: لاشريك لك، إلّا شريكًا هو لك، تملكه و ما مَلَك». ومنهم مَن لايطلق عليها لفظ الشَّريك، ويجعلها وسائل و ذرائع إلى الخالق سبحانه، وهم الّذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[1].

وكان في العرب مشبّهة ومجسّمة، منهم أميّة بن أبي الصّلت، وهو القائل:

مِنْ فَوْقِ عَرْشِ جَالِسٍ قَدْ حَطَّ رِجْلَيْـهِ إلى كُرْسِـيِّهِ المنصوبِ

وكان جمهورهم عبدَة الأصنام، فكانَ «وَدّ» لكَلْبٍ بدَومة الجندل، و«سُواع» لهُـذَيْل، و«نَسْر» لِحِمْيَر، و«يَغُـوث» لهَمْـدَان، و«الـلّات» لثَقِيف بالطّائف، و«العُـزّى» لكِنانـة وقُريش وبعض بني سُليم، و«مَناة» لغَسّان والأوس والخزرج، وكان «هُبَل» لقريش خاصّة على ظَهْر الكعبة، و«أساف ونائلة» على الصَّفا والمرْوة.

وكان في العرب مَنْ يميل إلى اليَهوديّة، منهم جماعة من التّبابعة وملوك اليمن، ومنهم نصارى كبني تَغْلِب والعِباديّين رَهْط عَديّ بن زيد، ونصارى نجران، ومنهم مَنْ كان يميل إلى الصّابئة ويقول بالنّجوم والأنواء.

فأمّا الّذين ليسوا بمعطِّلة من العرب؛ فالقليل منهم، وهم المتألّهون أصحابُ الورَع[2] والتّحرّج عن القبائح كعبد الله، وعبدالمطّلب وابنه أبي طالب، وزيد بن عمرو بن

١ـ الزّمر/ ٣.

٢ـ ا: «التّورّع».

نُفَيْل، وقُسّ بن ساعدة الإياديّ، وعامر بن الظّرب العَدْوانيّ، وجماعة غير هؤلاء.

وغرضنا من هذ الفَصْل بيان قوله عليه السلام: «بينَ مشبّه لله بخَلْقه أو مُلْحِدٍ في اسمه» إلى غير ذلك، وقد ظهر بما شرحناه. (١ : ١١٧ ـ ١٢٠)

(الخطبة:١٣٣) الأصل: ... أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ؛ فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

الشّرح: الضّمير في «أرسله»، راجع إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، وهو مذكور في كلام لم يحكِه جامع الكتاب. والفترة: زمان انقطاع الوحي، والتّنازع من الألسن؛ أنّ قومًا في الجاهليّة كانوا يعبدون الصّنم، وقومًا يعبدون الشّمس وقومًا يعبدون الشّيطان، وقومًا يعبدون المسيح؛ فكلّ طائفة تجادل مخالفيها بألسنتها لتقودها إلى معتقدها.

وقفّى به الرّسل، أتبعها به، قال سبحانه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾[1]؛ ومنه الكلام المقفّى وسمّيت قوافي الشّعر، لأنّ بعضها يتبع بعضًا.

والعادلين به: الجاعلين له عَدِيلًا، أى مثلًا؛ وهو من الألفاظ القرآنيّة أيضًا، قال الله تعالى: ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[2]. (٨ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥)

الفصل الرّابع ـ[نُكَت في مذاهب العرب وتخيّلاتها]

وسنذكر هاهنا نُكتًا مُمتِعةً من مذاهب العرب وتَخيّلاتِها، لأنّ الموضع قد ساقَنا إليه، أنشَد هشام بن الكَلبيّ لأُميّة بن أبي الصَّلْت:

---

١ ـ الحديد/٢٧.

٢ ـ الأنعام/١.

سَـــنَةٌ أزْمَـــةٌ تُبـــرّح بالنّـــا ... سِ تَـرَى للعِضـاهِ فيهـا صَـرِيرَا [١]
لا عَـــلَى كوكـــبٍ تَنُـــوءُ ولا رِيـــ ... ـح جنـــوبٍ ولاتـــرى طُحـــرورَا [٢]
ويُســـقَوْن بـــاقرَ السّـــهل للطّـــو ... ـدِ مهازيـــلَ خشـــيةً أن تَبـــورَا
عاقـــدين النِّيـــرانَ في ثُكَـــن الأ ... ذنـاب منهـا لكـي تهـيجَ البحـوُرا
ســـلَعٌ مـــا ومِثلـــه عُشَـــرٌ مـــا ... عامِـــلٌ مـــا وَعالـــتِ البَيْقُـــورَا

يُروَى أنّ عيسى بن عمر قال: ما أدري معنَى هذا البيت! ويقال: إنّ الأصمعيّ صحّف فيه، فقال: «وغالَت البَيْقُورَا» بالغَيْن المعجمة، و فسّره غيرُه فقال: عالَت بمعنى أثقَلت البَقَرَ بما حملتها من السّلع والعُشرِ، والبَيْقور: البَقر. وعائل: غالب، أو مُثقَل.

وكانت العرب إذا أجدَبَتْ وأمسكَتْ السّماءُ عنهم وأرادوا أن يُستمطَرُوا عَمَدوا إلى السّلع والعُشَر فحزَموهما وعقَدوهما في أذناب البقر، وأضرموا فيها النِّيران، وأصعَدوها في جبل وَعِر، واتّبعوها يَدْعون الله ويَسْتَسْقونه؛ وإنّما يَضرِمون النِّيران في أذناب البقر تفاؤلًا للبَرْق بالنّار، وكانوا يَسُوقونها نحو المغرب من دون الجهات. وقال أعرابيّ:

شفَعْنا بِبَيقور إلى هاطل الحيَا ... فلم يُغن عنّا ذاك بل زادَنا جَدْبَا
فعُدْنا إلى رَبِّ الحَيا فأجارَنا ... وصيّر جدْبَ الأرض من عندِه خِصْبَا

وقال آخر:

قُلْ لِبني نَهْشَلَ أصحاب الحَوَرْ: ... أتَطْلبُون الغيثَ جَهْلًا بالبَقَرْ!
وسَلع من بعد ذَاكَ وَعُشَرْ ... ليس بذا يُجلِّل الأرضَ المَطَرْ

ويمكن أن يُحمَل تفسيرُ الأصمعيّ على محمل صحيح، فيقال: غالت بمعنى

---

١ ـ شعراء النّصرانيّة: ٢٣٥، في وصف سِنة ومجاعة.

٢ ـ الطّحرور: القِطَع من السّحاب.

أهلكتْ، يقال: غالَه كذا واغتالَه أي أهلَكه، وغَالتهم غُولٌ؛ يعنى المنيّة، ومنه الغَضب غُول الحلْم. وقال آخر:

لمّا كَسَوْنا الأرض أذنابَ البَقَرْ بالسَّلَع المعقود فيها والعُشَرْ

وقال آخَر:

يا كُحْل قد أثقلتَ أذنابَ البَقَر بسَلَعٍ يعقد فيها وعُشَرْ

* فهل تَجُودِين ببَرْقٍ ومَطَرْ*

و قال آخر يعيب العربَ بفِعْلهم هذا:

لا دَرَّ دَرّ رجالٍ خابَ سَعْيُهُمُ يَستمطِرونَ لدى الإعسار بالعُشَرِ

أجاعلٌ أنت بيقورًا مسلّعة ذريعةً لك بين الله والمَطَر

وقال بعضُ الأذكياء: كلّ أُمّة قد تَحْذو في مذاهبها مذاهبَ مِلّة أخرى، وقد كانت الهِنْد تَزعُم أنّ البقر ملائكة، سَخط الله عليها فجَعَلها في الأرض، وأنّ لها عنده حرمة، وكانوا يُلطِّخون الأبدان بأخثائها[1]، ويَغسِلون الوجوهَ ببَوْلِها ويَجعلونَها مُهورَ نِسائهم، ويتبرّكون بها في جميع أحوالهم، فلعلّ أوائلَ العرب حَذَوْا هذا الحذْوَ، وانتَهَجوا هذا المَسْلك.

وللعَرب في البقر خيالٌ آخر، وذلك أنّهم إذا أوْرَدوها فلم تَرِد، ضَرَبوا الثَّوْر ليقتحمَ الماء، فتقتحم البقر بعدَه، ويقولون: إنّ الجنّ تَصُدّ البقر عن الماء، وإنّ الشّيطان يَركَب قَرنَي الثَّور.

وقال قائلهُم:

إنّي وقتلِي سُلَيْكًا حين أعْقِلُه كالثّور يُضرَب لمّا عافَت البَقَرُ[2]

---

١ ـ الأخثاء: جمع خثّة؛ و هي البعرة اللّينة.

٢ ـ للسّليك بن السّلكة، والبيت من شواهد ابن عقيل ٢: ٢٨٢.

وقال نَهشَل بن حريّ:

كـذاكَ الثّـورُ يُضـرَب بـالهِرَاوَى إذا مـا عافـتِ البَقَـرُ الظِّمـاء

وقال آخر:

كـالثَّوْر يُضـرَب للـورُو دِ إذا تَمَنَّعـتِ البَقَـرْ

فإنْ كان ليس إلّاهذا فليس ذاك بعَجِيب من البقر، ولا بمَذهَب من مذاهِب العرب؛ لأنّه قد يجوز أن تَمتنِع البقر من الورُود حتّى يَرِدَ الثّور كما تمتنَع الغنمُ من سلوك الطُّرُق أو دخول الدُّور والأخْبِية حتّى يتقدّمها الكَبْش أو التَّيْس، وكالنَّحْل تتبع اليَعْسُوب، والكَراكيّ تتبع أميرَها، ولكنّ الّذي تدلّ عليه أشعارها أنّ الثّورَ يَرِدُ ويَشرَب ولا يمتنع، ولكنّ البقر تَمتنع وتَعافُ الماء وقد رأت الثّورَ يَشرَب، فحينئذٍ يُضرَب الثّور مع إجابته إلى الورود فتَشرَب البقر عند شُرْبه، وهذا هو العَجَب، قال الشّاعر:

فـإنّي إذَنْ كـالثَّوْر يُضـرَب جنبـه إذا لم يَعَفْ شربًا وعافَتْ صَواحِبُهْ

وقال آخر:

فـلا تجعلـوني كـالبقير وفَحْلها يكسَّـر ضَـرْبًا وهـو للـوِرْد طـائِعُ

ومـا ذَنْبـه إن لم يـرد بقَراتـه و قد فاجأتها عند ذاك الشّرائعُ

وقال الأعشى:

لك الثّور والجِنّيّ يُضرَب وجهُه وما ذَنْبُه إن عافَت الماءَ مَشْرَبَا![1]

ومـا ذنبُـه إن عافـت المـاء بـاقِرٌ وما أن يَعافُ الماء إلّا ليُضرَبا

قالوا في تفسيره: لمّا كان امتناعُها يتعقّبه الضّرب، حَسُن أن يقال: عافت الماء لتُضرَب، وهذه اللّام هي لام العاقبة، كقوله: «لِدُوا للموت»، وعَلَى هذا فسّر أصحابُنا

---

١ ـ ديوانه: ٩٠.

قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾[1].

ومِن مذاهب العرب أيضًا تعليق الحَلْى والجَلاجِل على اللَّدِيغ يَرَوْن أنّه يُفيق بذلك، ويقال: إنّه إنّما يعلّق عليه لأنّهم يرَوْن [أنّه] إنْ نام يَسرِي السَمَ فيه فيَهلِك، فشَغَلوه بالحَلْى والجَلاجِل وأصواتها عن النَوم، وهذا قولُ النَضربن شُمَيل، وبعضُهم يقول: إنّه إذا عُلّقَ عليه حَلْى الذَّهب بَرَأ، وإن علّق الرَصاص أوْ حَلْى الرَصاص مات.

وقيل لبعض الأعراب: أتريدون شُهْرةً؟ فقال: إنّ الحَلْى لاتُشْهر، ولكنّها سُنّةٌ وَرِثْناها. وقال النّابغة:

فبتّ كأنّي ساورتْني ضَئيلةٌ ... من الرُقْش في أنيابِها السَمُّ ناقِعُ[2]

يُسهّدُ من ليلِ التِمام سَليمُها ... لِحَلْى النِساء في يديه قَعاقِعُ

وقال بعض بني عُذْرَة:

كأنّي سَليمٌ نالَه كَلْمُ حَيّةٍ ... ترى حولَه حَلْى النِساء موضَّعَا

وقال آخر:

وقد عُلّلوا بالبُظْل في كلّ موضعٍ ... وغُرُّوا كما غَرَّ السَليمَ الجلاجلُ

وقال جَمِيل وظَرُف في قوله، ولو قاله العبّاس بن الأحنف لكان ظريفًا!

إذا ما لَدِيغٌ أبرأ الحلْيُ داءَه ... فحَلْيكِ أمسَى يا بُثَيْنة دائِيَا[3]

وقال عُوَيْمر النَبَهانيّ وهو يؤكّد قولَ النَضربنِ شُمَيل:

١ـ الأعراف/١٧٩.

٢ ـ ديوانه: ٥١.

٣ ـ ديوانه: ٢١٨.

فبتّ مُعَنًّى بالهموم كأنّني سليمٌ نَفَى عنه الرُّقادَ الجَلاجلُ

ومِثلُه قولُ الآخر:

كأنّي سليمٌ سَهَّد الحليُ عينَه فراقب من ليل التِّمام الكواكَبا

ويشبه مذهبَهم في ضَرْب الثّور مذهبهم في العَرِيصِيبُ الإبلَ فيُكوَى الصّحيح ليَبْرأَ السّقيم. وقال النّابغة:

وكلّفْتَنِي ذنْبَ امرئٍ وتركته كذي العَرِّيكْوَى غيرُه وهو راتِعُ[1]

وقال بعضُ الأعراب:

كمن يَكوِى الصّحاح يرومُ بُرْءًا به من كلّ جَرْباء الإهابِ

وهذا البيت يُبطِل رواية مَن رَوَى بيت النّابغة «كذِي العُرَّ» بضمّ العين، لأنّ العُرّ بالضّمّ قَرْح في مَشافِر الإبل غيرُ الجَرَب، والعَرُّ بالفتح الجَرَب نفسه، فإذا دَلَّ الشّعر على أنّه يكوَى الصّحيح ليبرأ الأجْرَب، فالواجبُ أن يكون بيتُ النّابغة «كذِي العَرّ» بالفتح. ومِثلُ هذا البيت قول الآخر:

فألزمْتني ذَنْبًا وغيريَ جَرَّه حَنَانَيْك لا يُكوى الصَّحيحُ بأجْرَبا

إلّا أن يكون إطلاق لفظ الجَرَب على هذا المرض المخصوص من باب المجاز لمشابهته له.

ومِن تخيّلاتِ العَرَب ومذاهِبها أنّهم كانوا يَفقئون عينَ الفَحْلِ من الإبل إذا بلغت ألفًا، كأنّهم يَدْفعون العينَ عنها، قال الشّاعر:

فَقأنا عيونًا من فُحول بَهازِرٍ وأنتمْ برَعْى البُهْم أوْلَى وأجْدرُ

وقال آخَر:

---

١ ـ ديوانه: ٥٤.

وَهَبْتَهـا وكنـتَ ذا امتِنـانِ تفقَأ فِيها أعـيُنَ البُعْرانِ

وقال الآخر:

أعطيتَهـا ألفًـا ولم تَبخَـلْ بهـا فَفقـأتَ عـيْنَ فُحَيْلِها مُعْتافًا

وقد ظَنّ قومٌ أنّ بيتَ الفرَزْدق وهو:

غَلَبْتُـك بـالمفقّئ والمُعـنّى وبيـت المحتـبي والخافِقـاتِ[1]

مِن هذا الباب، وليس الأمر على ذلك، وإنّما أراد بالفقء قوله لجرير:

ولسـتَ ولـو فقّـأتُ عينيـك واجـدًا أخًـا كلقَـيطٍ أو أبًـا مِثـلَ دارِمِ[2]

وأرادَ بالمعنّى قوله لجرير أيضًا:

وإنّك إذ تَسعَى لتُدرِك دارِمًا لأنْـتَ المعـنَّى يـا جَريـر المكلّفُ[3]

وأراد بقوله: «بيت المحتبي» قوله:

بيـتٌ زرارةُ محتـبٍ بِفنائـهِ ومُجاشع وأبو الفَوارِس نَهْشَـلُ[4]

وبيـت الخافِقـات، خِـرَق الملوك لـه خَميسٌ جَحْفَلُ[5]

---

١ ـ ديوانه: ١٣١. والخافقات: الرّايات.

٢ ـ في شرح ديوانه: «أو أبا مثل نهشل».

٣ ـ ديوانه: ٤٣٦.

٤ ـ ديوانه: ٧١٤.

٥ ـ ديوانه: ٧١٥؛ و في شرح الدّيوان. والخافقات يريده قوله:

وأيْنَ تقَضِّى المالكانِ أمورَها بحقٍّ وأينَ الخافقاتُ اللوامعُ

قال أبو الهيثم: «فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير؛ لأنّ العرب كانت إذا بلغ لأحدهم ألف بعير فقأ عين بعير منها؛ فإذا تمّت ألفان أعماه؛ فافتخر عليه بكثرة ماله».

فأمّا مذهبهم في البليّة، وهي ناقةٌ تُعقَلُ عند القبر حتّى تموت، فمذْهَبٌ مشهور، والبَلِيّة أنّهم إذا ماتَ منهم كريمٌ بلَوا ناقَتَه أو بعَيره، فعكسوا عنقَها، وأداروا رأسَها إلى مؤخَّرها، وتركُوها في حَفِيرة لا تطعَم ولا تُسقَى حتّى تموت، وربّما أُحرِقتْ بعد موتها، وربّما سُلِخَت وملىء جلدُها تُمامًا. وكانوا يزعمُون أنّ مَن مات ولم يُبْلَ عليه حُشِر ماشيًا، ومَن كانت له بليّة حُشِر راكبًا على بليّته، قال جُرَيبة[1] بن الأشيم الفَقْعَسيّ لابنه:

يـا سَـعْد إمّـا أهلِكَـنّ فـإنّني ... أوصـيكَ إنّ أخـا الوَصـاةِ الأقـربُ
لا أعْـرفَنّ أبـاكَ يحشـر خلفَكُـمْ ... تعبًـا يُجَـرُّ عـلى اليَـدَين ويُنكَـبُ
واحمـلْ أبَـاك عـلى بعيرٍ صـالحٍ ... وتَـقِ الخطيئـةَ إنّـه هـو أصـوَبُ
ولعـلّ لي ممّـا جمعـتُ مطيّـة ... في الحَشْـر أركبُهـا إذا قيـل ارْكَبـوا

وقال جُريبة أيضًا:

إذا مِـتُّ فـادفنّي بجَـدّاءَ مـا بهـا ... سِوَى الأصرخين أو يفـوز راكـبُ
فـإن أنـتَ لم تعَقِـر عـليّ مطّيـتي ... فلا قامَ في مالٍ لك الدَّهر جالِبُ
ولاتـدفنَنّي[2] في صُـوًى وادْفِنَّنـي ... بدَيْمومـةٍ تنـزو عليهـا الجَنـادِبُ

وقد ذكرتُ في مجموعِي المسمّى «بالعَبْقريّ الحسان» أنّ أباعبد الله الحسين بن محمّدبن جعفر الخالع ﷺ ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانِها هذه الأبيات، واستَشْهد بها على ما كانوا يَعتقِدون في البَلِيّة، وقلتُ: إنّه وَهِمَ في ذلك، وإنّه ليس في هذه الأبيات دلالةٌ على هذا المعنى، ولا لها به تَعلّق، وإنّما هي وصيّة لولده أن يَعقِر مطيّته بعد موته؛ إمّا لِكَيْلا يَركَبها غيرُه بعَده، أو على هيئة القُرْبان كالهَدْى المَعقور بمكّة، أو

---

١ ـ ديوانه: ٣٤٦.

٢ ـ ديوانه: ٣٤٦.

كما كانوا يَعقِرون عند القبور، ومَذْهبهم في العَقْر على القبور، كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلّب:

إنّ السّماحة والمروءةَ ضُمِّنَا ... قَبرًا بمَرْوَ على الطّريق الواضِح [١]

فإذا مَررتَ بقبرِهِ فاعْقِرْ به ... كُومَ الهِجانِ وكلّ طِرْفٍ سابح [٢]

وقال الآخَر:

نفرَتْ قَلوصِي عن حِجارة حَرّةٍ ... بُنِيتْ على طَلْق اليدين وَهوبِ [٣]

لاتَنفِري يا نَاقُ منه فإنّه ... شِرّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرُ الحُروبِ

لولا السِّفار وبُعدُ خَرْقٍ مَهْمهٍ ... لتركتُها تحبُو على العُرْقوب

ومَذهبُهم في العَقْر على القبور مشهور، وليس في هذا الشّعر ما يدلّ على مذهبهم في البَليّة، فإن ظَنّ ظانٌّ أنّ قوله: «أو يُفَوِّز راكب»، فيه إيماءٌ إلى ذلك، فليس الأمرُ كما ظنّه، ومعنى البيت ادفنّي بفلاةٍ جَدّاء مقطوعة عن الإنس، ليس بها إلّا الذّئب والغُراب، أو أن يعتسف راكبها المَفازة وهي المَهلَكة، سمّوها مَفَازةً على طريق الفأل، وقيل: إنّها تسمّى مَفازةً، من فوّز أى هلَك، فليس في هذا البيت ذِكرُ البليّة، ولكنّ الخالع أخطأ في إيراده في هذا الباب، كما أخطأ في هذا الباب أيضًا في إيراده قول مالك بن الرَّيب:

وعَطِّلْ قَلوصِي في الرِّكاب فإنّها ... ستُبرِد أكبادًا وتُبكي بوَاكِيَا [٤]

---

١ ـ الشّعر والشّعراء: ٣٩٧ .

٢ ـ بعده في الشّعر والشّعراء:

وانضَحْ جوانبَ قبرِهِ بدمائها ... فلقديكونُ أخَا دمٍ ذبائحِ

٣ ـ من أبيات في رثاء ربيعة بن مكدم، تنسب إلى ضرار بن الخطّاب ، وتنسب لحسّان أيضًا؛ وانظر: الأغاني ١٦: ٥٨، ٥٩ (طبعة دار الكتب).

٤ ـ أمالي القالي ٣: ١٣٨.

فظنّ أنّ ذلك من هذا الباب الّذي نحن فيه، ولم يُرِد الشّاعر ذلك، وإنّما أراد لا تَركَبوا راحلتي بعدِي، وعَطِّلوها بحيثُ لا يشاهدها أعادِيَّ وأَصادِقي ذاهبةً جائيةً تحت راكبها، فَيشمَت العدوّ ويُساءَ الصّديق، وقد أخطأ الخالع في مَواضع عدّة من هذا الكتاب، وأورد أشعارًا في غير موضِعها، وظَنّها مناسبةً لما هو فيه، فمنها ما ذكرناه، ومنها أنّه ذكر مذهب العرب في الحَلْي ووَضْعِه على اللَّدِيغ، واستشْهَدَ عليه بقول الشّاعر:

يُـلاقِي مـن تَـذكُّرِ آلِ لَـيْلَى كما يَلْـقَى السَّـلِيمُ مـن العِـدادِ[1]

ولا وَجْه لإيراد هذا البيت في هذا الموضع، فالعِداد مُعاوَدَة السَّمّ الملسوعَ في كلّ سنة في الوقت الّذي لُدِغ فيه، وليس هذا من باب الحَلْي بسبيل.

ومن ذلك إيرادُه قولَ الفَرَزْدق «غلَبتُك بالمفوّق»[2] في باب فَقْء عيون الفُحول، إذا بلغَت الإبلُ ألفًا، وقد تقدّم شرحُنا لموضع الوَهْم في ذلك. وسنذكُر هاهنا كثيرًا من المواضع الّتي وَهِم فيها إن شاء الله.

وممّا وَرَد عن العرب في البليّة قولُ بعضهم:

أبُـنَيّ زَوِّدْني إذا فـارَقْتَني في القَبْـر راحلـةً برَحْـلٍ فـاتر
لِلبَعْث أركَبُها إذا قيل ارْكَبوا مستوثِقين معًا لحشر الحاشِر

وقال عُوَيم النَّبهانيّ:

أبُنَيّ لَاتنسَـى البليّـة إنّهـا لأبيكَ يـومَ نُشـورِهِ مَرْكوبُ

ومن تخيّلات العَرَب ومذاهِبها ما حكاه ابن الأعرابيّ، قال: كانت العرب إذا نفرَت النّاقةُ فسُمِّيت لها أمُّها سكنَتْ من النِّفار، قال الرّاجز:

---

١ ـ اللّسان ٤: ٢٧٤.

٢ ـ و هو قوله: غَلَبْتُكَ بالمفوّقِ والمعنّي وبيتِ المحتبِي والخافِقَاتِ

أقـولُ و الوَجْنـاءُ بي تَقَحَّـمُ وَيْلك قُلْ ما اسمُ أمِّها يا عَلْكَمُ

عَلْكَم: اسمُ عبدٍ له، وإنّما سأل عبدَه ترفُّعًا أن يَعرِف اسمَ أمِّها، لأنّ العبيد بالإبل أعرَف، وهُم رُعاتُها. وأنشد السّكّريّ:

فقلتُ لهما اسمُ أمِّها هاتِ فاذْعُها تُجِبْك ويَسْكُنْ روعُها ونِفارُهَا

وممّا كانت العرب كالمجتمعة عليه الهامة، وذلك أنّهم كانوا يقولون: ليس من ميّت يموت ولاقتيلٍ يُقْتَل، إلّا ويخرج من رأسه هامةٌ، فإن كان قُتِل ولم يُؤْخذ بثَأْره نادت الهامةُ على قَبْره: اسْقُوني، فإنّي صَدِيَة ؛ وعن هذا قال النّبيّ ﷺ: «لا هَامَة».

وحُكي أنّ أبازيد كان يقول: الهامّة مشدّدة الميم إحدى هَوَامّ الأرض، وأنّها هي المتلوّنة المذكورة.

وقيل: إنّ أبا عُبيد قال: ما أَرَى أبا زيد حَفِظ هذا، وقد يُسمّونها الصَّدى والجمع أصْداء، قال: * وكيف حَياةُ أصداءٍ وهامِ *

وقال أبودُواد الأيّاديّ:

سُلِّط الموتُ والمَنُونُ عليهمْ فلهمْ في صَدا المقابِرِ هامُ[1]

وقال بعضهم لابنه:

ولاتَرْقُـون لي هامَـةٌ فـوقَ مَرْقَـبٍ فـإنّ زُقـاءَ الهـامِ للمـرءِ عائِـبُ

تُنادِي ألّااسْقوني وكلّ صَدًى به وتلك الّتي تبيضّ منها الذَّوائبُ

يقول له: لاتَتْرك ثأري إن قتلت، فإنّك إن تركتَه صاحتْ هامَتي: اسقوني، فإن كلّ صدًى ـ وهو هاهنا العَطَش ـ بأبيك، وتلك الّتي تبيضّ منها الذّوائب، لصُعوبتها وشِدّتها، كما يقال: أمرٌ يُشِيب رأسَ الوليد، ويَحتمل أن يريد به صُعوبة الأمر عليه وهو مقبور إذا لم يثأر به، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه، يعنى أنّ ذلك عارٌ

---

١ ـ ديوانه: ٣٣٩.

عليك، وقال ذوالإصْبَع :

يـا عَمْـرو إلّا تَـدَعْ شَـتْمي ومَنقَصَـتي أضـرِبْكَ حيث تقـولُ الهامَةُ اسْـقُوني[١]

وقال آخر:

فيـا رَبِّ إنْ أهلـك ولم تَـرْوِ هـامَتِي بلَيلى أمُتْ لا قبرَ أعطَشُ من قبْري[٢]

ويحتمل هذا البيت أنْ يكون خارجًا عن هذا المعنى الّذي نحن فيه، وأن يكون رِيّ هامته الّذي طلبه من ربّه هو وصالُ لَيْلَى وهما في الدّنيا. وهم يَكنُون عمّا يَشفِيهم بأنّه يُروِي هامَتَهم. وقال مغلّس الفَقْعسيّ:

وإنّ أخاكم قد علمت مكانَه بسَفْح قُبَا تَسِفي عليه الأعاصرُ

له هامةٌ تدعُو إذا اللّيل جَنَّها بَـنِي عـامرٍ هـل للهـلالِيّ ثـائرُ

وقال نَوْبةُ بن الحُمَيّر:

ولـو أنَّ لَـيلى الأخيليّـةَ سـلّمَت عـلـيّ ودُونِي جَنْـدَلٌ وصَـفائحُ

لسـلّمتُ تسـليمَ البَشاشـةِ أوزقَـا إليها صَدًى من جانِب القَبر صائحُ[٣]

وقال قيسُ بن المُلوَّح، وهو المجْنون:

ولـو تلـتقي أصـداؤنا بعـد موتِنـا ومِن دونِنا رَمْسٌ مِن الأرض أنكَبُ[٤]

لظَلّ صَدَى رَمْسِي وإن كنتُ رِمَّةً لِصـوتِ صَـدَى لَـيلَى يَهَـشُّ ويَطْـرَبُ

وقال حُمَيد بنُ ثور:

---

١ ـ المفضّليّة: ٣١.

٢ ـ للمجنون، ديوانه: ١٦٥.

٣ ـ ديوان الحماسة، بشرح التّبريزيّ ٣: ٢٦٧.

٤ ـ ديوانه: ٤٦، وروايته: * و من دون رمسينا من الأرض سبسب*.

ألا هـل صَـدَى أمّ الوليـد مكلِّـمُ صَداىَ إذا ما كنتُ رَمْسًا وأعظُمًا[1]

وممّا أبطله الإسلام قولُ العَرَب بالصَّفَر، زعموا أنّ في البطن حَيَّةً إذا جاع الإنسان عَضّت على شُرْسُوفه وكَبده، وقيل: هو الجوع بعَيْنه، ليس أنّها تَعَضّ بعد حصول الجوع، فأمّا لفظ الحديث: «لا عَدْوَى ولاهامَة ولاصَفَر ولاغُول»، فإنّ أبا عُبَيدة مَعْمَر بن المثنّى قال: هو صَفَر، الشّهر الّذي بَعد المحرَّم، قال: نهى عليه السلام عن تأخيرهم المحرَّم إلى صَفَر، يَعنى ما كانوا يفعلونَه من النَّسيء، ولم يوافِق أحدٌ من العلماء أبا-عُبيدة على هذا التّفسير، وقال الشّاعر:

لا يَتَأزَّى لِما في القِدْرِ يَرْقُبه ولايَعَضّ على شُرْسُوفِه الصَّفَرُ[2]

وقال بعض شعراء بني عَبْس يذكر قَيس بنَ زُهَير لمّا هَجَر النّاس وسَكن الفيافي وأَنِسَ بالوَحْش، ثمّ رأى ليلةً نارًا فعشَا إليها، فشمَّ عندها قُتَار اللّحم، فنازعتْه شهوته، فغلبها وقهرها، ومال إلى شجرة سلَم فلم يَزَل يكْدِمُها ويَأكُل مِن خَبطها[3] إلى أن مات:

إنّ قيسًا كان ميتَته كرمٌ والحىّ منطلقُ
شامَ نارًا بالهوى فهَوَى وشُجاع البَطْن يَختفقُ
في دَرِيسٍ ليس يَستُره رُبَّ حُرٍّ ثوبُه خَلَقُ

وقوله: «بالهوى» اسمُ موضع بِعَيْنه.

---

١ ـ ديوانه: ٣٠.

٢ ـ لأعشى باهلة؛ الكامل للمبرّد ٤: ٦٥، والرّواية فيه:

لايتأزَّى لما في القِدْرِ يرقُبُهُ ولاتراهُ أمامَ القِدْرِ يَقْتفِرُ
لايغمِزُ السّاقَ من أين ولا وَصب وَلايَعَضُّ على شُرْسُوفِه الصَّفر

٣ ـ الخبط هنا: الورق.

وقال أبوالنّجم العِجْليّ:

إنّك يا خَيرَ فتًى نَستعدِي على زمانٍ مسنِتٍ بِجَهْدِ

* عَضًّا كعَضّ صَفَرٍ بكِبْدِ *

وقال آخَر:

أردُّ شُجاعَ البَطْن قد تَعلمينه وأوثر غيري من عِيالِك بالطّعِم

ومن خُرافات العرب أنّ الرّجل منهم كان إذا أراد دخول قريةٍ فخاف وباءها أو جنّها، وقف على بابها، قبل أن يدخلها فنَهَقَ نهيق الحمار، ثمّ علّق عليه كعب أَرْنب، كأنّ ذلك عُوذة له ورُقْية من الوَباء والجنّ، ويسمُّون هذا النَّهيق التّعشير، قال شاعرُهم:

ولا ينفع التَّعْشير أن حُمّ واقِعٌ ولا زَعزَعٌ يُغني ولا كَعْب أرْنبِ

وقال الهيْثم بن عَدِيّ: خرج عُروة بن الوَرْد إلى خيبر في رُفْقة ليمتارُوا، فلمّا قربوا منها عشّروا، وعاف عُرْوة أن يفعل فعلَهم، وقال:

لعَمري لئن عَشّرتُ من خيفةِ الرَّدَى نُهاقَ حَميرٍ إنّني لجَزُوعُ[1]

فلا وألَتْ تلك النّفوسُ ولا أتَتْ قُفولًا إلى الأوطان وهي جميعُ

وقالوا ألّا انهَقْ لا تضرّك خَيْبَرٌ وذلك من فعلِ اليهود وُلوعُ

الوُلوع بالضّمّ: الكَذِب، ولع الرّجُل إذا كَذَب، فيقال: إن رُفقتَه مرضوا ومات بعضُهم، ونجا عروة من الموت والمرض.

وقال آخر:

لا يُنجِيَنّكَ من حِمامٍ واقعٍ كَعبٌ تعلّقُه ولا تَعشيرُ

ويُشابه هذا أنّ الرّجل منهم كان إذا ضَلّ في فَلاةٍ، قلب قميصَه وصفّق بيَدَيه كأنّه

---

١ ـ ديوانه: ٩٥ .

يومىء بهما إلى إنسان فيهتدِي، قال أعرابيّ:

قلبتُ ثِيابي والظُّنونُ تجول بي ... وتَرمِي برحلِي نحو كلّ سبيلِ
فَلأيًّابلأيٍ ما عرفت جَلِيّتي ... وأبصَرتُ قَصْدًا لم يصب بدَليل

وقال أبوالعملّس الطّائيّ:

فلو أبصرتني بلوَى بطانٍ ... أصفِّق بالبَنانِ على البَنانِ
فأقلبُ تارةً خوفًا ردائي ... وأصرُخُ تارةً بأبي فُلانِ
لقلتُ أبو العَمَلّس قد دَهاهُ ... من الجِنّان خالعة العِنانِ

والأصل في قَلْب الثّياب التّفاؤل بقَلْب الحال، وقد جاء في الشّريعة الإسلاميّة نحوَ ذلك في الاستسقاء.

ومن مذاهب العَرَب أنّ الرّجل منهم كان إذا سَافَر عَمدَ إلى خَيْط فعَقَده في غُصْن شجرة أو في ساقها، فإذا عادَ نظرَ إلى ذلك الخيط، فإنْ وجَدَه بحالِه عَلِم أنّ زوجتَه لم تَخُنْه، وإن لم يَجِدْه أو وجَده مَحْلولًا، قال: قد خانَتْني، وذلك العَقْد يُسمَّى الرّتَم، ويقال: بل كانوا يعقِدون طَرَفًا من غُصْن الشّجرة بطَرفِ غصنٍ آخَر، وقال الرّاجز:

هل ينفعنّك اليومَ إنْ هِمت بهِمْ ... كثرةُ ما تُوصِي وتَعْقاد الرّتَمْ[1]

وقال آخر:

خانَتْه لمّا رأت شَيْبًا بمَفرِقِه ... وغَرّه حلفُها والعقد للرّتَمِ

وقال آخر:

لا تَحسَبنّ رَتائمًا عَقَدتَها ... تُنْبِيكَ عنها باليقينِ الصّادِق

وقال آخر:

يعَلِّل عَمرٌو بالرّتائم قَلْبَه ... وفي الحيّ ظَبيٌ قد أحلّتْ مَحارِمُهْ

---

١ ــ اللّسان (رتم) من غير نسبة.

فما نفعتْ تلك الوَصايَا ولا جَنَتْ عليه سِوَى ما لايحبّ رَتائمُهْ

وقال آخر:

ماذا الّذي تَنفَعُك الرّتائمُ إذ أصبحتْ و عِشقُها مُلازِمُ

وهي على لَذّاتها تُداومُ يَزُورها طَبُّ الفؤاد عارِمُ

*بكلّ أدواءِ النّساء عالِمُ *

وقد كانوا يَعقِدون الرّتم للحُمَّى، ويَرَون أنّ من حَلّها انتقلتْ الحمّى إليه، وقال الشّاعر:

حللتُ رتيمةً فمكثتُ شَهْرًا أكابِدُ كلّ مكروهِ الدّواء

وقال ابنُ السّكّيت: إنّ العرب كانت تقول: إنّ المرأة المِقْلات وهي الّتي لايَعيشُ لها ولد، إذا وَطِئَت القتيل الشّريفَ عاشَ ولدُها، قال بِشرُبن أبي خازِم:

تَظَلّ مَقاليتُ النِّساءَ تطأنَه يَقُلْن ألَا يُلْقى على المرء مِئْزَرُ[1]

وقال أبو عبيدة: تتخطّاه المِقْلات سبعَ مرّات، فذلك وَطؤُها له.

وقال ابنُ الأعرابيّ: يمرّون به ويطئون حولَه، وقيل: إنّما كانوا يفعلون ذلك بالشّريف يُقتَل غَدْرًا أو قَوَدًا.

وقال الكُمَيْت:

وتُطيلُ المرزّآتُ المَقاليـ ـتُ إليه القُعودَ بعد القِيامِ

وقال الآخر:

تركْنا الشَّعْثَمَيْن برَمْلِ خَبْتٍ تَزُورهما مَقاليتُ النّساءِ

وقال الآخر:

بنَفسي الّتي تَمشي المَقاليتُ حَوْلَه يُطافُ له كَشْحًا هَضيمًا مُهشَّمًا

---

١ ـ ديوانه: ٨٨.

وقال آخَر:

تَباشَرت المَقالِتُ حِينَ قالُوا ثَوَى عَمرُو بنُ مُرّة بالحَفير

ومن تخيُّلات العَرَب وخُرافاتِها، أنّ الغلام مِنهم كان إذا سقطتْ له سِنّ أخذَها بين السّبّابة والإبهام واستَقبَل الشّمس إذا طلعتْ وقذَف بها، وقال: يا شمسُ أبدِليني بسِنّ أحسَنَ منها، وليَجْرِ في ظَلْمها ياتك، أو تقول: «أياؤك»، وهما جميعًا شُعاع الشّمس، قال طَرفة: * سَقَتْه إياةُ الشّمس[1] *

وإلى هذا الخيالِ أشار شاعرُهم بقوله:

شادِنٌ يَجْلو إذا ما ابتَسَمَتْ عن أقاحٍ كأقاحِ الرّملِ غرّ

بدّلَتْه الشّمسُ من مَنبِته بَرَدًا أبيضَ مَصقولَ الأُشَرْ

وقال آخَر:

وأشنبُ واضحٌ عَذْبُ الثّنايا كأنّ رُضَابَهُ صافي المُدامِ

كسَتْه الشّمسُ لوْنًا من سَناها فلاحَ كأنّه بَرْقُ الغَمامِ

وقال آخَر:

بذي أُشُرٍ عَذْب المَذاقِ تفرّدتْ به الشّمس حتّى عاد أبيضَ ناصِعًا

والنّاسُ اليَوم في صِبْيانهم على هذا المذهب.

وكانت العربُ تَعتَقد أنّ دَم الرّئيس يَشفِي مِن عضّة الكَلْب الكَلِب، قال الشّاعر:

بُناة مكارمٍ وأساة جُرحٍ دِماؤهمُ من الكَلَبِ الشّفاءُ

وقال عبد الله بن الزّبير الأسَديّ:

من خيرِ بيتٍ عَلِمْناه وأكرَمه كانت دماؤهُمُ تَشفي مِنَ الكَلَبِ

---

١ ـ البيت بتمامه: سَقَتْهُ إياةُ الشّمسِ إلّا لثاتِهِ أسفّ ولم تَكْدَمْ عليهِ بإثْمِدِ.

وقال الكُمَيت:

أحلامكمْ لسَقامِ الجَهْل شافِيةٌ كما دِماؤُكُمُ تَشفي مِن الكَلَبِ

ومِن تَخَيُّلات العرب أنّهم كانوا إذا خافوا على الرّجل الجُنونَ وتعرُّضَ الأرواح الخبيثة له نجّسوه بتَعْليق الأقْذار عليه، كخِرْقة الحَيض وعِظامِ الموتى، قالوا: وأنفَع من ذلك أن تعلّق عليه طامِثٌ عِظام موتى، ثمّ لا يراها يومَه ذلك، وأنشَدوا للمزَّق العبديّ:

فلو أنّ عندي جارَتَيْن ورَاقيًا وعَلّقَ أنجاسًا علىَّ المعلِّقُ

قالوا: والتّنجيس يَشفي إلّا مِن العِشْق، قال أعرابيّ:

يقولون علِّق يا لك الخير رمّةً وهل ينفع التّنجيس مَن كان عاشقًا!

وقالت امرأة ـ وقد نجّستْ ولدَها فلم ينفَعْه ومات ـ:

نَجّسْتُه لو يَنفَع التّنجيسُ والموتُ لا تَفوتُه النُّفوس

وكان أبو مهديّة يعلّق في عُنقه العِظامَ والصّوف حَذَر الموتُ، وأنشَدوا:

أتَوْني بأنْجاسٍ لهمْ ومنجّسٍ فقُلتُ لهم ما قدّر اللهُ كائنُ

ومِنْ مَذاهِبهم أنّ الرّجل منهم كان إذا خَدِرت رِجلُه ذَكَرَ من يُحِبّ أو دَعاه فيذهب خَدَرُها. ورُوِي أنّ عبد الله بن عمر خَدِرت رِجلُه، فقيل له: ادعُ أحَبّ النّاس إليك، فقال: يا رسول الله.

وقال الشّاعر:

عَلَى أنّ رِجْلي لا يزَالُ امْذِلاهُا مُقيمًا بها حَتّى أجِيلَك في فِكْري

وقال كُثَيِّر:

إذا مَذِلَتْ رِجلي ذكرتُكِ أشتَفي بدَعْواكِ مِن مَذْلٍ بها فيَهونُ[١]

وقال جَميل:

وأنتِ لعَيْني قرّةٌ حينَ نلتقي وذكرُكِ يَشفِيني إذا خدِرَتْ رِجْلِي[٢]

وقالت امرأة:

إذا خَدِرَتْ رجلي دعوتُ ابنَ مصعَبٍ فإنْ قلتُ عبد الله أجلَى فُتورُها

وقال آخَر:

صَبٌّ محبّ إذا ما رِجْلُه خَدِرَتْ نَادى كُبَيْشَةَ حتّى يذهبَ الخَدَرُ

وقال المؤمّل:

واللهِ ما خَدِرَتْ رِجلي ولا عَثَرتْ إلّا ذكرتُكِ حتّى يَذهبَ الخَدَرُ

وقال الوليد بن يزيد:

أثيبي هائمًا كلِفًا مُعَنًّى إذا خَدِرَتْ له رِجلٌ دعاكِ

ونظير هذا الوَهم أنّ الرّجل منهم كان إذا اختلَجَتْ عينُه قال: أَرَى مَن أُحِبّه، فإن كان غائبًا تَوقّع قدومَه، وإن كان بعيدًا توقّع قُرْبه.

وقال بِشْر:

إذا اختلجتْ عيني أقولُ لعلّها فَتاةُ بني عَمْرو بها العَينُ تَلمَعُ[٣]

وقال آخَر:

إذا اختلجَتْ عيني تيقّنتُ أنّني أراكِ وإن كان المزارُ بعيدًا

وقال آخَر:

---

١ ـ اللّسان (مذل) من غير نسبة.

٢ ـ ديوانه: ١٧٢.

٣ ـ ديوانه: ١١٨.

إذا اختلجَتْ عيني أقولُ لعلّها لرؤيتها تَهتاجُ عَينِي وتطرِفُ

وهذا الوَهْم باقٍ في النّاس اليوم.

ومن مذاهبهم أنّ الرّجل منهم كان إذا عَشِق ولم يَسْلُ وأَفرَط عليه العِشْق حَمَله رجلٌ على ظَهرِه كما يحمَل الصّبيّ، وقام آخر فأحمَى حديدةً أو مِيلًا، وكوى به بين أليَتَيْه فيذهب عِشْقُه فيما يزعمون.

وقال أعرابيّ:

كويتمْ بين رانفتيّ جَهْلًا ونارُ القَلْب يُضرِمُها الغَرامُ

وقال آخَر:

شكوتُ إلى رفيقيّ اشتياقِي فجاءانِي وقد جَمَعا دوَاءَ
وجاءا بالطّبيب ليَكْوياني ولا أبغى ـ عَدِمْتُهما ـ اكتِوَاءَ
ولو أتيا بسَلْمي حين جاءا لعاضانِي من السَّقم الشِّفاءِ

واستشهَد الخالع على هذا المعنى بقول كثيّر:

أغاضرَ لو شَهِدْتِ غداةَ بِنتُمْ حُنُوّ العائذاتِ على وسادِي
أوَيْت لعاشقٍ لم تَرحِميهِ بواقِدةٍ تلذَّع بالزّنادِ

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب، ويَحتمل أن يكون مُرادُهُ فيه المعنى المشهور المطروقَ بين الشّعراء من ذِكر حرارة الوَجْد ولَذْعِه، وتشبيهِه بالنّار، إلّا أنّه قد رَوَى في كتابه خبرًا يؤكّد المقصِد الّذي عَزاه وادّعاه، وهو عن محمّد بن سليمان بن فُلَيح، عن أبيه، عن جدّه، قال: كنتُ عند عبد الله بنِ جعفر، فدخل عليه كُثيّر وعليه أثر عِلّة، فقال عبد الله : ما هذا بك؟ قال : هذا ما فعلتْ بي أمُّ الحُوَيْرث، ثمّ كَشَف عن ثوبه وهو مَكويّ، وأنشد:

عفا الله عن أمِّ الحُويْرثِ ذَنبَها عَلامَ تُعنيني وتكمي دَوائيًا

ولو آذنوني قبل أن يرقُموا بها لقلت لهم: أمُّ الحويرث دائيًا

ومِن أوهامهم وتخيُّلاتهم: أنّهم كانوا يزعمون أنّ الرّجل إذا أَحَبّ امرأةً وأحبّته فشقّ برْقُعَها، وشقّت رِداءه، صَلَح حبّهُما ودام، فإن لم يَفعَلا ذلك فسدَ حبُّهما؛ قال: سُحيم عبدُ بني الحسْحاس:

وكم قد شققْنا من رداءٍ محبَّرٍ ومن بُرقعٍ عن طَفْلةٍ غيرعابسِ[1]

إذا شُقَّ بُردٌ شُقّ بالبرد بُرقعٌ دَوَاليك حتّى كلّنا غيرلابِسِ

نرومُ بهذا الفِعل بُقيًا على الهوى وإلف الهوى يغرِي بهَذى الوساوِس

وقال آخر:

شققت ردائي يومَ برْقةِ عالجٍ وأمكنني من شَقّ برقعك السّحقا

فما بالُ هذا الوُدّ يفسدُ بيننا ويمحَقُ حبلُ الوصلِ ما بيْنَنا مَحْقا

ومن مذاهبهم أنّهم كانوا يرَون أنّ أكل لحوم السّباع تزيد في الشّجاعة والقوّة، وهذا مذهبٌ طِبّيٌّ، والأطبّاء يعتقدونه، قال بعضهم:

أبا المعارك لا تُتْعِب بأكْلِك ما تظنّ أنّك تُلْقَى منه كَرّارا

فلو أكَلتَ سِباعَ الأرض قاطبةً ما كنتَ إلّا جبانَ القلب خوّارا

وقال بعضُ الأعراب ـ وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعًا ـ فعَدَا عليه نَمِر فجَرَحه:

أكلتُ من اللّيث الهصور فؤادَهُ لأصبح أجرَى منه قَلْبًا و أقدَمًا

فأدْرَكَ منّي ثأرَه بابن أختِه فيا لكَ ثأرًا ما أشدَّ و أعظَمًا!

وقال آخَر:

إذا لم يكن قلبُ الفتى غُدْوةَالوَغى أصمّ فقَلْبُ اللّيث ليس بنافِع

---

١ ـ ديوانه: ١٦، ولم يذكر البيت الثّالث.

وما نَفْعُ قلبِ اللّيثِ في حَوْمة الوَغَى إذا كان سيف المرءِ ليس بقاطِع!

ومن مَذاهبهم أنّ صاحَب الفَرَس المَهْقوع إذا ركبَه فعَرِق تحته اغتلمتْ امرأتُه وطمحتْ إلى غيره، والهَقْعة: دائرة تكون بالفَرَس، وربّما كانت على الكَتِف في الأكثر، وهي مستقبَحةٌ عندَهم، قال بعضُهم لصاحبه:

إذا عَرِق المَهْقُوع بالمرءِ أنعظتْ حَليلتُه و ازدادَ حَرُّ عجانِها

فأجابه صاحبُه:

قد يركب المهقوعَ من ليس مثله و قد يركب المهقوعَ زوج حَصَانِ[1]

ومن مذاهبهم أنّهم كانوا يوقِدون النّار خَلْف المسافر الّذي لا يحبّون رجوعَه؛ يقولون في دعائهم: أبعدَه الله و أَسحقه، و أوقدَ نارًا أثرَه! قال بعضهم:

صحوتَ وَ أوقدتَ للجهل نارًا و رَدَّ عليك الصّبَا ما استَعارا

وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أَوقَدوا نارًا بينهم وبين المنزِل الّذي يريدونه، ولم يُوقدوها بينهم وبين المنزل الّذي خرجوا منه؛ تفاؤلًا بالرّجوع إليه.

ومن مذاهبهم المشهورة تعليقُ كَعْب الأرْنَب، قال ابنُ الأعرابيّ: قلتُ لزيد بن كَثْوةَ: أتقولون: إنّ من عُلّق عليه كعبُ أرنبٍ لم تقربْه جِنّان الدّار، ولا عُمّار الحَيّ؟ قال: إي واللهِ، ولا شَيْطان الخَماطة ولا جار العُشَيرة، ولا غُول القَفْر. وقال امرؤُ القَيْس:

أيا هندُ لا تَنكِحي بُوهةً عليه عقيقُته أحسَبا[2]
مرسّعةٌ بين أدْباقِه به عسَمٌ يَبتغي أرنَبا
ليَجعَل في رِجلِه كَعْبَها حِذارَ المَنيّة أن يعطَبا

---

١ ـ اللّسان (هقع) دون نسبة.

٢ ـ ديوانه: ١٢٨.

والخَماطة : شجرة، و العُشَيرة: تصغير العَشَرة، وهي شجرة أيضًا.

وقال أبومحلِم: كانت العرب تعلِّق على الصّبيّ سِنَّ ثعلب و سِنَّ هِرَة خوفًا من الخَطْفة و النّظرة، ويقولون: إنّ جنّيَةً أرادتْ صبيّ قوم فلم تَقدِر عليه، فلامَها قومُها من الجِنّ في ذلك؛ فقالت تَعتذِر إليهم:

كأنّ عليه نُفَرَهْ ثعالبٌ وهِرَرَه

* والحَيْض حيضُ السَّمُرهْ *

والسَّمُرة شيء يسيل من السَّمُر كدم الغزال؛ وكانت العربُ إذا وَلدت المرأةُ أخذوا من دَمِ السَّمُر ـ وهو صَمْغُه الّذي يسيل منه ـ ينقّطونه بين عَيْنَى النُّفَساء؛ وخَطُّوا على وجه الصّبيّ خَطًّا، ويسمَّى هذا الصّمغ السّائل من السَّمُر الدَّوْدَم؛ ويقال بالذّال المعجَمَة أيضًا، وتسمَّى هذه الأشياءُ الّتي تُعلَّق على الصّبيّ: النّفرات.

قال عبد الرّحمان بن أخي الأصمعيّ: إنّ بعض العَرَب قال لأبي: إذا وُلِد لك وَلَد فنفِّرعنه، فقال له أبي، وما التّنفير؟ قال: غَرّب اسمَه، فوُلِد له ولدٌ فسمّاه قُنفُذًا، وكَناه أبا العدّاء؛ قال: وأنشد أبي:

كالخَمْرمَزْجُ دَوائها مِنها بِها تَشفي الصُّداعَ وتُبرئ المَنجوُدَا[1]

قال: يريد أنّ القُنفُذ من مَراكِب الجِنّ؛ فداوى منهم ولده بمَراكبهم.

ومن مذاهبهم أنّ الرّجل منهم كان إذا ركب مَفازةً وخاف على نفسِه من طَوارِق اللّيل عَمَد إلى وادي شجر فأناخَ راحلتَه في قرارته، وعَقَلها وخَطّ عليها خَطًّا ثمّ قال: أعوذ بصاحب هذا الوادي، وربّما قال: بعظيم هذا الوادي، وعن هذا قال الله سبحانه في القرآن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[2].

واستعاذ رجل منهم ومعه ولدٌ فأكَلَه الأسد، فقال:

---

١ ـ المنجود: المكروب.

٢ ـ الجنّ/٦.

قـد اسـتعذْنا بعظـيمِ الـوادِي من شرِّما فيه من الأعادِي
* فلم يُجِرْنا من هِزَبْرٍ عادِي *

وقال آخَر:

أعـوذُ مـن شَـرّالـبلاد البِيـدِ بسَـــيّدٍ معظَّـــمٍ مَجيـــدِ
أصـــبَحَ يـــأوِي بلِـــوَى زَرودِ ذِي عِـزّةٍ وكاهِـلٍ شَـديدِ

وقال آخَر:

يا جنّ أجراع اللِّوى من عالجِ عاذَ بِكُمْ سارِي الظّلام الدّالجِ
* لا تُرهِقوه بغَوِيٍّ هائجِ *

وقال آخر:

قد بتّ ضيفًا لعظيم الوادي المانِعي مِنْ سَطوة الأعادي
* راحِلَتي في جارِهِ وزَادِي *

وقال آخَر:

هَيَا صاحبَ الشَّجْراء هل أنتَ مانعي فـــإنّي ضَـــيْفٌ نـــازلٌ بفِنائكَـــا
وإنّـــك للجِنّـــان في الأرضِ سَـــيّدٌ ومِثْلُك آوَى في الظَّلام الصَّعالِكا

ومن مذاهبهم أنّ المسافرإذا خرج من بلده إلى آخَرفلا ينبغي له أن يَلتفِت، فإنّه إذا التفت عاد، فلذلك لايلتفت إلّا العاشق الّذي يُريدُ العَوْد؛ قال بعضهم:

دَعِ التّلفّت يا مَسْعودُ وارْمِ بها وجهَ الهَواجِرتأمَنْ رَجعةَ البَلَدِ

وقال آخَر؛ أنشدَه الخالع:

عيلَ صبري بالثَّعلَبيّة لمّا طال لَـيْلي ومَلّني قُرَنـائي
كلّما سارَت المَطايَا بنا مِيـ ـلًا تنفّسْتُ والتفتُّ وَرائِي

هذان البيتان ذكَرهما الخالعُ في هذا الباب، وعندي أنّه لا دَلالة فيهما على ما أراد، لأنّ التّلفّت في أشعارهم كثير، ومُرادُهم به الإبانةُ والإعرابُ عن كثرة الشّوق،

والتّأسّف على المفارقة، وكَوْن الرّاحل عن المنزل حيث لم يُمكِنه المُقام فيه بجُثمانه يُتبِعه بَصرَه، ويتزوّد من رؤيته؛ كقول الرّضيّ رحمه الله:

ولقد مررتُ على طُلولهُم ورُسُومهمْ بِيَدِ البِلَى نَهْبُ[1]
فوقفتُ حتّى ضَجّ من لَغَبٍ نِضْوِي ولَجّ بعَذْلَى الرَّكْبُ
وتلفّتتْ عيني فمذ خَفِيتْ عنى الطُّلول تلفّتَ القَلْبُ

وليس يُقصَد بالتّلفّت هاهنا التّفاؤل بالرّجوع إليها، لأن رسُومَها قد صارت نَهْبًا لِيَد البَلى، فأيّ فائدةٍ في الرّجوع إليها! وإنّما يريد ما قدّمنا ذكره من الحَنين والتّذكّر لِما مضى من أيّامه فيها، وكذلك قول الأوّل:

تلفّتّ نحو الحَيّ حتّى وَجدْتُني وَجِعتُ من الإصْغاء لِيتًا وأخدَعا[2]

ومِثل ذلك كثير. وقال بعضُهم في المذهَب الأوّل:

تلفّتّ أرجو رجعةً بعدَ نِيّةٍ فكان الْتفاتي زائدًا في بَلائيَا
أ أرجو رُجوعًا بعد ما حال بيننا وبينكم حَزْن الفَلا و الفَيافِيَا

وقال آخر، وقد طلّق امرأته فتلفّتتْ إليه:

تَلفّتُ تَرْجو رجعةً بعد فُرقةٍ وهيهات مِمّا تَرتجي أمُّ مازِنِ!
ألم تعلمي أنّي جموحٌ عِنانُه إذا كان من أهواهُ غيرَ ملاين!

ومن مذاهبهم، إذا بُثِرتْ شفَةَ الصّبيّ حمل مُنخُلًا على رأسه، ونادى بين بيوت الحيّ: الحَلا الحَلَا، الطّعام الطّعام، فتلقى له النّساءُ كِسَرَ الخبز وأقطاعَ التّمرّ واللّحم في المُنخُل، ثمّ يلقى ذلك للكلاب فتأكُله فيبرأ من المرض، فإنّ أكل صبيّ من الصّبيان من ذلك الّذي ألقاه للكلاب تمرةً أو لقمةً أو لحمةً أصبح وقد بثرتْ

---

١ ـ ديوانه١: ١٤٥.

٢ ـ للصّمة بن عبدالله، ديوان الحماسة ـ بشرح التّبريزيّ ٣: ١٩٩.

شفتُه. وأنشد لامرأة :

ألا حَلَا في شفَةٍ مشقوقهْ فقد قَضَى مُنخُلُنا حُقوقَهْ

ومن مذاهبهم: أنّ الرّجل منهم كان إذا طَرِفت عينه بثوب آخر مسح الطّارف عين المَطروف سبع مرّات؛ يقول: في الأولى: بإحدى جاءت من المدينة، وفي الثّانية: باثنتين جاءتا من المدينة، وفي الثّالثة بثلاثٍ جئن من المدينة، إلى أن يقول في السّابعة: بسبعٍ جئن من المدينة، فتبرَأُ عينُ المطروف.

وفيهم مَن يقول: بإحدى من سَبْع جئن من المدينة ، باثنتين من سبعٍ، إلى أن يقول بسَبْع من سَبْعٍ.

ومن مذاهبهم: أنّ المرأة منهم كان إذا عَسُر عليها خاطبُ النّكاح نشرَتْ جانبًا من شَعْرها، وكحلتْ إحدى عينيْها مخالفةً للشّعر المنشور، وحَجَلتْ على إحدى رِجْليها ويكون ذلك لَيْلًا، وتقول : يا لكاح، أبغي النّكاح، قَبْل الصّباح؛ فيَسهل أمرُها وتتزوّج عن قُرْب، قال رجل لصديقه وقد رأى امرأةً تَفعلُ ذلك:

أما ترى أمّك تبغي بَعْلًا قد نَشرتْ من شَعرها الأقلّا
ولم تُوَفِّ مقلتَيْها كُحلًا ترفَع رِجْلًا وتَحُطّ رِجْلَا
هذا وقد شابَ بَنُوها أصْلَا وأصبَحَ الأصغَرُ منهمْ كَهْلَا
خذ القَطيع ثمّ سِمْها الذُّلَا ضَرْبًا به تَترك هذا الفِعْلَا

وقال آخر:

قد كَحلتْ عينًا وأعْفَتَ عَيْنًا وحَجَلتْ ونَشَرتْ قُرَيْنًا
* تَظُنَّ زَيْنًا ما تراه شَيْنًا *

وقال آخر:

تَنَعِّي ما شئت أنْ تَصنَّعي وكَحِّلي عينَيْك أو لا فَدَعِي
ثمّ احجِلي في البيت أو في المجمعِ ما لِكَ في بَعْل أرَى من مَطمَعِ

ومن مذاهبهم: كانوا إذا رَحَل الضَيف أو غيره عنهم وأحَبّوا ألّا يعود كَسروا شيئًا من الأواني وراءَه، وهذا ممّا تَعمَله النّاسُ اليوم أيضًا، قال بعضهم:

كسرْنا القِدْر بعد أبي سواحٍ فعادَ و قِدْرُنا ذهبتْ ضَياعا

وقال آخَر:

ولانَكِسر الكِيزانَ في أثر ضَيْفنا و لكنّنا نقفيه زادًا ليَرْجِعا

وقال آخَر:

أمّـــا والله أنّ بَـــني نُفَيـــلٍ لحَلّالون بالشَّرَف اليَفاعِ
أناسٌ ليس تَكْسِر خلفَ ضَيْفٍ أوانيَهم ولا شعب القِصاعِ

ومن مذاهبهم قولهم: إنّ من ولد في القَمْراء تقلّصت غُرْلته[1]، فكان كالمَخْتون.

ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواصّ القمر، كما أنّ من خواصّه إبلاءَ الكَتّان، وأنتان اللّحم، وقد رُوِي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا رأيتَ الغلام طويل الغُرْلة فأقْرِبْ به من السُّؤدد، وإذا رأيته قصير الغُرْلة كأنّما خَتَنَه القَمر فأبعِدْ به.

وقال امرؤُ القيس لقَيْصر، وقد دخل معه الحمّام فرآه أقْلَف:

إنّي حلفتُ يمينًا غير كاذبةٍ لأنت أغْلفُ إلّا ما جَنَى القَمَرُ[2]

ومن مذاهبهم: التّشاؤم بالعُطاسِ، قال امرؤ القيس:

*و قد أغتَدِى قبل العُطاسِ[3] بهيكَلٍ *

---

١ ـ الغرلة: القلفة، وهى الجلدة فى رأس الإحليل قبل الختان.

٢ ـ ديوانه: ٢٨٠.

٣ ـ البيت بتمامه:

وقَدْ أغتدى قبلَ العُطاسِ بهيكَلٍ شديدٍ منيعِ الجنبِ فَعْمِ المنطَقِ

ديوانه: ١٧٣.

وقال آخَر:

و خَرْقٍ إذا وجّهت فيه لغَزْوةٍ مضيت و لم يَحبسْك عنه العَواطِسُ

ومن مذاهبهم: قولهم في الدّعاء: لا عشتَ إلّا عيش القُراد ! يضربونه مثلًا في الشّدّة و الصّبر على المَشقّة، ويَزْعمون أنّ القُراد يعيش ببَطْنه عامًا وبظهره عامًا، ويقولون: إنّه يُترَك في طينةٍ ويُرمَى بها الحائط فيبقى سنةً على بَطْنه، وسنةً على ظَهْره ولا يموت، قال بعضهم:

فلا عشتَ إلّا كعَيْش القُرا د عامًا ببَطْنٍ و عامًا بظَهْرِ

ومن مذاهبهم: كانت النّساء إذا غاب عنهنّ مَنْ يُحِبْنه أخذن تُرابًا من موضع رجله كانت العربُ تزعُم أنّ ذلك أسرَع لرجوعه.

وقالت امرأةٌ من العرب، واقتبضتْ من أَثَره:

يا ربِّ أنت جارُه في سَفَرِهْ وجار خُصَيّيه وجارُ ذَكَرِهْ

وقالت امرأةٌ:

أخذتُ تُرابًا من مواطىءِ رِجْله غداةَ غَدا كيما يؤوبَ مُسلّمَا

ومن مذاهبهم: أنّهم كانوا يسمّون العَشا في العين الهُدَبد، وأصلُ الهدَبد، اللّبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سَنام فقَطَع منه قطعةً ومن الكِبد قطعة، وقلَاهما، وقال عند كلّ لقمة يأكلها بعد أن يمسَح جفنَه الأعلى بسَبّابَتِه:

فيا سَنَامًا وكِبَدْ ألا اذهَبا بالهُدَبِدْ[1]

ليس شفاء الهُدَبِدْ إلّا السّنام والكَبِدْ

قال: فيذهب العَشا بذلك.

ومن مذاهبهم: اعتقادُهم أنّ الوَرَل والقُنفذ والأرنب والظَّبي واليَرْبوع والنّعام مراكبُ

---

١ ـ انظر اللّسان ٤: ٤٤٦.

الجنّ يمتطونها، ولهم في ذلك أشعارٌ مشهورة، ويزعمون أنّهم يَرَوْن الجنّ ويظاهرونهم ويخاطبونهم، ويشاهدون الغُول، وربّما جامَعوها وتزوّجوها، وقالوا: إنّ عمرو بن يَرْبوع تزوّج الغولَ وأولدها بنين، ومكثَتْ عنده دهرًا، فكانت تقول له: إذا لاح البَرْق من جهة بلادي ـ وهي جهة كذا ـ فاسترْه عنى، فإنّي إنْ لم تَستُره عنى تركتُ ولدَك عليك، وطِرْتُ إلى بلاد قومي؛ فكان عمرو بن يَرْبوع كلّما برق البرقُ غَطّى وجهها بردائه فلا تُبصِره؛ وإلى هذا المعنى أشار أبو العَلاء المَعَرّي في قوله يَذْكر الإبل وحنينها إلى البرْق:

طَرِبْنَ لضَوْء البارِق المُتعالي ... ببغدادَ وَهْنًا ما لهنّ ومَالي[1]

سَمَتْ نَحوه الأبصارُ حتّى كأنّها ... بنارَيْهِ من هنًا وثَمّ صَوالي

إذا طال عنها سَرَها لَوْ رؤوسها ... تمدُّ إليه في صُدورِ عَوالِي

تمنّت قويقًا والصّراة أمامَها ... ترابٌ لها مِن أينُق وجمالِ

إذا لاحَ إيماضٌ سترتُ وجوهها ... كأنّي عمرو والمطيّ سَعالي

وكم هَمّ نِضْوٌ أن يَطيرَ مع الصَّبا ... إلى الشّام لولا حَبْسُه بعِقالِي

قالوا: فغَفَل عمرو بن يَرْبوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يَستُر وجهها، فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسِكْ بنيك عَمْرُو إنّي آبِقُ ... بَرْقٌ على أرض السَّعالي آلِقُ[2]

ومنهم مَن يقول: ركبتْ بعيرًا وطارت عليه ـ أى أسرَعَتْ ـ فلم يُدْرِكْها. وعن هذا قال الشّاعر:

رأى برقًا فأوضَعَ فوقَ بكْرٍ ... فلا بِكَ ما أسالَ ولا أغاما[3]

---

١ ـ سقط الزّند: ١١٦٢.

٢ ـ شروح سقط الزّند: ١١٦٨.

٣ ـ شروح سقط الزّند: ١١٦٨؛ نوادر أبي زيد: ١٤٦، وروايته: «ردمًا أسال وما أعاما».

قال: فبنو عمرو بن يَرْبوع إلى اليوم يُدْعَوْن بني السَّعْلاة، ولذلك قال الشّاعر يهجُوهم:

يا قَبّح اللهُ بني السِّعلاةِ عمرو بن يربوع شِرَار النَّاتِ

*ليسوا بأبطالٍ ولا أَكْياتِ *

فأبدلَ السِّين تَاء، وهي لغةُ قوم من العرب.

ومن مذاهبهم: في الغول قولهم: إنّها إذا ضُربتْ ضربةً واحدةً بالسَّيف هلكتْ ، فإن ضُرِبت ثانيةً عاشت، وإلى هذا المعنى أشارَ الشّاعرُ بقوله:

فقالت: ثَنِّ، قلتُ لها: رُوَيْدًا مكانَكِ، إنّني ثَبْتُ الجِنانِ

وكانت العَرَب تسمّي أصواتَ الجِنّ العَزيف، وتقول: إنّ الرّجل إذا قَتَل قُنفُذًا أو وَرَلًا لم يأمَن الجنّ على فَحْل إبله، وإذا أصاب إبلَه خَطْبٌ أو بلاءٌ حَمَله على ذلك، ويزعمون أنّهم يَسمَعون الهاتفَ بذلك ، ويقولون مثله في الجانّ من الحَيّات، وقَتْله عندَهم عظيم.

ورأى رجلٌ منهم جانًّا في قعر بئرٍ لا يستطيع الخروجَ منها، فنزل وأخرَجَه منها على خَطَر عظيم، وغمّض عينَيْه لئلّا يرى أين يدخل، كأنّه يريد بذلك التّقرّب إلى الجنّ.

وقال أبو عثمان الجاحظ: وكانوا يُسمُّون مَن يُجاوِر منهم النّاس عامرًا، والجمعُ عُمّار، فإن تعرّض للصّبيان فهو رُوح، فإن خَبُث وتعرّم فهو شيطان، فإن زاد على ذلك فهو مارِد، فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عِفْريت، فإن طَهُر ولطف وصار خيرًا كلّه فهو مَلَك؛ ويفاضِلون بينهم، ويعتقدون مع كلّ شاعر شَيْطانًا، ويسمّونهم بأسماء مختلفة.

قال أبو عثمان: وفي النّهار ساعاتٌ يُرى فيها الصّغيرُ كبيرًا ويُوجد لأوساط الفَيافِي والرّمالِ والحِرار مِثل الدَّويّ، وهو طبع ذلك الوقت، قال ذو الرّمّة:

إذا قال حادِينا لتَرْنِيم نَبْأةٍ صَهٍ لم يكُنْ إلّا دَوِيّ

---

١ ـ ديوانه: ٣٦٠.

قال أبوعثمان: أيضًا في الّذين يذكرون عزيفَ الجنّ وتَغوّل الغِيلان: إنّ أثر هذا الأمر وابتداء هذا الخيَال أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد الوَحْش عملتْ فيهم الوَحْشة [١]، ومن انفرد وطَال مقامُه في البلاد الخلاء استوحَشَ، ولاسيّما مع قلّة الأشغال وفَقْد المُذاكرين؛ والوَحْدة لاتقطع أيّامها إلّا بالتّمنّي والأفكار، وذلك أحد أسباب الوَسْواس [٢].

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها: اعتقادُهم في الدِّيك والغُراب والحَمامة وساقِ حُرّ ـ وهو الهدِيل ـ والحيّة، فمنهم من يَعتقِد أنّ للجنّ بهذه الحيوانات تَعلُّقات، ومنهم من يَزعم أنّها نوعٌ من الجنّ، ويعتقدون أنّ سُهَيلًا والزُّهَرة و الضَّبّ والذّئب والضّبع مُسُوخ، ومن أشعارهم في مَراكِب الجنّ قولُ بعضهم في قُنفُذٍ رآهُ لَيلًا:

فما يُعجِب الجِنّان منك عَدِمْتَهمْ ... وفي الأسْد أفرانُس لهمْ ونجائبُ [٣]

أيُسرَجُ يَربوعٌ ويُلجَم قنفذٌ ... لقد أعوزَتْكم ما علمت النّجائبُ!

فإن كانت الجِنّان جُنّتْ فبالحرَيّ ... لاذَنَبَ للأقوامِ واللهُ غالبُ [٤]

ومن الشّعر المنسوب إلى الجنّ:

وكلّ المطايا قد ركبْنا فلم نَجِد ... ألذّ و أشهى من رُكوب الأرانِب

ومن عَضْرَفُوطٍ عَنّ لي فرَكِبْتُهُ ... أبادِرُ سِرْبًا من عَطَاءِ قَوارِبِ [٥]

وقال أعرابيّ يكذّب بذلك:

أيستَمِع الأسرارَ رَاكبُ قُنفُذٍ ... لقد ضَاع سِرُّ الله يا أمَّ مَعبَدِ!

ومن أشعارهم وأحادِيثهم في رواية الجنّ وخِطابِهم وهتافِهم ما رواه أبوعثمان

---

١ ـ كذا في أ: «والحيوان»، وفي ب: «الوحشيّة».

٢ ـ الحيوان٦: ٢٤٩.

٣ ـ الحيوان ٦: ٢٤٠.

٤ ـ الحيوان: «ولاذنب للأقدار».

٥ ـ العضرفوط: دويبّة بيضاء ناعمة؛ وهي ضَرْبٌ من العظاء.

الجاحظ لسمير بن الحارث الضّبيّ:

ونارٍ قد حَضأتُ بُعَيْدَ وَهْنٍ ... بدارٍ لا أريدُ بها مُقامًا[1]

سِوَى تحليل راحلةٍ وعَيْن[2] ... أكالئها مخافةَ أن تَنامًا

أتَوْا نارِي فقلتُ : مَنُونَ أنتم ؟ ... فقالوا : الجنّ قلتُ : عِمُوا ظَلامًا

ويزعمون أنّ عُمَير بن ضبيعة رأى غلمانًا ثلاثةً يلعبون نهارًا ، فوَثَب غلامٌ منهم فقام على عاتِقَيْ صاحِبه، ووَثَب الآخر، فقام على عاتَق الأعلى منهما، فلمّا رآهم كذلك حَمَل عليهم فصَدَمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يَضحَكون، فقال عمير بن ضُبَيعة: فما مررتُ يومئذٍ بشَجَرة إلّا وسَمِعتُ من تحتها ضَحِكًا ، فلمّا رجع إلى منزله مَرِض أربعَة أشهر.

وحكى الأصمعيّ عن بعضهم أنّه خرج هو وصاحبٌ له يسيران، فإذا غلامٌ على الطَّريق، فقالا له: مَن أنتَ؟ قال: أنا مسكين قد قُطِع بي، فقال أحدهما لصاحبه: أَرْدِفْه خَلْفَك، فأرْدَفَه، فالتفتَ الآخَر إليه فرأى فَمَه يتأجّج نارًا، فشدّ عليه بالسَّيف فذهَبت النّار فرجع عنه، ثمّ التفت فرأى فَمه يتأجّج نارًا فشدّ عليه فذهَبت النّار، ففَعَل ذلك مرارًا، فقال ذلك الغلام: قاتَلَكما الله ما أجْلَدَكما ! والله ما فعلتُها بآدميّ إلّا وانخَلَع فؤادُه، ثمّ غابَ عنهما فلم يَعلَما خبرَه.

وقال أبو البلاد الطُّهَويّ ـ ويُروَى لتأبَّط شَرًّا:

لَـهَان عَـلَى جُهَينـةَ مـا ألاقِي ... من الرّوْعاتِ يومَ رَحَا بِطانِ[3]

---

١ ـ الحيوان ٤: ٤٨١، ٦: ١٩٦؛ ونوادر أبي زيد وفيه: «شمير بن الحارث الضّبيّ» وانظر: الخزانة ٣: ٣ والمخصّص ١٤: ٩٤، والميدانيّ ١: ٣٢. حضأت: أشعلت.

٢ ـ قوله: «سوى تحليل راحلة»، أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بعد نحلة اليمن.

٣ ـ الحيوان ٦: ٢٣٤، وانظر: الأغاني ١٨: ٢١، ٢١٢، ومعجم البلدان ٨: ٢٣١. و رحا بطان: موضع في بلاد هُذَيل.

لقيتُ الغولَ تَسري في ظَلامٍ بسَهْبٍ كالعَباءة صَحْصَحانِ[١]
فقلتُ لها: كلانا نِقْضُ أرضٍ أخو سَفَرٍ فخلّي لي مكاني[٢]
فشدّتْ شَدَّةً نحوي فأهوَى لَهَا كَفّي بمَصقولٍ يَمانِي
فقالتْ: زِدْ فقلتُ: رُوَيْدَ إنّي على أمثالِها ثَبَتُ الجَنانِ

والّذين يَرْوُون هذا الشِّعر لتأبّط شَرًّا يَروُون أوّله:

ألا مَن مُبلِغٌ فَتَياتِ جَهْمٍ بما لاقيتُ عندَ رَخًا بِطانِ
بأنّي قد لقيتُ الغُولَ تلوِي بمَرْتٍ كالصَّحيفة صحصحان
فصدّت فانتحَيْتُ لها بعَضْبٍ حُسامٍ غيرِ مؤتِشبٍ يَمَاني
فقدّ سَراتها والبرْكَ منها فخرّت لليَدَيْن وِللجِرانِ[٣]
فقالتْ: ثِنِ قلت لها: رُوَيدًا مكانَك إنّني ثَبَتُ الجَنَانِ
ولم أنفكّ مضطجَعًا لَدَيْها لأنْظُرَ مصبحًا ماذا دَهاني
إذا عَيْنان في رأسٍ دَقيق كَرأس الهِرّ مشقوق اللّسان
وساقًا مخدَجٍ ولسان كَلْبٍ وثوب من عَباء أو شِنانِ

وقال البَهْرانيّ:

وتزوّجتُ في الشّبيبة غُولًا بغزَالٍ وصَدُقَتي زِقّ خَمْرِ[٤]

وقال الجاحظ: أصدَقَها الخمر لِطيب رِيحها، والغَزال لأنّه من مَراكِب الجنّ.

---

١ ـ الصّحصحان: ما استوى من الأرض.
٢ ـ النّقض: المهزول قد نقضه السّفر.
٣ ـ السّراة، بالفتح، الظّهر، والبرك: الصّدر.
٤ ـ الحيوان ٦: ٢٢٥.

وقال أبوعبيد بن أيّوبَ العَنْبريّ أحد لُصوص العرب:

تقـول وقـد ألـمَمْتُ بـالإنسِ لمّـة ... مخضّبةُ الأطراف خُرس الخلاَخِلِ[١]

أهَـذا خَـدينُ الغُـولِ والـذّئب والّـذي ... يَهـيمُ بربّـات الحجـال الـهَراكِلِ ![٢]

رأتْ خَلَـق الدّرسَـيْنِ[٣] أسـوَد شـاحِبًا ... مـن القَـوم بَسّـامًا كـريمَ الشّـمائِل

تَعَـوّدَ مـن آبائـه فَتَكـاتِهِمْ ... وإطعـامَهم في كـلّ غَبـراءَ شـامِلِ[٤]

إذا صَـاد صَـيْدًا لَفّـهُ بضـرامه ... وَشـيكًا ولم يَنظُـر لغَـلّى المـَراجلِ[٥]

ونهسًـا كـنَهْس الصَّـقْر ثُمَّ مِراسـه ... بكَفّيـه رأس الشّـيخة المتمائِـلِ[٦]

ومن هذه الأبيات:

إذا مـا أرادَ اللهُ ذُلّ قبيلـةٍ ... رَماها بتَشْتيتِ الهوى والتّخاذُلِ

وأوّل عَجْـز القـوم عمّـا ينُـوبُهمْ ... تقاعُـدُهم عنـه وطـولُ التّواكُـلِ

وأوّل خُبْـث المـاء خُبْـث تُرابـه ... وأوّل لُـؤم القـوم لُـؤمُ الحَلائِـل

وهذا الشّعر من جيّد شِعْر العرب، وإنّما كأن غرَضنا منه مُتعلِّقًا بأوّله، وذكرنا سائره لما فيه من الأدب.

وقال عُبَيْد بن أيّوبَ أيضًا في المعنى الّذي نحن بصدده:

وصارَ خليل الغُولِ بَعد عَداوةٍ ... صَفيًّا وربّته القِفارُ البَسابسُ[٧]

---

١ ـ الحيوان ٦: ١٦٧. و خرس الخلاخل: كناية عن امتلاء السّاق.

٣ ـ الهراكل: جمع هركلة؛ وهي الحسنة الجسم، التّامّة الخلق.

٣ ـ الدّرس: البالي من الثّياب. وفي الحيوان: «خلق الأدراس».

٤ ـ الغبراء: السّنة الجدبة.

٥ ـ الحيوان: «لنصب المراجل».

٦ ـ المراس: المسح والدّلك، والشّيخة: نبتة.

٧ ـ الحيوان ٦: ٢٣٥.

وقال أيضًا:

فللّـهِ دَرُّ الغُـولِ أيّ رَفيقَـةٍ لصاحب قَفرٍ في المَهامِهُ يذْعَرُ[1]

أرنّت بلَحْن بعد لحْن و أوْقَدَتْ حـوَاليَ نِيرانًـا تَلـوح و تَزْهـرُ

وقال أيضًا:

و غُـولًا قَفْـرةٍ ذَكَـرٍ و أنـثى كأنّ عليهما قِطَع البَجادِ[2]

وقال أيضًا:

فقد لاقت الغِزلانُ منّي بَلِيّةً و قد لاقت الغِيلانُ منّي الدّواهيَا[3]

وقال البَهْرانيّ في قتل الغُول:

ضُربتْ ضربةً فصارتْ هَباءً في مِحَاقِ القَمْراء آخِرَ شهرِ[4]

وقال أيضًا، يزعم أنّه لمّا ثنى عليها الضّرب عاشَتْ:

فثنّيت و المقدارُ يَحرُس أهلَه فَليْتَ يَمِيني يومَ ذلك شَلّتِ!

وقال تأبّط شرًّا يَصِف الغُولَ ويذكُر أنّه راوَدَها عن نفسها فامتنعتْ عليه فقَتلَها:

فأصـبحتُ والغـولُ لي جـارةٌ فيـا جـارةً أنـتِ مـا أغْـوَلا

وطالبْتُهـا بُضْـعَها فـالتَوَتْ فكـان مـن الـرّأيِ أن تُقـتلا

فجلّلتُهـا مُرهَفًـا صـارِمًا أبَـان المـَرافِق والمـِفْصَلاَ

فطـارَ بقحـفِ ابنـة الجـنّ ذا شقاشـقَ قـد أخلَـقَ المحمـلَا

---

١ ـ نفس المصدر٦: ١٦٥.

٢ ـ نفس المصدر٦: ١٥٩ .

٣ ـ نفس المصدر٦: ١٦٦ .

٤ ـ نفس المصدر٦: ٢٣٣ .

فمن يكُ يَسأل عن جارَتي فإنّ لها باللِّوى منزِلا
عَظاءةُ أرضٍ لها حُلّتان مِن وَرَق الطَّلح لم تُغزَلا
وكنتُ إذا ما هَممتُ ابتَهلْتُ وأحْرى إذا قلتُ أن أفعلا

ومن أعاجيبهم: أنّهم كانوا إذا طالت عِلّة الواحد منهم وظنّوا أنّ به مَسًّا من الجنّ، لأنّه قَتَل حيّةً أو يَرْبوعًا أو قُنفذًا، عَمِلوا جِمالًا من طين، وجَعَلوا عليها جُوالِق، وملئوها حِنطةً وشَعِيرًا وتمرًا، وجعلوا تلك الجِمال في باب جُحْر إلى جهة المغرب وقت غروب الشّمس، وباتوا ليلتَهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجِمال الطِّين، فإنْ رأوا أنّها بحالها قالوا: لم تقبل الدّيَة، فزادوا فيها، وإن رأَوها قد تساقطتْ وتَبدّد ما عليها من المِيرة قالوا : قد قُبِلت الدِّيَة، واستَدلُّوا على شِفاء المَرِيض وضربوا بالدُّفِّ، قال بعضُهم:

قالوا وقد طالَ عَنائِي والسَّقَمْ اِحمِل إلى الجِنّ جِمالاتٍ وضمّ
فقد فعلتُ[1] والسَّقامُ لم يَرِمْ فبالّذي يَملِك بُرْئِي أعْتَصِمْ

وقال آخَر:

فيا ليت أنّ الجنّ جازُوا جِمالتي وزُحزِح عنى ما عَنانِي من السَّقَمْ
ويا ليتهم قالوا انْطِنَا كلّ ما حَوَتْ يمينُك في حَرْبٍ عماسٍ وفي سَلَمْ
أعلِّل قلبي بالّذي يَزْعُمونه فيا ليتَني عوُفيتُ في ذلك الزَّعَمْ

وقال آخَر:

أرى أنّ جِنّانَ النُّوَيرة أصبَحوا وهمْ بين غَضْبانٍ علىَّ وآسِفِ
حملتُ ولم أقبَل إليهم حمالةً تسكّنُ عن قلبٍ من السُّقمِ
ولو أنصَفُوا لم يَطلُبوا غيرَ حَقِّهمْ ومن لي من أمثالهمْ بالتَّناصُفِ!

---

١ ـ في د: «نكلت».

تَغطَّوْا بثَوْب الأرض عنى ولو بَدَوا لأصبحتُ منهمْ آمِنًا غيرَ خائِفِ

وكانوا إذا غُمَّ عليهم أمرُ الغائب ولم يَعرِفوا له خبرًا جاءوا إلى بئرٍ عاديَة[1] أو حفرٍ قديم قديم ونادَوا فيه: يا فلان ، أو يا أبا فلانٍ ، ثلاثَ مرّات، ويَزْعمون أنّه إن كان ميّتًا لم يَسمَعوا صَوْتًا، وإن كان حيًّا سَمِعوا صَوْتًا ربّما تَوهّموه وَهْمًا، أو سَمِعوه من الصَّدى، فبَنَوا عليه عقيدَتَهم، قال بعضُهم:

دعوتُ أبا المِغْوارِ في الجَفْرِ دَعْوةً فما آضَ صَوْتي بالّذي كنتُ داعيًا
أظنّ أبا المِغْوارِ في قَعْرِ مُظلمٍ تجرّ عليه الذّارياتُ السَّوافِيَا

وقال:

وكم ناديتُه واللّيل ساجٍ بِعادِيّ البئارِ فما أجَابَا

وقال آخر:

غابَ فلمْ أرجُ له إيابًا والحفْرُ لا يرجِع لي جَوابَا
وما قرأتُ مُذْ نَأى كتابًا حتّى مَتَى أستنشِدُ الرِّكابَا
* عنه وكلٌّ يَمنَع الخِطابَا *

وقال آخر:

ألم تَعلِمي أنّي دعوتُ مُجاشِعًا من الجَفْرِ والظّلماءُ بادٍ كُسورُهَا
فجاوَبَني حتّى ظننتُ بأنّه سيَطْلع من جَوْفاء صعبٍ خدُورُها
لقد سكنتْ نفسِي وأيقنتُ أنّه سيُقدِم والدّنيا عجابٌ أمُورُها

وقال آخَر:

دعوناهُ مِن عادِيّةٍ نَضَبَ ماؤُها وهَدَّم جالَيْها اختلافُ عُصورِ

---

١ ـ عادية: قديمة .

فـرَدّ جوابًـا مـا شـككتُ بأنّـه قريـب إلينـا بالإيـاب يَصـيرُ

أقوى في البيت الثّاني، وسَكّن «نَضَب» ضرورةً كما قال:

* لو عُصْرَ منه البَانُ والمِسْك انعَصَرْ *

ومن أعاجيبهم أنّهم كانوا في الحرب ربّما أخرجوا النِّساء فيَبْلُن بين الصّفّين، يَرَوْن أنّ ذلك يُطفِىء نارَ الحرب ويقودُهم إلى السَّلِم. قال بعضهم:

لقونا بأبوالِ النِّساءِ جَهالةً ونحن نُلاقِيهم ببيضٍ قَواضِبِ

قال آخَر:

بالَـتْ نسـاءُ بـني خُراشَـةَ خِيفـةً مِنّا وأدبَرَت الرِّجـالُ شِـلالَا

قال آخَر:

بالتْ نساؤُهُمُ والبيضُ قد أخذتْ منهمْ مآخِذَ يَستشفَى بها الكَلِبُ

وهذان البيتان يُمكِن أن يراد بهما أنّ النِّساء يَبُلْن خيفةً وذُعْرًا، لا على المعنى الّذي نحن في ذكره، فإذَنْ لا يكون فيهما دَلالة على المراد.

وقال الآخر:

هيهـات ردّ الخيـل بـالأبوالِ إذا غَدَتْ في صُوَر السَّعالِي

وقال آخر:

جَعلوا السُّيوف المَشْرَفِيّةَ منهُم بَوْل النِّساء وقَلّ ذاك غَنَاءَ

فأمّا ذِكرُهم عَزيف الجنّ في المفاوز والسَّباسِب فكثير مشهور، كقول بعضهم:

وخَـرْقٍ تحـدّث غيطانـه حـديثَ العَـذَاري بأسْـرارها

وقال آخر:

و دَوِّيَّـةٍ سَبْسَـب سَمْلَـقٍ مـن البيـد تَعـزِف جِنّانُهـا [1]

---

١ ـ السّملق: القاع الصّفصف.

وقال الأعشى:

و بَهْمَـاءَ تَعـزفُ جِنَّانهـا مناهلهـا آجِنـاتٍ سُـدُمْ[١]

وقال:

وَبلدةٍ مِثل ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشةٍ للجنّ باللّيل في حافاتها زَجَلُ[٢]

وقال آخر: *ببْيداءَ في أرجائِها الجنّ تعْزفُ*

وقال السَّرقيّ بن القطاميّ: كان رجل من كَلْب ـ يقال له عبيد بن الحُمَارِس ـ شجاعًا، وكان نازلًا بالسَّماوة أيّامَ الرَّبيع، فلمّا حَسَرَ الرَّبيع، وقلّ ماؤه، وأقْلعتْ أنواؤه، تحمّل إلى وادي تُبَل، فرأى رَوْضةً وغديرًا، فقال: روضةٌ وغدير، وخطْبٌ يَسير؛ وأنا لمّا حَويْتُ مجير، فنزل هناك، وله امرأتان: اسمُ إحداهما الرَّباب، والأخرى خَوْلة، فقالت له خَوْلة:

أرَى بلدةً قَفْرًا قليلًا أنيسُها وإنّا لنَخْشَى إنْ دَجَا اللّيلُ أهْلَها

وقالت له الرّباب:

أرتْك بِرَأيِي فاستمِعْ عنك قَولها ولاتـأمَنَنْ جـنَّ العَزيـفِ وجَهْلها

فقال مجيبًا لهما:

ألسـتُ كميًّـا في الحـروب مُجَرَّبًـا شُجاعًا إذا شبّت له الحَرْب مِحْرَبا

سريعًا إلى الهيْجَا إذا حَمَس الوَغَا فأقسـم لا أعْـدو الغَـدير منكِّبـا

ثمّ صعد إلى جبل تُبَل فرأى شَيْهَمة ـ وهي الأنثى من القَنافذ ـ فرماها فأقصعها[٣] ومعها ولدُها، فارتبطه، فلمّا كان اللّيل هتف به هاتفٌ من الجنّ:

---

١ ـ ديوانه: ٢٩.

٣ ـ ديوانه: ٤٤.

٣ ـ أقعصها: قتلها في مكانها.

يا بن الحُمارِس قد أسأتَ جوارَنا ... وركبتَ صاحبنا بأمرٍ مُفظِعِ
وعقرتَ لَقْحَته وقُدْت فَصِيلَها ... قَوْدًا عنيفًا في المنيع الأرفعِ
ونزلتَ مَرْعًى شائِنًا و ظَلَمْتَنَا ... والظّلم فاعِلُه وخِيمُ المَرتَع
فلَنطرُقَنَّك بالّذي أوْلَيْتَنَا ... شرٌّ يَجتُك و ما لَه مِنْ مَدْفعِ

فأجابَه ابنُ الحُمارِس:

يا مدّعي ظُلمِي و لستُ بظالمٍ ... اسْمَع لدَيْك مَقالتي و تَسمَّعِ
إن كنتُم جِنًّا ظلمتمْ قُنْفُذًا ... عُقِرتْ فشرّ عَقيرةٍ في مَصرَعِ
لا تَطمَعوا فيما لديّ فما لَكُمْ ... فيما حويتُ وحُزْتُه من مَطمَعِ

فأجابَه الجِنّيّ:

يا ضارِبَ اللّقحة بالعَضْب الأفَلّ ... قد جاءك الموتُ وأوْفاكَ الأجَلْ
وساقَك الحَيْن إلى جنِّ تُبَلْ ... فاليومَ أقوَيْتَ وأعيتْك الحِيَلْ[1]

فأجابه ابن الحُمارِس:

يا صاحبَ اللّقحة هل أنت ... مستمِعٌ مِنّي فقد قلتَ الخَطَلْ
وكثرة المَنطِق في الحرْبِ فَشلْ ... هَيَجت قَمْقَامًا من القوم بَطَلْ[2]
ليتَ ليُوثٍ وإذا هَمَّ فَعَلْ ... لا يَرهَبُ الجِنَّ ولا الإنس أجَلْ

* من كان بِالعقوة من جنّ تُبَلْ[3] * .

قال : فسَمِعَهما شيخٌ من الجِنّ، فقال: لا والله لا نرى قتل إنسانٍ مِثَل هذا ثابت القَلْب ماضِي العزيمة، فقام ذلك الشّيخ وحَمِد الله تعالى ثمّ أنشد:

---

١ ـ الحين: الهلاك.

٢ ـ القمقام: السّيّد.

٣ ـ العقوة: المحلّة.

يـابنَ الحُمـارِس قـد نَزلـتَ بلادَنـا فأصـبتَ منهـا مشـرَبًا و مَنَامـا
فبـدأتَنا ظُلْمًـا بعَقْـر لقُوحنـا وأسـأتَ لمـّا إن نطقـتَ كلامـا
فاعمَد لأمرِ الرُشْدِ واجتَنِب الرَّدَى إنّـا نَـرَى لـك حُرْمـة و ذِمامـا
واغـرمْ لِصـاحبنا لَقُوحًـا مُتْبعًـا فلقـد أصـبْتَ بمـا فعلـتَ أثَامـا

فأجابه ابنُ الحمارس:

اللهَ يَعلَـم حيـث يُرفَـع عَرشُـه أنّي لأكـرهُ أن أصـيبَ أثَامـا
أمَّـا ادّعـاؤك مـا ادّعيـتَ فـإنّني جئـتُ الـبِلادَ ولاأريـدُ مقامـا
فأسمـتُ فيهـا مـا لَنـا ونزلتُهـا لأرِيـحَ فيهـا ظَهْرنـا أيّامـا
فليَغْـدُ صـاحبكمْ علينـا نُعطِـه مـا قـد سـألت ولانَـراه غَرامـا

ثمَّ غرم للجِنّ لَقوحًا مُتْبَعًا للقُنْفذ ووَلَدها.

وهذه الحكاية وإن كانت كَذِبًا إلّاأنّها تتضمّن أدبًا، وهي من طَرائف أحاديث العَرَب فذكَرْناها لأدبها وامْتاعِها؛ ويقال: إنّ السَّرقيّ بن القُطامي كان يَصنَع أشعارًا ويَنحَلها غيرَه.

فأمّا مَذهب العرب في أنّ لكلّ شاعر شيطانًا يلقِي إليه الشِّعْر فمذهب مشهور، والشّعراء كافّةً عليه، قال بعضهم:

إنّي وإن كنـتُ صـغيرَ السِّـنّ وكـان في العـين نبـوٌّ عـنى
فـإنّ شـيطانِي أميـرُ الجِـنّ يَذهَب بي في الشّعر كلّ فَنّ

وقال حسّان بنُ ثابت:

إذا مـا تَرعْـرع فينـا الغُـلام فما إنْ يقال لـه: مَـنْ هُـوَهْ ؟
إذا لم يَسُـدْ قبـل شـدّ الإزارِ فـذلكَ فينـا الّـذي لا هُـوَهْ

ولي صاحِبٌ من بَني الشَّيْصَبانِ فطَوْرًا أقولُ وطَوْارًا هُوَهْ

وكانوا يزعمون أنّ اسمَ شيطان الأعشى مِسحَل، واسم شيطان المخبَّل عَمرو، وقال الأعشى:

دعوتُ خَليلِي مِسحَلًا و دَعْوًا له جهنّام جَدْعًا للهجين المذمَّمِ[1]

وقال آخَر:

لقد كان جنّيّ الفرزدِق قُدوَةً وما كان فينا مِثل فَحْل المخبَّل

ولا في القوافِي مِثل عَمرٍو وشَيْخِه ولا بعدَ عمرٍو شاعرٌ مِثل مِسحَلِ

وقال الفَرَزْدق يصفُ قصيدته:

كأنّها الذّهب العِقْيانُ حبَّرها لسانُ أشعَرِ خلقِ الله شَيْطانا

وقال أبو النَّجْم:

إنّي وكلّ شاعرٍ من البَشَرْ شيطانه أنثى وشيطانِي ذَكَرْ

وأنشد الخالعُ فيما نحن فيه لبعض الرُّجّاز:

إنَّ الشَّياطين أتَوْني أربَعهْ في غَلَس اللّيلِ و فيهِمْ زَوْبعَهْ

وهذا لا يدلّ على ما نحن بصدده من أمر الشّعر وإلقائه إلى الإنسان؛ فلا وَجْه لإدخاله في هذا الموضع.

ومِن مذاهبهم: أنّهم كانوا إذا قَتلوا الثُّعْبانَ خافوا من الجنّ أن يأخذوا بثأره، فيأخذون رَوْثةً ويُفتّونها على رأسه، ويقولون روْثة راثَ ثائرك. وقال بعضهم:

طرحْنا عليه الرَّوْثَ و الزّجْرُ صادقٌ فراثَ علينا ثأرُه و الطّوائلُ

وقد يُذَرُّ على الحيّة المقتولة يسيرُ رمَاد، ويقال لها: قتلكَ العيْن فلا ثأرَ لكِ؛ وفي أمثالهم لِمَن ذهب دمُه هَدَرًا : وهو قتيلُ العيْن، قال الشّاعر:

---

١ ـ و جهنّام تابعة الأعشى.

ولا أكنْ كقَتيلِ العيْن وَسْطَكُمُ ولاذَبيحة تَشْريق و تَنْحار

فأمّا مَذهَبُهم في الخَرَزات والأحجاروالرُّقى والعَزائم: فمشهور فمنها السُّلْوانة ـ ويقال السَّلْوة ـ وهي خَرَزة يُسقَى العاشقُ منها فيَسلُو في زَعْمهم، وهي بيضاءُ شَفَافة، قال الرّاجز:

لو أشرَبُ السُّلوانَ ما سَلِيتُ ما بي غِنًى عنكمْ و إنْ غَنِيتُ

السُّلْوان: جمعُ سُلْوانة.

وقال اللّحيانيّ: السُّلوانة تُرابٌ من قبرٍيُسقَى منه العاشق فيَسلُو، و قال عُروةُ بن حزام:

جعلتُ لعَرّاف اليَمامةِ حُكمَه و عرّاف نجدٍ إنْ هما شَفَيانِي
فقالَا نعم: نَشفي من الدّاءِ كُلِّه و قامًا مع العُوّاد يَبْتَدِرَانِ
فما تَركَا من رُقْيَةٍ يَعرِفانها و لاسَلوةٍ إلّا وقد سَقيانِي

وقال آخر:

سقَوْني سَلْوَةً فسلوتُ عنها سقَى اللهُ المنيّةَ مَن سَقانِي

أى سلوتُ عن السَّلْوة و اشتدّ بي العِشْق و دام. و قال الشّمردل:

ولقد سُقِيتُ بسَلْوةٍ فكأنّما قال المُداوِي للخَيالِ بها ازْدَدِ

ومن خَرَزاتهم الهِنّمة: تُجتَلب بها الرّجالُ و تُعطَف بها قلوبُهم، و رُقيتُها: أخذته بالهِنّمَة؛ باللّيل زَوْج وبالنّهار أَمَة.

ومنها الفَطْسة و القبْلة و الدَّرْدَبيس؛كلّها لاجتلاب قلوب الرّجال، قال الشّاعر:

جمّعن من قبل لهنَّ و فَطْسَةٍ و الدَّرْدَبيس تمائمًا في منظمِ

فانقاد كلّ مشذَّب مَرِسِ القُوَى لِحبالهنّ وكلّ جَلْدٍ شَيْظَمِ[1]

وقيل: الدَّرْدَبيس خَرَزة سوداءُ يتحبّب بها النّساء إلى بعُولَتهنّ، توجد في القُبور العاديّة، و رُقيتُها: أخذته بالدَّرْدَبيس، تُدِرّ العَرَق اليبيس، و تذر الجديد كالدَّرِيس، وأنشد:

قطعتُ القيدَ و الخَرَزات عنى فمن لي من عِلاج الدَّرْدَبيسِ!

وأصل الدَّرْدَبيس الدّاهية، و نُقِل إلى هذه لقوّة تأثيرها.

ومِن خَرَزاتهم القِرْزَحلة، أنشَد ابنُ الأعرابيّ:

لا تَنفَع الفِرْزَحلةُ العَجائزا إذا قطعنا دونَها المَفاوِزا

وهي من خَرَز الضّرائر، إذا لبستْها المرأةُ مالَ إليها بعلُها دونَ ضَرّتها.

ومنها: خَرَزة العُقرة تشُدّها المرأة على حَقْوَيْها فتُمنَع الحَبل، ذكَر ذلك ابنُ السّكّيت في «إصلاح المنطق».

ومنها: اليَنْجَلِب، ورُقْيَتُها: أخَذتُه باليَنْجَلب، فلا يَرِم و لا يَغِبّ، و لا يَزَل عند الظُّنُب.

ومنها: كَرَارِ، مبنيّةً على الكسر، و رُقَيتُها: يا كَرارِ كُرِّيه، إنْ أَقبل فسُرِّيه، وإن أدبرَ فَضُرِّيه، مِنْ فَرْجِه إلى فيه.

ومنها: الهُمرَة و رُقَيتها: يا هُمَرَة اهميه، من أستِه إلى فيه، و مالِه و بَنِيه.

ومنها: الخَصْمة، خرزة للدّخول على السّلطان و الخصومة، تُجعَل تحتَ فَصّ الخاتَم أَو في زرّ القَمِيص أو في حَمائِل السّيف، قال بعضهم:

يُعلِّق غيري خَصمة في لِقائهمْ وما لي عليكمْ خَصمةٌ غيرُ مَنطِقِ

ومنها: الوَجيهة، وهي كالخَصْمة حمراءُ كالعَقِيق.

ومنها: العَطْفة، خَرَزة العَطْف، والكَحْلة، خَرَزة سوداءُ تُجعَل على الصِّبيان لدَفع

١ـ الشّيظم: الطّويل الجسم.

العين عنهم، والقَبلة خَرَزة بيضاءُ تُجعَل في عُنُق الفَرَس من العين، والفَظسة خَرَزة يَمرَض بها العدوّ ويُقتَل، ورُقيتُها: أخذته بالفَظسة، بالثُّوباء والعطسة، فلا يَزال في تَعْسَة، من أمرة ونَكْسَة، حتّى يَزورَ رَمْسَه.

ومن رُقاهم للحُبّ: هَوابَه هوابَه، البرقُ والسّحَابة، أخذتُه بمركَن، فحبّه تَمكَن. أخذته بإبرة، فلا يَزل في عَبْره. خلّيته بإشْفي[1]، فقلبُه لا يَهدَا. خلّيته بمبرَد، فقلبه لا يَبرُد. وتَرقِي الفارِكُ زوجَها إذا سافر عنها فتقول: بأفُول القمر، وظلّ الشّجر، شِمال تَشمَله، ودَبور تدبره، ونَكباءَ تنكُبه، شِيكَ فلا انتعَش، ثُمَّ ترمى في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة، وتقول: حصاة حصَّت أثره، نواة انأت داره، روْثة راثَ خبرُه لقعته ببعرة.

وقالت فارِكٌ في زوجها:

أتبعتُه إذْ رَحَل العيسَ ضُحَى بعد النّواة رَوْثةً حيثُ انتَوى

* الرّوث للرّثي، وللنَّأْى النَّوَى *

وقال آخَر:

رَمَتْ خلفَه لمّا رأت وشْكَ بينِه نــواةً تلتْهــا رَوْثــة وحَصــاةُ

وقالت: نأتْ منكَ الدّيارُ فلا دَنَتْ و رائَتْ بِك الأخبارُ و الرَّجَعاتُ

وحصّت لك الآثار بعد ظُهورِها و لا فارَق التَّرحال منك شَتاتُ

وقال آخَر يُخاطِب امرأَته:

لا تَقذِفي خَلْفي إذا الرَّكبُ اغتَدَى روثَة عَيْرٍ و حَصاةٍ و نَوَى

لـن يَـدفع المقـدارَ أسـبابُ الـرُّقَى و لا التَّهاويلُ على جِنّ الفَلَا

هذا الرّجز أورَدَه الخالع في هذا المَعرض، وهو بأن يدلّ على عكس هذا المعنى أولى، لأنّ قوله: «لن يَدفَع المقدارَ بالرُّقَى، ولا بالتَّهاويل على الجِنّ» كلام يُشعِر بأنّ

---

١ ـ الإشفي: الإسكاف.

قَذْف الحصاة والنّواة خَلْفَه كالعُوذة له، لا كما تفعله الفارِك الّتي تتمنّى الفِراق.

فأمّا مَذهبُهم في القِيافة والزّجْروالكَهانة واختلافُهم في السّانح والبارح، وتشاؤمهم باللَّفظة والكَلِمة وتأويلُهم لها وتيمّنُهم بكلمة أخرى، وما كانوا يفعلونه من البَحِيرة والسّائبة والوَصِيلة والحامي فكلّه مشهورٌ معروف لاحاجةَ لنا إلى ذكرِه هاهنا.

فأمّا لفظ أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: «نَشْرة» فإنّ النّشرة في اللّغة كالعُوذَة والرُّقيَة، قالوا: نَشّرْت فلانًا تَنْشيرًا، أى رَقَيْتُه وعوّذتُه. وقال الكلابيّ: إذا نشر المَسفوع فكأنّما أنشِط من عِقال، أى يذهب عنه ما به سَريعًا.

وفي الحديث أنّه قال: «فلعلّ طبًّا أصَابه»، يَعنى سِحْرًا، ثُمَّ عَوَّذَه بـ« قُلْ أعوذُ بربّ النّاس» أى رَقاه، وكذلك إذا كَتَب له النُّشرة. وقد عدّ أميرُ المؤمنين عليه السلام أمورًا أربعةً ذكر منها النَّشرة، ولم يكن عليه السلام ليقول ذلك إلّا عن تَوقيف من رسولِ الله صلى الله عليه وآله.

(١٩: ٣٨٢ ـ ٤٢٩)

الفصل الخامس ـ [في ذِكْر الأسباب الّتي دَعَتِ العرب إلى وَأْد البَنات]

مِنْ بنات موءودة؛ كان قومٌ من العرب يئِدُون البنات، قيل: إنّهم بنو تميم خاصّة، وإنّه استفاض منهم في جيرانهم. وقيل: بل كان ذلك في بني تميم، وقيس، وأسد، وهُذَيل، وبكر بن وائل، قالوا: وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليهم، فقال: «اللّهمّ اشْدُد وَطْأتك على مُضَر واجْعل عليهم سِنين كِسِني يوسفَ»، فأجدَبُوا سبع سنين حتّى أكلوا الوَبَر بالدّم، وكانوا يسمُّونه العِلْهز، فَوَأدوا البناتِ لإملاقهم وفقرهم، وقد دلّ على ذلك بقوله: ﴿وَلَاتَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾[1]، قال: ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾[2].

وقال قوم: بل وأدوا البنات أنفَةً، وزعموا أنّ تَميمًا منعت النُّعمان الإتاوة سنة من السّنين، فوجّه إليهم أخاه الرّيّان بن المنذر، وجُلّ مَنْ معه من بَكْر بن وائل، فاستاق

---

١ ـ الإسراء/٣١.

٢ ـ الممتحنة/١٢.

النَّعم وسَبَى الذّراريّ، وفي ذلك يقول بعض بني يَشْكُر:

لمـّا رأوْا رايـةَ النُّعمـان مقبِلـةً ... قـالوا: ألَا لَيْتَـأذَى دارِنـا عَـدَنُ!

يـا ليتَـأمّ تمـيمٍ لم تكـن عَرَفَـتْ ... مُرًّا، وكانت كمن أودَى به الزَّمَنُ

إنْ تَقْتُلونـا فأعيـارٌ مخدّعـةٌ ... أو تُنْعِمـوا فقـديمًا مـنكم المِـنَنُ

مـنكم زُهَيْـرٌ وعتّـاب ومحتضِـنٌ ... وابنا لَقِيطٍ وأوْدى في الوغَى قَطَنُ

فوفدت بنو تميم إلى النّعمان، واستعطفوه، فرقّ عليهم، وأعاد عليهم السَّبْي، وقال: كلّ امرأة اختارت أباها ردّت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه، فكلّهنّ اخترن آباءهنّ، إلّا ابنةَ قيس بن عاصم، فإنّها اختارت مَنْ سباها، وهو عمرو بن المشمرخ اليشكريّ، فنذر قيس بن عاصم المِنقَريّ التّميميّ ألّا يولد له بنت إلّا وأدها، والوَأد أن يخنُقَها في التّراب ويُثقِل وجهها به حتّى تموت. ثمّ اقتدى به كثيرٌ من بني تميم، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[1]، أي على طريق التّبكيت والتّوبيخ لمَن فعل ذلك أو أجازه، كما قال سبحانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[2].

ومن جيّد شعر الفَرَزْدق قوله في هجاء جَرير:

أَلَمْ تَـرَ أنّنـا بَـنِي دَارِمٍ ... زُرارة مِنّـا أبـو مَعْبَـدِ[3]

ومنّـا الّـذي منـع الوائـداتِ ... وأحيَـا الوليـدَ فلـم يُـوأدِ[4]

ألسـنَا بأصـحاب يـوم النِّسـارِ ... وأصـحاب ألويَـة المِرْبَـدِ

---

١ ـ التّكوير/٨ـ٩.

٢ ـ المائدة/١١٦.

٣ ـ ديوانه: ٢٠٢، ٢٠٣.

٤ ـ يعني جدّه صعصعة بن ناجية.

ألسْـــنَا الّـــذين تمـــيمٌ بهـــمْ تَسَـــامَى وتفخـــر في المـــَشهَدِ!
وناجيـــة الخيـــر والأقْرَعَـــا نِ وقبـــرٌ بكاظمـــة المـــوْردِ[1]
إذا مـــا أتى قبَـــره عائـــذٌ أنـــاخ عـــلى القَبْـــرِ بالأسْـــعَدِ[2]
أيطلـــب مجـــد بـــني دارمٍ عطيّـــة كالجُعَـــل الأسْـــودِ!
قَـــرَنْبَى يَحُـــكُّ قَفَـــا مُقْـــرِفٍ لئـــيمٍ مـــآثره قُعْـــدُدِ[3]
ومجـــد بـــني دارم فوقَـــهُ مكـــان السِّـــماكَيْن والفَرْقَـــدِ

وفي الحديث: أنّ صَعصعة بن ناجية بن عِقال لمّا وفد على رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله، إنّي كنتُ أعملُ في الجاهليّة عملًا صالحًا، فهل ينفعني ذلك اليوم؟ قال ﷺ: وما عملت؟ قال: ضَلَلْت ناقتين عُشَرَاوين،[4] فركبت جَمَلًا ومضيت في بُغائهما[5]، فرفع لي بيت حريد[6]، فقصدته، فإذا شيخ جالس بفنائه فسألته عن النّاقتين، فقال: ما نارهما[7]؟ قلت: مِيسم بني دارم، قال: هما عندي، قد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَر، فجلست معه ليخرجهما إليّ، فإذا عجوز قد خرجت من كِسْر البيت، فقال لها: ما وضعتْ، إن كان سَقْبًا[8] شاركنا في أموالنا، وإن كان حائلًا[9]

---

١ ـ ناجية؛ هو ابن عقال بن محمّد بن سفيان بن مجاشع. والأقرعان: الأقرع وفراس ابنا حابس بن عقال.

٢ ـ الأسعد: نجم طالعه سعد.

٣ ـ القرنبيّ: ضرب من الخنافس أرقط طويل القوائم، والقعدد: اللّئيم الآباء.

٤ ـ العشراء من النّياق: الّتي مضى لحملها عشرة أشهر، كالنّفساء.

٥ ـ في بغائهما: في طلبهما.

٦ ـ الحريد: المعتزل المتنحّي.

٧ ـ في النّهاية واللّسان: ما نارهما؟ والنّار هنا: السّمة بالمكوى؛ سمّيت باسم النّار.

٨ ـ السّقب: ولد النّاقة ساعة يولد؛ وهو خاصّ بالذّكر.

[1] وَأَذناها، فقالت العجوز: وضعت أنثى، فقلت له: أتبيعها؟ قال: وهل تبيع العرب أولادها! قلت: إنّما أشتري حياتَها، ولا أشتري رقّها، قال؛ فبِكَم؟ قلت: احتَكِم، قال: بالنّاقتين والجمل، قلت:أذاك لك على أن يبلغني الجمل وإيّاها! قال: بعتُك، فاستنقذتها منه بالجمل والنّاقتين، وآمنت بك يا رسول الله، وقد صارتْ لي سنّة في العرب أن أشتري كلّ موءُودَة بناقتين عُشَراوين وجمل، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتهنّ، فقال عليه السلام: «لاينفعك ذاك لأنّك لم تبتغ به وجهَ الله، وإنْ تعمل في إسلامك عملًا صالحًا تثب عليه»[2].

وروى الزُّبير في «الموفّقيّات» أنّ أبا بكر قال في الجاهليّة لقيس بن عاصم المِنقريّ: ما حمَلك على أن وَأدْتَ؟ قال مخافة أن يخلف عليهنّ مثلك. (١٣ : ١٧٤ ـ ١٧٧)

---

١ ـ الحائل: الأنثى من ولد الناقة ساعة تولد؛ ولايقال:«سقبة».

٢ ـ انظر الفائق ٣: ١٣٣.

الباب الثّامن

في بعثة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم و حروبه

و فيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[في البعثة]

(الخطبة: ١) منها: عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ، وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ. إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتْمَامِ[1] نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ. وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وَطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ للهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ لِقَاءَهُ، وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، وَأَكْرَمَهُ[2] عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا ـ إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ كِتَابَ رَبِّكُمْ، مُبَيِّنًا لَكُمْ حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ، وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ، وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ، وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ، وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ، وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ، وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ، وَمُحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ، وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ. وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ. وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

الشّرح: . . . و قوله: «مأخوذ على النّبيّين ميثاقه»، قيل: لم يكن نبيّ قط إلّا وبُشّر بمبعث محمّد ﷺ، وأخذ عليه تعظيمه؛ وإن كان بعدُ لم يوجد. فأمّا قوله: «أهل الأرض يومئذ مِللٌ متفرّقة»، فإنّ العلماء يذكرون أنّ النّبيّ ﷺ بُعث والنّاس أصناف شتّى في أديانهم: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئون، عَبَدة أصنام،

---

[1] ـ مخطوطة النّهج: «وتمام».

[2] ـ مخطوطة النّهج: «فأكرمه».

وفلاسفة وزنادقة. (١: ١١٦ـ ١١٧)

(الخطبة: ١٠٣) ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا، وَلاَ يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلاَ وَحْيًا، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُم إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ؛ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكًا لاَ خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ وَايْمُ اللهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ، وَلاَ جَبُنْتُ، وَلاَ خُنْتُ، وَلاَ وَهَنْتُ، وَأَيْمُ اللهِ، لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ!

قال السَّيّد الشَّريف الرَّضيّ رحمه الله: وقد تقدَّم مختار هذه الخطبة؛ إلّا أنّني وجدتها في هذه الرِّواية على خلاف ما سبق من زيادة ونقصان؛ فأوجبت الحال إثباتها ثانية.

الشّرح: لقائل أن يقول: ألم يكن في العرب نبيّ قبل محمّد، وهو خالد بن[1] سنان العبسيّ؟ وأيضًا فقد كان فيها هود وصالح وشعيب.

ونجيب هذا القائل: بأنّ مراده عليه السلام أنّه لم يكن في زمان محمّد صلى الله عليه وآله وما قاربه مَن ادّعى النُّبوّة، فأمّا هود وصالح وشعيب؛ فكانوا في دَهْرٍ قديم جدًّا؛ وأمّا خالد بن سنان فلم يقرأ كتابًا، ولا يدّعي شريعة وإنّما كانت نبوّة مشابهة لنبوَّة جماعة من أنبياء بني إسرائيل الَّذين لم يكن لهم كُتُب ولا شرائع، وإنّما ينهوْن عن الشِّرك، ويأمرون[2] بالتّوحيد. ومنجاتهم: نجاتهم، نجوت من كذا نجاءً، ممدود، ونجًا مقصور، ومنجاة على

---

١ ـ هو خالد بن سنان بن غيث العبسيّ، ذكره الرّسول عليه السلام، وقال: «وذلك نبي أضاعه قومه». وانظر أخباره في «مروج الذّهب» ١: ١٣١ (طبع أوربا).

٢ ـ ساقطة من ب.

«مفعلة »، ومنه قولهم: «الصّدق منجاة ».

قوله عليه السلام: «ويبادر بهم السّاعة»، كأنّه كان يخاف أن تسبِقه القيامة؛ فهو يبادرها بهدايتهم وإرشادهم قبل أن تقوم، وهم على ضلالهم.

والحسير: المعيَا، حَسَر البعير بالفتح، يحسِر بالكسر حسورًا، واستحسر مثله، وحسرته أنا، يتعدّي ولا يتعدّى، حَسْرًا فهو حسير، ويجوز أحسرته، بالهمزة، والجمع حَسْرَى، مثل قتيل وقَتْلَى، ومنه حَسَر البصر، أى كلّ يحسِر، قال تعالى: ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1]. وهذا الكلام من باب الاستعارة والمجاز، يقول عليه السلام: كان النّبيّ صلى الله عليه وآله لحِرْصه على الإسلام وإشفاقه على المسلمين، ورأفته بهم، يلاحظ حال من تزلزل إعتقاده، أو عرضتْ له شبهة، أو حدَث عنده ريب، ولا يزال يوضّح له ويرشده حتّى يزيل ما خامر سرَّه من وساوس الشّيطان، ويلحقه بالمخلصين من المؤمنين، ولم يكن ليقصِّر في مراعاة أحد من المكلّفين في هذا المعنى إلّا مَنْ كان يعلم أنّه لا خير فيه أصلًا، لعناده وإصراره على الباطل، ومكابرته للحقّ.

ومعنى قوله: «حتّى يلحِقه غايته»، حتّى يوصّله إلى الغاية الّتي هي الغرض بالتّكليف؛ يعنى اعتقاد الحقّ وسكون النّفس إلى الإسلام؛ وهو أيضًا معنى قوله: «وبوّأهم محلّتهم».

ومعنى قوله: «فاستدارت رحاهم»، انتظم أمرُهم، لأن الرّحا إنّما تدور إذا تكاملت أدواتها وآلاتها كلّها، وهو أيضًا معنى قوله: «واستقامت قناتُهم»، وكلُّ هذا من باب الاستعارة. ثمّ أقسم أنّه عليه السلام كان من ساقتها، السّاقةُ: جمع سائق؛ كقادة جمع قائد، وحاكة جمع حائك؛ وهذا الضّمير المؤنّث يرجع إلى غير مذكور لفظًا، والمراد الجاهليّة، كأنّه جعَلها مِثْلَ كتيبة مصادمة لكتيبة الإسلام، وجعل نفسه من الحاملين عليها بسيفه؛ حتّى فرّت وأدبرت، واتبعها يسوقها سوقًا، وهي مولّية بين يديه. حتّى أدبرت

---

١ ـ الملك/٤.

بحذافيرها، أى كلّها عن آخرها.

ثمّ أتى بضمير آخر إلى غير مذكور لفظًا، وهو قوله: «واستوسقت في قيادها»، يعنى الملّة الإسلاميّة أو الدَّعوة، أو ما يجري هذا المجرى. واستوسقت: اجتمعت؛ يقول: لمّا ولّت تلك الدَّعوة الجاهليّة استوسقت هذه في قيادها كما تستوسق الإبل المقوَدة إلى أعطانها. ويجوز أن يعودَ هذا الضّمير الثّاني إلى المذكور الأوّل وهو الجاهليّة، أى ولّت بحذافيرها، واجتمعت كلُّها تحت ذلّ المقادة.

ثمّ أقسم أنّه ما ضعف يومئذٍ ولا وَهَن ولا جَبُن ولا خان؛ وليبقُرنّ الباطل الآن حتّى يخرج الحقّ من خاصرته؛ كأنّه جعل الباطل كالشّيء المشتمل على الحقّ غالبًا عليه، ومحيطًا به، فإذا بقر ظهر الحقّ الكامن[1] فيه، وقد تقدّم منّا شرح ذلك. (٧: ١١٤ ـ ١١٦)

(الخطبة: ١٠٤) من خطبة له: حَتّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ، شَهِيدًا، وَبَشِيرًا، وَنَذِيرًا، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا، أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً...

الشّرح: . . . يقول عليه السلام: مخاطبًا لمن في عصره من بقايا الصَّحابة ولغيرهم من التّابعين، الّذين لم يدركوا عَصْر رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله بعثَ محمّدًا، وهو أكرم النّاس شيمةً، وأنداهم يدًا، وخيرهم طفلًا، وأنجبَهم كَهلًا، فصانَه الله تعالى في أيّام حياته عن أن يفتح عليه الدُّنيا، وأكرمه عن ذلك فلم تُفْتَح عليكم البلاد، ولا دَرّت عليكم الأموال، ولا أقبلت الدُّنيا نحوكم؛ وما دالت الدَّوْلة لكم إلّا بعده، فتمكّنتم من أكُلها والتّمتّع بها، كما يتمكّن الحالب من احتلاب النّاقة فيحلبها، وحلَّت لذّاتها لكم، واستطبتم العيشة، ووجدتموها حُلْوةً خضرةً. ثمّ ذكر أنّهم صادفوها ـ يعنى الدُّنيا ـ وقد

---

١ ـ ب: «الكائن».

صَعُبت على مَنْ يليها ولاية حقّ، كما تستصعبُ النَّاقة على راكبها إذا كانت جائلة الخِطام؛ ليس زمامها بمكّن راكبها من نفسه، قلقَة الوضين، لا يثبت هودجُها تحت الرّاكب، حرامها سهل التّناول على مَن يريده، كالسِّدْر الَّذي خُضِد عنه شوكه، فصار ناعمًا أملس؛ وحلالها غير موجود لغلبة الحرام عليه؛ وكونه صار مغمورًا مستهلكًا بالنّسبة إليه؛ وهذا إشارة إلى ما كان يقوله دائمًا من استبداد الخلفاء قبله دونه بالأمر، وأنّه كان الأولى و الأحقّ. (٧ : ١١٩)

(الخطبة : ١٨٩) بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ، وَ لَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَ لَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

الشّرح: يقول: بعث الله سبحانه محمّدًا ﷺ لمّا لم يبق عَلَمٌ يهتدي به المكلَّفون؛ لأنّه كان زمان الفترة وتبدّل المصلحة، واقتضاء وجوب اللّطف عليه سبحانه تجديدًا لبعثته، ليعرِّف المبعوثُ المكلّفين الأفعال الّتي تُقرّبهم من فعل الواجبات العقليّة، وتبعدهم عن المقبّحات الفعليّة. (١٠ :١٧٦)

[إجلاب قريش على بني هاشم و حصرهم في الشِّعب]

ويجب أن نتكلّم في هذا الفصل في مواضع: منها ذكر ما جاء في السِّيرة من إجلاب قريش على رسول الله ﷺ وبني هاشم وحَصْرهم في الشِّعب.

ومنها: الكلام في المؤمنين والكافرين من بني هاشم الّذين كانوا في الشِّعْب محصورين معه ﷺ مَنْ هم. ومنها: شرح قصّة بدر. ومنها: شرح غزاة أُحُد. ومنها: شرح غزاة مُؤْتة.

فأمّا الكلام في الفصل الأوّل فنذكر منه ما ذكره محمّد بن إسحاق بن يَسار في كتاب «السِّيرة» والمغازي، فإنّه كتاب معتمد عند أصحاب الحديث والمؤرّخين، ومصنّفه شيخ النّاس كلّهم.

قال محمّد بن إسحاق رحمه الله: لم يسبق عليًّا عليه السلام إلى الإيمان بالله ورسالة محمّد صلى الله عليه وآله أحدٌ من النّاس، اللّهم إلّا أن تكون خديجة زوجةُ رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: وقد كان صلى الله عليه وآله يخرج ومعه عليّ مستخفّين من النّاس، فيصلّيان الصّلواتِ في بعض شِعاب مكّة، فإذا أمسيا رَجعا فمكثا بذلك ما شاء الله أن يمكثا، لا ثالث لهما. ثمّ إنّ أبا طالب عَثَر عليهما يومًا وهما يصلّيان، فقال: لمحمّد صلى الله عليه وآله يا بن أخي، ما هذا الّذي تفعله! فقال: «أيْ عمّ، هذا دين الله ودين ملائكته و رسله، ودين أبينا إبراهيم ـ أو كما قال عليه السلام: «بعثني الله به رسولًا إلى العباد، وأنت أى عمِّ أحقُّ من بذلتُ له النّصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحقّ مَنْ أجابني إليه، وأعانني عليه». أو كما قال.

فقال أبو طالب: إنّي لا أستطيع يابن أخي أنْ أفارِق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه، ولكنّ والله لا يخلُص[1] إليك شيء تكرهه ما بقيتُ. فزعموا[2] أنّه قال لعليّ: أى بنيّ، ما هذا الّذى تصنع؟ قال: يا أبتاه، آمنتُ بالله ورسوله وصدّقتُه فيما جاء به، وصلّيتُ إليه، واتّبعت قول نبيّه. فزعموا أنّه قال له: أمّا إنّه لا يدعوك ـ أو لن يدعوَك ـ إلّا إلى خير، فالزمه.

قال ابن إسحاق: ثمّ أسلَم زيدُ بن حارثة مولَى رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانَ أوّل مَنْ أسلَم، وصلّى معه بعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ثمّ أسلم أبو بكر بن أبي قُحافة، فكان ثالثًا لهما، ثمّ أسلم عثمان بن عفّان، وطلحة، والزُّبير، وعبد الرّحمن، وسعد بن أبي وقّاص، فصاروا ثمانية؛ فهم الثّمانية الّذين سَبَقوا النّاس إلى الإسلام بمكّة، ثمّ أسلم بعد هؤلاء الثّمانية أبو عبيدة بن الجرّاح وأبو سلمةَ بن عبد الأسد وأرقم بن أبي أرقم، ثمّ انتشر الإسلام بمكّة، وفشا ذكره، وتحدّث النّاس به، وأمر الله رسولَه أن يصدَع بما أمر به، فكانت مدّة إخفاء رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه وشأنه إلى أنْ أمر بإظهار الدِّين ثلاث

---

١ ـ لا يخلص إليك بشيء؛ أى لا يوصل إليك؛ يقال: خلصت إليه، أى وصلت إليه.

٢ ـ ابن هشام: «وذكروا».

سنين فيما بلغني[١].

قال محمّد بن اسحاق: ولم تكن قريش تنكِر أمرَه حينئذ كلّ الإنكار، حتّى ذكر آلهتهم وعابَها، فأعظموا ذلك وأنكروه، وأجمعوا على عداوته وخلافه، وحدّب عليه عمُّه أبو طالب فمنَعه، وقام دونه حتّى مضى مظهرًا لأمر الله لا يردّه عنه شيء.

قال: فلمّا رأت قريش محامَاةَ أبي طالب عنه وقيامَه دونه، وامتناعَه من أن يسلمه، مشى إليه رجالٌ من أشراف قريش، منهم عُتْبة بن ربيعة، وشيبة أخوه، و أبو سفيان بن حَرْب، وأبو البختريّ بن هشام، والأسود بن المطلّب، والوليد بن المُغيرة، وأبو جهل عمرو بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج؛ وأمثالهم من رؤساء قريش. فقالوا يا أبا طالب، إنّ ابنَ أخِيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامَنا، وضلّل آراءنا؛ فإمّا أنْ تكفَّه عنّا، وإمّا أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه. فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردّهم ردًّا جميلًا، فانصرفوا عنه، ومضى رسول الله ﷺ عَلَى ما هو عليه، يظهرُ دينَ الله، ويدعو إليه، ثمّ شرَق[٢] الأمرُ بينه وبينهم، تباعدا وتضاغنا[٣]، حتّى أكثرت قريش ذكرَ رسول الله ﷺ بينها، وتذامروا فيه، وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه، فمشوْا إلى أبي طالب مرّةً ثانية، فقالوا: يا أبا طالب، إنّ لك سنًّا وشَرَفًا ومنزلة فينا، وإنّا قد استنْهيناك من ابن أخيك فلم تنهَه عنّا، وإنّا والله لا نصبر على شتْم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيْب آلهتنا، فإمّا أن تكفَّه عنّا أو ننازله وإيّاك[٤] حتّى يهلك أحدُ الفريقين. ثمّ انصرفوا، فعظُم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم، ولم

---

١ ـ سيرة ابن هشام ١: ٢٦٥

٢ ـ ابن هشام: «ثمّ شرى الأمر بينه وبينهم»، قال أبوذر: معناه «كثر وتزايد»، وأصله في البرق، يقال: شرى البرق: إذا كثر لمعانه.

٣ ـ التّضاغن: المعاداة.

٤ ـ ننازله وإيّاك: أى نحاربكما.

تطِبْ نفسه بإسلام ابن أخيه لهم وخذلانه، فبعث إليه فقال: يا بنَ أخي، إنّ قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا ـ للّذي قالوا ـ فأبق عليّ وعَلَى نفسِك، ولا تحمِّلني من الأمر ما لا أطيقه. قال: فظنَّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمّه فيه بَداء، وأنه خاذله ومسلمِه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام دونه، فقال: يا عمّ، والله لو وضعوا الشَّمس في يميني والقمر في شِمالي على أنْ أترك هذا الأمر ما تركته حتّى يظهره الله أو أهلِك. ثمّ استعبر باكيًا وقام، فلمّا ولّى ناداه أبو طالب: أقبل يا بن أخي، فأقبَل راجعًا، فقال له: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبدًا[1].

قال ابن إسحاق: وقال أبو طالب يذكر ما أجمعت عليه قريش من حَرْبه لمّا قام بنصر محمّد ﷺ:

واللهِ لـنْ يَصِـلُوا إليـك بجمعهـمْ ... حـتّى أُوَسَّدَ في التَّراب دفِينَا[2]

فانفُـذ لأمـرك مـا عليـك مخافـةٌ ... وأبشـر وقـرّ بـذاك منـه عيونـا

ودعـوتَنِي وزعمـت أنّـك ناصـحي ... ولقد صدقت وكُنت قبل أمينا

وعرضـت دينًـا قـد علمـت بأنّـه ... مـن خيـرِ أديـان البريّـة دينـا

لـولا الملامَـةُ أو حـذاري سُـبّةً ... لوجـدتَني سَمحًـا بـذاك مبينـا

قال محمّد بن إسحاق: ثمّ إنّ قريشًا حين عرفت أنّ أبا طالب قد أبى خِذلان رسول الله ﷺ وإسلامه إليهم ورأوا إجماعَه على مفارقتهم وعداوتهم، مشوْا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ـ وكان أجمل فتًى في قُرَيش ـ فقالوا له: يا

---

١ ـ سيرة ابن هشام ١: ٢٧٦ـ٢٧٨

٢ ـ ديوانه: ١٧٦، ١٧٧.

أبا طالب، هذا عُمارة بن الوليد، أبهى [١] فتًى في قُرَيش وأجمله، فخذه إليك [٢] فاتّخذه ولدًا فهو لك، وأسلم لنا هذا ابن أخيك الّذي قد خالف دينَك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك لنقتله، فإنّما هو رجلٌ برجل. فقال أبو طالب! والله ما أنصفتُموني! [٣] تعطوني ابنَكم أغذُوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبدًا. فقال له المطعِم بن عديّ بن نوفل ـ وكان له صديقًا مصافِيًا ـ والله يا أبا طالب ما أراك تريدُ أن تقبل من قومك شيئًا! لعمري قد جهدوا في التّخلُّص ممّا تكره وأراك لا تُنصفهم! فقال أبو طالب: والله ما أنصفوني ولا أنصفتني؛ ولكنّك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرة [٤] القوم عليّ! فاصنع ما بدا لك [٥] !

قال: فعند ذلك تنابذَ القوم وصارت الأحقاد، ونادى بعضهم بعضًا، وتذامروا بينهم على مَن في القبائل من المسلمين الّذين اتّبعوا محمّدًا ﷺ. فوثبت كلُّ قبيلة عَلَى من فيها منهم، يعذّبُونهم ويفتنونهم عن دينهم، ومنعَ الله رسوله منهم بعمّه أبي طالب، وقام في بني هاشم وبني عبد المطلِب حين رأى قريشًا تصنع ما تصنع، فدعاهم إلى ما هو عليه من مَنْع رسول الله ﷺ، والقيام دونه، فاجتمعوا إليه، وقاموا معه، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من الدّفاع عن رسول الله ﷺ إلّا ما كان من أبي لهب، فإنّه لم يجتمع معهم على ذلك، فكان أبو طالب يرسل إليه الأشعار، ويناشده النّصر، منها القطعة الّتي أوّلها:

حديثٌ عن أبي لهب أتانا و كانَفهُ على ذَاكُمْ رجالُ

---

١ ـ ابن هشام: «أنهد فتى»، أى أشدّه وأقواه.

٢ ـ ابن هشام: «فخذه فلك عقله ونصره».

٣ ـ ابن هشام: «والله لبئس ماتسومونني».

٤ ـ مظاهرة القوم، يريد إعانتهم.

٥ ـ سيرة ابن هشام ١: ٢٧٥

ومنها القطعة الَّتي أوّلها:

أظننت عنى قد خذلت و غالنِي منك الغوائلُ بعد شيب المكبَرِ

ومنها القطعة الَّتي أوّلها:

تستعرض الأقوام توسعهمْ عُذْرًا وما إن قلتَ مِن عُذرِ

قال **محمّد بن إسحاق**: فلم يؤثَرعن أبي لهب خيرقطّ إلّا ما يروى أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ، لمّا وثب عليه قومه ليعذّبوه ويفتنوه عن الإسلام هرب منهم؛ فاستجار بأبي طالب، وأمّ أبي طالب مخزوميّة، وهي أمّ عبد الله والد رسول الله ﷺ فأجاره، فمشى إليه رجالٌ من بني مخزوم، وقالوا له: يا أبا طالب، هَبْكَ منعتَ منّا ابن أخيك محمّدًا، فما لك ولصاحبنا تمنعه منّا! قال: إنّه استجار بي وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابنَ أختي لم أمنع ابن أخي؛ فارتفعت أصواتهم وأصواته، فقام أبو لهب ولم ينصر أبا طالب قبلها ولا بعدها، فقال: يا معشرَ قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشَّيْخ، لا تزالون تتوثّبون عليه في جواره من بين قومه! أمّا والله لتنتهُنّ عنه أو لنقومنّ معه فيما قام فيه حتّى يبلغ ما أراد. فقالوا: بل ننصرف عمّا تكره يا أبا عتبة: فقاموا فانصرفوا، وكان وليًّا لهم ومعينًا على رسول الله ﷺ وأبي طالب، فاتّقوه وخافوا أن تحمله الحميّة على الإسلام، فطمع فيه أبو طالب حيث سمعه قال ما قال، وأمّل أن يقوم معه في نُصرة رسول الله ﷺ، فقال يحرّضه على ذلك:

وإن امرأ أبو عُتَيْبة عَمَّه لَفِي مَعْزِلٍ من أن يُسام المظالِمَا[1]

ولاتقبلنّ الدّهرَ ما عشتَ خطّةً تُسبّ بها إمّا هبطتَ المواسمَا[2]

---

١ ـ ديوانه: ١٦٢، ١٦٣

٢ ـ ديوانه: ٩٠

أقــول لــه وأيــن مِنْــهُ نصــيحتي ... أبــا عتبــة تَبّــتْ ســوادَك قائمًــا
وولّ ســبيل العجــز غيــرك مــنهمُ ... فإنّــك لم تخْلَــقْ عــلى العجــزِ لازمًــا
وحاربْ فإنّ الحرْب نصف ولن تَرى ... أخا الحربُ يُعطي الخسف حتّى يُسَالما
كــذبتم وبيــت الله نَبْــزَى محمّــدًا ... ولمّــا تــرَوْا يومًــا مــن الشّــعْب قائمــا

وقال يخاطب أبا لهب أيضًا:

عَجِبتُ لحلمٍ يـابن شيبة عـازبٍ ... وأحــلام أقــوامٍ لــديك ســخَافِ[1]
يقولــون شــايع مَــنْ أراد محمّــدًا ... بظلــم و قُــمْ في أمــرِهِ بخــلافِ
أضــاميمُ إمّــا حاســد ذو خيانــة ... وإمّا قريب عنك غيرمصاف
فــلا تــركبنّ الــدَّهْرمنــه ذِمامــةً ... وأنت امرؤٌ من خيرعبد مناف
ولاتتركنّــه مــا حييــت لمعظِــمٍ ... وكــنْ رَجُــلًا ذا نجــدةٍ وَ عَفــافِ
يــذودُ العــدا عــن ذروةٍ هاشميَّــةٍ ... إلا فهــمُ في النّــاس خيــرُإلافِ
فــإنّ لــه قُــرْبى لــديكَ قريبــةً ... وليس بذي حِلْفٍ ولابمُضافِ
ولكنّــه مــن هاشــمٍ ذى صــميمها ... إلى أبحــرٍفــوق البُحــور طــوافِ
وزاحــمْ جميع النّاس عنه وكنْ له ... وزيــرًا عــلى الأعــداء غيــرمجــافِ
وإن غضبت منه قريشٌ فقُلْ لَها ... بــني عمّنــا مــا قــومُكُمْ بضــعافِ
ومــا بــالُكمْ تَغْشَــوْنَ منــه ظُلامَــةً ... ومــا بــالُ أحقــادٍ هنــاك خــوافِي
فمــا قومُنــا بــالقوم يخشَــوْن ظلمنَــا ... ومــا نحــنُ فيمــا ســاءهم بخِفــافِ

---

١ ـ ديوانه: «أبا معتب».

ولكنّنا أهل الحفائظ والنُّهى وعزٍّ ببطحاء المشاعر وافِ

قال محمّد بن إسحاق: فلمّا طال البلاء على المسلمين والفتنة والعذاب، وارتدّ كثير عن الدِّين باللِّسان لا بالقلب، كانوا إذا عذّبوهم يقولون: نشهد أنّ هذا الله وأنّ اللّات والعُزّى هي الآلهة، فإذا خلوْا عنهم عادوا إلى الإسلام، فحبسوهم وأوثقوهم بالقِدّ وجعلوهم في حرّ الشّمس على الصّخر والصَّفا، وامتدّت أيّام الشِّقاء عليهم ولم يَصِلوا إلى محمّد ﷺ لقيام أبي طالب دونه، فأجمعت قريش على أن يكتبوا بينهم وبين بني هاشم صحيفةً يتعاقدون فيها ألّا يناكحوهم ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم؛ فكتبوها وعلّقوها في جوف الكعبة تأكيدًا على أنفسهم؛ وكان كاتبها منصور بن عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار بن قصيّ.

فلمّا فعلوا ذلك انحازت هاشم والمطّلب، فدخلوا كلّهم مع أبي طالب في الشِّعب. فاجتمعوا إليه، وخرج منهم أبو لهب إلى قريش فظاهرها على قومه.

قال محمّد بن إسحاق: فضاق الأمر ببني هاشم وعدموا القوت، إلّا ما كان يحمل إليهم سرًّا وخفيّةً، وهو شيء قليل لا يُمْسِك أرماقهم، وأخافتْهم قريش؛ فلم يكن يظهر منهم أحدٌ، ولا يدخل إليهم أحد، وذلك أشدّ ما لَقِي رسولُ الله ﷺ وأهل بيته بمكّة.

قال محمّد بن إسحاق: فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا حتّى جهدوا ألّا يصل إليهم شيء إلّا القليل سرًّا ممّن يريد صلَتهم من قريش؛ وقد كان أبو جهل بن هشام لقي حَكِيم ابن حزام بن خُويلد بن أسَد بن عبد العُزّى، معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمّته خديجه بنت خويلد ـ وهي عند رسول الله محاصَرة في الشِّعب ـ فتعلّق به، وقال: أتحمل الطّعام إلى بني هاشم! والله لا تبرح أنت و طعامُك حتّى أفضحك بمكّة! فجاءه أبو البختريّ العاص بن هشام بن الحارث بن أسَد بن عبد العُزّى، فقال: ما لك وله! قال: إنّه يحمل الطّعام إلى بني هاشم، فقال أبو البختريّ: يا هذا، إنّ طعامًا كان لعمّته عنده بعثت إليه فيه؛ أفتمنعه أن يأتيَها بطعامها! خلّ سبيل الرّجل، فأبى

أبو جهل حتّى نال كلٌّ منهما مِنْ صاحبه، فأخذ له أبو البختريّ لَحْيَ بعيرٍ، فضربه به فشجّه ووطئه وطأ شديدًا، فانصرف وهو يكره أنْ يعلم رسول الله ﷺ وبنو هاشم بذلك، فيشمتوا، فلمّا أراد الله تعالى من إبطال الصَّحِيفة، والفَرَج عن بني هاشم من الضِّيق والأزْل الّذي كانوا فيه، قام هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤيّ في ذلك أحسن قيام، وذلك أنّ أباه عمرو بن الحارث كان أخًا لنضْلة بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ من أمّه، فكان هشام بن عمرو يحسب لذلك واصلًا ببني هاشم؛ وكان ذا شرفٍ في قومه بني عامر بن لؤى، فكان يأتي بالبعير ليلًا وقد أوْقره طعامًا، وبنو هاشم وبنو المطلّب في الشِّعب، حتّى إذا أقبل به فم الشِّعب فمنع بخطامة من رأسه، ثمّ يضربه علَى جَنْبه، فيدخل الشّعب عليهم ثمّ يأتي به مرّة أخرى، وقد أوقره تمرًا، فيصنع به مثل ذلك. ثمّ إنّه مشى إلى زُهير ابن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ، فقال: يا زهير، أرضيتَ أن تأكل الطّعام وتشرب الشّراب وتلبس الثّياب، وتنكح النّساء؛ وأخوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، ولا يواصلون ولا يزارون! أمّا إنّي أحلف لو كان أخواك أبو الحكم ابن هشام ودعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك أبدًا. قال: ويحكَ يا هشام! فماذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد، والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمتُ في نقض هذه الصَّحيفة القاطعة.

قال: قد وجدت رجلًا، قال: مَنْ هو؟ قال: أنا، قال زهير: ابغنا ثالثًا، فذهب إلى المطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف، فقال له: يا مطعِم، أرضِيت أن يهلك بطنان من عبد مناف جوعًا وجَهْدًا وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه! أمّا والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدنّ قريشًا إلى مساءتكم في غيره سريعة. قال: ويحك! ما ذا أصنع! إنّما أنا رجلٌ واحد، قال: قد وجدتُ ثانيًا، قال: مَنْ هو؟ قال: أنا، قال: ابغني ثالثًا، قال: قد وجدت، قال : مَنْ هو؟ قال: زهير بن أميّة، قال: أنا، قال: ابغنا رابعًا، فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام، فقال له نحو ما قال للمطعم، قال: وهل مِنْ أحدٍ

يعين على هذا؟ قال: نعم وذكرهم، قال: فابغنا خامسًا، فمضى إلى زَمْعة بن الأسود بن المطلّب بن أسد بن عبد العزّى فكلّمه، فقال: وهل يعين على ذلك من أحد؟ قال: نعم، ثمّ سمّى له القوم، فاتّعدُوا خَظم الحَجُون ليلًا بأعلى مكّة، فأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا على القيام في الصَّحيفة حتّى ينقضوها.

وقال زهير: أنا أبدؤكم وأكون أوّلكم يتكلّم، فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير ابن أبي أميّة، عليه حلّة له. فطاف بالبيت سبعًا، ثمّ أقبل على النّاس، فقال: يا أهل مكّة، أنأكل الطّعام، ونشرب الشّراب، ونلبس الثّياب وبنو هاشم هَلْكى! والله لا أقعد حتّى تشقّ هذه الصَّحيفة القاطعة الظالمة! وكان أبو جهل في ناحية المسجد، فقال: كذبت والله لا تشقّ! فقال زمعة بن الأسود لأبي جهل: والله أنتَ أكذب، ما رضينا والله بها حين كُتِبتْ. فقال أبو البختريّ معه: صدق والله زَمْعة، لا نرضي بها ولا نقرّ بما كتب فيها! فقال المطعِم بن عديّ: صَدَقا والله، وكذب مَنْ قال غير ذلك؛ نبرأ إلى الله منها وممّا كتب فيها. وقال هشام بن عمرو مثل قولهم، فقال أبو جهل: هذا أمر قضِيَ بليل، وقام مطعِم بن عديّ إلى الصَّحيفة فحطّها وشقّها، فوجد الأرَضة قد أكلتْها، إلّا ما كان من «باسمك اللّهم»، قالوا: وأمّا كاتبها منصور بن عكرمة فشلّت يده فيما يذكرون. فلمّا مزّقت الصَّحيفة خرج بنو هاشم من حصار الشِّعب.

قال محمّد بن إسحاق: فلم يزل أبو طالب ثابتًا صابرًا مستمرًّا على نصر رسول الله ﷺ وحمايته والقيام دونه، حتّى مات في أوّل السّنة الحادية العشرة من مبعث رسول الله ﷺ فطمعت فيه قريش حينئذ، ونالتْ منه، فخرج عن مكّة خائفًا يطلُب أحياء العرب، يعرض عليهم نفسَه، فلم يزل كذلك حتّى دخل مكّة في جوار المطعِم بن عديّ، ثمّ كان من أمره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة.

قال: ومن شعر أبي طالب الّذي يذكر فيه رسول الله ﷺ وقيامه دونه:

أرقــتَ وقــدْ تَصــوَّبَتِ النُّجُــومُ وبــتّ ولاتســالمُك الهمــومُ[1]

لِظُلــم عشــيرةٍ ظلمــوا وعَقُّــوا وغــبّ عقــوقهم لهــمُ وخــيمُ

هــمُ انتَهكــوا المحــارمَ مــن أخــيهمْ وكــلّ فعــالهم دَنَــسٌ ذمِــيمُ

ورامــوا خطّــة جــورًا وظُلْمًــا وبعــضُ القــول ذو جَنَــفٍ مُلِــيمُ

لتخــرجَ هاشمًــا فتكــونَ منهــا بلاقــعَ بطــنُ مكّــة فــالحَطِيمُ

فمهــلًا قومنــا لا تركبُونَــا بمظلمــة لهــا خَطْــبٌ جَسِــيمُ!

فينــدمَ بعضُــكم ويــذِلّ بعــضٌ ولــيس بمفلــحٍ أبــدًا ظَلُــومُ

أرادوا قتــل أحمــدَ زاعِمِيــه ولــيس بقتلِــه مــنهمْ زَعِــيمُ

وَدوُنَ مُحَمَّــدٍ منّــا نــدىً هــمُ العِــرنين والعُضْــوُ الصَّــمِيمُ

ومن ذلك قوله:

وقــالوا لأحمــد أنــت امــرُؤٌ خَلُوفُ الحديثِ، ضَعيفُ السَّبَبْ

وإن كــان أحمــدُ قــد جــاءهُمْ بصــدقٍ ولم يــأتِهِمْ بالْكَــذِبْ

فإنّــا ومَــنْ حَــجَّ مِــنْ رَاكِــبٍ وكعبــة مكّــة ذات الحُجُــبْ

تنــالون أحمــدَ أو تصــطُلوا ظُبَــاةَ الرِّمَــاحِ وحَــدَّ الْقُضُــبْ

وتغترفــوا بــين أبيــاتِكُمْ صُــدورَ العــوالِي وخَــيْلًا شُــزُبْ

---

١ ـ ديوانه: ١٤٩

تـراهنّ مـن بـين ضَـافِي السَّـبِيبِ قصـيرالحِـزَام طويـل اللَبَـبْ
عليهـا صـناديدُ مِـنْ هَاشِـمٍ هـمُ الأنجبُـون مـع المنتجَـبْ

وروى عبد الله بن مسعود، قال: لمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من قَتْلى بدر، وأمر بطرحِهم في الْقَلِيب، جعل يتذكّر من شعر أبي طالب بيتًا فلا يحضرُه، فقال له أبو بكر: لعلّه قولُه يا رسول الله:

وإنّا لعمرُ الله إنْ جَدّ جَدُّنا لتلتبسنْ أسيافُنا بالأمائل[1]

فسُرّ بظفرِه بالبيت، وقال: إي لعمر الله لقد التبست.

ومن شعر أبي طالب قوله:

ألا أبْلِغَـا عـنى لُؤيًّـا رِسَـالةً بحـقٍّ ومـا تغـنِي رسـالةُ مرسـلِ[2]
بـني عَمِّنَـا الأدْنَـيْن فيمـا يخصُّـهُمْ وإخواننـا مـن عبـدِ شمـس ونوفـلِ
أظـاهرتُمُ قومًـا علينـا سَـفَاهَةً وأمـرا غَويًّـا مـن غُـواةٍ وَجُهَّـلِ
يقولـون لـو أنّـا قَتَلْنَـا مُحمّـدًا أقـرّتْ نـواصِي هاشـم بالتّـذلّلِ
كـذبتم وربِّ الهَـدْيِ تَـدمى نحـورُه بمكّـة والبيـتِ العتيـقِ المُقَبَّـلِ
تنالونَـهُ أو تصـطلوا دونَ نَيْلِـهِ صـوارمَ تَفْـرِي كـلّ عُضْـوٍ ومفصِـلِ
فمهـلًا ولمّـا تنـتج الحـربُ بكْرَهـا بخيـلٍ تمـام أو بـآخر مُعْجِـلِ
وتلقـوْا ربيـع الأبطحـين محمّـدًا عـلى رَبْـوَةٍ في رأس عَنْقَـاء عَيْطَـلِ

---

١ ــ ديوانه: ١١١

٢ ــ ديوانه: ١٣٧

وتــأوِي إليــه هاشــمٌ، إنّ هاشمًــا عَــرانين كعــبٍ آخــرُ بَعْــدَ أوّلِ
فــإن كنــتُم ترجــون قتــلَ محمّــدٍ فرُومــوا بمــا جَمَّعــتُمُ نَقْــلَ يَــذْبُلِ
فإنّــا ســنحمِيه بكُــلِّ طِمِــرَّةٍ وذي مَيْعــةٍ نَهْــدِ المراكِــل هَيْكَــلِ
وكــلّ رُدَيْــنِيٍّ ظِمــاءٍ كعوبُــه وعضــب كإيمــاض الغَمامــة مِفْصَــلِ

قلت: كان صديقنا عليّ بن يحيى البطريق رحمه الله، يقول: لو لا خاصّة النّبوّة وسرّها لما كان مثلُ أبي طالب ـ وهو شيخ قريش ورئيسُها وذو شرفها ـ يمدح ابنَ أخيه محمّدًا، وهو شابٌّ قد رُبِّيَ في حِجْره وهو يتيمه ومكفوله، وجارٍ مجرَى أولادِه بمثل قوله:

وتلقــوا رَبيــعَ الأبطحــين محمّــدًا على رَبْــوةٍ في رأسِ عَنْقاء عَيْطَلِ
وتــأوي إليــه هاشــم، إنّ هاشمًــا عــرانين كعــبٍ آخرُبعــدَ أوّلِ

ومثل قوله:

وأبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهِهِ ثِمَالُ اليتامَى عِصْمَةٌ للأرَامِلِ
يُطيف به الهُلّاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

فإنّ هذا الأسلوب من الشّعر لا يمدح به التّابع والذُّنَابى من النّاس، وإنّما هو من مديح الملوك والعظماء، فإذا تصوّرت أنّه شعر أبي طالب، ذاك الشّيْخ المبجّل العظيم في محمّد ﷺ، وهو شابٌّ مستجير به، معتصم بظلّه من قريش، قد ربّاه في حِجْره غُلامًا، وعلى عاتقه طفلًا، وبين يديه شابًّا، يأكل من زاده، ويأوي إلى داره، علمت موضع خاصيّة النّبوّة وسرّها، وأنّ أمره كان عظيمًا، وأنّ الله تعالى أوقع في القلوب والأنفس له منزلة رفيعة ومكانًا جليلًا.

وقرأت في «أمالي أبي جعفر محمّد بن حبيب» رحمه الله، قال: كان أبو طالب إذا رأى

رسولَ الله ﷺ أحيانًا يبكِي ويقول: إذا رأيتُه ذكرت أخي، وكان عبد الله أخاه لأبويه، وكان شديد الحُبّ والحنوّ عليه، وكذلك كان عبدُ المطّلب شديدَ الحبّ له، وكان أبو طالب كثيرًا ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه، يقيمُه ليلًا من منامه، ويُضجِع ابنَه عليًّا مكانَه، فقال له عليٌّ ليلة: يا أبت، إنّي مقتول، فقال له:

اصبرنْ يا بُنَيّ فالصّبر أحْجَى ... كلّ حيٍّ مصيرُه لشَعُوب[1]

قدّر اللهُ و البلاء شديدُ ... لفداءِ الحبيب و ابن الحبيبِ

لفِدَاء الأغرّ ذى الحسَب الثّا ... قب و الباعِ و الكريم النّجيبِ

إنّ تصبْك المنون فالنّبل تَبْرِي ... فصيبٌ منها، و غيرُ مصيبِ

كلّ حيّ وإن تملّى بعمرٍ ... آخذٌ من مَذَاقِها بنصيبِ

فأجاب عليّ عليه السلام، فقال له:

أتأمرني بالصَّبْرِ في نصرِ أحمدٍ ... و والله ما قلت الّذي قلت جازعا[2]

ولكنّني أحببت أن ترى نصرتي ... و تعلم أنّي لم أزلْ لك طائعا

سأسعى لوجهِ الله في نصر أحمدٍ ... نبيّ الهدى المحمود طِفْلًا ويَافِعا

الفصل الثّاني: [القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم]

الفصل الثّاني: في تفسير قوله عليه السلام: «مؤمننا ينبغي بذلك الأجر، وكافرنا يحامي عن

---

١ ـ ديوانه: ٤١، وشعوب: المنيّة.

٢ ـ ديوان أبي طالب: ٤١.

الأصل، ومن أسلم من قريش خلوٌ ممّا نحن فيه لحلف يمنعُه، أو عشيرة تقوم دونه، فهم من القتل بمكان أمن»، فنقول: إنّ بني هاشم لمّا حُصِروا في الشِّعب بعد أن مَنَعُوا رسول الله ﷺ من قُريش، كانوا صِنفين: مسلمين وكفّارًا، فكان عليٌّ عليه السلام وحمزة بن عبد المطّلب مسلمين.

واختلف في جعفر بن أبي طالب: هل حُصِر في الشِّعب معهم أم لا؟ فقيل: حُصِر في الشِّعب معهم، وقيل: بل كان قد هاجر إلى الحبشة، ولم يشهد حِصَار الشِّعب، وهذا هو القول الأصحّ. وكان من المسلمين المحصورين في الشِّعب مع بني هاشم عُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف؛ وهو وإن لم يكن من بني هاشم إلّا أنّه يجري مجراهم، لأنّ بني المطّلب وبني هاشم كانوا يدًا واحدة، لم يفترقوا في جاهليّة ولا إسلام.

وكان العبّاس رحمه الله في حِصَار الشِّعب معهم إلّا أنّه كان على دين قومه، وكذلك عَقِيل بن أبي طالب، وطالب بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطّلب، وابنه الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب ـ وكان شديدًا على رسول الله عليه السلام، يُبغضه ويَهْجوه بالأشعار، إلّا أنّه كان لا يرضى بقتله، ولا يقارّ قريشًا في دمه؛ محافظة على النَّسب ـ وكان سَيّد المحصورين في الشّعب ورئيسهم وشيخهم أبو طالب بن عبد المطّلب، وهو الكافل والمحامي. (١٤: ٥٢ ـ ٦٥)

[عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة]

فأمّا خبر عُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أخي خالد بن الوليد مع عمرو بن العاص فقد ذكره ابن إسحق في كتاب «المغازي» قال: كان عُمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص بن وائل، بعد مبعث رسول الله ﷺ، خرجا إلى أرض

الحبشة على شِرْكهما، وكلاهما كان شاعرًا عارِمًا فاتِكًا.

وكان عُمارة بن الوليد رجلًا جميلًا وَسيمًا تهواه النِّساء، صاحبَ محادثة لهنَ. فركبا البحر ومع عمرو بن العاص امرأته، حتّى إذا صاروا في البحر ليالي أصابا من خَمْرٍ معهما، فلمّا انتشى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص: قبّليني، فقال لها عمرو: قبّلي ابنَ عمّك، فقبّلته فهوِيَها عُمارة، وجعل يراودها عن نفسها، فامتنعت منه. ثمّ إنّ عمرًا جلس على مِنجاف[1] السَّفينة يبول، فدفعه عُمارة في البحر فلمّا وقع عمرو سبَح، سبَح، حتّى أخذ بمِنجاف السَّفينة، فقال له عُمارة: أمّا والله لو علمتُ أنّك سابح ما طرحتُك ، ولكنّني كنت أظنّ أنّك لا تحسِنُ السَّباحة، فضغِن عمرو عليه في نفسه، وعلم أنّه كان أراد قتله، ومضيا على وجههما ذلك؛ حتّى قدِما أرضَ الحبشة.

فلمّا نزلاها كتب عمرو إلى أبيه العاص بن وائل: أن اخلعني وتبرّأ من جريرتي إلى بني المغيرة وسائر بني مخزوم، وخشِيَ على أبيه أن يُتْبع بجريرته. فلمّا قدِم الكتابُ على العاص بن وائل، مشى إلى رجال بني المغيرة وبني مخزوم، فقال: إنّ هذين الرَّجُلين قد خرجا حيث علمتم، وكلاهما فاتك صاحبُ شرٍّ، غيرُ مأمونيْن على أنفسهما، ولا أدري ما يكون منهما، وإنّي أبرأ إليكم من عمرو وجريرته، فقد خلعتُه.

فقال عند ذلك بنو المغيرة وبنو مخزوم: وأنتَ تخاف عمرًا على عُمارة ! ونحن فقد خلعنا عُمارة وتبرّأنا إليك من جريرته، فخلِّ بين الرَّجلين. قال: قد فعلتُ، فخلعوهما وبريء كلّ قوم من صاحبهم وما يجري منه. قال: فلمّا اطمأنّا بأرض الحبشة؛ لم يلبثْ عُمارة بن الوليد أن دبّ لامرأة النَّجاشي، وكان جميلًا صبيحًا وسيمًا، فأدخلته، فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مَدخله ذلك يخبر عمرًا بما كان من أمره، فيقول عمرو: لا أصدّقك أنّك قدرت على هذا، إنّ شأن هذه المرأة أرفع من ذلك؛ فلمّا أكثر عليه عُمارة بما كان يخبره ـ وكان عمرو قد علم صدقَه، وعرف أنّه دخل عليها، ورأى

---

١ ـ المنجاف: سكّان السّفينة.

من حاله وهيئته وما تصنع المرأة به إذا كان معها، وبيتوتته عندها؛ حتّى يأتي إليه مع السَّحَر ما عرف به ذلك، وكانا في منزلٍ واحد؛ ولكنّه كان يريد أن يأتيَه بشيءٍ لا يستطاع دفعه، إنْ هو رفع شأنه إلى النَّجاشي ـ فقال له في بعض ما يتذاكران من أمرها: إنْ كنتَ صادقًا، فقلْ لها: فلتدهَنْك بدُهن النَّجاشيّ الّذي لا يدّهن به غيره، فإنّي أعرفه، وائتني بشيء منه حتّى أصدّقك، قال: أفعل.

فجاء في بعض ما يدخل إليها، فسألها ذلك، فدَهنته منه، وأعطته شيئًا في قارورة، فلمّا شمّه عمرو عَرفه، فقال: أشهد أنّك قد صدَقت ! لقد أصبتَ شيئًا ما أصابَ أحدٌ من العرب مثلَه قطّ، [نلت من[1]] امرأة الملك [شيئًا] ما سمعنا بمثل هذا. هذا. وكانوا أهْلَ جاهليّة وشبانًا، وذلك في أنفسهم فَضْلٌ لمن أصابه وقَدَر عليه.

ثمّ سكت عنه حتّى اطمأنّ، ودخل على النّجاشيّ[2]، فقال: أيُّها الملك؛ إنّ معي سفيهًا من سفهاء قريش، وقد خشيتُ أن يعرّني[3] عندك أمرُه، وأردت أن أُعلمَك بشأنه، وألّا أرفع ذلك إليك حتّى أستثبت أنّه قد دخل على بعض نسائك فأكثَر. وهذا دُهنك قد أعطَتْه وادّهن به. فلمّا شمّ النّجاشيّ الدُّهن قال: صدقت، هذا دُهني الّذي لا يكون إلّا عند نسائي؛ فلمّا أثبت أمرَه، دعا بعُمارة، ودعا نسوة أُخَرَ فجرّدُوه من ثيابه، ثمّ أمرهنّ أن ينفُخن في إحليله، ثمّ خلّى سبيله. فخرج هاربًا في الوحش، فلم يزلْ في أرض الحبشة؛ حتّى كانت خلافة عمر بن الخطّاب، فخرج إليه رجالٌ من بني المغيرة، منهم عبد الله بن أبي ربيعه بن المغيرة، وكان اسم عبد الله قبل أن يُسلم بجيرًا، فلمّا أسلم سمّاه رسول الله ﷺ عبد الله، فرصدوه على ماء بأرض الحبشة، كان يرِدُه مع الوحش؛ فزعموا أنّه أقبل حُمُر من حمر الوحش ليرد معها، فلمّا وجد ريح

---

١ ـ تكملة من الأغاني.

٢ ـ الأغاني: «حتّى إذا اطمأنّ دخل على النّجاشي».

٣ ـ عرّه: لطخة بالعيب، وفي ا : «يغيرني»، وما أثبته عن الأغاني.

الإنس، هرب منه، حتّى إذا أجهده العطش، ورد فشرِب حتّى تملأ، وخرجُوا في طلبه.

قال عبد الله بن أبي ربيعة: فسبقتُ إليه فالتزمته، فجعل يقول: أرسِلْني، إنّي أموت إنْ أمسكتَني. قال عبد الله: فضبطتُه[1] فمات في يدي مكانَه، فوارَوْه ثمّ انصرفوا. وكان شَعْرُه ـ فيما يزعمون ـ قد غَطّى كُلّ شيء منه؛ فقال عمرو بن العاص، يذكر ما كان صنع به وما أراد من امرأته:

تعلّمْ عُمَار أنّ من شرِسُنّةٍ ... على المرء أن يُدْعَى ابنُ عمٍّ له ابنما

أ أن كنتَ ذا بُردَيْن أحْوَى مُرجَّلًا ... فلستَ براعٍ لابن عَمِّك محرَمًا

إذا المرءُ لم يترك طعامًا يحبُّه ... ولم ينهَ قلبًا غاويًا حيثُ يمّما

قضى وطرًا منهُ يسيرًا و أصبحتْ ... إذا ذكرت أمثالُها تملأ الفَمَا[2]

[أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة]

وأمّا خبر عمرو بن العاص في شخوصه إلى الحبشة، ليكيد جعفر بن أبي طالب والمهاجرين من المؤمنين عند النَّجاشي، فقد رواه كلّ من صنف في السِّيرة.

قال محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي»، قال:

حدَّثني محمّد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزُّهري، عن أبي بكر بن عبد الرَّحمن، بن الحارث بن هشام المخزومي، عن أمّ سلمة بنت أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّة، زوجة رسول الله ﷺ قالت:

---

١ ـ في الأغاني: «فضغطته».

٢ ـ الخبر والشّعر في الأغاني ٩: ٥٧ـ٥٩ (طبعة الدّار)

لمّا نزلنا بأرض الحبشة جاورْنا بها خيرَ جارٍ، النَّجاشيّ، أمِنَّا [١] على ديننا، وعبَدْنا الله لا نُؤذَى كما كنّا نُؤذَى بمكّة، ولانسمع شيئًا نكرهه فلمّا بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النَّجاشي في أمرنا رجلين منهم جَلْدين، وأن يُهدُوا للنَّجاشي هدايا ممّا يُستطرف من متاع مكّة، وكان من أعجب ما يأتيه منه الأدَم. فجمعوا أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بَطَارقته بِطْريقًا إلّا أهدوْا إليه هدية.

ثمّ بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة المخزوميّ، وعمرو بن العاص بن وائل السهميّ، وأمروهما أمْرَهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كلِّ بِطريق هديته، قبل أن تُكلِّما النَّجاشيّ فيهم.

ثمّ قَدِما إلى النَّجاشيّ، ونحن عنده في خيرِ دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريقٌ إلّا دفعا إليه هديته، قبل أن يكلّما النَّجاشيّ، ثمّ قالا للبطارقة: إنّه قد فَرَّ [٢] إلى بلد الملك منّا غِلمانٌ سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدَع لا نعرفه نحن ولاأنتم، وقد بعثَنَا إلى الملك أشرافُ قومهمْ لنردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يُسْلِمَهم إلينا ولايكلّمهم، فإنّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما : نعم.

ثمّ إنّهما قرّبا [٣] هدايا الملك إليه فقَبِلها منهم، ثمّ كلّماه، فقالا له:

أيُّها الملك قد فرّ إلى بلادك منّا غِلمان سفهاء، فارقوا دينَ قومهم، ولم يدخلوا في دينك، جاءوا بدينٍ ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت؛ وقد بعثَنَا فيهم إليك أشرافُ قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردّهم عليهم، فهمْ أعلَى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاينوه منهم.

قالت أمّ سلمة: ولم يكن شيء أبغضَ إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن

---

١ ـ في الأصول: «أمننا»، وما أثبته من السّيرة.

٢ ـ السّيرة: «ضوى»، أى أوى.

٣ ـ السّيرة: «قدما».

العاص، من أن يسمع النَّجاشيّ كلامهم. فقالت بطارقة الملك وخواصّه حوله: صدقا أيُّها الملك، قومُهم أعلَى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم فليسلِمْهم الملك إليهما، ليردّاهم[1] إلى بلادهم وقومهم. فغضب الملك وقال: لاها اللهِ إذًا لا أسلمُهم إليهما، ولا أخفِر[2] قومًا جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على سواى، حتّى أدعوَهم وأسألهم عمّا يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولون أسلمتُهم إليهما و رددتُهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهم، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثمّ أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلمّا جاءهم رسوله اجتمعوا، ثمّ قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرَّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علِمْناه، وما أمرَنا به ﷺ كائنا [في ذلك][3] ما هو كائن، فلمّا جاؤوه، وقد دعا النَّجاشيُّ أساقِفتَه، فنشروا مصاحفهم حوله،سألهم فقال لهم: ماهذا الدِّين الَّذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت أمّ سلمة: وكان الَّذي كلّمه جعفربن أبي طالب فقال له:

أيُّها الملك، إنّا كنّا قومًا في جاهليّة نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضَّعيف. فكنّا على ذلك حتَّى بعث الله عزّوجلّ علينا رسولًا منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنّا عليه نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمَرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرَّحِم، وحسن التَّجاور، والكفّ عن المحارم والدّماء، ونهانا عن سائر الفواحش؛ وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمَرَنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وبالصَّلاة وبالزّكاة والصِّيام.

---

١ ـ السّيرة: «فليرادهم».

٢ ـ في السّيرة: «ولايكاد قوم».

٣ ـ من السّيرة.

قالت[١]: فعدّد عليه أمورَ الإسلام كلَّها، فصدّقناه وآمنا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرّمنا ما حَرَّم علينا، وأحْلَلْنا ما أحَلّ لنا، فعدَا علينا قومُنا فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأصنام والأوثان عن عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلّ من الخبائث. فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغِبنا في جوارك ورجونا ألّا نظلم عندك أيُّها الملك.

فقال النَّجاشي: فهل معك ممّا جاء به صاحبكم عن الله شيء؟ فقال جعفر: نعم. فقال اقرأه عليّ فقرأ عليه صدْرًا من «كهيعص» فبكى حتّى اخضلّت لحيتُه، وبكت أساقفته حتَّى أخضلوا لحاهم[٢].

ثمّ قال النَّجاشي: والله إنّ هذا والَّذي جاء به موسى ليَخرج من مشكاةٍ واحدةٍ، والله لا أُسلمكم إليهم. قالت أمّ سلمة: فلمّا خرج القوم مِن عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأعيبُهم غدًا عنده بما يستأصل به خَضْراءهم[٣]؛ فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرَّجلين: لا تفعلْ، فإنّ لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفوا. قال: والله لأخبرنّه غدًا أنّهم يقولون في عيسى بن مريم: إنّه عبدٌ. ثمّ غَدا عليه من الغد، فقال: أيُّها الملك، إنّ هؤلاء يقولون في عيسى بن مريم قولًا عظيمًا؛ فأرسِلْ إليهم فسلْهم عمَّا يقولون فيه: فأرسل إليهم. قالت أمُّ سلمة: فما نزل بنا مثلُها.

واجتمع المسلمون وقال بعضهم لبعض: ما تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه والله ما قال عزّوجلّ، وما جاء به نبيُّنا ﷺ، كائنًا في ذلك ما هو كائن. فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال

---

١ ـ في الأصول: «قال»، وما أثبته من السّيرة.

٢ ـ السّيرة: «أخضلوا مصاحفهم».

٣ ـ السّيرة: «والله لآتينّه غدًا عنه بما أستأصل به خضراءهم، أي جماعتهم».

جعفر: نقول إنّه عبد الله ورسوله وروحُه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البَتُول.

قالت: فضرب النَّجاشيّ يديْه على الأرض، وأخذ منها عودًا، وقال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قال هذا العود. قالت: فقد كانت بطارقته تناخرت حوله، حين قال جعفر ما قال، فقال لهم النَّجاشي: وإن تناخرتم! ثمّ قال للمسلمين: اذهبوا فأنتُم «سيومُ» بأرضي، أى آمنون، مَنْ سبَّكم غرم، ثمّ مَنْ سَبّكم غرم، ثمّ مَنْ سَبّكم غرم، ما أُحِبّ أن لي دَبْرًا[1] ذهبًا وأنّي آذيت رجلًا منكم ـ والدُّبر بلسان الحبشة: الجبل ـ ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها؛ فوالله ما أخذ الله منّي الرِّشوة، حتّى ردّني إلى مُلْكي. فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع النَّاسَ فيّ أفأطعيهم فيه؟ قالت: فخرج الرَّجلان من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده في [2] خير دار مع خير جار، فوالله إنّا لعلى ذلك؛ إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه في ملكه.

قالت أمّ سلمة: فوالله ما أصابنا خوفٌ وحزن قَطّ كان أشدَّ من خوف وحزنٍ نزل بنا أن يظهرَ ذلك الرَّجل على النَّجاشيّ، فيأتي رَجُل لا يعرفُ من حَقّنا ما كان يعرف منه.

قالت: وسار إليه النَّجاشيّ وبينهما عرْض النِّيل، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مَنْ رجلٌ يخرج حتّى يحضر وَقْعة القوم ثمّ يأتينا بالخبر؟ فقال الزُّبير بن العوّام: أنا؛ وكان من أحدَث المسلمين [3] سِنًّا، فنفخوا له قربة فجعلناها تحت صدره، ثمّ سَبَح عليها حتّى خرج إلى ناحية النِّيل الَّتي بها يلتقي القوم، ثمّ انطلق حتّى حضرهم.

قالت: ودعوْنا الله للنَّجاشي بالظّهور على عدوّه والتَّمكين له في بلاده، فوالله إنّا لَعلى ذلك متوقّعون لما هو كائن، إذ طلع الزُّبير يسعى ويلوّح بثوبه ويقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظهر النَّجاشي وأهلك الله عدوّه.

---

١ ـ في الأصول: «دينا»، والصّواب من السّيرة.

٢ ـ السّيرة: «بخير».

٣ ـ السّيرة: «بخير».

قالت: فو الله ما أعلَمُنا فرحْنَا فرحة مثلَها قطّ، ورجع النَّجاشي، وقد أهلك الله عدوَّه وتمكّن ومكّن له في بلاده، واستوثق له أمر الحبشة، فكنّا عنده في خير منزلٍ ودار إلى أن رجعنا إلى رسول الله ﷺ بمكّة[1].

وروى عن عبد الله بن جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: لقد كاد عمرو بن العاص عمَّنا جعفرًا بأرض الحبشة عند النَّجاشي، وعند كثير من رعيَّته بأنواع الكيد ردّها الله تعالى عنه بلطفه؛ رماه بالقتل والسَّرَق والزّنا فلم يلصَق به شيء من تلك العيوب، لما شاهدَه القوم من طهارته وعبادته ونُسكِه وسيّما النُّبوَّة عليه، فلمّا نبا مِعْوَلُه عن صَفاته، هيّأ له سُمًّا قذفه إليه في طعام، فأرسل الله هِرًّا كفأ تلك الصّحفة، وقد مدّ يده نحو ثمّ مات لوقته وقد أكل منها. فتبيَّن لجعفر كيدُه وغائلته فلم يأكل بعدها عنده، وما زال ابن الجزّار عدُوًّا لنا أهل البيت. (٦: ٣٠٤ ــ ٣١٢)

(الخطبة ٢٤٠) الأصل: و من كلام له عليه السلام اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النّبي ﷺ ثمّ لحاقه به:

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ الله ﷺ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ

قال السَّيّد الشريف رضي الله عنه في كلام طويل: قوله عليه السلام: «فَأَطَأُ ذِكْرَهُ»، مِنَ الكَلامِ الَّذِي رُمِيَ به إِلَى غايَةِ الإيجَازِ و الْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُغَطِّي خَبَرَهُ ﷺ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إلى أن انتهَيْتُ إِلَى هَذَا المَوْضِع، فكَنَى عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ.

الشّرح: العَرْج منزل بين مكّة والمدينة، إليه ينسب العَرْجيّ الشّاعر، وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس.

قال محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي» لم يُعلِمْ رسولُ الله ﷺ أحدًا من المسلمين ما كان عزم عليه من الهِجْرة إلّا عليّ بن أبي طالب وأبا بكر بن أبي قحافة،

---

١ ـ الخبر في سيرة ابن هشام ١: ٢١١ ـ ٢١٣. (على هامش الرّوض الأُنف).

أمّا عليّ، فإنّ رسولَ الله ﷺ أخبرَه بخروجه، وأمره أن يبيتَ على فراشه، يُخادِع المشركين عنه ليروْا أنّه لم يبرحْ فلا يطلبوه، حتّى تبعُد المسافة بينهم وبينه، وأنْ يتخلّف بعده بمكّة حتّى يؤدّيَ عن رسول الله ﷺ الودائع الّتي عنده للنّاس، وكان رسولُ الله ﷺ استودَعه رجالٌ من مكّة ودائعَ لهم، لما يعرفونه من أمانته.

وأمّا أبو بكر فخرج معه. وسألت النّقِيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد الحسنيّ، رحمه الله فقلت: إذا كانتْ قُريش قد محصت رأيها، وألقى إليها إبليس ـ كما رُوِي ـ ذلك الرّأى، وهو أن يضربوه بأسيافٍ من أيدي جماعة من بُطون مختلفة، ليضيع دمُه في بُطُون قريش فلا تطلبه بنو عبد مناف، فلماذا انتظروا به تلك اللّيلة الصّبح! فإنّ الرّواية جاءت بأنّهم كانوا تسوّروا الدّار، فعاينوا فيها شخصًا مسجًّى بالبُرْد الحضرميّ الأخضر، فلم يشكّوا أنّه هو، فرصدوه إلى أن أصبحوا، فوجدوه عليًّا.

وهذا طريفٌ، لأنّهم كانوا قد أجمعوا على قتله تلك اللّيلة، فما بالهم لم يقتلوا ذلك الشّخص المسجّي، وانتظارهم به النّهار دليل على أنّهم لم يكونوا أرادوا قتله تلك اللّيلة؟ فقال في الجواب: لقد كانوا همُّوا من النّهار بقتله تلك اللّيلة، وكان إجماعهم على ذلك، وعزمُهم في حَقْنه من بني عبد مناف، لأنّ الّذين محصوا هذا الرّأى واتّفقوا عليه: النّضر بن الحارث من بني عبد الدّار، وأبو البخْتريّ بن هشام، وحكيم بن حزام، وزَمْعة بن الأسود ابن المطّلب؛ هؤلاء الثّلاثة من بني أسد بن عبد العُزّى، وأبو جهل بن هشام، وأخوه الحارث، وخالد بن الوليد بن المغيرة، هؤلاء الثّلاثة من بني مخزوم، ونبيه ومنبّه ابنا الحجّاج، وعمرو بن العاص؛ هؤلاء الثّلاثة من بني سهم، وأميّة بن خلَف وأخوه أبيّ بن خلَف، هذان من بني جُمَح، فنَما هذا الخبرُ من اللّيل إلى عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، فلقيَ منهم قومًا، فنهاهم عنه، وقال: إنّ بني عبد مناف لا تمسِك عَنْ دمِه، ولكن صفّدُوه في الحديد، واحبسوه في دارٍ من دوركم، وتربّصُوا به أن يصيبَه من الموت ما أصاب أمثالَه من الشُّعراء. وكان عتْبة بن ربيعه سيّد بني عبد شمس ورئيسهم، وهم من بني عبد مناف، وبنو عمّ الرّجل ورهطُه، فأحجم أبو

جهل وأصحابُه تلك اللَّيلة عن قَتْله إحجامًا، ثمّ تسوَّروا عليه، وهم يظنّونه في الدّار، فلمّا رأوا إنسانًا مسجًّى بالبُرْد الأخضر الحضرميّ لم يشكُّوا أنّه هُوَ؛ وائتمروا في قتله، فكان أبو جهل يذمُرهم[1] عليه فيهمُّون ثمّ يحجمون. ثمّ قال بعضهم لبعض: ارمُوه بالحجارة، فرمَوْه، فجعل عليٌّ يتضوّر منها، ويتقلّب ويتأوّه تأوُّهًا خفيفًا، فلم يزالوا كذلك في إقدامٍ عليه وإحجامٍ عنه، لما يريده الله تعالى من سلامته ونجاته، حتّى أصبح وهو وقيذٌ[2] من رَمْي الحجارة، ولو لم يخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأقام بينهم بمكّة، ولم يقتلوه تلك اللَّيلة، لقَتلوه في اللَّيلة الّتي تلِيها، وإنْ شبّت الحرب بينهم وبين عبد مناف، فإنّ أبا جهل لم يكُنْ بالّذي ليمسِك عن قتله، وكان فاقدَ البصيرة، شديدَ العَزْم على الولوغ في دمه!

قلت للنَّقيب: أفعلِم رسول الله ﷺ وعليٌّ عليه السلام بما كان من نهى عُتْبة لهم؟ قال: لا، إنّهما لم يعلَما ذلك تلك اللَّيلة، وإنّما عرفاه من بعد، ولقد قال رسول الله ﷺ يوم بدر، لمّا رأى عتبةَ وما كان منه: إن«يكُنْ في القوم خيرٌ ففي صاحب الجمل الأحمر». ولو قدّرنا أنّ عليًّا عليه السلام علم ما قال لهم عُتْبة لم يسقط ذلك فضيلتَه في المبيت، لأنّه لم يكن على ثقةٍ من أنّهم يقبلون قول عُتْبة، بل كان ظنّ الهلاك والقتل أغلَب.

وأمّا حالُ عليّ عليه السلام، فلمّا أدّى الودائع، خرج بعد ثلاثٍ من هجرة النّبي ﷺ، فجاء إلى المدينة راجلًا قد تورّمَتْ قَدَماه، فصادف رسول الله ﷺ نازلًا بقُباء على كُلْثوم بن الهدْم، فنزل معه في منزله. وكان أبو بكر نازلًا بقُباء أيضًا في منزل حبيب بن يساف، ثمّ خرج رسول الله ﷺ وهُما معه من قُباء، حتّى نزل بالمدينة على أبي أيّوب خالد بن يزيد الأنصاريّ، وابتني المسجد. (١٣: ٣٠٣ ــ ٣٠٦)

---

١ ـ يذمّرهم: يحضّهم.

٢ ـ الوقيذ: المشرف على الهلاك.

(١٨٧) الاصل : ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين: نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَامًا، وَلِحَبْلِهِ اعْتِصَامًا. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَ تَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لَه الْأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ عليه[1] الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إِلَى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

من قرأ كتبَ السِّيرة علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله في ذاتِ‌الله سبحانه من المشقّة، واستهزاء قريش به في أوّل الدَّعوة، ورميهم إيّاه بالحجارة، حتّى أدْمَوْا عَقِبَيْه، وصياح الصِّبيان به، وفَرْث الكرِش على رأسِه، وقَتْل الثّوب في عُنُقه وحَصره وحَصْر أهله في شِعْب بني هاشم سنين عدّة، محرّمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهمْ وكلامهم، حتّى كادوا يموتون جوعًا، لولا أنّ بعض مَنْ كان يحنُوا عليهم لرَحِم أو لسبب غيره، فهو يسرق الشّيء القليل من الدَّقيق أو التّمر فيلقيه إليهم ليلًا، ثمّ ضرْبهم أصحابه وتعذيبهم بالجوع والوَثاق في الشَّمس، وطردهم إيّاهم عن شِعاب مكّة، حتّى خرج مَنْ خرج منهم إلى الحبشة، وخرج عليه السلام مستجيرًا منهم تارةً بثقيف، وتارةً ببني عامر، وتارةً بربيعة الفَرَس، وبغيرهم.

ثمّ أجمعوا على قتله والفتْك به ليلًا، حتّى هرب منهم لائذًا بالأوس والخزرج، تاركًا أهله وأولاده، وما حوتْه يده، ناجيًا بحُشاشة نفسه، حتّى وصل إلى المدينة؛ فناصبوه الحرْب ورموْه بالمناسر[2] والكتائب، وضربوا إليه آباط الإبل، ولم يزل منهم في عناءٍ شديد، وحروب متّصلة، حتّى أكرمه الله تعالى ونَصَره، وأيّد دينَه وأظهره.

ومَنْ له أنسٌ بالتَّواريخ يعلم من تفاصيل هذه الأحوال ما يطول شرحه.

(١٠: ١٦٥ ـ ١٦٦)

---

١ ـ د: «إليه».

٢ ـ المنسر: قطعة من الجيش تمرّ قدام الجيش الكبير.

فأمّا أوّل هجرة هاجرها أصحابه ولم يهاجر بنفسه؛ فهجرةُ الحبشة؛ هاجر فيها كثيرٌ من أصحابه ﷺ إلى بلاد الحبشة في البحر؛ منهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام؛ فغابوا عنه سنين؛ ثمّ قدم عليه منهم مَنْ سلم وطالت أيّامه[1]؛ وكان قدوم جعفر عليه عامَ فتح خَيْبر؛ فقال ﷺ: «ما أدرى بأيّهما أنا أسرّ؛ أ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»! (٤ : ١٢٨)

قالوا: وقد جاء في السّيرَة، وذكره أكثر المؤرّخين، أنّ عمرو بن العاص لمّا خرج إلى بلاد الحبشة ليكِيد جعفرَ بن أبي طالب وأصحابَه عند النّجاشيّ، قال:

تقول ابنتِي أين أين الرّحيلُ ... وما البينُ منّي بمستنكَرِ
فقلتُ دعيني فإنّي امرؤٌ ... أريدُ النّجاشيّ في جَعْفَرِ
لأكويَه عنده كَيّةً ... أقيمُ بها نخوة الأصعَرِ
ولن أنثني عن بني هاشم ... بما اسطعت في الغَيْب والمحضَرِ
وعن عائب اللّات في قوله ... ولو لَا رضا اللّات لم تمطرِ
وإنّي لأشْنَى قريشٍ له ... وإن كان كالذّهب الأحمرِ

قالوا: فكان عمرو يُسمى الشّانئ ابن الشّانئ، لأنّ أباه كان إذا مرّ عليه رسول الله ﷺ بمكّة يقول له: والله إنّي لأشنؤك، وفيه أنزل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[2].

قالوا: فكتب أبو طالب إلى النّجاشيّ شعرًا يحرّضه فيه على إكرام جعفر و أصحابه والإعراض عمّا يقوله عمرو فيه و فيهم، من جملته:

١ـ ج: «مدّته».

٢ ـ الكوثر/٣.

ألا ليتَ شعري كيف في النّاس جعفرٌ وعمرو و أعداء النّبي الأقاربُ![1]

وهل نال إحسانُ النَّجاشيّ جعفرًا وأصحابه،أمْ عاق عن ذاك شاغبُ!

في أبيات كثيرة. قالوا: وروى عن عليّ عليه السلام أنّه قال: قال لي أبي: يا بنيَ الزم ابنَ عمّك، فإنّك تسلم به من كلّ بأس عاجل وآجل، ثمّ قال لي:

إنّ الوثيقة في لزومِ محمّد فاشدد بصحبته على أيْدِيكا

(١٤ : ٧٥)

الفصل الثّالث ـ[في غزوة بدر]

الفصل الثّالث: في شرح القصّة في غزاة بدر، ونحن نذكر ذلك من كتاب «المغازي» لمحمّد بن عمرالواقديّ، ونذكر ما عساه زاده محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي»، وما زاده [أحمد بن][2] يحيى بن جابر البلاذُريّ في « تاريخ الأشراف».

قال الواقديّ: بلغ[3] رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ عِيرَ قريشٍ قد فصَلت من مكّة تريد الشّام، وقد جمعت قريش فيها أموالَها، فندب لها أصحابه، وخرج يعترضُها على رأس ستّة عشر شهرًا من مهاجَرِه عليه السلام، فخرج في خمسين ومائة ـ ويقال في مائتين ـ فلم يلقَ العيرَ؛ و فاتته ذاهبةً إلى الشّام . . . وهذه غزاة ذي العُشَيرة، رجع منها إلى المدينة فلم يلقَ حربًا، فلمّا تحيّن انصراف العِير من الشّام قافلةً ندب أصحابه لها، وبعث طلحة بن عُبيد الله وسَعِيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل قبل خروجه من المدينة بعشرِ ليال،

---

١ ـ ديوانه: ٢٥

٢ ـ من ا

٣ ـ مغازي الواقديّ: ص ١١ وما بعدها.

يتجسّسان خبر العير، حتّى نزلا على كشد[١] الجهنيّ بالموضع المعروف بالنخبار[٢]، وهو من وراء ذِي المَرْوة على السَّاحل، فأجارهما وأنزلهما، فلم يزالا مقيمين في خباء وبَرٍ حتّى مرّت العير، فرفعهما على نَشَزٍ من الأرض، فنظرا إلى القوم وإلى ما تحمل العير، وجعل أهل العير يقولون لكشد: يا كشد، هل رأيتَ أحدًا من عيون محمّد؟ فيقول: أعوذ بالله، و أنّى لمحمّد عيون بالنُّخبار! فلمّا راحت العير باتا حتّى أصبَحا ثمّ خرجا، وخرج معهما كشد خفيرًا، حتّى أوردهما ذا المرْوَة، وساحلت العِير فأسرعت، وسار بها أصحابُها ليلًا ونهارًا، فَرَقًا من الطَّلب، وقدم طلحة وسعيد المدينة في اليوم الّذِي لَقِيَ رسول الله ﷺ قريشًا ببدر، فخرجا يعترِضَانِ رسول الله ﷺ، فلقياه بتربان ـ وتُربان بين مَلَل والسَّالة على المحجّة، وكانت منزل عروة بن أذينة الشاعر ـ وقدِم كشد بعد ذلك على النَّبي ﷺ، وقد أخبر طلحة وسعيد رسول الله ﷺ بما صَنَع بهما، فحبّاه وأكرمه، وقال: ألا أقطع لك ينبُع؟ قال: إنّي كبير: وقد نفد عمري، ولكن أقطِعها لابن أخي، فأقطعها له[٣].

قالوا: وندب رسول الله ﷺ المسلمين، وقال هذه عِير قريش، فيها أموالُهم لعلّ الله أن يغنِّمكُموها. فأسرع مَنْ أسرع، حتّى أن كان الرَّجل ليساهِم أباه في الخروج، فكان ممّن ساهم أباه سعد بن خَيْثمة، فقال سعد لأبيه: إنّه لو كان غير الجنّة آثرتك به، إنّي لأرجُو الشَّهادة في وجهى هذا، فقال خيثمة: آثرني و قرّمع نسائك، فأبى سعد، فقال خيثمة: إنّه لا بدّ لأحدنا من أن يقيم، فاستَهما، فخرج سهم سعد، فقتِل ببدر.

وأبطأ عن النَّبي ﷺ بشرٌ كثير من أصحابه، وكرهوا خروجَه، وكان في ذلك كلام كثير، واختلاف، وبعضهم تخلّف من أهل النيّات والبصائر، لم يظنّوا أنّه يكون قتال،

---

١ ـ في الإصابة: كسدّ بالسّين المهملة وما أثبته من الأصول يوافق ما في المغازي.

٢ ـ في المغازي الواقديّ: «النّخبار من وراء ذي المروة على السّاحل».

٣ ـ الخبر في الإصابة ٣: ٣٧٧

إنّما هو الخروجُ للغنيمة، ولو ظنّوا أنّه يكون قتال لما تخلّفوا،منهم أُسَيْد بن حُضَيْر، فلمّا قدِم رسول الله ﷺ، قال أُسَيْد: الحمد لله الّذي سرّك وأظهرك على عدوّك، والّذي بعثك بالحقّ ما تخلّفتُ عنك رغبةً بنفسِي عن نفسك، ولاظننت أنّك تلاقي عَدُوًّا، ولاظننتُ إلّا أنّها العِير! فقال له رسول الله ﷺ صدقت.

قال: وخرجَ رسول الله ﷺ، حتّى انتهى إلى المكان المعروف بالبُقْع[1] وهي بيوت السُّقيا[2]، وهي متّصلة ببيوت المدينة، فضرب عسكره هناك، وعرض المقاتلة، فعرض عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ورافع بن خديج، والبَرَاء بن عازب، وأُسَيْد بن ظُهَير، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، فردّهم ولم يُجْزِهُم.

قال الواقديّ: فحدَّثني أبو بكر بن أسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: رأيتُ أخِي عمير بن أبي وقّاص قبل أن يعرضَنا رسول الله ﷺ يتوارَى، فقلت: ما لك يا أخي؟ قال: إنّي أخافُ أن يَراني رسول الله ﷺ فيستصغرَني، فيردّني، وأنا أحبّ الخروجَ، لعلّ الله أن يرزقَنِي الشَّهادة. قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ، فاستصغره، فقال: ارجعْ، فبكى [عمير][3]، فأجازه. قال: فكان سعد يقول: كنت أعقِد له حمائلَ سيفِه من صِغَرِه، فقتِل ببدر وهو ابن ستّ عشرةَ سنَة.

---

١ ـ قال ياقوت «البقع: اسم بئر بالمدينة»، وقال الواقديّ: «البقع من السُّقيا الّتي بنقب بني دينار بالمدينة».

٢ ـ في ياقوت: «عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يستقي الماء العذب من بيوت السّقيا وفي حديث آخر: كان يستعذب الماء العذب من بيوت السّقيا والسّقيا: قرية جامعة من عمل الفرع بينهما ممّا يلي الحجفة تسعة عشر ميلًا... وقال ابن الفقيه: السّقيا من أسافل أودية تهامّة.

٣ ـ من ا و الواقديّ.

قال: فلمّا نزلَ عليه السلام ببيوت السُّقْيا أمرَ أصحابَه أن يستقُوا[1] من بئرهم: وشرب عليه السلام منها، كان أوّل مَنْ شرِب وصلّى عندها، ودعا يومئذ لأهل المدينة، فقال: اللّهم إنّ إبراهيم عبدُك وخليلُك ونبيّك، دعاك لأهلِ مكّة، وإنّي محمّد عبدُك ونبيّك، أدعوك لأهلِ المدينة، أن تبارك لهم في صاعِهم ومُدّهم وثمارهم، أللّهمّ حَبِّب إلينا المدينة، واجعل ما بها من الوباء بجُحْفَة. اللّهمّ إنّي حرّمت ما بين لابَتَيْها، كما حرّم إبراهيم خليلك مكّة.

قال الواقديّ: و خُمّ على ميلين من الجُحفة. و قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه عديّ بن أبي الزّغباء، و بسيس بن عمرو، وجاء إليه عبد الله بن عمرو بن حزام، فقال: يا رسول الله، لقد سرّني منزلُك هذا، وعرضُك فيه أصحابَك، وتفاءلت به، إنّ هذا منزلنا في بني سلمِة، حيث كان بيننا وبين أهل حُسَيكة ما كان.

قال الواقديّ: هي حُسَيكة[2] الذّباب، و الذّباب[3]: جبل بناحية المدينة، وكان بحُسَيكة يهود، وكان لهم بها منازل.

قال عبد الله بن عمرو بن حزام: فعرضنا، يا رسول الله هاهنا أصحابنا، فأجزنا مَنْ كان يطيق السّلاح، وردْنا مَنْ صغُر عن حمل السّلاح، ثمّ سرنا إلى يهود حُسَيكة، و هم أعزّ يهود كانوا يومئذ، فقتلناهم كيف شئنا، فذلّت لنا سائرُ[4] يهود إلى اليوم، وأنا أرجو يا رسول الله أن نلتقِيَ نحن وقريش، فيقرّ الله عينَك منهم.

قال الواقديّ: وكان خلّاد بن عمرو بن الجَموح لمّا كان من النّهار رجع إلى أهله بخُزباء، فقال له أبوه عمرو بن الجموح: ما ظننت إلّا أنّكم قد سِرْتم، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يعرِض النّاس بالبقيع، فقال عمرو: نعم الفأل! والله إنّي لأرجو أن تغنموا

---

١ ـ ب: «يستسقوا»، وأثبت مافي ا و الواقديّ.

٢ ـ حسيكة، ضبطه ياقوت بالتّصغير، وقال: هو موضع بالمدينة في طرق ذباب.

٣ ـ ضبطه ياقوت: «بكسر أوله وباءين»، وقال: جبل بالمدينة له ذكر في المغازي والأخبار.

٤ ـ ب: «اليهود».

وأن تظفرُوا بمشركي قريش، إنّ هذا منزلنا يوم سرنا إلى حُسَيكة.

قال: فإنّ رسول الله ﷺ قد غيّر اسمه، وسمّاه السُّقيا. قال: فكانت في نفسي أن أشتَريها، حتّى اشتراها سعدُ بن أبي وقّاص ببَكْرين، ويقال بسبع أواق، فذكِر للنّبي ﷺ أنّ سعدًا اشتراها، فقال: ربح البيع!

قال الواقديّ: فراح رسول الله ﷺ من بيوت السّقْيا، لاثنتى عشرة ليلة[1] مضت من رَمضان، وخرج المسلمون معه ثلاثمائة وخمسة، وتخلّف ثمانية، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم، فكانت الإبل سبعين بعيرًا، وكانوا يتعاقبون الإبل: الاثنين، والثّلاثة، والأربعة، فكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومَرْثد بن أبي مَرْثد ـ ويقال زيد بن حارثة مكان مَرْثَد ـ يتعاقبون بعيرًا واحدًا، وكان حمزة بن عبد المطّلب، وزيد بن حارثة وأبو كبشة وأنسة، موالي النّبي ﷺ على بعير، وكان عُبيدة بن الحارث والطُّفيل والحصين ابنا الحارث، ومسطح ابن أثاثة على بعير لعبيدة بن الحارث ناضح[2] ابتاعه من أبي داود المازنيّ، وكان مُعاذ وعوف ومعوّذ بنو عفراء ومولاهم أبو الحمراء على بعيرٍ، وكان أبيّ بن كعب وعُمارة بن حِزام وحارثة بن النّعمان على بعير، وكان خِراش بن الصِّمّة وقُطْبة بن عامر ابن حديدة وعبد الله بن عمرو بن حزام على بعير، وكان عُتْبة بن غَزْوان وطليب بن عمير على جَمَلٍ لعتبة بن غزوان يقال له العَبْس، وكان مصعب بن عمير وسُويبط بن حَرْملة ومسعود بن رَبيع عَلَى جمل لمُصعب، وكان عمّار بن ياسر وعبد الله بن مسعود على بعيرٍ، وكان عبد الله بن كعب وأبو داود المازنيّ وسليط بن قيس على جملٍ لعبد الله بن كعب، وكان عثمان بن عفّان وقُدامة بن مظعون وعبد الله بن مَظْعون والسّائب بن عثمان على بعيرٍ يتعاقبون، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرّحمن بن عوف على بعيرٍ، وكان سعد بن مُعاذ

---

١ ـ ساقطة من ب.

٢ ـ النّاضح: البعير يستقي عليه الماء.

وأخوه وابن أخيه الحارث بن أوْس والحارث بن أنس على جمل لسعْد بن مُعاذ ناضحٍ يقال له الذيّال، وكان سعيد بن زيد، وسلمة بن سلامة بن وقش، وعباد بن بشرٍ، ورافع بن يزيد على ناضحٍ لسعيد بن زيد، ما تزوّدُوا إلّا صاعًا من تمر.

قال الواقديّ: فروى مُعاذ بن رفاعَة، عن أبيه، قال: خرجت مع النّبيّ ﷺ إلى بدر، وكان كلّ ثلاثة يتعاقبون بعيرًا، فكنت أنا وأخي خلّاد بن رافع على بكْرٍ لنا ومعنا عُبيدة بن يزيد ابن عامر، فكنّا نتعاقب، فسِرْنا حتّى إذا كنّا بالرَّوْحاء إذ مرّ بنا بَكْرنا وبرِك علينا و أعيا، فقال أخي: اللّهمّ إنّ لك عليّ نذرًا ، لئن رددتَنا إلى المدينة لأنحرنّه، فمرّ بنا النّبيّ ﷺ ونحن على تلك الحال، فقلنا: يا رسول الله، برك علينا بكرُنا، فدعا بماءٍ فتمضمض وتوضّأ في إناء، ثمّ قال: افتحَا فاه، ففعلنا فصبّه في فيه، ثمّ على رأسِه ثمّ على عنقه،ثمّ على حارِكه، ثمّ على سَنَامه، ثمّ على عَجُزه، ثمّ على ذَنَبه، ثمّ قال: اركبا، ومضى رسول الله ﷺ فلحقناه أسفلَ من المنصرف، وإنّ بكرنَا لينفِر بنا، حتّى إذا كنّا بالمصلّى راجعين من بدر، برك علينا، فنحرَه أخي، فقسّم لحمَه و تصدّق به.

قال الواقديّ: وقد رُوِي أنّ سعد بن عُبادة حمَل في بدر على عشرين جملًا. قال: وروِي عن سعد بن أبي وقّاص، أنّه قال: فخرجنا إلى بَدْرٍ مع رسول الله ﷺ ومعنا سبعون بعيرًا، فكانوا يتعاقبون الثّلاثة والأربعة والاثنان على بعير، وكنتُ أنا من أعظم أصحابِ النّبي عليه السلام عنه غَنَاءً، وأرجلَهم رُجْلَة[1]، وأرْمَاهم لِسَهْمٍ، لم أركب خطوة ذاهبًا ولا راجعًا.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ حين فصل من بيوت السُّقيا: اللّهمّ إنّهم حُفاةٌ فاحمِلْهم، وعراةٌ فاكسُهم، وجياع فأشبِعْهم، وعالةٌ فأغنِهم من فضلك؛ فما رجع أحد منهم يريد أن يركب إلّا وجد ظهرًا، للرّجُل البعير و البعيران، و اكتسى مَنْ كان عاريًا،

---

١ ـ الرّجلة بالضّمّ: القوّة على المشي.

وأصابوا طعامًا من أزوادهم، وأصابوا فداء الأسرى[١]، فأغنى به كلّ عائل.

قال: واستعمل رسول الله ﷺ على المشاة قيس بن أبي صعصعة ـ واسم أبي صعصعة عمرو بن يزيد بن عوف بن مبذول ـ وأمره النّبيّ حين فَصَل من بُيُوت السُّقيا أن يعدّ المسلمين، فوقف لهم ببئر أبي عبيدة يعدّهم، ثمّ أخبر النّبي ﷺ، وخرج من بُيوت السُّقيا، حتّى سلك بطن العقيق، ثمّ سلك طريق المكيْمِن[٢]، حتّى خرج على بطحاء بن أزهر؛ فنزل تحت شجرة هناك، فقام أبو بكر إلى حجارة هناك، فبنى منها مسجدًا، فصلّى فيه رسول الله ﷺ، وأصبح يوم الاثنين وهو هناك؛ ثمّ صار إلى بطن مَلَل وتُرْبان بين الحفيرة و ملَل.

قال الواقديّ: فكان سعد بن أبي وقّاص، يقول: لمّا كنّا بتُرْبان، قال لي رسول الله ﷺ: يا سعد، انظر إلى الظّبي، فأفوِّق له بسهم، وقام رسول الله ﷺ فوضع رأسه بين مَنكِبي و أذني، ثمّ قال: اللّهمّ سدّد رميته، قال: فما أخطأ سهمي عن نحره، فتبسّم رسول الله ﷺ، وخرجت أعدُو فأخذته وبه رَمَق فذكّيته[٣]، فحملناه حتّى نزلنا قريبًا، وأمر به رسول الله ﷺ فقسّم بين أصحابه.

قال الواقديّ: وكان معهم فَرَسان: فرس لمرثَد بن أبي مرثَد الغنويّ، وفرس للمقداد بن عمرو البهرانيّ، حليف بني زُهرة، ويقال فرس للزُّبير؛ ولم يكن إلّا فَرَسان لا اختلاف عندهم[٤]، أنّ المقداد له فرس؛ وقد روى عن ضُباعة بنت الزُّبير عن المقداد، قال: كان معي يوم بَدْر فرس يقال له سبحة. وقد روى سعد بن مالك الغَنَويّ عن آبائه أن مرثد بن أبي مرثد الغَنَوي شهد بدرًا على فرس له يقال له السّيل.

---

١ ـ ا: «للأسرى»

٢ ـ المكيمن، ضبطه ياقوت على التّصغير، وقال: «عقيق المدينة» وفي الواقديّ: «المكتمن».

٣ ـ ذكيته: ذبحته.

٤ ـ الواقديّ: «عندهم».

قال الواقديّ: ولحقت قريش بالشّام في عيرها، وكانت العير ألف بعيرٍ، وكان فيها أموال عظام، ولم يبق بمكّة قرشيٌّ ولا قرشيّة له مثقال فصاعدا إلّا بعث به في العِير؛ حتّى إنّ المرأة لتبعثُ بالشّيء التّافه، وكان يقال: إنّ فيها لخمسين ألف دينار. وقالوا: أقلّ، وإن كان ليقال: إنّ أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبي أُحَيحة إمّا مال لهم أو مال مع قوم قراض على النّصف، وكان عامّة العير لهم؛ ويقال: بل كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال ذهبا، وكان يقال للحارث بن عامر بن نوفل فيها ألفا مثقال.

قال الواقديّ: وحدّثني هشام بن عُمارة بن أبي الحُويرث، قال: كان لبني عبد مناف فيها عشرة آلاف مثقال، وكان مَتْجَرُهم إلى غَزّة من أرض الشّام.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الله بن جعفر، عن أبي عوْن مولى المسور، عن مَخْرمة ابن نوفل، قال: لمّا لحقنا بالشّام أدركنا رجلٌ من جُذام، فأخبرنا أنّ محمّدًا قد كان عرض لعيرنا في بدأتنا، وإنّه تركه مقيمًا ينتظر رجعتنا، قد حالف علينا أهلَ الطّريق ووادَعهم.

قال مخرمة: فخرجنا خائفين نخاف الرّصَد، فبعثنا ضمضم بن عمرو حين فَصَلْنا من الشّام.

قال الواقديّ: وكان عمرو بن العاص مع العير، وكان يحدّث بعد ذلك يقول: لمّا كنّا بالزّرقاء ـ والزّرقاء بالشّام من أذرِعات على مرحلتين ـ ونحنُ منحدرون إلى مكّة لقينا رجلًا من جُذام، فقال: قد كان عرض محمّد لكم في بدأتكم في أصحابه، فقلنا: ماشعرنا، قال: بلى، فأقام شهرًا، ثمّ رجع إلى يثرب، وأنتم يوم عرض محمّد لكم مخفّون فهو الآن أحرى أن يعرِض لكم، إنّما يَعُدّ لكم الأيّام عدًّا، فاحذروا على عيركم، وارتئوا آراءكم، فو الله ما أرى من عَدد ولاكُراع ولاحَلْقة [١]. فأجمع القوم أمرهم، فبعثوا

---

١ ـ الحلقة هنا: السّلاح.

ضمضم بن عمرو، وكان في العير، وقد كانت قريش مرّت به وهو بالسّاحل، معه بكران، فاستأجروه بعشرين مثقالًا، وأمره أبو سفيان أن يخبر قريشًا أنّ محمّدًا قد عَرَض لعيرهم، وأمره أن يجدَع بعيره إذا دخل، ويحوّل رحله، ويشقّ قميصَه من قُبُلِه ودُبُره، ويصيح: الغوث الغوث! ويقال: إنّما بعثوه من تَبُوك، وكان في العير ثلاثون رجلًا من قريش؛ فيهم عمرو بن العاص، ومَخرمة بن نوفل.

قال الواقديّ: وقد كانت عاتكة بنت عبد المطّلب رأت قبل مجيء ضمضم بن عمرو رؤيا أفزعتْها، وعظُمت في صدرها، فأرسلت إلى أخيها العبّاس، فقالت: يا أخي، لقد والله رأيت رؤيا أفزعتْني[1] وتخوّفتُ أن يدخل على قومِك منها شرّ ومصيبة، فاكتم عليّ ما أحدّثك منها، رأيت راكبًا أقبل على بعيرٍ حتّى وقف بالأبطح، ثمّ صرّخ بأعلى صوته يا آل غُدَر، انفروا إلى مصارعكم في ثلاث، فصرخ بها ثلاث مرّات، فأرَى النّاس اجتمعوا إليه، ثمّ دخل المسجد، والنّاس يتبعونه إذ مثل به بعيرُه على ظهر الكعبة، فصرخ مثلها ثلاثًا ثمّ مثل به بعيره على رأس أبي قبيس، فصرخ بمثلها ثلاثًا، ثمّ أخذ صخرةً من أبي قبيس فأرسلها، فأقبلت تهوِي، حتّى إذا كانت في أسفل الجبل أرفضّت، فما بقي بيت من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلّا دخلته منها فلذة[2].

قال الواقديّ: وكان عمرو بن العاص يحدّث بعد ذلك فيقول: لقد رأيتُ كلّ هذا، ولقد رأيت في دارنا فلْقة من الصّخرة الّتي انفلقت من أبي قبيس، ولقد كان ذلك عبرة، ولكنّ الله لم يردْ أن نُسلم يومئذ، لكنّه أخّر إسلامنا إلى ما أراد. قلت: كان بعض أصحابنا يقول: لم يكفِ عمرًا أن يقول: رأيتُ الصّخرة في دُور مكّة عِيانًا، فيخرج ذلك مخرج الاستهزاء باطنًا على وَجْه النِّفاق واستخفافه بعقول المسلمين، زعم حتّى يضيف إلى ذلك القول بالخبر الصُّراح فيقول: إنّ الله تعالى لم يكن أراد منه

---

١ ـ الواقدي: «أفظعتها».

٢ ـ الفلذة: القطعة من الحجارة.

الإسلام يومئذ.

قال الواقديّ: قالوا: ولم يدخل دارًا ولا بيتًا من دُور بني هاشم ولا بني زُهرة من تلك الصَّخرة شيء! قال: فقال العبّاس: إنّ هذه لرؤيا، فخرج مغتمًّا، حتّى لقي الوليد بن عتبة ابن ربيعة ـ وكان له صديقًا ـ فذكرها له واستكتمه؛ ففشا الحديث في النَّاس، قال العبّاس: فغدوتُ أطوف بالبيت، وأبو جهل في رَهْطٍ من قريش يتحدّثون برؤيا عاتكة، فقال أبو جهل: ما رأت عاتكة هذه؟ فقلت: وما ذاك؟ فقال: يا بني عبد المطّلب، أمّا رضيتم بأن تتنبّأ رجالكم حتّى تتنبّأ نساؤكم! زعمت عاتكة أنّها رأت في المنام كذا وكذا ـ للّذي رأت ـ فسنتربّص بكم ثلاثًا، فإن يكن ما قالت حقًّا فسيكون، وإن مضت الثَّلاث ولم يكن، نكتبْ عليكم أنّكم أكذبُ أهل بيت في العرب! فقال له العبّاس: يا مصفّر أسته، أنت أوْلَى بالكذب واللؤم منّا! فقال أبو جهل: إنّا استبقْنا المجد وأنتم، فقلتم: فينا السِّقاية، فقلنا: لا نبالي، تسقون الحجّاج، ثمّ قلتم: فينا الحجابة، فقلنا: لا نبالي تحجبون البيت، ثمّ قلتم: فينا النَّدوة، قلنا: لا نبالي يكون الطَّعام فتطعمون النَّاس. ثمّ قلتم: فينا الرِّفادة، فقلنا: لا نبالي، تجمعون عندكم ما ترفدون به الضَّعيف، فلمّا أطعمنا النَّاس وأطعمتم، وازدحمت الرَّكب واستبقْنا المجد، فكنّا كفَرسَيْ رِهان، قلتم: منّا نبيٌّ، ثمّ قلتم: منّا نبيّة! فلا واللّات والعُزَّى لا كان هذا أبدًا.

قلت: لا أرى كلام أبي الجهل منتظمًا؛ لأنّه إذا سلّم للعبّاس أنّ هذه الخصال كلّها فيهم، وهي الخصال الّتي تشرُف بها القبائل بعضُها على بعض، فكيف يقول: لا نبالي لا نبالي! وكيف يقول: فلمّا أطعمنا للنَّاس وأطعمتم، وقد كان الكلام منتظمًا، لو قال: و لنا بإزاء هذه المفاخر كذا وكذا، ثمّ يقول بعد ذلك: استبقنا المجد فكنّا كفرسَيْ رهان، و ازدحمت الرّكب؛ ولم يقل شيئًا ولا عدّ مآثره، ولعلّ أبا جهل قد قال ما لم ينقل.

قال الواقديّ: قال العبّاس: فو الله ما كان منّي غير أنّي جحدت ذلك، وأنكرت أن تكون عاتكة رأت شيئًا، فلمّا أمسيتُ لم تبق امرأة أصابَتْها ولادة عبد المطّلب إلّا

جاءت، فقلن لي: أرضيتم بهذا الفاسق الخبيث يقع في رجالكم، ثمّ قد تناول نساءكم! ولم تكن لك عند ذلك غيرة! فقلت: و الله ما قلت إلّا لأنّي لا أبالي به، و لايمُ الله لأعرِضنّ له غدًا، فإن عاد كفيتُكُنّ إيّاه. فلمّا أصبحوا من ذلك اليوم الّذي رأت فيه عاتكة ما رأتْ، قال أبو جهل: هذه ثلاثة أيّام ما بقي. قال العبّاس: وغدوتُ في اليوم الثّالث، وأنا حديد مغضَب، أرى أن قد فاتني منه أمر أحبّ أن أدركه، وأذكر ما أحفظني به النِّساء من مقالتهنّ، فو الله إنّي لأمشي نحوه ـ وكان رجلًا خفيفًا حديد الوجه حديد اللِّسان حديد النَّظر ـ إذ خرج نحو باب بني سَهْم يشتدّ، فقلت: ما باله لعنه الله! أكلَّ هذا فَرَقا من أن أشاتمه! فإذا هو قد سمع صوت ضَمْضم بن عمرو وهو يقول: يا معشر قريش، يا آل لؤيّ بن غالب، اللَّطيمة قد عرض لها محمّد في أصحابه! الغوث الغوث! والله ما أرى أن تدركوها، وضمضم ينادي بذلك في بطن الوادي، وقد جَدَع أذنى بعيره وشقّ قميصه قُبُلًا و دُبُرًا، وحوّل رحله، وكان يقول: لقد رأيتُني قبل أن أدخل مكّة وإنّي لأرى في النّوم وأنا علي راحلتي كأنّ وادى مكّة يسيل من أسفله إلى أعلاه دمًا، فاستيقظت فزعًا مذعورًا، فكرهتُها لقريش، ووقع في نفسي أنّها مصيبة في أنفسهم.

قال الواقديّ: وكان عمير بن وهب الجُمَحيّ يقول: ما رأيت أعجبَ من أمر ضمضم قطّ، وما صرّح على لسانه إلّا شيطان! كأنّه لم يملّكْنا من أمورنا شيئًا، حتّى نفَرنا على الصَّعْب والذَّلول، وكان حكيم بن حزام يقول: ما كان الّذي جاءنا فاستنفرنا إلى العير إنسانًا! إنّ هو إلّا شيطان، قيل: كيف يا أبا خالد؟ قال: إنّي لأعجب منه، ما ملكنا من أمرنا شيئًا.

قال الواقديّ: فجهّز النّاس وشُغل بعضهم عن بعض، وكان النّاس بين رجلين: إمّا خارج وإمّا باعث مكانَه رجلًا، وأشفقت قريش لرؤيا عاتكة، وسُرّ بنو هاشم.

وقال قائلهم: كلّا، زعمتم أنّا كذبنا وكذبتْ عاتكة! فأقامت قريش ثلاثًا تتجهّز ـ و يقال يومين ـ وأخرجت أسلحَتها واشترَوا سلاحًا، وأعان قويُّهم ضعيفَهم، وقام

سُهَيل ابن عمرو في رجال من قريش، فقال: يا معشرَ قريش، هذا محمّد والصُّباة معه من سُبّانكم وأهل يثرب قد عرَضوا لعيركم ولطيمتكم [١]، فمن أراد ظهرًا فهذا ظهرٌ، ومَنْ أراد قوّةً فهذه قوّةٌ. وقام زمعة بن الأسود، فقال: إنّه واللّات والعزّى ما نزل بكم أمر أعظم من أن طمع محمّد وأهل يثرب أن يعرِضوا لعيركم فيها خزائنكم؛ فأوعِبوا [٢] ولا يتخلّف منكم أحد، ومَنْ كان لا قوّة له فهذه قوّة، والله لئن أصابها محمّد وأصحابه لا يروعكم منهم إلّا وقد دخلوا عليكم بيوتَكم.

وقال طُعيمة بن عديّ: يا معشر قريش، والله ما نزل بكم أمرٌ أجلّ من هذه! أنْ يُستباح عيركم، ولطيمة قريش فيها أموالكم وخزائنكم؛ والله ما أعرف رجلًا ولا امرأة من بني عبد مناف له نَشٌّ [٣] فصاعدًا، إلّا وهو في هذه العير، فمن كان لا قوّة به فعندنا قوّة نحمله ونقوّيه. فحمل على عشرين بعيرًا وقوى بهم، وخلّفهم في أهلهم بمعونة. وقام حنظلة بن أبي سفيان وعمرو بن أبي سفيان فحضّا النّاس على الخروج، ولم يدعَوا إلى قوّة ولا حُمْلان؛ فقيل لهما: ألا تدعُوان إلى ما دعا إليه قومكما من الحملان؟ قالا: والله ما لنا مال، وما المال إلّا لأبي سفيان.

ومشى نوفل بن معاوية الدّيلميّ إلى أهل القوّة من قريش، وكلّمهم في بذْل النَّفَقة والحُملان لمن خَرج، فكلّم عبد الله بن أبي ربيعة، فقال: هذه خمسمائة دينار تضعُها حيث رأيت، وكلّم حُوَيطب بن عبد العُزّى، فأخذ منه مائتي دينار أو ثلثمائة، ثمّ قوىَ بها في السّلاح والظَّهْر.

قال الواقديّ: وذكروا أنّه كان لا يتخلّف أحدٌ من قريش إلّا بعث مكانه بَعْثًا، فمشت قريش إلى أبي لهب، فقالوا له: إنّك سيّد من سادات قريش، وإنّك إن تخلّفت عن النَّفير يعتبر بك غيرُك من قومك، فاخرُج أو أبعث رجلًا، فقال: و اللّات والعُزّى لا

---

١ ـ اللَّطيمة: التّجارة؛ وقيل: اللَّطيمة: العطر خاصّة.

٢ ـ أوعبوا: استعدوا.

٣ ـ النَّش: وزن نواة من ذهب.

أخرجُ ولا أبعث أحدًا، فجاءه أبو جهل فقال: أقم يا أبا عتبة، فو الله ما خرجنا إلّا غضبًا لدينك و دين آبائك! وخاف أبو جهل أن يُسْلِم أبو لهب، فسكت أبو لهب ولم يخرج ولم يبعث، وما منع أباهب أن يخرج إلّا الإشفاقُ من رُؤيا عاتكة، كان يقول: إنّما رؤيا عاتكة أخذ باليد، ويقال إنّه بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكان له عليه دَين، فقال: أُخرج و دَيْني عليك لك، فخرج عنه.

وقال محمّد بن إسحاق في المَغازي: كان دَيْن أبي لهب على العاص بن هشام أربعة آلاف درهم، فمطله بها وأفلس، فتركها له على أن يكون مكانه، فخرج مكانه.

قال الواقديّ: وأخرج عُتْبة وشيبة دروعًا لهما، فنظر إليهما مولاهما عدّاس وهما يصلِحان دروعهما وآلةَ حربهما، فقال: ما تريدان؟ فقالا: ألم ترإلى الرّجل الّذي أرسلناك إليه بالعَنب في كَرْمنا بالطّائف؟ قال: نعم، قالا: نخرج فنقاتله، فبكى، وقال: لا تخرجا، فو الله إنّه لنبيّ، فأبيا فخرجا، وخرج معهما فقُتِل ببدر معهما.

قلت: حديث العِنب في كَرْم ابني ربيعة بالطّائف، قد ذكره أرباب السِّيرة، وشرحه الطّبري في التّاريخ، قال: لمّا مات أبو طالب بمكّة طمعت قريش في رسول الله ﷺ ونالت منه ما لم تكن تناله في حياة أبي طالب، فخرج من مكّة خائفًا على نفسه مهاجرًا إلى ربّه يؤمّ الطّائف، راجيًا أن يدعوَ أهلَها إلى الإسلام فيجيبوه، وذلك في شوّال من سنة عشر من النُّبوّة، فأقام بالطّائف عشرة أيّام، وقيل شهرًا، لا يدع أحدًا من أشراف ثقِيف إلّا جاءه وكلّمه، فلم يجيبوه، وأشاروا عليه أن يخرج عن أرضهم، ويلحق بمَجاهل الأرض وبحيث لا يعرف، و أغرَوْا به سفهاءَهم، فرمَوْه بالحجارة، حتّى إنّ رجليْه لتدْمَيان، فكان معه زيد بن حارثة، فكان يقيه بنفسِه، حتّى لقد شُجّ في رأسه.

والشّيعة تروى أنّ علي بن أبي طالب كان معه أيضًا في هجرة الطّائف، فانصرف رسول الله ﷺ عن ثَقِيف وهو محزون، بعد أن مشى إلى عبد ياليل ومسعود وحبيب ابني عمرو بن عمير، وهم يومئذ سادة ثقيف، فجلس إليهم، ودعاهم إلى الله وإلى

نصرته والقيام معه على قومه، فقال له أحدهم: أنا أمرُط[1] بباب الكعبة، إن كان الله أرسلك! وقال الآخر: أمَا وجد الله أحدًا أرسلَه غيرك! وقال الثّالث: والله لا أكلّمك كلمة أبدًا، لئن كنتَ رسولًا من الله كما تقول، لأنت أعظمُ خطرًا من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنتَ كاذبًا على الله ما ينبغي أن أكلّمك. فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خَيْر ثقيف، واجتمع عليه صِبيانهم وسفهاؤهم، وصاحوا به وسبُّوه وطردُوه، حتّى اجتمع عليه النّاس يعجَبون منه، وألجؤوه بالحجارة والطّرد والشّتم إلى حائط[2] لعُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما يومئذ في الحائط، فلمّا دخل الحائط رجع عنه سفهاء ثَقِيف، فعَمَد إلى ظلّ حَبَلة[3] منه فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران ويرَيان ما لقِيَ من سفهاء ثقيف.

قال الطّبريّ: فلمّا اطمأنّ به قال ـ فيما ذُكِر لي: اللّهمّ إليك أشكو ضعفَ قوّتي وقلّة حيلتي و هواني على النّاس، يا أرحمَ الرّاحمين، أنت ربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تَكلُني! إلى بعيد فيتجهّمني، أمّ إلى عدوّ ملّكتَه أمري، فإن لم يكن منك غضب عليّ فلا أبالي! و لكنّ عافيتُك هي أوسع لي، أعوذ بنورِ وجهك الّذي أشرقَتْ به الظُّلمات، وصَلح عليه أمرُ الدُّنيا والآخرة، من أن ينزِل بي غضبُك، أو يحلّ عليّ سَخطك، لك العتبى حتّى ترضى، لا حول و لا قوّة إلّا بك! فلمّا رأى عُتْبة وشيبة ما لقِيَ تحرّكت له رحِمُهما، فدعَوَا غلامًا نَصرانيًّا لهما، يقال له عدّاس، فقالا له: خذ قِطفًا[4] من هذا العنب وضعْه في ذلك الطّبق، ثمّ اذهب به إلى ذلك الرَّجل، وقل له فليأكل منه، ففعل وأقبل به حتّى وضعه بين يديه، فوضع يده فيه، فقال: بسم الله، وأكل، فقال عدّاس: والله إنّ هذه الكلمة لا يقول ها أهلُ هذه البلدة، فقال له رسول

---

١ ـ في الطبريّ: «هو يمرط ثياب الكعبة»، أي يمزقها.

٢ ـ الحائط هنا: البستان.

٣ ـ الحبلة: الكرمة.

٤ ـ القطف: عنقود العنب. وهو في الأصل ما يقطف.

الله ﷺ: مِنْ أيّ البلاد أنت؟ وما دينُك؟ قال: أنا نصرانيّ من أهل نينَوَى، قال: أمِنْ قرية الرَّجل الصّالح يونس بن مَتّى؟ قال: وما يدريك مَنْ يونس بن متّى؟ قال: ذاك أخي، كان نَبيًّا وأنا نبيّ. فأكبّ عدّاس على يديه ورجليه ورأسه يقبّلها، قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أمّا غلامك فقد أفسدَه عليك، فلمّا جاءهما قالا: ويلك يا عدّاس! ما لك تقبّل رأسَ هذا الرّجل ويديه وقدميه! قال: يا سيّدي، ما في الأرض خير من هذا، فقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلّا نبيّ[1].

قال الواقديّ: واستقسمت قريش بالأزلام عند هُبَل للخروج، واستقسم أميّة بن خلَف وعُتْبة وشيْبة بالآمر والنّاهي، فخرج القِدْح[2] النّاهي، فأجمعوا المقام حتّى أزعجهم أبو جهل، فقال: ما استقسمتُ ولانتخلّف عن عِيرنا.

قال الواقديّ: لمّا توجّه زمْعة بن الأسود خارجًا، فكان بذى طُوًى أخرج قِداحه، واستقسم بها، فخرج النّاهي عن الخروج، فلقي غيظًا، ثمّ أعادها الثّانية فخرج مثل ذلك فكسرها، وقال: ما رأيت كاليوم قِدْحًا أكذب! و مرّ به سُهَيل بن عمرو وهو على تلك الحال، فقال: ما لي أراك غضبان يا أبا حُكَيمة؟ فأخبره زمْعة، فقال: امضِ عنك أيّها الرّجل، قد أخبرني عُمير بن وهب أنّه لقيَه مثل الّذي أخبرتني، فمضوا على هذا الحديث[3].

قال الواقديّ: وحدّثني موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه، قال: قال أبو سفيان ابن حرب لضمضم: إذا قدمت على قريش فقل لها: لا تستقسم بالأزلام.

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن عبد الله، عن الزُّهريّ، عن أبي بكر بن سُليم بن أبي خَيْثَمة، قال: سمعتُ حكيم بن حزام يقول: ما توجّهتُ وجهًا قطّ كان أكرهَ إليّ من مسيري إلى بدر، و لا بان لي في وجه قطّ ما بان لي قبل أن أخرج، ثمّ قال: قدم

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ٢: ٣٤٥، ٣٤٦ (طبعة المعارف).

٢ ـ القدح هنا: السّهم الّذي كانوا يستقسمون به.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٢٧.

ضمضم، فصاح بالنّفير فاستقسمت بالأزلام، كلُّ ذلك يخرج الّذي أكره، ثمّ خرجت على ذلك حتّى نزلنا مَرّ الظّهران، فنحَر ابنُ الحنظليّة جَزورا منها بها حياة، فما بقيَ خِباء من أخبية العسكر إلّا أصابه من دمها، فكان هذا بيّن[1]، ثمّ هممتُ بالرُّجوع، ثمّ أذكر ابن الحنظليّة و شؤمه؛ فيردّني حتّى مضيت لوجهي. وكان حكيم يقول: لقد رأينا حين بلغنا الثّنيّة البيضاء ـ وهي الثّنية الّتي تهبطك على فَخّ وأنت مقبل من المدينة ـ إذا عدّاس جالس عليها، والنّاس يمرُّون، إذ مَرّ علينا ابنا ربيعة، فوثب إليهما، فأخذ بأرجلهما في غَرْزِهما، وهو يقول: بأبي أنتما وأمّي! والله إنّه لرسول الله ﷺ، وما تُساقانِ إلّا إلى مصارعكما! وإنّ عينيه لتسيل دمعًا على خدّيه، فأردت أنْ أرجع أيضًا، ثمّ مضيت و مرّ به العاص بنُ منبّه بن الحجّاج، فوقف عليه حين ولّى عُتْبة وشَيْبة، فقال: ما يبكيك؟ قال: يبكيني سيّدي ـ أو سيّدا أهل[2] الوادي ـ يخرجان إلى مصارعهما، ويقاتلان رسول الله ﷺ فقال العاص: وإنّ محمّدًا لرسول الله! فانتفض عدّاس انتفاضة و اقشعرّ جلدُه، ثمّ بكى، وقال: إي و الله، إنّه لرسول الله إلى النّاس كافّة. قال: فأسلم العاص بن منبّه، ومضى وهو على الشكّ، حتّى قُتِل مع المشركين على شكّ وارتياب. ويقال: رجع عدّاس ولم يشهد بدرًا، ويقال: شهد بدرًا وقتل.

قال الواقديّ: والقول الأوّل أثبت عندنا.

قال الواقديّ: وخرج سعد بن مُعاذ معتمرًا قَبْل بدر، فنزل على أميّة بن خلف، فأتاه أبو جهل، وقال: أتترك هذا وقد آوَى محمّدًا و آذنَنا بالحرب! فقال سعد بن معاذ: قل ما شئت، أما إنّ طريق عيركم علينا، قال أميّة بن خلف: مَهْ! لا تقلْ هذا لأبي الحكم فإنّه سيّد أهل الوادي قال سعد بن معاذ: وأنت تقول ذلك يا أميّة؟ أمّا والله لَسمِعت محمّدًا يقول: لأقتلنّ أميّة بن خلَف، قال أميّة: أنت سمعتَه؟ قال سعد بن

---

١ ـ في الأصول: «بينه» والتّصويب من الواقديّ.

٢ ـ الواقديّ: ٢٨ «يبكيني سيّداي وسيّدا أهل الوادي».

معاذ: فقلت: نعم، قال: فوقع في نفسه، فلمّا جاء النّفير أبَى أميّة أن يخرج معهم إلى بدر، فأتاه عُقْبة بن أبي مُعَيْط وأبو جهل، ومع عقبة مَجْمرة فيها بَخور، ومع أبي الجهل مكحلة ومِرْود، فأدخلها عقبة تحته، فقال: تبخّر، فإنّما أنت امرأة، وقال أبو جهل: اكتحل فإنّما أنت امرأة. فقال أميّة: ابتاعوا لي أفضل بعيرٍ في الوادي، فابتاعوا له جملًا بثلاثمائة دينار من نَعم بني قُشير، فغنِمه المسلمون يوم بَدْر، فصار في سهم حُبَيب[1] بن يساف.

قال الواقديّ: وقالوا ما كان أحد ممّن خرج إلى العِير أكرَه للخروج، من الحارث ابن عامر، وقال: ليت قريشًا تعزم على القعود و أنّ مالي في العير تلف ومال بني عبد مناف أيضًا، فيقال له: إنّك سيّدُ من ساداتها، أفلا تردعها عن الخروج؟ قال: إنّي أرى قريشًا قد أزمعت على الخروج، ولا أرى أحدًا به طِرْق[2] تخلّف إلّا من علّة، وأنا أكره خلافها، وما أحبّ أن تعلم قريش ما أقول، على أنّ ابن الحنظليّة رجل مشئوم على قومه، ما أعلمه إلّا يحرز قومه أهل يثرب، ولقد قسم الحارث[3] مالًا من ماله بين ولده، ووقع في نفسه أنّه لا يرجع إلى مكّة، وجاءه ضمضم بن عمرو، وكانت للحارث عنده أياد، فقال: أباعامر، إنّي رأيت رؤيا كرهتُها، وإنّي لك اليَقْظان على راحلتي وأراكم أنّ واديَكم يسيل دمًا من أسفله إلى أعلاه، فقال الحارث: ما خرج أحد وجهًا من الوجوه أكرَه له من وجهي هذا، قال: يقول ضمضم: والله إنّي لأرى لك أن تجلس، فقال الحارث: لو سمعت هذا منك قبل أن أخرُج ما سرت خطوة، فاطوِ هذا الخبر أن تعلمه قريش، فإنّها تعّهم كلّ من عوّقها عن المسير ـ وكان ضمضم قد ذكر هذا الحديث للحارث ببطن يأجج[4] ـ قالوا: وكرهت قريش أهل الرّأى منهم المسيرَ، ومشى بعضُهم

---

١ ـ الواقديّ: ٢٩، وفي الأصول «حبيب»، والتّصويب من الواقديّ والإصابة.

٢ ـ طرق، أي قوّة.

٣ ـ ساقطة من الواقديّ.

٤ ـ الأصول: «تأجّج»، وأثبت ما في الواقديّ.

إلى بعض، وكان ممّن أبطأ بهم عن ذلك الحارث بن عامر، وأميّة بن خلف، وعُتْبة وشيبة ابنا ربيعة، وحكيم بن حزام و أبو البَخْتريّ، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منبّه، حتّى بكّتهم أبو جهل بالجُبن، وأعانه عُقْبة بن أبي مُعَيط والنّضر بن الحارث بن كلدَة، وحضُّوهم على الخروج، وقالوا: هذا فعل النِّساء. فأجمعوا المَسير، وقالت قريش: لا تدعُوَا أحدًا من عدوّكم خَلْفكم[1].

قال الواقديّ: وممّا استدلّ به على كراهة الحارث بن عامر للخروج وعُتْبة وشَيْبة، أنّه ما عرض رجل منهم حُملانًا، ولا حملوا أحدًا من النّاس، وإنْ كان الرَّجل ليأتيهم حليفًا أو عديدًا، ولا قوّة له، فيطلب الحملان منهم، فيقولون: إنْ كان لك مال وأحببتَ أن تخرج فافعل وإلّا فأقم، حتّى كانت قريش تعرف ذلك منهم.

قال الواقديّ: فلمّا اجتمعت قريش إلى الخروج والمسير، ذكروا الّذي بينهم وبين بني بكر من العداوة، وخافوهم على مَنْ يخلفونه، وكان أشدّهم خوفًا عُتْبة بن ربيعة، وكان يقول: يا معشَر قريش، إنّكم وإن ظفرتم بالّذي تريدون، فإنّا لا نأمن على مَنْ نخلّف، إنّما نخلّف نساء ولا ذرّيّة ومن لا طَعم به فارتئوا آراءكم[2]، فتصوّر لهم إبليس في صورة سُراقة بن جعشم المدلجيّ فقال: يا معشر قريش، قد عرفتم شرفي ومكاني في قومي، أنا لكم جار أن تأتِيَكم كنانة بشيء تكرهونه، فطابت نفس عُتْبة، وقال له أبو جهل: فما تريد؟ هذا سيّد كنانة، هو لنا جارٌ عَلَى[3] من نخلّف، فقال عتبة: لاشيء، أنا خارج[4].

قال الواقديّ: وكان الّذي بين بني كنانة وقريش أنّ ابنًا لحفص بن الأحنف أحد بني مُعَيط بن عامر بن لؤيّ، خرج يبغِي ضالّة، وهو غلام في رأسه ذؤابة، وعليه

---

١ ـ الواقديّ: ٣٠.

٢ ـ الواقديّ: «رأيكم».

٣ ـ الواقديّ: «علامَ نتخلّف!».

٤ ـ الواقديّ: ٣١، ٣٢.

حُلّة، وكان غلامًا وضيئًا، فمرّ بعامر بن يزيد بن عامر بن الملوّح بن يعمر، أحد رؤساء بني كنانة ـ وكان بضَجْنان ـ فقال: مَنْ أنت يا غلام؟ قال: ابن لحفص بن الأحنف، فقال: يا بني بكر، ألكم في قريش دم؟ قالوا: نعم، قال: ما كان رجل يقتل هذا برجله إلّا استوفى، فأتبعه رجلٌ من بني بكر فقَتله بدمٍ له في قريش؛ فتكلّمت فيه قريش، فقال عامر ابن يزيد: قد كانت لنا فيكم دماء، فإن شئتم فأدُّوا ما لنا قبَلكم ونؤدّي إليكم ما كان فينا، وإن شئتم فإنّما هو الدَم؛ رجل برجل؛ وإن شئتم فتجافَوْا عنّا فيما قِبَلنا، ونتجافى عنكم فيما قبلَكم. فهان ذلك الغلام على قريش، وقالوا: صدق! رجل برجل؛ فلهَوْا عنه أن يطلبوا بدمه، فبينا أخوه مكرز بن حفص بمرّ الظَّهران، إذ نظر عامر بن يزيد وهو سيّد بني بكر على جمل له؛ فلمّا رآه قال: ما أطلب أثرًا بعد عين! وأناخ بعيره، وهو متوشّح سيفَه، فعلاه به حتّى قتله، ثمّ أتى مكّة من اللّيل، فعلّق سيف عامر بن يزيد، بأستار الكعبة، فلمّا أصبحت قريش رأوْا سيف عامر بن يزيد، فعرفوا أنّ مكْرز بن حفص قتله، وقد كانت تسمع من مكْرز في ذلك قولًا، وجزعت بنو بكْر من قتل سيّدها، فكانت معدّة لقتل رجلين من قريش سيّدين أو ثلاثة من ساداتها، فجاء النّفير وهم على هذا الأمر، فخافوهم على مَنْ تخلّف بمكّة من ذراريّهم، فلمّا قال سراقة ما قال وهو ينطق بلسان أبليس شجُع القوم.

قال الواقديّ: وخرجت قريش سِراعًا، وخرجوا بالقيان والدّفوف؛ سارة مولاة عمرو ابن هاشم بن عبد المطلّب وعزّة مولاة أسود بن المطلّب، وفلانة مولاة أميّة بن خلَف، يغنّين في كلّ منهل، وينحرون الجُزر، وخرجوا بالجيش يتقاذفون بالحراب، وخرجوا بتسعمائة وخمسين مقاتلًا، وقادوا مائة فَرَس، بطرًا ورئاء النّاس؛ كما ذكر الله تعالى في كتابه[1]؛ وأبو جهل يقول أيظنّ محمّد أن يصيب منّا ما أصاب بنخْلة

---

١ ــ ذكر الواقديّ بعدها الآية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ... ﴾. الأنفال/٤٧.

وأصحابه؛ سيعلم أنمنع[١] عيرنا أم لا[٢].

قلت: سريّة نخلة سريّة قبل بَدْر، وكان أميرها عبد الله بن جَحْش قتل فيها عمرو ابن الحضرميّ، حليف بني عَبْد شمس، قتله واقد بن عبد الله التّميميّ، رماه بسهم فقتله، وأسر الحكم بن كَيْسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، واستاق المسلمون العِير؛ وكانت خمسمائة بعير فخمّسها رسول الله ﷺ، وقسّم أربعمائة فيمن شهدها من المسلمين؛ وهم مائتا رجل، فأصاب كلّ رجل بعيران.

قال الواقديّ: وكانت الخيل لأهل القوّة منهم، وكان في بني مخزوم منها ثلاثون فرسًا، وكانت الإبل سبعمائة بعير، وكان أهل الخيل كلّهم دارع، وكانوا مائة؛ وكان في الرّجالة دروع سوى ذلك.

قال الواقديّ: وأقبل أبو سفيان بالعير، وخاف هو وأصحابه خوفًا شديدًا حين دنوا من المدينة، واستبطئوا ضمضما والنّفير، فلمّا كانت اللّيلة الّتي يُصْبحون فيها على ماء بدر، جعلت العير تقبِلُ بوجوهها إلى ماء بدر؛ وكانوا باتوا من وراء بدر آخر ليلتهم، وهم على أن يُصبحوا بدرًا؛ إن لم يعترض لهم؛ فما أقرّتهم العير حتّى ضربوها بالعُقُل[٣] على أنّ بعضها ليُثْنَى بعِقَالين، وهي ترجّع[٤] الحنين، تواردًا إلى ماء بدر؛ وما إنّ بها إلى الماء من حاجة، لقد شربت بالأمس؛ وجعل أهل العير يقولون: إنّ هذا شيء ما صَنَعَتْه الإبل منذ خرجنا، قالوا: وغشينا تلك اللّيلة ظُلمة شديدة حتّى ما نبصر شيئًا[٥] شيئًا[٥].

قال الواقديّ: وكان بسبس بن عمرو وعديّ بن أبي الزّغباء وَرَدَا على مجديّ بدرًا

---

١ ـ الواقديّ: «أمنع».

٢ ـ الواقديّ: ٣٢، ٣٣.

٣ ـ العقل: جمع عقال؛ وهو الرّباط الّذي تعقل به الدّابة.

٤ ـ الواقديّ: «ترجع».

٥ ـ الواقديّ: ٣٣، ٣٤.

يتجسّسان[١] الخبر، فلمّا نزلا ماء بدر، أناخا راحلتيهما إلى قريب من الماء، ثمّ أخذا أسقيتهما، يسقيان من الماء، فسمعا جاريتين من جواري جُهينة، يقال لإحداهما برزة وهي تلزم صاحبتها في درهم، كان لها عليها وصاحبتها تقول: إنّما العير غدًا أو بعد غد قد نزلت؛ و مجديّ بن عمر يسمعها، فقال صدقت، فلمّا سمع ذلك بسبس و عديّ انطلقا راجعين إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله حتّى أتياه بعرق الظّبيّة، فأخبراه الخبر.

قال الواقديّ: وحدّثني كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنيّ، عن أبيه، عن جدّه ـ وكان أحدَ البكّائين ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد سلك فَجّ الرَّوْحاء موسى النّبي عليه السلام في سبعين ألفًا من بني إسرائيل وصلّوا في المسجد الّذي بعِرْق الظّبْية. قال الواقديّ: وهي من الرّوْحاء على ميلين ممّا يلي المدينة؛ إذا خرجت على يسارك[٢].

قال الواقديّ: وأصبح أبو سفيان ببدْر، قد تقدّم العِير وهو خائف من الرّصَد فقال: يا مجديّ، هل أحسست أحدًا! تعلّم والله ما بمكّة قرشيّ ولا قرشيّة له نُشّ[٣] فصاعدا ـ و النُّش نصف أوقية وزن عشرين درهمًا ـ إلّا و قد بعث به معنا! ولئن كتمتَنا شأن عدوّنا لا يصالحك رجلٌ من قريش ما بلّ بحُر صوفة[٤]. فقال مجديّ: والله ما رأيت أحدًا أنكره، ولا بينك وبين يثرب من عدوّ، ولو كان بينك وبينها عدوّ لم يخْفَ علينا، وما كنت لأخفيَه عنك؛ إلّا أنّي قد رأيت راكبيْن أتيا إلى هذا المكان ـ وأشار إلى مناخ عديّ وبسبس ـ فأناخا به، ثمّ استقيا بأسقيتهما؛ ثمّ انصرفا. فجاء أبو سفيان مناخهما، فأخذ أبعارًا من أبعار بعيريْهما ففتّها، فإذا فيها نوًى، فقال: هذه والله

---

١ ـ الواقديّ: «يتحسّسان».

٢ ـ قال الواقديّ: «وهي من الرّوحاء على ميلين ممّا يلي المدينة إذا خرجت على يسارك».

٣ ـ قال الواقديّ: «والنّش: نصف أوقية، وزن عشرين درهمًا».

٤ ـ في اللّسان: «صرف البحر شيء على شكل هذا الصّوف الحيوانيّ واحدته صوفه»، ومن الأبيات قولهم: «لا آتيك ما بلّ بحر صوفة».

علائف يثرب! هذه والله عيون محمّد وأصحابه، ما أرى القوم إلّا قريبًا، فضرب وجه عِيره فساحل[١] بها، وترك بدرًا يسارًا وانطلق سريعًا، وأقبلت قريش من مكّة ينزلون كلّ منهل يطعمون الطّعام مَنْ أتاهم، وينحرون الجزور، فبينا هم كذلك في مسيرهم إذ تخلّف عُتبة وشَيْبة؛ وهما يتردّدان، قال أحدهما لصاحبه: ألم ترإلى رؤيا عاتكة بنت عبد المطلّب لقد خشيتُ[٢] منها ؛ قال الآخر: فاذكرها؛ وذكرها، فادركهما أبو جهل، فقال: ما تتحادثون به؟ قالا: نذكر رؤيا عاتكة، قال: يا عجبًا من بني عبد المطلّب! لم يرضَوْا أن تتنبّأ علينا رجالهم حتّى تنبّأت علينا النِّساء! أمَا والله لئن رجعنا إلى مكّة لنفعلنّ بهم و لنفعلنّ! قال عتبه: إنّ لهم أرحامًا و قرابة قريبة. ثمّ قال أحدهما لصاحبه: هل لك أن ترجع؟ قال أبو جهل: أترجعان بعد ما سرنا فتخذلان قومكما، وتقطعان بهم بعد أن رأيتم ثأركم بأعينكم! أتظنّان أنّ محمّدًا وأصحابه يلاقونكما! كلّا والله، إنّ معي مِنْ قومي مائة وثمانين كلّهم من أهل بيتي يُحلّون إذا أحللت، ويرحلون إذا رحلت، فارجعا إن شئتما. قالا: والله لقد هلكت وأهلكت قومك.

ثمّ قال عتبة لأخيه شيبة: إنّ هذا رجل مشئوم ـ يعنى أبا جهل ـ وإنّه لا يمسّه من قرابة محمّد ما يمسّنا؛ مع أنّ محمّدًا معه الولد فارجع بنا ودع قوله[٣].

قلت: مراده بقوله «مع أنّ محمّدًا معه الولد»، أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة، كان أسلم وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: فقال شيبة: والله تكون علينا سُبّة يا أبا الوليد أن نرجع الآن بعد ما سرنا فمضينا ثمّ انتهى الى الجُحفة عشاء، فنام جُهيم بن الصّلْت بن مخرمة بن عبد المطلّب بن عبد مناف، فقال: إنّي لَأرَى بين النّائم واليقظان؛ أنظرُإلى رجل أقبل

---

١ ـ سار بها نحو السّاحل.

٢ ـ ب: «سمعت» وأثبت ما في ا والواقديّ.

٣ ـ الواقديّ: ٣٣ و ٣٥.

على فرسٍ معه بعيرله، حتّى وقف عليّ، فقال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وزمعة بن الأسود، وأميّة بن خلف، وأبو البختريّ، وأبو الحكم، ونوفل بن خويلد، في رجال سمّاهم من أشراف قريش؛ وأسر سهيل بن عمرو، وفرّ الحارث بن هشام عن أخيه، قال: وكأنّ قائلا يقول: والله إنّي لأظنّهم الّذين يخرجون إلى مصارعهم. ثمّ قال: أراه ضرب في لَبّة بعيره فأرسله في العسكر، فقال أبو جهل: وهذا نبيّ آخر من بني عبد مناف! ستعلم غدًا مَنْ المقتول؛ نحن أو محمّد وأصحابه! وقالت قريش لجُهيم: إنّما يلعب بك الشّيطان في منامِك، فسترى غدًا خلافَ ما رأيت! يُقتَل أشراف محمّد ويؤسرون. قال: فخلا عتبة بأخيه شيبة، فقال له: هل لك في الرّجوع؟ فهذه الرّؤيا مثل رؤيا عاتكة، ومثل قول عدّاس، والله ما كذبَنا عدّاس؛ ولعمري لئن كان محمّد كاذبًا إنّ في العرب لمن يكفيناه، ولئن كان صادقًا إنّا لأسعد العرب به لَلُحمته. فقال شيبة: هو على ما تقول؛ أفنرجع من بين أهل العسكر؟ فجاء أبو جهل وهما على ذلك فقال: ما تريدان؟ قالا:الرّجوع؛ ألا ترى إلى رؤيا عاتكة؛ وإلى رؤيا جُهيم بن الصَّلْت مع قول عدّاس لنا! فقال: لا تَخْذُلان والله قومكما وتقطعان بهم. قالا: هلكت والله وأهلكت قومَك! فمضيا على ذلك. قال الواقديّ: فلمّا أفلت أبو سفيان بالعير، ورأى أنْ قد أحرزها وأمِن عليها، أرسل إلى قريش قيسَ بن امرئ القيس ـ وكان مع أصحاب العِير ـ خرج معهم من مكّة، فأرسله أبو سفيان يأمرهم بالرُّجوع، ويقول: قد نجتْ عيرُكم وأموالُكم، فلا تحرزوا أنفسَكم أهل يثرب، فلا حاجة لكم فيما وراء ذلك، إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم وأموالَكم، وقد نجّاها الله فإن أبوا عليك فلا يَأبَوْن خَصْلة واحدة؛ يردّون[1] القيان. فعالج قيس بن امرئ القيس قريشًا، فأبت الرُّجوع. قالوا: أمّا القِيان فسنردّهن؛ فردّوهن من الجُحفة[2].

---

١ ـ بعدها في الواقديّ: «فإنّ الحرب إذا أكلت انكلت».

٢ ـ الواقديّ: ٣٦.

قلت: لا أعلم مراد أبي سفيان بردّ القيان، وهو الّذي أخرجهنّ مع الجيش يوم أحُد يحرّضن قريشًا على إدراك الثأر، ويغنّين، ويضربْنَ الدّفوف، فكيف نهى عن ذلك في بدر وفعله في أحُد! وأقول: مَنْ تأمّل الحال علم أنّ قريشًا لم يمكن أن تنتصرَ يوم بدر، لأنّ الّذي خالطها من التّخاذُل والتّواكل وكَراهيَة الحرب وحبّ الرُجوع وخوف اللّقاء وخُفوق الهِمَم وفتور العزائم، ورجوع بني زُهرة وغيرهم من الطّريق، واختلاف آرائهم في القتال، يكفي بعضه في هلاكهم وعدم فلاحهم، لو كانوا قد لَقُوا قومًا جُبناء، فكيف وإنّما لَقُوا الأوس والخزرج، وهم أشجع العرب، وفيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحَمْزة بن عبد المطّلب، وهما أشجع البَشَر، وجماعة من المهاجرين أنجاد أبطال، ورئيسهم محمّد بن عبد الله، رسول الله، الدّاعي إلى الحقّ والعدل والتّوحيد، المؤيّد بالقوّة الإلهيّة، دع ما أضيف إلى ذلك من ملائكة السّماء، كما نطق به الكتاب!

قال الواقديّ: و لحِق الرّسول أبا سفيان بالهَدّة ـ والهَدّة على سبعة أميال من عُقبة عُسفان، على تسعة وثلاثين ميلًا من مكّة ـ فأخبره بمضيّ قريش، فقال: وا قوماه! هذا عمل عمرو بن هشام، يكره أن يرجع لأنّه قد ترأّس عَلَى النّاس وبغى، والبغى منقصة و شؤم، والله لئن أصاب أصحابَ محمّد النّفير ذللنا إلى أن يدخل مكّة علينا.

قال الواقديّ: وقال أبو جهل: والله لا نرجع حتّى نَرِدَ بدرًا ـ وكانت بدر موسمًا من مواسم العرب في الجاهليّة، يجتمعون بها وفيها سوق ـ تسمع بنا العرب وبمسيرنا، فنقيم على بَدْر ثلاثًا، ننحر الجزُر ونطعم الطّعام، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، فلن تزال العرب تهابنا أبدًا.

قال الواقديّ: وكان الفرات بن حيّان العِجليّ أرسلته قريش حين فَصَلت من مكّة إلى أبي سفيان بن حرب يخبره بمسيرها وفصولها، وما قد حشدت، فخالف أبا سفيان في الطّريق، وذلك أنّ أبا سفيان لصِق بالبحر، ولزم الفُرات بن حيّان المحجّة، فوافَى المشركين بالجُحفة، فسمع كلام أبي الجهل، وهو يقول: لا نرجع، فقال: ما بأنفسِهم عن نفسك رغبة! وإنّ الّذي يرجع بعد أن رأى ثاره من كَثَب لضعيف، فمضى مع

قريش، فترك أبا سفيان وجرح يوم بَدْر جراحات كثيرة، وهرب على قدميه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم أمرًا أنكد[١]! إنّ ابن الحنظليّة لغير مُبارك الأمر.

قال الواقديّ: وقال الأخنس بن شريق[٢] ـ واسمه أبيّ، وكان حليفًا لبني زهرة: يا بني زهرة، قد نجّى الله عِيرَكم، وخلّص أموالكم، ونجّى صاحبَكم مَخْرمة بن نوفل، وإنّما خرجتم لتمنعوه وماله، وإنّما محمّد رجل منكم، ابن أختكم، فإن يك نبيًّا فأنتم أسعد به، وإن يك كاذبًا يلي قتله غيركم خير من أن تَلُوا قتل ابن أختكم، فارجعوا واجعلوا خَبَثها لي، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير ما يهمّكم، ودعوا ما يقوله هذا الرّجل ـ يعني أبا جهل ـ فإنّه مهلِك قومَه، سريع في فسادهم، فأطاعته بنو زُهرة، وكان فيهم مُطاعًا، وكانوا يتيمّنون به، فقالوا: فكيف نصنع بالرُّجوع حتّى نرجع؟ فقال الأخنس: نسير مع القوم، فإذا أمسيت سقطت عن بعيري، فيقولون: نحل[٣] الأخنس، فإذا أصبحوا فقالوا: سيروا، فقولوا: لا نفارق صاحبَنا، حتّى نعلم أحيّ هو أم ميّت، فندفنه، فإذا مضوْا رجعنا إلى مكّة. ففعلت بنو زهرة ذلك، فلمّا أصبحوا بالأبواء راجعين تبيّن للنّاس أنّ بني زُهرة رجعوا فلم يشهدها زُهريّ[٤] البتّة، وكانوا مائة، وقيل: أقلّ من مائة وهو أثبت. وقال قوم: كانوا ثلثمائة ولم يثبت ذلك.

قال الواقديّ: وقال عديّ بن أبي الزَّغباء منحدَرَه[٥] من بدر إلى المدينة؛ [وانتشرت الرِّكاب عليه فجعل عديّ يقول][٦]:

---

١ ـ في الأصول آكد، وأثبت ما في الواقديّ: ٣٦.

٢ ـ الواقديّ: «وكان أعرابيًّا».

٣ ـ الواقديّ: «نهش».

٤ ـ الواقديّ: «أحد من بني زهرة».

٥ ـ الواقديّ: «في منحدره».

٦ ـ من الواقديّ.

أقـمْ لهـا صـدورَها يـا بسْـبَسُ إنّ مَطَايـا القـومِ لا تُحْـبَسُ

وَحَمْلُهـا عـلى الطَّرِيـقِ أكْـيَسُ قد نصـرَ الله وفـرّ الأخْـنسُ[1]

قال الواقديّ: وذكر أبو بكر بن عمر بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب، أنّ بني عديّ خرجوا من النَّفِير حتّى كانوا بثنيّة لَفْت[2]، فلمّا كان في السَّحَر عدلوا في السّاحل منصرفين إلى مكّة، فصادفهم أبو سفيان، فقال: كيف رجعتم يا بني عديّ! ولا في العير ولا في النَّفير! قالوا: أنت أرسلت إلى قريش أن ترجع، فرجع مَنْ رجع ومضى من مضى، فلم يشهدها أحد من بني عديّ. ويقال: أنّه لاقاهم بمرّ الظَّهْران، فقال تلك المقالة لهم.

قال الواقديّ: وأمّا رسول الله ﷺ، فكان صبيحة أربع عشرة من شهر رمضان بعرق الظَّبْية، فجاء أعرابيٌّ قد أقبل من تهامة، فقال له أصحاب النَّبي ﷺ: هل لك علم بأبي سفيان بن حرب؟ قال: ما لي بأبي سفيان عِلْم، قالوا: تعال، فسلَّمْ على رسول الله ﷺ، قال: أوَ فيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فأيّكم رسول الله؟ قالوا: هذا، فقال: أنت رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقًا؟ فقال سلمة بن سلامة بن وقش: نكحتها وهي حُبْلي منك! فكره رسول الله ﷺ مقالته، وأعرض عنه.

قال الواقديّ: وسار رسول الله ﷺ حتّى أتى الرَّوْحاء ليلةَ الأربعاء، للنّصف من شهر رمضان؛ فقال لأصحابه: هذا سجاسج ـ يعني وادي الرَّوْحاء ـ هذا أفضل أودية العرب[3].

---

١ ـ الواقديّ: ٣٨

٢ ـ الواقديّ: «ومضى رسول الله ﷺ».

٣ ـ الواقديّ: ٣٩.

قال الواقديّ: وصلّى رسول الله ﷺ بالرَّوحاء، فلمّا رفع رأسه من الرَّكعة الأخيرة من وتْره لعنَ الكفَرة، ودعا عليهم، فقال: اللّهمّ لا تفلتنّ أبا جهل ابن هشام فِرْعون هذه الأمّة، اللّهمّ لا تفلتنّ زَمْعة بن الأسود، اللّهمّ أَسخِنْ عين أبي زَمْعة! اللّهمّ أعم بصر أبي دبيلة[1]. اللّهمّ لا تفلتنّ سهيل بن عمرو! ثمّ دعا لقوم من قريش، فقال: اللّهمّ أنج سلمة بن هشام وعيّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين؛ ولم يدع للوليد بن المغيرة يومئذ؛ و أسر ببدر، ولكنّه لمّا رجع إلى مكّة بعد بدر أسلم، وأراد أن يخرج إلى المدينة فحبس، فدعا له النّبي ﷺ بعد ذلك.

قال الواقديّ: وكان خُبيب بن يساف رجلًا شجاعًا، وكان يأبَى الإسلام، فلمّا خرج النّبيّ ﷺ إلى بدْر خرج هو و قيس بن محرّث ـ ويقال ابن الحارث ـ وهما على دين قومهما؛ فأدركا رسول الله ﷺ بالعقيق؛ وخُبَيب مقنّعٌ في الحديد، فعرفه رسول الله ﷺ من تحتِ المغْفَر، فالتفت إلى سعيد بن معاذ وهو يسير إلى جَنْبه، فقال: أليس بخُبيب بن يساف؟ قال: بلى، فأقبل خُبيب حتّى أخذ ببِطان[2] ناقة رسول الله ﷺ، فقال له و لقيس بن محرّث: ما أخرجَكما؟ قال: كنتَ ابنَ اختنا وجارنا، وخرجنا مع قومنا للغنيمة، فقال ﷺ: لا يخرجنّ معنا رجلٌ ليس على ديننا، فقال خُبَيب: لقد علم قومي أنّي عظيم الغَناء في الحرب، شديد النِّكاية، فأقاتِل معك للغنيمة ولاأسلِم، فقال رسول الله ﷺ: لا ولكن أسلِمْ ثمّ قاتل؛ فلمّا كان بالرَّوْحاء جاء فقال: يا رسول الله، أسلمت لربّ العالمين، وشهدت أنّك رسول الله، فسرّ بذلك، وقال: امضِه، فكان عظيم الغَناء في بدْر وفي غير بدر. وأمّا قيس بن الحارث فأبى أن يُسلم، فرجع إلى المدينة، فلمّا قدم النّبيّ ﷺ من بَدْر أسلم وشهد أحُدًا فقتل.

قال الواقديّ: ولمّا خرج رسول الله ﷺ صامَ يومًا أو يومين، ثمّ نادى مناديه: يا

---

١ ـ الواقديّ: «وأعم بصر أبي زمعة».

٢ ـ البطان: حزام القتب.

معشرَ العصاة، إنّي مفطر، فأفطِرُوا، وذلك أنّه قد كان قال: لهم قبل ذلك: أفطروا فلم يفعلوا[١].

قلت: هذا هو سرّ النُّبوّة وخاصيّتها؛ إذا تأمّل المتأمّلون ذلك، وهو أن يبلغ بهم حبُّه وطاعتُه وقبولُ قوله على أن يكلّفهم ما يشقّ عليهم فيمتثلوه امتثالًا صادرًا عن حبّ شديد وحرص عظيم على الطّاعة، حتّى إنّه لينسخه عنهم ويسقط وجوبَه عليهم، فيكرهون ذلك ولايُسقِطونه عن أنفسهم، إلّا بعد الإنكار التّام، وهذا أحسن من المعجزات الخارقة للعادات، بل هذا بعينه معجزة خارقة للعادة أقوى و آكد من شقّ البحر و قلب العصا حيّة.

قال الواقديّ: ومضى رسول الله ﷺ حتّى إذا كان دُوَيْن بدر، أتاه الخبر بمسير قريش، فأخبر رسول الله ﷺ بمسيرهم، واستشار النّاس فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثمّ قام عمر فقال فأحسن، ثمّ قال: يا رسول الله، إنّها قريش و عزّها والله ما ذلّت منذ عزّت، ولاآمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزّها أبدًا، ولتقاتلنّك فاتّهب لذلك أهبته، وأعدّ عدّته، ثمّ قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله لأمر الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: ﴿اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[٢]، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكم مقاتلون، والّذي بعثك بالحقّ لو سرتَ بنا إلى برك الغِماد لسرنا.

قال الواقديّ: بِرْك الغِمَاد من وراء مكّة بخمس ليال من وراء السّاحل ممّا يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكّة إلى اليمن. فقال له رسول الله ﷺ خيرًا، ودعا له بخير، ثمّ قال ﷺ: أشيروا عليّ أيّها النّاس ـ وإنّما يريد الأنصار، وكان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلّا في الدّار، وذلك أنّهم شرطوا أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأولادهم،

---

١ ـ الواقديّ: ٤٠، ٤١.

٢ ـ المائدة/٢٤.

فقال رسول الله ﷺ: أشيرُوا عليّ ، فقام سعد بن مُعاذ، فقال: أنا أجيب عن الأنصار، كأنّك يا رسول الله تريدنا! قال: أجَل، قال: إنّك عسى أن تكون خرجت عن أمرٍ قد أوحِيَ إليك، وإنّا قد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ، وأعطيناك مواثيقَنا وعهودنا على السَّمْع والطّاعة، فامض يا نبيّ الله لما أردت، فو الّذي بعثكَ بالحقّ لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معك ما بقيَ منّا رجل، وصِلْ مَنْ شئت، و خذ من أموالنا ما أردت، فما أخذته من أموالنا أحبُّ إلينا ممّا تركتَ، والّذي نفسي بيده ما سلكت هذه الطّريق قطّ، وما لي بها من علم، وإنّا لا نكره أن نلقَى عدوّنا غدًا، إنّا لصُبُرٌ عند الحرب، صُدُق عند اللّقاء، لعلّ اللهَ يريك منّا بعضَ ما تقرّ به عينك[1].

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن صالح عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد بن مُعاذ يومئذ: يا رسول الله، إنّا قد خَلّفْنَا من قومنا قومًا ما نحنُ بأشدّ حبًّا لك منهم، ولا أطوعَ لهم رغبة ونيّة في الجهاد، ولو ظنُّوا أنّك يا رسول الله ملاقٍ عدوًّا ما تخلّفوا عنك، ولكنّ إنّما ظنُّوا أنّها العِير. نبني لك عريشًا، فتكونُ فيه ونُعِدّ عندك رواحلك، ثمّ نلقى عدوّنا، فإنْ أعزّنا الله وأظهرنَا على عدوّنا، كان ذلك ما أحببنا، وإن تكن الأخرى، جلستَ على رواحِلك، فلحقت مَنْ وراءنا. فقال له النّبيّ ﷺ خيرًا، ثمّ قال: أو يقضى الله خيرًا يا سعد[2]!

قال الواقديّ: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله ﷺ: سيرُوا على بَرَكةِ الله، فإنّ الله قد وعدنى إحدى الطّائفتين، واللهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم. قال الواقديّ: وقالوا: لقد أرانا رسول الله ﷺ مصارعَهُم يومئذ، هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كلّ رجل منهم مصرعه، قال: فعلم القوم أنّهم يلاقون القتال،

---

١ ـ الواقديّ: ٤٤ وفيه: «ماتقرّ به عينيك».

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٤٥.

وأنّ العير تفلّتُ، ورجا القوم النّصر لقول النّبي ﷺ.

قال الواقديّ: فمن يومئذ عَقَد رسوالله ﷺ الألوية، وكانت ثلاثة، وأظهر السّلاح، وكان خرج من المدينة على غيرِ لواء معقودٍ، وسار فلقي سُفيان الضَّمْريّ، ومع رسول الله ﷺ قتادة بن النّعمان ومعاذ بن جبل، فقال رسول الله ﷺ: مَن الرّجل؟ فقال الضّمريّ: بل ومَنْ أنتم؟ فقال رسول الله ﷺ: نخبرُنا ونخبرُك، فقال الضّمريّ: وذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الضَّمْريّ: فاسألوا عمّا شئتم، فقال له ﷺ: أخبِرْنا عن قُريش، قال الضّمريّ: بلغني أنّهم خرجوا يوم كذا من مكّة، فإنّ كان الخبر صادقًا، فإنّهم بجنْبِ هذا الوادي، ثمّ قال الضَّمْرِي: فمن أنتم؟ فقال النَّبيّ ﷺ: نحن مِنْ ماء، وأشار بيده نحو العِراق، فجعل الضّمْرِيّ يقول: من ماء من أيّ ماء؟ من العراق أم من غيره؟ ثمّ انصرفَ رسول الله ﷺ إلى أصحابِه. قال الواقديّ: فبات الفريقانِ كلّ منهم لا يعلم بمنزل صاحبه إنّما بينهم قَوْز[1] من رمل[2].

قال الواقديّ: ومرّ رسول الله ﷺ بجبَلين، فسأل عنهما فقالوا: هذا مُسْلِح[3] ومُخرِئ، فقال: مَنْ ساكنهما؟ فقيل: بنو النّار وبنو حرّاق، فانصرف عنهما وجعلهما يسارًا[4]، ولقيه بسبس بن عمرو وعدى بن أبي الزّغباء فأخبراه خبرَ قريش، ونزل رسول الله ﷺ وادي بدْر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من رمضان، فبعث عليًّا عليه السلام

---

١ ـ القوز من الرّمل: العالي كأنّه جبل، وتشبه به أرداف النّساء.

٢ ـ الواقديّ: ٤٦، وبعدها: «وكان قد صلّى بالدّبة، ثمّ صلّى بسير ثمّ صلّى بذات أجدال، صلّى بخيف عين العلاء، ثمّ صلّى بالخبيرين، ثمّ نظر إلى جبلين...».

٣ ـ الأصول: «مصلح»، والتّصويب من الواقديّ.

٤ ـ الواقديّ: «فانصرف من عند الخبيرين، فمضى حتّى قطع الخيرف، وجعلها يسارًا حتّى سلك في المعترضة».

والزّبير وسعد بن أبي وقّاص وبسَبْس بن عمرو يتحسّسون [١] على الماء، وأشار لهم إلى ظُرَيب [٢]، وقال: أرجو أن تجدُوا الخير عند القليب الّذي [٣] يَلي هذا الظَّريب [٤]، فاندفعوا تلقاءه، فوجدوا على تلك القليب رَوايا قريش فيها سُقّاؤهم، فأسروهم، وأفلت بعضُهم، فكان مِمّن عرف أنّه أفلت عجير، فكان أوّلَ مَنْ جاء قريشًا بخبر النّبي ﷺ وأصحابه، فنادى: يا آل غالب! هذا ابنُ أبي كبْشة وأصحابه، وقد أخذوا سُقّاءكم، فماج العسكر وكرِهُوا ما جاء به [٥].

قال الواقديّ: فكان حكيم بن حزام يحدّث، قال: كنّا يومئذ في خِباء لنا على جَزُور نشوِي من لحمها، فما هو إلّا أنْ سمِعْنَا الخبر، فامتنع الطّعام منّا، ولقي بعضُنا بعضًا، ولقيني عُتْبة بن ربيعة، فقال: يا أبا خالد، ما أعلم أحدًا يسير أعجبَ من مسيرنا، إنّ عيرنا قد نجتْ، وإنّا جئنا إلى قومٍ في بلادهم بغيًا عليهم، فقلت: أراه لأمرٍ حُمّ، ولا رأى لمن لا يطاع! هذا شؤم ابن الحنظليّة، فقال عتبة: أبا خالد، أتخاف أنْ تبيّتنا القوم؟ قلت: لأنت آمن من ذلك، قال: فما الرّأي يا أبا خالد؟ قلت: نتحارس حتّى نصبح وترون رأيكم. قال عتبة: هذا الرّأي، قال: فتحارسْنَا حتّى أصبحنا، فقال أبو جهل: هذا عن أمرِ عُتْبة كره قتال محمّد وأصحابه، إنّ هذا لهو العجَب، أتظنُّون أنّ محمّدًا وأصحابه يعترضون لجمعكم! والله لأنتحينّ ناحية بقومي فلا يحرسنا أحد، فتنحّى ناحية، وإنّ السّماء لتمطِرُ عليه، قال: يقول عتبة: إنّ هذا لهو النَّكَد [٦]. قال الواقديّ: أُخِذَ من السُّقّاء من على القَلِيب يَسار غلام سعيد بن العاص، وأسلم

---

١ ـ كذا في الواقديّ: وفي الأصول «يتجسّسون» بالجيم، تصحيف.

٢ ـ كذا في الواقديّ.

٣ ـ الأصول: «الّتي»، والتّصويب من الواقديّ.

٤ ـ قال الواقديّ: «والقليب: بئر بأصل الظّريب، والظّريب: جبل صغير».

٥ ـ الواقديّ: ٤٦، ٤٧.

٦ ـ الواقديّ: ٤٧.

غلام منبّه بن الحجّاج، وأبو رافع غلام أميّة بن خلف، فأتى بهم النّبيّ ﷺ وهو قائم يصلّي، فسألهم المسلمون، فقالوا: نحن سُقّاء قريش، بعثونا نسقِيهم من الماء، فكره القوم خبرَهم، ورجوا أن يكونوا لأبي سفيان وأصحاب العير، فضربوهم، فلمّا أذلقوهم[1] بالضّرب قالوا: نحن لأبي سفيان، ونحن في العِير، وهذا العير بهذا القَوز، فكانوا إذا قالوا ذلك يُمسِكُون عَنْ ضربهم، فسَلّم رسول الله ﷺ من صلاته، ثمّ قال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم! فقال أصحابُه ﷺ: إنّهم يا رسول الله يقولون: إنّ قريشًا قد جاءت، فقال: لقد صدقوكم! خرجت قريش تمنعُ عيرها وخافوكم عليها، ثمّ أقبلَ ﷺ على السُّقاء، فقال: أين قريش؟ فقالوا: خلف هذا الكثيب الّذِي ترى، قال: كم هم؟ قالوا كثيرٌ، قال: كم عددهم؟ قالوا: لا ندري، قال: كم ينحَرُون؟ قالوا: يومًا عشرة ويومًا تسعة، فقال القوم: ما بين الألف وتسعمائة، ثمّ قال للسُّقّاء: كم خرج من أهلِ مكّة؟ قالوا: لم يبق أحدٌ به طعم إلّا خرج، فأقبل رسول الله ﷺ على النّاس، فقال: هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كِبدها، ثمّ سألهم رسول الله ﷺ: هل رجع منهم أحد؟ قالوا: نعم رجع ابن أبي شريق ببني زهرة، فقال ﷺ: راشدهم[2]، وما كان برشيد، وإن كان ما علمت لمعاديًا لله ولكتابه.

ثمّ قال: فأحد غيرهم؟ قالوا: نعَمَ بنو عدِيّ بن كعب، فتركهم رسول الله ﷺ: ثمّ قال لأصحابه: أشيروا عليّ في المنزل، فقال الحُباب بن المنذر: يا رسول الله، أرأيت منزلَك هذا، أهو منزل أنزَلَكه الله، فليس لنا أن نتقدّمه ولانتأخّر عنه، أم هو الرّأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرّأيُ والحرب والمكيدة، قال: فإنّ هذا ليس بمنزل! إنطلق بنا إلى أدنَى مياه القوم، فإنّي عالم بها وبقُلُبها، فإنّ بها قَلِيبًا قد عرفت عذوبة مائها، وماؤها كثير لا ينزح؛ نبني عليها حَوْضًا، ونقذف فيها بالآنية فنشرب، ونقاتل

---

١ ـ أذلقوهم: أوجعوهم ضربًا.

٢ ـ الواقديّ: «أرشدهم».

ونعوّر[١] ما سواها من القُلُب.

قال الواقديّ: فكان ابن عبّاس يقول: نزل جبريل عَلَى النَبيّ ﷺ فقال: الرّأى ما أشار به الحُباب فقال: يا حباب، أشرت بالرّأى، ونهض وفعل كلّ ذلك[٢]. قال الواقديّ: وبعث الله السَّماء، وكان الوادي دهسًا ـ أى كثير الرَّمل ـ فأصاب المسلمين ما لبد الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشًا ما لم يقدروا معه أن يرتحلوا منه، وإنّما بين الطّائفتين قَوْز من رمل.

قال الواقديّ: وأصاب المسلمين تلك اللَّيلة النُعاس ألقيَ عليهم، فناموا ولم يصبهم من المطر ما يؤذيهم.

قال الزُّبير بن العوّام: لقد سلّط الله عليهم النُعاس تلك اللَّيلة، حتّى إنّي كنت لأتشدّد، والنّعاس يجلد بي الأرض فما أطيق إلّا ذلك، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه على مثل ذلك الحال. وقال سعدُ بن أبي وقّاص: لقد رأيتُني، وإنّ ذَقني بين ثديي، فما أشعر حتّى أقع على جنبي. وقال رفاعة بن رافع بن مالك: لقد غلَبني النّوم، فاحتلمت حتّى اغتسلت آخر اللَّيل[٣].

قال الواقديّ: فلمّا تحوّل رسول الله ﷺ إلى المنزل بعد أن أخذ السّقّاء، أرسل عمّار ابن ياسر وعبد الله بن مسعود، فأطافا بالقوم، ثمّ رجعا إليه فقالا له: يا رسول الله، القوم مذعورون فزِعون، إنّ الفرس ليريد أن يصهل فيضرب وجهه، مع أنّ السَماءَ تَسُحُّ عليهم[٤].

قال الواقديّ: فلمّا أصبحوا قال منبّه بن الحجّاج ـ وكان رجلًا يبصر الأثر: هذا والله

---

١ ـ يقال: عوّر البئر؛ إذا كبسها بالتّراب.

٢ ـ الواقديّ: ٤٨.

٣ ـ الواقديّ: ٤٩، ٥٠

٤ ـ الواقديّ: ٥٠.

أثُرابنِ سُمَيّة، وابن أم عبْد، أعرفهما، لقد جاءنا محمّد بسفهائنا وسفهاء أهل يثرب، ثمّ قال:

لم يترك الجوع لنا مَبيتًا لابدّ أن نموت أو نُميتا[1]

يا معشرَ قريش، انظروا غدًا إنْ لقيَنا محمّد وأصحابه، فاتّقوا على شبّانكم وفتيانكم، بأهل يثرب، فإنّا إن نرجع بهم إلى مكّة يبصروا من ضلالتهم ما فارقوا من دين آبائهم[2].

قال الواقديّ: ولمّا نزلَ رسول الله ﷺ على القَلِيب بُني له عريش من جَرِيد، فقام سعد بن معاذ على باب العريش متوشّحًا سيفَه، فدخلَ النّبيّ ﷺ وأبو بكر.

قلت: لأعجبُ من أمرِ العريش، من أين كان لهم، أو معهم من سَعفِ النّخل ما يبنون به عريشًا، وليس تلك الأرض ـ أعني أرض بدر ـ أرضَ نخل؛ والّذي كان معهم من سعَف النّخل يجري مجرى السّلاح كان يسيرًا جدًّا! قيل إنّه كان بأيدي سبعة منهم سِعاف عوَضَ السُّيوف، والباقون كانوا بالسّيوف والقِسيّ، وهذا قول شاذّ، والصّحيح أنّه ما خلا أحدٌ منهم عن سلاح، أللّهمّ إلّا أنْ يكونَ معهم سَعفات يسيرة،

---

١ ـ بعدها في الواقديّ: قال أبوعبدالله: قد ذكرت قول منبه بن الحجاج:

لم يترك الجوع لنا مبيتا

لمحمّد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة، فقال: لعمري لقد كانوا شباعًا؛ لقد أخبرني أبي أنّه سمع نوفل ابن معاوية يقول: نحرنا تلك اللّيلة عشر جزائر؛ فنحن في خباء من أخبيتهم نشوى السّنام والكبد وطيبة اللّحم ونحن نخاف من البيات فنحن نتحارس إلى أن أضاء الفجر، فأسمع منها يقول بعد أن أسفر: هذا ابن سمية وابن مسعود، وأسمعه يقول:

لم يترُكِ الخَوْفُ لَنَا مَسَتَا لَا بُدَّ أَنْ نَمُوتَ أَوْ نُمِتَا

٢ ـ الواقديّ: ٥٠.

وظلل عليها بثوب أو سِتْر، وإلّا فلا أرى لبناء عريش من جريد النَّخل هناك وجهًا!

قال الواقديّ: و صفّ رسول الله ﷺ أصحابه قبل أن تنزل قريش، فطلعت قريش ورسول الله ﷺ يصفُّ أصحابه، وقد أترعوا حوضًا يفرِطون فيه من السَّحر، وقذفت فيه الآنية، ودفع رسول الله ﷺ رايتَه إلى مصعب بن عمير، فتقدَّم بها إلى الموضع الَّذي أمره أن يضعها، ووقف رسول الله ﷺ ينظر إلى الصُّفوف، فاستقبل المغرب، وجعل الشَّمس خلفَه، وأقبل المشركون، فاستقبلوا الشَّمس، ونزل بالعُدْوة الدّنيا من الوادي، ونزلوا بالعُدْوة اليمانيّة[1]، وهي القصوى، وجاءه رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله، إن كان هذا عن وحيٍ فامض له، وإلّا فإنّي أرى أن تعلوا الوادي؛ فإنّي أرى ريحًا قد هاجت من أعلاها، وأراها بعثت بنصرك. فقال رسول الله ﷺ: «قد صففت صفوفي ووضعت رايتي، فلا أغيّر ذلك». ثمّ دعا رسول الله ﷺ، فأمدَّه الله بالملائكة[2].

قال الواقديّ: وروى عروة بن الزُّبير، قال: عَدّل رسول الله ﷺ الصّفوف يومئذ، فتقدّم سواد بن غَزِيّة أمام الصفّ، فدفع النَّبي ﷺ بقِدْح في بطْنه، وقال: استوِ يا سواد، فقال: أوجعتني والَّذي بعثك بالحقّ، أقِدْني، فكشف ﷺ عن بطنه، وقال: استقِدْ، فاعتنقه وقبّله، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: حَضَر يا رسول الله من أمر الله ما قد ترى، وخشِيت القتل، فأردت أن يكون آخرَ عهدي بك، وأن أعتنقك[3].

قال الواقديّ: فحدَّثني موسى بن يعقوب، عن أبي الحويرث، عن محمّد بن جبير بن مُطْعِم، عن رجل من بني أوْد قال: سمعت عليًّا عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، ويقول:

---

١ ـ في الواقديّ: «عدوتا النّهر والوادي: جنبتاه».

٢ ـ في الواقديّ: ٥١ «فنزل عليه جبريل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، بعضهم على إثر بعض» الأنفال/٩.

٣ ـ الواقديّ: ٥٢.

بينا أنا أميح[١] في قَليب بدر جاءت ريح لم أرَ مثلها قطّ شدّة، ثمّ ذهبت فجاءت أخرى لم أرَ مثلها إلّا الّتي كانت قبلها، ثمّ جاءت ريح أخرى لم أرَ مثلها إلّا الأُولَيَيْن، فكانت الأولى جبريل في ألف مع رسول الله ﷺ، والثّانية ميكائيل في ألف عن ميمنته، والثّالثة إسرافيل في ألف عن مَيْسرته، فلمّا هزَم الله أعداءه، حملني رسول الله ﷺ على فرس، فجرتْ بي، فلمّا جرتْ بي خررتُ على عنقهما، فدعوت ربّي، فأمسكني حتّى استويتُ، وما لي وللخيل، وإنّما كنت صاحب الحشَم، فلمّا استويت طعنت فيهم بيدي هذه حتّى اختضبت منّي[٢] ذي ـ يعنى إبطه[٣] ـ.

قلت: أكثر الرُّواة يروُونه: «فحملني رسول الله على فرسِه»، والصّحيح ما ذكرناه، لأنّه لم يكنْ لرسول الله ﷺ فرس يوم بدر، وإنّما حضرها راكب بعير، ولكنّه لمّا اصطدم الصفّان، وقتل قوم من فرسان المشركين، حمَلَ رسول الله ﷺ عليًّا عليه السلام على بعض الخيل المأخوذة منهم.

قال الواقديّ: قالوا: كان على ميمنة رسول الله ﷺ أبو بكر، وكان على ميسرته على ابن أبي طالب عليه السلام، وكان على ميمنة قريش هُبيرة بن أبي وهب المخزوميّ، وعَلَى ميسرتهم عمرو بن عبدود. قيل: كان زمعة بن الأسود عَلَى ميسرتهم، وقيل: بل كان على خيل المشركين، وقيل: الّذي على الخيل الحارث بن هشام، وقال قوم: لم يكن هبيرة على الميمنة، بل كان عليها الحارث بن عامر بن نوفل[٤].

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن صالح عن يزيد بن رُومان وابن أبي حَبيبة، قالا: ما كان على ميمنة النّبي ﷺ يوم بَدْر ولا على ميسرته أحدٌ يسمّى، وكذلك ميمنة

---

١ ـ في الأصول: «أمتح». وفي الواقديّ: «أميح يعني أستقي، وهو من ينزع الدّلاء، وهو المتح أيضًا».

٢ ـ الواقديّ: «ذه»

٣ ـ الواقديّ: ٥٢، ٥٣.

٤ ـ الواقديّ: ٥٣، ٥٤

المشركين وميسرتهم ما سمعنا فيها بأحد.

قال الواقديّ: وهذا هو الثّبت عندنا قال: وكان لواء رسول الله ﷺ يومئذ الأعظم لواء المهاجرين مع مُصعب بن عمير، ولواء الخزرج مع الحُباب بن المنذر ولواء الأوس مع سعد بن معاذ، وكان مع قريش ثلاثة ألوية، لواء مع أبي عزيزة، ولواء مع المنذر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة.

قال الواقديّ: وخطب رسول الله ﷺ المسلمين يومئذ، فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي أحثّكم على ما حثّكم الله عليه، وأنهاكم عمّا نهاكم الله عنه فإنّ الله عظيمٌ شأنه، يأمر بالحقّ، ويحبّ الصِّدق، ويعطي على الخير أهله على منازلهم عنده به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنّكم أصبحتم بمنزل من منازل الحقّ، لا يقبل الله فيه من أحدٍ إلّا ما ابتغى به وجهه. وإنّ الصّبر في البأس ممّا يفرّج الله به الهمّ، وينجّي به من الغمّ، تدركون به النّجاة في الآخرة، فيكم نبيّ الله يحذِّركم ويأمركم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإنّه تعالى يقول: ﴿لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكم أَنْفُسَكُمْ﴾[1] انظروا إلى الّذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وما أعزّكم به بعد الذّلّة، فاستمسكوا به يرض ربّكم عنكم، وابلُوا ربّكم في هذه المواطن أمرًا تستوجبوا به الّذي وَعَدكم من رحمته ومغفرته، فإنّ وعده حقّ، وقوله صدق؛ وعقابه شديد، وإنّما أنا وأنتم بالله الحيّ القيّوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا، وعليه توكّلنا، وإليه المصير، ويغفرالله لي وللمسلمين[2].

قال الواقديّ: ولمّا رأى رسول الله ﷺ قريشًا تصوّب من الوادي، وكان أوّل مَنْ طلع زَمْعة بن الأسود على فرسٍ له يتبعه ابنه، فاستجال بفرسه، يريد أن يبنُوا للقوم منزلًا، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّك أنزلتَ عليّ الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتَني إحدَى

١ـ غافر/ ١٠.

٢ـ مغازي الواقديّ:٥٣.

الطّائفتين، وأنت لا تخلِف الميعاد. اللّهمّ هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها، تخاذِلُ وتكذّب رسولك. اللّهمّ نصرَك الّذي وعدتَني. اللّهمّ أَحنِهم الغداة! وطلع عُتبة ابن ربيعة على جَمَلٍ أحمر، فقال رسول الله ﷺ: إنْ يكُ في أحدٍ من القوم خيرٌ ففي صاحب الجمل الأحمر، إن يطيعوه يرشُدوا.

قال الواقديّ: وكان إيماء بن رَحْضَة قد بعث إلى قريش ابنًا له بعشر جزائر حين مرُّوا به أهداها لهم، وقال: إن أحببتم أن يمدّكم بسلاح ورجال فإنّا معدّون لذلك، مؤدُّون فعلنا، فأرسلوا: إن وصلتْك رحِم، قد قضيتَ الّذي عليك، ولعمري لئن كنّا إنّما نقاتل النّاس ما بنا ضعف عنهم؛ ولئن كنّا نقاتل الله ـ بزعم محمّد ـ فما لأحدٍ بالله طاقة[1].

قال الواقديّ: فروى خفاف بن إيماء بن رحْضَة، قال: كان أبي ليس شيء أحبّ إليه من إصلاح بين النّاس، موكّلًا بذلك؛ فلمّا مرّت به قريش أرسلني بجزائر عشر هدية لها، فأقبلتُ أسوقها، وتبعني أبي، فدفعتها إلى قريش فقبلوها ووزّعوها في القبائل، فمرّ أبي على عُتْبة بن ربيعة، وهو سيّد النّاس يومئذ، فقال: يا أبا الوليد، ما هذا المسير؟ قال: لا أدري والله غُلِبت، قال: فأنت سيّد العشيرة، فما يمنعك أن ترجع بالنّاس، وتحمل دم حليفِك، وتحمل العير الّتي أصابوا بنخْلة، فتوزّعها على قومك! فو الله ما يطلبون قبل محمّد إلّا هذا؛ والله يا أبا الوليد ما تقتلون بمحمّد وأصحابه إلّا أنفسَكم[2].

قال الواقديّ: وحدّثني ابن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: ما سمعنا بأحدٍ سار بغير مالٍ إلّا عتبة بن ربيعة.

قال الواقديّ: وروى محمّد بن جبير بن مطعِم، قال: لمّا نزل القومُ أرسل رسول

١ـ مغازي الواقديّ: ٥٥.

٢ـ الواقديّ: ٥٦.

الله ﷺ عمر بن الخطّاب إلى قريش، فقال: ارجعوا؛ فلأن يلي هذا الأمرَ منّي غيرُكم أحبُّ إليّ من أن تلُوه منّي؛ وأن أليَه من غيركم أحبُّ إليّ من أن أليَه منكم، فقال حكيم بن حزام: قد عرض نَصَفًا، فلبّوه[١]، والله لا تُنصَرون عليه بعد أن عرض عليكم من النَّصَف ما عَرَض.

وقال أبو جهل: لا نرجع بعد أن أمكننا الله منهم، ولانطلب أثرًا بعد عَيْن، ولا يعرض[٢] لعيرنا بعد هذا أبدًا. قال الواقديّ: وأقبل نفر من قريش حتّى وردوا الحوضَ، منهم حكيم بن حزام، فأراد المسلمون تنحيتهم[٣] عنه، فقال النَّبيّ ﷺ: دعوهم؛ فوردُوا الماء، فشربوا، فلم يشرب منهم أحد إلّا قتِل، إلّا ما كان من حكيم بن حزام[٤].

قال الواقديّ: فكان سعيد بن المسيّب، يقول: نجا حكيم من الدّهر مرّتين، لمّا أراد الله تعالى به من الخير، خرج رسول الله ﷺ على نفر من المشركين وهم جلُوس يريدونه، فقرأ «يس»؛ ونثر على رؤوسهم التُّراب، فما أفلت منهم أحدٌ إلّا قتل، ما عدا حكيم بن حزام وورد الحوض يوم بدر مع مَنْ ورده مع المشركين، فما ورده إلّا من قتل إلّا حكيم بن حزام.

قال الواقديّ: فلمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمير بن وهب الجُمحيّ، كان صاحب قِداح، فقالوا: أُحزُر[٥] لنا محمّدًا وأصحابه، فاستجال بفرسه حول العسكر، وصوّب في الوادي وصعّد، يقول: عسى أن يكون لهم مدد أو كمين! ثمّ رجع فقال: لا مدد ولاكمين، والقوم ثلثمائة، إن زادوا قليلًا ومعهم سبعون بعيرًا ومعهم فرسان، ثمّ قال: يا معشرَ

---

١ ـ الواقديّ: «فاقبلوه».

٢ ـ الواقديّ: «يعترض».

٣ ـ الواقديّ: «تخليتهم»؛ قال: «يعني طردهم».

٤ ـ الواقديّ: ٥٦.

٥ ـ في الأصول: «احذر» تصحيف.

قريش، البلايا تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع؛ قوم ليس لهم مَنَعة ولا ملجأ إلّا سيوفهم؛ ألا ترونَهم خُرسًا لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي! والله ما أرى أن يقتَل منهم رجل حتّى يقتُل رجُلًا، فإذا أصابوا منكم عددهم؛ فما خيرُ في العيش بعد ذلك! فروْا رأيكم[١].

قال الواقديّ: وحدّثني يونس بن محمّد الظَّفريّ، عن أبيه، أنّه قال: لمّا قال لهم عُمير بن وهب هذه المقالة، أرسلوا أبا أسامة الجشَمِيّ، وكان فارسًا، فأطاف بالنّبيّ ﷺ وأصحابه، ثمّ رجع إليهم، فقالوا له: ما رأيت؟ قال: والله ما رأيتُ جَلَدًا ولاعددًا ولا حَلْقة[٢] ولاكُراعًا، ولكنّي والله رأيت قومًا لا يريدون أن يردُّوا إلى أهليهم! رأيت قومًا مستميتين، ليست معهم مَنَعة ولاملجأ إلّا سيوفهم، زُرْق العيون، كأنّهم الحصا تحت الحَجَف[٣]، ثمّ قال: أخشى أن يكون لهم كمين أو مدد، فصوّب في الوادي ثمّ صعّد، ثمّ رجع إليهم، فقال: لا كمين ولامَدد! فروْا رأيكم[٤].

قال الواقديّ: ولمّا سمع حكيم بن حزام ما قال عُمير بن وهب، مشى في النّاس، فأتى عتبة بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، أنت كبير قريش وسيّدها والمطاع فيها، فهل لك ألّا تزال تُذكر فيها بخير آخر الدّهر، مع ما فعلت يوم عُكاظ! وعتبة يومئذ رئيس النّاس، فقال: وما ذاك يا أباخالد؟ قال: ترجع بالنّاس، وتحمل دم حليفك، وما أصابه محمّد من تلك العِير ببطن نخلة، إنّكم لا تطلبون من محمّد شيئًا غير هذا الدّم والعير. فقال عتبة: قد فعلت، وأنت عليّ بذلك. ثمّ جلس عتبة على جمله، فسار في المشركين من قريش، يقول: يا قوم أطيعوني، ولاتقاتلوا هذا الرّجل وأصحابه،

---

١ ـ الواقديّ: ٥٩.

٢ ـ الحلقة هنا: السّلاح.

٣ ـ الحجف: التّروس.

٤ ـ مغازي الواقديّ: ٥٧، ٥٨

واعصبوا هذا الأمر برأسي، واجعلوا جبنَها فيّ[١]، فإنّ منهم رجالًا قرابتهم قريبة؛ ولا يزال الرّجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه فيورث ذلك بينكم شحناء وأضغانًا، ولن تخلصوا إلى قتلهم حتّى يصيبوا منكم عددهم، مع أنّه لا آمن أن تكون الدائرة عليكم، وأنتم لا تطلبون إلّا دمَ القتيل منكم، والعِير الّتي أصيبت، وأنا أحتمل ذلك، وهو عليّ يا قوم؛ إن يك محمّد كاذبًا يكفيكموه ذؤبان العرب، وإن يك مَلِكًا كنتم في ملك ابن أخيكم، وإن يك نبيًّا كنتم أسعدَ النّاس به! يا قوم لا تردُّوا نصيحتي، ولا تسفّهوا رأيي. فحسده أبو جهل حين سمع خطبته، وقال: إنْ يرجع النّاس عن خطبة عتبة يكن سيّد الجماعة، وكان عتبة أنطقَ النّاس، وأطولَهم لسانًا، وأجملهم جمالًا، ثمّ قال عتبة لهم: أنشدكم الله في هذه الوجوه الّتي كأنّها المصابيح، أن تجعلوها أندادًا لهذه الوجوه الّتي كأنّها وجوهُ الحيّات! فلمّا فرغ عتبة من كلامه قال أبو جهل: إنّ عتبة يشير عليكم بهذا لأنّ محمّدًا ابن عمّه، وهو يكره أن يقتل ابنه وابن عمّه، امتلأ والله سَحْرُك يا عتبة وجَبُنْت حين التقت حَلقتَا البِطان[٢]. الآن تخذّل بيننا وتأمرنا بالرُّجوع! لا والله لا نرجع حتّى يحكُم الله بيننا وبين محمّد فغضب عتبة، فقال: يا مصفّرًا أستِه، ستعلم أيّنا أجبن و ألأم! وستَعلم قريش مَنِ الجبان المفسد لقومه! وأنشد:

هـــذايَ و أمـــرت أمـــرِي فبسّري بالثّكل أمّ عمرو[٣]

قال الواقديّ: وذهب أبو جهل إلى عامر بن الحضرميّ، أخي عمرو بن الحضرميّ المقتول بنخْلة، فقال له: هذا حليفك ـ يعني عتبة ـ يريد أن يرجع بالنّاس، وقد رأيت ثارك بعينك، وتخذل بين النّاس! قد تحمل دم أخيك، وزعم أنّك قابل الدّية، ألا تستحي؟ تقبل الدّية وقد قدرت على قاتل أخيك! قمْ فانشد خُفرتك؛ فقام عامر بن

---

١ ـ في الأصول: «حينها»، وأثبت ما في الواقديّ.

٢ ـ حلقتا البطان، كناية عن اشتداد الأمر.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٥٨، ٥٩.

الحضرميّ فاكتشف[١]، ثمّ حثا على استه التُّراب، وصرخ: وا عمراه! يخزي بذلك عتبة؛ لأنّه حليفه من بين قريش، فأفسد على النّاس الرأىَ الّذي دعاهم إليه عُتْبة؛ وحلف عامر لا يرجع حتّى يقتل من أصحاب محمّد وقال أبو جهل لعُمَير بن وهب: حرّش بين النّاس، فحمل عمير فناوش المسلمين، لأن ينفضّ الصفّ، فثبت المسلمون على صفّهم؛ ولم يزولوا، وتقدّم ابن الحضرميّ فشدّ على القوم، فنشبت الحرب[٢].

قال الواقديّ: فروى نافع بن جبير عن حكيم بن حزام، قال: لمّا أفسد الرَّأى أبو جهل على النّاس، وحرّش بينهم عامر بن الحضرميّ فأقحم فرسه، كان أوّل من خرج إليه من المسلمين مهجّع مولى عمر بن الخطّاب، فقتله عامر، وكان أوّلَ قتيل قتِل من الأنصار حارثة ابن سراقة، قتله حيّان بن العرِقة[٣].

قال الواقديّ: وقال عمر بن الخطّاب في مجلس ولايته: يا عميرَ بن وهب، أنت حاذِرُنا للمشركين يوم بدْر، تصعّد في الوادي وتصوّب، كأنّي أنظر إلى فرسك تحتك تخبر المشركين أنّه لا كمين لنا ولا مدد! قال: إى والله يا أمير المؤمنين، وأخرى، أنا والله الّذي حرّشت بين النّاس يومئذ، ولكنّ الله جاءنا بالإسلام، وهدانا له، وما كان فينا من الشِّرْك أعظم من ذلك، قال عمر: صدقت[٤].

قال الواقديّ: وكان عتبة بن ربيعة كلّم حكيم بن حزام، وقال: ليس عند أحد خلاف إلّا عند ابن الحنظليّة، فاذهب إليه، فقل له: إنّ عتبة يحمل دم حليفه، ويضمن العير. قال حكيم: فدخلت على أبي الجهل، وهو يتخلّق بخَلوق طِيب، ودرعه موضوعة بين يديه، فقلت: إنّ عتبة بن ربيعة بعثني إليك، فأقبلَ علىّ مغضبًا؛ فقال:

---

١ ـ اكتشف: تعرّى.

٢ ـ الواقديّ: ٥٩.

٣ ـ الواقديّ: ٦٠: «ويقال: عمير بن الحمام، قتله خالد بن الأعلم العقيليّ».

٤ ـ مغازيّ الواقديّ: ٦٠.

ما وجد عتبة أحدًا يرسله غيرك؛ فقلت: والله لو كان غيره أرسلني ما مشيت في ذلك، ولكنّي مشيتُ في إصلاح بين النَّاس ـ وكان أبو الوليد سيّد العشيرة ـ فغضب غضبه أُخرى.

قال: وتقول أيضًا سيّد العشيرة، فقلت: أنا أقوله، وقريش كلّها تقوله، فأمر عامرًا أن يصيح بخفرته، واكتشف، وقال: إنّ عُتبة جاع، فاسقوه سويقًا، وجعل المشركين يقولون: عتبه جاع، فاسقوه سويقًا، وجعل أبو جهل يسرّ بما صنع المشركون بعتبة قال حكيم: فجئت إلى منبّه بن الحجّاج فقلت له مثل ما قلت لأبي الجهل، فوجدته خيرًا من أبي الجهل، قال: نعمّا مشيتَ فيه، وما دعا إليه عتبة! فرجعت إلى عتبة فوجدته قد غضب من كلام قريش، فنزل عن جمله، وقد كان طاف عليهم في عسكرهم يأمرهم بالكفّ عن القتال، فيأبوْن، فحمِي، فنزل فلبس دِرْعه، وطلبوا له بَيْضَةً فلم يوجد في الجيش بَيْضة تسع رأسه من عِظَم هامته، فلمّا رأى ذلك اعتَجَر، ثمّ برز راجلًا بين أخيه شيبة وبين ابنه الوليد ابن عتبة فبينا أبو جهل في الصفّ على فرس أنثى، حاذاه عُتْبة، وسلّ سيفه، فقيل: هو والله يقتله، فضرب بالسَّيْف عُرقوب فرس أبي الجهل، فاكتسعت[1] الفرس، وقال: انزل، فإنَّ هذا اليوم ليس بيوم ركوب؛ ليس كلّ قومك راكبًا، فنزل أبو جهل وعُتْبة يقول: سيعلم أيّنا شؤم عشيرته الغداة! قال حكيم: فقلت: تالله ما رأيتُ كاليوم!

قال الواقديّ: ثمّ دعا عُتْبة إلى المبارزة ورسول الله ﷺ في العَرِيش، وأصحابه على صفوفهم، فاضطجع، فغشيَه النَّوْم، وقال: لا تقاتلوا حتّى أوذنَكم، وإن كثبوكم فارمُوهم ولاتسلُّوا السُيوفَ حتّى يغشَوكم. فقال أبو بكر: يا رسول الله قد دنا القوم، وقد نالوا مِنّا، فاستيقظ، وقد أراه الله إيّاهم في منامه قليلًا، وقلّل بعضهم في أعين بعض، ففزع رسول الله ﷺ وهو رافع يديه يناشد ربّه ما وعده من النّصر، ويقول:

---

١ ـ اكتسعت الفرس: سقطت من ناحية مؤخّرها ورمت به.

«اللّهمّ إن تظهر علىّ هذه العصابة يظهر الشّرك، ولايقم لك دين»، وأبو بكر يقول: والله لينصرنّك الله وليبيّضنّ وجهك. قال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله، إنّي أشيرُ عليك، وأنت أعظم وأعلم بالله من أن يشارَ عليك، إنّ الله أجلّ وأعظم من أن ينشَد وعده! فقال عليه السلام: يا بن رواحة، ألا أنشدُ الله وعدَه، إنّ الله لا يخلف الميعاد! وأقبل عُتْبة يعمِد إلى القتال، فقال له حكيم بن حزام: مهلًا مهلًا يا أبا الوليد! لا تَنه عن شيء وتكون أوّله[1].

قال الواقديّ: قال خفاف بن إيماء: فرأيت أصحابَ النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم بدْر، وقد تصافّ النّاس وتزاحفوا، وهم لا يسلّون السُّيوف، ولكنّهم قد انتضوا القِسيّ، وقد تترّس بعضهم عن بعض بصفوفٍ متقاربة، لأُفرج بينها، والآخرون قد سلُّوا السُّيوف حين طلعوا، فعجبت من ذلك، فسألت بعد ذلك رجلًا من المهاجرين، فقال: أمرَنا رسول الله صلى الله عليه وآله ألّا نسلّ السُّيوف حتّى يغشونا[2].

قال الواقديّ: فلمّا تزاحف النّاس قال الأسود بن عبد الأسد المخزوميّ حين دنا من الحوض: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه. فشدّ حتّى دنا من الحوض، واستقبله حمزة بن عبد المطّلب، فضرَبه فأطنّ[3] قدمه، فزحف الأسود ليبرّ قسمه زعم، حتّى وقف في الحوض فهدَمه برجله الصّحيحة، وشرب منه، وأتبعه حمزة، فضربه في الحوض فقتله، والمشركون ينظرون ذلك على صفوفهم[4].

قال الواقديّ: ودَنا النّاس بعضُهم من بعض، فخرج عتبة وشيبة والوليد حتّى فَصَلوا من الصفّ، ثمّ دعوْا إلى المبارزة، فخرج إليهم فتيان ثلاثة من الأنصار، وهم

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٦٠، ٦١.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٦٠، ٦١.

٣ ـ أطن قدمه: قطعها.

٤ ـ على صفوفهم: أى على حالتهم الّتي كانوا عليها.

بنو عَفْراء: مُعاذ ومعوّذ وعوف ، بنو الحارث ـ ويقال: إنّ ثالثهم عبد الله بن رواحة، والثّابت عندنا أنّهم بنو عَفْراء ـ فاستحى رسول الله ﷺ من ذلك، وكره أن يكون أوّل قتال لقِيَ المسلمون فيه المشركين في الأنصار، وأحبّ أن تكون السَّوْكة لبني عمّه وقومه، فأمرهم، فرجعوا إلى مصافّهم، وقال لهم خيرًا، ثمّ نادى منادي المشركين: يا محمّد، أخرجْ إلينا الأكفاء من قومنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: يا بني هاشم، قوموا فقاتلوا بحقّكم الّذي بعث الله به نبيّكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله. فقام حمزة بن عبد المطّلب وعليّ بن أبي طالب وعُبيدة بن الحارث بن المطّلب بن عبد مناف، فمشوْا إليهم، فقال عتبة: تكلّموا نعرفْكم ـ وكان عليهم البِيض، فأنكروهم ـ فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم[1].

وروى محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي» خلاف هذه الرّواية، قال: إنّ بني عَفْراء وعبد الله بن رَوَاحة برزوا إلى عُتْبة وشيبة والوليد، فقالوا لهم: مَنْ أنتم؟ قالوا: رهط من الأنصار، فقالوا: ارجعوا فما لنا بكم من حاجة! ثمّ نادى مناديهم: يا محمّد أخرجْ إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا فلان، قم يا فلان، قم يا فلان[2].

قلت: وهذه الرّواية أشهر من رواية الواقديّ، وفي رواية الواقديّ ما يؤكّد صحّة رواية محمّد بن إسحاق، وهو قوله: إنّ منادي المشركين نادى: «يا محمّد، أخرج إلينا الأكفاء من قومنا» فلو لم يكن قد كلّمهم بنو عفراء وكلّموهم وردّوهم، لمّا نادى مناديهم بذلك. ويدلّ على ذلك قول بعض القرشيّين لبعض الأنصار في فخرٍ فخرَ به عليه: أنا مِن قوم لم يرضَ مشركوهم أن يقتلوا مؤمِني قومك.

قال الواقديّ: فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطّلب، أسد الله وأسد رسوله، فقال

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٦٢، ٦٣.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٥، وفيها: «قم ياعبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم ياعليّ».

عتبة: كفءٌ كريم، وأنا أسد الحلْفاء، مَن هذان معك؟ قال: عليّ بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن المطلّب، فقال: كفآن كريمان[١].

قال الواقديّ: قال ابن أبي الزِّناد: حدّثني أبي، قال: لم أسمع لعُتْبة كلمةً قطّ أوهَن من قوله: «أنا أسد الحَلْفاء» يعني بالحَلْفاء الأجمَة. قلت: قد روى هذه الكلمة على صيغة أخرى: «وأنا أُسد الحُلَفاء»، وروي: «أنا أسد الأحلاف». قالوا في تفسيرهما: أراد أنا سيّد أهل الحلْف المطيّبين، وكان الّذين حضروه بني عبد مناف وبني أسد بن عبد العزّى وبني تَيْم وبني زُهرة وبني الحارث بن فهر؛ خمس قبائل. وردّ قوم هذا التّأويل، فقالوا: إنّ المطيّبين لم يكن يقال: لهم الحلْفاء ولا الأحلاف، وإنّما ذلك لقب خصومهم وأعدائهم الّذين وقع التحالف لأجلهم، وهم بنو عبد الدّار، وبنو مخزوم، وبنو سَهْم، وبنو جُمَح، وبنو عديّ بن كعب؛ خمس قبائل. وقال قوم في تفسيرهما: إنّما عنى حِلْف الفُضول، وكان بعد حلف المطيّبين بزمان، وشهد حلْف الفُضول رسول الله ﷺ وهو صغير في دار ابن جُدْعان، وكان سببه أنّ رجلًا من اليمن قدم مكّة بمتاع، فاشتراه العاص بن وائل السهميّ ومطَله بالثّمن حتّى أتعبه، فقام بالحِجْر وناشد قُريشًا ظلامته، فاجتمع بنو هاشم وبنو أسد بن عبد العزّى وبنو زهرة، وبنو تميم في دار ابن جُدْعان، فتحالفوا و غمسُوا أيديَهم في ماء زمزم، بعد أن غسلوا به أركان البيت؛ أن ينصروا كلّ مظلوم بمكّة، ويردُّوا عليه ظلامته، ويأخذوا على يد الظّالم، وينهَوْا عن كلّ منكر، ما بلّ بحرٌ صوفة، فسمّى حلْف الفضول لفضله، وقد ذكره رسول الله ﷺ فقال: «شهدته وما أحبّ أنّ لي به حُمْرَ النّعم، ولا يزيده الإسلام إلّا شدّة»، وهذا التّفسير أيضًا غير صحيح، لأنّ بني عبد الشّمس لم يكونوا في حِلْف الفضول، فقد بان أنّ ما ذكره الواقديّ أصحّ وأثبت.

قال الواقديّ: ثمّ قال عتبة لابنه: قم يا وليد، فقام الوليد وقام إليه عليّ ـ وكانا أصغرَ

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٦٣

النّفر ـ فاختلفا ضربتيْن، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قام عتبة، وقام إليه حمزة فاختلفا ضربتيْن، فقتله حمزة رضي الله عنه، ثمّ قام شيبة، وقام إليه عُبيدة ـ وهو يومئذ أسنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فضرب شَيْبة رِجْل عبيدة بذُباب السَّيف، فأصاب عضلة ساقه، فقطعها وكرّ حمزة وعليّ على شيبة فقتلاه، واحتملا عبيدة فجازاه إلى الصفّ، ومخّ ساقه يسيل، فقال عبيدة: يا رسول الله، ألستُ شهيدًا؟ قال: بلى، قال: أمّا والله لو كان أبو طالب حيًّا لعلم أنّي أحقّ بما قال حين يقول:

كذبتمْ وبيت الله نخلِي محمَّدًا ولمّا نطاعِنْ دَونهُ و نناضِلُ

وننصرُه حتّى نصرّع حولَه ونذهَل عن أبنائنا و الحلائِل

ونزلت فيهم هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1].

وروى محمّد بن إسحاق أن عتبة بارزَ عُبيدة بن الحارث، وأنّ شيبة بارز حمزة بن عبد المطّلب، فقتل حمزة شيبة، لم يمهله أن قتله؛ ولم يمهل عليٌّ الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضرْبتين، كلاهما أثبتَ[2] صاحبه، وكرّ حمزة وعليٌّ عليهما السلام على على عُتْبة بأسيافهما، حتّى وقعا عليه[3]، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى الصَّف[4].

قلت: وهذه الرّواية توافق ما يذكره أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه، إذ يقول لمعاوية: وعندي السَّيْفُ الَّذي أعضضتُ به أخَاك وخالك وجدّك يوم بدر. ويقول في موضع آخر: قد عرفت مواقع نصالِها في أخيك وخالِك وجدّك، وما هي من الظّالمين ببعيد.

واختار البلاذريّ رواية الواقديّ: وقال: إنّ حمزة قتل عتبة، وإنّ عليًّا عليه السلام قتل

---

١ ـ الحجّ/ ١٩ والخبر في الواقديّ: ٦٣، ٦٤.

٢ ـ أثبته: جرحه.

٣ ـ ابن هشام: «ذفّفا عليه».

٤ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٥

الوليد، وشرك في قتل شيبة[١]. وهذا هو المناسب لأحوالهم من طريق السّنّ، لأنّ شيبة أسنّ الثّلاثة، فجُعل بإزاء عبيدة وهو أسنّ الثّلاثة، والوليد أصغر الثّلاثة سنًّا، فجُعل بإزاء عليّ عليه السلام وهو أصغر الثّلاثة سنًّا، وعتبة أوسطهم سنًّا، فجُعل بإزاء حمزة وهو أوسطهم سنًّا. وأيضًا فإنّ عتبة كان أمثَلَ الثّلاثة، فمقتضى القياس أن يكونَ قرنه أمثلَ الثّلاثة، وهو حمزة إذ ذاك، لأنّ عليًّا عليه السلام لم يكن قد اشتهر أمره جدًّا، وإنّما اشتهر الشُّهرة التّامّة بعد بدر. ولمن روى أنّ حمزة بارز شيبة ـ وهي رواية ابن إسحاق ـ أن ينتصر بشعر هند بنت عتبة ترثي أباها:

أعينَيّ جودًا بدمع سَرِبْ ... على خير خِنْدف لم ينقلبْ[٢]

تداعَى له رهطُه قُصْرةً ... بنو هاشم وبنو المطّلبْ[٣]

يذيقونه حرّ أسيافهمْ ... يعلّونه بعد ما قد عَطِبْ[٤]

فإذا كانت قد قالت أنّ عتبة أباها أذاقه بنو هاشم وبنو المطّلب حرّ أسيافهم، فقد ثبت أنّ المبارز لعتبة إنّما هو عُبيدة لأنّه من بني المطّلب جرح عتبة، فأثبته ثمّ ذفّف[٥] عليه حمزة وعليّ عليه السلام.

فأمّا الشّيعة، فإنّها تروي أنّ حمزة بادر عتبة فقتله، وأنّ إشتراك عليّ وحمزة إنّما هو في دم شيبة بعد أن جرحه عبيدة بن الحارث، هكذا ذكر محمّد ابن النُّعمان في كتاب «الإرشاد»، وهو خلاف ما تنطق به كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية، والأمر عندي

---

١ ـ أنساب الأشراف ١: ٢٩٧

٢ ـ سيرة ابن هشام: ٢: ٥٤١.

٣ ـ يقال: هو ابن عمّى قصرة، أي قريب. وفي ا والواقديّ: «غدوة».

٤ ـ ا: «شجب».

٥ ـ ذفّف عليه: أى أجهز.

مشتبه في هذا الموضع.

وروى محمّد بن النُعمان، عن أمير المؤمنين عليه السلام، إنّه كان يذكر يوم بدر ويقول: أختلف أنا والوليد بن عتبة ضربتين، فأخطأتني ضربتُه، وأضربه فاتّقاني بيده اليسرى، فأبانها السَيف، فكأنّي أنظر إلى وميض خاتم في شماله، ثمّ ضربته أُخرى فصرعته وسلبتُه، فرأيت به الرَدْع[1] من خَلُوق، فعلمت أنّه قريب عهد بعرس.

قال الواقديّ: وقد رويَ أنّ عُتبة بن ربيعة حين دعا إلى البراز، قام إليه ابنه أبو حذيفة بن عتبة يبارزه، فقال له النَبي عليه السلام: إجلس، فلمّا قام إليه النَفر أعان أبو حذيفة على أبيه عُتْبة بضربة[2].

قال الواقديّ: وأخبرني ابن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: شيْبة أكبر من عتبة بثلاث سنين، وحمزة أسنّ من النَبيّ عليه السلام بأربع سنين، والعبّاس أسنّ من النَبيّ صلى الله عليه وآله بثلاث سنين[3].

قال الواقديّ: واستفتح أبو جهل يوم بدر، فقال: اللّهمّ أقطعُنا للرّحم وآتانا بما لايعلم، فأحِنه الغداة، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ . . .﴾[4] الآية.

قال الواقديّ: وروى عُروة عن عائشة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله جعل شعار المهاجرين يوم بدر: يا بني عبد الرّحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله.

قال: وَرَوَى زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، أنّ شعارَ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر يا منصور أمِتْ[5].

١ـ الرَدْع: «الزّعفران».

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٦٤.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٦٥؛ والخبر هنا أوفى وأشمل.

٤ ـ الأنفال/١٩، والخبر في الواقديّ: ٦٥، وتاريخ الطَبريّ ٢: ٤٤١ (طبعة المعارف).

٥ ـ مغازي الواقديّ: ٦٦.

قال الواقديّ: ونهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ، وكان قد لبس السّلاح بمكّة يومًا قبل الهجرة في بعض ما كان ينال النّبيّ ﷺ من الأذى، وقال: لا يعرض اليوم أحدٌ لمحمّد باذًى إلّا وضعت فيه السّلاح. فشكر ذلك له النّبيّ ﷺ قال أبو داود المازنيّ: فلحقتُه يوم بدر، فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلِك إن أعطيت بيدك، قال: وما تريد إليّ! إنْ كان قد نهى عن قتلي، فقد كنت أبليتُه ذلك، فأمّا أن أعطىَ بيدي، فو اللّات والعزّى لقد علمتْ نسوة بمكّة أنّي لا أعطِي بيدي، وقد عرفتُ إنّك لا تدَعني، فافعل الّذي تريد، فرماه أبو داود بسهم، وقال: اللّهمّ سهمك؛ وأبو البختريّ عبدك، فضعه في مقتله: وأبو البختريّ دارع، ففتق السّهم الدّرْع فقتله.

قال الواقديّ: ويقال إنّ المجذّر بن ذياد قتل أبا البختريّ ولا يعرفه، وقال المجذّر في ذلك شعرًا عُرِف منه أنّه قاتله[1].

وفي رواية محمّد بن إسحاق، أنّ رسول الله ﷺ نهى يوم بدر عن قتل أبي البختريّ، واسمه الوليد بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى، لأنّه كان أكفّ النّاس عن رسول الله ﷺ بمكّة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان فيمن قام في نقض الصّحيفة الّتي كتبتها قريش على بني هاشم، فلقيه المجذّر بن ذياد البَلويّ حليف الأنصار، فقال له: إنّ رسول الله ﷺ نهانا عن قتلك، ومع أبي البختريّ زميل له خرج معه من مكّة يقال له جُنادة بن مُلَيحة، فقال أبو البختريّ: وزميلي! قال المجذّر: والله ما نحن بتاركي زميلك، ما نهانا رسول الله ﷺ إلّا عنك وحدك[2]، قال: إذًا والله لأموتنّ أنا وهو جميعًا، لا تتحدّث عنّي نساء أهل مكّة إنّي تركت زميلي حرصًا على

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٥.

٢ ـ ابن هشام: «ما أمرنا رسول الله إلّا بك وحدك».

الحياة، فنازله المجذّر وارتجز أبو البختريّ[١] فقال:

لن يُسلِم ابن حرّة زميلَهْ حتّى يموت أو يرى سبيلَهُ

ثمّ اقتتلا، فقتله المجذّر، وجاء إلى رسول الله ﷺ، فأخبره، وقال: والّذي بعثك بالحقّ لقد جهدت أن يستأسر فآتيَك به، فأبى إلّا القتال فقاتلته[٢] فقتلته[٣].

قال الواقديّ: ونهى النّبيّ ﷺ عن قتل الحارث بن عامر بن نوفل، وقال: ائسروه ولا تقتلوه، وكان كارهًا للخروج إلى بدر، فلقيه خبيب بن يساف فقتله ولا يعرفه، فبلغ النّبيّ ﷺ ذلك، فقال: لو وجدته قبل أن يقتَل لتركته لنسائه. ونهى عن قتل زَمْعة بن الأسود فقتله ثابت بن الجِذْع، ولا يعرفه.

قال الواقديّ: وارتجز عديّ بن أبي الزّغباء يوم بدر، فقال:

أنا عديّ و السَّحَلْ أمشي بها مَشْيَ الفَحَلْ

يعني درعه. فقال النّبيّ ﷺ مَنْ عديّ؟ فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله، قال: وماذا؟ [قال: ابن فلان، قال: لست أنت عديًّا، فقال عديّ بن أبي الزّغباء: أنا يا رسول الله عديّ، قال: وماذا][٤]؟ قال: «و السّحَل، أمشي بها مشى الفَحَل»، قال النّبيّ ﷺ: وما السَّحَل؟، قال: درعي، فقال ﷺ: «نعم العديّ، عديّ بن أبي الزّغباء»[٥].

---

١ ـ ابن هشام: «فقال أبوالبختريّ حين نازله المجذّر، وأبى إلّا القتال».

٢ ـ ابن هشام: «إلّا أن يقاتلني».

٣ ـ الخبر في سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٠، ٢٧١.

٤ ـ من مغازي الواقديّ.

٥ ـ مغازي الواقديّ: ٧٦.

قال الواقديّ: وكان عقبة بن أبي مُعَيْط قال بمكّة حين هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة:

يا راكب النّاقة القَصْواء هاجرَنَا عمّا قليلٍ ترانِي راكبَ الفَرَسِ

أعِلّ رُمْحِي فيكم ثمّ أنهِلُهُ والسَّيْفُ يأخذ منكم كلّ ملتبِسِ

فبلغ قولُه النّبيَّ ﷺ، فقال: «اللّهمّ أكبّه لمنخرِه و اصرعه»؛ فجمح به فرسُه يوم بدر، بعد أنْ ولّى النّاس، فأخذه عبد الله بن سلَمة العجلانيّ أسيرًا، و أمر النّبيّ ﷺ عاصم بن أبي الأقلح، فضرب عنقه صَبْرًا[1].

قال الواقديّ: وكان عبد الرّحمن يحدّث يقول: إنّي لأجمع أدراعًا يوم بدْر، بعد أنْ ولّى النّاس، فإذا أميّة بن خلَف ـ وكان لي صديقًا في الجاهليّة ـ وكان اسمي عبد عمرو، فلمّا جاء الإسلام تسمّيت عبد الرّحمن، فكان يلقاني بمكّة فيقول: يا عبد عمرو، فلا أجيبه، فيقول: إنّي لا أقول لك عبد الرّحمن، إنّ مسيْلِمة باليمامة[2] تسمّى بالرّحمن، فأنا لا أدعوك إليه، فكان يدعوني عبد الإله، فلمّا كان يوم بدر رأيتُه وكأنّه جمل يُساق، ومعه ابنه عليّ، فناداني: يا عبد عمرو، فأبيت أن أُجيبَه، فناداني: يا عبد الإله، فأجبته، فقال: أما لكم حاجة في اللّبن؟ نحن خيرلك من أدرعك هذه، فقلت: امضيا فجعلت أسوقهما أمامي، وقد رأى أميّة أنّه قد أمِن بعضَ الأمن، فقال لي أميّة: رأيت رجلًا فيكم اليوم معلِّمًا في صدره بريشة نعامة، مَن هو؟ فقلت: حمزة بن عبد المطلب فقال: ذاك الّذي فعل بنا الأفاعيل! ثمّ قال: فمَن رَجُلٌ دحداح قصير معلِّم بعصابة حمراء؟ قلت: ذاك رجل من الأنصار، يقال له: سِماك بن خَرَشة، قال: وبذاك

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٦، ٧٧.

٢ ـ الواقديّ: «يتسمّى».

أيضًا يا عبد الإله صرنا اليوم جَزَرًا لكم! قال: فبينا هو معي أزجَيه[١] أمامي، ومعه ابنه، إذ بصر به بلال وهو يعجن عجينا له، فترك العجين، وجعل يفتِلُ يديه منه فتلًا ذريعًا، وهو ينادي: يا معشر الأنصار، أميّة بن خلَف رأس الكفر! لا نجوتُ إن نجوتَ ـ قال: لأنّه كان يعذّبه بمكّة ـ فأقبلت الأنصار كأنّهم عُوذٌ حَنَت إلى أولادها، حتّى طرحوا أميّة على ظهره، واضطجعت عليه أحمِيه منهم، فأقبل الخبّاب بن المنذر، فأدخل سيفَه فاقتطع أرنبة أنفه، فلمّا فقد أميّة أنفه، قال لي: إيهًا عنك! أى خلّ بيني وبينهم، قال عبد الرّحمن: فذكرت قول حسّان:

* أو عَنْ ذلك الأنف جادع *

قال: ويقبل إليه خُبَيب بن يَساف، فضربه حتّى قتله، وقد كان أميّة ضرب خُبيب ابن يساف حتّى قطع يده من المنكِب، فأعادها النّبيّ ﷺ فالتحمت واستوت، فتزوّج خُبَيب بن يساف بعد ذلك ابنة أميّة بن خلف، فرأت تلك الضَّرْبة، فقالت: لا يشلّ الله يدَ رجلٍ فعل هذا! فقال خبيب: وأنا والله قد أوردته شَعُوب، فكان خُبَيب يحدّث يقول: فأضربه فوق العاتِق، فأقطع عاتقه حتّى بلغت مؤتزَره، وعليه الدّرع، وأنا أقول: خذها وأنا ابن يساف! وأخذت سلاحه ودرعه، وأقبل عليّ ابن أميّة فتعرّض له الخبّاب، فقطع رجله، فصاح صيحة ما سمع مثلها قطّ، ولقيه عمّار فضربه ضربة فقتله. ويقال: إنّ عمّارًا لاقاه قبل ضربة الخبّاب، فاختلفا ضربات، فقتله عمّار. والأُولَى أثبت، أنّه ضربه بعد أن قطعت رجله[٢].

قال الواقديّ: وقد سمعنا في قتل أميّة غير ذلك، حدَّثني عُبيد بن يحيى، عن معاذ بن رفاعة، عن أبيه، قال: لمّا كان يوم بدر و أحْدَقْنا بأميّة بن خلف، وكان له فيهم شأن، ومعى رمحي، ومعه رمحه، فتطاعنّا حتّى سقطتْ أزجَتُها، ثمّ صرنا إلى السَّيْفين

---

١ ـ أزجَيه: أسوقه.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٧٧، ٧٨

فتضاربنا بهما حتّى انثلما، ثمّ بصرت بفَتْق في درعه تحت إبطه، فحششت السَّيْف فيه حتّى قتلته، وخرج السَّيْف عليه الوَدك[١].

قال الواقديّ: وقد سمعنا وجهًا آخر: حدَّثني **محمّد** بن قُدامة بن موسى، عن أبيه، عن عائشة بنت قدامة، قالت: قال صفوان بن أميّة بن خلَف يومًا: يا قُدَام ـ لقدامة بن مظعون ـ أنت المشلِي[٢] بأبي يوم بدر النّاس! فقال قدامة: لا والله ما فعلت، ولو فعلت ما اعتذرت من قتل مشرك. قال صفوان: فمن يا قدام المشلِي به يوم بدر؟ قال: رأيت فتيةً من الأنصار أقبلوا إليه، فيهم معمَر بن خُبيب بن عبيد بن الحارث، يرفع سيفه ويضعه فيه، فقال صفوان: أبو قرد! وكان مَعْمَر رجلًا دميمًا، فسمع بذلك الحارث بن حاطب، فغضب له، فدخل على أمّ صفوان، فقال: ما يدَعُنا صفوان من الأذى في الجاهليّة والإسلام! قالت: وما ذاك؟ فأخبرها بمقالَة صفوان لمَعْمَر حين قال: أبوقرد! فقالت أمّ صفوان: يا صفوان، أتنتقص معمَر بن خبيب من أهل بدْر! والله لا أقبل لك كرامة سنةً. قال صفوان: يا أمّة، لا أعود والله أبدًا، تكلّمتُ بكلمة لم ألقِ لها بالًا[٣].

قال الواقديّ: وحدّثني **محمّد** بن قُدامة، عن أبيه، عن عائشة بنت قدامة، قالت: قيل لأمّ صفْوان بن أميّة ونظرت إلى الخبّاب بن المنذر بمكّة: هذا الّذي قطع رِجْل عليّ بن أميّة يومَ بدْر، قالت: دعونا عن ذكر مَنْ قُتِل على الشِّرْك، قد أهان الله عليًّا بضربة الخبّاب بن المنذر، وأكرم الله الخبّاب بضربته عليًّا، ولقد كان على الإسلام حين خرج من هاهنا، فقتل على غير ذلك[٤].

فأمّا محمّد بن إسحاق، فإنّه قال: قال عبد الرّحمن بن عوف: أخذت بيدِ أميّة بن

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٨، ٧٩.

٢ ـ المشلي: المحرض.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٧٩.

٤ ـ مغازي الواقديّ: ٧٩، ٨٠، وانظر سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٢، ٢٧٣.

خلَف ويد ابنه عليّ بن أميّة أسيرين يوم بَدْر، فبينا أنا أمشي بينهما، رآنا بلال ـ وكان أميّة هو الّذي يعذّب بلالًا بمكّة، يخرجه إلى رَمْضاء[١] مكّة إذا حميت، فيضجِعه على ظهره، ثمّ يأمرُ بالصَّخْرة العظيمة فتوضع بحرارتها على صدره، ويقول له: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمّد! فيقول بلال: أحدٌ أحدٌ! لا يزيده عَلَى ذلك ـ فلمّا رآه صاح: رأس الكفر أميّة بن خَلَف، لا نجوتُ إن نجوتَ! قال عبد الرّحمن: فقلت: أي بلال، أسيري! فقال: لا نجوتُ إنْ نَجا، فقلت: استمع يا بن السَّوْداء، قال: لا نجوت إن نجا، ثمّ صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، أميّة بن خَلف رأس الكفر، لا نجوتُ إن نجا، فأحاطوا بنا حتّى جعلونا في مثل المُسْكة[٢]، وأنا أذبّ عنه، ويحذف عمّار بن ياسر عليًّا ابنه بالسَّيْف، فأصاب رجله، فوقع وصاح أميّة صيحةً ما سمعت مثلَها قطّ[٣]، فخلّيت عنه، وقلت: انجُ بنفسك ولا نجاء به! فو الله ما أغني عنك شيئًا، قال: فهبروهما[٤] بأسيافهم حتّى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرّحمن بن عوف، يقول: رحِم الله بلالًا ! أذهب أدرعي، وفجعني بأسيري[٥]!

قال الواقديّ: وكان الزُّبير بن العوّام يحدّث فيقول: لمّا كان يومئذ لقيتُ عبيدة ابن سعيد بن العاص على فرس، عليه لأمة كاملة لا يُرى منه إلّا عيناه، وهو يقول ـ وكانت له صبيّة صغيرة، يحملها وكان لها بُطَين وكانت مقسّمة: أنا أبو ذات الكرش، أنا

---

١ ـ الرَمضاء: الرّمل الشّديد الحرارة من الشّمس.

٢ ـ المسكة: السّوار.

٣ ـ ابن هشام: «فأخلف رجل السّيف فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أميّة صيحة عظيمة ماسمعت بمثلها قطّ».

٤ ـ هبروهما: قطعوا لحمهما؛ تقول: هبرت اللّحم إذا قطعته قطعًا.

٥ ـ سيرة ابن هشام: ٢: ٢٧٢، ٢٧٣.

أبو ذات الكرش. قال: وفي يدي عَنَزة[١] فأطعن بها في عينه ووقع، و أطؤه برجلي عَلَى خَدّه، حتّى أخرجت العَنَزة متعقّفة، وأخرجت حدقته، وأخذ رسول الله ﷺ تلك العَنَزة، فكانت تحمل بين يديه، ثمّ صارت تحمَل بين يدي أبي بكر وعمر وعثمان[٢].

قال الواقديّ: و أقبل عاصم بن أبي عوف بن صُبَيرة السَّهمِيّ، لمّا جال النّاس واختلطوا، وكأنّه ذئب، وهو يقول: يا معشرَ قريش، عليكم بالقاطع مفرّق الجماعة، الآتي بما لا يعرف، محمّد، لا نجوتُ إن نجا! ويعترضه أبو دُجانة، فاختلفا ضربتيْن، ويضربه أبو دجانة فقتله، و وقف عَلَى سلبه يسلبه، فمرّ به عمر بن الخطّاب، فقال: دع سلَبه حتّى يُجهض[٣] العدوّ، و أنا أشهد لك به[٤].

قال الواقديّ: ويقبل معبد بن وهب، أحد بني عامر بن لؤيّ، فضرب أبا دُجانة ضربة بَرَك منها أبو دُجانة كما يبرك الجمل، ثمّ انتهض، وأقبل عَلَى معبد، فضربه ضربات لم يصنع سيفه شيئًا، حتّى يقع معبد بحفرة أمامه لا يراها، ونزل أبو دُجانة عليه، فذبحه ذبحًا، وأخذ سلبه[٥].

قال الواقديّ: ولمّا كان يومئذ، ورأت بنو مخزوم مقتَل مَنْ قُتِل، قالت: أبو الحكم! لا يخلّص إليه، فإنّ ابنَيْ ربيعة عَجِلًا وبطرًا، ولم تحام عنهما[٦] عشيرتهما. فاجتمعت بنو مخزوم، فأحدقوا به، فجعلوه [في][٧] مثل الحرجة، وأجمعوا أن يلبِسُوا لأمة أبي

---

١ ـ العنزة: شبيه العكازة، أطول من العصا أقصر من الرّمح، لها زجّ من أسفلها.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٨٠

٣ ـ ا والواقديّ: «نجهض».

٤ ـ مغازي الواقديّ: ٨١.

٥ ـ مغازي الواقديّ: ٨٠ و٨١.

٦ ـ كذا في ا، وفي ب والواقديّ «عليها».

٧ ـ من الواقديّ.

الجهل رجلًا منهم، فألبسوها عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعة، فصمد له عليّ عليه السلام، فقتله وهو يراه أبا جهل، ومضى عنه وهو يقول: أنا ابن عبد المطلَب! ثمّ ألبسوها أبا قيس بن الفاكه بن المغيرة، فصمَد له حمزة وهو يراه أبا جهل، فضربه فقتله وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلّب! ثمّ ألبسوها حَرْملة بن عمرو، فصمَد له عليّ عليه السلام فقتله، ثمّ أرادوا أن يلبسوها خالد بن الأعلم، فأبى أن يلبسها، قال معاذ بن عمرو بن الجموح: فنظرت يومئذٍ إلى أبي الجهل في مثل الحَرَجَة، وهم يقولون: أبو الحكم! لا يخلص إليه، فعرفت أنّه هو، فقلت: والله لأموتنّ دونه اليوم أو لأخلصنّ إليه، فصمدت له، حتّى إذا أمكنتني منه غِرّة حملت عليه، فضربته ضربةً طرحت رجلَه من السّاق، فشبّهتها النّواة تنزو من تحت المراضخ، فأقبل ابنُه عِكرمة عليّ فضربني على عاتقي، فطرح يدي من العاتق، إلّا أنّه بقيت جلدة، فذهبت أسحب يدِي بتلك الجلدة خلفِي، فلمّا آذتني وضعت عليها رجلي، ثمّ تمطيت عليها فقطعتها، ثمّ لاقيت عِكْرِمة وهو يلوذ كلّ ملاذ، ولو كانَتْ يدي معي لرجوت يومئذ أن أصيبَه ومات معاذ في زمن عثمان[1].

قال الواقديّ: فروى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نفّل معاذ بن عمرو بن الجموح سيفَ أبي الجهل، وإنّه عند آل معاذ بن عمرو اليوم وبه فلّ، بعد أن أرسل النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى عكرمة بن أبي الجهل، يسأله مَنْ قتل أباك؟ قال: الّذي قطعت يده، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله سيفَه إلى معاذ بن عمرو، لأنّ عكرمة بن أبي الجهل قطع يده يوم بدر[2].

قال الواقديّ: وما كان بنوالمغيرة يشكّون أن سيف أبي الحكم صار إلى معاذ بن عمرو بن الجموح، وأنّه قاتله يوم بدر.

قال الواقديّ: قد سمعت في قتله وأخذ سلبه غيرهذا؛ حدّثني عبد الحميد بن

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨١.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٨١ و٨٢.

جعفر، عن عمر بن الحكم بن ثوبان، عن عبد الرّحمن بن عوف، قال: عبّأنا رسول الله ﷺ بليل، فأصبحنا ونحن على صُفوفنا، فإذا بغلامين، ليس منهما واحد إلّا قد ربطت حمائل سيفه في عنقه لصغره، فالتفت إلىّ أحدهما، فقال: يا عمّ، أيّهم أبو جهل؟ قال: قلت: وما تصنع به يابن أخي؟ قال: بلغني أنّه يسبّ رسول الله ﷺ، فحلفت: لئن رأيتُه لأقتلنّه أو لأموتنّ دونه. فأشرت إليه، فالتفت إلىّ الآخر، وقال لي مثل ذلك، فأشرت له إليه، وقلت له: من أنتما؟ قالا: ابنا الحارث، قال: فجعلا لا يطرفان عن أبي الجهل؛ حتّى إذا كان القتال خَلَصا إليه فقتلاه وقتلهما[1].

قال الواقديّ: فحدّثني محمّد بن عوف، عن إبراهيم بن يحيى بن زيد بن ثابت، قال: لمّا كان يومئذ، قال عبد الرّحمن: ونظرإليهما عن يمينه وعن شماله: ليته كان إلى جنبي مَنْ هو أبدن من هذين الصّبيّين! فلم أنشب أن التفت إلى عوف، فقال: أيّهم أبو جهل؟ فقلت: ذاك حيث ترى، فخرج يعدو إليه كأنّه سَبُع، ولحقه أخوه، فأنا أنظر إليهم يضطربون بالسُّيوف، ثمّ نظرت إلى رسول الله ﷺ يمرّبهم في القتلى، وهما إلى جانب أبي الجهل[2].

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن رفاعة بن ثعلبة، قال: سمعتُ أبي ينكر ما يقول النّاس في ابني عَفْراء من صِغَرهما، ويقول: كانا يوم بدر أصغرهما ابن خمس وثلاثين سنة، فهذا يربطُ حمائل سيفه!

قال الواقديّ: والقول الأوّل أثبت[3]. وروى محمّد بن عمّار بن ياسر، عن رُبَيّع بنت معوّذ، قالت: دخلتُ في نسوةٍ من الأنصار على أسماء أمّ أبي الجهل في زمن عمر بن الخطّاب، وكان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يبعث إليها بعِطْرٍ من اليمن، فكانت تبيعه

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨٢، ٨٣.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٨٣.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٨٣.

إلى الأعطية، فكنّا نشتري منها، فلمّا جعلت لي في قواريري، ووزنت لي كما وزنت لصواحبي، قال: اكتبنّ لي عليكنّ حقّي، قلت: نعم، أكتب لها على الرَبَيّع بنت معوذ، فقالت: أسماء خلفي: وإنّك لابنة قاتل سيّده! فقلت: لا، ولكنّ ابنة قاتل عبده، فقالت: والله لا أبيعك شيئًا أبدًا، فقلت: أنا والله لا أشتري منك أبدًا، فو الله ما هو بطِيب ولا عَرْف؛ والله يا بنيّ ما شممت عطرًا قطّ كان أطيبَ منه، ولكنّي يا بنيّ غضبت[1].

قال الواقديّ: فلمّا وضعت الحرب أوزارها، أمر رسول الله ﷺ أن يلتمَس أبو جهل، قال ابن مسعود: فوجدته في آخر رَمَق، فوضعت رجلي على عنقه، فقلت: الحمدُ لله الّذي أخزاك! قال: إنّما أخزى الله العبد ابن أمّ عَبْد! لقد ارتقيتَ يا رويعي الغنم مرتقًا صعبًا! لمن الدَّبَرة؟ قلت: لله ولرسوله، قال ابن مسعود: فأقلع بيضتَه عن قفاه، وقلت: إنّي قاتلك، قال: لستَ بأوّل عبد قتل سيّدَه، أمّا إنّ أشدَّ ما لقيتُه اليوم لَقتلك إيّاى؛ ألّا يكون وُلِّي قتلي رجلٌ من الأحلاف أو من المطيّبين! قال: فضربه عبد الله ضربةً وقع رأسه بين يديه، ثمّ سلبه، وأقبل بسلاحه ودِرْعه وبيضته، فوضعها بين يدىْ رسول الله ﷺ، فقال، أبشِرْيا نبيّ الله بقتل عدوّ الله أبي الجهل! فقال رسول الله: أحقًّا يا عبد الله! فو الّذي نفسي بيده لهو أحبُّ إليّ من حُمْر النّعم! أو كما قال. ثمّ قال: إنّه أصابه جَحَش[2] من دفعٍ دفعته في مأدبة ابن جُدْعان، فجحشت ركبتُه فالتمسوه؟ فوجدوا ذلك الأثر[3].

قال الواقديّ: وروي أنّ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ كان عند النّبي ﷺ تلك السّاعة، فوجَد في نفسه، و أقبل على ابن مسعود، وقال: أنت قتلته؟ قال: نعم، الله

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨٤.

٢ ـ الجحش: الخدش، أو فوقه دون الجرح.

٣ ـ الواقديّ: ٨٤، ٨٥.

قتله! قال أبو سلمة: أنت وُلّيت قتله؟ قال: نعم، قال: لو شاء لجعلك في كُمّه! فقال ابن مسعود: فقد والله قتلتُه وجرّدتُه؛ فقال أبو سلمة: فما علامته؟ قال: شامّة سوداء ببطن فخذه اليمني؛ فعرف أبو سلمة النَّعت، فقال: أجردته، ولم يجرّد قرشي غيره! فقال ابن مسعود: إنّه والله لم يكن في قريش ولا في حُلفائها أحدُ أعدَى لله ولا لرسوله منه؛ وما أعتذر من شيء صنعته به. فأمسك أبو سلمة[1].

قال الواقديّ: سُمع أبو سلمة بعد ذلك يستغفر الله من كلامه في أبي الجهل، وقال: اللّهمّ إنّك قد أنجزت ما وعدتَني، فتمّم عليّ نعمتك. قال: وكان عبد الله بن عتبة بن مسعود، يقول: سيف أبي الجهل عندنا محلّى بفضّة، غنمه عبد الله بن مسعود يومئذ.

قال الواقديّ: اجتمع قولُ أصحابنا أنّ معاذ بن عمرو و ابنيْ عفراء أثبتوه، وضرب ابن مسعود عنقه في آخر رَمق، فكلّ شرك في قتله.

قال الواقديّ: وقد روى أنّ رسول الله ﷺ وقف على مصرع ابنيْ عفراء، فقال: يرحم الله ابنى عفراء؛ فإنّهما قد شركا في قتل فِرْعون هذه الأمّة، ورأس أئمة الكفر، فقيل: يا رسول الله ومَنْ قتله معهما؟ قال: الملائكة، وذفّف عليه ابن مسعود؛ فكان قد شرك في قتله[2].

قال الواقديّ: وحدَّثني معمَّر عن الزهريّ، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: اللّهمّ اكفني نوفل بن العدويّة ـ وهو نوفل بن خُويلد، من بني أسد بن عبد العزّى ـ وأقبل نوفل يومئذ يصيحُ وهو مرعوب، قد رأى قتل أصحابه، وكان في أوّل ما التقوْا هم والمسلمون، يصيح بصوت له زَجَل، رافعا عقيرته: يا معشر قريش، إنّ هذا اليوم يوم العَلاء والرِّفعة. فلمّا رأى قريشًا قد انكشفت جعل يصيح بالأنصار: ما حاجتكم إلى دمائنا؟ أما ترون مَنْ تقتلون؟ أما لكم في اللّبن من حاجة! فأسره جَبّار بن صَخْر، فهو

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨٥.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٨٥، ٨٦.

يسوقه أمامه، فجعل نوفل يقول لجبّار، ورأى عليًّا عليه السلام مقبلًا نحوه: يا أخا الأنصار، مَنْ هذا واللّات والعزّى! إنّي لأرى رجلًا، إنّه ليريدني! قال جبّار: هذا عليّ ابن أبي طالب، قال نوفل: تالله ما رأيتُ كاليوم رجلًا أسرع في قومه! فصمَد له عليّ عليه السلام فيضربه فينشب سيف عليّ في حَجَفته[1] ساعة، ثمّ ينزعه فيضرب به ساقيه، ودِرْعه مشتمرة، فيقطعها ثمّ أجهز عليه فقتله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ له علم بنوفل بن خويلد؟ قال عليّ صلى الله عليه وآله: أنا قتلته، فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله: وقال: الحمد لله الّذي أجاب دعوتي فيه[2].

قال الواقديّ: وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يبحث للقتال، فالتقى هو وعليّ عليه السلام، وقتله عليّ، فكان عمر بن الخطّاب يقول لابنه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص: ما لي أراك معرِضًا، تظنّ إنّي قتلت أباك! فقال سعيد: لو قتلتَه لكان على الباطل وكنتَ على الحقّ، قال: فقال عمر: إنّ قريشًا أعظم النّاس أحلامًا، وأكثرها أمانة، لا يبغيهم أحدٌ الغوائلَ إلّا كبّه الله لفيه[3].

قال الواقديّ: وروى أنّ عمر قال لسعيد بن العاص: ما لي أراك معرضًا كأنّي قتلت أباك يوم بدر؛ وإن كنت لا أعتذر من قتل مشرك، لقد قتلت خالي بيدي العاص بن هاشم بن المغيرة. ونقلت من غير كتاب الواقديّ أنّ عثمان بن عفّان وسعيد بن العاص حضرا عند عمر في أيّام خلافته، فجلس سعيد بن العاص حَجْرة[4]، فنظر إليه عمر، فقال: ما لي أراك مُعَرِّضًا كأنّي قتلت أباك! إنّي لم أقتله، ولكنّه قتله أبو حسن وكان عليّ عليه السلام حاضرًا، فقال: اللّهمّ غَفْرا! ذهب الشِّرْك بما فيه، ومحا الإسلام ما قبله؛

---

١ ـ الحجفة: التّرس.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٨٦.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٨٦ و٨٧.

٤ ـ حجرة: أي ناحية.

فلماذا تهاجُ القلوب! فسكت عمر، وقال سعيد: لقد قتله كفءٌ كريم؛ وهو أحبّ إليّ من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف.

قال الواقديّ: وكان عليّ عليه السلام يحدّث، فيقول: إنّي يومئذ بعد ما متع[1] النّهار، ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم، خرجت في إثر رجل منهم، فإذا رجل من المشركين على كثيب رمل وسعد بن خُيثمة، وهما يقتتلان حتّى قتل المشرك سعد بن خيثمة، والمشرك مقنّع في الحديد، وكان فارسًا، فاقتحم عن فرسه، فعرفني وهو معلِم، فناداني: هلّم يا بن أبي طالب إلى البراز! فعطفت إلى البراز، فعطفت عليه، فانحطّ إليّ مقبلًا، وكنت رجلًا قصيرًا، فانحططت راجعًا لكي ينزل إليّ، كرهت أن يعلوني، فقال: يا بن أبي طالب، فررت! فقلت: قريبًا مفرّ ابن الشّتراء. فلمّا استقرّت قدماى وثبتُّ أقبل فالتقيت فلمّا دنا منّي ضربني بالدَّرقة، فوقع سيفه، فلحِج[2] فأضربه على عاتقه وهو دارع، فارتعش ولقد قطّ سيفي درعُه، فظننت أنّ سيفي سيقتله، فإذا بريق سيف من ورائي، فطأطأت رأسي، ويقع السَّيف، فأطنَّ قِحْف رأسه بالبيضة، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلّب، فالتفتّ من ورائي، فإذا هو حمزة عمّي[3]، والمقتول طُعيمة ابن عدى[4].

قلت: في رواية محمّد بن إسحاق بن يسار أنّ طُعَيمة بن عدىّ قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ قال: وقيل: قتله حمزة[5]. وفي رواية الشّيعة قتله علي بن أبي طالب، شجَرَه بالرَّمح، فقال له: والله لا تخاصمنا في الله بعد اليوم أبدًا؛ وهكذا روى محمّد بن

---

١ ـ الواقديّ: «ارتفع».

٢ ـ الواقديّ: يعني «لزم».

٣ ـ الواقديّ: «حمزة بن عبد المطلب».

٤ ـ مغازي الواقديّ: ٨٧.

٥ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣٥٧

إسحاق.

وروى محمّد بن إسحاق قال: وخرج النَّبيّ ﷺ من العريش إلى النَّاس ينظر القتال، فحرّض المسلمين وقال: كلّ امرئ بما أصاب، وقال: والّذي نفس محمّد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل في جملة، فيقتَل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبر، إلّا أدخله الله الجنّة. فقال عُمَير بن الحُمام أخو بني سَلمة، وفي يده تَمَرات يأكلهنّ: بخ بخ! فما بيني وبين أن أدخل الجَنّة إلّا أن يَقْتُلَني هؤلاء! ثمّ قذف التّمرات من يده، وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتّى قُتِل[1].

قال محمّد بن إسحاق: وحدّثني عاصم بن عمرو بن قتاده أنّ عوف بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال لرسول الله ﷺ يوم بدر: يا رسول الله، ما يُضحِكُ الرّبّ من عبده؟ قال: غمْسه يده في العدوّ حاسرًا. فنزع عوف درعًا كانت عليه وقذفها، ثمّ أخذ سيفه فقاتل القوم حتّى قتل[2].

قال الواقديّ وابن إسحاق: وأخذ رسول الله ﷺ كفًّا من البَطْحاء، فرماهم بها، وقال: شاهت الوجوه[3]! اللّهمّ أَرعب قلوبَهم، وزلزِلْ أقدامهم. فانهزم المشركون لا يلوُون على شيء، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون.

قال الواقديّ: وكان هبيرة بن أبي وهب المخزوميّ لمّا رأى الهزيمة انخزل ظهره فعُقر، فلم يستطع أن يقوم، فأتاه أبو أسامة الجشمي حليفُه، ففتق درعه واحتمله ـ ويقال: ـ ضربه أبو داود المازنيّ بالسّيف فقطع درعه، ووقع لوجهه، وأخلد إلى الأرض، وجاوزه أبو داود وبصُر به ابنا زهير الجشميّان مالك، وأبو أُسامة، وهما حليفاه، فذبّا عنه حتّى نجوَا به، واحتمله أبو أسامة ومالك يذبّ عنه، حتّى خلّصاه فقال رسول الله ﷺ حماه

١ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٨

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٦٨

٣ ـ بعدها في ابن هشام: «ثمّ بعجبهم بها».

كلباه الحليفان[١].

قال الواقديّ: وحدَّثني عمربن عثمان عن عُكّاشة بن محصَن، قال: انقطع سيفي يوم بدر، فأعطاني رسول الله ﷺ عودًا، فإذا هو سيف أبيض طويل، فقاتلت به حتّى هزم الله المشركين، ولم يزل ذلك السَّيف عند عُكّاشه حتّى هلك.

قال: وقد روى رجالٌ من بني عبد الأشهل عدّة، قالوا: انكسر سيف سَلَمة بن أسلم[٢] بن حريش[٣] يوم بدر، فبقي أعزل لا سلاح معه، فأعطاه رسول الله ﷺ قضيبًا كان في يده من عراجين ابن طاب[٤]، فقال: اضرب به، فإذا هو سيف جيّد، فلم يزل عنده حتّى قتل يوم جسر أبي عبيد[٥].

قال الواقديّ: وأصاب حارثة بن سُراقة، وهو يكرع في الحوض سهمٌ غَرَب[٦] من المشركين فوقع في نحره، فمات، فلقد شرب القوم آخرَ النَّهار من دمه؛ وبلغ أمّه وأختَه ـ وهما بالمدينة مقتله ـ فقالت أمّه: والله لا أبكي عليه؛ حتّى يقدم رسول الله ﷺ فأسأله، فإنْ كان في الجنّة لم أبكِ عليه، وإنْ كان في النّار بكيته لعمر الله، فأعولْتُه! فلمّا قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت أمّه إليه، فقالت: يا رسول الله، قد عرفتَ موضع حارثة في قلبي، فأردت أن أبكيَ عليه، ثمّ قلت: لا أفعلُ حتّى أسأل رسول الله ﷺ عنه؛ فإن كان في الجنّة لم أبكِه، وإن كان في النّار بكيتُه فأعولته! فقال النّبيّ ﷺ: «هُبِلْتِ: أجنّة واحدة! إنّها جنان كثيرة، و الّذي نفسي بيده إنّه لفي

١ـ مغازي الواقديّ: ٨٩ مع اختلاف في الرّواية.

٢ ـ ب: «أشهل»، وصوابه من ا والواقديّ و ابن هشام.

٣ ـ ا: «جريش»، والصّواب ما في ب و الواقديّ.

٤ ـ في اللّسان: «عذق ابن طالب نخلة بالمدينة، وقيل: ابن طاب ضرب من الرّطب هنا لك».

٥ ـ مغازي الواقديّ: ٨٨.

٦ ـ سهم غرب: لا يدري راميه.

الفردوس الأعلى»، قالت: فلا أبكي عليه أبدًا.

قال الواقديّ: ودعا رسول الله ﷺ حينئذ بماء في إناء، فغمس يده فيه ومضمض فاه، ثمّ ناول أمّ حارثة بن سراقة، فشربت ثمّ ناولت ابنتها فشربت، ثمّ أمرهما فنضحَتا في جُيوبهما، ثمّ رجعتا من عند النّبي ﷺ، وما بالمدينة امرأتان أقرّ عينًا منهما ولا أسَرّ[1].

قال الواقديّ: وكان حكيم بن حزام يقول: انهزمنا يوم بدر، فجعلت أسعى وأقول: قاتل الله ابن الحنظليّة! يزعم أنّ النّهار قد ذهب، والله إنّ النّهار لكما هو؛ قال حكيم: وماذاك بي إلّا حبًّا أنْ يأتي اللّيلُ فيقصّر عنّا طلب القوم، فيدرك حكيم عبيد الله وعبد الرّحمن بني العوّام على جمل لهما، فقال عبد الرّحمن لأخيه: انزل فاحمل أبا خالد، وكان عبيد الله رجلًا أعرج، لا رُجْلة[2] به، فقال عبيد الله: إنّه لا رُجْلة بي كما ترى؛ وقال عبد الرّحمن: والله أنْ منه لا بدّ ألا نحمل رجلًا، إن متنا كفانا ما خلّفنا من عيالنا، وإن عشنا حملنا كلّنا! فنزل عبد الرّحمن وأخوه الأعرج، فحملاه، فكانوا يتعاقبون الجمل، فلمّا دنا من مكّة وكان بمرّ الظّهْران، قال: والله لقد رأيتُ هاهنا أمرًا ما كان يخرج على مثله أحد له رأى، ولكنّه شؤم ابن الحنظليّة، إنّ جَزورًا نحرت هاهنا فلم يبق خباء إلّا أصابه من دمها. فقالا: قد رأينا ذلك؛ ولكن رأيناك وقومك قد مضيتم فمضينا معكم، ولم يكن لنا معكم أمر.

قال الواقديّ: فحدّثني عبد الرّحمن بن الحارث عن مخلّد بن خفاف، عن أبيه، قال: كانت الدّروع في قريش كثيرة يومئذ؛ فلمّا انهزموا جعلوا يلقُونها، وجعل المسلمون يتبعونهم ويلقطون ما طرحوا، ولقد رأيتُني يومئذ التقطت ثلاث أدرع جئت بها أهلي، فكانت عندنا بعد، فزعم لي رجلٌ من قريش ـ ورأى دِرْعًا منها عندنا

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨٨.

٢ ـ الرّجلة؛ بالضّم: القوّة على المشي.

فعرفها ـ قال: هذه دِرْع الحارث بن هشام[١].

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن حميد، عن عبد الله بن عمرو بن أميّة، قال: أخبرني من انكشف من قريش يومئذ منهزمًا، وإنّه ليقول في نفسه: ما رأيتُ مثل هذا فرّ منه إلّا النِّساء[٢].

قال الواقديّ: كان قَباث بن أشْيَم الكنانيّ يقول: شهدت مع المشركين بدرًا، وإنّي لأنظر إلى قلّة أصحاب محمّد في عيني، وكثرة مَنْ معنا من الخيل والرّجل، فانهزمتُ فيمن انهزم، فلقد رأيتُني وإنّي لأنظر إلى المشركين في كلّ وجه، وإنّي لأقول في نفسي: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلّا النِّساء! وصاحبي رجل، فبينا هو يسير معي إذ لحقنا مِن خلْفنا، فقلت لصاحبي: أبِك نهوض؟ قال: لا والله ما بي! قال: وعُقِر وترفعت، فلقد صبحت غَيْقَةُ ـ قال: وغَيْقةُ عن يسار السّقيا بينهما وبين الفُرع ليلة وبين الفُرع والمدينة ثمانية بُرُد ـ قبل الشّمس؛ كنت هاديًا بالطّريق؛ ولم أسلك المحاجّ[٣]، وخفت من الطّلَب فتنكّبت عنها، فلقيَني رجل من قومي بغيقَة، فقال: ما وراءك؟ قلت: لا شيء؟ قُتِلْنا وأسِرنا وانهزمنا، فهل عندك من حُملان؟ قال: فحملني على بعير، وزوّدني زادًا، حتّى لقيت الطّريق بالجُحفة، ثمّ مضيت حتّى دخلت مكّة؛ وإنّي لأنظر إلى الحَيسُمان بن حابس الخُزاعي بالغَمِيم، فعرفت أنّه تقدّم ينعَى قريشًا بمكّة، فلو أردت أن أسبقه لسبقته، فتنكّبت عنه[٤] حتّى سبقني ببعض النّهار، فقدمت وقد انتهى إلى مكّة خبر قتلاهم، وهم يلعنون الخُزاعيّ، ويقولون: ما جاءنا بخير! فمكثت بمكّة، فلمّا كان بعد الخندق، قلت: لو قدمت المدينة، فنظرت ما يقول محمّد! وقد وقع في قلبي الإسلام، فقدمت المدينة، فسألت عن رسول الله ﷺ، فقالوا: هو ذاك في ظلّ المسجد

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٨٩، ٩٠.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٩٠.

٣ ـ الواقديّ: «المحاجّ».

٤ ـ ب: «فنكبت»، وأثبت ما في الواقديّ.

مع ملإٍ من أصحابه، فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم، فسلّمت فقال: يا قَباث بن أشيم، أنت القائل يوم بدر: ما رأيت مثل هذا الأمر فرّ منه إلّا النِساء! قلت: أشهد أنّك رسول الله، وأنّ هذا الأمر ما خرج منّي إلى أحد قطّ ولا ما ترمرمت به[١]؛ إلّا شيئًا حدّثت به نفسي، فلو لا أتك نبيّ ما أطلعك الله عليه؛ هلمّ حتّى أبايعك فأسلمت[٢].

قال الواقديّ: وقد روى أنّه لمّا توجّه المشركون إلى بدر كان فتيان ممّن تخلّف عنهم بمكّة سمّارًا يسمرون بذى طُوًى في القمر حتّى يذهب اللّيل، يتناشدون الأشعار ويتحدّثون، فبيناهم كذلك إذ سمعوا صوتًا قريبًا منهم ولا يرون القائل، رافعًا صوته يتغنّي:

أزاد الحنيفيُّون بدرًا مصيبة ... سينقضّ منها ركنُ كِسرى وقَيْصَرا

أرنّت لها صُمّ الجبال و أفزعت ... قبائل ما بين الوتير فخيْبَرا[٣]

أجازت جبال الأخشبيْن وجُرِّدتْ ... حرائرُ يضربن التّرائب حُسّرا[٤]

قال الواقديّ: أنشدَنِيه[٥]، و رواه لي عبد الله بن أبي عبيدة، عن محمّد بن عمّار بن ياسر، قال: فاستمعوا الصّوت، فلا يرون أحدًا، فخرجوا في طلبه، فلم يروْا أحدًا، فخرجوا فزِعين، حتّى جازوا الحِجْر، فوجدوا مشيخةً منهم جِلّةً سمّارا، فأخبروهم الخبر، فقالوا لهم: إنْ كان ما تقولون، فإنّ محمّدًا وأصحابه يسمّوْن الحنيفيّة. قال: فلم يبقَ أحدٌ من الفتيان الّذين كانوا بذى طوًى إلّا وَعِك، فما مكثُوا إلّا ليلتين أو ثلاثًا، حتّى

---

١ ـ ما ترمرمت به؛ أي ما نطقت به.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٩٠، ٩١.

٣ ـ كذا في ا والواقديّ، و في ب: «وخيبرا».

٤ ـ كذا في ا، و في ب: «التّراب وحسرا».

٥ ـ الواقديّ: «أنشدني».

قدم الحيْسُمان [١] الخزاعيّ بخبر أهل بَدْر، ومن قتل منهم، فجعل يخبرهم، فيقول: قتِل عُتْبة وشَيْبة ابنا ربيعة، وقتِل ابنا الحجّاج وأبو البختريّ، وزمْعة بن الأسود ـ قال: وصفوان بن أميّة في الحِجْر جالس يقول: لا يعقل هذا شيئًا ممّا يتكلّم به! سلوه عني، فقالوا: صفوان بن أميّة لك به علم؟ قال: نعم، هو ذاك في الحِجْر، ولقد رأيت أباه وأخاه مقتولَيْن، ورأيت سُهيل بن عمرو والنّضر بن الحارث أسيرَيْن، رأيتهما مقرونين في الحبال [٢].

قال الواقديّ: وبلغ النَّجاشيَّ مقتلُ قريش وما ظفّر الله به [٣] رسوله، فخرج في ثوبَيْن أبيضين، ثمّ جلس على الأرض، ودعا جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فقال: أيّكم يعرف [٤] بدرًا؟ فأخبروه فقال: أنا عارف بها، قد رعيتُ الغنم [في] [٥] جوانبها، هي من السَّاحل على بعض نهار، ولكنّي أردتُ أن أتثبّت منكم، قد نصر الله رسوله ببدر، فاحمَدوا الله على ذلك. فقال بطارقته: أصلح الله الملك! إنّ هذا شيء لم تكن تصنعه، يريدون لبسَ البياض والجلوس على الأرض، فقال: إنّ عيسى بن مريم كان إذا حدثَتْ له نعمة إزداد بها تواضعًا [٦].

قال الواقديّ: فلمّا رجعت قريش إلى مكّة، قام فيهم أبو سفيان بن حرْب، فقال: يا معشرَ قريش، لا تبكوا على قتلاكم، ولا تنحْ عليهم نائحة، ولا يندبهم شاعر،

---

١ ـ في الأصول: «الحيثمان»؛ والصّواب ما أثبته من الواقديّ والبلاذريّ وابن هشام والطّبريّ.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ١١٤

٣ ـ الواقديّ: «نبيه».

٤ ـ الواقديّ: «أين بدر».

٥ ـ من ا والواقديّ.

٦ ـ الواقديّ: ١١٥«تلبس ثوبين وتجلس على الأرض؛ فقال: إنّي من قوم إذا أحدث الله لهم نعمة ازدادوا بها تواضعًا. ويقال: إنّه قال: إنّ عيسى ـ بن مريم عليه السلام كان إذا حدثت له نعمة ازداد بها تواضعًا». والخبر في الواقديّ: ١١٤.

وأظهروا الجَلد والعَزاء، فإنّكم إذا نُحتم عليهم وبكيتموهم بالشّعر أذهب ذلك غيظكم فأكلّكمُ [ذلك][1] عن عداوة محمّد وأصحابه، مع أنّ محمّدًا إن بلغه وأصحابه ذلك شمتوا بكم، فتكون أعظم المصيبتيْن، ولعلّكم تدركون ثأركم، فالدّهن والنِّساء علىَ حرام حتّى أغزو محمّدًا. فمكثتْ قريش شهرًا لا يبكيهم شاعر، ولاتنوح عليهم نائحة.

قال الواقديّ: وكان الأسود بن المطلّب قد ذهب بصره، وقد كَمِد على مَنْ قتل من ولده، وكان يحبّ أن يبكي عليهم فتأبى عليه قريش ذلك، فكان يقول لغلامه بين اليومين: ويلك! احمل معي خمرًا؛ واسلك بي الفجّ الّذي سلكه أبو حكيمة ـ يعنى زمْعة ولده المقتول ببدر ـ فيأتي به غلامه على الطّريق عند ذلك الفجّ فيجلس، فيسقيه الخمر حتّى ينتشى، ثمّ يبكي على أبي حَكِيمة وإخوته، ثمّ يحثى التُّراب على رأسه، ويقول لغلامه: ويحك! اكتم علىّ، فإنّي أكره أن تعلم بي قريش، إنّي أراها لم تجمع البكاء على قتلاها[2].

قال الواقديّ: حدَّثني مصعب بن ثابت عن عيسى بن معمَّر، عن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير، عن عائشة قالت: قالت قريش حين رجعوا إلى مكّة: لا تبكُوا على قتلاكم، فيبلغ محمّدًا وأصحابه فيشمتوا بكم، ولاتبعثوا في أسراكم، فيأرب[3] بكم القوم، ألا فأمسكوا عن البكاء.

قال: وكان الأسود بن المطلّب أصيب له ثلاثة من ولده: زمْعة وعقيل والحارث بن زمعة، فكان يحبّ أن يبكى على قتلاه، فبينا هو كذلك إذ سمع نائحة من اللّيل، فقال لغلامه ـ وقد ذهب بصره ـ: انظر، هل بكت قريش على قتلاها! لعلّى أبكى على أبي حَكِيمة ـ يعنى زَمْعة ـ فإنّ جوفى قد احترق، فذهب الغلام ورجع إليه، فقال: إنّما هي امرأة تبكي على بعيرها قد أضلّته. فقال الأسود:

---

١ ـ من الواقديّ: ١١٥.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ١١٤.

٣ ـ فيأرب: فيشتدّ.

تبكِّـــي أن يضـــلّ لهـــا بعيـــرٌ ويمنعهـــا مـــن النّـــوم السُّـــهودُ[١]
فـــلا تبكـــي عـــلى بَكْـــرٍ و لكـــن عـــلى بَكْـــرٍ تصـــاغرت الخـــدُود[٢]
فبكّـــى إن بكيـــت عـــلى عقِيـــل و بكّـــى حارثًـــا أسَـــد الأســـودِ
وبكِّـــيهم ولاتَســـمِى جميعًـــا[٣] فمـــا لأبي حَكيمـــة مـــن نديـــدِ
عـــلى بـــدر سَـــراة بـــني هُصـــيص ومخـــزوم ورهـــط أبي الوليـــد
ألا قـــد ســـادَ بعـــدهمُ رجـــالٌ ولـــو لا يـــومُ بـــدرٍ لم يســـودُوا

قال الواقديّ: ومشت نساء من قريش إلى هند بنت عتبة، فقلن: ألا تبكِين عَلَى أبيك وأخيك وعمّك وأهل بيتك! فقالت: حَلّأني[٤] أنْ أبكيَهم، فيبلغ محمّدًا وأصحابه وأصحابه فيشمَتوا بنا ونساء بني الخزرج، لا والله حتّى أثأر محمّدًا وأصحابه، والدّهن علىّ حرام إن دخل رأسي حتّى نغزُوَ محمّدًا! والله لو أعلم أنّ الحزن يذهب عن قلبي لبكيتُ، ولكن لا يذهبه إلّا أن أرى ثاري بعيني من قتلة الأحبّة، فمكثت عَلَى حالها لا تقرب الدّهن، ولاقربت فراش أبي سفيان من يوم حلفتْ حتّى كانت وقعة أحُد[٥].

قال الواقديّ: وبلغ نوفل بن معاويه الدّيلي وهو في أهله ـ وقد كان شهد معهم بدرًا

---

١ ـ الخبر والشّعر ـ مع اختلاف الرّواية ـ في سيرة ابن هشام ٢: ٢٩١، والشّعر أيضًا في ديوان الحماسة بشرح المرزوقيّ ٢: ٨٧٢.

٢ ـ الحماسة: «تقاصرت الجدود»، قال المرزوقيّ: «هو تفاعل من القصور والعجز؛ لا القصر الّذي هو ضدّ الطّول، وفي الواقديّ عن هشام: سمعت أبي ينشد «تصاغرت الخدود»، ولاينكر «الخدود».

٣ ـ لا تسمى، أى لاتسأمي.

٤ ـ حلّأني: منعني.

٥ ـ مغازي الواقديّ: ١١٦، ١١٧.

ـ أنّ قريشًا بكت على قتلاها؛ فقدَّم مكّة، فقال: يا معشرَ قريش، لقد خفَت أحلامكم، وسفِه رأيكم، وأطعتم نساءكم، أمثل قتلاكم يبكي عليهم! هنَ أجلَ من البكاء، مع أنّ ذلك يذهب غيظكم عن عداوة محمّد وأصحابه، فلا ينبغي أن يذهب الغيظ عنكم، إلّا أن تدركوا ثأرَكم من عدوّكم. فسمع أبو سفيان بن حرب كلامه، فقال: يا أبا معاوية، غُلبت، والله ما ناحت امرأة من بني عبد شمس على قتيل لها إلى اليوم، ولا بكاهم شاعر إلّا نهيتُه حتّى ندرك ثأرنا من محمّد وأصحابه، وإنّي لأنا الموتور الثائر، قتِل ابني حنظلة، وسادة أهل هذا الوادي؛ أصبح هذا الوادي مقشعرًّا لفقدهم[1]!

قال الواقديّ: وحدّثني معاذ بن محمّد الأنصاريّ، عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: لمّا رجع المشركون إلى مكّة، وقد قتل صناديدهم وأشرافهم، أقبل عمير بن وهب بن عمير الجُمَحيّ حتّى جلس إلى صفوان بن أميّة في الحِجْر، فقال صفوان بن أميّة: قُبِّح العيش بعد قتلى بدر! قال عمير بن وهب: أجل والله، ما في العيش بعدهم خيرٌ، ولو لا دين عليّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدَع لهم شيئًا، لرحلتُ إلى محمّد حتّى أقتلَه أن ملأتُ عيني منه؛ فإنّه بلَغني أنّه يطوف في الأسواق، فإنّ لي عندهم علّة، أقول: قدمت على ابني هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله، وقال: يا أبا أميّة، وهل نراك فاعلا؟ قال: إي وربّ هذه البنيّة! قال صفوان: فعليّ دينُك، وعيالك أسوة عيالي، فأنت تعلم أنّه ليس بمكّة رجل أشدّ توسّعًا على عياله منّي. قال عمير: قد عرفت ذلك يا أباوهب، قال صفوان: فإنّ عيالك مع عيالي، لا يسعني شيء ونَعجز عنهم، و دينك عليّ. فحمله صفوان على بعيره، وجهّزه وأجرى على عياله مثل ما يجري على عيال نفسه، وأمر عمير بسيفه فشحِذ وسمّ، ثمّ خرج إلى المدينة، وقال لصفوان: اكتم عليّ أيّامًا حتّى أقدمها، وخرج فلم يذكره صفوان، وقدم عُمير، فنزل على باب المسجد،

١ـ مغازي الواقديّ: ١١٨

وعَقَل راحلته وأخذ السّيف فتقلّده، ثمّ عمَد نحو رسول الله ﷺ، وعمر بن الخطّاب في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون[١]، ويذكرون نعمةَ الله عليهم في بَدْر، فرأى عميرًا وعليه السّيف، ففزع عمر منه، وقال لأصحابه: دونكم الكلب! هذا عمير بن وهب عدوّ الله الّذي حَرّش بيننا يوم بدر، وحزرنا للقوم؛ وصعّد فينا وصوّب؛ يخبر قريشًا أنّه لا عدد لنا ولا كمين. فقاموا إليه فأخذوه، فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛ هذا عمير بن وهْب، قد دخل المسجد ومعه السّلاح، وهو الغادر الخبيث الّذي لا يؤمَن على شيء، فقال النّبيّ ﷺ: أدخِلْه عليّ، فخرج عمر فأخذ بحمائل سيفه، فقبض بيده عليها، وأخذ بيده الأخرى قائم السَّيف، ثمّ أدخله عَلَى رسول الله ﷺ، فلمّا رآه، قال: يا عمر تأخّر عنه، فلمّا دنا عُمير إلى النّبي ﷺ قال: أنعِم صباحًا، فقال له النّبيّ ﷺ: قد أكرمنا الله عن تحيّتك، وجعل تحيّتنا السّلام، وهي تحيّة أهل الجنّة. قال عمير: إنّ عهدك بها لحديث، فقال النّبيّ ﷺ: قد أبدلنا الله خيرًا، فما أقدمك يا عمير؟ قال: قدمت في أسيري عندكم تفادونه وتقاربوننا فيه، فإنّكم العشيرة والأصل! قال النّبيّ ﷺ: فما بالُ السَّيف! قال عمير: قبحَها الله من سيوف! وهل أغنتْ من شيء إنّما نسيته حين نزلت وهو في رقبتي، ولعمري إنّ لي لهمًّا غيره، فقال رسول الله ﷺ: أصدق يا عمير، ما الّذي أقدمك؟ قال: ما قدمت إلّا في أسيري، قال ﷺ: فما شرطتَ لصفوان بن أميّة في الحِجْر؟ ففزع عمير، وقال: ما ذا شرطتُ له؟ قال: تحمّلت بقتلي، على أن يقضيَ دينَك، ويعول عيالَك، والله حائل بينك وبين ذلك! قال عمير: أشهد أنّك رسول الله أنّك صادق، وأشهد أن لا إله إلّا الله، كنّا يا رسول الله نكذّبك بالوحي، وبما يأتيك من السَّماء، وإنّ هذا الحديث كان بيني وبين صفوان كما قلت، لم يطّلع عليه غيره وغيري، وقد أمرتُه أن يكتمه[٢] ليالي، فأطلعك الله عليه، فآمنت

---

١ ـ الواقديّ: «فنظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو في نفر من أصحابه يتحدّثون».

٢ ـ ا: «يكتم عنّي».

بالله ورسوله، وشهدت أنّ ما جئت به حقّ.

الحمد لله الّذي ساقني هذا المساق! وفرح المسلمون حين هداه الله، وقال عمر بن الخطّاب: لخنزيرٌ كان أحبّ إليّ منه حين طلع، وهو السّاعة أحبّ إلىّ من بعض ولدِي. وقال النّبيّ ﷺ: «علّموا أخاكم القرآن، وأَطلِقوا له أسيرَه»، فقال عمير: يا رسول الله، إنّي كنت جاهدًا على إطفاء نور الله، فله الحمد أن هداني، فأْذَنْ لي فألحقَ قريشًا فأدعوَهم إلى الله وإلى الإسلام، فلعلّ الله يهديهم ويستنقذهم من الهلكة، فأذن له فخرج، فلحق بمكّة. وكان صفوان يسأل عن عمير بن وهب كلّ راكبٍ يقدم من المدينة، يقول: هل حدَث بالمدينة من حدث؟ ويقول لقريش: أبشروا بوقعةٍ تنسيكم وَقْعة بدر، فقدم رجل من المدينة، فسأله صفوان عن عمير، فقال: أسلَم، فلعنه صفوان ولعنه المشركون بمكّة، وقالوا: صَبأ عميْر، وحلف صفوان ألّا يكلّمه أبدًا، ولاينفعه، وطرح عياله. وقدم عمير، فنزل في أهله، ولم يأتِ صفوان، وأظهر الإسلام، فبلّغ صفوانَ. فقال: قد عرفت حين لم يبدأ بي قبل منزله، وقد كان رجل أخبرني أنّه ارتكَس، لا أكلّمه من رأسي أبدًا، ولاأنفعه ولاعياله بنافعةٍ أبدًا، فوقع عليه عُمَير وهو في الحِجْر فقال: يا أبا وهْب. فأعرض صفوان عنه، فقال عمير: أنت سيّد من ساداتنا، أرأيت الّذي كنّا عليه من عبادة حَجَر، والذّبح له! أهذا دين! أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا عبده ورسوله، فلم يجبه صَفْوان بكلمة، وأسلم مع عمير بشر كثير[1].

قال الواقديّ: وكان فِئَةٌ من قريش خمسة قد أسلموا، فاحتبسهم آباؤهم، فخرجوا مع أهلهم وقومهم إلى بدر، وهم على الشّكّ والارتياب، لم يخلِصوا إسلامهم؛ وهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زَمْعة بن الأسود، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منبّه بن الحجّاج، فلمّا قدَّموا بدرًا،

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ١١٧ ـ ١٢٣.

ورأوا قلّة أصحاب النّبي ﷺ، قالوا: غرّ هؤلاء دينهم، ففيهم أنزل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾[١]، ثمّ أنزل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[٢] إلى تمام ثلاث آيات[٣].

قال: فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى من أقام بمكّة مسلِمًا، فقال جندب بن ضمرة الخُزاعيّ: لا عذر لي ولاحجّة في مقامي بمكّة ـ وكان مريضًا ـ فقال لأهله: أخرجوني، لعلّي أجد رَوْحًا! قالوا: أيّ وجهٍ أحبّ إليك؟ قال: نعم التّنعيم !فخرجوا به إلى التّنعيم، وبين التّنعيم ومكّة أربعة أميال من طريق المدينة ـ فقال: اللّهمّ إنّي خرجت إليك مهاجرًا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ...﴾[٤] الآية، فلمّا رأى ذلك مَن كان بمكّة ممّن يطيق الخروجَ، خرجوا فطلبهم أبو سفيان في رجال من المشركين، فردُّوهم وسجنوهم، فافتتن منهم ناس، وكان الّذين افتتنوا إنّما افتتنوا حين أصابَهم البلاء فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ...﴾[٥] الآية وما بعدها، فكتب بها المهاجرون بالمدينة إلى مَن كان بمكّة مسلمًا، فلمّا جاءهم الكتاب بما أنزل فيهم، قالوا: اللّهمّ إنّ لك علينا إن أفلتّنا ألّا نعدل بك أحدًا، فخرجوا الثّانية، فطلبهم أبو سفيان والمشركون، فأعجزوهم هربًا في الجبال، حتّى قدِموا المدينة، واشتدّ البلاء على مَن ردُّوا من المسلمين، فضربوهم وآذوهم وأكرهوهم على ترك الإسلام، ورجع ابن أبي

---

١ ـ الأنفال/ ٤٩.

٢ ـ النّساء/ ٩٧ وما بعدها.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٦٧.

٤ ـ النّساء/ ١٠٠.

٥ ـ العنكبوت/ ١٠.

سَرْح مشركًا، فقال لقريش: ما كان يعلَم محمّدًا إلّا ابن قمطة[١]، عبد نصرانيّ، لقد أكتب أكتب له فأحوّل ما أردت، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ...﴾[٢] الآية[٣]. (١٤: ٨٤ ـ ١٥٧)

القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين

اختلف المسلمون في ذلك، فقال الجمهور منهم: نزلت الملائكة حقيقة، كما ينزل الحيوان والحجر من الموضع العالي إلى الموضع السّافل.

وقال قوم من أصحاب المعاني غير ذلك.

واختلف أرباب القول الأوّل، فقال الأكثرون: نزلت وحاربت، وقال قوم منهم: نزلت ولم تحارب، وروَى كلّ قوم في نُصْرة قولهم روايات.

فقال الواقديّ في كتاب «المغازي»: حدّثني عمر بن عقبة، عن شعبة مولى ابن عبّاس، قال: سمعت ابن عبّاس يقول: لمّا تواقف النّاس أغمِيَ على رسول الله ﷺ ساعة، ثمّ كشف عنه فبشّر المؤمنين بجبرائيل في جُنْد من الملائكة في ميمنة النّاس، وميكائيل في جند آخر في ميسرة النّاس، وإسرافيل في جند آخر في ألف، وكان إبليس قد تصوّر للمشركين في صورة سُراقة بن جعشم المدلجيّ، يذمر المشركين، ويخبرهم أنّه لا غالب لهم من النّاس، فلمّا أبصر عدوّ الله الملائكةَ نكص على عقِبيه، وقال: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾[٤]، فتشبّث به الحارث بن هشام، وهو يرى أنّه سُراقة لمّا سمع من كلامه، فضرب في صدر الحارث، فسقط الحارث، وانطلق إبليس لا يرى

---

١ ـ كذا في الأصول ومغازي الواقديّ، وفي تفسير القرطبيّ ١٠: ١٧٧، اسمه جبر، وقيل اسمه يعيش.

٢ ـ النّحل/١٠٣.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٦٧.

٤ ـ الأنفال/٤٨.

حتّى وقع في البحر، ورفع يديه قائلًا: يا ربّ موعدك الّذي وعدتَني! وأقبل أبو جهل على أصحابه يحضّهم على القتال وقال: لا يغرّنكم خذلان سراقة بن جعشم إيّاكم، فإنّما كان على ميعاد من محمّد وأصحابه، سيعلم إذا رجعنا إلى قُدَيد ما نصنع بقومه! ولا يهولنّكم مقتل عُتْبة وشيبة والوليد، فإنّهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا، وايمُ الله لا نرجع اليوم حتّى نقرن محمّدًا وأصحابه في الحبال، فلا ألفينّ أحدًا منكم قتَل منهم أحدًا، ولكن خذوهم أخذًا نعرفهم بالّذي صنعوا، لمفارقتهم دينكم ورغبتهم عمّا كان يعبد آباؤهم.

قال الواقديّ: وحدّثني عُتبة بن يحيى، عن معاذ بن رفاعة بن رافع، عن أبيه، قال: إن كنّا لنسمع لإبليس يومئذ خُوارًا ودعاء بالثُّبور والويل، وتصوّر في صورة سراقة بن جعشم حتّى هرب، فاقتحم البحر، ورفع يديه مادًّا لهما، يقول: يا ربّ ما وعدتني! ولقد كانت قريش بعد ذلك تعيّر سراقة بما صنع يومئذ، فيقول: والله ما صنعت شيئًا!

قال الواقديّ: فحدّثني أبو إسحاق الأسلميّ، عن الحسن بن عبيد الله، مولى بني العبّاس، عن عُمارة اللّيثيّ، قال: حدّثني شيخٌ صيّاد من الحيّ ـ وكان يومئذ على ساحل البحر ـ قال: سمعت صياحًا يا ويلاه! يا ويلاه! قد ملأ الوادي: يا حرباه يا حرباه! فنظرتُ فإذا سراقة بن جعشم، فدنوت منه، فقلت: ما لك فداك أبي وأمّي! فلم يَرجع إليّ شيئًا، ثمّ أراه اقتحم البحر، ورفع يديه مادًّا، يقول: يا ربّ ما وعدتَني! فقلت في نفسي: جُنّ وبيت الله سراقة! وذلك حين زاغت الشّمس، وذلك عند انهزامهم يوم بدر[1].

قال الواقديّ: قالوا: كانت سيماء الملائكة عمائم قد أرخوها بين أكتافهم، خضراء وصفراء وحمراء من نور، والصّوف في نواصي خيلهم.

قال الواقديّ: حدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد،

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٠.

قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «إنّ الملائكة قد سوّمت فسوّموا»، فأعلم المسلمون بالصُّوف في مغافِرهم وقلانسهم[١].

قال الواقديّ: حدّثني محمّد بن صالح قال: كان أربعة من أصحاب محمّد ﷺ يعلِمُون[٢] في الزُّحوف: حمزة بن عبد المطلّب كان يوم بدر مُعلِمًا بريشة نعامة، وكان عليّ عليه السلام مُعلِمًا بصوفة بيضاء، وكان الزُّبير مُعلِمًا بعصابة صفراء، وكان أبو دجانة يُعلِم بعصابة حمراء، وكان الزُّبير يحدّث أنّ الملائكة نزلت يوم بدر على خيل بلق عليها عمائم صفر فكانت على صورة الزُّبير.

قال الواقديّ: فروى عن سُهيل بن عمرو، قال: لقد رأيت يوم بدر رجالًا بيضًا على خيل بلق بين السَّماء والأرض مُعلِمين يقتلون ويأسرون.

قال الواقديّ: وكان أبو أسد السّاعديّ يحدّث بعد أن ذهب بصرُه، ويقول: لو كنت معكم الآن ببدر ومعي بصري لأريتكم الشِّعب الّذي خرجتْ منه الملائكة، لا أشكّ فيه ولا أمتري! قال: وكان أسيّد يحدّث عن رجل من بني غفّار حدّثه، قال: أقبلت أنا وابن عمٍّ لي يوم بدر، حتّى صعدنا على جبل، ونحن يومئذ على الشِّرك ننظر الوقعة وعلى من تكون الدّبرة فننتهب مع من ينتهب إذا رأيت سحابة دنت منّا، فسمعت منها همهمة الخيل، وقعقعة الحديد، وسمعت قائلا يقول: أقدم حيزوم! فأمّا ابنُ عمّي، فانكشف قناع قلبه، فمات، وأمّا أنا فكدت أهلك، فتماسكت وأتبعت بصري حيث تذهب السَّحابة، فجاءت إلى النَّبي صلى الله عليه وأصحابه، ثمّ رجعت، وليس فيها شيء ممّا كنت أسمع.

قال الواقديّ: وحدّثني خارجة بن إبراهيم بن محمّد بن ثابت بن قيس بن شماس، عن أبيه، قال: سأل رسول الله ﷺ جبرائيل: مَنْ القائل يوم بدر: أقبل حيزوم؟ فقال

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٠.

٢ ـ يقال: رجل مُعلم بكسر اللّام؛ إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها.

جبرائيل: يا محمّد، ما كلّ أهل السّماء أعرف.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الرّحمن بن الحارث، عن أبيه، عن جدّه، عبيدة بن أبي عبيدة، عن أبي رُهْم الغفاريّ عن ابن عمٍّ له، قال: بينا أنا وابن عمٍّ لي على ماء بدر، فلمّا رأينا قِلّة منْ مع محمّد وكثرة قريش، قلنا: إذا التقت الفئتان عمَدنا إلى عسكر محمّد وأصحابه فانتهبناه، فانطلقنا نحو المجنّبة اليسرى من أصحاب محمّد، ونحن نقول: هؤلاء ربع قريش، فبينا نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا، فرفعنا أبصارنا لها، فسمعنا أصوات الرِّجال والسِّلاح، وسمعنا قائلا يقول لفرسه: «أقدم حيزوم»، وسمعناهم يقولون: «رويدا تتاءم أخراكم»، فنزلوا على ميمنة رسول الله ﷺ، ثمّ جاءت أخرى مثل تلك فكانت مع النّبي ﷺ، فنظرنا إلى أصحاب محمّد وإذا هم على الضِّعف من قريش، فمات ابنُ عمّي، وأمّا أنا فتماسكت، وأخبرت النّبي ﷺ بذلك، وأسلمت.

قال الواقديّ: وقد روى عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «ما رُئيَ الشَّيْطان يومًا هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغضب منه في يوم عرفة، وما ذاك إلّا لمّا رأى من نزول الرَّحمة وتجاوز الله تعالى عن الذُّنوب العظام، إلّا ما رأى يوم بَدْر». قيل: وما رأى يا رسول الله يوم بدر؟ قال: أمّا إنّه رأى جبريل يوزّع الملائكة. قال: وقد روى عن رسول الله ﷺ أنّه قال يومئذ: «هذا جبرائيل يسوق بريح، كأنّه دِحْية الكلبيّ، إنّي نُصرت بالصّبا وأُهلِكَتْ عاد بالدّبور»[1].

قال الواقديّ: وكان عبد الرّحمن بن عوف يقولُ: رأيتُ يوم بَدْر رجلين؛ أحدهما عن يمين النّبيّ ﷺ، والآخر عن يساره، يقاتلان أشدّ القتال، ثمّ ثلّثهما ثالث مِنْ خَلْفه، ثمّ ربّعهما رابع أمَامه[2].

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٢.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٧٣.

قال: وقد روي سعد بن أبي وقّاص مثل ذلك، قال: رأيت رجلين يوم بدر، يقاتلان عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، أحدُهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وإنّي لأراه ينظر إلى ذا مَرَّةً، وإلى ذا مرّةً، سرورًا بما فتحه[١] الله تعالى[٢].

قال الواقديّ: وحدّثني إسحاق بن يحيى، عن حمزة بن صُهَيب، عن أبيه، قال: ما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يَدْم كَلْمُها يوم بَدْر، قد رأيتها[٣].

قال الواقديّ: وروى أبو بُرْدة بن نِيَار، قال: جئتُ يوم بدْر بثلاثة رءوس فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنان فقتلتُهما وأمّا الثّالث فإنّي رأيتُ رجلًا طويلًا أبيض ضربه فتدهده[٤] أمامه؛ فأخذت رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذاك فلان من الملائكة[٥]».

قال الواقديّ: وكان ابنُ عبّاس رحمه الله، يقول: لم تقاتل الملائكة إلّا يوم بدر.

قال: وحدّثني ابن أبي حبيبة عن داود بن الحُصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: كان الملك يتصوّر في صورة مَنْ يعرفه المسلمون من النّاس[٦] ليثبتهم، فيقول: إنّي قد دنوتُ من المشركين، فسمعتهم يقولون: لو حملونا علينا ما ثبتنا لهم، وليسوا بشيء، فاحملوا عليهم؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا . . .﴾[٧] الآية[٨].

---

١ ـ الواقديّ: «ظفره الله».

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٧٣.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ٧٣.

٤ ـ تدهده: تدحرج، وفي الواقديّ: «تدهدي».

٥ ـ مغازي الواقديّ: ٧٣.

٦ ـ الواقديّ: «من تعرفون من النّاس».

٧ ـ الأنفال/١٢.

٨ ـ مغازي الواقديّ: ٧٣، ٧٤.

قال الواقديّ: وحدّثني موسى بن محمّد، عن أبيه، قال: كان السّائب بن أبي حُبَيش الأسديّ يحدّث في زمن عمر بن الخطّاب، فيقول: والله ما أسرني يوم بدر أحدٌ من النّاس، فيقال فمن؟ فيقول: لمّا انهزمتْ قريش إنهزمتُ معها فيدركني رجل أبيض طويل، على فرس أبلق بين السّماء والأرض، فأوثقني رباطًا وجاء عبد الرّحمن بن عوف فوجدني مربوطًا، وكان عبد الرّحمن ينادى في العسكر: مَنْ أسَرَ هذا؟ فليس أحد يزعم أنّه أسرني، حتّى انتهى بي إلى رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله: يا بن أبي حُبيش، مَنْ أسَرك؟ قلت: لا أعرفه، وكرهت أن أخبره بالّذي رأيت؛ فقال رسول الله ﷺ: «أسره مَلَك من الملائكة كريم، إذهب يابن عوْف بأسيرك»، فذهب بي عبد الرّحمن. قال السّائب: وما زالت تلك الكلمة أحفظُها، وتأخّر إسلامي حتّى كان من إسلامي ما كان[1].

قال الواقديّ: وكان حكيم بن حزام، يقول: لقد رأيتُنا يوم بدر، وقد وقع بوادي خلْص بجاد من السّماء قد سدّ الأفق ـ قال: ووادي خلص ناحية الرُّوَيثة ـ قال: فإذا الوادي يسيل نملًا، فوقع في نفسي أنّ هذا شيء من السّماء أيّد به محمّد، فما كانت إلّا الهزيمة، وهي الملائكة[2].

قال الواقديّ: وحدّثني موسى بن يعقوب، عن عمّه، قال: سمعتُ أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، يقول سمعت مَرْوان بن الحكم يسأل حكيم بن حزام عن يوم بدرٍ، فجعل الشّيْخ يكره ذلك، حتّى ألحّ عليه، فقال حكيم: التقينا فاقتتلنا، فسمعت صوتًا وقع من السّماء إلى الأرض مثل وقع الحصاة في الطّسْت، وقبض النّبيّ ﷺ القبضة، فرمى بها فانهزمنا.

قال الواقديّ: وقد روي عبد الله بن ثعلبة بن صغير، قال: سمعتُ نوفل بن معاوية

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٧٤.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ٧٤، ٧٥.

الدؤليّ، يقول: انهزمنا يوم بَدْر، ونحن نسمع كوقع الحصا في الطَساس بين أيدينا ومن خلفنا، فكان ذلك أشدّ الرّعب علينا. فأمّا الّذين قالوا: نزلت الملائكة ولم تقاتل، فذكر الزّمخشريّ في كتابه في تفسير القرآن المعروف «بالكشّاف» إنّ قومًا أنكروا قتال الملائكة يوم بَدْر؛ وقالوا: لو قاتل واحدٌ من الملائكة جميع البشر لم يثبتوا له ولاستأصلهم بأجمعهم ببعض قوته، فإنّ جبرائيل عليه السلام رفع مدائن قوم لوط ـ كما جاء في الخبر ـ على خافقة من جناحه، حتّى بلغ بها إلى السّماء، ثمّ قلبها فجعل عاليَها سافلها، فما عسى أن يبلغ قوّة ألف رجل من قريش ليحتاج في مقاومتها وحربها إلى ألف ملك من ملائكة السّماء مضافين إلى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا من بني آدم! وجعل هؤلاء قوله تعالى: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ...﴾[1] أمرًا للمسلمين لا أمرًا للملائكة.

و رووا في نصرة قولهم روايات، قالوا: وإنّما كان نزول الملائكة ليكثّروا سواد المسلمين في أعين المشركين، فإنّهم كانوا يرونهم في مبدأ الحال قليلين في أعينهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ...﴾[2] ليطمَع المشركون فيهم ويجترءوا على حربهم، فلمّا نشبت الحرب كثّرهم الله تعالى بالملائكة في أعين المشركين ليفرّوا ولا يثبتوا.

وأيضًا فإنّ الملائكة نزلت وتصوّرت بصُوَر البشر الّذين يعرفهم المسلمون، وقالوا لهم ما جرت العادة أن يقال مثله من تثبيت القلوب يوم الحرب، نحو قولهم: ليس المشركون بشيء، لا قوّة عندهم، لا قلوب لهم، لو حملتم عليهم لهزمتموهم... وأمثال ذلك.

ولقائل أن يقول: إذا كان قادرًا على أن يقلّل ثلاثمائة إنسان في أعين قريش حتّى يظنّوهم مائة، فهو قادر على أن يكثّرهم في أعين قريش بعد التقاء حَلْقَتي البطان، فيظنّوهم ألفين وأكثر من غير حاجة إلى إنزال الملائكة.

---

١ ـ الأنفال/ ١٢.

٢ ـ الأنفال/ ٤٤.

فإنْ قلت: لعلّ في إنزالهم لطفًا للمكلّفين.

قلت: ولعلّ في محاربتهم لطفًا للمكلّفين، وأمّا أصحاب المعاني فإنّهم لم يحملوا الكلام على ظاهره، ولهم في تأويله قول ليس هذا موضع ذكره. (١٤ : ١٥٧ ـ ١٦٤)

القول فيما جرى في الغنيمة والأسارى بعد هزيمة قريش ورجوعها إلى مكّة

قال الواقديّ: لما تصافّ المشركون والمسلمون، قال النّبيّ ﷺ: «مَنْ قتَل قتيلًا فله كذا وكذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا»، فلمّا انهزم المشركون كان النّاس ثلاث فرق، فرْقة قامت عند خَيْمة رسول الله ﷺ ـ وكان أبو بكر معه في الخَيْمة ـ وفرقة أغارت على النّهْب تنتهب، وفرقة طلبت العدوّ فأسروا وغنموا، فتكلّم سعد بن معاذ ـ وكان ممَّن أقام على خيمة رسول الله ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، ما منعنا أن نطلب العدوّ زهادةٌ في الأجر، ولاجبنٌ عن العدوّ، ولكنّا خفنا أن نعرِي موضعك، فيميل عليك خيلٌ من خيل المشركين ورجال من رجالهم، وقد أقام عند خيمتك وجوهُ النّاس من المهاجرين والأنصار، والنّاس كثير، ومتى تُعْطِ هؤلاء لا يبقى لأصحابك شيء، والقتلى والأسرى كثير، والغنيمة قليلة، فاختلفوا فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ . . .﴾[1] الآية، فرجع المسلمون، وليس لهم من الغنيمة شيء ثمّ أنزل الله فيما بعد: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ . . .﴾[2] فقسّمه عليهم بينهم.

قال الواقديّ: وقد روى عبادة بن الوليد بن عبادة عن جدّه عبادة بن الصّامت،

---

١ ـ الأنفال/١.

٢ ـ الأنفال/ ٤١.

قال: سلّمنا الأنفال يوم بدر لله وللرَّسول، ولم يخمّس رسول الله ﷺ بدرًا، ونزلت بعد: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]، فاستقبل رسول الله ﷺ بالمسلمين الخُمس فيما كان من أوّل غنيمة بعد بدر.

قال الواقديّ: وقد روى عن أبي أسيد السّاعديّ مثله. وروى عكرمة قال: اختلف النّاس في الغنائم يوم بَدْر، فأمر رسول الله ﷺ بالغنائم أن تردّ في المقسم، فلم يبق منها شيء إلّا ردّ. وظنّ أهل الشُّجاعة أنّه ﷺ يخصّهم بها دون غيرهم من أهل الضّعف، ثمّ أمر رسول الله ﷺ أن تقسّم بينهم على سواء، فقال سعد بن أبي وقّاص: يا رسول الله تعطِي فارس القوم الّذي يحميهم مثل ما تعطى الضَّعيف؟ فقال ﷺ: «ثكلتك أمّك! وهل تُنصرون إلّا بضعفائكم!».

قال الواقديّ: فروى محمّد بن سهل بن خيثمة، قال: أمر رسول الله ﷺ أن تردّ الأسرَى والأسلاب، وما أخذوا من المغنم، ثمّ أقرع بينهم في الأسرى، وقسّم أسلاب المقتولين الّذِين يُعرف قاتلوهم بين قاتليهم، وقسّم ما وجده في العسكر بين جميع المسلمين عن فراق.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الحميد بن جعفر، قال: سألتُ موسى بن سعد بن زيد بن ثابت: كيف فعل النَّبي ﷺ يوم بدر في الأسرى والأسلاب والأنفال؟ فقال: نادى مناديه يومئذ: مَنْ قتل قتيلًا فله سلبُه، ومن أسَر أسيرًا فهو له، وأمر بما وجد في العسكر وما أخذ بغير قتال، فقسّمه بينهم عن فراق. فقلت لعبد الحميد: فلمنْ أعطى سلَب أبي الجهل! فقال: قد قيل: إنّه أعطاه مُعاذ بن عمرو بن الجَموح، وقيل: أعطاه ابنَ مسعود. قال: وأخذ عليّ عليه السلام دِرْع الوليد بن عُتْبة وبيضته ومِغْفره، وأخذ حمزة سلاح عُتْبة، وأخذ عُبَيدة بن الحارث سلاحَ شيبة، ثمّ صار إلى ورثته.

قال الواقديّ: فكانت القسمة على ثلاثمائة وسبعة عشر سهمًا، لأنّ الرِّجال كانت

---

١ ـ الأنفال/٤١.

ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، وكان معهم فرسان لهما أربعة أسهم، وقسّم أيضًا فوق ذلك لثمانية أسهم، لم يحضروا، ضرب لهم بسهامهم وأجورهم، ثلاثة من المهاجرين لا خلاف فيهم، وهم: عثمان بن عفّان خلّفه رسول الله ﷺ على ابنتِه رقيّة وماتت يوم قدم زيد بن حارثة بالبِشارة إلى المدينة، وطلحة بن عبيد الله و سعد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، بعثهما رسول الله ﷺ يتجسّسان خبر العِير. وخمسة من الأنصار هم: أبولُبابة بن عبدالمنذر، خلّفه على المدينة وعاصم بن عدىّ، خلّفه على قُباء وأهل العالية، والحارث بن حاطب أمره بأمرٍ في بني عَمْرو بن عَوْف، وخوّات بن جُبَيْر كُسِر بالرَّوْحاء، والحارث بن الصِّمة مثله، فلا اختلاف في هؤلاء. واختلف في أربعة غيرهم، فروى أنّه ضرب لسعد بن عبادة بسهمه وأجره، وقال: لئن لم يشهدها لقد كان فيها راغبًا، وذلك أنّه كان يحضّ النّاس على الخروج إلى بدْر، فنُهش فمنعه ذلك من الخروج.

وروى أنّه ضرب لسعد بن مالك السّاعديّ بسهمه وأجره، وكان تجهّز إلى بدر، فمرض بالمدينة فمات خلاف رسول الله ﷺ، وأوصي إليه عليه السلام.

وروى أنّه ضرب لرجلين آخرين من الأنصار ولم يسمّهما الواقديّ وقال: هؤلاء الأربعة غير مجمع عليهم كإجماعهم على الثّمانية.

قال: وقد اختلف: هل ضرب بسهم في الغنيمة لقتلي بدر؟ فقال الأكثرون: لم يضرب لهم، وقال بعضهم: بل ضرب لهم؛ حدّثني ابن أبي سَبْرة، عن يعقوب بن زيد، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ ضرب لشهداء بدر أربعة عشر رجلًا.

قال: وقد قال عبد الله ابن سعد بن خَيْثمة: أخذنا سَهْم أبي الَّذى ضرب له رسول الله ﷺ حين قسّم الغنائم، وحمله إلينا عُوَيمر بن ساعدة.

قال: وقد روى السّائب بن أبي لُبابة، أنّ رسول الله ﷺ أسْهَم لمبشّر بن عبد المنذر، قال: وقد قدم بسهمه علينا مَعْن بن عُدَى.

قال الواقديّ: وكانت الإبل الّتي أصابوا يومئذ مائة وخمسين بعيرًا، وكان معه أدَمٌ كثير، حملوه للتّجارة، فمنعه المسلمون يومئذ، وكان فيما أصابوا قطيفة حمراء، فقال بعضهم: ما لنا لا نرى القطيفة! ما نرى رسول الله ﷺ إلّا أخذها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾[1] وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، إنّ فلانًا غَلّ قطيفة، فسأل رسول الله ﷺ الرَجُلَ، فقال: لم أفعل، فقال الدّالّ: يا رسول الله، احفروا هاهنا، فحفرنا فاستخرجت القطيفة، فقال قائل: يا رسول الله، استغفر لفلان مرّتَيْن، أو مرارًا، فقال عليه السلام: دعونا من أبي حرّ.

قال الواقديّ: وأصاب المسلمون من خيولهم عشرة أفْرَاس، وكان جمل أبي الجهل فيما غنموه، فأخذه النَّبيّ عليه السلام، فلم يزل عنده يضرب في إبله ويغزو عليه حتّى ساقه في هدْى الحديبيّة، فسأله يومئذ المشركون الجمل بمائة بعير، فقال: لو لا أنّا سمّيناه في الهَدْى لفعلنا.

قال الواقديّ: وكان لرسول الله عليه السلام صَفِيّ[2] من الغنيمة قبل القسمة، فتنفّل سيفه ذا الفَقاريومئذ، كان لمنبّه بن الحجّاج. وكان رسول الله ﷺ قد غزا إلى بدر بسيف وهبه له سعد بن عبادة يقال له العَضْب.

قال: وسمعت ابن أبي سَبْرة، يقول: سمعت صالح بن كيسان، يقول: خرج رسول الله ﷺ يوم بَدْر، وما معه سيف، وكان أوّل سيف قلّده سيف منبّه بن الحجّاج غنمه يوم بدر.

وقال البلاذُري: كان ذُو الفقار للعاص بن منبّه بن الحجّاج، ويقال: لمنبّه، ويقال لشيبة، والثَّبَت عندنا أنّه كان للعاص بن منبّه.

قال الواقديّ: وكان أبو أسيد السّاعديّ أذا ذُكِر الأرقم بن أبي الأرقم، يقول: ما يومي

---

١ ـ آل عمران/ ١٦١.

٢ ـ الصّفيّ من الغنيمة: نصيب الرّئيس.

منه بواحد، فيقال: ما هذا هو؟ فيقول: أمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يردّوا يومَ بدْر ما في أيديهم من المغنم، فرددت سيف أبي عائذالمخزوميّ ـ واسم السَّيْف المرزبان، وكان له قيمة وقدْرٌ ـ وأنا أطمع أن يردّ إليّ، فكلّم الأرقم رسول الله ﷺ فيه ـ وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئًا يسأله ـ فأعطاه السَّيف. وخرج بنيّ له يفعة[1] فاحتمله الغُول، فذهبت به متورّكة ظهرًا، فقيل لأبي أسيد: وكانت الغِيلان في ذلك الزَّمان؟ فقال: نعم، ولكنَّها قد هلكت، فلق بني الأرقم بن أبي الأرقم، فبهش[2] إليه باكيًا مستجيرًا به، فقال: مَنْ أنت؟ فأخبره، فقالت الغول: أنا حاضنتُه، فلها عنه والصّبيّ يكذبها، فلم يعرّج عليه حتّى السَّاعة، فخرج من دارِي فرس لي، فقطع رَسَنه، فلقيه الأرقم بالغابة فركبه، حتّى إذا دنا من المدينة أفلت منه فتعذّر إلى أنّه أفلت منّي، فلم أقدِر عليه حتّى السَّاعة.

قال: وروى عامربن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه أنّه سأل رسول الله ﷺ يومَ بدْر سيف العاص بن منبّه، فأعطاه قال: وأخذ ﷺ مماليك حضروا بدرًا، ولم يسهم لهم وهم ثلاثة أعبد، غلام لحاطب بن أبي بلتعة، وغلام لعبد الرّحمن بن عوف، وغلام لسعد بن معاذ، واستعمل ﷺ شُقران غلامه على الأسرى، فاخذوا من كلّ أسير ما لو كان حُرًّا ما أصابه في المقْسم.

وروى عامربن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: رميتُ سهيل بن عمرو يوم بدْر فقطعت نساءه، فاتبعت أثر الدَّم حتّى وجدتُه قد أخذه مالك بن الدّخشم، وهو ممسك بناصيته، فقلت: أسيري رميتُه فقال: أسيري أخذته! فأتينا رسول الله ﷺ فأخذه منّا جميعًا، وأفلت سهل الرَّوْحاء، فصاح ﷺ بالنَّاس، فخرجوا في طلبه، فقال ﷺ: مَنْ وجده فليقتله، فوجده هو ﷺ فلم يقتله.

---

١ ـ غلام يفع ويفعة، إذا كان مترعرعًا.

٢ ـ بهش إليه: خفّ إليه.

قال الواقديّ: وأصاب أبو بردة بن نِيَار أسيرًا من المشركين، يقال له معبد بن وَهْب، من بني سعد بن ليث، فلقيه عمر بن الخطّاب وكان عمر يحضّ على قتل الأسرى، لا يرى أحدا في يديه أسيرًا إلّا أمر بقتله، وذلك قبل أن يتفرّق النّاس، فلقيه معبد وهو أسير مع أبي بُردة، فقال: أترون يا عمر أنّكم قد غلبتم! كلّا واللّات والعزّى! فقال عمر: عباد الله المسلمين، أتتكلّم وأنت أسير في أيدينا! ثمّ أخذه من أبي بُردة فضرب عنقه، و يقال: إنّ أبا بُردة قتله.

قال الواقديّ: وروي أبو بكر بن إسماعيل، عن أبيه، عن عامر بن سعد، قال: قال النّبي ﷺ يومئذ: «لا تخبروا سعدًا بقتل أخيه، فيقتل كلّ أسير في أيديكم».

قال الواقديّ: ولمّا جيء بالأسرى كرِه ذلك سعد بن معاذ، فقال له رسول الله ﷺ: كأنّه شقّ عليك أن يؤسروا! قال: نعم يا رسول الله، كانت أوّلَ وقعة التقينا فيها بالمشركين فأحببتُ أن يُذلّهم الله، وأن يثخن فيهم القتل.

قال الواقديّ: وكان النّضر بن الحارث أسَره المقداد يومئذ، فلمّا خرج رسول الله ﷺ من بدر، فكان الأُثَيل عُرِض عليه الأسرى، فنظر إلى النّضر بن الحارث فأبده البصر، فقال لرجل إلى جنبه: محمّد والله قاتلي! لقد نظر إليّ بعينين فيهما الموت! فقال الّذي إلى جنبه: والله ما هذا منك إلّا رعب، فقال النّضر لمصعب بن عمير: يا مصعب، أنت أقرب مَنْ هاهنا بي رحِمًا، كلّم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي، هو والله قاتلي إن لم تفعل. قال مصعب: إنّك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا، وتقول في نبيّه كذا وكذا، قال: يا مصعب؛ فليجعلني كأحد أصحابي إن قتِلوا قتلت، وإن منّ عليهم منّ عليّ. قال مصعب: إنّك كنت تعذّب أصحابه، قال: أمَا والله لو أسرتْك قريش ما قتلت أبدًا وأنا حيّ. قال مصعب: والله إنّي لأراك صادقًا، ولكن لست مثلك قطع الإسلام العهود.

قال الواقديّ: وعرضت الأسرى على رسول الله ﷺ، فرأى النّضر بن الحارث، فقال: اضربوا عنقه، فقال المقداد: أسيري يا رسول الله! فقال: اللّهمّ أغنِ المقداد من

فَضْلك، قم يا علي فاضرب عنقه، فقام علي فضرب عنقه بالسَّيف صبرًا، وذلك بالأُثَيل، فقالت أخته[١]:

يـــا راكبًـــا إنّ الأثيـــلَ مَظِنَّـــةٌ ... مِـنْ صُـبْح خامسة وأنـت مُوَفَّـقُ[٢]

بلِّـغْ بـــه مَيْتًـــا فـــإنّ تحيّـــةً ... مـا إنْ تـزالُ بهـا الرّكائـب تخفِـقُ

مـــنّي إليـــه وعبـــرةً مســـفوحةً ... جـادتْ لمائحهـا، وأخـرى تَخْنُـقُ

فليســـمعنّ النّضْـــرأن ناديتُـــه ... إن كـان يسـمع ميّـت أو ينطـقُ

ظَلّـتْ سـيوفُ بـني أبيـة تنُوشُـهُ ... لله أرحـــامٌ هنـــاك تمـــزّق![٣]

صـــبرًا يقـــاد إلى المدينـــة راغمًـــا ... رَسْـفَ المقيّـد وهـو عـانٍ مُوثَـقُ[٤]

أمحمّـــدٌ ولأنـــتَ نَجْـــلُ نجيبـــة ... في قومهـا، والفَحْـلُ فحـلُ معـرِقُ[٥]

مـا كـان ضـرّك لـو منَنْـتَ وربّمَـا ... مَـنّ الفَـتَى وهـو المغـيظُ المخنَـقُ

والنضّـرأقـربُ مَـنْ قتلـت وسـيلةً ... وأحقّهـم أن كـان عتـق يُعْتَـقُ

قال الواقديّ: وروي أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا وصل إليه شِعْرُها رقّ له، وقال: «لو كنت سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلته».

قال الواقديّ: ولمّا أُسِرَ سهيل بن عمرو، قال عمر بن الخطّاب، يا رسول الله، أنزع

---

١ ـ واسمها قتيلة، ذكرها التّبريزيّ في الحماسة.

٢ ـ الأبيات في ديوان الحماسة ٣: ١٧ ـ بشرح التّبريزيّ.

٣ ـ الحماسة: «تشفق».

٤ ـ لم يرد في رواية الحماسة.

٥ ـ في الحماسة: «ضن كريمة» قال في شرحه: «ضنء نجيبة» أي ولدها. ومعرق: له عرق في الكرم.

ثنّيتيه يدَلعْ لسانه، فلا يقوم عليك خطيبًا أبدًا، فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثّل به فيمثّل الله بي وإن كنت نبيًّا، ولعلّه يقوم مقامًا لا تكرهُه». فقام سهيل بن عمرو بمكّة حين جاءه وفاة النّبيّ ﷺ بخطبة أبي بكر بالمدينة، كأنّه كان يسمعها، فقال عمر حين بلغه كلام سُهيل: أشهد أنّك رسول الله ـ يريد قوله ﷺ: «لعلّه يقوم مقامًا لا تكرهه».

قال الواقديّ: وكان عليّ عليه السلام يحدّث، فيقول: أتى جبريل النّبيّ ﷺ يوم بدر، فخيّره في الأسرى أن يضرب أعناقهم، أو يأخذ منهم الفداء، ويستشهد من المسلمين في قابل عِدّتهم، فدعا رسول الله ﷺ أصحابه، وقال: هذا جبريل يخيّركم في الأسرى، بين أن تُضرب أعناقهم أو تؤخذ منهم الفدية ويستشهد منكم قابلًا عدّتهم. قالوا: بل نأخذ الفِدْية ونستعين بها، ويستشهد منّا مَنْ يدخل الجنّة، فقبل منهم الفداء، وقتل من المسلمين قابلا عدّتهم بأُحُد.

قلت: لو كان هذا الحديث صحيحًا لما عوتبوا، فقيل لهم: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[1]، ثمّ قال: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ...﴾[2]، لأنّه إذا كان خيّرهم، فقد أباحهم أخذ الفداء، وأخبرهم أنّه حسن، فلا يجوز فيما بعد أن ينكره عليهم، ويقول إنّه قبيح. [إلى أن قال]

قال الواقديّ: وحدّثني مَعْمَر عن الزُّهريّ، عن محمّد بن جُبَير بن مطعِم، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «لو كان مطعم بن عديّ حيًّا لوهبت له هؤلاء النَّتَنيّ»[3].

---

١ ـ الأنفال/٦٧.

٢ ـ الأنفال/٦٨

٣ ـ قال ابن الأثير في النّهاية ٤: ١٢٤ «يعني أسارى بدر، واحدهم نتن؛ كزمن وزمني، سمّاهم نتنيّ لكفرهم»؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ التّوبة/٢٨.

قال : وكانت لمطعم بن عديّ عند النّبيّ ﷺ يدٌ أجاره حين رجع من الطّائف.

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن عبد الله، عن الزُّهري، عن سعيد بن المسيّب، قال: أمّن رسول الله ﷺ من الأسرى يوم بدر أبا عزّة عمرو بن عبد الله بن عُمَيْر الجُمَحِيّ ـ وكان شاعرًا ـ فأعتقه رسول الله ﷺ، وقال له: إنّ لي خمسَ بنات، ليس لهنّ شيء، فتصدّق بي عليهنّ يا محمّد، ففعل رسول الله ﷺ ذلك. وقال أبوعزّة: أعطيك مؤثقًا ألّا أقاتلك، ولاأكثر عليك أبدًا. فأرسله رسول الله ﷺ، فلمّا خرجت قريش إلى أحُد، جاء صفوان بن أميّة، فقال: اخرج معنا، قال: إنّي قد أعطيتُ محمّدًا موثقًا ألّا أقاتله، ولاأكثّر عليه أبدًا. وقد منّ عليّ ولم يمنّ على غيري حتّى قتله أو أخذ منه الفِداء. فضمِن له صفوان أن يجعَل بناتِه مع بناته إن قتل؛ وإن عاش أعطاه مالًا كثيرًا لا يأكله عياله. فخرج أبوعزّة يدعو العرب ويحشرها، ثمّ خرج معَ قريش يوم أحُد، فأُسِر ولم يؤسَر غيرهُ من قريش، فقال: يا محمّد إنّما خرجت كرهًا ولي بنات، فامنُنْ عليّ. فقال رسول الله ﷺ: «أين ما أعطيتَني من العهد والميثاق! لا والله لا تمسح عارضيك بمكّة تقول: سخرتُ بمحمّد مرّتين»[1]. فقتله.

قال: وروَى سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله ﷺ قال يومئذ: «إنّ المؤمن لا يلدَغ من جُحرٍ مرّتين، يا عاصم بن ثابت، قدّمه فاضرب عنقه»، فقدّمه عاصم فضرب عنقه.

قال الواقديّ: وأمر رسول الله ﷺ يوم بدر بالقُلُب أن تغوّر[2] ثمّ أمر بالقتلى، فطرحوا فيها كلّهم إلّا أميّة بن خلف فإنّه كان مسمِنًا[3] انتفخ من يومه. فلمّا أرادوا أن يلقوه

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٥.

٢ ـ تغوّر: تملأ بالتّراب.

٣ ـ المسمّن: السّمين خلقة.

تزايلَ لحمه، فقال النَّبيّ ﷺ: اتركوه[١].

وقال ابن إسحاق: انتفخ أميّة بن خلف في دِرْعه حتّى ملأها، فلمّا ذهبوا يحرّكونه تزايلَ، فأقرّوه وألقوْا عليه التّراب والحجارة ما غيَّبه[٢].

قال الواقديّ: ونظر رسول الله ﷺ إلى عُتْبة بن ربيعةَ يجرّ إلى القليب ــ وكان رجلًا جسيمًا، وفي وجهه أثر الجُدَريّ ــ فتغيّر وجه ابنه أبي حذيفة بن عتبة، فقال له: النّبيّ ﷺ: ما لك! كأنّك ساءك[٣] ما أصاب أباك! قال: لا والله يا رسول الله، ولكنّي رأيتُ لأبي عقلًا وشرفًا؛ كنت أرجو أن يهديَه ذلك إلى الإسلام، فلمّا أخطأه ذلك، ورأيت ما أصابه غاظني. فقال أبو بكر: كان والله يا رسول الله أبقى في العشيرة من غيره، ولقد كان كارهًا لوجهه، ولكن الحيْن ومصارع السُّوء. فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الّذي جعل خدّ أبي الجهل الأسفل وصرعَه وشفانا منه». فلمّا توافَوْا في القليب وقد كان رسول الله ﷺ يطوف عليهم وهم مصرَّعون، جعل أبو بكر يخبره بهم رجلًا رجلًا، ورسول الله ﷺ يحمَدُ الله ويشكره ويقول: الحمدُ لله الّذي أنجز لي ما وعدني! فقد وعدني إحدى الطّائفتين، ثمّ وقف عَلَى أهل القليب فناداهم رجلًا رجلًا: «يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أميّة بن خلَف، ويا أبا جهل بن هشام! هلْ وجدتُم ما وعد ربّكم حقًّا؟ فإنّي وجدت ما وعدني ربّي حقًّا! بئس القوم كنتم لنبيّكم! كذبتموني وصدّقني النّاس، وأخرجتموني وآواني النّاس، وقاتلتموني ونصَرَني النّاس، فقالوا: يا رسول الله، أ تنادى قومًا قد ماتوا! فقال: «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقّ»[٤].

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٦.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٩.

٣ ـ ابن هشام: «قد دخلك من أمر أبيك شيء».

٤ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٦، و سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٢.

وقال ابن إسحاق في كتاب «المغازي»: إنّ عائشة كانت تروى هذا الخبر، وتقول: فالنّاس يقولون: إنّ رسول الله ﷺ قال: «لقد سمعوا ما قلتُ لهم»، وليس كذلك، إنّما قال: «لقد علموا أنّ ما وعدهم ربّهم حقّ[١]».

قال محمّد بن إسحاق: وحدّثني حميد الطّويل، عن أنس بن مالك، قال: لمّا ناداهم رسول الله ﷺ قال له المسلمون: يا رسول الله؛ أ تنادى قومًا قد أنتنوا! فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، ولكنّهم لا يستطيعون أنْ يجيبوني»[٢].

قلت: لقائل أن يقول لعائشة: إذا جاز أن يعلموا وهم موتَى، جاز أنْ يسمعوا وهم موتَى! فإن قالت: ما أخبرت أنْ يعلَموا وهم موتى، و لكن تعود الأرواح إلى أبدانهم، وهي في القليب، ويرؤن العذاب، فيعلمون أنّ ما وعدهم به الرّسول حقّ! قيل لها: ولا مانع من أن تعود الأرواح إلى أبدانهم وهي في القَلِيب؛ فيسمعوا صوتَ رسول الله ﷺ، فإذن لا وجْهَ لإنكارها ما يقوله النّاس! ويمكن أن يُنتصر لقول عائشة على وجه حكميّ، وهو أنّ الأنفس بعد المفارقة تعلم ولاتسمع ؛ لأنّ الإحساس إنّما يكون بواسطة الآلة، وبعد الموت تفسد الآلة، فأمّا العلم فإنّه لا يحتاج إلى الآلة؛ لأنّ النّفس تعلم بجوهرها فقط.

قال الواقديّ: وكان انهزام قريش وتولّيها حين زالت الشّمس، فأقام رسول الله ﷺ ببدر، وأمر عبد الله بن كعب بقبض الغنائم وحمْلها وأمر نفرًا من أصحابه أن يعينوه، فصلّى العصر ببدر ثمّ راح فمرّ بالأُثَيل قبل غروب الشّمس فنزل به، وبات به وبأصحابه جراح، وليست بالكثيرة، وقال: مَنْ رجلٌ يحفظنا اللّيلة؟ فأسكت القوم، فقام رجل فقال: مَنْ أنت؟ قال: ذكْوان بن عبد قيس، قال: إجلس، ثمّ أعاد القولَ الثّانية، فقام رجل، فقال: مَنْ أنت؟ قال: ابن عبد القيس، فقال: إجلس؛ ثمّ مكث

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٠.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٠.

ساعة وأعاد القول؛ فقام رجل فقال: مَنْ أنت؟ قال: أبو سَبُع[١]، فسكت. ثمّ مكث ساعة، وقال: قوموا ثلاثتكم. فقام ذَكْوان بن عبد قيس وحده، فقال له: وأين صاحباك؟ قال: يا رسول الله أنا الّذي كنت أجيبك اللَّيلة، فقال رسول الله ﷺ: فحفظك الله! فبات ذكوان يحرُس المسلمين تلك اللَّيلة، حتّى كان آخر اللَّيل فارتحل[٢].

قال الواقديّ: وروِيَ أنّ رسول الله ﷺ صلّى العصر بالأُثيل، فلمّا صلّى ركعة تبسَّم، فلمّا سلّم سئل عن تبسمه فقال: مرّ بي ميكائيل وعلى جَناحه النَّقْع، فتبسّم إليّ، وقال: إنّي كنت في طلب القوم، وأتاني جبريل على فرس أنثى معقود النَّاصية، قد عمّ ثنيّتَيْه الغبار فقال: يا محمّد إنّ ربّي بعثني إليك، وأمرني ألّا أفارقك حتّى ترضى، فهل رضيت؟ فقلت: نعم[٣].

قال الواقديّ: وأقبل رسول الله ﷺ بالأسرى، حتّى إذا كان بعرْق الظَّبْية أمر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أن يضرب عنق عُقْبة بن أبي مُعَيط بن أبي عمرو بن أميّة بن عبد شمس، وكان أسرَه عبد الله بن سلمة العجلانيّ، فجعل عقبة يقول: يا ويلي! علامَ أُقتل يا معشر قريش من بين من هاهنا؟ فقال رسول الله ﷺ: لعداوتك لله ولرسوله، فقال: يا محمّد، منّك أفضل، فاجعلني كرجل من قومي إن قتلتَهم قتلتني، وإن مَنَنْتَ عليهم مننت عليّ، وإن أخذت منهم الفداء كنتُ كأحدهم، يا محمّد مَنْ للصبيَّة؟ فقال: النَّار، قدّمه يا عاصم، فاضْرب عنقه، فقدّمه عاصم فضرب عنقه، فقال النَّبي ﷺ: بئس الرَّجل كنتَ والله ما علمتُ كافرًا بالله وبرسوله، وبكتابه مُؤذيًا لنَبيّه، فأحمد الله الّذي قتلك وأقرّ عيني منك[٤].

---

١ ـ في الأصول: «سبيع»، وصوابه ما في الواقديّ؛ وانظر ما في الاستيعاب.

٢ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٧.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٧.

٤ ـ مغازي الواقديّ: ١٠٧، ١٠٨.

قال محمّد بن إسحاق: وروى عِكْرمة مولى ابن عبّاس، عن أبي رافع، قال: كنتُ غلامًا للعبّاس بن عبد المطّلب، وكان الإسلام قد فشا فينا أهل البيت، فأسلم العبّاس، وأسلمت أمُّ الفضل زوجته، وكان العبّاس يهاب قومه، ويكره خلافهم، فكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثير متفرّق في قومه؛ وكان عدوَّ الله أبو لهب قد تخلّف عن بدر، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلّف رجل إلّا بعث مكانه رجلًا، فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش، كبته[١] الله وأخزاه و وجدنا في أنفسنا قوّة وعزًّا.

قال: وكنتُ رجلًا ضعيفًا، وكنت أعمل القِداح[٢]، أنحتها في حُجْرة زمزم، فو الله إنّي لجالس أنحت قِداحي، وعندي أمّ الفضل جالسة، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبَر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجرّ رجليه بشرّ، حتّى جلس إلى طُنُب[٣] الحجْرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال للنّاس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قدِم ـ وكان شهد مع المشركين بدرًا ـ فقال أبو لهب: هلمّ يا بنَ أخي فعندك والله الخبر، قال: فجلس إليه والنّاس قيام حوله، فقال: يا بن أخي، أخبِرْني كيف كان أمر النّاس؟ قال: لا شيء، والله إن هو إلّا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافَنا، فقتلونا كيف شاءوا، وأسرونا كيف شاءوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لمت النّاس، لَقِينا رجالًا بيضا على خيل بُلْق بين السّماء والأرض. لا والله ما تبقى[٤] شيئًا، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُب الحجرة، ثمّ قلت: تلك والله الملائكة، قال: فرفع أبو لهب يدَه، فضرب بي الأرض ثمّ برَك عليّ يضربني[٥]، وكنت رجلًا ضعيفًا، فقامت أمّ

---

١ ـ كبّته الله: ذلّه وأخزاه.

٢ ـ ابن هشام: الأقداح.

٣ ـ طنب الحجرة: طرفها.

٤ ـ ابن هشام: «ماتلين شيئًا»، أي و ماتبقي شيئًا.

٥ ـ العبارة في ابن هشام: «فرفع أبولهب يده، فضرب بها وجهي ضربة شديدة؛ قال: و ثاورته،

الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة، فأخذته فضربته على[١] رأسه، فشجّته شجّة منكرة، وقالت: استضعفته إذ غاب سيّده، فقام مولّيًا ذليلًا، فو الله ما عاش إلّا سبعَ ليال، حتّى رماه الله بالعدَسة[٢] فقتلته[٣]. ولقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثًا وما يدفنانه، حتّى أنتنَ في بيته ـ وكانت قريش تتّقي العَدَسة وعدْوَاها، كما يتّقي النّاس الطّاعون ـ حتّى قال لهما رجل من قريش: ويحكما! ألا تستحيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تغيّبانه! قالا: إنّا نخشى هذه القُرْحة، قال: فانطلقا وأنا معكما، فو الله ما غسلوه إلّا قذفا عليه بالماء من بعيد، ما يمسّونه؛ وأخرجوه فالقوْه بأعلى مكّة إلى كنان هناك، وقذفوا عليه بالحجارة حتّى وارؤه.

قال محمّد بن إسحاق: فحضر العبّاس بدرًا، فأسِرَ فيمن أسِر، وكان الّذي أسره أبو اليسر كعب بن عمرو أحد بني سلمة، فلمّا أمسى القوم والأسارى محبوسون في الوَثاق، وبات رسول الله ﷺ تلك اللّيْلة ساهرًا، فقال له أصحابه: ما لك لا تنامُ يا رسول الله قال: «سمعتُ أنينَ العبّاس من وَثاقه»، فقاموا إليه فأطلقوه، فنام رسول الله ﷺ[٤].

قال: وروى ابنُ عبّاس رحمه الله، قال: كان أبو اليسر رجلًا مجموعًا، وكان العبّاس طويلًا جسيمًا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا اليسر، كيف أسرْتَ العبّاس؟ قال: يا رسول الله، لقد أعانني عليه رجل ما رأيتُه من قبل، من هيئته كذا، قال ﷺ: «لقد أعانك عليه مَلَك كريم».

قال محمّد بن إسحاق: قد كان رسول الله ﷺ في أوّل الوقْعة، فنهى أن يقتل أحد

فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني». و ثاورته، أى وثبت إليه.

١ ـ ابن هشام: «فضربته به ضربة قلعت في رأسه شجة منكرة»، و قلعت، أى شقّت.

٢ ـ العدسة، قال أبوذر الخشنيّ: «هي قرحة قاتلة كالطّاعون، وقد عدس الرّجل، إذا أصابه».

٣ ـ الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢: ٢٨٩، ٢٩١.

٤ ـ تاريخ الطّبريّ ٢: ٤٦٢ (طبعة المعارف)، والأغاني ٤: ٢٠٥، ٢٠٦ (طبعة دار الكتب).

من بني هاشم، قال: حدّثني بذلك الزُّهريّ، عن عبد الله بن ثعلبة حليف بني زُهرة، قال: وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد بن العبّاس، عن بعض أهله، عن عبد الله بن عبّاس رحمه الله، قال: وقال النّبي ﷺ لأصحابه: إنّي قد عرفت أنّ رجالًا من بني هاشم وغيرهم قد أخرِجُوا كَرْهًا، لا حاجة لنا بقتلهم، فمَنْ لقِيَ منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقِيَ أبا البختريّ فلا يقتله، ومَنْ لقِيَ العبّاس بن عبد المطّلب عمّ رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنّه إنّما خرج مستكرهًا، فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتلُ آباءَنا وإخوانَنا وعشائرنا ونترك العبّاس! والله لئن لقيتُه لألحِمنّه[1] السَّيْف، فسمعها رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطّاب: يا أبا حفص. يقول عمر: والله إنّه لأوّل يوم كنّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص ـ أيضرَبُ وجهُ عمّ رسول الله ﷺ بالسّيف؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنقَه بالسَّيْف، فو الله لقد نافق، قال: فكان أبو حذيفة يقول: والله ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة الَّتي قلتُ يومئذ، ولاأزال منها خائفًا أبدًا إلّا أن يكفّرها الله عني بشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا[2].

قال محمّد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لما استشار أبا بكر وعمر وسعد بن معاذ في أمر الأسارى، غلظ عمر عليهم غلظة شديدة، فقال: يا رسول الله أطعني فيما أُشير به عليك، فإنّي لا آلوك نصحًا، قدّم عمّك العبّاس فاضربْ عنقَه بيدك، وقدم عَقِيلًا إلى عليّ أخيه يضرب عنقه، وقدّم كلّ أسير منهم إلى أقرب النّاس إليه يقتله، قال: فكرِه رسول الله ﷺ ذلك ولم يعجبه.

قال محمّد بن إسحاق: فلمّا قدم بالأسرى إلى المدينة قال رسول الله ﷺ:

---

١ ـ لألحمنّه، أى لأطعننّ لحمه بالسّيف، ولأخالطنّه، وقال ابن هشام: «لألحمنّه بالسّيف، أى لأضربنّه به في وجهه».

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ٢: ٤٥٠ طبعة المعارف، وسيرة ابن هشام.

إفْد نفسَك يا عبّاس وابني أخويك عَقِيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلّب وحليفك عُقْبة بن عمرو، فإنّك ذو مال، فقال العبّاس: يا رسول الله، إنّي كنت مسلمًا، ولكن القوم استكرهوني، فقال ﷺ: الله أعلم بإسلامك، إن يكن ما قلتَ حقًّا فإنّ الله يجزيك به، وأمّا ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافتدِ نَفسك وقد كان رسول الله ﷺ أخذ منه عشرين أوقية من ذهب أصابها معه حين أسِر، فقال العبّاس: يا رسول الله احسِبها لي من فدائي، فقال ﷺ: ذاك شيء أعطانا الله منك، فقال: يا رسول الله، فإنّه ليس لي مال، قال: فأين المال الّذي وضعتَه بمكّة حين خرجتَ عند أمّ الفضل بنت الحارث، وليس معكما أحد. ثمّ قلت: إن أصِبْتُ في سفري هذا فللفضْل كذا وكذا، ولعبد الله كذا وكذا، ولقُثَم كذا وكذا! فقال العبّاس: والّذي بعثك بالحقّ يا رسول الله، ما علم بهذا أحدٌ غيري وغيرها، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله، ثمّ فدى نفسَه وابني أخويه وحليفه.

قال الواقديّ: قدّم رسول الله ﷺ من الأثيل زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة يبشّران النّاس بالمدينة فجاء يوم الأحد في الضُّحى، وفارق عبد الله زيدًا بالعَقِيق، فجعل عبد الله ينادي عوالي المدينة: يا معشر الأنصار، أبشروا بسلامة رسول الله وقتْل المشركين وأسْرهم، قُتِل ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج، وأبو جهل، وزمْعة بن الأسود، وأميّة بن خلف، وأسِر سُهيل بن عمرو ذو الأنياب؛ في أسرى كثير. قال عاصم بن عديّ: فقمت إليه فنحوته، فقلت: أ حقًّا ما تقول يا بن رواحة؟ قال: إي والله، وغدًا يقدُم رسول الله إن شاء الله، ومعه الأسرى مقرّنين، ثمّ تتّبع دورَ الأنصار بالعالية يبشّرهم، دارًا دارًا، والصّبْيان يشتدّون معه، ويقولون: قُتِل أبو جهل الفاسق، حتّى انتهوْا إلى دُور بني أميّة بن زيد، وقدم زيد بن حارثة على ناقة النّبيّ ﷺ القَصْوَاء، يبشّر أهل المدينة، فلمّا جاء المصلّى صاح على راحلته: قتِل عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وابنا الحجّاج وأبو جهل، وأبو البختريّ وزمْعة بن الأسود وأميّة بن خلف، وأسِرَ سُهيل بن عمرو ذو الأنياب في أسرى كثيرة، فجعل النّاس لا يصدقون زيد بن حارثة،

ويقولون: ما جاء زيد إلّا فَلًّا، حتّى غاظ المسلمين ذلك، وخافوا، قال: وكان قُدومُ زيد حين سوّوا على رقيّة بنت رسول الله ﷺ التّراب بالبَقيع، فقال رجل من المنافقين لأسامة بن زيد: قتل صاحبكم ومَنْ معه، وقال رجل من المنافقين لأبي لُبابة بن عبدالمنذر: قد تفرّق أصحابكم تفرّقًا لا يجتمعون معه أبدًا، وقد قتل عِلْية أصحابكم، وقتل محمّد، وهذه ناقته نعرفها، وهذا زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرّعب، وقد جاء فَلًّا، فقال أبو لُبابة: كذَّب الله قولك، وقالت: يهود ما جاء زيد إلّا فَلًّا، قال أسامة بن زيد: فجئت حتّى خلوتُ بأبي، فقلت: يا أبَتِ أحقٌّ ما تقول؟ فقال: إى والله حقًّا يا بنيّ، فقويَتْ نفسي، فرجعت إلى ذلك المنافق، فقلت: أنت المرجِف برسول الله وبالمسلمين! لنقدمنّك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم، فليضربنّ عنقَك، فقال: يا أبامحمّد، إنّما هو شيء سمعت النّاس يقولونه.

قال الواقديّ: فقدم بالأسرى وعليهم شُقران وهم تسعة وأربعون رجلًا الّذين أحصوا، وهم سبعون في الأصل، مجمع عليه لا شكَّ فيه؛ إلّا أنّهم لم يحص سائرهم، ولقي النّاس رسول الله ﷺ بالرَّوْحاء يهنئونه بفتح الله عليه، فلقيه وجوه الخزرج، فقال سلمة بن سلامة بن وَقْش: ما الّذي تهنئونه؟ فو الله ما قتلنا إلّا عجائز صُلْعًا! فتبسَّم النّبي ﷺ فقال: يا بن أخي، أولئك الملأ، لو رأيتَهم لهِبتَهم، ولو أمروك لأطعْتَهم، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرتها! وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيّهم! فقال سلمة: أعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، إنّك يا رسول الله لم تزل عنى معرضًا منذ كنّا بالرَّوْحاء في بدأتنا، فقال ﷺ: أما قلت للأعرابي: وقعتَ على ناقتك فهي حبلي منك، ففحشت وقلت ما لا علم لك به، وأمّا ما قلت في القوم؛ فإنّك عمَدت إلى نعمةٍ من نعم الله تزهدها، فقبل رسول الله ﷺ معذرته، وكان من عِلْية أصحابه.

قال الواقديّ: فروي الزُّهري، قال: لقي أبو هند البياضي مولى فَرْوة بن عمرو

رسول الله ﷺ ومعه حَمِيت مملوء حَيْسًا[1] أهداه له، فقال رسول الله ﷺ: «إنّما أبو هند رجلٌ من الأنصار فأنكحوه، وأنكحوا إليه».

قال الواقديّ: ولقيه أسيد بن حُضَير، فقال: يا رسول الله، الحمد لله الّذي ظفّرك وأقرّ عينك، والله يا رسول الله، ما كان تخلّفي عن بدر وأنا أظنّ بك أنّك تلقى عدوًّا، ولكنّي ظننت أنّها العير، ولو ظننت أنّه عدوّ لما تخلّفت، فقال رسول الله: صدقت.

قال: ولقيه عبد الله بن قيس بتربان، فقال: يا رسول الله الحمد لله على سلامتك وظفرك، كنتُ يا رسول الله ليالي خرجتَ موروداً ــ أي محمومًا ــ فلم تفارقني حتّى كان بالأمس، فأقبلت إليك، فقال آجرك الله.

قال الواقديّ: وكان سهيل بن عمرو لمّا كان بتنوكة بين السُّقْيا وملل، كان مع مالك بن الدّخشم الّذي أسره، فقال له: خلّ سبيلي للغائط، فقام معه، فقال سهيل: إنّي أحتشم فاستأخِرْ عنّي، فاستأخر عنه فمضى سهيل على وجهه، انتزع يدَه من القران، ومضى، فلمّا أبطأ سهيل على مالك بن الدّخشم، أقبل فصاح في النّاس، فخرجوا في طلبه، وخرج النّبيّ ﷺ في طَلَبه بنفسه، وقال: مَنْ وجده فليقتله، فوجَده رسول الله ﷺ بنفسه أخفى نفسَه بين شجرات، فأمر به فَربطَتْ يداه إلى عنقه، ثمّ قرنه إلى راحلته، فلم يركب سهيل خطوة حتّى قدم المدينة[2].

قال الواقديّ: فحدّثني إسحاق بن حازم بن عبد الله بن مقسَّم، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: لقيَ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، ورسول الله ﷺ على ناقته القصوى، فأجلسه بين يديه وسهيل بن عمرو مجبوب، ويداه إلى عنقه، فلمّا نظر إلى سهيل قالوا: يا رسول الله، أبو يزيد! قال: نعم، هذا الّذي كان يطعم الخبز بمكّة.

١ـ الحميت: الزِّقّ يجعل فيه السَّمن والعسل والزّيت. والحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلك شديدًا حتّى يمترج، ثمّ يندر نواه، وقد يجعل فيه سويق.

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٠٣ (طبعة المعارف).

وقال البلاذريّ: قال أسامة ـ وهو يومئذ غلام ـ: يا رسول الله، هذا الّذي كان يطعم النّاس بمكّة السّريد ـ يعنى الثّريد[١].

قلت: هذه لثغة مقلوبة، لأنّ الألثغ يبدل السّين ثاء، وهذا أبدل الثّاء سينا، ومن النّاس من يرويها: «هذا الّذي كان يطعم النّاس بمكّة الشريد» بالشين المعجمة.

قال البلاذريّ: وحدّثني مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ، عن أشياخه أن أسامة رأى سُهَيْلًا يومئذ، فقال: يا رسول الله هذا الّذي كان يطعم السّريد بمكّة، فقال رسول الله ﷺ: «هذا أبو يزيد الّذي يطعِم الطّعام، ولكنّه سعى في إطفاء نور الله، فأمكن الله منه».

قال: وفيه يقول أميّة بن أبي الصّلت الثّقفي:

يا با يزيد رأيت سيبَك واسعًا وسماء جودك تستهلّ فتمطرُ

قال: وفيه يقول مالك بن الدّخشم[٢]، وهو الّذي أسره يوم بدر:

أسرتُ سهيلًا فلا أبتغِي به غيرَه من جميع الأمَمْ

وخندف تعلم أنّ الفتَى سُهَيْلًا فتاها إذا تظلّمْ

ضربت بذي الشفر حتّى انثنى وأكرهت نفسي على ذي العَلَم

أى على ذي العلْم بسكون اللّام، ولكنّه حرّكه للضّرورة.

وكان سهيل أعلَم مشقوق الشّفَة العليا، فكانت أنيابه بادية، فلذلك قالوا: ذو الأنياب.

---

١ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٠٤.

٢ ـ البلاذريّ: «مالك بن الدّخشم بن مالك بن الدّخشم بن مرضخة بن غنم ـ وهو قوقل ـ بن عوف ابن الخزرج».

قال الواقديّ: ولمّا قدم بالأسرى كانت سوْدة بنت زمْعة زوْج النَّبي ﷺ عند آل عَفْراء في مناحتهم على عوف ومعوّذ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب، قالت سودة: فأتينا فقيل لنا: هؤلاء الأسرى قد أُتِيَ بهم، فخرجت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد مجموعة يداه إلى عنقه في ناحية البيت، فو الله ما ملكت نفسي حين رأيته مجموعةً يداه إلى عنقه أن قلت: أبا يزيد، أعطيتم بأيديكم! إلّا متم كرامًا فو الله ما راعني إلّا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلى الله وعلى رسوله»، فقلت: يا نبيّ الله، والّذي بعثك بالحقّ إنّي ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أنْ قلت ما قلت.

قال الواقديّ: وحدّثني خالد بن إلياس، قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي جهم، قال: دخل يومئذٍ خالد بن هشام بن المغيرة وأميّة بن أبي حُذيفة منزلَ أمّ سلمة وأمّ سلمة في مناحة آل عَفْراء، فقيل لها: أُتِيَ بالأسرى، فخرجت فدخلت عليهم فلم تكلّمهم حتّى رجعت، فتجِد رسول الله ﷺ في بيت عائشة، فقالت: يا رسول الله، إنّ بني عمّي طلبوا أن يدخل بهم عليّ فأضيفهم، وأدهن رؤوسهم وألمّ من شعثهم، ولم أحبّ أن أفعل شيئًا من ذلك حتّى استأمرَك، فقال ﷺ: «لست أكره شيئًا من ذلك، فافعلي مِنْ هذا ما بدا لك».

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بن عبد الله، عن الزُّهريّ، قال: قال أبوالعاص بن الرَّبيع: كنت مستأسِرًا مع رَهْط من الأنصار جزاهم الله خيرًا، كنّا إذا تعشّينا أو تغدّينا آثروني بالخبز، وأكلوا التّمر، والخبز عندهم قليل والتّمر زادهم، حتّى إنّ الرّجُلَ لتقع في يده الكسرة فيدفعها إليّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد. قال: وكانوا يحملوننا ويمشون.

وقال محمّد بن إسحاق في كتابه: كان أبو العاص بن الرَّبيع بن عبد العزّى بن عبد شمس خَتَن رسول الله ﷺ زوْج ابنته زينب، وكان أبوالعاص من رجال مكّة

المعدودين مالًا وأمانة وتجارة، وكان ابنًا لهالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد، وكان الرّبيع بن عبد العزّى بعلَ هذه فكانت خديجة خالته، فسألتْ خديجة رسول الله ﷺ أن يزوّجه زينبَ، وكان رسول الله ﷺ لا يخالف خديجة، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحيُ، فزوّجه إيّاها، فكان أبو العاص من خديجة بمنزلة ولدها، فلمّا أكرم الله رسوله بنبوّته آمنت به خديجة وبناته كلّهنّ وصدّقته وشهدْن أن ما جاء به حقّ و دِينٌ بدينه، وثبَت أبو العاص على شِركه، وكان رسول الله ﷺ قد زوّج عُتبة بن أبي لهب إحدى ابنتيه رقيّة أو أمّ كلثوم، وذلك من قبل أن ينزل عليه، فلمّا أنزل عليه الوحى ونادى قومه بأمر الله باعدوه، فقال بعضُهم لبعض: إنّكم قد فرّغتم محمّدًا من همّه، أخذتم عنه بناته وأخرجتموهنّ من عياله، فردّوا عليه بناته، فاشغَلوه بهنّ، فمشوْا إلى أبي العاص بن الرّبيع، فقالوا: فارقْ صاحبتَك بنت محمّد، ونحن نزوّجك أيّ إمرأة شئت من قريش، فقال: لا ها اللهِ! إذن لا أفارق صاحبتي، وما أحبّ أنّ لي بها امرأةً من قريش! فكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يُثْنِي عليه خيرًا في صهره، ثمّ مشوا إلى الفاسق عُتْبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلّق بنت محمّد، ونحن ننكحك أيّ أمرأة شئت من قريش، فقال: إن أنتم زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص، أو ابنةَ سعيد بن العاص، فارقتُها، فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص، ففارقها ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامةً لها وهوانًا له ثمّ خلف عليها عثمان بن عفّان بعده، وكان رسول الله ﷺ مغلوبًا على أمره بمكّة لا يُحلّ ولا يُحرِم، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب وأبي العاص، إلّا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر وهو بمكّة أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكه، حتّى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وبقيتْ زينب بمكّة مع أبي العاص، فلمّا سارتْ قريش إلى بدر، سار أبو العاص معهم، فأصيب في الأسرى يوم بدر، فأتى به النّبيُّ ﷺ، فكان عنده مع الأسارى، فلمّا بعث أهل مكّة في فداء أساراهم، بعثت زينب في فداء أبي العاص بعلها بمال، وكان فيما بعثت به قلادة

كانت خديجة أمّها أدخلتها بها على أبي العاص ليلة زفافها عليه، فلمّا رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقّة شديدة، وقال للمسلمين: إنْ رأيتم أن تطلِقوا لها أَسيرها، وتردُّوا عليها ما بعثت به من الفداء فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله؛ نفديك بأنفسنا وأموالنا، فردُّوا عليها ما بعثت به، وأطلقوا لها أبا العاص بغير فداء[1].

قلت: قرأت على النَّقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري العلويّ رحمه الله هذا الخبر، فقال: أترى أبا بكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد! أما كان يقتضي التّكريم والإحسان أن يطيّب قلب فاطمة بفدَك، ويستوهب لها من المسلمين، أتقصر منزلتُها عند رسول الله ﷺ عن منزلة زينب أختها وهي سيِّدة نساء العالمين! هذا إذا لم يثبُت لها حقّ، لا بالنِّحلة ولا بالإرث، فقلت له: فدَك بموجب الخبر الَّذي رواه أبو بكر قد صار حقًّا من حقوق المسلمين، فلم يَجُز له أن يأخذه منهم، فقال: وفداء أبي العاص بن الرَّبيع قد صار حقًّا من حقوق المسلمين، وقد أخذه رسول الله ﷺ منهم، فقلت: رسول الله ﷺ صاحبُ الشَّريعة، والحُكم حكمُه، وليس أبو بكر كذلك، فقال: ما قلتُ هلّا أخذه أبو بكر من المسلمين قهرًا فدفعه إلى فاطمة، وإنّما قلت: هلّا استنزل المسلمين عنه واستوهبه منهم لها كما استوهب رسول الله ﷺ المسلمين فداء أبي العاص! أتراه لو قال: هذه بنت نبيّكم قد حضرتْ تطلب هذه النَّخلات، أفتطيبون عنها نفسًا! أكانوا منعوها ذلك! فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد نحو هذا، قال: إنّهما لم ياتيا بحسنٍ في شَرْع التكرّم، وإن كان ما أتياه حَسَنًا في الدّين.

قال محمّد بن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ لمّا أطلق سبيل أبي العاص أخذ عليه فيما نرى أو شرط عليه في إطلاقه، أو أنّ أبا العاص وعد رسول الله ﷺ ابتداءً بأن يحمل زينب إليه إلى المدينة، ولم يظهر ذلك من أبي العاص؛ ولا من رسول الله ﷺ إلّا

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٦، ٢٩٧.

إنّه لمّا خُلِّيَ سبيله، وخرج إلى مكّة بعث رسول الله ﷺ بعده زيد بن حارثة ورجلًا من الأنصار، فقال لهما: كونا بمكان كذا[١] حتّى تمرّ بكما زينب فتصحبانها حتّى تأتياني بها، فخرجا نحو مكّة، وذلك بعد بدر بشهر[أو شيّعه][٢]، فلمّا قدم أبو العاص مكّة أمرها باللّحوق بأبيها، فأخذت تتجهّز[٣].

قال محمّد بن إسحاق: فحدّثت عن زينب أنّها قالت: بينا أنا أتجهّز للحوق بأبي، لقيتْني هند بنت عُتْبة، فقالت: ألم يبلغني يا بنت محمّد إنّك تريدين اللّحوق بأبيك، فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أى بنت عمّ لا تفعلي إن كانت لك حاجة في متاع أو فيما يرفق بك في سفرك أو مال تبلغين به إلى أبيك فإنّ عندي حاجتك، فلا تَضْطَنِي[٤] منّي، فإنّه لايدخل بين النّساء ما يدخل بين الرّجال، قالت: وأيمُ الله، إنّي لأظنّها حينئذ صادقة، ما أظنُّها قالت حينئذ إلّا لتفعل، ولكن خفْتُها فأنكرت أن أكون أريد ذلك. قالت: وتجهّزتُ حتّى فرغت من جهازي، فحملني أخو بَعْلِي وهو كنانة بن الرَّبيع.

قال محمّد بن إسحاق: قدّم لها كنانة بن الرَّبيع بعيرًا فركبتْه، وأخذ قوسه وكنانته، وخرج بها نهارًا يقود بعيرها، وهي في هَوْدَج لها، وتحدّث بذلك الرّجال من قريش والنِّساء، وتلاومت في ذلك، وأشفقت أن تخرج ابنة محمّد من بينهم على تلك الحال،

---

١ ـ سيرة ابن هشام: «كمونا ببطن يأجج»، ويأجج: اسم لمكانين: أحدهما على ثمانية أميال من مكّة، وثانيهما أبعد منه، وفيه بني مسجد الشّجرة،وبينه وبين مسجد التّنعيم ميلان.

٢ ـ من سيرة ابن هشام. وشيّعه أى قريب منه.

٣ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٧، ٢٩٨.

٤ ـ تضطني، أى تستحي، ومنه قول الطّرمّاح:

إذا ذُكرتْ مسعاةُ والدِهِ اضْطَنَى ولايَضْطَنِي من شَتْمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

فخرجوا في طلبها سِراعًا حتّى أدركوها بذي طوى، فكان أوّل مَن سبق إليها هبّار بن الأسود بن عبد المطّلب بن أسد بن عبد العزّى بن قصيّ، ونافع بن عبد القيس الفِهْريّ، فروّعَها هبّار بالرّمح وهي في الهودج، وكانت حاملًا، فلمّا رجعت طرحت ما في بطنها، وقد كانت من خوفها رأت دمًا وهي في الهودج، فلذلك أباح رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة دمَ هبّار ابن الأسود[1].

قلت: وهذا الخبر أيضًا قرأته على النّقيب أبي جعفر رحمه الله، فقال: إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقتْ ذا بطنها، فظهر الحال إنّه لو كان حيًّا لأباح دم مَنْ رَوّع فاطمة حتّى ألقت ذا بطنها. فقلت: أروي عنك ما يقوله قومٌ إنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن[2] فقال: لا تروِه عنّي ولا تَرْوِ عنّي بطلانه، فإنّي متوقّف في هذا الموضع لتعارض الأخبار عندي فيه.

قال الواقديّ: فبرك حَمُوها كنانة بن الرَّبيع، ونثلَ[3] كنانته بين يديه، ثمّ أخذ منها سهمًا فوضعه في كبد قوسه، وقال: أحلف بالله لا يدنُو اليوم منها رجلٌ إلّا وضعتُ فيه سهمًا، فتكرّ[4] النّاس عنه.

قال: وجاء أبو سفيان بن حرب في جلّةٍ من قُريش، فقال: أيُّها الرّجل، اكفُفْ عنّا نَبْلَك حتّى نكلّمك، فكفّ. فأقبل أبو سفيان حتّى وقف عليه، فقال: إنّك لم تحسن ولم تُصِبْ، خرجتَ بالمرأة على رؤوس النّاس علانية جهارًا، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمّد أبيها، فيظنّ النّاس إذا أنت خرجت بابنته إليه جهارًا أنّ ذلك عن ذلٍّ أصابنا، وأنّ ذلك منّا وَهَن، ولعمري ما لنا في حبسها عن

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٨، ٢٩٩.

٢ ـ ا: «محسنًا».

٣ ـ نثل كنانته: أخرج مافيها.

٤ ـ تكرّ عنه، أى ترجع، وفي ابن هشام: «فتكرر النّاس عنه».

أبيها من حاجة، وما فيها من ثأر، ولكن ارجع بالمرأة حتّى إذا هدأت الأصوات، وتحدّث النّاس بردّها سُلّها سَلًّا خفيًّا، فألحقها بأبيها. فردّها كنانة بن الرّبيع إلى مكّة، فأقامت بها لياليَ حتّى إذا هدأ الصّوت عنها حملها على بعيرها، وخرج بها ليلًا حتّى سلّمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها على رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

قال محمّد بن إسحاق: فروى سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدّوْسي، عن أبي هريرة، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سريّة أنا فيها إلى عيرٍ لقريش، فيها متاع لهم وناس منهم، فقال: إن ظفرتم بهبّار بن الأسود ونافع بن عبد قيس، فحرّقوهما بالنّار، حتّى إذا كان الغدُ بعث فقال لنا: «إنّي كنت قد أمرتكم بتحريق الرّجلين إن أخذتموهما، ثمّ رأيت أنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يعذّب بالنّار إلّا الله تعالى، فإن ظفرتم بهما فاقْتلوهما ولا تحرّقوهما»[2].

قلت: لقائل من المحبِرة أنْ يقول: أليس هذا نسخ الشّيء قبل تقضّي[3] وقت فعله، وأهل العدل لا يجيزون ذلك! وهذا السُّؤال مشكِل، ولاجوابَ عنه إلّا بدفع الخبر إمّا بتضعيف أحد من رواته، أو إبطال الاحتجاج به لكونه خبر واحد، أو بوجه آخر؛ وهو أنّ نجيز للنّبي الاجتهاد في الأحكام الشّرْعيّة كما يذهب إليه كثير من شيوخنا، وهو مذهب القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ومثل هذا الخبر حديث براءة وإنفاذها مع أبي بكر، وبعث علي عليه السلام، فأخَذها منه في الطّريق، وقرأها على أهلِ مكّة بعد أن كان أبو بكر هو المأمور بقراءتها عليهم.

فأمّا البلاذريّ فإنّه روى أن هبّار بن الأسود كان ممّن عرَض لزينب بنت

---

١ ـ انظر سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٩.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٢.

٣ ـ ا «مضيّ».

رسول الله ﷺ حين حُمِلتْ من مكّة إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يأمر سراياه إن ظفروا به أن يحرّقوه بالنّار، ثمّ قال[1]: لا يعذّب بالنّار إلّا ربّ النّار، و أمرهم إن ظفروا به أن يقطعوا يديْه ورجليه ويقتلوه؛ فلم يظفروا به، حتّى إذا كان يوم الفتح هرب هبّار، ثمّ قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة ـ ويقال: أتاه بالجِعرانة ـ حين فرغ من أمر حُنَين، فمثَلَ بين يديه، وهو يقول: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، فقبل إسلامه وأمر ألّا يعرَض له، وخرجت سَلْمى مولاة رسول الله ﷺ فقالت: لا أنعم الله بك عينًا! فقال رسول الله ﷺ: «مهلًا، فقد محا الإسلام ما قبله»!

قال البلاذريّ: فقال الزُّبير بن العوّام: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ بعد غلظته على هبّار ابن الأسود يطأطىء رأسه استحياءً منه، وهبّار يعتذر إليه، وهو يعتذر إلى هبّار أيضًا[2].

قال محمّد بن إسحاق: فأقام أبو العاص بمكّة على شِرْكه، وأقامت زينب عند أبيها بالمدينة، قد فرّق بينهما الإسلام، حتّى إذا كان قبل الفَتْح، خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشّام بمالٍ له، وأموال لقريش أبضعوا[3] بها معه، وكان رجلًا مأمونًا، فلمّا من تجارته وأقبل قافلًا لقيتْه سريّة لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه وأعجزهم هو هاربًا، فخرجت السَّريّة بما أصابت من ماله، حتّى قدمت به على رسول الله ﷺ، وخرج أبو العاص تحت اللَّيْل، حتّى دخل على زينب ـ ابنة رسول الله ﷺ ـ منزلَها فاستجار بها فأجارتْه، وإنّما جاء في طلب ماله الَّذي أصابته تلك السريّة، فلمّا كبّر رسول الله ﷺ في صلاة الصُّبْح، وكبّر النّاس معه، صرخت زينب من صُفّةِ النِّساء:

١ـ ساقطة من ب.

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٩٨ مع اختلاف في الرّواية.

٣ ـ : ا، «أبضعوها معه».

أيُّها النّاس، إنّي قد أجرت أباالعاص بن الرّبيع، فصلّى رسول الله ﷺ بالنّاس الصُّبح، فلمّا سلّم من الصّلاة، أقبل عليهم فقال: «أيُّها النّاس، هل سمعتم ما سمعتُ؟» قالوا: نعم، قال: «أمّا والّذي نفس محمّد بيده ما علمت بشيء ممّا كان حتّى سمعتم، إنّه يجير على النّاس أدناهم». ثمّ انصرف ودخل على ابنته زينب، فقال: «أي بنيّة، أكرمي مثواه، وأحسني قِراه، ولا يصلنّ إليك، فإنّك لا تَحِلّين له».

ثمّ بعث إلى تلك السريّة الّذين كانوا أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إنّ هذا الرّجل منّا بحيث علمتم، وقد أصبتم له مالًا، فإن تحسِنُوا وتردّوا عليه الّذي له، فإنّا نحبّ ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الّذي أفاء عليكم، وأنتم أحقّ به. فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردُّوا عليه ماله ومتاعه، حتّى إنّ الرّجل كان يأتي بالحبل[1]، ويأتي الآخر بالشنّة[2]، ويأتي الآخر بالإداوة[3]، والآخر بالسِّقاظ[4]، حتّى ردُّوا مالَه ومتاعه بأسرِه من عند آخره ولم يفقد منه شيئًا. ثمّ احتمل إلى مكّة، فلمّا قدمها أدّى إلى كلّ ذي مال من قريش مالَه ممّن كان أبضع معه بشيء، حتّى إذا فرغ من ذلك، قال لهم: يا معشرَ قريش، هل بقِيَ لأحدٍ منكم عندي مال، لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيرًا، لقد وجدناك وفيًّا كريمًا، قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، والله ما منعني من الإسلام إلّا تخوّف أن تظنّوا أنّي أردتُ أن آكل أموالكم، وأذهب بها فإذ سلّمها الله لكم، وأدّاها إليكم، فإنّي أشهدكم إنّي قد أسلمتُ واتّبعت دين محمّد ثمّ خرج سريعًا حتّى قدم على رسول الله المدينة[5].

١ـ ابن هشام: «بالدّلو».

٢ـ السَّنَة: السّقاء البالي.

٣ ـ الإداوة: المطهّرة الّتي يتوضّأ بها.

٤ ـ السِّقاظ: عود يشدّ به فم الغرارة.

٥ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٣، ٣٠٤.

قال محمّد بن إسحاق: فحدّثني داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ ردّ زينب بعد ستّ سنين على أبي العاص بالنِّكاح الأوّل لم يُحدِث شيئًا[1].

قال الواقديّ: فلمّا فرغ رسول الله ﷺ من أمر الأسارَى، وفرق الله عزّ وجلّ ببدر بين الكفر والإيمان، أذلّ رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهوديّ ولا منافق إلّا خضعت عنقه.

وقال قوم من المنافقين: ليتنا خرجْنَا معه حتّى نصيب غنيمة. وقالت يهود فيما بينها: هو الّذي نجد نعته في كتبنا، والله لا تُرفع له راية بعد اليوم إلّا ظهرت. وقال كعب بن الأشرف: بطن الأرض اليوم خير من ظهرها، هؤلاء أشراف النّاس وساداتهم، وملوك العرب وأهل الحرَم والأمن قدأصيبوا. وخرج إلى مكّة، فنزل على أبي وَدَاعة بن ضُبَيْرة، وجعله يرسل هجاء المسلمين و رثى قتل بدر من المشركين، فقال:

طَحَنَتْ رَحَا بدرٍ لِمُهْلَكِ أهلِه ... ولِمِثْلِ بدْر يُستهلّ ويُدْمَعُ[2]

قُتِلَتْ سراةُ النّاس حول حياضِهِ ... لا تبعَدُوا إنّ الملوكَ تُصَرَّع[3]

ويقولُ أقوامٌ أذِلّ بعزّهم[4]: ... إن ابن أشرفَ ظلّ كعبًا يجزَعُ

صدقُوا فليتَ الأرض ساعةَ قُتِّلُوا ... ظلّتْ تسيخُ بأهلها وتصدّعُ[5]

١ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣٠٤.

٢ـ سيرة ابن هشام ٢: ٤٣١،٤٣٢، وأنساب الأشراف١: ٢٨٤، والبيتان الأخيران في نسب قريش ٣٠١.

٣ ـ سراة النّاس: خيارهم.

٤ ـ البلاذريّ: «غويّ أمرهم»، ابن هشام: «أسر بسخطهم». الواقديّ: «أذلّ بسخطهم».

٥ ـ بعده في ابن هشام:

نُبِّئتُ أنّ الحارث بن هشامِهِمْ في النّاس يبني الصّالحات ويَجْمَعُ[١]
ليزورَ يثرب بالجموع وإنّما يسعى على الحسبِ القديم الأرْوَعُ[٢]

قال الواقديّ: أملاها عَلَيّ عبد الله بن جعفر ومحمّد بن صالح وابن أبي الزّناد فلمّا أرسل كعب هذه الأبيات أخذَها النّاس بمكّة عنه، وأظهروا المراثي ـ وقد كانوا حرّموها كيلا يشمت المسلمون بهم ـ وجعل الصِّبيان والجواري ينشدونَها بمكّة، فناحت بها قريش على قتلاها شهرًا، ولم تبقَ دارٌ بمكّة إلّا فيها النّوح ـ وجزّ النِّساء شعورهنّ، وكان يؤتي براحلة الرّجل منهم أو بفرسه، فتوقَّف بين أظهرهم، فينوحون حولها، وخرجْنَ إلى السّكك، و ضربْنَ السّتور في الأزقة، [وقطعن][٣] فخرجن إليها ينحْن، وصدّق أهلُ مكّة رؤيا عاتكة وجهيم بن الصَّلْت[٤].

قال الواقديّ: وكان الّذين قدموا من قريش في فداء الأسرَى أربعة عشر رجلًا، وقيل خمسة عشر رجلًا، وكان أوّل مَنْ قدِم المطّلب بن أبي وداعة، ثمّ قدم الباقون بعده بثلاث ليال.

قال: فحدّثني إسحاق بن يحيى، قال: سألت نافع بن جُبَيْر: كيف كان الفداء؟ قال: أرفعهم أربعة آلاف إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف، إلّا قومًا لا مال لهم منّ

صار الّذي أثر الحديث بطعنةٍ أو عاشَ أعمَى مرعَشًا لا يسمعُ
نبِّئت أنّ بني المغيرةَ كلَّهُمْ خَشَعُوا لقتلِ أبي الحكيمِ وجُدِّعوا
وابنا رَبيعةَ عنده ومُنَبِّهٌ ما نَالَ مثل الهالكينَ وتُبَّعُ

١ ـ نسب قريش: «يبني المكرامات».
٢ ـ نسب قريش: «ليزور أثرب»، وأثرب لغة في يثرب.
٣ ـ من الواقديّ.
٤ ـ مغازي الواقديّ: ١١٥، ١١٦.

عليهم رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ في أبي وداعة: إنّ له بمكّة ابنًا كيّسًا له مال، وهو مُغْلٍ فَداءه، فلمّا قدم افتداه بأربعة آلاف، وكان أوّل أسير افتدى؛ وذلك أنّ قريشًا قالت لابن المطّلب بن أبي وداعة ـ ورأته يتجهّز، يخرج إلى أبيه ـ: لا تَعْجَلْ؛ فإنّا نخاف أن تفسد علينا في أسارانا، ويرى محمّد تهالكنا فيُغْلِي علينا الفدية، فإنْ كنت تجد فإنّ كلّ قومك لا يجدون من السّعة ما تجد. فقال: لا أخرج حتّى تخرجوا، فخادعهم حتّى إذا غفلوا خرج من اللّيْلَ على راحلته، فسار أربعة ليال إلى المدينة فافتدى أباه بأربعة آلاف، فلامَه قريش في ذلك، فقال: ما كنت لأترك أبي أسيرًا في أيدي القوم وأنتم مضجعون، فقال أبو سفيان بن حرب: إنّ هذا غلام حدَث يعجب بنفسه وبرأيه، وهو مفسد عليكم، إنّي والله غير مفتدٍ عمرو بن أبي سفيان، ولو مكث سَنَة أو يرسله محمّد: والله ما أنا بأعوزكم، ولكنّي أكره أن أُدخِل عليكم ما يشقّ عليكم، ولكن يكون عمرو كأسوتكم.

قال الواقديّ: فأمّا أسماء القوم الّذين قدموا في الأسرى، فإنّه قدم من بني عبد شمس الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط، وعمرو بن الرَّبيع أخو أبي العاص بن الرَّبيع. ومن بني نوفل بن عبد مناف جُبَيْر بن مطعِم: ومن بني عبد الدّار بن قُصيّ طلحة بن أبي طلحة، ومن بني أسد بن عبد العزّى بن قصيّ عثمان بن أبي حُبيش. ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي ربيعة وخالد بن الوليد وهشام بن الوليد بن المغيرة وفروة بن السّائب وعكرمة بن أبي الجهل. ومن بني جُمَح أبيّ بن خلَف وعُمير بن وهب. ومن بني سهم المطّلب بن أبي وداعة وعمرو بن قيس. ومن بني مالك بن حِسْل مكرز بن حفْص بن الأحنف، كلّ هؤلاء قدِموا المدينة في فداء أهلهم وعشائرهم. وكان جبير بن مطعِم يقول: دخل الإسلامُ في قلبي منذ قدمت المدينة في

الفِداء، سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة المغرب: ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾[١]، فاستمعت قراءته، فدخل الإسلام في قلبي منذ ذلك اليوم[٢]. (١٤ : ١٦٥ ـ ١٩٩)

القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومن أسرهم

قال الواقديّ: أسِر من بني هاشم العبّاس بن عبد المطّلب، أسره أبو اليسر كعب بن عمرو، وعَقِيل بن أبي طالب أسره عبيد[٣] بن أوس الظَّفَريّ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب أسَره جَبّار بن صخر، وأسِر حليف لبني هاشم من بني فهر، إسمه عُتْبة فهؤلاء أربعة. ومن بني المطّلب بن عبد مناف السّائب بن عبيد، وعبيد بن عمرو[٤] بن علقمة، رَجُلَان أسرهما سلمة بن أسلم بن حريش الأشهليّ.

قال الواقديّ: حدّثني بذلك ابن أبي حبيبة، قال: ولم يقدّم لهما أحد، وكانا لا مال لهما، ففكّ رسول الله ﷺ عنهما بغير فدْية. ومن بني عبد شمس بن عبد مناف عُقْبة بن أبي مُعَيط المقتول صَبْرًا[٥]، على يد عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بأمر رسول الله، أسره عبد الله بن أبي سلمة العجلانيّ، والحارث بن أبي وحْرة بن أبي عمرو بن أميّة، أسره سعد بن أبي وقّاص، فقدّم في فدائه الوليد بن عقبة بن أبي مُعيط فافتداه بأربعة آلاف.

قال الواقديّ: وقد كان الحارث هذا لمّا أمر النّبيّ ﷺ بردّ الأسارى، ثم أقرع بين أصحابه عليهم، وقع في سهم سعد بن أبي وقّاص الّذِي كان أسره أوّل مرّة ـ وعمرو

---

١ ـ الطور/١.

٢ ـ انظر مغازي الواقديّ ١٣٣ـ ١٤٤.

٣ ـ «عبيدة»، والصّواب ما أثبته من ا والواقديّ و ابن هشام.

٤ ـ كذا في الأصول و الواقديّ، وأنساب الأشراف، وفي ابن هشام: «نعمان بن عمرو».

٥ ـ الواقديّ: «قتل صبرًا».

ابن أبي سفيان، أسره عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصار بالقُرْعة في سهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فأطلقه بغير فدْية، أطلقه بسعد بن النُّعمان بن أكال من بني معاوية، خرج معتمرًا، فحبس بمكّة، فلم يطلقه المشركون حتّى أطلق رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن أبي سفيان.

وروى **محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي»**: أنّ عمرو بن أبي سفيان أسره عليّ عليه السلام يوم بَدْر، وكانت أمّه ابنة عُقْبة بن أبي مُعَيط، فمكث في يد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل لأبي سفيان: ألا تفتدِي ابنك عمرًا؟ قال: أيجمع عليّ دمي ومالي! قتلوا حنظَلة وأفتدى عمرًا! دعوه في أيديهم فليمسكوه ما بدا لهم. فبينا هو محبوس بالمدينة، خرج سعد بن النُّعمان بن أكال أخو بني عمرو بن عوف معتمرًا، ومعه امرأة[1] له، وكان شيخًا كبيرًا لا يخشى ما صنع[2] به أبو سفيان، وقد عهِد قريشًا ألّا يعرِض لحاجّ ولا معتمِر[3]، فعدَا عليه أبو سفيان، فحبسه بمكّة بابنه عمرو بن أبي سفيان، وأرسل إلى قوم بالمدينة هذا الشِّعْر:

أرهط ابن أكّال أجيبوا دعاءه ... تعاقدتُمُ لا تُسلِموا السَّيّد الكَهْلَا

فإنّ بني عمرو لئام أذِلّةٌ ... لئن لم يفكّوا عن أسيرهمُ الكَبْلَا

فمشى بنو عمرو بن عوف حين بلغهم الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبروه بذلك، وسألوه أن يعطيَهم عمرو بن أبي سفيان ليفكُّوا به صاحبَهم، فأعطاهم إيّاه، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلّى سبيل سعد. وقال حسّان بن ثابت يجيب أبا سفيان:

ولو كان سعدٌ يوم مكّة مطلقًا ... لأكثر فيكُمْ قبل أن يؤسر القَتْلَى

---

١ ـ ابن هشام: «مرية».

٢ ـ ابن هشام: «ما صنع به».

٣ ـ ابن هشام: «لا يعرضون لأحد جاء حاجًا أو معتمرًا إلّا بخير».

بعَضْبٍ حُسام أو بصفراء نَبْعةٍ تحنّ إذا ما أنبِضت تحفزُ التَّبلَا[1]

وأبو العاص بن الرّبيع، أسره خراش بن الصِّمة، فقدّم في فدائه عمرو بن أبي الرَّبيع أخوه، وحليف لهم، يقال له أبو ريشة افتداه عمرو بن الرَّبيع أيضًا. وعمرو بن الأزرق إفتكّه عمرو ابن الرَّبيع أيضًا، وكان قد صار في سهم تميم مولى خراش بن الصّمّة، وعُقْبة بن الحارث الحضرميّ أسره عُمارة بن حزم، فصار في القرعة لأبيّ بن كعب، افتداه عمرو بن أبي سفيان بن أميّة، وأبو العاص بن نوفل بن عبد شمس، أسره عمّار بن ياسر قدم في فدائه ابن عمّه فهؤلاء ثمانية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف عديّ بن الخيار، أسره خراش بن الصمّة، وعثمان بن عبد شمس، ابن أخي عتبة بن غَزْوان حليفهم[2]، أسره حارثة بن النّعمان، وأبو ثور، أسره أبو مَرْثد الغنَويّ، فهؤلاء ثلاثة افتداهم جُبير بن مطعِم. ومن بني عبد الدّار بن قصيّ أبو عزيز ابن عُمير، أسره أبو اليسر، ثمّ صار بالقرعة لمحرز بن نضلة.

قال الواقديّ: أبو عزيز هذا هو أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمّه، وقال مصعب لمحرز ابن نضلة: اشدد يديْك به؛ فإنّ له أمّا بمكّة كثيرة المال، فقال له أبو عزيز: هذه وصاتك بي يا أخي! فقال مصعب: إنّه أخي دونك، فبعثتْ فيه أمّه أربعة آلاف، وذلك بعد أن سألتْ: ما أغلى ما تُفادِي به قريش؟ فقيل لها: أربعة آلاف ـ والأسود ابن عامر بن الحارث بن السّباق، أسره حمزة بن عبد المطّلب، فهذان اثنان قدم في فدائهما طَلْحة بن أبي طلحة. ومن بني أسد بن عبد العزّى بن قُصيّ، السّائب بن أبي حُبَيش بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّى، أسره عبد الرّحمن بن عوف. وعثمان

---

١ ـ العضب: السّيف القاطع، وكذلك الحسام. وصفراء أراد بها قوسًا. والنبعة: شجرة تنبت بالجبال؛ تصنع منها القسيّ وتحنّ: تصوت. وأنبضت: مدّ وترها. والأنباض: أن يحرّك وتر القوس ويمدّ. والخبر في سيرة ابن هشام ٢: ٢٩٤، ٢٩٥.

٢ ـ الواقديّ: «حليف لهم».

بن الحويرث بن عثمان بن أسد بن عبد العزّى، أسره حاطب بن أبي بَلْتعة، وسالم بن شمّاخ أسره سعد بن أبي وقّاص، فهؤلاء ثلاثة قدِم في فدائهم عثمان بن أبي حبيش، بأربعة آلاف لكلّ رجل منهم. ومن بني تميم بن مرّة، مالك بن عبد الله بن عثمان، أسره قُطْبة بن عامربن حديدة، فمات في المدينة أسيرًا. ومن بني مخزوم خالد بن هشام ابن المغيرة، أسره سواد بن غزيّة. وأميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة، أسره بلال. وعثمان ابن عبد الله بن المغيرة، وكان أفلت يوم نَخْلة، أسره واقد بن عبد الله التميميّ يوم بدر، فقال له: الحمدُ لله الّذي أمكنني منك، فقد كنت أفلتّ يوم نخلة ـ وقدم في فداء هؤلاء الثلاثة عبد الله بن أبي ربيعة، افتدى كلّ واحد منهم بأربعة آلاف ـ والوليد بن الوليد بن المغيرة، أسره عبد الله بن جحش، فقدِم في فدائه أخواه خالد بن الوليد وهشام بن الوليد، فتمنّع عبد الله بن جحش حتّى افتكّاه بأربعة آلاف، فجعل هشام ابن الوليد يريد ألّا يبلغ ذلك ـ يريد ثلاثة آلاف ـ فقال خالد لهشام: إنّه ليس بابن أمّك، والله لو أبَى فيه إلّا كذا وكذا لفعلت، فلمّا افتدياه خرجا به حتّى بلغا به ذا الحليفة، فأفلت، فأتى النّبيّ ﷺ فأسلم، فقيل: ألا أسلمت قبل أن تفتدى! قال: كرهتُ أن أسلِم حتّى أكونَ أسوةً بقومي.

قال الواقديّ: ـ يقال إنّ الّذي أسر الوليد بن الوليد سليط بن قيس المازني ـ و قيس بن السّائب، أسره عبدة بن الحسحاس، فحبسه عنده حينًا، وهو يظنّ أنّ له مالًا، ثمّ قدم في فدائه أخوه فَرْوة بن السائب، فأقام أيضًا حينًا، ثمّ افتداه بأربعة آلاف فيها عُروض. ومن بني أبي رفاعة، صيْفيّ بن أبي رفاعة بن عائذ بن عبد الله بن عميربن مخزوم، وكان لا مال له، أسره رجلٌ من المسلمين، فمكث عندهم، ثمّ أرسله. وأبو المنذر بن أبي رفاعة بن عائذ افتُدى بألفين، ـ ولم يذكر الواقديّ مَنْ أسره ـ وعبد الله، وهو أبو عطاء بن السّائب بن عائذ ابن عبد الله، افتُدَى بألف درهم، أسره سعد بن أبي وقّاص، والمطلّب بن حنظلة بن الحارث بن عبيد بن عميربن مخزوم، أسره أبو أيّوب الأنصاريّ ـ ولم يكن له مال فأرسله بعد حين ـ وخالد بن الأعلم

العقيليّ، حليف لبني مخزوم، وهو الّذي يقول:

وَلَسْنَا على الأعقاب تدمَى كلومُنا ولكِنْ على أقدامِنَا تقطُر الدَّما[1]

وقال محمّد بن إسحاق: روى أنّه كان أوّل المنهزمين[2]، أسره الخبّاب بن المنذر بن الجَمُوح، وقدم في فدائه عكرمة بن أبي الجهل، فهؤلاء عشرة. ومن بني جُمح عبد الله بن أبيّ بن خلف، أسره فَرْوة بن أبي عمرو البياضيّ، قدم في فدائه أبوه أبيّ بن خَلَف فتمنّع به فروة حينًا. وأبو عزّة عمرو بن عبد الله بن وهب، أطلقه رسول الله ﷺ بغير فِدْية، وكان شاعرًا خبيث اللِّسان، ثمّ قتله يوم أحُد، بعد أن أسره ـ ولم يذكر الواقديّ الّذي أسره يوم بدر ـ ووهب بن عميربن وهب، أسره رفاعة بن رافع الزّرقي، وقدم أبوه عميربن وهْب في فدائه، فأسلم فأرسل النّبي ﷺ له ابنه بغيرفداء،وربيعة بن درّاج بن العنبس بن وهبان[3] بن وهب بن حُذافة بن جُمح، وكان لا مال له، فأخذ منه بشيء يسير، وأرسل به ـ ولم يذكر الواقديّ من أسره ـ و الفاكه مولى أميّة بن خلف، أسره سعد بن أبي وقّاص، فهؤلاء خمسة.

ومن بني سهم بن عمرو أبو وَدَاعة بن ضُبَيرة وكان أوّل أسيرافتدى، قدم في فدائه ابنُه المطلّب، فافتداه بأربعة آلاف ـ ولم يذكر الواقديّ مَنْ أسره ـ وفَرْوة بن قَيْس بن عديّ بن حذافة بن سعيد بن سهم، أسره ثابت بن أقزم، وقدم في فدائه عمرو بن قيس، افتداه بأربعة آلاف، وحنظلة بن قبيصة بن حُذَاقة بن سعد، أسره عثمان بن مظعون.

---

١ ـ رواية ابن هشام ٢: ٣٦٥

و لَسْنَا على الأدْبَار تَدْمَى كُلُومُنَا ولكِن على أقدامِنَا يَقْطُرُ الدَّمُ

٢ ـ ابن هشام: «أوّل من ولّى فارًّا منهزمًا».

٣ ـ ابن هشام: «أهبان».

والحجّاج بن الحارث بن قيس بن سعد بن سَهْم، أسره عبد الرّحمن بن عوف، فأفلت، فأخذه أبو داود المازني. فهؤلاء أربعة.

ومن بني مالك بن حِسْل سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدودّ بن نصر بن مالك؛ أسره مالك بن الدّخشم، وقدم في فدائه مكرز بن حَفص بن الأحنف، وانتهى في فدائه إلى إرضائهم بأربعة آلاف، فقالوا: هات المال، فقال: نعم، اجعلوا رجلًا مكان رجل؛ وقوم يروونها: «رِجْلًا مكان رِجل»، فخلّوا سبيل سُهيل، وحبسوا مِكْرز بن حفص عندهم، حتّى بعث سهيل بالمال من مكّة. وعبد الله بن زَمْعة بن قيس بن نصر بن مالك، أسره عمير بن عوف، مولى سُهَيل بن عمرو. وعبد العزّى بن مشنوء ابن وقدان بن قيس بن عبد شمس بن عبدودّ سمّاه رسول الله ﷺ بعد إسلامه عبد الرّحمن، أسره النُّعمان بن مالك. فهؤلاء ثلاثة. ومن بني فِهْر الطّفيل بن أبي قُنَيع، فهؤلاء ستّة وأربعون[1] أسيرًا.

وفي كتاب الواقديّ: أنّه كان الأسارى الّذين أحصوا وعرفوا تسعة وأربعين، ولم نجد التّفصيل يلحق هذه الجملة[2].

وروى الواقديّ عن سعيد بن المسيّب، قال: كانت الأسارى سبعين، وإنّ القتلى كانت زيادة على سبعين إلّا أنّ المعروفين من الأسرى هم الّذين ذكرناهم، والباقون لم يذكر المؤرّخون أسماءهم. (١٤ : ١٩٩ ـ ٢٠٥)

القول في المطعمين في بدر من المشركين

قال الواقديّ: المتّفق عليه ولا خلاف بينهم فيه تسعة؛ فمن بني عبد مناف الحارث

---

١ ـ عدّتهم في ابن هشام: «ثلاثة و أربعون».

٢ ـ مغازي الواقديّ: ١٣٣ ـ ١٣٩، وانظر أنساب الأشراف ١: ٣٠١ ـ ٣٠٦، وسيرة ابن هشام ٢: ٣٦٤ ـ ٣٦٧.

بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس. ومن بني أسد بن عبد العزّى، زمْعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، ونوفل بن خويلد المعروف بابن العدوّيّة. ومن بني مخزوم، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة. ومن بني جُمح، أميّة بن خلَف.

ومن بني سهم نبيه ومنبّه ابنا الحجّاج. فهؤلاء تسعة.

قال الواقديّ: وكان سعيد بن المسيّب يقول: ما أطعم أحد ببدر إلّا قُتِل.

قال الواقديّ: قد ذكروا عدّة من المطعمين، اختلف[1] فيهم، كسُهيل بن عمرو و أبي البختري وغيرهما[2].

قال: حدّثني إسماعيل بن إبراهيم، عن موسى بن عتبة، قال: أوّل مَنْ نحرلهم أبو جهل بمرّ الظّهران عشرًا، ثمّ أميّة بن خلف بعُسْفان تسعًا، ثمّ سهيل بن عمرو بقُدَيد عشرًا، ثمّ مالوا إلى مياه من نحو البحر ضلّوا الطّريق، فأقاموا بها يومًا، فنحرلهم شيبة ابن ربيعة تسعًا، ثمّ أصبحوا بالأبواء فنحرلهم قيس الجمحيّ تسعًا، ثمّ نحر عتبة عشرًا، ونحرلهم الحارث بن عمرو تسعًا، ثمّ نحرلهم أبو البختريّ على ماء بدر عشرًا، ونحرلهم مقيس بن ضبابة على ماء بدر تسعًا، ثمّ شغلتهم الحرب.

قال الواقديّ: وقد كان ابن أبي الزّناد يقول: والله ما أظنّ قيسًا كان يقدر على قَلُوص واحدة.

قال الواقديّ: وأمّا أنا فلا أعرف قيس الجمحيّ. قال: وقد روت أمّ بكر، عن المسوَّر بن مخرمة ابنها، قال: كان النّفر يشتركون في الإطعام، فينسب إلى الرّجل الواحد ويسكت عن سائرهم[3].

وروى محمّد بن إسحاق: أنّ العبّاس بن عبد المطّلب كان من المطعمين في بدر،

---

١ ـ ا و مغازي الواقديّ: «وقد اختلف علينا فيهم».

٢ ـ مغازي الواقديّ: «وغيرهم».

٣ ـ مغازي الواقديّ: ١٢٣، ١٢٤.

وكذلك طُعَيمة بن عديّ بن نوفل، كان يعتقب هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو البختريّ يعتقِب هو وحكيم بن حزام في الإطعام، وكان النَضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدّار من المطعِمين. قال: وكان النَّبي ﷺ يكره قتل الحارث بن عامر، قال يوم بدر: «مَنْ ظفر به منكم فليتركه لأيتام بني نوفل»، فقتل في المعركة[1]. (١٤ : ٢٠٥ ـ ٢٠٧)

القول فيمن استشهد من المسلمين ببَدر

قال الواقديّ: حدّثني عبد الله بن جعفر، قال: سألت الزُهريّ كم استشهد من المسلمين ببدر؟ قال: أربعة عشر[2]، ستّة من المهاجرين وثمانية من الأنصار. قال: فمن بني المطلّب بن عبد مناف عبيدة بن الحارث، قتله شيبة بن ربيعة.

وفي رواية الواقديّ: قتله عتبة، فدفنه النَّبي ﷺ بالصَّفْراء. ومن بني زهرة عمير بن أبي وقّاص، قتله عمرو بن عبدودّ، فارس الأحزاب، وعمير بن عبدودّ ذو الشمالين، حليف لبني زهرة بن خزاعة، قتله أبو أسامة الجشميّ.

ومن بني عديّ بن كعب عاقل بن أبي البُكير، حليف لهم من بني سعد بن بكر، قتله مالك بن زهير الجُشَمِيّ، ومهجع مولى عمر بن الخطّاب، قتله عامر بن الحضرميّ، ويقال: إنّ مهجعا أوّل من قتل من المهاجرين.

ومن بني الحارث بن فهر صفوان بن بيضاء، قتله طُعَيمة بن عديّ. وهؤلاء الستة من المهاجرين. ومن الأنصار، ثمّ من بني عمرو بن عوف، مبشّر بن عبد المنذر، قتله أبو ثور. وسعد بن خيثمة، قتله عمرو بن عبدودّ ـ ويقال طعيمة بن عدى ـ ومن بني عديّ بن النجّار حارثة بن سراقة رماه حبّان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرته،

---

١ ـ سيرة ابن هشام: ٢: ٣١١.

٢ ـ في مغازي الواقديّ: «ثمّ عددهم على، فهم هؤلاء الّذين سمّيت».

فقتله. ومن بني مالك بن النجّار، عوف ومعوّذ ابنا عفراء، قتلهما أبو جهل.

ومن بني سلِمة بن حرام عميربن الحمّام بن الجموح، قتله خالد بن الأعلم العقيليّ ويقال إنّ عميربن الحمّام أوّل قتيل قتل من الأنصار، وقد روى أن أوّل قتيل منهم حارث بن سراقة.

ومن بني زُرَيق، رافع بن المُعلّى، قتله عكرمة بن أبي الجهل. ومن بني الحارث بن الخزرج يزيد بن الحارث بن قسحم[1]، قتله نوفل بن معاويّة الديليّ. فهؤلاء الثّمانية من الأنصار.

قال الواقديّ: وقد روى عن عكرمة، عن ابن عبّاس أن أنسة مولى النّبيّ ﷺ قتل ببدر.وروى [أنّ][2] معاذ بن ماعص جرح ببدر، فمات من جراحته بالمدينة، وأنّ عبيد بن السَّكن جرح فاشتكى جُرحه، فمات منه حين قدم[3]. (١٤: ٢٠٧ ـ ٢٠٨)

القول فيمن قُتِل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم

قال الواقديّ: فمن بني عبد شمس بن عبد مناف حنظلة بن أبي سفيان بن حرب، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والحارث بن الحضرميّ قتله عمّار بن ياسر، وعامربن الحضرمي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وعميربن أبي عميروابنه، موليان لهم؛ قتل سالم مولى أبي حذيفة منهم عميربن أبي عمير ـ ولم يذكرالواقديّ من قتل ابنه ـ وعبيدة بن سعيد بن العاص، قتله الزُّبيربن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت

---

١ ـ الواقديّ: «يسحم».

٢ ـ من الواقديّ.

٣ ـ مغازي الواقديّ: ١٤٢، ١٤٣.

صبرًا بالسَّيف بأمر رسول الله عليه السلام.

وروى البلاذُريّ: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلبه بعد قتله؛ فكان أوّل مصلوب في الإسلام.

قال: وفيه يقول ضرار بن الخطّاب:

عين بكّي لعُقْبَة بن أبانِ فرعِ فهرٍ وفارس الفرسانِ[1]

وعتْبة بن ربيعة، قتله حمزة بن عبد المطّلب. وشيبة بن ربيعة، قتله عُبيدة بن الحارث وحمزة وعليّ، الثلاثة اشتركوا في قتله. والوليد بن عتْبة بن ربيعة، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعامر بن عبد الله حليف لهم من أنمار، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: قتله سعد بن معاذ، فهؤلاء اثنا عشر.

ومن بني نوفل بن عبد مناف الحارث بن نوفل، قَتَله خُبَيْب بن يساف[2]، وطُعَيْمَة ابن عديّ، ويكنى أبا الرّيان، قتله حمزة بن عبد المطّلب في رواية الواقديّ، وقتله عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في رواية محمّد بن إسحاق[3].

وروى البلاذُريّ: روايةً غريبة، أنّ طُعَيْمة بن عديّ أسرَيوم بدر، فقتله النّبيّ صلى الله عليه وآله صَبْرًا على يد حمزة، فهؤلاء اثنان.

ومن بني أسَد بن عبد العزّى زَمْعة بن الأسود، قتله أبو دُجَانة[4]، وقيل: قتله ثابت بن الجِذْع[5]، والحارث بن زمعة بن الأسود، قتله عليّ بن أبي طالب صلى الله عليه وآله. وعَقيل بن الأسود بن المطّلب، قتله عليّ وحمزة، شركا في قتله.

قال الواقديّ: وحدّثني أبو معشر، قال: قتَله علىّ بن أبي طالب عليه السلام وحده، وقيل:

---

١ ـ أنساب الأشراف ١: ٢٩٧، وفيه: «عين فابكى».

٢ ـ في ابن هشام: «إساف» بهمزة مكسورة، قال ابن حجر في الإصابة: «وقد تبدل تحتانيه».

٣ ـ سيرة ابن هشام ٢: ٣٥٧.

٤ ـ دجانة، كثمامة: سماك بن خرشة.

٥ ـ الإصابة: الجدع.

قتله أبو داود المازنيّ وحده. وأبو البختريّ، وهو العاص بن هشام، قتله المجذّر بن زياد، وقيل: قتله أبو اليسر. ونوفل بن خُويلد بن أسَد بن عبد العزّى، وهو ابن العَدَوِيّة، قتَله عليّ عليه السلام، فهؤلاء خمسة.

ومن بنى عبد الدّار بن قصىّ، النّضر بن الحارث بن كلَدة، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام صَبرًا بالسَّيف بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الّذي أسَره المقداد بن عمرو، فوعد المقداد ـ إن استنقذه ـ بفداء جليل، فلمّا قدِم ليُقتل، قال المقداد: يا رسول الله، إنّي ذُو عيال، وأحبّ الدِّين، فقال: اللّهمّ أغْنِ المقدادَ من فضلك! يا عليّ، قم فاضرب عنقه. وزيد بن مُلَيص مولى عمرو بن هاشم بن عبد مناف، من عبد الدّار، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: قتله بلال. فهؤلاء اثنان.

ومن بني تيم بن مرّة عُمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيْم بن مرّة، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان، قتله صُهيب، فهؤلاء اثنان ـ ولم يذكر البلاذريّ عثمان بن مالك.

ومن بني مخزوم بن يَقَظة ثمّ من بني المُغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوّذ وعوْف ابنا عفراء، وذفّف[1] عليه[2] عبد الله بن مسعود والعاص بن هاشم بن المغيرة، خال عمر بن الخطّاب، قتله عمرو بن يزيد بن تميم التميميّ، حليف لهم، قتله عمّار بن ياسر، وقيل: قتله عليّ عليه السلام.

ومن بني الوليد بن المُغيرة، أبو قيس بن الوليد بن الوليد؛ أخو خالد بن الوليد، قتله عليّ بن أبي طالب صلى الله عليه وآله.

ومن بني الفاكه بن المغيرة، أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله حمزة بن

---

١ ـ أنساب الأشراف للبلاذريّ ١: ٢٩٧.

٢ ـ ذفّف عليه: أجهز.

عبد المطلّب، وقيل: قتله الحُباب بن المنذر.

ومن بني أميّة بن المغيرة مسعود بن أبي أميّة، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ومن بني عائذ بن عبد الله بن عمير بن مخزوم ثمّ من بني رفاعة، أميّة بن عائذ بن رفاعة بن أبي رفاعة، قتله سعد بن الرَّبيع وأبو المنذر بن أبي رفاعة، قتله معن بن عديّ العجلانيّ. وعبد الله بن أبي رفاعة، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وزُهير بن أبي رفاعة، قتله أبو أسيد السَّاعدي. والسّائب بن أبي رفاعة، قتله عبد الرّحمن بن عوف.

ومن بني أبي السائب المخزوميّ ــ وهو صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ــ السّائب بن السّائب، قتله الزُّبير بن العوّام. والأسود بن عبد الأسد بن هلال ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة بن عبد المطلّب. وحليف لهم من طيّء، وهو عمرو بن شيبان[1] قتله يزيد بن قيس. وحليف آخر، وهو جبّار بن سفيان، أخو عمرو بن سفيان المقدّم ذكره، قتله أبو بُردة بن نِيَار.

ومن بني عمران بن مخزوم حاجز[2] بن السّائب بن عُويمر بن عائذ، قتله عليّ عليه السلام.

وروى البَلَاذُريّ: أنّ حاجزًا هذا وأخاه عُويمر بن السّائب بن عُويمر، قتلهما علي بن أبي طالب عليه السلام[3]، وعُوَيمر بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قتله النّعمان بن أبي مالك؛ فهؤلاء تسعة عشر. ومن بني جُمَح بن عمرو بن هصيص، أميّة بن خلَف قتله خُبَيب بن يساف وبلال شركا فيه.

قال الواقديّ: وكان معاذ بن رفاعة بن رافع يقول: بل قتله أبو رفاعة بن رافع. وعليّ ابن أميّة بن خلف، قتله عمّار بن ياسر. وأوس بن المُغيرة بن لوذان، قتله عليّ عليه السلام،

---

١ ـ الواقديّ: «سفيان».

٢ ـ في البلاذريّ: «جابر».

٣ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٠٠.

وعثمان بن مظعون، شركا فيه فهؤلاء ثلاثة. ومن بني سهم، منبّه بن الحجّاج، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: قتله أبو أسيد السّاعديّ. ونبيه بن الحجّاج قتله عليّ ابن أبي طالب عليه السلام. والعاص بن منبّه بن الحجّاج قتله عليّ عليه السلام وأبو العاص بن قَيس بن عديّ بن سعد بن سهم، قتله أبو دُجَانة ـ.

قال الواقديّ: وحدّثني أبو معشر عن أصحابه، قالوا: قتله عليّ عليه السلام وعاص بن أبي عوف بن صبيره بن سعيد بن سعد، قتله أبو دُجانة، فهؤلاء خمسة.

ومن بني عامر بن لؤيّ، ثمّ من بني مالك بن حسل، معاوية بن عبد قيس حليف لهم، قتله عُكّاشة بن محصن. ومعبد بن وهب، حليف لهم من كلْب، قتله أبو دُجَانة فهؤلاء اثنان. فجميع مَنْ قتل ببدر في رواية الواقديّ من المشركين في الحرب وصبرًا، اثنان وخمسون رجلًا، قتَل عليٌّ عليه السلام منهم مع الّذين شركِ في قتلهم أربعة وعشرين رجلًا. وقد كثرت الرّواية أنّ المقتولين ببدر كانوا سبعين، ولكن الّذين عرفوا وحفظت أسماؤهم من ذكرناه، وفي رواية الشّيعة أن زَمَعة بن الأسود بن المطلّب قتله عليّ، والأشهر في الرّواية أنّه قتله الحارث بن زمعة وأنّ زمعة قتله أبو دُجَانة[1]. (٤: ٢٠٨ ـ ٢١٢)

القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين

قال الواقديّ: كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا مع القوم الّذين ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بسهامهم وهم غائبون وعدّتهم ثمانية.

قال: وهذا هو الأغلب في الرّواية، قال: ولم يشهد بدرًا من المسلمين إلّا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو أنصاريّ أو حليف لأنصاريّ أو مولى واحد منهما، وهكذا من جانب المشركين، فإنّه لم يشهدها إلّا قرشيّ أو حليف لقرشيّ أو مولى لهم.

قال: فكانت قريش ومواليها وحلفاؤها ستة وثمانين رجلًا، وكانت الأنصار ومواليها

---

١ ـ انظر تسمية من قتل من المشركين ببدر في الواقديّ: ١٤٣ ـ ١٥١.

وحلفاؤها مائتين وسبعة وعشرين رجلًا[١]. فأمّا تفصيل أسماء من شهدها من المسلمين فله موضع في كتب المحدِّثين أملك به من هذا الموضع. (١٤ : ٢١٢ ـ ٢١٣)

الفصل الرّابع ـ في شرح قصّة غزوة أُحُد

ونحن نذكر ذلك من كتاب الواقديّ[٢] ﷺ على عادتنا في ذكر غزاة بدر، ونضيف إليه من الزِّيادات الَّتي ذكرها ابن إسحاق والبلاذريّ ما يقتضي الحال ذكره.

قال الواقديّ: لمّا رجع مَنْ حضر بدرًا من المشركين إلى مكّة وجدوا العير الّتي قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشَّام موقوفة في دار النُّدوة، وكذلك كانوا يصنعون، فلم يحرّكها أبو سفيان ولم يفرّقها لغيبة أهل العير، ومشت أشراف قريش إلى أبي سفيان: الأسودُ بن عبد المطّلب بن أسد، وجُبير بن مطعِم، وصفوان بن أميّة، وعِكرمة ابن أبي الجهل، والحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي ربيعة، وحويطب بن عبد العزّى، فقالوا: يا أبا سفيان انظر هذه العير الّتي قدِمت بها فاحتبستَها[٣]، فقد عرفتَ أنّها أموال أهل مكّة ولَطِيمة[٤] قريش، وهم طيّبوا الأنفس، يجهّزون بهذه العير جيشًا كثيفًا إلى محمّد، فقد ترى مَنْ قَتَل من آبائنا وأبنائنا وعشائرنا. فقال أبو سفيان: وقد طابت أنفس قريش بذلك؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أوّل من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف معي، فأنا والله الموتور والثَّائر[٥] وقد قُتِل ابني حنظلة ببدر وأشراف قومي. فلم تزل العِير

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ١٥١، ١٥٢.

٢ ـ أخبار غزوة أحد في مغازي الواقديّ صفحة ١٩٧ و ما بعدها.

٣ ـ الواقديّ: «فاحتبسها».

٤ ـ اللّطيمة: العير تحمل الطّيب وبزّ التّجار.

٥ ـ الثّائر: الّذي يقوم بالثّأر.

موقوفةً حتّى تجهّزوا للخروج، فباعوها فصارت ذهبًا عينًا، ويقال: إنّما قالوا: يا أبا سفيان، بع العير ثمّ أعزل أرباحها، فكانت العِيرُ ألف بعير، وكان المال خمسين ألف دينار؛ وكانوا يربحون في تجاراتهم للدينار دينارًا، وكان متجرُهم من الشّام غزّة، لا يعدونها إلى غيرها، وكان أبو سفيان، قد حبس عير بني زهرة ،لأنّهم رجعوا من طريق بدر، وسلّم ما كان لمخرمة بن نوفل ولبني أبيه وبني عبد مناف بن زُهرة، فأبى مخرمة أن يقبل عِيره حتّى يسلّم إلى بني زُهرة جميعًا[1]، وتكلّم الأخنس، فقال: وما لعير بني زُهرة من بين عيرات قريش! قال أبو سفيان: لأنّهم رجعوا عن قريش، قال الأخنس: أنت أرسلت إلى قريش أن ارجعوا فقد أحرزنا العير؛ لا تخرجوا في غير شيء، فرجعنا، فأخذت بنو زهرة عيرها وأخذ أقوام من أهل مكّة أهل ضعف لا عشائر لهم ولا منعة؛ كلّ ما كان لهم في العير.

قال الواقديّ: وهذا يبيّن أنّه إنّما أخرج القومَ أرباح العير. قال: وفيهم أنزل[2]: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عن سبيل الله . . . .**﴾[3] الآية. قال: فلمّا أجمعوا على المسير، قالوا: نسير في العرب فنستنصرهم؛ فإنّ عبدة مناة غير متخلِّفين عنّا، هم أوصلُ العرب لأرحامنا ومن اتّبعنا من الأحابيش، فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسيرون في العرب، يدعونهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص وهبيرة بن وهب وابن الزِّبَعري وأبا عزّة الجُمَحِي، فأبى أبو عزّة أن يسيرَ[4] وقال: منّ عليّ محمّد يوم يوم بدر، وحلفت ألّا أظاهر[5] عليه عدوًّا أبدا. فمشى إليه صفوان بن أميّة فقال:اخرج فأبى، وقال: عاهدتُ محمّدًا يوم بدر ألّا أظاهر عليه عدوًّا أبدا، وأنا أفِي له بما عاهدته

---

١ ـ ا: «جمعا».

٢ ـ ا: «أنزلت».

٣ ـ الأنفال/٣٦.

٤ ـ في الواقديّ: «فأطاع النّفر وأبى أبوعزّة».

٥ ـ الواقديّ: «لاأظاهر».

عليه[١]، مَنّ عليّ ولم يمُنّ على غيري حتّى قتله أو أخذ منه الفداء. فقال صفوان: اخرج معنا، فإن تسلَمْ أعطك من المال ما شئت، وإن تُقتَل تكنْ عيالك مع عيالي. فأبى أبو عزّة، حتّى كان الغد، وانصرف عنه صفوان بن أميّة آيسًا منه؛ فلمّا كان الغد جاءه صفوانُ وجبير بن مطعِم، فقال له صفوان الكلام الأوّل فأَبى، فقال جبير: ما كنتُ أظنّ إنّي أعيش حتّى يمشىَ إليك أبو وهب في أمرٍ تأبى عليه! فأحفظه، فقال: أنا أخرج، قال: فخرج إلى العرب يجمعها، ويقول:

إيــهِ بــني عبــد منــاةِ الــرزّامْ[٢] أنــتمْ حمــاةٌ وأبــوكمْ حــامْ

لا تُســلِموني لا يحــلّ إســلامْ لا يعدُوَنّي نصرُكم بعد العامْ[٣]

وخرج النَّفَر مع أبي عزّة، فألّبُوا العربَ وجمعوا، وبلغوا ثقيفًا فأوعبوا[٤]. فلمّا أجمعوا المسير وتألّب مَنْ كان معهم من العرب وحضروا، واختلفتْ قريش في إخراج الظُّعن معهم، قال صفوان بن أميّة: اخرجوا بالظُّعُن[٥] فأنا أوّل من فعل، فإنّه أقمنْ أن يحفظنكُمْ ويذكّرنكم قتلَى بدر، فإنّ العهد حديث، ونحن قوم موتورون مستميتون، لا نريد أن نرجع إلى ديارنا حتّى ندركَ ثأرنا أو نموت دونه.

فقال عكرمة بن أبي الجهل: أنا أوّل من أجاب إلى ما دعوتَ إليه، وقال عمرو بن العاص مثل ذلك، فمشى في ذلك نوفل بن معاوية الدِّيليّ، فقال: يا معشرَ قريش،

---

١ ـ من الواقديّ.

٢ ـ ابن هشام٣: ٤: «إيهًا بني عبد مناة». والرزّام: جمع رازم؛ وهو الّذي يثبت في مكانه لايبرحه، تقول: رزم البعير، إذا ثبت في مكانه.

٣ ـ ابن هشام: «لاتعدوني».

٤ ـ ب: «أرغبوا»، وأثبت مافي ا والواقديّ، وأوعبوا، أي خرجوا للغزو.

٥ ـ الظّعن: جمع ظعينة؛ وهي المرأة في الهودج؛ وأصل الظّعينة الهودج، سمّيت المرأة به لقُربها منه في السّفر؛ وقيل: سميت ظعينة لأنّها تظعن مع زوجها.

هذا ليس برأى، أن تعرِّضوا حُرَمكم لعدوّكم، ولاآمن أن تكون الدَّبْرة[1] لهم فتفتضحوا في نسائكم. فقال صفوان: لا كان غيرهذا أبدًا! فجاء نوفل إلى أبي سفيان بنَ حرْب، فقال له تلك المقالة، فصاحت هند بنت عتبة: إنّك والله سلِمت يوم بدر، فرجعتَ إلى نسائك؛ نعم نخرج فنشهد القتال، فقد رُدّت القيان من الجحفة في سفرهم إلى بدر، فقتِلت الأحبّة يومئذ. فقال أبو سفيان: لستُ أخالف قريشًا، أنا رجلٌ منها؛ ما فعلتْ فعلتُ. فخرجوا بالظُّعُن، فخرج أبو سفيان بن حرب بإمرأتين: هند بنت عتبة بن ربيعة وأمَيْمة بنت سعد بن وهب بن أشيَم بن كنانة، وخرج صفوان بن أميّة بامرأتين: برْزة بنت مسعود الثَّقفي وهي أمّ عبد الله الأكبروالبغوم بنت المعذل من كنانة، وهي أمّ عبد الله الأصغر، وخرج طلحة بن أبي طلحة بامرأته سُلافة بنت سعد بن شهيد، وهي من الأوس، وهي أمّ بنيه: مسافع، والحارث ، وكلاب والجلاس بني طلحة بن أبي طلحة، وخرج عِكْرمة بن أبي الجهل بامرأته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وخرج الحارث بن هشام بامرأته فاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج عمرو بن العاص بامرأته هند بنت منبّه بن الحجّاج، وهي أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال محمّد بن إسحاق: اسمها ريْطة ـ وخرجت خُناس بنت مالك بن المضرّب إحدى نساء بني مالك بن حسل مع ابنها أبي عزيزبن عمير، أخي مُصْعب بن عمير من بني عبد الدّار، وخرج الحارث بن سفيان بن عبد الأسد بامرأته رَمْلة بنت طارق بن علقمة الكنانية، وخرج كنانة بن عليّ بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف بامرأته أمّ حكيم بنت طارق، وخرج سفيان بن عُوَيف بامرأته قُتَيله بنت عمرو بن هلال، وخرج النُّعمان بن عمرو وجابرمسك الذئب أخوه، بأمّهما الدُّغَينة، وخرج غراب بن سفيان بن عويف بامرأته عمرة بنت الحارث بن علقمة الكنانية،

---

١ ـ الدّبرة: العاقبة.

وهى الّتي رفعت لواء قريش حين سقط حتّى تراجعت قريش إلى لوائها، وفيها يقول حسّان:

ولـو لا لـواءُ الحارثيَّـةِ أصـبَحُوا يباعون في الأسواق بالثَّمَن البَخْسِ

قالوا: وخرج سُفْيان بن عويف بعشرة من ولده، وحَشَدت بنو كنانة. وكانت الألوية يومَ خرجوا من مكّة ثلاثة عقدوها في دار النَّدْوة؛ لواء يحمله سُفيان بن عويف لبني كنانة، ولواء الأحابيش يحمِله رجل منهم، ولواء لقريش يحمِلُه[1] طلحة بن أبي طلحة.

قال الواقديّ: ويقال خرجت قريش ولفُّها[2] كلّهم، من كنانة والأحابيش وغيرهم على لواء واحدٍ، يحملُه طلحة بن أبي طلحة. وهو الأثبت عندنا. قال: وخرجت قريش وهم ثلاثة آلاف بمن ضَوَى[3] إليها، وكان فيهم من ثَقِيف مائة رجل، وخرجوا بعدّة وسلاح كثير، وقادوا مائتي فرس، وكان فيهم سبعمائة دراع وثلاثة آلاف بعير. فلمّا أجمعوا على المسير كتب العبّاس بن عبد المطّلب كتابًا وختَمه ، واستأجر رجلًا من بني غِفار، وشرط عليه أن يسيرَ ثلاثًا إلى رسول الله ﷺ يخبره أنّ قريشًا قد اجتمعت[4] للمسير إليك؛ فما كنت صانعًا إذا حَلّوا[5] بك فاصنعه. وقد وجّهوا وهم ثلاثة آلاف، وقادوا مائتي فرس، وفيهم سبعمائة دراع، وثلاثة آلاف بعير، وقد أوعبوا من السِّلاح. فقدِم الغفاريّ فلم يجد رسول الله ﷺ بالمدينة، وجدَه بقُبَاء، فخرج حتّى وجدَ رسول الله ﷺ على باب مسجد قُباء يركب حماره، فدفع إليه الكتاب، فقرأه عليه أبيّ بن كعب، واستكتَم أبيًّا ما فيه، ودخل منزلَ سعد بن الرَّبيع، فقال: أفي

---

١ ـ ب: «يحمله»، وأثبت ما في ا والواقديّ.

٢ ـ لفّها، أى من اجتمع إليها من القبائل.

٣ ـ ضوى إليها: انضمّ إليها، وفي ا والواقديّ: «انضمّ».

٤ ـ ا: «أجمعت المسير».

٥ ـ ب: «خلوا» وأثبت ما في ا والواقديّ.

البيت أحد؟ فقال سعد: لا، فتكلّمْ بحاجتك، فأخبره بكتابِ العبّاس بن عبد المطّلب، فجعل سعد يقول: يا رسول الله، والله إنّي لأرجُو أن يكونَ في ذلك خير، وأرجفت[1] يهود المدينة والمنافقون، وقالوا: ما جاء محمّدًا شيء يحبّه، وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد استكتم سعدَ بن الرَّبيع الخبَر. فلمّا خرج رسول الله ﷺ من منزله، خرجت امرأة سعد بن الرَّبيع إليه، فقالت: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قال: ما لك ولذاك، لا أمّ لك! قالت: كنت أستمع عليكم، وأخبرتُ سعدًا الخبر، فاسترجع سعد، وقال: لا أراكِ تستمعين علينا وأنا أقولُ لرسول الله ﷺ: تكلّم بحاجتك! ثمّ أخذ بجُمْعِ لُـتِها[2]، ثمّ خرج يعدُو بها حتّى أدرك رسول الله ﷺ بالجسر، وقد بَلَحَتْ، فقال: يا رسول الله إنّ امرأتي سألتني عمّا قلتُ فكتمتُها، فقالت: قد سمعتُ قولَ رسول الله ﷺ، ثمّ جاءت بالحديث كلّه ـ فخشيت يا رسول الله أن يظهر من ذلك شيء فتظنّ إنّي أفشيتُ سرّك ـ، فقال ﷺ: خلّ سبيلَها وشاع الخبر بين النّاس بمسير قريش. وقدم عمرو بن سالم الخزاعيّ في نفر من خُزاعة، ساروا من مكّة أربعًا، فوافوْا قريشًا وقد عسكروا بذي طُوَى، فأخبروا رسول الله ﷺ الخبر، ثمّ انصرفوا ولقوا قريشًا ببطْن رابغ، وهو أربع ليال من المدينة، فنكّبوا عن قريش.

قال الواقديّ: فلمّا أصبح أبو سفيان بالأبواء أُخبِرأنّ عمرو بن سالم وأصحابه راحوا أمس مُمسين إلى مكّة، فقال أبو سفيان: أحلف بالله أنّهم جاءوا محمّدًا فخبّروه بمسيرنا وعَـدَدنا[3]، وحذّروه منّا، فهم الآن يلزمون صياصيَهم، فما أرانا نصيب منهم شيئًا في وجهنا.

---

١ ـ الواقديّ: «وقد أرجفت».

٢ ـ ا «لبتها».

٣ ـ الواقديّ: «فأخبروه بعددنا».

فقال صفوان بن أميّة: إنْ لم يُصحِرُوا[1] لنا عَمَدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه، فتركناهم ولا أموال لهم، فلا يختارونها أبدًا، وإن أصحروا لنا فعددُنا أكثرُ من عددهم، وسلاحُنا أكثرُ من سلاحهم، ولنا خيل ولا خَيْل معهم، ونحن نقاتل على وِتْر عندهم ولا وِتْر لهم عندنا.

قال الواقديّ: وكان أبو عامر الفاسق قد خرج في خمسين رجلًا من الأوس، حتّى قدِم بهم مكّة حين قدم النَّبيّ ﷺ يحرّضها ويُعلمها أنّها على الحقّ، وما جاء به محمّد باطل، فسارت قريش إلى بدْر، ولم يسرْ معها، فلمّا خرجت قريش إلى أحُد سارَ معها، وكان يقول لقريش: إنّي لو قدمت على قومي لم يختلفْ عليكم منهم اثنان، وهؤلاء معي نفرٌ منهم خمسون رجلًا. فصدّقوه بما قال، وطمِعوا في نصره.

قال الواقديّ: وخرج النّساء معهنّ الدّفوف يحرّضْنَ الرِّجال ويذكّرنهم قتلَى بدر في كلّ منزل، وجعلت قريش تنزل كلّ منهَل، ينحرون ما نحروا من الجُزُر ممّا كانوا جمعوا من العين، ويتقوّوْن به في مسيرهم، ويأكلون من أزوادهم ممّا جمعوا من الأموال.

قال الواقديّ: وكانت قريش لمّا مرّت بالأبواء، قالت: إنّكم قد خرجتم بالظُّعن معكم، ونحن نخاف على نسائنا، فتعالوْا ننبش قبر أمّ محمّد، فإنّ النّساء عورة، فإن يصبْ من نسائكم أحدًا قلتم هذه رمّة أمّك، فإن كان برًّا بأمّه ـ كما يزعم ـ فلعمري لنفادينّهم برمّة أمّه، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم فلعمري ليفدينّ رمّة أمّه بمال كثير إن كان بها برًّا. فاستشار أبو سفيان بن حرب أهلَ الرَّأى من قريش في ذلك، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئًا، فلو فعلنا نبشتْ بنو بكر وخُزاعة موتانا.

قال الواقديّ: وكانت قريش بذي الحُليفة يوم الخميس صبيحة عشر من مخرَجهم من مكّة، وذلك لخمس ليال مضيْن من شَوّال على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من

---

١ ـ أصحروا: خرجوا إلى الصّحراء؛ وهو الفضاء المستوي الواسع.

الهجرة، فلمّا أصبحوا بذى الحُليفة خرج فرسان منهم فأنزلوهم الوِطاء[١]، وبعث النّبيّ ﷺ عينين له، آنسا ومؤنسا ابني فضاله ليلة الخميس، فاعترضا لقريش بالعَقيق، فسارا معهم، حتّى نزلوا الوِطاء، وأتيَا رسول الله ﷺ فأخبراه، وكان المسلمون قد ازدرعوا العِرْض[٢] ـ والعرض ما بين الوطاء بأحُد إلى الجُرف إلى العَرْصَة، عَرْصة البقل اليوم ـ، وكان أهلُه بنو سلِمة وحارثة وظَفَر وعبد الأشهل، وكان الماء يومئذ بالجرف نشطة لا يرمم سائق النَّاضح مجلسًا واحدًا ينفتل الجمل في ساعته، حتّى ذهبت بمياهه عيون الغابة الَّتي حفرها معاوية بن أبي سفيان[٣]، وكان المسلمون قد أدخلوا آلة زرْعهم ليلة الخميس المدينة، فقدم المشركون على زرعهم فخلّوا فيه إبلَهم وخيولهم، وكان لأسيد بن حُضير في العرض عشرون ناضحًا تسقي شعيرًا، وكان المسلمون قد حذروا على جمالهم وعمّالهم وآلة حرثِهم، وكان المشركون يرعَوْن يوم الخميس، فلمّا أمسَوْا جمعوا الإبل وقصلوا عليها القصيل، وقَصَلوا على خيولهم ليلة الجمعة، فلمّا أصبحوا يوم الجمعة خلّوا ظهرهم في الزَّرْع وخيلهم، حتّى تركوا العِرض ليس به خضراء.

قال الواقديّ: فلمّا نزلوا وحلّوا العُقَد، وأطمأنّوا بعثَ رسول الله ﷺ الحُباب بن المنذر بن الجموح إلى القوم، فدخل فيهم وحَزَر ونظر إلى جميع ما يريد، وكان قد بعثه سرًّا، وقال له: إذا رجعت فلا تخبرْني بين أحد من المسلمين إلّا أن ترَى في القوم قِلّة، فرجع إليه فأخبره خاليًا، وقال له: رأيت عددا حزرتُهم ثلاث آلاف يزيدون قليلًا أو ينقصون قليلًا، والخيل مائتا فرس، ورأيت دُروعًا ظاهرة حَزَرتُها سبعمائة درع.

وقال: هل رأيت ظُعُنا؟ قال: نعم رأيت النّساء معهُنّ الدّفاف و الأكبار ـ وهي

١ـ الوطاء: ما انخفض من الأرض.

٢ـ العرض: الوادي.

٣ـ كذا وردت العبارة في الأصول وفي الواقديّ وفيها غموض.

الطّبول ـ فقال رسول الله ﷺ: أردْنَ أن يحرّضن القوم ويذكّرنهم قتلي بدر، هكذا جاءني خبرهم، لا تذكر من شأنهم حرفًا، حسبنا الله و نعم الوكيل! أللّهمّ بك أحول، وبك أصول!

قال الواقديّ: وخرج سَلمة بن سلامة بن وقش يوم الجمعة، حتّى إذا كان بأدنى العِرض إذا طليعة خيل المشركين عشرة أفراس ركضوا في أثره، فوقف لهم على نَشز[1] من الحَرّة، فرشقهم بالنَّبل مرّة، وبالحجارة أخرى حتّى انكشفوا عنه، فلمّا ولّوا جاء إلى مزرعته بأدنى العِرض، فاستخرج سيفًا كان له، ودرع حديد كان له، دفنا في ناحية المزرعة، وخرج بهما يعدُو، حتّى أتى بني عبد الأشهل، فخبّر قومه بما لقي.

قال الواقديّ: وكان مقدم قريش يوم الخميس لخمس خلوْن من شوّال، وكانت الوقعة يوم السَّبْت لسبع خلوْن من شوّال، وباتت وجوه الأوس والخزرج: سعد بن مُعاذ وأسيد بن حُضير، وسعد بن عبادة، في عدّة منهم ليلة الجمعة، عليهم السِّلاح في المسجد بباب النَّبيّ ﷺ خوفًا من تبييت المشركين، وحُرِست المدينة تلك اللَّيلة، حتّى أصبحوا، ورأى رسول الله ﷺ رؤيا ليلة الجمعة، فلمّا أصبح واجتمع المسلمون خطبهم.

قال الواقديّ: فحدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: ظهر النَّبيّ ﷺ المنبر، فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أيُّها النّاس، إنّي رأيتُ في منامي رؤيا، رأيت كأنّي في درعٍ حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفقار انفصم[2] من عند ظُبَته، ورأيت بقرًا تذبح، ورأيت كأنّي مردِف كبشًا، فقال النّاس: يا رسول الله، فما أوّلتَها؟ قال: أمّا الدّرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها، وأمّا إنفصام[3] سيفي

---

١ ـ ب: «نشزة».

٢ ـ ا والواقديّ: «انقصم».

٣ ـ ا والواقديّ: «انقصام».

عند ظُبَتِه فمصيبة في نفسي ، وأمّا البقر المذبَّح فقتلَى في أصحابي، وأمّا أنّي مردف[1] كبشًا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله.

قال الواقديّ: وروي عن ابن عبّاس، أنّ رسول الله ﷺ قال: «أمّا انفصام سيفي فقتلُ رجل من أهل بيتي».

قال الواقديّ: وروى المسور بن مَخْرَمة، قال: قال النّبيّ ﷺ: ورأيت في سيفي فَلًّا فكرهته، هو الّذي أصاب وجهه عليه السلام.

قال الواقديّ: وقال النّبيّ ﷺ: أشيروا عليّ، ورأى ﷺ ألّا يخرج من المدينة لهذه الرُّؤيا، ورسول الله ﷺ يحبّ أن يوافَق على مثل ما رأى، وعلى ما عبّر عليه الرُّؤيا، فقام عبد الله بن أبيّ؛ فقال: يا رسول الله كنّا نقاتل في الجاهليّة في هذه المدينة، ونجعل النّساء والذّراريّ في هذه الصّياصي، ونجعل معهم الحجارة، والله لربّما مكث الولْدان شهرًا ينقلُون الحجارة، إعدادًا لعدوّنا، ونشبّك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كلّ ناحيّة، و ترمي المرأة والصبيّ من فوق الصياصي والآطام، ونقاتل بأسيافنا في السكك. يا رسول الله إنّ مدينتنا عذراء ما فُضّت علينا قطّ، وما خرجنا إلى عدوّ قطّ منها إلّا أصاب منّا، وما دخل علينا قطّ إلّا أصبناه، فدعْهم يا رسول الله، فإنّهم إن أقاموا أقاموا بشرّ محبس، و إن رجعوا رجعوا خاسرين مغلوبين، لم ينالوا خيرًا. يا رسول الله، أطعني في هذا الأمر، واعلم أنّي ورثتُ هذا الرّأى من أكابر قومي وأهل الرّأى منهم، فهم كانوا أهلَ الحرب والتجربة.

قال الواقديّ: فكان رأيُ رسول الله ﷺ مع رأى ابن أبيّ، وكان ذلك رأى الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار فقال رسول الله ﷺ: امكثوا في المدينة، واجعلوا النّساء والذراريّ في الآطام، فإن دُخِل علينا قاتلناهُم في الأزقّة، فنحنُ أعلمُ بها منهم، و رُمُوا من فوق الصياصي و الآطام ـ وكانوا قد شبّكوا المدينة

---

١ ـ ا : «وأمّا الكبش المردف».

بالبنيان من كلّ ناحية، فهي كالحصن ـ فقال فِتْيان أحداث لم يشهدوا بدرًا، وطلبوا من رسول الله الخروجَ إلى عدوّهم، ورغبوا في الشَّهادة، وأحبّوا لقاء العدوّ، وقالوا: اخرج بنا إلى عدوّنا، وقال رجل من أهل النَّبَه[1] وأهل السّنَ، منهم حمزة بن عبد المطلّب وسعد بن عبادة، والنُّعمان بن مالك بن ثعلبة، وغيرهم من الأوس والخزرج: إنّا نخشى ـ يا رسول الله، أن يظنّ عدوّنا أنّا كرهنا الخروج إليهم جُبْنًا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، وقد كنتَ يوم بدر في ثلثمائة رجل، فظَفَّرَك الله بهم، ونحن اليوم بشرٌ كثيرٌ، وكنّا نتمنّي هذا اليوم، وندعو الله به، ـ فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا هذه ـ و رسول الله ﷺ لما رأى من إلحاحهم كاره، وقد لبِسُوا السّلاح يخطرون بسيوفهم، يتساوَمُون كأنّهم الفحول.

وقال مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخُدْريّ: يا رسول الله، نحن والله بين إحدى الحسنيين، إمّا يظفِرَنا الله بهم، فهذا الّذي نريد، فيذلّهم الله لنا فتكون هذه وقعة مع وقعة بدر، فلا يبقى منهم إلّا الشّريد، و الأخرى يا رسول الله يرزقنا الله الشهادة، والله يا رسول الله، ما نبالي أيّهما كان، إنّ كلّا لفيه الخير. فلم يبلغنا أنّ النّبيّ ﷺ: رجع إليه قولًا، وسكت. وقال حمزة بن عبد المطلّب: و الّذي أنزل عليه الكتاب، لا أطعَم اليوم طعامًا حتّى أُجالدهم بسيفي خارجًا من المدينة، وكان يقال: كان حمزة يوم الجمعة صائمًا،ويوم السَّبْت، فلاقاهم وهو صائم.

وقال النُّعمان بن مالك بن ثعلبة أخو بني سالم: يا رسول الله، أنا أشهد أنّ البقر المذبَّح قتلَى من أصحابك، و أنّي منهم، فلمَ تَحرِمُنا الجنّة؟ فو الله الّذي لا إله إلّا هو لأدْخُلنّها. قال رسول الله: بم؟ قال: إنّي أحبّ الله و رسوله، ولا أفِرُّيوم الزّحف. فقال: صدقت فاستُشهد يومئذ.

وقال أياس بن أوس بن عتيك : يا رسول الله، نحن بنو عبد الأشهل من البقر

١ـ النّبه: الفطنة، وفي ا: «النّيّة».

المذبَّح، نرجو يا رسول الله أن نذبح في القوم، ويُذبّح فينا، فنصير إلى الجنَّة، ويصيرون إلى النَّار، مع أنّي يا رسول الله لا أحبّ أن ترجعَ قريش إلى قومها، فتقول: حصرْنا محمّدًا في صياصي يثرب وآطامها، فتكون هذه جُرْأة لقريش، وقد وطِئُوا سعَفنا ؛ فإذا لم نذبّ عن عِرْضنا، فلم ندرِع؟ وقد كُنّا يا رسول في جاهليّتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بهذا منّا حتى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبّهم عنّا، فنحن اليوم أحقُّ إذ أمدّنا الله بك، وعرفنا مصيرَنا،لا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

وقام خيثمة، أبو سعد بن خيثمة فقال: يا رسول الله، إنَّ قريشًا مكثتْ حولًا تجمع الجموع وتستجلب العرب في بواديها ومَن اتّبعها من أحابيشها ثمَّ جاءونا قد قادروا الخيل، واعتلوا الإبل حتّى نزلوا بساحتنا، فيحصروننا في بيوتنا وصياصينا، ثمّ يرجعون وافرين لم يكْلمُوا، فيجرّئهم ذلك علينا حتّى يشنّوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا ويضعوا العيون والأرصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ علينا العرب حولنا حتّى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبّهم عن حريمنا، و عسى الله أن يُظفِرَنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الأُخرى، فهى الشَّهادة.

لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنت عليها حريصًا، لقد بلغ من حرصي أنْ ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمُه، فرُزِق الشَّهادة وقد كنت حريصًا على الشَّهادة، وقد رأيت ابني البارحةَ في النّوم في أحسن صورة يسرَحُ في ثمار الجنّة وأنهارها، وهو يقول ألحق بنا ترافقْنا في الجنَّة، فقد وجدتُ ما وعدني ربّي حقًّا، وقد و الله يا رسول الله أصبحت مشتاقًا إلى مرافقتِه في الجنّة، وقد كبرتْ سنّي، ودقّ عظمي، وأحببت لقاء ربّي، فادعُ الله يا رسول الله أن يرزقَني الشَّهادة، ومرافقة سعد في الجنّة، فدعا له رسول الله بذلك، فقتِل بأُحُدٍ شهيدًا.

قال أنس بن قتادة: يا رسول الله، هي إحدى الحسنيَيْن، إمّا الشَّهادة وإمّا الغنيمة والظَّفر بقتلهم. فقال رسول الله ﷺ: إنّي أخافُ عليكم الهزيمة. فلمّا أبَوْا إلّا الخروج والجِهاد، صلّى رسول الله يوم الجمعة بالنّاس، ثمّ وعظهم، وأمرهم بالجدّ والاجتهاد،

وأخبرهم أنّ لهم النَّصر ما صبروا، ففرح النَّاس حيث أعلمهم رسول الله ﷺ بالشُّخوص إلى عدوّهم، وكرِه ذلك المخرَج بشرٌ كثيرٌ من أصحاب رسول الله، و أمرهم بالتهيّؤ لعدوّهم، ثمّ صلّى العصرَ بالنّاس، وقد حشد النَّاس، وحضَر أهلُ العوالي، ورفعوا النّساء إلى الآطام، فحضرت بنو عمرو بن عوف بِلِفّها، و النّبيت و لِفّها، وتلبّسوا السّلاح، فدخَل رسول الله ﷺ بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر فعمّماه ولبّساه وصُفَّ [النَّاس][1] له ما بين حجرته إلى منبره ؛ ينتظرون[2] خروجه، فجاءهم سعد بن مُعاذ، وأسيْد بن حُضَير، فقالا لهم: قلتُم لرسول الله ما قلتم، واستكرهتموه على الخروج، والأمر ينزّل عليه من السَّماء، فردُّوا الأمر إليه، فما أمرَكُم فافعلوه، وما رأيتم فيه [له] هوًى أو أدبا فأطيعوه.

فبينا[3] القومُ على ذلك من الأمر، وبعض القوم يقول: القول ما قال سعد، وبعضهم على البصيرة على الشُّخوص، وبعضهم للخروج كارهٌ، إذ خرج رسول الله ﷺ قد لبس لَأْمَتَه، وقد لبس الدِّرع فأظهرها، وحزم وسطها بِمِنْطقه من حمائل سيف من أدَمْ كانت بعد عند آل أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، و اعتمّ، وتقلّد السَّيْف.

فلمّا خرج رسول الله ﷺ ندمُوا جميعًا على ما صنعوا، وقال الَّذين يلحُّون على رسول الله ﷺ: ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، وما كان لنا أن نستكرِهَك والأمرُ إلى الله ثمّ إليك، فقال: قد دعوتُكم إلى هذا الحديث فأبيتُم، ولا ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمَتَه أن يضعها حتّى يحكُمَ الله بينه وبين أعدائه. قال: وكانت الأنبياء قبلَه إذا لبس النَّبيّ لأمَتَه لم يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه ـ ثمّ قال لهم: انظروا ما أمرتُكم به فاتّبعوه، امضُوا على اسم الله؛ فلكم النَّصر ما صبرتم.

---

١ ـ من الواقديّ.

٢ ـ كذا في الواقديّ، وفي ب «ينتصرون».

٣ ـ ا : «فبينما»، وهي رواية الواقديّ.

قلت: فمَنْ تأمّل أحوال المسلمين في هذه الغزاة، من فشلهم وخَوَرهم واختلافهم في الخروج من المدينة والمقام بها، وكراهة النّبيّ ﷺ للخروج، ثمّ خروجه على مضض، ثمّ ندم القوم الّذين أشاروا بالخروج، ثمّ انخذال طائفة كثيرة من الجيش عن الحرب، ورجوعهم إلى المدينة، علم أنّه لا انتصارَ لهم على العدوّ أصلًا، فإنّ النّصر معروف بالعزم والجدّ والبصيرة في الحرب، واتّفاق الكلمة.

ومَنْ تأمّل أيضًا هذه الأحوال؛ علم أنّها ضدّ الأحوال الّتى كانت في غزاة بدر، وأنّ أحوال قريش لمّا خرجت إلى بدر كانت مماثلةً لأحوال المسلمين لمّا خرجوا إلى أحُد، ولذلك كانت الدَّبْرة في بدر على قريش.

قال الواقديّ: وكان مالك بن عمرو النّجّاريّ مات يوم الجمعة، فلمّا دخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته وخرج وهو موضوع عند موضع الجنائز، صلّى[1] عليه، ثمّ دعا بدابّته، فركِب إلى أُحُد.

قال الواقديّ: وجاء جُعَيْل بن سُراقة إلى النّبيّ ﷺ وهو متوجّه إلى أحُد، فقال: يا رسول الله، قيل لي: إنّك تقتَل غدًا ـ وهو يتنفّس مكروبًا ـ فضرب النّبيّ ﷺ بيده إلى صدره، وقال: أليس الدَّهْر كلّه غدًا! قال: ثمّ دعا بثلاثة أرماح، فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء الأوس إلى أسَيْد بن حُضَير، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر ابن الجَمُوح ــ ويقال إلى سعد بن عبادة ــ ودفع لواء المهاجرين إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ ويقال إلى مصعب بن عُمَير ـ ثمّ دعا بفرسه، فركبه؛ وتقلّد القوس وأخذ بيده قناة ـ زجّ الرّمح يومئذ من شَبَهٍ ـ والمسلمون متلبّسون السّلاح، قد أظهروا الدُّروع، فهم مائة دارع؛ فلمّا ركب ﷺ خرج السَّعْدان أمامه يعدُوان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة؛ كلّ واحدٍ منهما دارع، والنّاس عن يمينه وشماله حتّى سلَك على البدائع، ثمّ زقاق الحُسَى، حتّى أتى الشَّيْخين ـ وهما أطُمَان كانا في الجاهليّة فيهما

---

١ ـ ب: «فصلّى»، والصّواب ما أثبته من ا والواقديّ.

شيخ أعمى وعجوز عمياء يتحدّثان، فسمّيَ الأُطُمَان الشَّيخين ـ فلمّا انتهى إلى رأس الثنيّة، التفت فنظر إلى كتيبة خشناء لها زجَل[1] خلفه، فقال: ما هذه؟ قال: هذه حُلَفاء[2] ابن أبيّ من اليهود، فقال رسول الله ﷺ: لا نستنصر بأهل الشّرك على أهل الشّرك. ومضى رسول الله ﷺ وعرض عسكره بالشَّيخين، فعرِض عليه غلمان، منهم عبد الله بن عمر بن الخطّاب، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، والنّعمان بن بشير، وزيد بن أرقم، والبَرَاء بن عازب، وأسَيْد بن ظهير، وعَرَابة بن أوْس، وأبو سعيد الخدريّ، وسَمُرة بن جندب، ورافع بن خُدَيج.

قال الواقديّ: فردّهم رسول الله ﷺ، قال: رافع بن خديج فقال ظهير بن رافع: يا رسول الله، إنّه رامٍ يعينني. قال: وجعلتُ أتطاول، وعلىّ خُفّان لي، فأجازني رسول الله ﷺ، فلمّا أجازني قال سَمُرة بن جندب لمريّ بن سنان الحارثيّ ـ وهو زوج أمّه: يا أبَهْ، أجاز رسول الله ﷺ رافعَ بن خُدَيج، وردّني وأنا أصرع رافعًا! فقال مريّ: يا رسول الله، رددتَ إبني، وأجزتَ رافع بن خُدَيج وابني يصرعه! فقال رسول الله ﷺ: تصارعا، فصرع سَمُرة رافعًا، فأجازه رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: و أقبل ابنُ أبيّ، فنزل ناحية العسكر، فجعل حلفاؤه ومَنْ معه[3] من المنافقين يقولون لابن أبيّ: أشرتَ عليه بالرّأى، ونصحتَه وأخبرته أنّ هذا رأى مَنْ مضى من آبائك، وكان ذلك رأيه مع رأيك؛ فأبى أن يقبله، وأطاع هؤلاء الغلمان الّذين معه. قال: فصادفوا من ابن أبيّ نفاقًا و غشًّا، فبات رسول الله ﷺ بالشَّيخين، وبات ابنُ أبيّ في أصحابه، وفرغ رسول الله ﷺ من عَرْض مَنْ عَرَض، وغابت الشَّمْس، فأذّن بلال بالمغرب، فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه.

---

١ ـ الزّجل، محرّكة: رفع الصّوت والجلبة.

٢ ـ ب: «خلفاء».

٣ ـ كذا في ا والواقديّ وفي ب: «زمعة».

ثمّ أذّن بالعشاء، فصلّى رسول الله ﷺ بأصحابه ،ورسول الله ﷺ نازل في بني النّجّار، واستعمل على الحرس محمّد بن مسلمة في خمسين رجلًا يُطِيفُون بالعسكر، حتّى ادّلَجَ[1] رسول الله ﷺ، وكان المشركون قد رأوْا رسول الله ﷺ حيث ادّلَجَ، ونزل بالشَّيْخين، فجمعوا خيلَهم وظهرَهم، واستعملوا على حَرَسهم عِكْرِمة بن أبي الجهل في خيلٍ من المشركين؛ وباتت صاهلة خيلهم لا تهدأ، تدنو طلائعهم؛ حتّى تلصق بالحَرّة، فلا تصعد فيها حتّى ترجع خيلُهم، ويهابون موضع الحَرّة، ومحمّد بن مسلمة.

قال الواقديّ: وقد كان رسول الله ﷺ قال حين صلّى العشاء: مَنْ يحفظنا اللَّيلة؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله فقال: مَنْ أنت؟ قال: ذكوان بن عبد القيس، فقال: اجلس،ثمّ قال ثانية: من رجلٌ يحفظنا اللَّيلة؟ فقام رجل، فقال: مَنْ أنت؟ قال: أبو سَبُع، قال: اجلس، ثمّ قال ثالثة مثل ذلك، فقام رجل، فقال: مَنْ أنت؟ فقال: أنا ابن عبد قيس، فمكث رسول الله ﷺ ساعةً، ثمّ قال: قوموا ثلاثتكم، فقام ذكْوان بن عبد قيس، فقال رسول الله: وأين صاحباك؟ فقال ذكوان: أنا الَّذِي كنت أجيبُك اللَّيلة! قال: فاذهب حفظك الله.

قلت: قد تقدّم هذا الحديث بذاته في غزوة بدر، وظاهر الحال أنّه مكرّر، وأنّه إنّما كان في غزاة واحدة، ويجوز أن يكون قد وقع في الغزاتين، ولكن على بعد.

قال الواقديّ: فلبِس ذكوان دِرْعه، وأخذ دَرَقته، فكان يطوف على العسكر تلك الليلة، ويقال: كان يحرُس رسول الله ﷺ لم يفارقه. قال: ونامَ رسول الله ﷺ حتّى ادّلج، فلمّا كان في السَّحَر، قال رسول الله: أين الأدّلّاء؟ مَنْ رجلٌ يدلّنا على الطَّريق، ويخرجنا على القوم من كَثَب؟ فقام أبو خثيمة الحارثي، فقال أنا يا رسول الله، ويقال: أوس بن قيظيّ ويقال: محيّصة.

قال الواقديّ: وأثبت ذلك عندنا أبو خثيمة، خرج برسول الله ﷺ، وركب فرسه،

---

١ ـ الإدلاج: السّير في آخر اللّيل.

فسلك به في بني حارثة، ثمّ أخذ في الأموال حتّى مرّ بحائط مِرْبع بن قيظيّ، وكان أعمَى البصر منافقًا، فلمّا دخلَ رسول الله ﷺ حائطه، قام يحثي التُّراب في وجُوه المسلمين، ويقول: إن كنتَ رسول الله فلا تدخلْ حائطي، فلا أحِلّه لك.

قال محمّد بن أسحاق: وقد ذكر أنّه أخذ حفنة من تراب، وقال: والله لو أعلم أنّي لا أصيب غيرَك يا محمّد لضربت بها وجهك[1].

قال الواقديّ: فضربه سعد بن زيد الأشهليّ بقوْسٍ في يده فشجّه في رأسه، فنزل الدّم، فغضب له بعض بني حارثة ممّن هو على مثل رأيه، فقال: هي على عداوتكم يا بني عَبْد الأشهل، لا تدعونها أبدًا لنا[2]. فقال أسيد بن حُضَير: لا والله، ولكنّ نفاقكم، والله لو لا أني لا أدري ما يوافق النّبيّ ﷺ لضربت عنقه وعنق مَنْ هو على مثل رأيه.

قال: ونهاهم النّبيّ ﷺ عن الكلام فأُسكِتوا.

وقال محمّد بن إسحاق: قال رسول الله ﷺ: دعوه، فإنّه أعمى البصر، أعمى القلب. يعني مِرْبع بن قيظيّ[3].

قال الواقديّ: ومضى رسول الله ﷺ، فبينا هو في مسيره إذ ذبّ فرس أبي بردة بن نِيار بذنبه فأصاب كُلّاب سيفه، فسلّ سيفَه، فقال رسول الله ﷺ: يا صاحبَ السَّيْف، شِمْ[4] سيفَك، فإنّي أخال السُّيوفَ ستسلّ اليوم فيكثُر سَلُّها. قال: وكان رسول الله ﷺ يحبّ الفأل، ويكره الطّيَرة، قال: ولبس رسول الله ﷺ من السّيْخين درعًا واحدة، حتّى انتهى إلى أحُد، فلبس درعًا أخرى ومغفرًا، وبيضةً فوق المِغْفر، فلمّا نهض رسول الله ﷺ من السَّيْخين، زحف المشركين على تعبيةٍ حتّى انتهوْا إلى موضع

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٩.

٢ ـ الواقديّ: «هي عداوتكم يا بني عبدالأشهل لاتدعوها أبدًا».

٣ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٩.

٤ ـ شمّ سيفك، أى اغمده.

أرض ابن عامر اليوم، فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى موضع القنطرة اليوم جاءه وقد حانت الصّلاة، وهو يرى المشركين، فأمر بلالًا فأذّن، وأقام وصلّى بأصحابه الصُّبح صفوفًا، وانخذل عبد الله بن أبيّ من ذلك المكان في كتيبته، كأنّه هَيْق[1] تقدّمهم، فاتّبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: أذكّركم الله ودينكم ونبيّكم، وما شرطتم له أن تمنعوه ممّا تمنعون منه أنفسكم وأولادكم ونساءكم! فقال ابنُ أبيّ: ما أرى أنّه يكون بينهم قتال، وإن أطعتَني يا أبا جابر لترجعنّ، فإنّ أهلَ الرّأى والحِجَى قد رجعوا، ونحن ناصروه في مدينتنا، وقد خالفَنا، وأشرتُ عليه بالرّأى فأبَى إلّا طواعية الغِلْمان. فلمّا أبى علَى عبد الله بن عمرو أن يرجع، ودخل هو وأصحابه أزقّة المدينة، قال لهم أبو جابر: أبعدكم الله! إنّ الله سيُغني النّبيّ والمؤمنين عن نصركم. فانصرف ابنُ أبيّ وهو يقول: أيعصِيني ويطيع الولدان! وانصرف عبد الله بن عمرو يعدُو حتّى لحق رسول الله وهو يسوّي الصُّفوف، فلمّا أصيب أصحاب رسول الله ﷺ سُرّ ابن أبيّ، وأظهر الشماتة، وقال: عصاني وأطاع مَنْ لا رأى له!

قال الواقديّ: وجعلَ رسول الله ﷺ يصفّ أصحابه، وجعل الرّماة خمسين رجلًا على عينين، عليهم عبد الله بن جُبير ـ ويقال: سعد بن أبي وقّاص، والثَّبَت أنّه عبد الله بن جُبَير ـ قال: وجعل أُحُدًا خلْف ظهرِه، واستقبل المدينة وجعل عينين عن يساره، وأقبل المشركون، واستدبروا المدينة في الوادي، واستقبلوا أُحُدًا، ويقال: جعل عينين خلْف ظهره، واستدبر الشّمس، واستقبلها المشركون.

قال: والقول الأوّل أثبت عندنا، أنّ أُحُدًا كان خلْف ظهره، وهو ﷺ مستقبل المدينة. قال: ونهى أن يقاتل أحدٌ حتّى يأمرهم بالقتال، فقال عُمارة بن يزيد بن السّكَن: أنّى نُغير على زرع بني قَيْلة ولمّا نضارب! وأقبل المشركون قد صفّوا صفوفَهم، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسَرة عِكْرمة بن أبي الجهل، ولهم

---

١ ـ الهيق: ذكر النّعام.

مجنّبتان، مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صَفوان بن أميّة ـ ويقال عمرو بن العاص ـ وعلى الرّماة عبد الله بن أبي ربيعة، وكانوا مائة رام، و دفعوا اللّواء إلى طلحة بن أبي طلحة ـ واسم أبي طلحة عبد الله ابن عبد العزّى[1] بن عثمان بن عبد الدّار بن قصيّ. ـ وصاح أبو سفيان يومئذ: يا بني عبد الدّار، نحن نعرف أنّكم أحقّ باللّواء منّا، وأنّا إنّما أتينا يومَ بدر من اللّواء، وإنّما يُؤتَى القوم من قِبَل لوائهم، فالزموا لواءكم، وحافظوا عليه، وخلّوا بيننا وبينه، فإنّا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثأرًا حديثَ العهد وجعل يقول: إذا زالت الألوية، فما قَوام النّاس وبقاؤهم بعدها! فغضبت بنو عبد الدّار، وقالوا: نحن نسلّم لواءنا! لا كان هذا أبدًا! وأمّا المحافظة[2] عليه فسترى. ثمّ أسندوا الرّماح إليه، وأحدقت به بنو عبد الدّار، وأغلظوا لأبي سفيان بعضَ الإغلاظ، فقال أبو سفيان: فنجعل لواء آخر؟ قالوا: نعم، ولا يحمله إلّا رجل من بني عبد الدّار، لا كان غير ذلك أبدًا!

قال الواقديّ: وجعل رسول الله ﷺ يمشي على رجليه، يسوّي تلك الصّفوف، ويبوّئ أصحابَه مقاعد للقتال، يقول: تقدّم يا فلان، وتأخّر يا فلان، حتّى إنّه لَيَرى منكب الرَّجُل خارجا فيؤخّره، فهو يقوّمهم كأنّما يقوم القِداح، حتّى إذا استوت الصُّفوف، سأل: مَنْ يحمل لواء المشركين؟ قيل: عبد الدّار، قال: نحن أحقّ بالوفاء منهم، أين مُصعب بن عُمَير؟ قال: ها أنا ذا؛ قال: خذ اللِّواء، فأخذه مصعب فتقدّم به بين يدى رسول الله ﷺ.

قال البلاذُريّ: أخذه من عليّ عليه السلام، فدفعه إلى مصعب بن عمير، لأنّه من بني عبد الدّار[3].

---

١ ـ في الواقديّ: «عبدالعزّى بن عثمان».

٢ ـ في الواقديّ: «فأمّا محافظة عليه».

٣ ـ أنساب الأشراف ١: ٣١٧.

قال الواقديّ: ثمّ قام ﷺ، فخطب النّاس، فقال: أيّها النّاس، أوصِيكم بما أوصاني به الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتّناهِي عن محارمه. ثمّ إنّكم اليوم بمنزل أجر وذُخر لمن ذكر الّذي عليه، ثمّ وطّن نفسه على الصّبر واليقين والجِدّ والنّشاط، فإنّ جهاد العدوّ شديد كريه، قليل مَنْ يصبر عليه، إلّا مَنْ عزم له على رشده. إنّ الله مع مَنْ أطاعه، وإنّ الشّيطان مع مَنْ عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصّبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالّذي آمركم به، فإنّي حريص على رشدكم. إنّ الاختلاف والتنازع والتّثبيط من أمر العَجْز والضّعف، وهو ممّا لا يحبّه الله، ولا يعطى عليه النّصر و الظّفر. أيّها النّاس إنّه قُذِف في قلبي أنّ مَنْ كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر الله له ذنبه، ومَنْ صلّى عَلَيّ[1] محمّد صلى الله عليه وملائكته عشرًا، ومَنْ أحسنَ، من مسلم أو كافر وقع أجرُه على الله في عاجل دنياه أو في آجلِ آخرته، ومَنْ كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلّا صبيًّا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا، ومَن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غنيٌّ حميد. ما أعلم من عمل يقرّبكم إلى الله إلّا وقد أمرتُكم به، ولا أعلم من عمل يقرّبكم إلى النّار إلّا وقد نهيتُكم عنه، وأنّه قد نَفَث الرُّوح الأمين في رُوعي أنّه لن تموت نفس حتّى تستوفيَ أقصى رزقها، لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتّقوا الله ربّكم، وأجملوا في طلب الرّزق، ولا يحملنّكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربّكم، فإنّه لا يُقدر على ما عنده إلّا بطاعته، قد بيّن لكم الحلال والحرام، غير أنّ بينهما شُبَهًا من الأمر لم يعلمها كثير من النّاس إلّا مَنْ عصم، فمن تركها حفظ عِرْضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالرّاعي إلى جنب الحِمَى أوشك أن يقع فيه ويفعله، وليس مَلِك إلّا وله حمًى، ألا وإنّ حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرّأس من الجسد، إذا اشتكى تداعَى إليه سائر جسده. والسّلام عليكم.

---

١ ـ ا، والواقديّ: «ومن صلّى عليّ».

قال الواقديّ: فحدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن خالد بن رَبَاح عن المطّلب بن عبد الله، قال: أوّل من أنشب الحرب بينهم أبو عامر، طلع في خمسين من قومه، معه عبيد قريش فنادى أبو عامر ـ واسمه عبد عمرو ـ يا للأوس: أنا أبو عامر، قالوا: لا مرحبًا بك ولا أهلًا، يا فاسق! فقال: لقد أصاب قومي بعدي شرّ. قال: ومعه عبيد أهل مكّة، فترامَوْا بالحجارة هم والمسلمون، حتّى تراضخوا بها ساعة إلى أن ولّى أبو عامر وأصحابه، ويقال: إنّ العبيد لم يقاتلوا، وإنّهم أمروهم بحفظ عسكرهم.

قال الواقديّ: وجعل نساء المشركين قبل أن يلتقيَ الجمعان أمام صفوف المشركين يضربْنَ بالأكْبَار[1] والدِّفاف والغرابيل[2]، ثمّ يرجعن فيكنّ إلى مؤخّر الصّفّ، حتّى إذا دَنَوْا من المسلمين تأخّر النّساء، فقمن خَلْف الصّفوف، وجعل كلّما ولّى رجل حرَّضْنه، وذكّرنه قتلى بدر.

وقال الواقديّ: وكان قُزْمان من المنافقين، وكان قد تخلّف عن أحُد، فلمّا أصبح عَيّره نساء بني ظفَرَ، فقلن: يا قُزْمان، قد خرج الرِّجال وبقيت! استحيِ يا قُزْمان، ألا تستحْيي ممّا صنعت! ما أنت إلّا امرأة، خرج قومك وبقيت في الدّار! فأحفظنَه، فدخل بيته، فأخرَج قوسه وجُعبته وسيفَه ـ وكان يعرف بالشّجاعة ـ وخرج يعدو، حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يسوّي صفوف المسلمين، فجاء من خلْف الصفّ، حتّى انتهى إلى الصفّ الأوّل، فكان فيه، وكان أوّل مَنْ رَمَى بسهم من المسلمين، جعل يرسلُ نَبْلًا كأنّها الرِّماح، وإنّه ليكِتّ كتِيت[3] الجمل ثمّ صار إلى السَّيف، ففعل الأفاعيل، حتّى إذا كان آخر ذلك قَتَل نفْسَه. وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره. قال: من أهل النّار.

---

١ ـ الأكبار: جمع كبر، بفتحتين، وهو الطّبل، معرّب.

٢ ـ الغرابيل: جمع غربال، وهو هنا الدّف.

٣ ـ الكتيت: صياح الجمل.

قال: فلمّا انكشف المسلمون، كسر جفن سيفِه وجعل يقول: الموتُ أحسن من الفِرار. يا للأوس! قاتلوا على الأحساب، واصنعوا مثل ما أصنع. قال: فيدخل بالسَّيف وسط المشركين، حتّى يقال: قد قتِل، ثمّ يطلع فيقول: أنا الغلام الظَّفَريّ، حتّى قَتَل منهم سبعة، وأصابته الجراحة، وكثرت فيه، فوقع فمرّ به قَتادة بن النُّعمان، فقال له: أبا الغيداق، قال قزمان: لبَّيك، قال: هنيئًا لك الشَّهادة! قال قزمان: إنّي والله ما قاتلتُ يا أبا عمرو على دين، ما قاتلت إلّا على الحِفاظ، أن تسير قريش إلينا فتطأ سعَفنا، قال: فآذته الجراحة فقتل نفسه، فقال النّبيّ ﷺ: «إنّ الله يؤيّد هذا الدِّين بالرَّجل الفاجر[1]».

قال الواقديّ: وتقدّم رسول الله ﷺ إلى الرّماة، فقال: احموا لنا ظهورَنا، فإنّا نخاف أن نؤتَى مِنْ ورائنا، والزموا مكانَكم، لا تبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتّى ندخل عسكرهم، فلا تفارقوا مكانَكم؛ وإن رأيتمونا نقتَلُ، فلا تعينونا، ولا تدفعوا عنّا. اللّهمّ إنّي أشهدك عليهم، ارشقُوا[2] خيلهم بالنّبل، فإنّ الخيل لا تقدم على النَّبل، وكان للمشركين مجنّبتان: ميمَنة عليها خالد بن الوليد، وميسرَة عليها عِكْرمة بن أبي الجهل.

قال الواقديّ: وعمل رسول الله ﷺ لنفسه مَيْمَنة وميسرة، ودفع اللّواء الأعظم إلى مصعب بن عُمَير، ودفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَير، ولواء الخزرج إلى سعد بن

١ـ في ابن هشام ٣: ٣٧ عن إسحاق:«حدّثني عاصم بن عمربن قتادة، قال: كان فينا رجل أتّىً لا يدري ممّن هو؛ يقال له قزمان؛ وكان رسول الله ﷺ يقول إذا ذكر له: «إنّه لمن أهل النّار»، قال: «فلمّا كان يوم أحد قاتل قتالًا شديدًا، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين، وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بني ظفر. قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر، قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلّا على أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، قال:فلما اشتدّت عليه جراحته أخذ سهمًا من كنانته فقتل به نفسه».

٢ ـ أرشق الرّامي: رمى وجهًا، أى أطلق السّهم إلى المكان المواجه له.

عبادة ـ وقيل: إلى الحُباب بن المنذر ـ فجعلت الرِّماة تحمِي ظهور المسلمين، وترشق خيلَ المشركين بالنَّبْل، فولّت هاربة قال بعض المسلمين[1]: والله لقد رَمَقت نبلنا يومئذ، ما رأيت سهمًا واحدًا ممّا يرمى به خيلُهم يقع في الأرض، إمّا في فرس أو في رجل؛ ودنا القوم بعضهم من بعض، وقدّموا طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم، وصفّوا صفوفهم، وأقاموا النّساء خلْف الرِّجال يضربن بين أكتافهم بالأكْبار والدّفوف، وهند وصواحبها يحرّضْن ويذمّرن[2] الرِّجال، ويذكرن مَنْ أصيب ببدر، ويقلن:

نحنُ بنات طارِقْ نمشي على النَّمارِقْ

إنْ تُقبلوا نعانِقْ أو تدبرُوا نفارِقْ

* فراقَ غَيْرَ وامِقْ *

قال الواقديّ: وبرز طلحة، فصاح: مَنْ يبارز؟ فقال عليٌّ عليه السلام له: هل لك في مبارزتي؟ قال: نعم، فبرزا بين الصّفّين ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس تحت الرّاية، عليه دِرْعان ومغفر وبيضته، فالتقيا، فبدره عليٌّ عليه السلام[3] بضربة على رأسه، فمضى السَّيْف حتّى فلَق هامتَه إلى أن انتهى إلى لحيته فوقع، وانصرف عليّ عليه السلام، فقيل له: هلّا ذفَّفت[4] عليه! قال: إنّه لمّا صرع استقبلني بعورته؛ فعطفتْني عليه الرّحم، وقد علمت أنّ الله سيقتله؛ هو كبش الكتيبة.

قال الواقديّ: وروِي أنّ طلحة حمل على عليّ عليه السلام، فضربه بالسَّيْف، فاتقاه بالدّرَقة، فلم يصنع شيئًا، وحمل عليّ عليه السلام وعلى طلحة درْع ومغْفر، فضربه بالسَّيْف،

---

١ ـ الواقديّ: «الرّماة».

٢ ـ يذمّرن الرّجال: يحضّونهم على القتال.

٣ ـ ب: «فبرزه» تحريف، والصّواب ما في ا، و الواقدي.

٤ ـ ذفّفت عليه: أجهز.

فقطع ساقيه، ثمّ أراد أن يذفّف عليه، فسأله طلحة بالرَّحم ألا يفعل؛ فتركه ولم يذفِّف عليه.

قال الواقديّ: ويقال إنّ عليًّا عليه السلام ذفّف عليه؛ ويقال:إنّ بعض المسلمين مرّ به في المعركة فذفّف عليه. قال: فلمّا قتل طلحة سُرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر تكبيرًا عاليًا وكبّر المسلمون؛ ثمّ شدّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله على كتائب المشركين؛ فجعلوا يضربون وجوهَهم، حتّى انتقضت صفوفهم؛ ولم يقتل إلّا طلحة بن أبي طلحة وحده.

قال الواقديّ: ثمّ حمل لواءَ المشركين بعد طلحة أخوه عثمان بن أبي طلحة، وهو أبو شيبة، فارتجز وقال:

إنّ عَلَيّ ربّ اللِّواء حقًّا أن تُخصب الضَّعْدة أو تَندقًّا

فتقدّم باللِّواء، والنسوة خلفه، يحرّضن ويضربن بالدُّفوف، فحمل عليه حمزة بن عبد المطّلب رحمه الله، فضربه بالسَّيْف على كاهله، فقطع يده وكتفِه، حتّى انتهى إلى مُؤتَزِرِه فبدا سَحْره [١]، ورجع، فقال: أنا ابن ساقي الحجيج؛ ثمّ حمل اللِّواء أخوهما أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقّاص فأصاب حنجرته، وكان دراعًا، وعليه مغفر لا رفرف عليه [٢]، وعلى رأسه بيضته فأدلع لسانه [٣] إدلاع الكلب.

قال الواقديّ: وقد روى أنّ أبا سعد لمّا حمل اللِّواء، قام النّساء خلفه يقلن:

ضربًا بني عبد الدّار ضَرْبًا حُمَاةَ الأدبار

* ضربًا بكلّ بتّار *

قال سعد بن أبي وقّاص: فأحمِل عليه فأقطع يدَهُ اليمني، فأخذ اللِّواء باليد

---

١ ـ السحر هنا: الرّئة.

٢ ـ الواقديّ: «له».

٣ ـ أدلع لسانه: أخرجه.

اليسرى؛ فأضربه على يدِه اليسرى؛ فقطعتها، فأخذ اللِّواء بذراعيه جميعًا وضَمَه إلى صدره، وحنى عليه ظهرَه. قال سعد: فأُدخِلُ سيَة القوس بين الدَرع والمِغفر، فأقلع[1] المغفر، فأرمي به وراء ظهره، ثمّ ضربته حتّى قتلته، وأخذت أسلبُه درعه، فنهض إليَّ سُبيع بن عبد عوف ونفر معه فمنعوني، سلبه وكان سلبَهُ أجود سلب رجل من المشركين: درع فضفاضة، ومِغفر وسيف جيّد، ولكن حيل بيني وبينه.

قال الواقديّ: وهذا أثبَت القولين. قلت: شتّان بين عليّ وسعد! هذا يجاحش على السَّلَبِ ويتأسّف على فواته، وذلك يقتل عمرو بن عبدودّ يوم الخندق، وهو فارس قريش وصنديدها ومبارزه، فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سَلبه وهو أنفس سلب؟ فيقول: كرهت أن أبزّ السَيِّ، ثيابه فكأنّ حبيبًا عناه بقوله:

إنّ الأسودَ أسودُ الغابِ همَّتُها يوم الكريهة في المسلوب لا السَّلبِ[2]

قال الواقديّ: ثمّ حمل لواء المشركين بعد أبي سعد بن أبي طلحة مسافع بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقتله، فحمل إلى أمّه سلافة بنت سعد بن الشَّهيد، وهي مع النِّساء بأحُد، فقالت: من أصابك؟ قال: لا أدري، سمعته يقول: خُذها وأنا ابن الأقلح، فقالت: أقْلَحِيّ والله! أى هو من رهطي، وكانت من الأوس.

قال الواقديّ: وروىَ أنّ عاصمًا لمّا رماه، قال له: خذها وأنا ابن كسرة، وكانوا يقال لهم في الجاهليّة: بنو كسر الذّهب، فقال لأمّه: لا أدري، إلّا إنّي سمعته يقول: خذها وأنا ابن كسرة، فقالت سُلافة: أوسيّ والله! كسرى، أى إنّه منّا، فيومئذ نذرت سلافة أن تشرب في قَحْف رأس عاصم بن ثابت الخمر، وجعلت لمن جاءها به مائة من الإبل.

قلت: فلمّا قتله المشركون في يوم الرَّجيع أرادوا أن ياخذوا رأسَه، فيحملوه إلى

---

١ ـ الواقديّ: «فأقتلع».

٢ ـ ديوانه ١: ٧١، وروايته: «إنّ الأسود أسود الغيل».

سُلافة فحمته الدَّبر[١] يومه ذلك، فلمّا جاء اللّيل فظنُّوا أنّ الدَّبر لا تحميه ليلًا، جاء الوادي بسيل عظيم، فذهب برأسه وبدنه، اتّفق المؤرّخون على ذلك.

قال الواقديّ: ثمّ حمل اللّواء بعد الحارث أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله الزُّبير بن العوّام، ثمّ حمله أخوه الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله طلحة بن عبيد الله، ثمّ حمله أرطاة بن عبد شُرحبيل، فقتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ثمّ حمله شريح بن قانط[٢]، فقتل لا يُدري مَنْ قتله، ثمَّ حمله صُواب، غلام بني عبد الدّار، فاختلف في قاتله فقيل: قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: سعد بن أبي وقّاص. وقيل: قُزمان، وهو أثبت الأقوال.

قال الواقديّ: انتهى قُزمان إلى صُواب، فحمل عليه، فقطع يده اليمنى، فاحتمل اللِّواء باليسرى فقطع اليُسرى، فاحتضن اللِّواء بذراعيه وعَضُديْه، وحَنَى عليه ظهره، وقال: يا بني عبد الدّار، هل اعتذرت؟ فحمل عليه قُزمان فقتله.

قال الواقديّ: وقالوا: ما ظفّر الله تعالى نبيّه في موطن قَطّ ما ظفّره وأصحابه يوم أحُد، حتّى عصوا الرَّسول، وتنازعوا في الأمر، لقد قتل أصحاب اللِّواء وانكشف المشركون منهم لا يلوون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدّفاف والفرح.

قال الواقديّ: وقد روى كثير من الصَّحابة ممّن شهد أحُدًا، قال: كلّ واحد منهم: والله إنّي لأنظر إلى هند وصواحبها منهزماتٍ، ما دون أخذهنّ شيئًا لمن أراده؛ ولكن لا مردّ لقضاء الله.

قالوا: وكان خالد بن الوليد كلّما أتى من قِبَل ميسرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله ليجوز حتّى يأتيهم من قبل السَّفح، تردّه الرُّماة، حتّى فعل وفعلوا ذلك مرارًا، ولكن المسلمين أُتُوا من قبل الرّماة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله: أوعز إليهم فقال: قوموا على مصافّكم هذه فاحموا

---

١ ـ الدّبر: جماعة النّحل أو الزّنابير.

٢ ـ الواقديّ: «فارظ».

ظهورنا، فان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا، وإن رأيتمونا نُقتلُ فلا تنصرونا.

فلمّا انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون يضعون السَّلاح فيهم حيث شاءوا حتّى أجهزوهم عن المعسكر، ووقعوا ينتهبونه.

قال بعض الرُّماة لبعض: لم تقيمون هاهنا في غير شيء! قد هزم الله العدوَّ، وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم، فادخلوا عسكر المشركين، فاغنموا مع إخوانكم، فقال بعضهم: ألم تعلموا أنّ رسول الله ﷺ قال لكم: «احمُوا ظهورنا، وإن غنمنا فلا تشركونا!»، فقال الآخرون: لم يُرِدْ رسول الله ﷺ هذا، وقد أذلّ الله المشركين وهزمهم، فادخلوا العسكر، فانتهبوا مع إخوانكم. فلمّا اختلفوا خطبَهم أميرُهم عبد الله بن جُبَير، وكان يومئذ مُعلَمًا بثياب بيض، فحمد الله وأمرهم بطاعة رسوله، وألّا يخالف أمره، فعصوْه، وانطلقوا فلم يبقَ معه إلّا نفيْرٌ ما يبلغون العشرة، منهم الحارث بن أنس بن رافع، يقول: يا قوم، اذكروا عهد نبيّكم إليكم، وأطيعوا أميرَكم. فأبَوْا، وذهبوا إلى عسكر المشركين ينتهبون، وخلّوا الجَبَل[1]، وانتقضت صفوف المشركين؛ واستدارت رحالهم، ودارت[2] الرِّيح ـ وكانت إلى أن انتقض صفُّهم صبا، فصارت دَبُورًا ـ فنظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلّة أهله، فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة بالخيل، فانطلقا إلى موضع الرّماة، فحملوا عليهم؛ فرماهم القوم حتّى أصيبوا، ورمى عبد الله بن جُبير حتّى فنيتَ نَبْله، ثمّ طاعن بالرّمح حتّى انكسر، ثمّ كسر جفن سيفه؛ فقاتل حتّى قُتِل، وأفلت جُعَيْل بن سراقة وأبو بُرْدة بن نِيَار بعد أن شاهدا قتل عبد الله بن جُبَيْر، وكان آخر من انصرف من الخيل، فلحقا بالمسلمين.

قال الواقديّ: فروى رافع بن خديج، قال: لمّا قتل خالد الرّماة أقبلَ بالخيل وعِكْرمة ابن أبي الجهل يتلوه، فخالَطَنا وقد انتقضت صفوفنا، ونادى إبليس ـ وتصوّر في

---

١ ـ الواقديّ: «عينين»، وهو الجبل.

٢ ـ الواقديّ: «و حالت».

صورة جُعَيل بن سراقة: إنّ محمّدًا قد قُتِل! ثلاث صرخات، فابتُلِيَ يومئذ جُعَيل بن سراقة ببليّة عظيمة حين تصوّر إبليس في صورته، وإن جُعَيلا ليقاتل مع المسلمين أشدّ القتال، وإنّه إلى جنب أبي بُرْدة بن نِيَار وخوّات بن جُبير.

قال رافع بن خُدَيج: فو الله ما رأينا دولةً كانت أسرع من دولة المشركين علينا، وأقبل المسلمون على جُعَيل بن سراقة يريدون قتله، يقولون: هذا الّذي صاح أنّ محمّدًا قد قُتِل، فشهد له خَوّات بن جبير وأبو بُرْدة، أنّه كان إلى جنبهما حين صاح الصّائح، وأنّ الصائح غيره.

قال الواقديّ: فروى رافع، قال: أُتِينا من قِبَل أنفسنا، ومعصية نبيّنا، واختلط المسلمون، وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضًا، وما يشعرون بما يصنعون من الدَّهَش والعَجَل، وقد جرح يومئذ أُسَيْد بن حُضَيْر جرحيْن، ضربه أحدَهما أبو بردة بن نِيَار، وما يدري، يقول: خذها وأنا الغلام الأنصاريّ، وكرّ أبو زَعْنة في حَوْمة القتال: فضرب أبا بردة ضربتيْن، ما يشعر أنّه هو يقول: خذها وأنا أبو زَعْنة: حتّى عرفه بعد، فكان إذا لقيه قال: انظر ما صنعت بي، فيقول أبو زَعْنة: وأنت فقد ضربت أسَيْد بن حضير ولا تشعر! ولكن هذا الجرح في سبيل الله، فذكِر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: هو في سبيل الله يا أبا بُردة، لك أجره، حتّى كأنّك ضربك أحد المشركين، ومَنْ قُتِل فهو شهيد.

قال الواقديّ: وكان السّيخان: حُسيل بن جابر ورفاعة بن وَقْش شيخين كبيرين، قد رفعا في الآطام مع النّساء، فقال أحدهما لصاحبه: لا أبا لك! ما نستبقي من أنفسنا! فو الله ما نحنُ إلّا هامة اليوم أو غدٍ، وما بقي من أجلنا قدر ظِمْء[1] دابّة، فلو أخذنا أسيافنا فلحقنا برسول الله ﷺ لعلّ الله يرزقنا الشّهادة! قال: فلحقا برسول الله ﷺ، فأمّا رفاعة فقتله المشركون، وأمّا حُسَيل بن جابر فالتفّت عليه سيوفُ

---

١ ـ يقال: ما بقي منه إلّا ظمء دابّة، أى لم يبق من عمره إلّا اليسير.

المسلمين، وهم لا يعرفونه حين اختلطوا، وابنه حذيفة يقول: أبى أبي! حتّى قُتِل، فقال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الرّاحمين، ما صنعتم! فزاد به عند رسول الله ﷺ خيرًا، وأمر رسول الله بديته أن تخرج، ويقال: إنّ الّذي أصابه عتبة بن مسعود، فتصدّق حذيفة ابنه بدمه على المسلمين.

قال الواقديّ: وأقبل يومئذ الحُباب بن المنذر بن الجَموح يصيح: يا آل سلمة! فأقبلوا عُنُقًا[1] واحدًا: لبّيك داعيَ الله، لبّيك داعيَ الله! فيضرب يومئذ جَبّار بن صخر ضربة في رأسه مثقلة وما يدري، حتّى أظهروا الشّعار بينهم، فجعلوا يصيحون: أمِتْ أمِتْ فكفّ بعضُهم عن بعض.

قال الواقديّ: وكان نسطاس مولى ضرار بن أميّة ممّن حضر أحُدًا مع المشركين، ثمّ أسلم بعد، وحسن إسلامه، فكان يحدّث، قال: قد كنت ممّن خلف في العسكر يومئذ، ولم يقاتل معهم عبد إلّا وحشيّ وصُواب غلام بني عبد الدّار، فكان أبو سفيان صاح فيهم: يا معشرَ قريش، خلُّوا[2] غلمانَكم على متاعكم يكونوا هم الّذين يقومون على رحالكم، فجمعنا بعضها إلى بعض، وعَقَلْنا الإبل، وانطلق القوم على تعبيتهم، ميمنة وميسرة وألبسنا الرِّحال الأنطاع، ودنا القوم بعضهم من بعض، فاقتتلوا ساعة، وإذا أصحابنا منهزمونَ، فدخل المسلمون معسكرنا، ونحن في الرِّحال، فأحدقوا[3] بنا، فكنت فيمن أسِرُوا، وانتهبوا المعسكر أقبح انتهاب، حتّى إنّ رجُلًا منهم قال: أين مالُ صفوان بن أميّة؟ فقلت: ما حمل إلّا نفقة في الرَّحْل، فخرج يسوقني حتّى أخرجتُها من العَيْبة خمسين ومائة مثقال ذهبا، وقد ولّى أصحابنا وأيسنا منهم، وانحاش النّساء، فهنّ في حُجُرهنّ سَلْمٌ لمن أرادهنّ، فصار النّهب في أيدي المسلمين.

---

١ ـ العنق: الجماعة من النّاس.

٢ ـ ا و الواقديّ: «خلفوا».

٣ ـ ا و الواقديّ: «فدخل أصحاب محمّد في الرّحال، فأحدقوا بنا».

قال نسطاس: فإنّا لعلَى ما نحنُ عليه من الاستسلام، ونظرتُ إلى الجبل، فإذا خيل مقبلة تركض، فدخلوا العسكر، فلم يكن أحد يردّهم، قد ضيّعت الثغور الّتي كان بها الرّماة وجاءوا إلى النّهب والرّماة ينتهبون، وأنا أنظر إليهم متأبّطى قسيّهم وجِعابَهم، كلّ واحد منهم في يديه أو حضنه شيء قد أخذه، فلمّا دخلت خيلنا دخلت على قوم غارّين آمنين، فوضعوا فيهم السُّيوف، فقتلوهم قتلا ذريعًا، وتفرّق المسلمون في كلّ وجه، وتركوا ما انتهبوا، وأجلوا عن عسكرنا، فارتجعنا متاعنا بعد، لم نفقد منه شيئًا، وخلُّوا أسرانا، ووجدنا الذّهب في المعركة، ولقد رأيت يومئذ رجلًا من المسلمين ضمّ صفوان بن أميّة إليه ضَمّةً ظننت أنّه سيموت، حتّى أدركته وبه رَمَق، فوجأت[1] ذلك المسلم بخنجر معي، فوقع فسألت عنه، فقيل: رجل من بني ساعدة. ثمّ هداني الله بعد للإسلام.

قال الواقديّ: فحدَّثني ابن أبي سبْرة، عن إسحاق بن عبد الله، عن عمر بن الحكم، قال: ما علمنا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ الّذين أغاروا على النَّهب فأخذوا ما أخذوا من الذّهب بقي معه من ذلك شيء يرجع به حيث غشيَنا المشركون، واختلفوا إلّا رجلين: أحدهما عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، جاء بمِنطقة وجدها في العسكر، فيها خمسون دينارًا، فشدّها على حَقْويه من تحت ثيابه، وجاء عبّاد بن بشر بصُرّة فيها ثلاثة عشر مثقالًا ألقاها في جَيْب قميصه، وفوقها الدّرع وقد حزم وسطه، فأتيا بذلك رسول الله ﷺ فلم يخمسه و نفّلهما إيّاه.

قال الواقديّ: وروى يعقوب بن أبي صعصعة، عن موسى بن ضمرة، عن أبيه، قال: لمّا صاح الشَّيطان أزبّ[2] العقبة، أنّ محمّدًا قد قتل لما أراد الله عزّ وجلّ من ذلك، سُقِط في أيدي المسلمين، وتفرّقوا في كلّ وجه، وأصعدوا في الجبل، فكان أوّل

---

١ ـ وجأته، أى ضربته.

٢ ـ أزبّ العقبة: اسم لشيطان معروف ذكر في حديث العقبة. انظر: القاموس.

مَنْ بشَّرهم بكونِ رسول الله ﷺ سالمًا كعبُ بن مالك. قال كعب: عرفته، فجعلت أصيح: هذا رسول الله وهو يشير إليّ بإصبعه على فيه: أن اسكت.

قال الواقديّ: وروت عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيها، قالت: قال أبي: لمّا انكشف النَّاس: كنت أوّل مَنْ عرف رسول الله ﷺ وبشّرت به المسلمين حيًّا سويّا، عرفت عينيه من تحت المِغْفر؛ فناديت: يا معشرَ الأنصار! أبشروا، فهذا رسول الله ﷺ، فأشار إليّ رسول الله ﷺ أن اصمت.

قال: ودعا رسول الله ﷺ بكعب، فلبس لَأْمته، و ألبس كعبًا لَأْمة نفسِه، وقاتل كعب قتالًا شديدًا، جرح سبعة عشر جرحًا.

قال الواقديّ: وحدّثني ابن أبي سَبْرة عن خالد بن رباح، عن الأعرج، قال: لمّا صاح الشَّيْطان أنّ محمّدًا قد قُتِل، قال أبو سفيان بن حرب: يا معشرَ قريش، أيّكم قتل محمّدًا؟ قال ابن قميئة: أنا قتلته. قال: نسوّرك[1] كما تفعل الأعاجم بأبطالها.

وجعل أبو سفيان يطوفُ بأبي عامر الفاسق في المعركة؛ هل يرى محمّدًا بين القتلى! فمرّ بخارجة بن زيد بن أبي زُهير، فقال: يا أبا سفيان، هل تدري مَنْ هذا؟ قال: لا، قال: هذا خارجة بن زيد، هذا أسيد بني الحارث بن الخزرج؛ ومرّ بعبّاس بن عبادة بن نَضْلة إلى جنبه، قال: أتعرفه؟ قال: لا، قال: هذا ابن قوقل، هذا الشَّريف في بيت الشرف، ثمّ مرّ بذكْوان بن عبد قيس، فقال: وهذا من ساداتهم، ثمّ مرّ بابنه حنظلة بن أبي عامر، فوقف عليه، فقال أبو سفيان: مَنْ هذا؟ قال: هذا أعزّ مَنْ هاهنا عليّ، هذا ابني حنظلة. قال أبو سفيان: ما نرى مصرع محمّد، ولو كان قُتِل لرأيناه، كذب ابن قميئة! ولقي خالد بن الوليد، فقال: هل تبيّن عندك قتل محمّد؟ قال: لا، رأيتُه أقبل في نفر من أصحابه مصعدين في الجبل، فقال أبو سفيان: هذا حقّ، كذب ابن قميئة، زعم أنّه قتله!

١ـ نسوّرك: نلبسك السّوار، وهذا ممّا كانت تفعل الأعاجم بملوكهم.

قلت: قرأت على النّقيب أبي يزيد رحمه الله هذه الغَزَاة من كتاب الواقديّ، وقلت له: كيف جرى لهؤلاء في هذه الوقعة؟ فإنّي أستعظم ما جَرَى! فقال: وما فيم ذلك! ما تستعظمه حَمَل قلب المسلمين من بعد قتل أصحاب الألوية على قَلْب المشركين، فكسره فلو ثبتت مجَنَّبَتا رسول الله اللّتان فيهما أسيد بن حُضَير والحُباب بن المنذر بازاء مجنّبتي المشركين، لم ينكسر عسكر الإسلام، ولكن مجنّبتا المسلمين أطبقت إطباقًا واحدًا على قَلْب المشركين، مضافًا إلى قلب المسلمين، فصار عسكر رسول الله ﷺ قَلْبًا واحدًا، وكتيبة واحدة، فحطمه قلب قريش حَطْمة شديدة. فلمّا رأت مُجنّبتا قريش أنّه ليس بإزائها أحدٌ، استدارت المُجنّبتان من وراء عسكر المسلمين، وصمد كثير منهم للرّماة الّذين كانوا يحمون ظهر المسلمين، فقتلوهم عن آخرهم، لأنّهم لم يكونوا ممّن يقومون لخالد وعكرمة، وهما في ألفٍ رجل، وإنّما كانوا خمسين رجلًا، لا سيّما وقد ترك كثير منهم مركزه و شَرَه إلى الغنيمة، فأكبّ على النّهب. قال رحمه الله: والّذي كسر المسلمين يومئذ، ونال كلّ منال خالد بن الوليد، وكان فارسًا شجاعًا، ومعه خيل كثيرة، ورجال أبطال موتورون، واستدار خَلْف الجبل، فدخل من الثّغرة الّتي كان الرّماة عليها، فأتاه من وراء المسلمين، وتراجع قلب المشركين بعد الهزيمة، فصار المسلمون بينهم في مثل الحلْقة المستديرة، واختلط النّاس، فلم يعرف المسلمون بعضُهم بعضًا، وضرب الرَّجُل منهم أخاه وأباه بالسَّيف وهو لا يعرفه لشدّة النَّقع والغبار، ولمّا اعتراهم من الدَّهَش والعَجَلة والخوف؛ فكانت الدَّبْرة عليهم، بعد أن كانت لهم، ومثل هذا يجرى دائمًا في الحرْب.

فقلت له رحمه الله: فلمّا انكشف المسلمون، و فرّ منهم مَنْ فَرّ، ما كانت حال رسول الله ﷺ ؟فقال: ثبت في نفرٍ يسير من أصحابه يحامون عنه. فقلت: ثمّ ماذا، قال: ثمّ ثابت إليه الأنصار، وردّت إليه عُنُقًا واحدًا بعد فرارهم وتفرّقهم، وامتاز

المسلمون على المشركين وكانوا ناحية، ثمّ التحمت الحرب، واصطدم الفَيلَقان[١].

قلت: ثمّ ماذا؟ قال: لم يزل المسلمون يحامُون عن رسول الله ﷺ، والمشركون يتكاثرون عليهم، ويقتلون فيهم حتّى لم يبقَ من النَّهار إلّا القليل، والدّولة للمشركين.

قلت: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ علم الّذين بقوا من المسلمين أنّه لا طاقة لهم بالمشركين، فأصعدوا في الجبل فاعتصموا به. فقلت له: فرسول الله ﷺ ما الّذي صنع؟ فقال: صعّد في الجبال. قلت له: أفيجوز أن يقال: إنّه فرّ؟ فقال: إنّما يكون الفرار ممّن أمعن في الهرب في الصَّحراء والبَيْداء، فأمّا من الجبل مطلٌّ عليه وهو في سفحه؛ فلمّا رأى ما لا يعجبه أصعد في الجبل؛ فإنّه لا يسمّى فارًّا. ثمّ سكت رحمه الله ساعة، ثمّ قال: هكذا وقعت الحال، فإن شئتَ أن تسمّي ذلك فرارًا فسمِّه، فقد خرج من مكّة يوم الهجرة فارًّا من المشركين، ولا وصمةَ عليه في ذلك.

فقلت له: قد روى الواقديّ عن بعض الصَّحابة، قال: لم يبرحْ رسول الله ﷺ ذلك اليوم شبرًا واحدًا، حتّى تحاجزت الفئتان! فقال: دَعْ صاحب هذه الرِّواية فلْيقل ما شاء، فالصَّحيح ما ذكرته لك، ثمّ قال: كيف يقال: لم يزلْ واقفًا حتّى تحاجزت الفئتان؟ وإنّما تحاجزا بعد أن ناداه أبو سفيان، وهو في أعلى الجبل بما ناداه، فلمّا عرف إنّه حيٌّ وأنّه في أعلى الجبل، وإنّ الخيل لا تستطيع الصُّعود إليه، وأنّ القوم إن صعدوا إليه رجّالة لم يثقُوا بالظَّفَر به؛ لأنّ معه أكثر أصحابه وهم مستميتون إن صعّد القوم إليهم، وأنّهم لا يقتلون منهم واحدًا حتّى يقتلوا منهم اثنين أو ثلاثة، لأنّهم لا سبيل لهم إلى الهرَب، لكونهم محصورين في ذَرْوٍ واحد، فالرَّجل منهم يحامي عن خَيْط رقبته ـ كفّوا عن الصُّعود وقنعوا بما وصلوا إليه مَنْ قتل مَنْ قتلوه في الحرب، وأمَّلُوا يومًا ثانيًا يكون لهم فيه الظَّفر الكلّيّ بالنّبيّ ﷺ، فرجعوا عنهم وطلبوا مكّة.

وروى الواقديّ: عن أبي سَبْرة! عن اسحاق بن عبد الله بن أبي فرْوة، عن أبي

---

١ ـ الفيلق، كصيقل الجيش.

الحويرث، عن نافع بن جُبَيْر، قال: سمعت رجلًا من المهاجرين يقول: شهدت أُحُدًا، فنظرت إلى النّبل يأتِي من كلّ ناحية، ورسول الله ﷺ في وسطها كلّ ذلك يصرف عنه، ولقد رأيتُ عبد الله بن شهاب الزُّهريّ يقول يومئذ: دُلّوني على محمّد، فلا نجوتُ إن نجا! وإنّ رسول الله ﷺ إلى جنبه، ما معه أحد، ثمّ جاوزه، ولقي عبد الله بن شهاب صفوان بن أميّة، فقال له صفوان: تَرِحت[1]! هلّا ضربت محمّدًا، فقطعت هذه الشأفة، فقد أمكنك الله منه! قال ابن شهاب: وهل رأيتَه؟ قال: نعم أنتَ إلى جنبه، قال: والله ما رأيتُه، أحلف بالله إنّه منّا لممنوع، خرجنا أربعة تعاهدنا وتعاقدنا على قتله، فلم نخلص إلى ذلك.

قال الواقديّ: فروى نملة بن أبي نملة ـ واسم أبي نملة عبد الله بن معاذ، وكان أبوه معاذ أخا البراء بن معرور لأمّه ـ قال: لمّا انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرت إلى رسول الله ﷺ وما معه أحد إلّا نُفَير قد أحدقُوا به من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فانطلقوا به إلى الشِّعْب وما للمسلمين لواء قائم، ولا فِئة، ولا جمع، وإنّ كتائبَ المشركين لتحوشهم مقبلة ومُدْبرة في الوادي، يلتقون ويفترقون ما يرون أحدًا يردّهم.

قال الواقديّ: وحدَّثني إبراهيم بن محمّد بن شُرحبيل العبدريّ، عن أبيه، قال: حمل مصعب اللّواء، فلمّا جال المسلمون ثبت به مصعب قبل ابن قميئة، وهو فارس، فضرب يد مصعب فقطعها، فقال مصعب: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2]. وأخذ اللِّواء بيده اليسرى، وحنَى عليه، فضربه فقطع اليسرى، فضمّه بعضديه إلى صدره، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ثمّ حمل عليه الثّالثة بالرّمح فأنفذه، واندق الرّمح، ووقع مُصْعَب وسقط اللّواء، وابتدرَه

---

١ ـ ا: «نزحت».

٢ ـ آل عمران/ ١٤٤.

رجلان من بني عبد الدّار، سويبط بن حَرْملة وأبو الرُّوم، فأخذه أبو الرُّوم، فلم يزل بيده حتّى دخل به المدينة، حين انصرف المسلمون.

قال الواقديّ: وقالوا إنّ رسول الله لمّا لحمه القتال، وخلص إليه و ذبّ عنه مصعب ابن عمير وأبو دُجَانة، حتّى كَثُرت به الجِراحة، جعل رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رجلٌ يشري نفسه؟» فوثب فئة من الأنصار خمسة، منهم عُمارة بن زياد بن السَّكن، فقاتل حتّى أُثبِت، و فاءت فئة من المسلمين حتّى أجهضوا أعداء الله، فقال رسول الله ﷺ لعُمارة بن زياد: ادْنُ منّي، حتّى وسّده رسول الله ﷺ قدَمه، وإنّ به لأربعة عشر جُرْحًا حتّى مات، وجعل رسول الله ﷺ يذمُر النّاس ويحضّهم عَلَى القتال، وكان رجالٌ من المشركين قد أذْلَقُوا[1] المسلمين بالرّمى: منهم حيّان بن العرِقة وأبو أسامة الجُشَمِيّ، فجعل النَّبيّ ﷺ يقول لسعد: «ارم فداك أبي وأمّي!» فرمى حيّان بن العرقة بسهم فأصاب ذَيْل أمّ أيْمن، وكانت جاءت يومئذ تسقِي الجرحي، فقلبها، وانكشف ذَيلُها عنها، فاستغرب حيّان بن العِرقة ضحكا، وشقّ ذلك على رسول الله ﷺ، فدفع إلى سعد بن أبي وقّاص سهمًا لا نصلَ له، وقال: ارمِ به، فرمى فوضع السّهم في ثغرة نحر حيّان، فوقع مستلقيًا، وبدت عورته.

قال سعد: فرأيت النَّبيّ ﷺ ضحك يومئذ حتّى بدت نواجذه، وقال: استقاد لها سعد، أجاب الله دعوتَك، وسدّد رَمْيَتك، ورمى يومئذ مالك بن زهير الجُشَمِيّ أخو أبي أسامة الجُشَمِيّ المسلمين رميًا شديدًا، وكان هو وريَّان بن العرقة قد أسرعَا في أصحاب رسول الله ﷺ، وأكثرا فيهم القتل يستتران بالصّخر، ويرميان، فبيناهم على ذلك أبصر سعد بن أبي وقّاص مالكَ بن زهير يرمِي من وراء صخرة قد رمى، وأطلع رأسَه، فيرميه سعد، فأصاب السَّهْمُ عينه، حتّى خرج من قَفاه، فترى[2] في السَّماء

---

١ ـ أذلقوهم: أوجعوهم.

٢ ـ ا: «فتراءى».

قامة، ثمّ رجع فسقط، فقتله الله عزّ وجلّ.

قال الواقديّ: ورمى رسولُ الله ﷺ عن قوسِه يومئذ حتّى صارت شَظَايا، فأخذها قتادة بن النُّعمان، وكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قَتادة حتّى وقعت على وَجْنَتِه. قال قتادة: فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنّ تحتي امرأة شابّة جميلة، أحبَّها وتحبُّني، وأنا أخشى أن تقذر مكان عينيّ، فأخذها رسول الله ﷺ فردّها وانصرف بها، وعادت كما كانت، فلم تضرب عليه ساعة من ليل ونهار، وكان يقول بعد أن أسنّ: هي أقوى عينيّ وكانت أحسنهما.

قال الواقديّ: وباشر رسولُ الله ﷺ القتالَ بنفسه، فرمى بالنَّبل حتّى فنيت نبلُه، وانكسرت سِيَةُ قوسِه، وقبل ذلك انقطع وتره، وبقيَتْ في يده قطعة تكون شبرًا في سِيَة القوس، فأخذ القوس عُكّاشة بن مِحْصن يوتره له، فقال: يا رسول الله، لا يبلغ الوتر، فقال مدّه يبلغ، قال عُكّاشة: فو الّذي بعثه بالحقّ لمددته حتّى بلغ، وطويت منه ليتين أو ثلاثة على سِيَة القوس، ثمّ أخذَه رسول الله ﷺ، فما زال يرامي القوم، وأبو طلحة أمامه يستره مترسًا عنه، حتّى نظرت إلى سيَة قوسه قد تحطّمَتْ، فأخذها قتادة بن النُّعمان.

قال الواقديّ: وكان أبو طلحةَ يوم أُحُد قد نَثَلَ كِنانته[1] بين يدي النّبيّ ﷺ، وكان راميًا، وكان صيّتًا فقال رسول الله ﷺ: «لصَوْتُ أبي طلحة في الجيش خيرٌ من أربعين رجلًا»، وكان في كنانته خمسون سهما نَثَلها بين يدي رسول الله ﷺ، وجعل يصيح: نفسي دون نفسك يا رسول الله! فلم يزلْ يرمي بها سهمًا سهمًا، وكان رسولُ الله ﷺ يطلع رأسه من خلْف أبي طلحة بين أذنِه ومنكبه، ينظر إلى مواقع النَّبْل حتّى فنيت نبلُه، وهو يقول: نحري دون نحرِك! جعلني الله فداك! قالوا: إنّه كان رسول الله ﷺ، ليَأخذُ العود من الأرض، فيقول: ارمِ يا أبا طلحة، فيرمي به سهمًا جَيِّدا.

---

١ ـ نثل كنانته: أخرج ما فيها.

قال الواقديّ: وكان الرُماة المذكورون من أصحاب رسول الله ﷺ جماعة: منهم سعد بن أبي وقّاص، وأبو طلحة، وعاصم بن ثابت، والسّائب بن عثمان بن مظعون، والمقداد بن عمرو، وزيد بن حارثة، وحاطب بن أبي بَلْتعة، وعُتْبة بن غَزْوان، وخِراش بن الصّمّة، وقطبة بن عامر بن حديدة، وبشر بن البَرَاء بن معرور، وأبو نائلة ملكان بن سلامة، وقتادة بن النُعمان.

قال الواقديّ: و رمى أبو رهم الغِفاريّ بسهم فأصاب نحرَه، فجاء إلى رسول الله ﷺ فبصق عليه، فبرأ، فكان أبو رهم بعد ذلك يسمَّى المنحور.

وروى أبو عمر محمّد بن عبد الواحد الزّاهد اللُغويّ، غلام ثعلب، ورواه أيضًا محمّد ابن حبيب في أماليه، أنّ رسول الله ﷺ لمّا فرّ معظمُ أصحابه عنه يوم أحُد، كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بني كنانة، ثمّ من بني عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عُوَيف؛ وهم: خالد بن سفيان، وأبو الشَّعْثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان، وغراب بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ اكفِني هذه الكتيبة، فحمل عليها وإنّها لتَقارُب خمسين فارسًا، وهو ﷺ راجل، فما زال يضربها بالسَّيف حتّى تتفرّق عنه ثمّ تجتمع[1] عليه ، هكذا مرارًا حتّى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة، وتمام العشرة منها، ممَّن لا يُعرف بأسمائهم، فقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا محمّد، إنّ هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى! فقال رسول الله ﷺ: وما يمنعه وهو منّي وأنا منه! فقال جبرائيل عليه السلام وأنا منكما. قال: وسمع ذلك اليوم صوت من قِبَل السَّماء، لا يرى شخص الصَّارخ به، ينادى مرارًا :

لا سيف إلّا ذو الفقا ر ولا فتى إلّا عليّ

فسئل رسول الله ﷺ عنه، فقال: هذا جبرئيل.

---

١ ـ ا: «يجمع».

قلت: وقد روى هذا الخبر جماعةٌ من المحدِّثين وهو من الأخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمّد بن إسحاق، ورأيت بعضها خاليًا عنه، وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح، فقلت: فما بالُ الصّحاح لم تشتمل عليه؟ قال: أو كلّما كان صحيحًا تشتمل عليه كتب الصِّحاح؟ كم قد أهمل جامعوا الصِّحاح من الأخبار الصّحيحة!

قال الواقديّ: وأقبل عثمانُ بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّ يحضر[1] فرسًا له أبلق، يريد رسول الله ﷺ، عليه لأمة كاملة، ورسول الله ﷺ متوجّه إلى الشِّعَب وهو يصيح: لا نجوتُ إن نجوتَ! فيقفُ رسول الله ﷺ، ويعثر بعثمان فرسُه في بعض تلك الحفر الّتي حفرها أبو عامر الفاسق للمسلمين، فيقع الفرس لوجهه، وسقط عثمان عنه، وخرج الفرس غائرًا، فيأخذه بعض أصحاب رسول الله ﷺ، ويمشي إليه الحارث بن الصمّة، فاضطربا ساعة بالسّيفين، ثمّ يضرب الحارث رجله، وكانت درعُه مشمرة فبرك، وذفّف[2] عليه، وأخذ الحارث يومئذ سَلبه: درعًا جيّدًا، ومغفرًا، وسيفًا جيّدًا، ولم يسمع بأحد من المشركين سلب يومئذ غيره، ورسول الله ﷺ ينظر إلى قتالهما، فسأل عن الرَّجل، قيل: عثمان بن عبد الله بن المغيرة، قال: الحمدُ لله الّذي أحانه[3]، وقد كان عبد الله بن جحش أسره من قبل ببطن نخلة، حتّى قدم به على رسول الله ﷺ، فافتدي ورجع إلى قريش، وغزا معهم أحدًا، فقتل هناك، ويرى مصرع عثمان عبيد بن حاجز العامري أحدُ بني عامر بن لؤيّ، فأقبل يعدو كأنّه سبع، فيضرب حارث بن الصمّة ضربة على عاتقه، فوقع الحارث جريحًا حتّى احتمله أصحابه، ويقبل أبودجانة على عبيد بن حاجز، فتناوشا ساعة من نهار، وكلّ واحد

١ـ يحضر فرسًا: يجريه، والحضر: ضرب من السّير.

٢ ـ ذفّف عليه: أجهز.

٣ ـ أحانه: أهلكه.

منهما يتّقي بالدّرقة سيف صاحبه، ثمّ حمل عليه أبو دُجَانة فاحتضنه، ثمّ جلد به الأرض، وذبحه بالسَّيف كما تذبح الشّاة، ثمّ انصرف، فلحق برسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: ويروى أن سهل بن حُنيف، جعل ينضح بالنَّبل عن رسول الله ﷺ، فقال نبِّلوا سهلًا[1] فإنّه سهل، ونظر رسول الله ﷺ إلى أبي الدَّرداء، والنَّاس منهزمون في كلّ وجه، فقال: نعم الفارس عُويمر، غير أنّه لم يشهد أُحُدًا.

قال الواقديّ: وروى الحارث بن عبيد الله بن كعب بن مالك، قال: حدَّثني من نظر إلى أبي سَبْرة بن الحارث بن علقمة، ولقي أحد المشركين، فاختلفا ضربات، كلّ ذلك يرُوغ أحدهما عن الآخر، قال: فنظر النَّاس إليهما كأنّهما سبعان ضاريان يقفان مرّة ويقتلان أخرى، ثمّ تعانقا، فوقعا إلى الأرض جميعًا، فعلاه أبو سَبْرة فذبحه بسيفه كما تذبح الشّاة، ونهض عنه فيقبل خالد بن الوليد وهو على فرس أدهم أغرّ محجل، يجرّ قناة طويلة، فطعن أبا سبرة من خلفه، فنظرت إلى سنان الرُّمح خرج من صدره، ووقع أبو سبْرة ميّتًا، وانصرف خالد بن الوليد، يقول: أنا أبو سليمان!

قال الواقديّ: وقاتل طلحة بن عبيد الله يومئذ عن النّبيّ ﷺ قتالًا شديدًا، وكان طلحة يقول لقد رأيتُ رسول الله ﷺ حيث انهزم أصحابه، وكثر المشركون، فأحدقوا بالنَّبيّ ﷺ من كلّ ناحية، فما أدري أقوم من بين يديه أو من ورائه؟ أم عن يمينه أم شماله؟ فأذبّ بالسَّيف عنه هاهنا وهاهنا حتّى انكشفوا، فجعل رسول الله ﷺ يومئذ يقول لطلحة: «لقد أوجب» وروى: «لقد أنحب» أى قضى نذره.

قال الواقديّ: وروى أنّ سعد بن أبي وقّاص ذكر طلحة فقال: يرحمه الله! إنّه كان أعظمنا غناء عن رسول الله ﷺ يوم أُحد، قيل: كيف يا أبا إسحاق؟ قال: لزم النَّبي ﷺ وكُنّا نتفرّق عنه، ثمّ نثوب إليه، لقد رأيته يدورُ حول النَّبي ﷺ يترّس بنفسه.

قال الواقديّ: وسئِل طلحة: يا أبا محمّد، ما أصاب إصبَعك؟ قال: رَمى مالك بن

---

١ ـ نبلوا سهلًا؛ أى أعطوه النّبل.

زهير الجشميّ بسهم يريدُ رسول الله ﷺ ـ وكان لا تخطىء رَمْيَته ـ فاتقيتُ بيدِي عن وجْهِ رسول الله ﷺ، فأصاب خِنْصَرِي فشُلّ.

قال الواقديّ: وقالوا: إنّ طلحة قال لمّا رمى: حَسِ[1]، فقال رسول الله ﷺ: لو قال: «بسم الله لدخل الجَنّة»، والنّاس ينظرون [إليه][2]، مَنْ أحبّ إن ينظر إلى رجل يمشي في الدُّنيا وهو مِن أهل الجنّة، فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله، طلحة ممّن قضى نحبه[3].

قال الواقديّ: وكان طلحة يحدّث يقول: لمّا جال المسلمون تلك الجوْلة، ثمّ تراجعوا أقبل رجل من بني عامر بن لؤيّ يدعى شيبة بن مالك بن المضرّب، يجرّ رمحه، وهو على فرس أغرّ كميت مدجّجًا في الحديد، يصيح: أنا أبو ذات الوذع، دلّوني على محمّد، فأضرب عرقوب فرسه، فاكتسعت [به][4]، ثمّ أتناول رمحه، فو الله ما أخطأت به عن حَدَقته، فخار كما يخور الثّور، فما برحت به واضعًا رجلي على خَدّه حتّى أَزَرْتُه شَعُوب[5].

قال الواقديّ: وكان طلحة قد أصابته في رأسه المصلبه ضربه رجل من المشركين، ضربتين، ضربة وهو مقبل، وضربه وهو معرض عنه، وكان نَزَف منها الدَّم، قال أبوبكر:

---

١ ـ حسّ، بالبناء على الكسر؛ كلمة من يفجؤه ما يؤلمه ومنه قولهم: «ضرب ما قال: حسّ».

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣١٨.

٣ ـ في اللّسان: «طلحة ممّن قضى نحبه» النّحب: النّذر، كأنّه ألزم نفسه أن يصدق الأعداء في الحرب فوفى به ولم يفسح، وقيل: هو من النّحب الموت: كأنّه يلزم أن يقاتل حتّى يموت».

٤ ـ كذا في ا واللّسان، وفي ب والواقديّ: «انكعست»، وفي اللّسان: «وفي حديث طلحة يوم أحد: فضربت عرقوب فرسه فاكتسعت به، أى سقطت».

٥ ـ من اللّسان.

٦ ـ في اللّسان: «وفي حديث طلحة: حتّى أزرته شعوب، أى أوردته المنيّة فزارها. شعوب من أسماء المنيّة».

جئت النَّبيّ ﷺ يوم أحُد، فقال: عليك بابن عمّك، فأتى طلحة بن عبيد الله، وقد نزف الدَّم، فجعلت أنضحُ في وجهه الماء وهو مغشيٌّ عليه، ثمّ أفاق، فقال: ما فعل رسولُ الله ﷺ؟ فقلت: خيرًا، هو أرسلني إليك، فقال: الحمد لله، كلّ مصيبةٍ بعده جَلَل.

قال الواقديّ: وكان ضرار بن الخطّاب الفهْريّ يقول: نظرتُ إلى طلحة بن عبيد الله قد حلق رأسه عند المروة في عُمرة، فنظرت إلى المصلبة في رأسه، فكان ضرار يقول: أنا والله ضربتُه، هو استقبلني فضربته، ثمّ أكرّ عليه، وقد أعرض، فاضربه ضربة أخرى.

قال الواقديّ: ولمّا كان يوم الجمل، و قتلَ عليّ عليه السلام مَنْ قتل من النَّاس، ودخل البصرة، جاءه رجل من العرب، فتكلّم بين يديه، ونال من طلحة، فزبره عليّ عليه السلام، وقال: إنّك لم تشهد يوم أحُد، وعِظَم غنائه عن الإسلام، مع مكانه من رسول الله ﷺ، فانكسر الرَّجلُ وسكت، فقال له قائل من القوم: وما كان غناؤه وبلاؤه يرحمه الله يوم أحُد؟ فقال علي عليه السلام: نعم، يرحمه الله، لقد رأيته وإنّه ليترّس بنفسه دون رسول الله ﷺ وإنّ السُّيوف لتغشاه، والنَّبْل من كلّ ناحية، وما هو إلّا جُنّة لرسول الله ﷺ، يقيه بنفسه، فقال رجل: لقد كان يوم أحُد يومًا قتل فيه أصحاب رسول الله ﷺ، وأصابت رسول الله ﷺ فيه الجراحة، فقال عليّ عليه السلام: أشهد لسمعتُ رسول الله عليه السلام يقول: «ليت أنّي غودرت مع أصحابي بنُحَص[1] الجبل»، ثمّ قال عليّ عليه السلام: لقد رأيتُني يومئذ وإنّي لأذبّهم في ناحية، وإنّ أبا دُجَانة لفي ناحية يذبّ طائفة منهم؛ حتّى فرّج الله ذلك كلّه؛ ولقد رأيتُني و انفردت منهم يومئذ فرقة خَشْناء[2]، فيها عكرمة بن أبي جهل، فدخلت وسطهم بالسَّيف، فضربت به، واشتملوا عليّ حتّى أفضيت إلى آخرهم، ثمّ كرّرت فيهم الثّانية، حتّى رجعت من حيث جئت؛ ولكنّ الأجل استأخر،

---

١ ـ ب: «بحصن»، وصوابه من ا و الواقديّ، وفيه: قال ابن أبي الزّناد: «نُحَص الجبل: أسفله».

٢ ـ فرقة خشناء، أى كثيرة السّلاح.

ويقضى الله أمرًا كان مفعولًا.

قال الواقديّ: وحدّثني جابربن سُليم عن عثمان بن صفوان، عن عُمارة بن خزيمة، قال: حدّثني مَنْ نظرإلى الحُباب بن المنذر بن الجموح، وإنّه ليحُوشهم[1] يومئذ كما تحاش الغنم؛ ولقد اشتملوا عليه حتّى قيل: قد قتل، ثمّ برز والسَّيف في يده، وافترقوا عنه، وجعل يحمل على فرقة منهم، وإنّهم ليهربون منه إلى جَمْع منهم، وصار الحُباب إلى النَّبي ﷺ، وكان الحُباب يومئذ مُعلَمًا بعصابة خضراء في مِغْفَره.

قال الواقديّ: وطلع يومئذ عبد الرّحمن بن أبي بكرعلى فرس مدجّجًا لا يُرى منه إلّا عيناه، فقال: مَنْ يبارز؟ أنا عبد الرّحمن بن عتيق! فنهض إليه أبو بكر، وقال: أنا أبارزه، وجرّد سيفه فقال له رسول الله ﷺ: شِمْ سيفَك، و ارجع إلى مكانك، ومتّعنا بنفسك.

قال الواقديّ: وقال رسولُ الله ﷺ: ما وجدتُ لشمّاس بن عثمان شبها إلّا الجُنّة، يعنى ممّا يقاتل عن رسول الله يومئذ، وكان رسول الله ﷺ لا يأخذ يمينًا ولاشمالًا إلّا رأى شمّاس بن عثمان في ذلك الوجه، يذبّ بسيفه عنه، حتّى غشي رسول الله ﷺ، فتَرَّسَ[2] بنفسه دونه، حتّى قتل، فذلك قول رسول الله ﷺ: «ما وجدت لشمّاس شبها إلّا الجُنّة».

قال الواقديّ: ولمّا ولى المسلمون حين عطف عليهم خالد بن الوليد مِنْ خلفهم، كان أوّل مَنْ أقبل من المسلمين بعد التّولية قيس بن محرَّث مع طائفة من الأنصار، وقد كانوا بلغوا بني حارثة فرجعوا سراعًا فصادفوا المشركين في كثرتهم، فدخلوا في حَوْمتهم، فما أفلت منهم رجل حتّى قُتِلوا كلّهم، ولقد ضاربهم قيس بن مِحْرث، فامتنع بسيفه حتّى قتل منهم نفرًا، فما قتلوه إلّا بالرّماح، نظموه، ولقد وجد به أربع عشرة

١ـ يحوشهم، أى يجمعهم.

٢ ـ ترس بنفسه، أى جعل نفسه له كالتُّرس.

طعنة جائفة[١] وعشر ضربات بالسَّيف.

قال الواقديّ: وكان عبّاس بن عبادة بن نَضْلة المعروف بابن قَوقل، وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وأوس بن أرقم بن زيد، وعبّاس، رافع صوتَه يقول: يا معشرَ المسلمين، الله و نبيّكم! هذا الّذي أصابكم بمعصية نبيّكم، وعدَكم[٢] النَّصر فما صبرتم. ثمّ نزع مِغْفره عن رأسِه، وخلع دِرْعه وقال لخارجة بن زيد: هل لك في دِرْعي ومِغْفَري؟ قال خارجة: لا، أنا أريد الّذي تريد، فخالطوا القوم جميعًا، وعبّاس يقول: ما عذرُنا عند ربّنا إن أصيب نبيُّنا ومنّا عينٌ تطرف! قال: فيقول[٣] خارجة: لا عذرَ لنا والله عند ربّنا ولا حُجّة، فأمّا عبّاس فقتله سفيان بن عبدشمس السُّلَمِيّ، ولقد ضربه عبّاس ضربتيْن، فجرحه جرحَيْن عظيمَين، فارتُثّ يومئذ جريحًا، فمكث جريحًا سنة، ثمّ استبلّ. وأخذَتْ خارجة بن زيد الرِّماح، فجرح بضعة عشر جرحًا، فمرّ به صفوان بن أميّة، فعرفه فقال: هذا من أكابر أصحاب محمّد، وبه رَمق، فأجهز عليه. وقَتَل أوس بن أرقم، وقال صفوان: مَنْ رأى خبيب بن يساف؟ وهو يطلبه فلا يقدر عليه. ومثّل يومئذ بخارجة، وقال: هذا ممّن أغرى بأبي يوم بدر ـ يعنى أميّة بن خلف ـ وقال الآن شفيتُ نفسي حين قتلت الأماثل من أصحاب محمّد، قتلت ابن قوقل، وقتلت ابن أبي زهير، وقتلت أوس بن أرقم.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ يومئذ: مَنْ يأخذ هذا السَّيف بحقّه؟ قالوا: وما حقُّه يا رسول الله؟ قال: يضرب به العدوّ، فقال عمر: أنا يا رسول الله، فأعرض عنه، ثمّ عَرَضه رسول الله ﷺ بذلك الشَّرْط، فقام الزُّبير، فقال: أنا، فأعرض عنه، حتّى

---

١ ـ الطّعنة الجائفة: الّتي تبلغ الجوف، وفي الواقديّ: «قد جافته».

٢ ـ ا: «فيوعدكم».

٣ ـ الواقديّ: «يقول».

وجَد[١] عمرو الزُّبير في أنفسهما، ثمّ عرضه الثالثة، فقام أبو دُجَانة، وقال: أنا يا رسول الله آخذه بحقّه، فدفعه إليه. فصدَق حين لقي به العدوّ، وأعطى السَّيف حقّه، فقال أحدُ الرَّجُلين ـ إمّا عمر بن الخطّاب أو الزّبير ـ: والله لأجعلنّ هذا الرَّجل الّذي أعطاه السَّيف ومنَعنِيه من شأني، قال: فاتّبعته، فو الله ما رأيتُ أحدًا قاتل أفضلَ من قتاله، لقد رأيتُه يضرب به حتّى إذا كلّ عليه وخاف ألّا يُحيك[٢] عمَد به إلى الحجارة، فشحذه، ثمّ يضرب به العدوّ، حتّى يردّه[٣] كأنّه مِنجل، وكان حين أعطاه رسول الله ﷺ السّيف مشى بين الصَّفّيْن، واختال في مشيته، فقال رسول الله ﷺ حين رآه يمشي تلك المشية: إنّ هذه لَمِشيةٌ يبغضها الله تعالى إلّا في مثل هذا الموطن، قال: وكان أربعة من أصحاب النّبيّ ﷺ يعلِمون في الزُّحوف، أحدُهم أبودُجانة، كان يعصب رأسه بعصابة حمراء، وكان قومه يعلَمون إنّه إذا اعتصبَ بها أحسن القتال، وكان علي ﷺ يعلِم بصوفةٍ بيضاء، وكان الزُّبير يعلِم بعصابة صفراء، وكان حمزة يعلِم بريش نعامة.

قال الواقديّ: وكان أبو دُجانة يحدّث يقول: إنّي لأنظر يومئذ إلى امرأة تقذِف النّاس وتحُوشهم حَوْشًا منكرًا، فرفعتُ عليها السّيف، وما أحسبها إلّا رجلًا، حتّى علمت إنّها امرأة، وكرهت أن أضرب بسيف رسول الله ﷺ امرأة ـ والمرأة عمْرة بنت الحارث.

قال الواقديّ: وكان كعب بن مالك يقول: أصابني الجراح يوم أحُد، فلمّا رأيت المشركين يمثّلون بالمسلمين أشدّ المُثَل و أقبحها، قمتُ فتنحيّت عن القتلى، فإنّي لفي موضعي أقبَلَ خالد بن الأعلم العقيليّ جامع اللَأْمة يحوش المسلمين، يقول:

---

١ ـ أي غضبا.

٢ ـ لا يحيك: لا يؤثر.

٣ ـ ا: «رده».

استوسقوا[١] كما يستوسق جُرَب الغنم، وهو مدجّج في الحديد، يصيح: يا معشرَ قريش، لا تقتلوا محمّدًا، ائسروه أسرًا حتّى نعرفه ما صنع؛ ويصمُد له قُزمان فيضربه بالسَّيف ضربة على عاتِقه رأيت منها سَحْره، ثمّ أخذ سيفه وانصرف، فطلع عليه من المشركين فارس ما أرى منه إلّا عينيْه، فحمل عليه قُزمان، فضربه ضربةً جزَله اثنين، فإذا هو الوليد بن العاص بن هشام المخزوميّ، ثمّ يقول كعب: إنّي لأنظر يومئذ وأقول: ما رأيتُ مثل هذا الرَّجل أشجع بالسَّيف، ثمّ ختم له بما ختم له به فيقال له: فما ختم له به؟ فيقول: من أهل النّار، قتل نفسَه يومئذ.

قال الواقديّ: وروى أبو النّمر الكنانيّ، قال: أقبلت يوم أحُد وأنا من المشركين، وقد انكشف المسلمون، وقد حضرتُ في عشرة من إخوتي، فقتل منهم أربعة، وكان الرّيح للمسلمين أوّل ما التقينا، فلقد رأيتُني وانكشفنا مولّين، وأقبل أصحاب النّبيّ ﷺ على نهب العسكر، حتّى بلغت الجمّاء، ثمّ كرّت خيلنا، فقلت: والله ما كرّت الخيلُ إلّا عن أمر رأته، فكررنا على أقدامنا كأنّنا الخيل، فنجِد القوم قد أخذ بعضُهم بعضًا، يقاتلون على غير صفوف، ما يدري بعضهم مَنْ يضرب، وما للمسلمين لواء قائم، ومع رجل من بني عبد الدّار لواء المشركين، وأنا أسمع شعار أصحاب محمّد بينهم: «أمِتْ أمِتْ»، فأقول في نفسي: ما «أمت»؟ وإنّي لأنظر إلى رسول الله ﷺ وإنّ أصحابه محدقُون به، وإنّ النَّبل ليمرّ عن يمينه ويساره، ويقع بين يديه، ويخرج من ورائه، ولقد رميت يومئذ بخمسين مِرْماة، فأصبت منها بأسهم بعض أصحابه، ثمّ هداني الله إلى الإسلام.

قال الواقديّ: وكان عَمْرو بن ثابت بن وَقْش شاكًّا في الإسلام، وكان قومُه يكلّمونه في الإسلام، فيقول: لو أعلم ما تقولون حقًّا ما تأخّرت عنه، حتّى إذا كان يومُ أحُد بدَا له الإسلام ورسول الله ﷺ بأحُد، وأخذ سيفَه و أسلم، وخرج حتّى دخل في القوم،

---

١ ـ استوسقوا: اجتمعوا.

فقاتل حتّى أثبِت[١]، فوجِد في القتلى جريحًا ميّتًا، فدنوا منه وهو بآخر رَمق، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ قال: الإسلام، آمنت بالله وبرسوله، وأخذت سيفي وحضرت فرزقني الله الشّهادة، ومات في أيديهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنّه لمن أهل الجنّة».

قال الواقديّ: فكان أبو هُريرة يقول، والنّاس حوله: أخبروني برجل يدخل الجَنّة لم يصلّ لله تعالى سجدة؟ فيسكت النّاس، فيقول أبو هريرة: هو أخو بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وقْش.

قال الواقديّ: وكان مخيرق اليهوديّ من أحبار يهود، فقال يومَ السَّبْت ورسولُ الله ﷺ بأُحُد: يا معشرَ يهود، والله إنّكم لتعلمون أنّ محمّدًا نبيّ، وأنّ نصره عليكم حقّ. فقالوا: ويحك! اليوم يوم السَّبْت، فقال: لا سبْت، ثمّ أخذ سلاحه وحضر مع النّبي ﷺ، فأصِيب فقال رسول الله ﷺ: «مخيرق خير يهود».

قال الواقديّ: وكان مخيرق، قال حين خرج إلى أُحُد: إن أصِبت فأموالي لمحمّد يضعُها حيث أراه الله فيه، فهي عامّة صدقات النّبيّ ﷺ.

قال الواقديّ: وكان حاطب بن أميّة منافقًا، وكان ابنه يزيد بن حاطب رَجُلَ صِدْق، شهد أُحُدًا مع النّبيّ ﷺ فأرتُثّ[٢] جريحًا، فرجع به قومه إلى منزله، قال: يقول أبوه وهو يرى أهلَ الدّار يبكون عنده: أنتم والله صنعتم هذا به، قالوا: كيف؟ قال: أغررتموه من نفسِه حتّى خرج فقتِل، ثمّ صرتم معه إلى شيء آخر تعِدُونه جَنّة، يدخل فيها حبّة من حَرْمل، قالوا قاتلك الله! قال: هو ذاك، ولم يقرّ بالإسلام[٣].

---

١ ـ أثبت، أي جرح.

٢ ـ ارتثّ: حمل من المعركة جريحًا وبه رمق.

٣ ـ الخبر في ابن هشام ٣: ٣٧ عن عاصم بن عمر بن قتادة: «أنّ رجلاً منهم كان يدعي حاطب ابن أُميّة بن رافع، و كان له ابن يقال له زيد بن حاطب؛ أصابته جراحة يوم أُحد، فأتى به إلى قومه وهو بالموت، فاجتمع إليه أهل الدّار؛ فجعل المسلمون يقولون له من الرّجال و النّساء: أبشريا

قال الواقديّ: وكان قزمان عَسيفًا [١] من بني ظَفَر، لا يدري ممّن هو، وكان لهم محبًّا، وكان مقلًّا ولا ولد له ولا زوجة، وكان شجاعًا يُعرف بذلك في حروبهم الّتي كانت تكون بينهم، فشهد أحُدًا، وقاتل قتالًا شديدًا، فقتل ستّة أو سبعة، فأصابته الجِراح فقيل للنّبيّ ﷺ إنّ قزمان قد أصابته الجِراح، فهو شهيد، فقال: بل من أهلِ النّار، فجاءوا إلى قزمان، فقالوا: هنيئًا لك أبا الغيداق الشهادة! فقال: بم تبشّرونني! والله ما قاتلنا إلّا على الأحساب، قالوا: بشّرناك بالجنّة، قال: حبّة والله من حَرْمل، إنّا والله ما قاتلنا على جَنّة ولا على نار، إنّما قاتلنا على أحسابنا، ثمّ أخرج سهمًا من كنانته، فجعل يتوجّأ به نفسه، فلمّا أبطأ عليه المِشْقَص، أخذ السَّيف، فاتّكأ عليه، حتّى خرج من ظهره، فذكر ذلك للنّبي ﷺ فقال: «هو من أهل النّار».

قال الواقديّ: وكان عمرو بن الجموح رجلًا أعرج، فلمّا كان يوم أحُد، وكان له بنون أربعة يشهدون مع النّبيّ ﷺ المشاهد أمثال الأسد، أراد قومُه أن يحبسوه، وقالوا: أنت رجل أعرَج، ولا حرج عليك، وقد ذهب بنوك مع النّبيّ ﷺ قال: بخٍ! يذهبون إلى الجنّة وأجلس أنا عندكم! فقالت: هند بنت عمرو بن حزام امرأته: كأنّي أنظر إليه مولّيًا قد أخذ دَرَقته، وهو يقول: اللّهمّ لا تردّني إلى أهلي، فخرج ولحقه بعضُ قومه يكلّمونه في القعود، فأبى وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنّ قومِي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك، والله إنّي لأرجو أن أطأ بعَرْجتِي هذه في الجُنّة، فقال له: أمّا أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك، فأبى، فقال النّبيّ ﷺ لقومه وبنيه: لا عليكم أن تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشّهادة، فخلُّوا عنه. فقتِل يومئذ شهيدًا. وكان أبو طلحة يحدّث، يقول: نظرت إلى عمرو بن الجموح حين انكشف المسلمون،

ابن حاطب بالجنّة، قال: وكان حاطب شيخًا قد عسا (أى كبر) في الجاهليّة، فنجم يومئذٍ نفاقه، فقال: بأىّ شيء تبشّرونه! أبحقّه من حرمل! غررتم والله هذاالغلام من نفسه!

١ ـ عسيفًا، أى أجيرًا.

ثمّ ثابوا وهو في الرّعيل الأوّل، لكأنّي أنظر إلى ضِلَعه وهو يعرَجُ في مشيته، وهو يقول: أنا والله مشتاق إلى الجنّة، ثمّ أنظر إلى إبنه يعدُو في أثره، حتّى قُتِلا جميعًا.

قال الواقديّ: وكانت عائشة خرجت في نسوة تستروح الخبر، ولم يكن قد ضُرِب الحجاب يومئذٍ، حتّى كانت بمنقطع الحرّة وهي هابطه من بني حارثة إلى الوادي، لقيتْ هندًا بنت عمرو بن حزام، أخت عبد الله بن عمرو بن حزام، تسوق بعيرًا لها، عليه زوجها عمرو بن الجموح، وابنها خلّاد بن عمرو بن الجموح، وأخوها عبدُ الله بن عمرو بن حزام[1] أبو جابر بن عبد الله، فقالت لها عائشة: عندك الخبر، فما وراءك؟ فقالت هند: خير، أمّا رسول الله ﷺ فصالح، وكلّ مصيبة بعده جَلَل، واتّخذ الله من المؤمنين شهداء: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[2].

قلت: هكذا وردت الرّواية، وعندي أنّها لم تقل كلّ ذلك، ولعلّها قالت: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾[3]، لا غير، وإلّا فكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى أنزلت بعد الخندق والخندق بعد أحُد! هذا من البعيد جدًّا.

قال: فقالت لها عائشة: فمَنْ هؤلاء؟ قالت: أخي وابني وزَوْجي قُتِلَ، قالت: فأين تذهبين بهم؟ قالت: إلى المدينة أقبرُهم بها، «حَلْ حَلْ»، تزجُر بعيرها، فبرك البعير، فقالت عائشة: لثقْل ما حمِل، قالت هند: ما ذاك به، لربّما حمل ما يحمله البعيران، ولكنّي أراه لغير ذلك، فزجرته فقام، فلمّا وجهت به إلى المدينة برك، فوجّهته راجعة إلى أحُد، فأسرع، فرجعت إلى النّبيّ ﷺ فأخبرته بذلك، فقال: إنّ الجمل لمأمور، هل قال عمرو شيئًا؟ قالت: نعم، إنّه لمّا وجّه إلى أحُد استقبل القبلة، ثمّ قال: اللّهمّ لا

---

١ ـ الواقديّ: «حرام».

٢ ـ الأحزاب/٢٥.

٣ ـ الأحزاب/٢٥.

تردّني إلى أهلي، وارزقني الشَّهادة، فقال ﷺ: فلذلك الجمل لا يمضي، إنّ منكم يا معشرَ الأنصار من لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمرو بن الجموح، يا هندُ ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قُتِل إلى السَّاعة، ينظرون أين يدفن! ثمّ مكث رسول الله ﷺ في قبرهم، ثمّ قال: يا هند، قد ترافقوا في الجنّة جميعًا، عمرو بن الجموح بعلك، وخلّاد ابنُك، وعبد الله أخوك. فقالت هند: يا رسول الله، فادع الله لي عسى أن يجعلني معهم!

قال الواقديّ: وكان جابر بن عبد الله، يقول: اصطبح ناسٌ يوم أحُد الخمرَ، منهم أبي، فقتِلوُا شهداء.

قال الواقديّ: وكان جابرٌ يقول: أوّل قتيل من المسلمين يوم أحُد أبي؛ قتله سفيان ابن عبد شمس أبو الأعور السُّلَميّ، فصلّى عليه رسول الله ﷺ قبلَ الهزيمة.

قال الواقديّ: وكان جابر يحدّث، ويقول: استشهد أبي، وجعلتْ عَمّتِي تبكي، فقال النّبيّ ﷺ: ما يبكيها! ما زالت الملائكة تظلّ عليه بأجنحتها حتّى دُفِن.

قال الواقديّ: وقال عُبيد الله بن عمرو بن حزام: رأيتُ في النّوم قبل يوم أحُد بأيّام مبشّرَ بن عبد المنذر، أحد الشُّهداء ببدر، يقول لي: أنت قادم علينا في أيّام! فقلت: فأين أنت؟ قال: في الجنّة نسرح منها حيث تشاء، فقلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى، ثمّ أحييت، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال: «هذه الشَّهادة يا جابر».

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ يوم أحُد: ادفنوا عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد، ويقال: إنّهما وجدا وقد مُثّل بهما كلّ مُثلة قطعت آرابهما [1] عضوًا عضوًا، فلا تعرف أبدانهما. فقال النّبيّ ﷺ: «ادفنوهما في قبر واحد»، ويقال: إنّما أمر بدفنهما في قبر واحد، لما كان بينهما من الصَّفاء، فقال: ادفنوا هذين المتحابّين في الدُّنيا في قبر واحد.

---

١ ـ الأرَاب: جمع إرب، بالكسر والسّكون، وهو العضو.

وكان عبد الله بن عمرو بن حرام رجلًا أحمر أصلَع، ليس بالطَّويل، وكان عمرو بن الجموح طويلًا، فعرفا ودخل السَّيْل بعد عليهما، وكان قبرهما ممّا يلي السّيل، فحفِر عنهما، وعليهما نمِرتان وعبد الله قد أصابه جرح في وجهه، فيدُه على وجهه[1] فأميطت يده عن جرحه،فثعب[2] الدَّم، فردت إلى مكانها فسكن الدّم.

قال الواقديّ: وكان جابر بن عبد الله يقول: رأيت أبي في حفرته، وكأنّه نائم، وما تغيّر من حاله قليل ولاكثير؛ فقيل له: أفرايتَ أكفانه؟ قال: إنّما كُفّن في نمِرة[3] خُمِّر بها وجهُه، وعلى رجليه الحرْمل فوجدنا النّمِرة كما هي، والحرمل على رجليه كهيئته، وبين ذلك وبين وقت دفنه ستّ وأربعون سنة، فشاورهم جابر في أن يطيّبه بمسك، فأبى ذلك أصحاب النّبيّ ﷺ وقالوا: لا تحدِثوا فيهم شيئًا.

قال: ويقال إنّ معاوية لمّا أراد أن يُجرِيَ العين الّتي أحدثها بالمدينة، وهي كظلمة نادى مناديه بالمدينة: من كان له قتيل بأُحُد فليشهد. فخرج النّاس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يتثنّون، فأصابت المسحاةُ رِجْل رجلٍ منهم، فثعَبت دمًا، فقال أبو سعيد الخُدرِيّ: لا ينكر بعد هذا منكر أبدًا.

قال: و وُجد عبد الله بن عمرو بن حزام وعمرو بن الجموح في قبر واحد، ووُجد خارجة بن زيد بن أبي زهير وسعد بن الرَّبيع في قبر واحدٍ، فأمّا قبرُ عبد الله وعمرو فحوّل، وذلك أنّ القناة كانت تمرّ على قبرها، وأمّا قبر خارجة وسعد فترِك، وذلك لأنّ مكانه كان معتزلًا، وسُوّيَ عليهما التُّراب، ولقد كانوا يحفِرون التُّراب، فكلمّا حفروا قُتْرَةً من تُراب، فاح عليهم المسك.

قال: وقالوا: إنّ رسول الله ﷺ قال لجابر: يا جابر، ألّا أبشّرك؟ فقال: بلَى، بأبي

---

١ ـ ا: «جرحه».

٢ ـ ثعب الدَم: سال.

٣ ـ النّمرة: بردة من صوف.

وأمّي! قال: فإنّ الله أحيا أباك، ثمّ كلّمه كلامًا، فقال له: تمنّ على ربّك ما شئت! فقال: أتمنّى أن أرجع فأقتَل مع نبيّك، ثمّ أحيا فأقتل مع نبيّك، فقال: إنّي قد قضيت أنّهم لا يرجعون.

قال الواقديّ: وكانت نَسيبة بنت كعب أمّ عُمارة بن غزيّة بن عمرو قد شهدت أحُدًا، وزوجها[1] غزيّة وابناها عُمارة بن غزيّة وعبد الله بن زيد، وخرجت ومعها شنّ[2] لها في أوّل النّهار تريد تسقي الجرْحي، فقاتلت يومئذ وأبلتْ بلاء حسنًا، فجرحت إثنيْ عشر جرحًا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف، فكانت أمّ سعد بنت سعد بن الرّبيع تحدّث، فتقول: دخلتُ عليها، فقالت لها: يا خالة، حدّثيني خبَرك، فقالت: خرجت أوّل النّهار إلى أحُد، وأنا أنظر ما يصنع النّاس، ومعي سِقاء فيه ماء، فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ وهو في الصّحابة والدّوْلة والرّيح للمسلمين، فلمّا انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله ﷺ، فجعلت أباشر القِتال، وأذبُّ عن رسول الله ﷺ بالسّيف، وأرمي بالقوس، حتّى خلصت إلى الجراح، فرأيت على عاتقها جُرْحًا أجوفَ له غوْر، فقلت: يا أمّ عُمارة، مَنْ أصابك بهذا؟ قالت: أقبل ابن قمِيئة، وقد ولّى النّاس عن رسول الله ﷺ يصيح: دلّوني على محمّد، لا نجوتُ إنْ نجا! فاعترض له مُصعب بن عميرو ناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضّرْبة، ولقد ضربته على ذلك ضرَبات، ولكنّ عدوّ الله كان عليه دِرْعان. فقالت لها: يدك ما أصابها؟ قالت أصيبتْ يوم اليمامة، لمّا جعلت الأعراب تنهزم بالنّاس، نادت الأنصار: اخلصونا. فأخلصت الأنصار، فكنت معهم، حتّى انتهينا إلى حديقة الموت، فاقتتلنا عليها ساعة، حتّى قُتل أبو دُجانة على باب الحديقة؛ ودخلتها وأنا أريد عدوّ الله مُسيلمة، فيعرض لي رجل، فضرب يدي فقطعها، فو الله ما كانت ناهية، ولا عرّجت عليها، حتّى وقفت

---

١ ـ كذا في ا والواقديّ، وفي ب: «وتزوّجها».

٢ ـ الشّن: القربة الخلق الصّغيرة، يكون فيها الماء من غيرها.

على الخبيث مقتولًا، وابني عبد الله بن يزيد المازنيّ يمسحُ سيفه بثيابه، فقلت: أقتلتَه؟ قال: نعم، فسجدتُ شكرًا لله عزّوجلّ وانصرفت.

قال الواقديّ: وكان ضَمْرة بن سعيد يحدّث عن جَدّته، وكانت قد شهدت أُحُدًا تسقي الماء، قال: سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول يومئذ: لَمقام نَسيبة بنت كعب اليوم خيرٌ من مُقام فلان وفلان. وكان يراها يومئذ تقاتل أشدّ القتال، وإنّها لحاجزة ثوبَها على وسطها، حتّى جرحت ثلاثة عشر جرحًا.

قلت: ليت الرّاوي لم يكنِّ هذه الكناية، وكان يذكرها باسمها حتّى لا تترامى الظُّنون إلى أُمور مشتبهة! ومن أمانة المحدّث أن يذكر الحديث على وجهه ولا يكتم منه شيئًا، فما باله كتم اسم هذين الرَّجلين.

قال: فلمّا حضرت نَسيبة[1] الوفاة، كنت فيمن غسّلها فعددت جراحها جرحًا جرحًا فوجدتها ثلاثة عشر، وكانت تقول: إنّي لأنظر إلى ابن قَمِيئة وهو يضربُها على عاتقها ـ وكان أعظم جِراحها، لقد داوَته سنة ـ ثمّ نادى منادي النّبيّ ﷺ بعد انقضاء أُحُد: إلى حمراء الأسد! فشدّت عليها ثيابها، فما استطاعت من نزف الدّم، ولقد مكثنا ليلتنا نكمّد الجراح، حتّى أصبحنا، فلمّا رجع رسولُ الله من حَمْراء الأسد، لم يصلْ إلى بيته حتّى أرسلَ إليها عبد الله بن كعب المازنيّ يسأل عنها، فرجع إليه فأخبره بسلامتها، فسرّ بذلك.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الجبار بن عُمارة بن غزيّة، قال: قالت أمّ عُمارة: لقد رأيتُني وانكشف النّاس عن رسول الله ﷺ فما بقيَ إلّا نُفَيْرُما يتمُّون عشرة، وأنا وأبنائي وزوجي بين يديه نذبّ عنه، والنّاس يمرُّون عنه منهزمين، فرآني ولا تُرس معي ، ورأى رجلًا مولّيًا معه تُرس، فقال: يا صاحبَ التُّرس، الق ترسك إلى مَنْ يقاتل. فألقى ترسه فأخذته، فجعلت أترّس به على النّبيّ ﷺ، وإنّما فعل بنا الأفاعيل

---

١ ـ الواقديّ: «فلمّا حضرتها».

أصحاب الخيل، ولو كانوا رجّالة مثلنا أصبناهم، فيقبل رجل على فرس، فضربني وترّست له، فلم يصنع سيفه شيئًا، وولّى وأضرب عُرقوب فرسه، فوقع على ظهره، فجعل النَّبي ﷺ يصيح: يا بن عُمارة، أمّك أمّك! قالت: فعاونني عليه حتّى أوْرَدْتُه شَعُوب[1].

قال الواقديّ: وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن عبدالله بن زيد المازنيّ، قال: جرحت جرحًا في عضدِي اليسرى، ضربني رجل كأنّه الرَقْل ولم يعرّج عليّ، ومضى عنى، وجعل الدَّم لا يرقأ؛ فقال رسول الله ﷺ: اعصب جُرحك، فتقبل أمّي إليّ، ومعها عصائب في حَقْوَيْها قد أعدّتها للجراح، فربطت جرحي والنَّبيّ ﷺ واقف ينظر، ثمّ قالت: انهض يا بنيّ، فضارب القوم، فجعل رسول الله ﷺ يقول: ومَن يطيق ما تُطيقين يا أمّ عُمارة! قالت: وأقبل الرّجل الّذي ضربني، فقال رسول الله ﷺ: هذا ضارب ابنك، فاعترضت أمّي له، فضربت ساقه، فبرَك، فرأيت النَّبيُّ ﷺ تبسَّم حتّى بدت نواجذُه، ثمّ قال: استقدتِ يا أمّ عُمارة. ثمّ أقبلنا نعلُوه[2] بالسّلاح حتّى أتينا على نفسه، فقال النَّبيُّ ﷺ: الحمد لله الّذي ظفّرك وأقرّ عينك من عدوّك، وأراك ثأرك بعيْنك!

قال الواقديّ: وروى موسى بن ضمرة بن سعيد، عن أبيه، قال: أتى عمر بن الخطّاب في أيّام خلافته بمِرُوط[3] كان فيها مِرْط واسع جيّد، فقال بعضهم: إنّ هذا المرْط بثمن كذا، فلو أرسلتَ به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيّة بنت أبي عبيد،

١ـ شعوب: اسم المنيّة.

٢ـ ب: «نعله»، والصّواب ما أثبته من ا والواقديّ.

٣ ـ المِرط، بالكسر: كساء من صوف أو خزّ أو كتان يؤتزر به، وربّما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفّع به وجمعه مروط.

وذلك حدثان[١] ما دخلت على ابن عمر، فقال: بل أبعث به إلى مَنْ هو أحقّ منها، أمّ عُمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله ﷺ يوم أحُد يقول: ما التفت يمينًا وشمالًا إلّا وأنا أراها تقاتل دوني.

قال الواقديّ: وروى مَرْوان بن سعيد بن المعلّى، قال: قيل لأُمّ عُمارة: يا أمّ عُمارة، هل كنّ نساء قريش يومئذ يقاتلن مع أزواجهنّ؟ فقالت: أعوذ بالله، لا والله ما رأيتُ امرأة منهنّ رمتْ بسهم ولا حَجَر، ولكن رأيت معهنّ الدّفاف والأكبار يضربن ويذكّرن القوم قتلَى بدر، ومعهنّ مكاحل ومراود، فكلّما ولّى رجل أو تكعكع ناولته إحداهنّ مرودا ومكحلة، ويقلن: إنّما أنت امرأة، ولقد رأيتهنّ ولّيْن منهزماتٍ مشمّرات، ولها عنهنّ الرّجال أصحاب الخيل، ونجوا على متون خيلهم، وجعلْنَ يتبعنَ الرّجال على أقدامهنّ، فجعلن يسقطن في الطّريق، ولقد رأيت هندًا بنت عتبة، وكانت امرأة ثقيلة، ولها خلق، قاعدة خاشيةً من الخيل، ما بها مشى، ومعها امرأة أخرى، حتّى كثر القوم علينا، فأصابوا منّا ما أصابوا، فعند الله نحتسب ما أصابنا يومئذ من قِبَل الرّماة ومعصيتهم لرسول[٢] الله ﷺ.

قال الواقديّ: وحدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن عبد الرّحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن الحارث بن عبد الله، قال: سمعتُ عبد الله بن زيد بن عاصم، يقول: شهدتُ أحُدًا مع رسول الله ﷺ، فلمّا تفرّق النّاس عنه، دنوت منه، و أمّي تذبّ عنه، فقال: يا ابن عُمارة، قلت: نعم، قال: ارمِ؛ فرميتُ بين يديه رجلًا من المشركين بحجَر، وهو على فرس، فأصيبت عين الفرس، فاضطرب الفرس حتّى وقع هو و صاحبه، وجعلت أعوله بالحجارة، حتّى نضّدت عليه منها وقْرًا، والنّبيُّ ﷺ ينظر إليّ ويتبسّم، فنظر إلى جرح بأمّي على عاتقها، فقال: أمّك أمّك! أعصب جُرحها، بارك الله عليكم

---

١ ـ حدثان الأمر: ابتداؤه.

٢ ـ ا: «الرّسول».

من أهلِ بيت! لمقامُ أمّك خيرٌ من مقام فلان وفلان. ومقام ربيبك ـ يعنى زوج أمّه ـ خيرٌ من مقام فلان، رحمكم الله من أهل بيت! فقالت أمّي: ادع لنا الله يا رسول الله أن نرافقَك في الجنّة، فقال: «اللّهمّ اجعلهم رُفقائي في الجنّة»، قالت: فما أبالي ما أصابني من الدُنيا.

قال الواقديّ: وكان حنظلة بن أبي عامر تزوّج جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سَلول، فأدخِلت عليه في اللّيلة الّتي في صبيحتها قتال أحُد، وكان قد استأذن رسولَ الله ﷺ أن يبيت عندها، فأذن له، فلمّا صلّى الصُبح غدًا يريد النّبيُّ ﷺ، فلزمته جميلة، فعاد فكان معها، فأجْنَب منها، ثمّ أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها، فأشهدتهم أنّه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدتِ عليه؟ قالت: رأيتُ كأنّ السّماء فرِجَتْ، فدخل فيها، ثمّ أطبقت. فقلت: هذه الشّهادة، فأشهدت عليه أنّه قد دخل بي، فعلِقت منه بعبد الله بن حنظلة. ثمّ تزوّجها ثابت بن قيس بعد، فولدت له محمّد بن ثابت بن قيس. وأخذ حنظلة بن أبي عامر سلاحه، فلحق برسول الله ﷺ بأحُد، وهو يسويّ الصُفوف، فلمّا انكشف المشركون، اعترض حنظلة لأبي سفيان بن حَرْب، فضرب عُرقوب فرسه، فاكتسعت الفَرس، ويقع أبو سفيان إلى الأرض، فجعل يصيح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان بن حرب! وحنظلة يريد ذبحه بالسَّيف، فأسمع الصَّوْت رجالًا لا يلتفتون إليه من الهزيمة، حتّى عاينه الأسود بن شعوب، فحمل على حنظلة بالرَّمْح، فأنفذه، ومشى حنظلة إليه في الرَّمْح فضربه ثانية فقتله، وهرب أبو سفيان يعدُو على قدميه، فلحق ببعض قريش، فنزل عن صدر فرسه، وردف وراءه أبا سفيان، فذلك قول أبي سفيان يذكر صبْره، ووقوفه و أنّه لم يفرّ.

وذكره محمّد بن إسحاق[1]:

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٢١ و ٢٢.

ولـو شـئتُ نَجَّتْـنِي كُميـتٌ طِمِـرَّةٌ ... ولم أحمـل النَّعمـاء لابـن شـعُوب[١]

ومـا زال مُهـري مزجـر الكلـب فـيهمُ ... لـدن غُـدْوَةً حـتّى دنـت لُغـروب[٢]

أقـاتلهم وأدّعِـي يَـالَ غالـبٍ ... وأدفعُهـم عـنى بـركن صـليبِ[٣]

فبكِّـي ولاترعَـىٰ مقالـة عـاذلٍ ... ولاتسـأمي مـن عَبْـرةٍ ونحيـبِ

إيّـاك وإخوانًـا لنـا قـد تتـابعوا[٤] ... وحـقّ لهـم مـن حسـرة بنصـيب

وسلِّي الّذي قد كان في النَّفس إنني ... قتلـتُ مـن النّجّـار كـلّ نجيـب

ومـن هاشـم قَرْمًـا كريمًـا ومُصـعبًا ... وكـان لَـدَى الهيجـاء غيـر هيـوبِ[٥]

ولـو أنّـني لم أشـفِ نفسـىَ مـنهمُ ... لكانت شـجًا في الصّدر ذات ندوبِ[٦]

فـآبُوا وقـدْ أودى الجلابيـبُ مـنهم ... بهـم كمـد مـن واجـمٍ وكئيـب[٧]

أصـابهم مـن لم يكـن لـدمائهمْ ... كِفـاءً ولا في سِـنْخِهم بضـريب[٨]

---

١ ـ الطَمرة: الفرس السّريعة الوثب، وفي الأصول: «النّعمان» تحريف.

٢ ـ ابن هشام: «منهم»، ومزجر الكلب، يريد أنّه قريب، والضّمير في «دنت» يعود إلى الشّمس.

٣ ـ صليب: شديد قويّ.

٤ ـ ابن هشام: «وإخوانًا له».

٥ ـ القرم في الأصل: الفحل الكريم من الإبل، وعنّي به هاهنا حمزة بن عبدالمطّلب. والمصعب: الفحل من الإبل أيضًا.

٦ ـ النّدوب: آثار الجروح.

٧ ـ الجلاليب: الجماعات. في ابن هشام: * بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُغْبِطٌ وكَئيب *

٨ ـ في ابن هشام: «ولا في حطة بضريب».

قال الواقديّ: مرّ أبو عامر الرّاهب على حنظلة ابنه وهو مقتول إلى جنب حمزة بن عبد المطّلب، وعبد الله بن جحش؛ فقال: إن كنت لأحذرك هذا الرَّجل ـ يعنى رسول الله ﷺ ـ من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبرًّا بالوالد، شريف الخلق في حياتك، وإنّ مماتك لمع سراة أصحابك وأشرافهم، إنْ جَزى الله هذا القتيل ـ يعنى حمزة ـ خيرًا، أو جزى أحدًا من أصحاب محمّد خيرًا، فليجزك ثمّ نادى: يا معشرَ قريش، حنظلة لا يمثّل به، وإن كان خالفني وخالفكم؛ فلم يألُ لنفسه فيما يرى خيرًا، فمثِّل بالنَّاس و ترِك حنظلة فلم يمثّل به. وكانت هندُ بنت عُتْبة أوّلَ مَنْ مثَّل بأصحاب النّبيّ ﷺ، وأمرت النِّساء بالمثل، وبجَدْع الأنوف والآذان، فلم تبق امرأة إلّا عليها مِعْضدان[1] ومَسَكتان[2] وخدَمتان[3] إلّا حنظَلة لم يمثّل به، وقال رسولُ الله ﷺ: «إنّي رأيتُ الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السَّماء والأرض بماء المزن في صحاف الفِضَّة»؛ قال أبو أُسَيْد السّاعديّ: فذهبنا فنظرنا إليه، فإذا رأسه يقطُر ماء، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه، فأرسل إلى امرأته فسألها، فأخبرته أنّه خرج وهو جُنُب.

قال الواقديّ: وأقبل وَهْب بن قابوس المُزنيّ، ومعه ابن أخيه الحارث بن عُقْبة بن قابوس بغنم لهما من جَبَل مُزَينة، فوجد المدينة خِلْوًا، فسألا: أين النّاس؟ قالوا: بأحُد، خرج رسول الله ﷺ يقاتل المشركين من قُريش، فقال: لا نبتغي أثرًا بعد عين، فخرجا حتّى أتيا النّبيّ ﷺ بأحُد، فيجدان القوم يقتتلون، والدّولة لرسول الله ﷺ وأصحابه، فأغارا مع المسلمين في النَّهب، وجاءت الخيل من ورائهم، خالد بن الوليد وعِكْرمة بن أبي جهل، فاختلط النّاس، فقاتلا أشدّ القتال، فانفرقت فرقة من المشركين، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ لهذه الفرقة؟ فقال وهْب بن قابوس: أنا يا رسول

---

١ ـ المعضد: الدّملج، وهو حلى يلبس في المعصم.

٢ ـ المسك: الأسورة من القرون والعاج.

٣ ـ الخدمة: الخلخال.

الله، فقام فرماهم بالنَّبْل حتّى انصرفوا، ثمّ رجع فانفرقت فرقة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: مَنْ لهذه الكتيبة؟ فقال المُزنيّ: أنا يا رسول الله، فقام فذبّها بالسَّيف حتّى ولّت، ثمّ رجع فطلعت كتيبة أخرى، فقال النَّبيُّ ﷺ: مَنْ يقوم لهؤلاء؟ فقال المزنيّ: أنا يا رسول الله فقال: قم و أبشِرْ بالجَنّة. فقام المزنيّ مسرورًا يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسَّيف ورسول الله ﷺ ينظر إليه والمسلمون، حتّى خرج من أقصى الكتيبة؛ ورسول الله ﷺ يقول: اللّهمَّ ارحمه، ثمّ يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقُون به، حتّى اشتملت عليه أسيافُهم ورماحهم، فقتلوه فوجد به يومئذ عشرون طعنة بالرِّماح، كلّها قد خلصت إلى مقتلي، ومُثِّل به أقبحَ المثل يومئذ. ثمّ قام ابنُ أخيه، فقاتل كنحو قتاله، حتّى قُتِل، فكان عمر بن الخطّاب يقول: إنّ أحبّ ميتة أموتُ عليها لما مات عليها المزنيّ.

قال الواقديّ: وكان بلال بن الحارث المزنيّ يحدّث يقول: شهدنا القادسيّة مع سعد بن أبي وقّاص، فلمّا فتح الله علينا، وقسمت بيننا غنائمنا، أسقط فتى من آل قابوس من مُزَينة، فجئت سعدًا حين فزع من نومه، فقال بلال! قلت: بلال، قال: مرحبًا بك، مَنْ هذا معك؟ قلت : رجل من قومي، قال: ما أنتَ يا فتًى من المُزنيّ الّذي قُتِل يوم أحُد! قال: ابنُ أخيه. قال سعد: مرحبًا و أهلًا، أنعم الله بك عينًا! لقد شهدتُ من ذلك الرَّجل يوم أحُد مشهدًا ما شهدتُ من أحدٍ قطّ، لقد رأيتُنا وقد أحدق المشركون بنا من كلّ ناحية، ورسول الله ﷺ وسطنا، والكتائب تطلع من كلّ ناحية، وإنّ رسول الله ﷺ يرمي ببصره في النّاس يتوسَّمهم، ويقول: مَنْ لهذه الكتيبة؟ كلّ ذلك يقول المُزَنيّ: أنا يا رسول الله، كلّ ذلك يردّ الكتيبة، فما أنسى آخر مرّة قالها، فقال له رسول الله ﷺ: قم وأبشر بالجنّة، فقام وقمت على أثره، يعلم الله أنّي أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشّهادة، فخضنا حَوْمَتَهم، حتّى رجعنا فيهم الثّانية،

فأصابوه رحمه الله، و وددت والله أنّي كنتُ أصبت يومئذ معه، ولكن أجل[١] استأخر، ثمّ دعا من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله، وقال: اختر في المقام عندنا أو الرُجوع إلى أهلك، فقال بلال: إنّه يستحبّ الرُجوع، فرجع.

فقال الواقديّ: وقال سعد بن أبي وقّاص: أشهدُ لرأيتُ رسول الله ﷺ واقفًا على المُزَنيّ، وهو مقتول، وهو يقول: رضي الله عنك، فإنّي عنك راض؛ ثمّ رأيتُ رسول الله ﷺ قام على قدميه، وقد ناله عليه السلام من ألم الجراح ما ناله، وإنّي لأعلم أنّ القيام يشقّ عليه على قبره، حتّى وضع في لحده وعليه بُردة، لها أعلام حُمْر، فمدّ رسول الله ﷺ البردة على رأسه، فخمرّه وأدرجه فيها طولًا، فبلغت نصف ساقيه، فأمرنا فجمعنا الحرْمل، فجعلناه على رجليه وهو في لحدِه ثمّ انصرف فما حال أحبّ إليّ من أن أموت عليها و ألقى الله عليها من حال المزَنيّ.

قال الواقديّ: وكان رسول الله ﷺ يوم أحُد قد خاصم إليه يتيم من الأنصار أبا لبابة بن عبد المنذر في عِذْقٍ بينهما، فقضى. رسول الله ﷺ لأبي لُبابة، فجزع اليتيم على العِذْق، فطلب رسول الله ﷺ العِذْق إلى أبي لُبابة لليتيم، فأبى أن يدفعه إليه، فجعل رسول الله ﷺ يقول لأبي لبابة: ادفعه إليه ولك عِذْقٌ في الجنّة، فأبى أبو لبابة، وقال ثابت[٢] بن أبي الدّحداحة: يا رسول الله، أرأيت إن أعطيتُ اليتيمَ عِذْقه من مالي! قال: لك به عِذْق في الجنّة، فذهب ثابت بن الدَّحداحة، فاشترى من أبي لبابة ذلك العِذْق بحديقة نخل، ثمّ ردّ العِذْق إلى الغلام، فقال رسول الله ﷺ: «ربَّ عذق مذلّل[٣] لابن الدَّحداحة في الجنّة»، فكانت ترجى له الشَّهادة بذلك القول، فقتل يوم أُحُد.

---

١ ـ الواقديّ: «أجلي استأخر».

٢ ـ كذا في الاستيعاب١: ٢٠٣.

٣ ـ العذق بالفتح: النَخلة. و بالكسر: العرجون بما فيه من الشَماريخ، وقد ورد في هذا الحديث في اللّسان «عذق».

قال الواقديّ: ويقبل ضرار بن الخطّاب فارسًا يجرّ قناةً له طويلة، فيطعم عمرو بن معاذ، فأنفذه ويمشي عمرو إليه حتّى غُلب، فوقع لوجهه، قال: يقول ضرار: لا تعدمنّ رجلًا زوّجك من الحور العين، وكان يقول: زوّجت يوم أحُد عشرة من أصحاب محمّد الحور العِين.

قال الواقديّ: فسألت شيوخَ الحديث: هل قتل عشرة؟ قالوا: ما بلغنا أنّه قتل إلّا ثلاثة، ولقد ضرب يومئذ عمر بن الخطّاب حين جال المسلمون تلك الجولة بالقناة، وقال يا بن الخطّاب، إنّها نعمة مشكورة، ما كنت لأقتلك.

قال الواقديّ: وكان ضرار يحدّث بعد، ويذكر وقعة أحُد، ويذكر الأنصار فيترحّم عليهم، ويذكر غَناءهم في الإسلام، وشجاعتهم وإقدامهم على الموت، ثمّ يقول: لقد قتل أشرافُ قومي ببدر، فأقول: مَنْ قتل أبا الحكم؟ فيقال[1]: ابن عفراء. من قتل أميّة ابن خلف؟ فيقال: خُبيب بن يساف. من قتل عُقبة بن أبي معيط؟ فيقال: عاصم بن ثابت. من قتل فلان بن فلان؟ فيسمّى لي من الأنصار، من أسرَ سهيل بن عمرو؟ فيقال: مالك بن الدخشم. فلمّا خرجنا إلى أحُد، وأنا أقول: إن قاموا في صياصيهم فهي منيعة لا سبيل لنا إليهم نقيم أيّامًا ثمّ ننصرف، وإن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم، فإنّ معنا عددًا أكثر من عددهم، ونحن قوم موتورون، خرجنا بالظُّعن يذكّرننا قتلى بدر، ومعنا كُراع ولا كُراع معهم، وسلاحنا أكثر من سلاحهم، فقُضيَ لهم أن خرجوا، فالتقينا، فو الله ما قمنا لهم حتّى هزمنا وانكشفنا مولّين، فقلت في نفسي: هذه أشدّ من وقعة بدر، وجعلت أقول لخالد بن الوليد: كرّ على القوم، فيقول: و ترى وجهًا نكرّ فيه! حتّى نظرت إلى الجبل الّذي كان عليه الرّماة خاليًا، فقلت: يا أبا سليمان، انظر وراءك، فعطف عنان فرسه، و كرّ نا معه، فانتهينا إلى الجبل، فلم نجد عليه أحدًا له بال، وجدنا نُفَيْرًا فأصبناهم، ثمّ دخلنا العسكر، والقوم

---

١ ـ الواقديّ: «فقال».

غارُون ينتهبون عسكرنا، فأقحمنا الخيل عليهم، فتطايروا في كلّ وجه، و وضعنا السُيوف فيهم حيث شئنا، وجعلت أطلب الأكابر من الأوس والخزرج قتلة الأحبّة، فلا أرى أحدًا، هربوا فما كان حلب ناقة حتّى تداعت الأنصار بينها، فأقبلت فخالطونا ونحن فرسان، فصبرنا لهم، وصبروا لنا، وبذلوا أنفسهم حتّى عَقَرُوا فرسي، و ترجلت فقتلت منهم عشرة، ولقيت مِن رَجُل منهمُ الموت النّاقع، حتّى وجدت ريح الدّم، وهو معانقي ما يفارقني، حتّى أخذته الرِّماح من كلّ ناحية، فوقع. فالحمد لله الّذي أكرمهم بيدي، ولم يهنّي بأيديهم.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ يوم أُحُد: مَنْ له علم بذكوان بن عبد قيس؟ فقال عليّ عليه السلام: أنا رأيت يا رسول الله فارسًا يركُض في أثره حتّى لحقه، وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ! فحمل عليه فرسه وذكوان راجل، فضربه وهو يقول: خذها وأنا ابن علاج! فقتله، فأهويت إلى الفارس، فضربت رجله بالسَّيف، حتّى قطعتها من نصف الفخِذ، ثمّ طرحته عن فرسه فذفّفت عليه، وإذا هو أبو الحكم بن أخنس بن شريق بن علاج بن عمرو بن وهب الثَّقفيّ.

قال الواقديّ: وقال عليّ عليه السلام: لما كان يوم أُحُد و جال النَّاس تلك الجَوْلة: أقبل أميّة ابن أبي حذيفة بن المغيرة، وهو دارع مقنّع في الحديد ما يرى منه إلّا عيناه، وهو يقول: يوم بيوم بدر! فيعرض له رجل من المسلمين، فقتله أميّة، قال عليّ عليه السلام: و أصمِد له، فأضربه بالسّيف على هامّتِه، وعليه بيضة، وتحت البيضة مِغْفر، فنبا سيفي، وكنت رجلًا قصيرًا، ويضربني بسيفه، فأتّقي بالدّرقة، فلحج سيفه، فأضربه، وكان درعه مشمّرة، فأقطع رجليه، فوقع وجعل يعالج سيفه، حتّى خلّصه من الدّرقة، وجعل يناوشني وهو بارك حتّى نظرت إلى فَتْق تحت إبطه فأُحُسّ فيه بالسَّيف، فمال فمات، وانصرفت.

قال الواقديّ: وفي يوم أُحد انتمى رسولُ الله ﷺ، فقال: «أنا ابن العواتك»، وقال أيضًا:

أنـا النّـبيّ لاكـذبْ أنا ابن عبدالمطّلبْ

قال الواقديّ: بينا عمربن الخطّاب يومئذ في رهطٍ من المسلمين قعود، مرّبهم أنس ابن النَّضربن ضمضم عمّ أنس بن مالك، فقال: ما يقعدكم؟ قالوا: قُتِل رسول الله ﷺ، قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثمّ قام، فجالد بسيفه حتّىٰ قُتِل، فقال عمربن الخطّاب: إنّي لأرجو أن يبعثه الله أُمّةً وحده يوم القيامة، وُجِد به سبعون ضربةً في وجهه ما عرف حتّى عرفته أُخته.

قال الواقديّ: وقالوا: إنّ مالك بن الدُّخشم مرّعلى خارجة بن زيد بن زهيريومئذ وهو قاعد، وفي حُشْوَته[1] ثلاثة عشرجرحًا كلّها قد خلصت إلى مقتل، فقال له مالك: أما علمتَ أنّ محمّدًا قد قتل! قال خارجة: فإنّ كان محمّد قد قتِل، فإنّ الله حيٌّ لا يُقتل ولايموت؟ وإنّ محمّدًا قد بلّغ رسالة ربّه، فاذهب أنت فقاتل عن دينك.

قال: و مرّمالك بن الدخشم أيضًا على سَعْد بن الرَّبيع، وبه اثنا عشرجرحًا كلّها قد خلصت إلى مقتل، فقال أعلمت أنّ محمّدًا قد قتل! فقال سعد: أشهد أنّ محمّدًا قد بلّغ رسالة ربّه، فقاتِلْ أنت عن دينك، فإنّ الله حيٌّ لا يموت.

قال محمّد بن إسحاق: وحدّثني محمّد بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي صَعْصعة المازني، أخو بني النّجّار، قال: قال رسول الله ﷺ يومئذ: مَنْ رجلٌ ينظرما فعل سعد ابن الرَّبيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظريا رسول الله ما فعل، فنظرفوجده جريحًا في القَتْلى، وبه رَمَق فقال له: إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظرفي الأحياء أنت أم في الأموات، قال: أنا في الأموات، فأبلِغْ رسول الله ﷺ منّي السّلام، وقل له: إنّ سعد بن الرّبيع يقول: جزاك الله خيرًا عنّا ما جزى نبيًّا عن أمّته وأبلغ قومَك السَّلام عنى، وقل لهم: إنّ سعد بن الرَّبيع يقول لكم: لا عذرَلكم عند الله أن يخلُص إلى نبيّكم ومنكم عين تطرُف، قال: فلم أبرح عنده حتّى مات، ثمّ

---

١ ـ حشوة البطن: أمعاؤه.

جئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: اللّهمّ ارضَ عن سعد بن الرَبيع.

قال الواقديّ: وحدّثني عبد الله بن عمّار، عن الحارث بن الفُضَيل الخطميّ، قال: أقبل ثابت بن الدّحداحة يومئذ والمسلمون أوزاع، قد سقط في أيديهم، فجعل يصيح: يا معشرَ الأنصار، إلَيّ إلَيّ أنا ثابت بن الدَحداحة! إن كان محمّد قد قُتِل، فإنّ الله حيّ لا يموت! قاتلوا عن دينكم، فإنّ الله مظهركم وناصركم؛ فنهض إليه نفر من الأنصار، فجعل يحمل بمَنْ معه من المسلمين، وقد وقفت لهم كتيبة خَشْناء[1] فيها رؤساؤهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطّاب، وجعلوا يناوشونهم، ثمّ حمل عليه خالد بن الوليد بالرّمح فطعنه، فأنفذه فوقع ميتًا، وقتل مَنْ كان معه من الأنصار، فيقال: إنّ هؤلاء آخر من قتل من المسلمين في ذلك اليوم. وقال عبد الله بن الزِبَعْرَى يذكر يوم أحُد:

ألا ذرفتْ من مُقْلتَيْك دُمُوعُ ... وقد بان في حبل الشَّبَاب قطوعُ[2]

وشطّ بمَنْ تهوَى المزارُ وفَرّقتْ ... نوى الحيّ دارٌ بالحبيب فَجُوعُ

وليس لما ولّى على ذي صَبَابة[3] ... وإن طال تَذرافُ الدُّموع رجوعُ

فدعْ ذا ولكن هلْ أتى أمَّ مالكٍ ... أحاديثُ قومي والحديث يشيعُ!

ومُجْنبنا جُرْدًا إلى أهل يثربٍ ... عَنَاجيج فيها ضامرٌ وبديعُ[4]

---

١ ـ كتيبة خشناء: كثيرة السّلاح.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٣: ١٠٤.١٠٦، وفيه: «بالدّمن حبل الشّباب».

٣ ـ ابن هشام: «على ذي حرارة».

٤ ـ جنبت الفرس، إذا قدمتها ولم تركبها. والجرد: جمع أجرد، وهو العتيق من الخيل. والعناجيج: الطّوال الحسان، واحدها عنجوج. وانظر ابن هشام.

عشيّة سِرْنا من كَدَاء يقودُها ضَرورُ الأعادي للصَّديق نَفوع[١]
يشدّ علينا كلّ زحف كأنّها غَديرٌ نضوح الجانبين نقيعُ[٢]
فلمّا رأونا خالطتهم مهابةٌ وخامرهم رعبٌ هناك فظيعُ
فودّوا لو أنّ الأرض ينشقّ ظهرُها بهم، وصَبورُ القوم ثمّ جَزُوع
وقد عرِيتْ بيضٌ كأنّ وميضَها حريقٌ وشيكٌ في الأباء سريع[٣]
بأيماننا نعلُو بها كلّ هامةٍ وفيها سمام للعدوّ ذريعُ
فغادرن قتلَى الأوس عاصبة بهمْ ضباعٌ وطير فوقهنّ وقوعُ
ومرّ بنو النّجّار في كلّ تلْعةٍ بأثوابهم من وقعهنّ نجيعُ
ولولا علوّ الشّعب غَادَرْن أحمدًا ولكن علا و السّمهريّ شَرُوع[٤]
كما غَادَرَتْ في الكَرّ حمزة ثَاويًا وفي صدرِه ماضي السّنَان وقيعُ[٥]

وقال ابن الزّبعرَى أيضًا من قصيدة مشهورة، وهي:

يا غرابَ البين أسمعتَ فَقُلْ إنّما تندب أمرًا قد فعلْ[٦]

---

١ ـ ابن هشام: «سرنا في لهام».
٢ ـ النّقيع: الماء البارد العذب.
٣ ـ الوميض: الضوء. والأباء: جمع أباءة، وهي أجمة القصب.
٤ ـ الشّعب: الطّريق في الجبل. والسمهريّ: الرّمح، وشروع. مائل إلى الطّعن.
٥ ـ شباة كلّ شيء: حده. ووقيع: محدد.
٦ ـ سيرة ابن هشام٣: ٩٦ ـ ٩٨، وروايته.

إنّ للخيـــر وللشـــرّ مـــدًى ... وســـواء قبـــر مُثـــرٍ ومُقـــلّ[١]

كـــلّ خيـــر ونعـــيم زائـــلُ ... وبنـــات الـــدّهر يلعـــبن بكـــلّ

أبلغـــا حسّـــانَ عـــنّى آيـــةً ... فقريض الشِّـعر يشـفِي ذا الغُلـلْ

كـم تـرى بالجَسْـر مـن جُمْجمـة ... وأكُفًّـــا قـــد أتِـــرَّت ورِجـــلْ[٢]

وســـرابيلَ حســـانِ شُـــقّقَتْ ... عـن كُمَـاةٍ غُـودِرُوا في المنتـزَل[٣]

كـمْ قتلْنـا مـنْ كـريمٍ سـيّدٍ ... ماجـدِ الجـدّين مقـدامٍ بَطَـلْ

صـادق النَّجْـدةِ قَـرْم بـارعٍ ... غيـر ملْطَـاطٍ لـدى وقـع الأسَـلْ[٤]

فسـل المِهْـراسَ مَـنْ سـاكنُه؟ ... مـن كـراديس وهـامٍ كالحجَـلْ[٥]

ليـت أشـياخي ببـدرٍ شـهدُوا ... جَـزَع الخـزرج مـن وقـع الأسَـلْ

حـين حطّـت بِقُبـاءٍ بَرْكَهَـا ... واستحرّ القتل في عبد الأشَلّ[٦]

إنَّمَا تَنْطِق شيئًا قَدْ فُعِلْ

١ـ ابن هشام: *وَكِلَا ذلكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ*

٢ ـ ابن هشام: «بالجرَ»، أى الجبل. وأترت: قطعت.

٣ ـ المتنزَل: موضع النزال.

٤ ـ رواية ابن هشام: *غَيْر مِلْتَاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ*

٥ ـ المهراس: ماء بجبل أحد، والكراديس جمع كردوسة، وهي جماعة الخيل. والحجل: طائر في حجم الحمام، ورواية ابن هشام: *بيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كالحَجَلْ*

٦ ـ البرك: الصَدر. واستحرّ القتل: اشتدّ، وعبد الأشل، أراد عبد الأشهل، فحذف الهاء.

ثم خفُّوا عِنْدَ ذاكُمْ رُقَّصًا رَقَص الحفّان تَعْدُو في الجَبل[١]

فقتَلْنَا النّصف من سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا ميْل بدرٍ فاعْتدلْ

لا ألُوم النَّفْس إلّا أنّنا لَوْ كَرَرْنَا لفَعَلْنا المفْتَعَلْ

بسيوفِ الهند تَعْلُو هامَهُمْ تبرد الغَيْظَ وَيَشْفِين الغُلل[٢]

قلت: كثيرٌ من النّاس يعتقدون أنّ هذا البيت ليزيد بن معاوية، وهو قوله: «ليت أشياخي»، وقال مَنْ أكره التّصريح باسمه: هذا البيت ليزيد، فقلت: له إنّما قاله يزيدُ متمثّلًا لمّا حُمِل إليه رأس الحسين عليه السلام، وهو لابن الزّبعرَى، فلم تسكن نفسه إلى ذلك، حتّى أوضحته له، فقلت ألا تراه يقول: «جزع الخزرج من وقع الأسَل»، والحسين عليه السلام لم تحارب عنه الخزرج، وكان يليق أن يقول:«جزع بني هاشم من وقع الأسل»، فقال بعض من كان حاضرًا: لعلّه قاله في يوم الحرّة! فقلت: المنقول أنّه أنشدَه لمّا حمل إليه رأس الحسين عليه السلام؛ والمنقول أنّه شعر ابن الزِّبعرَى، ولا يجوز أن يترك المنقول إلى ما ليس بمنقول.

وعلى ذكر هذا الشِّعْر فإنّي حضرت وأنا غلام بالنِّظَاميّة ببغداد في بيت عبد القادر بن داود الواسطي المعروف بالمحبّ، خازن دار الكتب بها وعنده في البيت باتكين الرُّومي الّذي ولي أربل أخيرًا وعنده أيضًا جعفر بن مكّي الحاجب، فجرى ذكر يوم أحُد وشعرُ ابن الزَّبعرَى هذا وغيره، وأنّ المسلمين اعتصموا بالجبل، فأصْعَدوا فيه، وإنّ اللَّيل حال أيضًا بين المشركين وبينهم، فانشد ابن مكّي بيتين لأبي تمام متمثّلًا.

---

١ ـ الرّقص: ضرب من المشي السّريع. والحفان: صغار النّعام.

٢ ـ رواية ابن هشام: *عَلَلًا تَعْلُوهُمُ بَعْدَ نَهَلْ*

لو لَا الظَّلام وقُلَّةُ عَلقُوا بها باتتْ رِقابهمُ بغيرِ قِلالِ[١]

فليشكروا جُنْحَ الظَّلام وذِرْوَدًا فهمُ لذِرْوَدَ والظَّلامُ مُوالِي[٢]

فقال باتكين: لا تقل هذا؛ ولكن قل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] وكان باتكين مسلمًا، وكان جعفر سامحه الله مغمومًا عليه في دينه.

(١٤ : ٢١٣ ـ ٢٨١)

---

١ ـ ديوانه٣: ١٣٩، من قصيدة يمدح فيها المعتصم، ويذكر فتح الحرمية. وقلّة الجبل: أعلاه، وجمعه قلل و قلال.

٢ ـ ذرود بكسر أوّله وسكون ثانية وفتح الواو و آخر دال مهملة: اسم جبل.

٣ ـ آل عمران/١٥٢.

القول في أسماء الّذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله ﷺ وما أصابوه به في المعركة يوم الحرب

قال الواقديّ: تعاقد من قريش على قتل رسول الله ﷺ عبدُ الله بن شهاب الزُّهريّ وابنُ قَمِيئة[١] أحدُ بني الحارث بن فِهر، وعُتْبة بن أبي وقّاص الزُّهريّ، وأُبَيّ بن خلَف الجُمَحِيّ. فلمّا أتى خالدُ بن الوليد من وراء المسلمين، واختلطت الصّفوف، ووضع المشركون السَّيفَ في المسلمين، رمى عُتْبة بن أبي وقّاص رسول الله ﷺ بأربعة أحجار، فكسر رباعيتَه، وشجّه في وجهه حتّى غاب حَلَق المِغْفر في وجنتَيه[٢]، وأدمى شفتيْه[٣].

قال الواقديّ: وقد رُوِيَ أنّ عتبة أشْظَى[٤] باطنَ رباعيّته السّفلى.

قال: و الثَّبَت عندنا أنّ الّذي رمى وجنَتيْ رسول الله ﷺ ابنُ قَمِيئة والّذي رمى شفته وأصاب رَباعيّته عُتبة بن أبي وقّاص.

قال الواقديّ: أقبَل ابنُ قَمِيئة يومئذ وهو يقول: دُلّوني على محمّد، فوالّذي يُحلَف به، لئن رأيتُه لأقتلنّه، فوصل إلى رسول الله ﷺ فعَلاه بالسَّيف ورماه عتبةُ بن أبي وقّاص في الحال الّتي جَلّله ابنُ قَمِيئة فيها السَّيفَ، وكان ﷺ فارسًا، وهو لابسُ دِرْعين مُثقَل بهما، فوقع رسولُ الله ﷺ عن الفَرَس في حُفرة كانت أمامه.

قال الواقديّ: أصيبَ ركبتاه، جُحِشتَا[١] لمّا وَقَع في تلك الحفرة، وكانت هناك حُفَر

---

١ ـ قَمِيئة؛ كسفينة، وهو عمرو بن قميئة، ذكره صاحب تاج العروس، وقال: «شاعر؛ وهو الّذي كسر رباعيّة النّبيّ ﷺ يوم أحد».

٢ ـ كذا في ا، وهو الوجه والّذي في ب «وجنته»؛ تحريف.

٣ ـ مغازي الواقديّ صفحة: ٢٤٦، وما بعدها.

٤ ـ أشظى رباعيته: كسرها.

حفَرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين، وكان رسولُ الله ﷺ واقفًا على بعضها وهو لا يَشعُر[٢]، فجُحِشت رُكْبتاه، ولم يصنع سيفُ ابنُ قَمِيئة شيئًا إلّا وهزّ[٣] الضَّربة بثِقل السّيف، فقد وقع رسولُ الله ﷺ، ثمّ انتَهض وطلحةُ يَحمِله من ورائه، وعليّ عليه السلام آخِذٌ بيديه حتّى استوى قائمًا.

قال الواقديّ: فحدّثني الضّحّاك بنُ عثمانَ عن حمزةَ بنِ سعيد، عن أبي بشر المازنيّ، قال: حضرتُ يومَ أُحُد وأنا غلام فرأيت ابنَ قَمِيئة عَلَا رسول الله ﷺ بالسّيف، ورأيتُ رسول الله ﷺ وَقَع على ركبتيه في حفرةٍ أمامَه حتّى توارى في الحفرة، فجعلت أصيح وأنا غلام حتّى رأيتُ النّاس ثابُوا إليه. قال: فأنظُر إلى طلحةَ بن عُبيدالله آخِذا بحضْنِه حتّى قام.

قال الواقديّ: ويقال: إنّ الّذي شَجَّ رسول الله ﷺ في جبهته ابنُ شِهاب، والّذي أَشظَى رَباعيَّتَه و أدمَى شفَتَيْه عتبةُ بنُ أبي وَقّاص، والّذِي أدمَى وَجنَتَيْه حتّى غاب الحَلَق فيهما ابنُ قمِيئة، وإنّه سال الدّمُ من الشّجّة الّتي في جَبهته حتّى أخضلَ لحيتَه. وكان سالمٌ مولى أبي حذيفة يَغسل الدَّم عن وجهه و رسولُ الله ﷺ، يقول: كيف يُفلح قومٌ فعلوا هذا بنبيّهم، وهو يدعوهم إلى الله تعالى! فأنزَل الله تعالى قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ...﴾[٤] الآية.

قال الواقديّ: ورَوَى سعدُ بن أبي وَقّاص قال[٥]: قال رسولُ الله ﷺ يومئذ: اشتَدّ غضب اللهِ على قومٍ دَمّوْا فَاه رسولُ الله ﷺ، اشتدّ غَضبُ الله على قوم دَمّوا وجهَ

---

١ ـ الجحش: الخدش، أو فوقه.

٢ ـ الواقديّ: «ولا يشعر به».

٣ ـ كذا في الواقديّ. ويقال: وهزّه، أى ضربه بثقل يده، وفي الأصول: «وهن» تحريف.

٤ ـ آل عمران/١٢٨.

٥ ـ الواقديّ: «سمعته يقول: اشتدّ...».

رسول الله، اشتدّ غضبُ الله على رجل قَتَلَه رسولُ الله ﷺ.

قال سعد: فلقد شفاني من عتبةَ أخي دعاءُ رسول الله ﷺ، ولقد حَرَصتُ عَلَى قتلِه حِرْصًا ما حَرَصتُ على شيء قطّ، وإن كان ما علمتُ لعاقًّا بالوالد، سيّئ الخُلُق، ولقد تخرّقتُ صفوفَ المشركين مرّتين أطلبُ أخي لأقتُلَه، ولكنّه راغَ منّي رَوَغانَ الثَّعلب، فلمّا كان الثالثة قال رسولُ الله ﷺ: يا عبدَ الله ما تريد؟ أتريد أن تقتُل نفسَك؟ فكففتُ. فقال رسولُ الله ﷺ: اللّهمّ لا تَحولنّ الحَوْلَ عَلَى أحدٍ منهم.

قال سعد: فوالله ما حالَ الحَوْلُ عَلَى أحدٍ ممّن رَماه أو جرحه. مات عُتبة، وأمّا ابنُ قَمِيئة فاختُلِف فيه: [فقائل يقول: قتل في المَعرَك و][1] قائل [يقول]: إنّه رمى بسَهْم في ذلك اليوم فأصاب مصعبَ بن عُمَيْر فقتله، فقال: خُذْها وأنا ابنُ قَمِيئة، فقال رسولُ الله ﷺ: أقماه الله، فعَمَد إلى شاة يحتلِبها فتنطحه بقَرْنها وهو معتلِفها[2] فقتلتْه، فوُجِد ميّتًا بين الجبال لدعوةِ رسول الله ﷺ، وكان عدوّ الله رجع إلى أصحابه فأخبرَهم أنّه قَتَل محمّدًا.

قال: وابن قميئة رجل من بني الأدرَم من بني فِهْر.

وزاد البلاذُريّ: في الجماعة الّتي تعاهدتْ وتعاقدتْ عَلَى قتل رسول الله ﷺ يوم أُحُد عبدَ الله بنَ حُميد بنِ زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ[3].

قال: وابن شهاب الّذي شَجَّ رسول الله ﷺ في جَبْهته هو عبدُ الله ابن شهاب الزُّهْري، جدُّ الفقيه المحدّث محمّد بن مسلم بنِ عبيد الله بنِ عبد الله بن شهاب[4]، وكان ابنُ قَمِيئةَ أدْرَم ناقصَ الذَّقَن، ولم يذكر اسمه ولا ذكره الواقديّ أيضًا.

---

١ ـ من الواقديّ. والمعرك والمعترك: موضع القتال.

٢ ـ كذا في ا وهو الصّواب، والّذي في ب «معتقلها»، تصحيف.

٣ ـ أنساب الأشراف ١: ٣١٩.

٤ ـ أنساب الأشراف ١: ٣١٩.

قلتُ: سألت النَّقيبَ أبا جعفر عن اسمه فقال: عمرو، فقلتُ له: أ هو عَمرو بنُ قميئة الشّاعر؟ قال: لا هو غيرُه. فقلت له: ما بالُ بني زُهرة في هذا اليوم فعلوا الأفاعيل برسول الله ﷺ وهم أخوالُه، ابنُ شهاب وعتبةُ بنُ أبي وقّاص! فقال: يابنَ أخي، حرَّكهم أبو سفيانَ وهاجَهُم على الشرّ لأنّهم رجعوا يومَ بدر من الطَّريق إلى مكّة فلم يَشهَدوها، فاعترض عِيرَهم ومنعَهم عنها، وأغرَى بها سفهاءَ أهلِ مكّة، فعيَّروهم برُجوعهم، ونسبوهم إلى الجُبْن وإلى الإذهان في أمرِ محمّد ﷺ، واتّفق أنّه كان فيهم مثل هذين الرّجلين، فوقع منهما يومَ أحُد ما وقع.

قال البَلاذُريّ: مات عتبة يوم أحُد من وجعٍ أليمٍ أصابه، فتَعذَّب به، وأصيب ابنُ قميئة في المعركة، وقيلَ: نطحتْه عَنْزٌ فمات.

قال: ولم يذكر الواقديّ ابنَ شهاب كيف مات، وأحسب ذلك بالوَهْم منه.

قال: وحدّثني بعضُ قريش أنّ أفعَى نهشتْ عبد الله بنَ شهاب في طريقه إلى مكّة، فمات.

قال: وسألتُ بعضُ بني زُهرة عن خبره، فأنكَروا أن يكون رسولُ الله ﷺ دعا عليه، أو يكون شَجَّ رسول الله ﷺ.

وقالوا: إنّ الّذي شجّه في وجهه عبد الله بنَ حُمَيد الأسَديّ[1]. فأمّا عبدُ الله بن حُميد الفِهْريّ، فإنّ الواقديّ وإن لم يذكرْه في الجماعة الّذين تَعاقَدوا عَلَى قتلِ رسول الله ﷺ إلّا أنّه قد ذَكَرَ كيفيّة قتلِه.

قال الواقديّ: ويُقبِل عبدُ الله بن حُميد بن زهير حين رأى رسول الله ﷺ على تلك الحال ـ يعني سقوطَه من ضربةِ ابن قميئة ـ يركض فرسه مقنَّعًا في الحديد يقول: أنا ابن زهير، دُلُّوني على محمّد، فواللهِ لأقتلنّه أو لأموتَنّ دونه! فتعرّض[2] له أبو دُجانَة

---

١ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٢٤.

٢ ـ ١ والواقديّ: «ليعرض».

فقال: هلُمّ إلى مَنْ يَقِي نفس محمّد ﷺ بنفسِه، فضرب فرسه فعرْقَبها، فاكتَسعتْ، ثمّ علاه بالسّيف وهو يقول: خذها وأنا ابن خَرَشة، حتّى قتلَه، ورسولُ الله ﷺ ينظُر إليه ويقول: اللّهمّ ارضَ عن ابن خَرَشة كما أنا عنه راضٍ.

هذه رواية الواقديّ، وبها قال البَلاذُريّ: إنّ عبد الله بنَ حُميد قتَلَه أبو دُجانة[1].

فأمّا محمّد بنُ إسحاق فقال: إنّ الّذي قَتَل عبدَ الله بن حُميد عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام[2]. وبه قالت الشّيعة.

وروى الواقديّ والبَلاذُريّ: أنّ قومًا قالوا: إنّ عبدَ الله بن حُميد هذا قُتِل يومَ بدر. فالأوّل الصّحيح أنّه قُتِل يوم أُحُد. وقد رَوَى كثيرٌ من المحدّثين أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام حين سَقَط ثمّ أُقِيم: اكفِني هؤلاء ـ لجماعَة قصدتْ نحوَه ـ فحَمَل عليهم فهزَمَهم، وقَتل منهم عبدَ الله بن حميد من بني أَسَد بن عبد العُزّى، ثمّ حملتْ عليه طائفةٌ أخرى، فقال له: اكفِني هؤلاء، فحَمَل عليهم فانهَزَمُوا من بين يديه، وقَتَل منهم أميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزوميّ. قال: فأمّا أبيّ بن خلف فروَى الواقديّ أنّه أقبَل يركُض فرسَه؛ حتّى إذا دنا من رسول الله ﷺ، اعترضَ له ناس من أصحابه ليَقْتلوه، فقال لهم: استأخِروا عنه. ثمّ قام إليه وحرْبَتُه في يده، فرماه بها بين سابغَة البَيْضة والدِّرْع[3]، فطعنه هناك فوقَع عن فرسه، فانكَسر ضِلع من أضلاعه، واحتمله قومٌ من المشركين ثقيلًا[4] حتّى ولّوْا قافِلين، فمات في الطّريق، وقال: وفيه أنزلَتْ:

---

١ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٢٤.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٨٢.

٣ ـ الدّرع السّابغة: الّتي تجرّها في الأرض وعلى كعبيك طولاً وسعةً، وتسبغة البيضة: ما توصل به البيضة من حلق الدّروع فتستر العنق.

٤ ـ ثقيلاً: مشرفًا على الموت.

﴿وَمَارَمَيتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[١]،قال: يعنى قَذفه إيّاه بالحَرْبة.

قال الواقديّ: وحدّثني يونسُ بن محمّد الظَّفَريّ، عن عاصم بن عمر، عن عبد الله ابنِ كعب بن مالك، عن أبيه، قال: كان أُبَيُّ بن خَلَفٍ قدم في فداء ابنِه، وكان أُسِر يومَ بَدْر، فقال: يا محمّد، إنّ عندي فرسًا لي أعِلفها فَرَقًا[٢] من ذرَة كلّ يوم لأقتلك عليها. فقال رسولُ الله ﷺ: بل أنا أقتلكُ عليها إن شاء الله تعالى. ويقال: إنّ أُبَيًّا إنّما قال ذلك بمكّة، فَبلغ رسول الله ﷺ بالمدينة كلمتُه فقال: بل أنا أقتُلُه عليها إن شاء الله.

قال: وكان رسول الله ﷺ في القتال لا يَلتفِت وراءَه، فكان يومَ أُحُد يقول لأصحابه: إنّي أخشَى أن يأتيَ أُبَيُّ بن خلَف من خَلْفي، فإذا رأيتموه فآذِنوني،وإذا بأبيّ يَركُضُ على فرسه، وقد رأى رسول الله ﷺ فعَرَفه، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا محمّد لا نجوتُ إن نَجَوْتَ! فقال القوم: يا رسول الله ما كنتَ صانعًا حين يغشاك أُبَيّ؟ فاصنع، فقد جاءك، وإن شئت عطف عليه بعضنا، فأَبَى رسول الله ﷺ، ودَنا أُبَيّ، فتناول رسولُ الله ﷺ الحَرْبة من الحارث بن الصِّمَّة، ثمّ انتَفَض كما ينتفض البعير. قال: فتطَايَرْنا عنه تطايُر الشَّعارِير[٣]، ولم يكن أحدٌ يُشبِهُ رسول الله ﷺ إذا جَدّ الجدّ، ثمّ طعنه بالحَرْبة في عُنقِه وهو على فرسه لم يَسقط، إلّا أنّه خارَ كما يخور الثَّوْر، فقال له أصحابه: أبا عامر، والله ما بك بأسٌ، ولو كان هذا الّذي بك بعينِ أحدِنا ما ضَرّه. قال: واللّات والعُزّى، لو كان الّذي بي بأهل ذي المجاز لماتُوا كلُّهم أجمعون، أليس قال: لأقتلنّه ! فاحتملوه، وشَغَلهم ذلك عن طلب رسول الله ﷺ حتّى التَحَق[٤] بعظم

---

١ ـ الأنفال/ ١٧.

٢ ـ الفرق، بسكون الرّاء وبفتحها: مكيال ضخم لأهل المدينة معروف.

٣ ـ الشّعارير: الذّباب.

٤ ـ ا و الواقديّ: «لحق».

أصحابه في الشِّعب.

قال الواقديّ: ويقال: إنّه تناول الحربةَ من الزُّبير بن العوّام. قال: ويقال إنّه لمّا تناول الحربةَ من الزُّبير حمل أبيٌّ على رسول الله ﷺ ليضربه بالسَّيف، فاستقبله مصعبُ بنُ عُمَير حائلًا بنفسه بينهما، وإنّ مصعبًا ضَرَب بالسَّيف أبيًّا في وجهه، وأبصر رسول الله ﷺ فرجةً من بين سابغة البَيْضة والدّرْع، فطعنه هناك، فوقع وهو يخُور.

قال الواقديّ: وكان عبدُ الله بن عمر يقول: مات أبيُّ بنُ خَلَف، ببطن رابغ[1] منصرَفهم إلى مكّة. قال: فإنّي لأسِيرُ ببَطْن رابغ بعد ذلك، وقد مضى هُوِيٌّ من اللّيل إذا نارٌ تأجَّجُ، فهِبْتُها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبُها يصيح: العَطَش، وإذا رجل: يقول: لا تَسقِه، فإن هذا قتيلُ رسول الله ﷺ، هذا أبيُّ بنُ خَلَف، فقلتُ: ألا سُحْقًا! ويقال: إنّه مات بسرِف[2]. (١٥: ٣ ـ ٩)

القول في الملائكة نزلت بأحُد و قاتلت أم لا؟

قال الواقديّ: حدّثني الزُّبيرُ بن سعيد، عن عبدِ الله بن الفَضْل، قال: أعطى رسول الله ﷺ مصعبَ بن عمير اللّواء فقتل، فأخذَه ملَك في صورة مُصعبٍ فَجَعل رسول الله ﷺ يقول له في آخر النَّهار: تقدّم يا مصعب، فالتَفَت إليه الملَك، فقال: لستُ بمصعبٍ، فعرف رسول الله ﷺ أنّه ملَكٌ أُيِّد به.

قال الواقديّ: سمعتُ أبا معشر يقول مِثلَ ذلك. قال: و حدّثتني عبيدةُ بنتُ نائل، عن عائشةَ بنت سعد بن أبي وقّاص، عنه، قال: لقد رأيتُني أرمَى بالسّهم يومئذ،

---

١ ـ بطن رابغ: واد من دون الجحفة، قال الواقديّ: هو على عشرة أميال من مكّة. ياقوت.

٢ ـ سرف، ككتف: موضع على سبعة أميال من مكّة، تزوّج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهناك بني بها؛ وهناك توفّيت ـ ياقوت.

فيردّه عنى رجلٌ أبيضُ حسن الوجه لا أعرِفه، حتّى كان بعد، فظننتُ أنّه ملَك.

قال الواقديّ: وحدّثني ابراهيم بنُ سَعْد، عن أبيه؛ عن جدّه سعدِ بن أبي وقّاص، قال: رأيتُ ذلك اليومَ رَجُلين عليهما ثيابٌ بيض؛ أحدُهما عن يمين رسول الله ﷺ، و الآخَر عن شماله يقاتلان أشدَّ القتال، ما رأيتُهما قبلُ و لا بعدُ.

قال: وحدّثني عبدُ الملك بنُ سليمانَ، عن قَطَن بن وَهْب، عن عُبيد بن عمَيْر، قال: لمّا رجعتْ قريشٌ من أحُد جعلوا يتحدّثون في أندِيتهم بما ظَفِروا، يقولون: لم نَرَ الخيلَ البُلْق ولا الرِّجال البِيض الّذين كنّا نراهم يومَ بدر. قال: وقَال عُبيدُ[1] بنُ عمير: لم تقاتل الملائكةُ يومَ أحُد.

قال الواقديّ: وحدّثني ابن أبي سَبْرة، عن عبد المجيد بن سُهَيل، عن عُمر بن الحكم، قال: لم يُمَدّ رسول الله ﷺ يومَ أحُد بملَك واحد وإنّما كانوا يومَ بدر. قال: ومثله عن عِكْرمة.

قال: وقال مجاهد: حضرَت الملائكةُ يومَ أحُد ولم تقاتل، وإنّما قاتلتْ يومَ بدر.

قال: وروي عن أبي هُريرة أنّه قال: وعَدَهم اللهُ أن يُمدّهم لو صَبَروا، فلمّا انكشفوا لم تُقاتِل الملائكة يومَئذ. (١٥: ١٠ ـ ١١)

القول في مقتل حمزة بن عبد المطّلب رضي الله عنه

قال الواقديّ: كان وَحْشيّ عبدًا لابنة الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، ويقال: كانَ لجُبَير بن مُطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف، فقالت له ابنة الحارث: إنّ أبي قتل يومَ بدر، فإن أنتَ قتلتَ أحد الثّلاثة فأنتَ حرّ: محمّد، وعليّ بن أبي طالب، وحمزة بن عبد المطّلب، فإنّي لا أرَى في القوم كُفُؤًا لأبي غيرهم.

فقال وحشيّ: أمّا محمّد فقد علمت أنّي لا أقدر عليه، وإنّ أصحابه لن يُسلِموه،

---

١ ـ في ا «عبيد الله»؛ تحريف والتّصويب عن ب.

وأمّا حمزه فوالله لو وجدتُه نائمًا ما أيقَظْته من هَيْبته، وأمّا عليّ فألتمسه. قال وَحْشيّ: فكنتُ يومَ أُحُد ألتمسه، فبينا أنا في طلبه طَلَع عليّ، فطلع رجلٌ حَذِرٌ مَرِس[1] كثيرُ الالتفاتِ، فقلتُ: ما هذا بصاحبي الّذي ألتمس، إذْ رأيت حمزة يَفْرِي النّاس فَرْيًا، فكَمِنتُ له إلى صَخْرة وهو مكبّس له كتيت[2] فاعترَض له سباع بنُ أمّ نِيَار، وكانت أمّه خَتّانة بمكّة، مولاة لشريفِ بن علاج بنِ عَمْرو بن وَهْب الثَّقَفيّ، وكان سِباع يكُنَى أبا نِيار، فقال له حمزة: وأنت أيضًا يا بنَ مقطِّعة البُظُور ممّن يكثِّر علينا! هلّم إليّ، فاحتَمَله، حتّى إذا برقتْ قَدَماه رمَى به فبرَك عليه، فشَحَطه شحطَ الشّاة، ثمّ أقبَل عليَّ مكبًّا حين رآني، فلمّا بلغ المسيل، وَطِئَ على جُرُفٍ فزلّت قدمُه، فهززت حربتي حتّى رضيتُ منها، فأضرب بها في خاصرته حتّى خرجتْ من مَثانته، وكرّ عليه طائفةٌ من أصحابه فأسمَعُهم يقولون: أبا عُمارة، فلا يجيب، فقلتُ: قد واللهِ ماتَ الرَّجل، وذكرتُ هِندا وما لقيتْ على أبيها وعمّها وأخيها، وانكَشَف عنه أصحابُه حين أيقَنُوا بموته، ولا يَرَوْني فأكُرّ عليه فشققتُ بطنَه، فاستخرجتُ كبدَه، فجئتُ بها إلى هند بنتِ عُتْبة، فقلتُ: ما ذا لي إنْ قتلتُ قاتل أبيكِ؟ قالت: سَلْني؛ فقلتُ: هذه كبدُ حمزةَ، فمضغَتْها ثمّ لفظتْها، فلا أدري لم تُسِغها أو قذرتْها، فنزعتْ ثيابَها وحليَها فأعطَتْنيه، ثمّ قالت: إذا جئتَ مكّة فلك عشرةُ دنانير، ثمّ قالت: أرني مَصرَعه، فأَرَيتها مصرَعَه، فقطعَتْ مَذاكيره وجدَعَتْ أنفَه، وقطعتْ أُذُنيه، ثمّ جعلت ذلك مَسكَتين[3] ومِعْضَدَين وخَدَمَتَيْن؛ حتّى قدِمتْ بذلك مكّة وقدِمتْ بكبدِه أيضًا معها.

قال الواقديّ: وحدّثني عبدُ الله بنُ جعفر، عن ابن أبي عَوْن، عن الزّهريّ، عن عُبيد الله بن عديّ بن الخيار، قال: غزَوْنا الشّامَ في زمن عثمانَ بنِ عفّان، فمرَرْنا

---

١ ـ المرس: الّذي قد مارس الأمور وعالجها.

٢ ـ الكتيت. صوت في صدر الرّجل كصوت البكر من شدّة الغيظ.

٣ ـ المسكة، بالتّحريك: الأسورة. والمعضد: الدّملج، والخدمة، بالتّحريك: الخلخال.

بِحِمْصَ[١] بعد العصر، فقلنا: وحشيّ. فقيل: لا تَقدِرون عليه، هو الآن يَشرب الخمر حتّى يُصبح، فبتْنا من أجله؛ وإنّنا لثمانون رجلًا، فلمّا صلّينا الصُبْح جئنا إلى منزله، فإذا شيخٌ كبير قد طرحتْ له زرْبية[٢] قدر مجلسه، فقلنا له: أخبرنا عن قتل حمزة وعن قتل مُسيلِمة، فكره ذلك، وأعرض عنه، فقلنا: ما بتْنا هذه اللّيله إلّا من أجلك. فقال: إني كنتُ عبدًا لجُبيربن مُطعم بن عدىّ، فلمّا خرج النّاس إلى أحُد دعاني فقال: قد رأيتَ مقتلَ طُعَيمة بنَ عَدِيّ، قتَله حمزةُ بن عبد المطلّب يومَ بدر، فلم تزل نساؤنا في حُزْن شديدٍ إلى يَوْمي هذا، فإن قتلتَ حمزةَ فأنتَ حرّ، فخرجتُ مع النّاس ولِيَ مَزاريق[٣] كنت أمرّبهند بنتِ عتبة فتقول: إيهِ أبا دُسْمة! اشفِ واشتَف. فلمّا ورَدْنا أُحُدًا نظرتُ إلى حمزةَ يقدُم النّاسَ يهدّهم هدّا، فرآني وقد كمنتُ له تحت شجرة، فأقبَل نحوي، وتعرَّض له سباع الخُزاعيّ، فأقبَل إليه وقال: وأنتَ أيضًا يا بنَ مقطِّعة البُظُور ممّن يكثر علينا! هَلُمّ إليّ، وأقبَل نحوه حتّى رأيتُ برقانَ رجليه ثمّ ضَرَب به الأرْضَ وقَتَله، وأقبل نحوِي سريعًا، فيعترض له جرفٌ فيقع فيه، وأزرُقه بمِزراق فيقع في لبّته حتّى خرج من بين رجليه. فقَتَله، ومررتُ بهند بنت عُتْبة فأذنتُها، فاعطتْني ثيابَها وحليَّها، وكان في ساقَيْها خَدَمتان من جَزْع ظَفار[٤] ومَسَكتان من ورق، وخواتيم من ورق كنَّ في أصابع رجليها، فأعطَتْني بكلّ ذلك، وأمّا مُسيلمة فإنّا دخلْنا حديقة الموت يومَ اليمامة فلمّا رأيتُه زرقتُه بالمزراق وضرَبَه، رجل من الأنصار بالسّيْف، فربُّك أعلم أيُّنا قتَلَه! إلّا أنّي سمعتُ امرأةً تصيحُ فوق جِدار: قتَلَه العبدُ الحَبشي.

قال عبيد الله: فقلتُ: أتعرفُني؟ فأكَرَّبصرَه عليّ وقال: ابن عدي لعاتكه بنتِ العيص؟ قلتُ: نعم، قال: أمَا واللهِ ما لي بك عَهدٌ بعد أن دفعتُك إلى أمّك في مَحفّتِك

---

١ ـ حمص: مدينة معروفة في بلاد الشّام.

٢ ـ الزّربية: النّمرقة؛ أو البساط الّذي يتّكأ عليه؛ واحده زربيّ، والجماعة زرابيّ.

٣ ـ المزاريق. جمع مرزاق؛ وهو الرّمح القصير.

٤ ـ ظفار كقطام: بلد باليمن ينسب إليه الجزع.

الّتي كانت ترضعك فيها، ونظرت الى برَقانِ قدميك حتّى كأنّه الآن.

وروى محمّد بن إسحاقَ في كتاب المغَازي: قال عَلَتْ هِند يومئذ صخرةً مشرِفة، وصرخت بأعلى صوتها:

نحـــنُ جزَيْنـــاكم بيـــومِ بَـــدْرِ والحربُ بعد الحرب ذات سُعُرِ[1]

مـا كـان عـن عتبـةَ لي مـن صـبرِ ولاأخـــي وعمّـــه وبِكْـــرِي

شـــفيتُ نفســـي وقضـــيتُ نَـــذْري شفَيتَ وحشـيُّ غليلَ صدرِي

فشـــكرُوحْشـــيٍّ عـــلَيَّ عمـــرِي حـــتّى تَـــرِمّ أعظُمـي في قَبـرِي[2]

قال: فأجابتْها هند بنت أثاثة بن المطلّب بنِ عبد مناف:

حزنـــتِ في بـــدرٍ وغيـــرِ بـــدرٍ يـا بنـتَ غَـدّارٍعظيمِ الكُفـرِ[3]

أفحمـــكِ الله غَـــداة الفَخْـــرِ بالهـاشميّين الطِّـوالِ الزُّهْـرِ

بكـــلّ قطّـــاعٍ حُســـامٍ يَفْـــرِي حمـزةُ لَيْـثِي وعـلِيٌّ صَـقْرِي

إذ رامَ شـــيبُ وأبـــوك قَهْـــرِي فخضّبا منه ضواحي النَّحرِ

قال محمّد بن إسحاق: ومن الشِّعرالَّذي ارتجزتْ به هند بنت عُتْبة يومَ أحُد:

شـفيتُ مـن حمـزةَ نفسِـي بأحُـدْ حـين بقَـرتُ بطنَـه عـن الكبـدْ[4]

---

١ ـ ذات سعر، أى حرّ.

٢ ـ ترم أعظمي: تبلي.

٣ ـ في ابن هشام: «يا بنت وقاع».

٤ ـ سيرة ابن هشام٣: ٤٣.

أذهبَ عنّي ذاكَ ما كنتُ أجِدْ من لوعةِ الحزنِ الشَّديدِ المعتَمِدْ[١]

والحرب تَعلوكمْ بشؤبوبٍ بَرِدْ تُقْدِم إقدامًا عليكمْ كالأُسُدْ[٢]

قال محمّد بنُ إسحاق: حدَّثني صالح بنُ كيسانَ، قال: حُدِّثتُ أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب قال لحسَّان: يا أبا الفُرَيعة، لو سمعتَ ما تقول هندٌ ولو رأيتَ شرَها قائمةً على صخرة ترتجز بنا، وتَذكُر ما صنعت بحمزة! فقال حسَّان: والله إنّي لأنظر إلى الحَرْبة تَهوي وأنا على فارع ـ يعني أطمة ـ فقلت: والله إنَّ هذه لَسِلاح ليس بسلاح العرب، وإذا بها تَهوي إلى حمزةَ ولاأدري، [ولكن][٣] أسمعني بعض قولها أكفيكموها، فأنشَدَه عمر بعضَ ما قالت؛ فقال حسَّان يهجوها:

أشِرَتْ لَكَاعٍ وكان عادتُها لؤما إذا أشِرَتْ مع الكُفرِ[٤]

أخرجت مرقصةً إلى أحُدٍ في القوم مُقْتبةً على بَكرِ[٥]

بَكْرٍ ثَقَالٍ لا حَراك به لا عن معاتَبةٍ ولازجرِ[٦]

أخرجت ثائرةً محاربةً[٧] بأبيك وابنك بعدُ في بدرِ[٨]

١ـ المعتمد: القاصد المؤلم.

٢ـ الشَّؤبوب: الدّفعة من المطر. وبرد أى ذو برد.

٣ ـ من سيرة ابن هشام.

٤ ـ الخير وهذا البيت في سيرة ابن هشام٣: ٤٤، والأبيات في ديوانه ٢٢٩، ٢٣٠.

٥ ـ مرقصة، أى مرقصة بكرها، ورقص البعير أسرع في سيره. وفي الدّيوان: «معنقة».

٦ـ البكر الثّقال: البطيء.

٧ ـ في الدّيوان: «أقبلت زائرة مبادرة».

٨ ـ الدّيوان: «يوم ذي بدر».

وبعمِّـــك المتـــروكِ منجـــدِلًا وأخيـــك منعفـــرَيْن في الجَفْـــرِ[١]

فرجعـــتِ صـــاغرةً بـــلاتِـــرَةٍ منَّـــا ظفـــرتِ بهـــا ولاوَتْـــرِ

وقال أيضًا يهجوها:

لمـــن سَـــواقطُ ولْـــدَان مطرَّحـــة باتت تفحَّص في بطحاء أجيادِ[٢]

باتـت تمخّـض لم تَشْـهد قوابلُهـا إلّا الوحـوش وإلّا جنَّـة الـوادي

يظـلّ يرجُمُـه الصِّـبيانُ منعفِـرًا وخالُـه وأبـوه سـيِّدا النـادي[٣]

في أبيات كرهتُ ذكرَها لفُحْشها.

قال: وروى الواقديّ، عن صفيّة بنتِ عبد المطلّب، قالت: كنّا قد رفعنا[٤] يومَ أحُد في الآطام، ومعنا حسّان بنُ ثابت، وكان من أجبن النّاس، ونحن في فارع، فجاء نفر من يهودَ يرومون الأُطُم، فقلت: دُونَك يا بن الفُرَيْعة، فقال: لا والله لا أستطيع القتال، ويصعَدُ يهوديّ إلى الأطمّ، فقلتُ: شدّ على يدي السَّيف، ثمّ برئت، ففعل فضربتُ عنَق اليهوديّ ورميتُ برأسه إليهم، فلمّا رأوْه انكشفوا، قالت: وإنّي لفي فارع أوَل النَّهار مشرفة على الأُطُم، فرأيتُ المزراق، فقلتُ أوَمن سلاحهم المَزاريق! أفلا أراه هوى إلى أخي ولاأشعر! ثمّ خرجت آخر النَّهار حتّى جئتُ رسول الله ﷺ، وقد

---

١ ـ الدّيوان: «وبعمل المتروك منجدلاً». والجفر: البئر.

٢ ـ ديوانه ١٥٨. وفي الدّيوان: «منبذة».

٣ ـ منعفرًا، أى علاه التّراب، ورواية الدّيوان:

قَد غادَرُوه لحرَ الوجهِ مُنْعَفِرًا وخاله وأبوه سيّدا النّادي

٤ ـ رفعنا: عدونا.

كنتُ أعرف انكشافَ المسلمين وأنا على الأُطُم برجوع حسّان إلى أقصى الأُطُم، فلمّا رأى الدَّوْلة للمسلمين أقبَل حتّى وقف على جدار الأُطُم.

قال: فلمّا انتهيتُ إلى رسول الله ﷺ ومعي نسوةٌ من الأنصار لقيتُه وأصحابه أوزاع، فأوّل من لقيتُ عليَّ ابن أخي فقال: ارجعي يا عمّة، فإنّ في النّاس تكشّفا، فقلت: رسول الله ﷺ؟ قال: صالح، قلت: أدلُلني عليه حتّى أراه، فأشار إليه إشارةً خفيّة، فانتهيتُ إليه وبه الجراحة.

قال الواقديّ: وكان رسول الله ﷺ؟ يقول يومَ أُحُد: ما فعل عمّي، ما فعل عمّي! فخرج الحارث بن الصِّمَّة يطلبه فأبطأ، فخرج عليٌّ عليه السلام يَطلبُه فيقول:

يا ربّ إنّ الحارثَ بنَ الصِّمَّهْ كان رفيقًا وبنا ذا ذِمّهْ[1]

قد ضَلّ في مَهامهٍ مُهِمَّهْ يلتمسُ الجنّةَ فيها ثَمّهْ[2]

حتّى انتهى إلى الحارث، ووجد حمزة مقتولًا، فجاء فأخبرَ النّبيُّ ﷺ، فأقبل يمشي حتّى وقف عليه فقال: ما وقفتُ موقفًا قطّ أغيَظ إليّ من هذا الموقف. فطلعتْ صفيّة، فقال: يا زُبير، اغن عنى أمّك، وحمزة يُحفَر له، فقال الزُّبير: يا أمّه، إنّ في النّاس تكشفًا، فارجِعي، فقالت: ما أنا بفاعلة حتّى أَرَى رسول الله ﷺ، فلمّا رأته قالت: يا رسول الله، أين ابنُ أمّي حمزة؟ فقال: هو في النّاس، قالت: لا أَرجع حتّى أنظر إليه، قال الزُّبير: فجعلت أطِدُها إلى الأرض حتّى دُفن وقال رسول الله ﷺ: لو لا أنْ تحزنَ نساؤنا لذلك لتركناه للعافية، يعني السِّباعَ والطَّيْرَ حتّى يحشرَ يوم القيامة من بطونها وحَواصِلها.

قال الواقديّ: ورُوِي أن صفيّة لمّا جاءت، حالت الأنصارُ بينها وبين رسول

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٣: ١٥٤ مع اختلاف في الرّواية.

٢ ـ المهامة: جمع مهمّة، وهي المفازة البعيدة.

الله ﷺ، فقال: دَعُوها، فجلستْ عنده، فجعلتْ إذا بكت يبكي رسول الله ﷺ، وإذا نَشَجت[١] ينشج رسول الله ﷺ، وجعلتْ فاطمةُ عليها السلام تبكي، فلمّا بكتْ بكى رسولُ الله ﷺ ثمّ قال: لن أُصابَ بمثل حمزة أبدًا، ثمّ قال ﷺ لصفيّة و فاطمة: أَبشِرا، أتاني جبرائيلُ عليه السلام فأخبرَني أنّ حمزه مكتوبٌ في أهل السَّموات السَّبع: حمزةُ بنُ عبد المطلِب أسدُ الله و أسدُ رسوله.

قال الواقديّ: ورأى رسولُ الله ﷺ بحمزةَ مَثْلًا[٢] شديدًا، فحزنَه ذلك وقال: إن ظفرتُ بقريش لأمثلنّ بثلاثين منهم، فأنزَل الله عليه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾[٣] فقال ﷺ: بل نصبر، فلم يمثِّل بأحد من قريش.

قال الواقديّ: وقام أبو قَتادةَ الأنصاريُّ فجعل ينَال من قريش لِما رأى من عَمّ رسول الله ﷺ، وفي كلّ ذلك يشيرإليه أن اجلس ثلاثًا، فقال رسولُ الله ﷺ: يا أبا - قَتادة إنّ قريشًا أهلُ أمانة، من بغَاهم العواثِركَبَّه الله لِفيه، و عسى إن طالت بك مدّة أن تحقِرعملك مع أعمالهم، و فعالَك مع فعالهم، لو لا أن تبطَر قريشٌ لأخبرتُها بما لها عند الله تعالى. فقال أبو قتادة: واللهِ يارسول الله ما غضبتُ إلّا لله ورسولِه حين نالوا منه ما نالوا، فقال: صدقتَ. بئس القومُ كانوا لنبيّهم.

قال الواقديّ: وكان عبدُ الله بن جحش قبل أن تقع الحربُ قال: يارسول الله، إنّ هؤلاء القومَ قد نزلوا بحيث ترى، فقد سألت الله فقلت: اللّهمّ أُقسِمُ عليك أن نَلقي العدوَّ غدًا فيقتلوني ويبقَروا بطني ويمثّلوا بي، فتقول لي: فيمَ صُنِع بك هذا؟ فأقول: فيك. قال: وأنا أسألك يا رسول الله أخرى، أن تَلَى تَركتي من بعدي. فقال له: نعم،

---

١ ـ يقال: نشج الباكي، غصّ بالبكاء في حلقة من غيرانتحاب.

٢ ـ يقال: مثل بفلان مثلاً ومثلة بالضّمّ: نكل به.

٣ ـ النّحل/١٢٦.

فخرج عبدُ الله فقُتِل ومُثِّل به كلَّ المثل، ودُفِن هو وحمزةُ في قبرٍ واحد، و وَلى تركتَه رسول الله ﷺ، فاشترى لأمِه مالًا بخيبر.

قال الواقديّ: وأقبلتْ أختُه حَمْنة بنتُ جَحْش، فقال لها رسول الله ﷺ: يا حَمْن[1]، احتسبي، قالت: مَنْ يارسول الله؟ قال: خالك حمزة، قالت: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2] غفر الله له ورَحِمه، وهنيئًا له الشَّهادة، ثمّ قال لها: احتَسِبي. قالت: مَن يارسول الله؟ قال: أخوكِ عبدَ الله، قالت: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾. غفر الله له و رحمه وهنيئًا له الشَّهادة، ثمَّ قال: احتسبي، قالت: مَنْ يارسول الله:قال: بَعْلك مُصعب بن عُمير، فقالت: واحُزْناه ! ويقال: إنَّها قالت: واعُقْراه.

قال محمّد بن إسحاق في كتابه: فصرخَتْ و ولْوَلَتْ.

قال الواقديّ: فقال رسول الله ﷺ: إنّ للزَّوْج من المرأة مكانًا ما هو لأحد. وهكذا رَوَى ابن إسحاق أيضًا.

قال الواقديّ: ثمّ قال لها رسول الله ﷺ: لم قلت هذا ؟ قالت ذكرتُ يتم بنيه فراعنى. فدعا رسول الله ﷺ لولده أن يُحسِن الله عليهم الخلف، فتزوَّجتْ طلحة بن عبيد الله، فولدتْ منه محمّد بن طلحة فكان أوصَل النّاس لولد مصعب بن عُمير.

(١٥ : ١١ ـ ١٩)

القول فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحُد

قال الواقديّ: حدّثني موسى بن يعقوب، عن عمّته، عن أمّها، عن المقداد، قال: لما تصافَّ القوم للقتال يومَ أحُد، جلس رسول الله ﷺ تحت رأية مُصعب بن عمير،

---

١ ـ يا حمن، مُرخّم «يا حمنة».

٢ ـ البقرة/ ١٥٦.

فلمّا قُتل أصحابُ اللِّواء وهُزم المشركون الهزيمة الأولى، وأغارَ المسلمون على معسكَرهم، ينهَبونه ثمّ كَرّ المشركون على المسلمين، فأتَوهم من خَلفهم، فتفرّق النّاس، ونادى رسولُ الله ﷺ في أصحاب الألْوِية، فقُتل مصعبُ بن عُمَيْر حاملُ لوائِه ﷺ، وأخذَ راية الخزْرج سَعدُ بن عُبادة، فقام رسولُ الله ﷺ تحتها، وأصحابه محدِقون به، ودفع لواءَ المهاجرين إلى أبي الرّدم أحَد بني عبد الدّار آخرَ نهار ذلك اليوم، ونظرتُ إلى لواء الأوس مع أُسَيْد بن حُضَيْر، فناوَشوا المشركين ساعة، واقتتَلوا على اختلاط من الصُّفوف، ونادى المشركون بشعارهم: يا لَلْعُزّى! يا لهُبَل! فأوجعوا والله فينا قتلًا ذَرِيعًا، ونالوا مِنْ رسول الله ﷺ ما نالوا، لا والّذي بَعثه بالحقّ ما زال شِبرًا، إنّه لفي وجه العدوّ و تثُوب إليه طائفةٌ من أصحابه مرّة، و تتفرّق عنه مرّة، فربَّما رأيته قائمًا يَرمي عن قوسِه أو يرمي بالحجر حتّى تحاجزوا، وكانت العِصابة الّتي ثبتتْ مع رسول الله ﷺ أربعة عشر رجلًا، سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار، أمّا المهاجرون فعليٌّ عليه السلام وأبو بكر وعبد الرّحمن بنُ عوف وسعدُ بن أبي وقّاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجرّاح والزُّبير بن العوّام، وأمّا الأنصار فالحُباب بن المنذر و أبو دُجانة[1] وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح والحارث بنُ الصِّمّة وسهل بنُ حُنيف وسعدُ بن معاذ وأسَيْد بنُ حُضَيْر.

قال الواقديّ: وقد رُوِيَ أنّ سعد بن عبادة ومحمّد بن مسلمة ثبتا يومئذ ولم يفرّا. ومن روى ذلك جَعلهما مكانَ سعد بن مُعاذ وأسَيْد بن حُضَيْر.

قال الواقديّ: وبايَعه يومئذ على الموت ثمانية: ثلاثة من المهاجرين، وخمسة من الأنصار، فأمّا المهاجرون فعليٌّ عليه السلام، وطلحةُ، والزُّبير، وأمّا الأنصار فأبو دجانة والحارثُ بن الصمّة والحُباب بن المنذر وعاصم بنُ ثابت وسهل بنُ حنيف، ولم يُقتل منهم ذلك اليوم أُحدٌ، وأمّا باقي المسلمين ففرّوا و رسولُ الله ﷺ يدعوهم في أخراهم حتّى

١ـ أبو دُجانة: هو سِمَاك بن خرشة.

انتهى منهم إلى قريب من المِهْرَاس[١].

قال الواقديّ: وحدّثني عتبة بنُ جبير، عن يعقوبَ بن عميربن قَتادة قال: ثبت يومئذ بين يديه ثلاثون رجلًا كلُّهم يقول: وَجهي دون وجهك، ونفسي دونَ نفسك، وعليك السَّلام غير مودَّع.

قلت: قد اختلف في عمربن الخطّاب هل ثبت يومئذ أم لا، مع اتّفاق الرُّواة كافّة على أن عثمانَ لم يثبت، فالواقديّ ذكر أنّه لم يثبت، وأمّا محمّد بن إسحاق والبلاذريّ فجعلاه مع من ثبت ولم يفرَّ، واتّفقوا كلّهم على أن ضرارَبن الخطّاب الفهريّ قرَع رأسه بالرَّمح وقال: إنّها نعمة مشكورة يا بن الخطّاب، إنّي آليت ألّا أقتل رجلًا من قريش.

ورَوَى ذلك محمّد بن إسحاق وغيرُه، ولم يختلفوا في ذلك، وإنّما اختلفوا، هل قَرَعه بالرُّمح وهو فارٌّ هارب، أم مقدِمٌ ثابت! والّذين رَوَوْا أنّه قَرَعه بالرَّمح وهو هارب لم يقل أحدٌ منهم إنّه هرَب حين هرب عثمانُ ولا إلى الجهة الّتي فرّ إليها عثمان، وإنّما هرب معتصمًا بالجبل، وهذا ليس بعيب ولاذَنب، لأنّ الّذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ اعتَصَمُوا بالجبل كلُّهم وأَصعدوا فيه، ولكن يَبقى الفرقُ بين من أصعَد في الجبل في آخر الأمر ومَنْ أصعَد فيه والحربُ لم تضعْ أوزارها، فإن كان عمر أَصعد فيه آخر الأمر، فكلّ المسلمين هكذا صنعوا حتّى رسول الله ﷺ، وإن كان ذلك والحرب قائمة بعد تفرّق. ولم يختلف الرُّواة من أهل الحديث في أنّ أبا بكر لم يفرّ يومئذ، وأنّه ثبت فيمن ثبت، وإن لم يكن نقل عنه قتل أو قتال، والثُّبوت جهاد و فيه وحدَه كفاية.

وأمّا رُواة الشِّيعة فإنّهم يروون أنّه لم يثبت إلّا عليّ وطلحة والزُّبيروأبو دُجانة وسهلُ ابنُ حنيف وعاصمُ بنُ ثابت، ومنهم من رَوى أنّه ثبت معه أربعة عشر رجلًا من المهاجرين والأنصار، ولايعدّون أبا بكروعمرَ منهم. رَوَى كثير من أَصحاب الحديث أنَّ عثمان جاء بعد ثالثة إلى رسول الله ﷺ فسأله إلى أين انتهيت؟ فقال: إلى

---

١ ـ المهراس: ماء بأُحُد.

الأعرَض، فقال: لقد ذهبتَ فيها عَريضة[١].

رَوَى الواقديّ قال: كان بين عثمان أيّام خلافته وبين عبد الرَّحمن بن عوف كلام، فأرسل عبد الرَّحمن إلى الوليد بن عقبة فدعاه، فقال: اذهب إلى أخيك فأَبلِغه عنى ما أقول لك، فإنّي لا أعلم أحدًا يبلِّغه غيرك. قال الوليد: أفعَل. قال: قل له: يقول لك عبد الرَّحمن، شهدتُ بدرًا ولم تَشْهدها، وثبتُّ يومَ أُحُد وولّيتَ، وشهدتُ بيعةَ الرّضوان ولم تشهدْها، فلمّا أخبره قال عثمان: صدَق أخي، تخلَّفتُ عن بدر على ابنةِ رسول الله ﷺ هي مريضة فضَرَب لي رسولُ الله ﷺ بسَهْمي وأَجْري، فكنتُ بمنزلة من حضر بدرًا، و ولّيت يومَ أُحُد فعفا الله عنى في مُحكَم كتابه، وأمّا بَيْعة الرِّضوان فإنّي خرجتُ إلى أهل مكّة، بعثَني رسولُ الله ﷺ وقال: إنّ عثمان في طاعة الله وطاعة رسوله، وبايَعَ عنى بإحدى يديه على الأخرى، فكان شِمال النّبيّ خيرًا من يَميني فلمّا جاء الوليدُ إلى عبد الرَّحمن بما قال قال: صَدَق أخي.

قال الواقديّ: ونظر عمرُ إلى عثمان بنِ عفّان فقال: هذا ممّن عفا الله عنه، وهم الّذين تولَّوْا يوم الْتقى الجَمْعان والله ما عفا الله عن شيء فردّه. قال: وسأل رجل عبد الله بن عمر عن عثمان فقال: أذنَبَ يوم أُحُد ذنبًا عظيمًا، فعفا الله عنه، وأذنب فيكم ذنبًا صغيرًا فقتلتموه، واحتجَّ مَنْ رَوَى أن عمَر فرّ يوم أُحُد بما روي أنّه جاءته في أيّام خلافته امرأة تطلب بُرْدًا من بُرود كانت بين يديه، وجاءت معها بنتٌ لعمر تطلب بُرْدًا أيضًا فأعطى المرأة وردّ ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ أبَ هذه ثبَتَ يومَ أُحُد وأبَ هذه فَرّ يومَ أحد ولم يَثبتْ.

وروى الواقديّ: أنّ عمر كان يحدِّث فيقول: لمّا صاح الشَّيْطان: قُتِل محمّد، قلت: أَرقي في الجبل كأنّي أروِيّة، وجعل بعضُهم هذا حجّةً في إثبات فرار عمر، وعندي أنّه ليس بحجّة لأن تمام الخبر: فانتهيتُ إلى رسول الله ﷺ. وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

---

١ ـ في النّهاية لابن الأثير: «وفي حديث أُحُد قال للمنهزمين: لقدذهبتم فيها عريضة، أى واسعة».

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[١] الآية، وأبو سُفيانَ في سفح الجبل في كَتيبته يَرُومون أن يعلُوا الجبل، فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ إنّه ليس لهم أن يَعلونا. فانكشَفوا، وهذا يدل عَلَى أن رُقيَّه في الجبل قد كان بعد إصعاد رسول الله ﷺ، وهذا بأن يكون مَنقبةً له أشبه.

وروى الواقديّ قال: حدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن أبي بكربن عبد الله بن أبي جَهْم، اسمُ أبي جهم عُبَيد، قال: كان خالد بنُ الوليد يحدِّث وهو بالشّام فيقول: الحمدلله الّذي هداني للإسلام، لقد رأيتُني ورأيتُ عمَربن الخطّاب حين جال المسلمون وانهزَموا يومَ أحُد وما معه أحَد، وإنّي لفي كَتيبةٍ خَشناءَ[٢]، فما عرفه منهم أحد غيري، وخشيتُ إن أغريت به من معي أن يَصمَدوا له، فنظرتُ إليه وهو متوجّه إلى الشِّعب.

قلت: يجوز أن يكون هذا حقًّا، ولاخلاف أنّه توجّه إلى الشعب تاركًا للحرب، لكن يجوز أن يكون ذلك في آخر الأمر لمّا يئس المسلمون من النُّصرة، فكلّهم توجَّه نحوَ الشِّعب حينئذ، وأيضًا فإنّ خالدًا متّهم في حقّ عمرَبن الخطّاب لما كان بينه وبينه من الشَّحْناء و الشَّنآن، فليس بمنكَر من خالد أن يَنعى عليه حركاته، ويؤكّد صحّة هذا الخبر، وكون خالد عفّ عن قتل عمريومئذ، ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قِبَل الأمّ، فإنّ أمّ عمر حَنتمةُ بنتُ هاشم بن المغيرة، وخالد هو ابن الوَليد بن المغيرة، فأمّ عمر ابنة عمّ خالد لحًّا، والرَّحم تعطف.

حضرتُ عندَ محمّد بن معدّ العلويّ الموسويّ الفقيه على رأى الشّيعة الإماميّة رحمه الله في داره بدرب الدوّاب ببغدادَ في سنة ثمانٍ وسِتّمائة، وقارئٌ يقرأ عنده مَغازي الواقدي، فقرأ: حدّثنا الواقديّ قال: حدّثني ابنُ أبي سَبْرة، عن خالد بن رِياح، عن أبي سُفيان مولى ابن أبي أحْمد قال: سمعتُ محمّد بنَ مُسلمة يقول: سمعتْ أُذُناىَ

---

١ ـ آل عمران/١٤٤.

٢ ـ كتيبة خشناء: كثيرة السّلاح.

وأبصرتْ عيناىَ رسول الله ﷺ يقول يومَ أحُد وقد انكشف النّاس إلى الجبل، وهو يدعوهم و هم لا يَلوُون عليه، سمعتُه يقول: إلَيَّ يا فلان، إلَيَّ يا فلان، أنا رسولُ الله، فما عرّج عليه واحد منهما و مضَيَا، فأشار ابنُ معدّ إلَيَّ أن اسمَعْ، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما ، فقلتُ : ويجوز ألّا يكون عنهما ، لعلّه عن غيرهما. قال: ليس في الصَّحابة من يحتشم ويُستحيَا من ذكره بالفرار وما شابَهه من العيب فيضطرَّ، القائل إلى الكناية إلّا هما قلتُ له: هذا وَهم[1]، فقال: دَعْنا مِنْ جَدَلك و منعِك، ثمّ حلف أنّه ما عنى الواقديُّ غيرَهما، وإنّه لو كان غيرهما لذكَرَه صريحًا، و بان في وجهه التنكّر من مخالَفتي له.

روى الواقديّ قال: لمّا صاح إبليس: أنّ محمّدًا قد قُتِل، تفرّق النّاس، فمنهم من وَرَد المدينة، فكان أوّل مَنْ وَرَدها يُخبر أنّ محمّدًا قد قُتل، سعدُ بن عثمان أبو عُبادة، ثمّ ورد بعدَه رجال حتّى دخلوا على نسائهم حتّى جعل النّساء يقلن: أعَن رسول الله تفِرُّون! ويقول لهم ابنُ أمِّ مكتوم: أعن رسول الله تفرّون؟ يؤنّب بهم، وقد كان رسولُ الله ﷺ خَلّفه بالمدينة يصلّي بالنّاس، ثمّ قال: دُلّوني عَلَى الطَّريق ـ يعنى طريقَ أحُد ـ فدَلّوه، فجعل يستخبِر كلَّ من لقي في الطَّريق حتّى لَحِق القوم، فَعلِم بسلامةِ النّبي ﷺ، ثمّ رجع. وكان ممّن ولّى عمروعثمان والحارث بن حاطب وثعلبة بن حاطب وسواد بن غزيّة وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان وخارجة بن عمربلغ مَلَل[2]، و أوس بن قَيْظي في نفرمن بني حارثة بلغوا السّقرة[3] و لقيتهم أمّ أيْمَن تَحثِي[4] وجوههم التُّراب وتقول لبعضهم: هاك المِغزَل فاغزِل به، و هلمّ.

---

١ ـ كذا في ب: و الّذي في ا «ممنوع».

٢ ـ ملل؛ كجبل: موضع بعينه.

٣ ـ السّقرة: موضع معروف لبني سليم.

٤ ـ يقال: حثا التّراب في وجهه يحثوه ويحثيه، إذا رماء به.

واحتجّ من قال بفِرار عمر بما رواه الواقديّ في كتاب المغازي في قصّة الحُدَيبية، قال: قال عمر يومئذ: يا رسول الله، ألم تكن حدّثتنا أنّك ستدخل المسجدَ الحرام وتأخذُ مفتاحَ الكعبة وتُعَرِّف مع المعرِّفين، وهذْينا لم يَصلْ إلى البيت ولا نُحِرَ! فقال رسول الله ﷺ: أقلتُ لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا، قال: أما إنّكم ستدخلونه و آخذُ مفتاحَ الكعبة و أَحلق رأسي ورؤوسَكم ببَطْن مَكّة وأعرِّف مع المعرِّفين؛ ثمّ أقبَل على عمر و قال: أ نسيتم يومَ أحُد، ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾[1] وأنا أدعوكم في أخْراكم! أ نَسِيتم يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[2] أ نسيتم يومَ كذا! وجعل يذكّرهم أمورًا، أ نَسِيتم يوم كذا! فقال المسلمون: صدق الله وصَدَق رسولُه، أنتَ يا رسول الله أعلمُ بالله منّا، فلمّا دخل عام القضيّة وحلق رأسَه قال: هذا الّذي كنتُ وعدتُكم به، فلمّا كان يوم الفَتْح وأخذ مفتاح الكَعْبة قال: ادعُوا إليّ عمرَ بن الخَطّاب، فجاء فقال: هذا الّذي كنتُ قلتُ لكم. قالوا: فلو لم يكن فرَّ يومَ أحُد لما قال له: أ نَسيتم يومَ أحُد إذ تُصعِدون ولا تَلْوونَ. (١٥ : ١٩ ـ ٢٥)

القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل

قال الواقديّ: حدّثني موسى بنُ محمّد بن ابراهيم، عن أبيه قال: لمّا صاح الشَّيْطانُ لعنه الله: إنّ محمّدًا قد قتل يَحزُنهم بذلك، تفرّقوا في كلّ وجه، وجعل النّاسُ يمرّون على النّبيِّ ﷺ لا يَلوِي عليه أحدٌ منهم، ورسولُ الله يدعوهم في أخراهم، حتّى انتهت هزيمةُ قوم منهم إلى المِهْراس، فتوجّه رسولُ الله ﷺ يريد أصحابَه في الشِّعب فانتهى إلى الشّعب وأصحابه في الجبل أوْزاع، يذكرونَ مقتَل مَنْ قُتِل منهم، ويذكرون ما

---

١ ـ آل عمران/١٥٣.

٢ ـ الأحزاب/١٠.

جاءهم عن رسول الله ﷺ، قال كعب بنُ مالك: فكنتُ أوّل من عَرَفه وعليه المِغفَر فجعلت أصيحُ وأنا في الشّعب: هذا رسولُ الله ﷺ حَيٌّ، فجعل يُومِئ إليّ بيَدِه على فيه، أى اسكُت، ثمّ دعا بلَأمَتي[1] فلَبِسها و نزع لَأمَتَه.

قال الواقديّ: طلع رسولُ الله ﷺ على أصحابه في الشعب بين السَّعْدَيْن: سَعْد بن عُبادة، وسعد بن مُعاذ يتكفّأ في الدِّرع، وكان إذا مشى تكفّأ تكفُّؤا، ويقال: إنّه كان يتوكّأ على طلحة بن عُبيد الله.

قال الواقديّ: وما صلّى يومئذ الظُّهر إلّا جالسًا للجُرح الّذي كان أصابه. قال الواقديّ: وقد كان طلحة قال له: إنّ بي قوّة، فقم لأحمِلَك، فحمَله حتّى انتهى إلى الصَّخرة الّتي عَلَى فم شِعب الجَبَل، فلم يزل يَحمِله حتّى رفَعَه عليها ثمّ مضى إلى أصحابه ومعه النّفر الّذين ثَبَتوا معه، فلمّا نظر المسلمون إليهم ظنّوهم قُرَيشًا، فجعلوا يولُّون في الشّعب هاربين منهم، ثمّ جعل أبو دُجانه يُليح إليهم بعمامةٍ حمراءَ على رأسه، فعَرَفوه فرجعوا، أو بعضُهم.

قال الواقديّ: روي أنّه لمّا طلع عليهم في النّفر الّذين ثبتوا معه وهم أربعة عشر، ـ سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار ـ جعلوا يولّون في الجبل خائفين منهم يظنّونهم المشركين، جعل رسولُ الله ﷺ يتبسّم إلى أبي بكر وهو على جَنْبه ويقول له: ألِحْ إليهم: فجعل أبو بكر يليح إليهم وهم لا يُعرّجون حتّى نزع أبو دجانة عصابةً حمراء على رأسه فأوْفَى[2] على الجبل، فجعل يصيح ويُليح، فوقفوا حتّى عرفوهم. ولقد وَضع أبو بردة بنُ نِيَار سهمًا على كَبِد قوسه، فأراد أن يرمى به رسول الله ﷺ وأصحابه، فلمّا تكلّموا وناداهم رسولُ الله ﷺ أمسك، وفرح المسلمون برؤيته حتّى كأنّهم لم تُصبهم في أنفسهم مصيبة، وسُرُّوا لسلامته وسلامتِهِمْ من المشركين.

---

١ ـ اللَّأمة: الدّرع.

٢ ـ أوفى: أشرف و علا.

قال الواقديّ: ثمّ إنّ قومًا من قريش صعدوا الجبلَ فعَلَوْا على المسلمين وهم في الشِّعب. قال: فكان رافعُ بن خديج يحدِّث فيقول: إنّي يومئذ إلى جنب أبي مسعود الأنصاري وهو يذكر من قتل من قومه، ويسأل عنهم، فيخبر برجال: منهم سعدُ بن الرَبيع، وخارجة بن زهير، وهو يسترجع[1] ويترحّم عليهم، وبعض المسلمين يسأل بعضًا بعضًا عن حميمه وذي رحمه فيهم، يخبر بعضهم بعضًا، فبينا هم على ذلك ردَّ الله المشركين ليذهب ذلك الحزن عنهم، فإذا عدوّهم فوقهم قد علَوْا، وإذا كتائب المشركين بالجبل، فنسوا ما كانوا يذكرون، وندبنَا رسولُ الله ﷺ وحضَّنا على القتال، والله لكأنّي أنظرُ إلى فلان وفلان في عرض الجبل يَعْدوان هاربيْن.

قال الواقديّ: فكان عمرُ يحدِّث يقول: لمّا صاح الشيطان: قُتِل محمّد، أقبلتُ أَرقى إلى الجبل، فكأنّي أرْوِيَة، فانتهيتُ إلى النّبيّ ﷺ وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[2] الآية، وأبو سفيانَ في سَفح الجبل فقال رسول الله ﷺ يدعو ربَّه: اللّهمّ ليس لهم أن يَعلُوا. فانكَشَفوا.

قال الواقديّ: فكان أبو أسَيْد الساعديّ يحدِّث فيقول: لقد رأيتُنا قبل أن يلقى النُّعاس علينا في الشِّعب وإنّا لسلم لمن أرادَنا، لما بنا من الحُزن فألقي علينا النُّعاس، فنمنا حتّى تَناطح الحَجَف[3]، ثمّ فزِعنا وكأنّا لم يصبنا قبلَ ذلك نَكْبة.

قال: وقال الزُّبير بنُ العوّام: غشينا النُّعاس فما منّا رجل إلّا و ذَقَنه في صدرِه من النَّوْم، فأسمَع معتِّب بن قُشَير ـ وكان من المنافقين ـ يقول: وإنّي لـ كالحاكم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾[4] فأنزل الله تعالى فيه ذلك.

---

١ ـ استرجع: قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

٢ ـ آل عمران/ ١٤٤.

٣ ـ الحجف، بالتّحريك: جمع حجفة؛ وهي التّرس.

٤ ـ آل عمران/ ١٥٤.

قال: وقال أبو اليُسر: لقد رأيتني ذلك اليومَ في رجال من قومي إلى جنب رسول الله ﷺ وقد أَنزل الله علينا النّعاس أَمَنةً منه، ما منهم رجل إلّا يغطّ غَطِيطًا حتّى إن الحَجَف لتناطَح، ولقد رأيتُ سيفَ بشرِ بنِ البراء بن مَعْرور سَقَط من يده وما يشعر به حتّى أخذه بعد ما تثلّم، وإنّ المشركين لتَحتَنا، وسقَط سيفُ أبي طلحة أيضًا ولم يُصِب أهل الشكّ والنِّفاق نُعاسٌ يومئذ، وإنّما أصاب النّعاس أهلَ الإيمان واليقين، فكان المنافقون يتكلّم كلّ منهم بما في نفسه، والمؤمنون ناعسون.

قلت: سألتُ ابن النجّار المحدِّث عن هذا الموضع فقلت له: مِن قصّة أُحُد تُدَلّ على أنّ المسلمين كانت الدّولة لهم بادئ الحال، ثمّ صارت عليهم، وصاحَ الشيطان: قُتِل محمّد، فانهزم أكثرهم، ثمّ ثاب أكثرُ المنهزِمين إلى النّبيّ ﷺ، فحاربوا دونه حَرْبًا كثيرة طالت مدَّتُها حتّى صار آخرُ النّهار، ثمّ أصعدوا في الجبل معتصمِين به، وأصعد رسولُ الله ﷺ معهم، فتحاجز الفريقان حينئذ، وهذا هو الّذي يدلّ عليه تأمُّل قصّة أحُد، إلّا أنّ بعض الرّوايات الّتي ذكرها الواقديّ يقتضي غير ذلك، نحو روايته في هذا الباب أنّ رسول الله ﷺ، لمّا صاح الشّيطان: إنّ محمّدًا قد قُتِل، كان ينادي المسلمين فلا يعرّجون عليه، وإنّما يُصعدون في الجبل، وإنّه وجّه نحو الجبل، فانتهى إليهم وهم أوزاع يتذاكرون بقَتْل من قُتل منهم، وهذه الرّواية تدلّ على أنّه أصعد ﷺ في الجبل من أوّل الحرب، حيث صاح الشّيطان، وصياحُ الشّيطان كان حال كون خالد بن الوليد بالجبل من وراء المسلمين لمّا غشيهم وهم مشتغلون بالنّهب واختلط النّاس، فكيف هذا! فقال: إنّ الشّيطان صاح: قتل محمّد دفعتين: دفعة في أوّل الحرب، ودفعة في آخر الحرب، لمّا تصرّم النّهار وغشيَت الكتائب رسول الله ﷺ وقد قُتل ناصروه وأكلتهم الحرب، فلم يبق معه إلّا نفر يسير لا يبلِّغون عشرة، وهذه كانت أصعبُ وأشدُّ من الأولى، وفيها اعتصم، وما اعتصم في صرخة الشّيطان الأولى بالجبل، بل ثبت وحامَى عنه أصحابُه، ولقد لقي في الأولى مشقّة عظيمة من ابن قَمِيئة وعُتْبة بن أبي وقّاص وغيرهما، ولكنّه لم يفارق عرْصة الحرب، وإنّما فارقها وعَلِم

أنّه لم يبق له وجه مُقام في صرخته الثّانية.

قلت له: فكان القومُ مختلطين في الصّرخة الثّانية حتّى يَصرُخ الشّيطان: قُتِل محمّد! قال: نعم، المشركون قد أحاطوا بالنّبيّ ﷺ وبمن بقِيَ معه من أصحابه، فاختلط المسلمون بهم، وصاروا مغمورين بينهم، لقلّتهم بالنّسبة إليهم، وظنّ قوم من المشركين أنّهم قد قَتلوا النّبيّ ﷺ لأنّهم فقدوا وجهه وصورتَه، فنادى الشّيطان: قُتِل محمّد، و لم يكن قُتِل، ولكن اشتبهتْ صورتُه عليهم وظنّوه غيرَه، وأكثر من حامَى عنه في تلك الحال عليٌّ عليه السلام وأبو دُجانة وسهلُ بنُ حنيف، وحامَى هو عن نفسه، وجرح قومًا بيده تارةً بالسّهام، وتارةً بالسّيف ولكن لم يعلموا بأعيانهم لاختلاط القوم وثوران النّقع[1]، وكانت قريشٌ تظنّه واحدًا من المسلمين ولو عرفوه بعينه في تلك الثّورة لكان الأمر صعبًا جدًّا، ولكنّ الله تعالى عَصمه منهم بأن أزاغ أبصارَهم عنه، فلم يزل هؤلاء الثّلاثه يجالدون دونه، وهو يَقربُ من الجبل حتّى صار في أعلى الجبل. أصعَد من فم الشِّعب إلى تدريج هناك في الجبل، ورَقِي في ذلك التّدْريج صاعدًا حتّى صار في أعلى الجبل، وتبعه النّفر الثّلاثة فلَحِقوا به.

قلت له: فما بال القوم الّذين صعدوا الجبلَ من المشركين، وكيف كان إصعادهم وعَوْدُهم؟ قال: أصْعدوا لحرب المسلمين لا لِطَلب رسول الله ﷺ، لأنّهم ظنُّوا أنّه قد قُتِل، وهذا هو كان السّبب في عَوْدهم من الجبل، لأنّهم قالوا: قد بلغنا الغرضَ الاصلّي وقتلْنا محمّدًا، فما لنا والتّصميم على الأوس والخَزْرج وغيرهم من أصحابه، مع ما في ذلك من عظم الخطر بالأنفس!

قلت له: فإذا كان هذا قد خَطَر لهم، فلماذا صعدوا في الجبل. قال: يخطر لك خاطر، ويدْعوك داعٍ إلى بعض الحركات، فإذا شرعتَ فيها خَطَر لك خاطرٌ آخر يصرفك عنها، فترجع ولا تتمّها! قلت: نعم، فما بالهم لم يَقصِدُوا قصدَ المدينة ويَنْهبوها؟ قال: كان

---

١ ـ النّقع: غبار الحرب.

فيها عبدُ الله بن أبيّ في ثلثمائة مقاتل وفيها خَلْق كثير من الأوس والخَزْرج، لم يحضروا الحربَ وهم مسلمون، وطوائف أخرُ من المنافقين لم يخرجوا، وطوائف أخرى من اليهود، أُولُو بأسٍ وقوّة، ولهم بالمدينة عيال وأهلٌ ونساء، وكلُّ هؤلاء كانوا يحامون عن المدينة، ولم تكن قريش تَأمَن مع ذلك أن يأتيَها رسولُ الله ﷺ من ورائها بمن يُجامعه من أصحابه فيحصلوا بين الأعداء من خلفهم ومن أمامهم، فكان الرّأيُ الأ صوَبُ لهم العدول عن المدينة وترك قصدها.

قال الواقديّ: حدّثني الضّحّاك بن عثمان، عن حمزة بن سعيد، قال: لما تحاجزوا وأراد أبو سفيانَ الانصرافَ، أقبل يسيرُ على فرس له حوراء[1] فوقف على أصحاب النّبيِّ ﷺ وهم في عرض الجبل، فنادى بأعلى صوته: أُعلُ هُبَل، ثمّ صاح، أين ابن أبي كَبْشة؟ يومٌ بيوم بدر، ألا إنّ الأيّام دُوَل. وفي رواية أنّه نادى أبا بكر وعمر أيضًا، فقال: أين ابنُ أبي قحافة؟ أين ابن الخطّاب؟ ثمّ قال: الحربُ سِجال، حنظلةٌ بحنظلة، يعني حنظلة بن أبي عامر بحنظلة بن أبي سُفيان، فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله أجيبه؟ قال: نعم فأجِبْه، فلمّا قال: أُعل هُبَل قال عمرُ: الله أعلى و أجلّ. ويُروَى أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر: قل له: الله أَعلى و أجلّ، فقال أبو سفيان: إنّ لنا العُزّى ولا عُزّى لكم، فقال عمر: أو قال رسول الله ﷺ: قل له، الله مولانا ولا مولى لكم، فقال أبو سفيان: إنّها قد أنعمت، فقال: عنها يا بن الخطّاب، فقال سعيد بن أبي سفيان: ألا إنّ الأيّام دول وإنّ الحرب سجال، فقال عمر: ولا سواء[2]، قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النّار، فقال أبو سفيان: إنّكم لتقولون ذلك لقد جَبُنّا إذًا وخسرنا، ثمّ قال: يا بن الخطّاب، قمْ إليّ أكلّمك: فقام إليه فقال: أنشدك بدينك: هل قتلنا محمّدًا؟ قال: اللّهمّ لا، وإنّه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت عندي أصدق من ابن قميئة، ثمّ

---

١ ـ حوراء: واسعة العينين.

٢ ـ ولا سواء: يعني لايستوي هذا وذاك.

صاح أبو سفيان ورفع صوته: إنّكم واجدون في قتلاكم عبثًا و مثلًا، ألا إنّ ذلك لم يكن عن رأى سراتنا، ثمّ أدركته حَمِيّةُ الجاهليّة فقال: وأمّا إذ كان ذلك فلم نكرهه؟ ثمّ نادى: ألا إنّ موعدكم بدر الصَّفْراء، على رأس الحول، فوقف عمر وقفةً ينتظر ما يقول رسول الله ﷺ، فقال له: قل نعم، فانصرف أبو سفيانَ إلى أصحابه وأخذوا في الرَّحيل، فأشفق رسول الله ﷺ والمسلمون من أن يُغيروا على المدينة فيهلك الذّراريَ والنِّساء، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقّاص: اذهب فأتنا بخبر القوم، فإنّهم إن ركبوا الإبل وجنّبوا[1] الخيل فهو الظَّعُن إلى مكّة، وإن ركبوا الخيل وجنّبوا الإبل فهو الغارة على المدينة، والّذي نفسي بيده، إن ساروا إليها لأسيرنَّ إليهم ثمّ لأ ناجزنَّهم.

قال سعد: فتوجّهت أسعى و أرصدت في نفسي، إن أفزعني شيءٌ رجعت إلى النّبيّ ﷺ وأنا أسعى، فبدأت بالسَّعى حين ابتدأت، فخرجت في آثارهم حتّى إذا كانوا بالعَقِيق[2] وأنا بحيث أراهم وأ تأمّلهم ركبوا الإبل وجنبوا الخيل، فقلت: إنّه الظَّعن إلى بلادهم، ثمّ وقفوا وقفةً بالعقيق، وتشاوروا في دخول المدينة، فقال لهم صفوان بن أميّة: قد أصبتم القومَ، فانصرفوا ولا تدخلوا عليهم وأنتم كالُّون، ولكم الظَّفر، فإنّكم لا تدرون ما يغشاكم، فقد ولّيتم يومَ بدر، لا والله ما تبعوكم وكان الظَّفر لهم. فيقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: نهاهم صفوان.

فلمّا رآهم سعد على تلك الحال منطلقين وقد دخلوا في المكمن رجع إلى رسول الله ﷺ وهو كالمنكسر فقال: وجّه القوم يا رسول الله إلى مكّة؟، امتطوا الإبل وجنّبوا الخيل. فقال: ما تقول؟ قلت: ما قلت يا رسول الله، فخلا بي فقال ﷺ أحقًّا ما تقول؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: فما بالي رأيتك منكسرًا؟ فقلت: كرهت أن آتى المسلمين فرحًا بفُفولِهم إلى بلادهم، فقال ﷺ: إنّ سعدًا لمُجرِّب.

---

١ ـ جنّبوا الخيل، أى ساقوها إلى جانبهم.

٢ ـ العقيق: موضع بالمدينة فيه عيون ونخيل. (ياقوت).

قال الواقديّ: وقد روي خلاف هذا، روي أنّ سعدًا لمّا رجع رفع صوته بأن جنِّبوا الخيل، وامتطوا الإبل، فجعل رسول الله ﷺ يشير إلى سعد: خفِّض صوتك فإنّ الحرب خَدْعة، فلا تُرى النّاس مثل هذا الفرح بانصرافهم، فإنّما ردّهم الله تعالى.

قال الواقديّ: وحدَّثني ابن أبي سَبْرة، عن يحيى بن شبل، عن أبي جعفر قال: قال رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقّاص: إنْ رأيتَ القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني وبينك، ولا تفتّ في أعضاد المسلمين، فذهب فرآهم قد امتَطَوا الإبل، فرجع، فما ملك أن جعل يصيح سرورًا بانصرافهم.

قال الواقديّ: وقيل لعمرو بن العاص: كيف كان افتراق المسلمين والمشركين يومَ أُحُد؟ فقال: ما تريدون إلى ذلك! قد جاء الله بالإسلام، ونفى الكفر وأهله، ثمّ قال: لمّا كرَرْنا عليهم أَصبنا مَنْ أَصبنا منهم وتفرّقوا في كلّ وجه، وفاءت لهم فئةٌ بعد؛ فتشاورت قريش، فقالوا: لنا الغلَبة، فلو انصرفنا فإنّه بلغنا أنّ ابنَ أبيّ انصرف بثلث النّاس، وقد تخلّف النّاسُ من الأوس والخزرج، ولا نأمن أن يكرّوا علينا، وفينا جراح، وخَيلُنا عامّتها قد عُقِرت من النَّبل، فمضينا، فما بلغنا الرَّوْحاء[1] حتّى قام علينا عدّة منها، وانصرفنا إلى مكّة.

قال الواقديّ: حدَّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عائشة، قال: سمعتُ أبا بكر يقول: لمّا كان يومَ أُحُد ورُمِي رسول الله ﷺ في وجهه حتّى دخلتْ في وجهه حَلْقتان من المِغفر، أقبلتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ وإنسان قد أَقبل من قِبَل المشرق يطير طيرَانًا، فقلت: اللّهمّ اجعله طلحة بن عُبيد الله، حتّى توافيْنا إلى رسول الله ﷺ، فإذا أبو عبيدة بن الجرّاح، فبدرني فقال: أسألك بالله يا أبا بكر إلّا تركتني فأنتزِعه من وجه رسول الله ﷺ، قال أبو بكر: فتركتُه. وقال رسول الله ﷺ: «عليكم صاحبَكم» يعني طلحة، فأخذ أبو عبيده بثنيّته حلْقة المِغفر، فنزعها وسقط على ظهره، وسقطتْ

---

١ ـ الرّوحاء: موضع على أربعين ميلاً من المدينة.

ثنيّة أبي عبيدة، ثمّ أخذ الحلْقة بثنيّته الأخرى، فكان أبو عبيدة في النّاس أثرَم[١]. ويقال: إنّ الّذي نَزَع الحلْقتين من وجه رسول الله ﷺ عُقبة بن وَهْب بن كلدَة، ويقال: أبو اليسر.

قال الواقديّ: وأثبت ذلك عندنا عقبة بن وَهْب بن كلدَة. قال الواقديّ: وكان أبو سعيد الخُدْرِيّ يحدّث أنّ رسول الله ﷺ أصيب وجهُه يومَ أحُد، فدخلت الحلْقتان من المِغْفر في وَجْنتيه، فلمّا نُزِعتا جعل الدّم يَسربُ كما يسرب الشَّنّ[٢]، فجعل مالك بن سِنان يمجّ الدّم بفيه، ثمّ ازدَردَه، فقال رسولُ الله ﷺ: مَنْ أحبّ أن ينظر إلى مَنْ خالط دمه بدمي فلْينظر إلى مالك بن سِنان. فقيل لمالك: تشرب الدّم! فقال: نعمْ، أشربُ دَم رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مسّ دمُه دمي لم تُصِبْه النّار».

قال الواقديّ: وقال أبو سعيد: كنّا ممّن رُدّ من الشّيخين[٣] لم نَجئ مع المُقاتِلة، فلمّا كان من النّهار بلغَنا مصابُ رسول الله ﷺ، وتفرّق النّاس عنه، جئتُ مع غِلْمان بَنِي خُدْرَة نَعْرِضُ لرسول الله ﷺ ننظر إلى سلامته، فنرجع بذلك إلى أهلنا، فلقيَنا النّاس متفرّقين ببطن قناة، فلم يكن لنا هِمّة إلّا النّبيُّ ﷺ، ننظر إليه، فلمّا رآني قال: سعد بنُ مالك! قلتُ: نعم، بأبي أنت و أمّي! و دنوتُ منه، فقبّلت ركبتَه وهو على فرسه، فقال: آجَرَك الله في أبيك! ثمّ نظرت إلى وجهه، فإذا في وَجْنتيه مثل موضع الدِّرهم في كلّ وَجْنة، وإذا شجّة في جبهته عند أصول الشّعر، وإذا شفتُهُ السُّفلى تَدمَى، وإذا في رباعيّته اليمنى شَظِيّة، وإذا على جُرحه شيءٌ أسود، فسألت: ما هذا على وجهه؟ فقالوا: حصيرٌ محرَق. وسألتُ: مَنْ أدْمى وجنتيه؟ فقيل ابن قمِيئة، فقلتُ: فمن شجَّه في وجهه؟ فقيل: ابنُ شهاب؛ فقلتُ: مَنْ أصاب شفتيه؟ قيل: عتبة بنُ أبي وَقّاص،

---

١ ـ الأثرم: الّذي لا أسنان له.

٢ ـ الشّن: القربة الخلق.

٣ ـ الشّيخان: موضع بالمدينة؛ كان به معسكر رسول الله ﷺ بأُحُد، وهما أُطمان سمّيا به.

فجعلت أعدُو بين يديه حتّى نزل ببابه، ما نزَل إلّا محمولًا، وأرى ركبتيه مجحوشَتَيْن[١] يتّكىء [على][٢] السَّعْدَيْن: سعد بن معاذ وسعد بن عُبادة، حتّى دخل بيته، فلمّا غربت الشَّمسُ وأذَّن بلالٌ بالصَّلاة، خرج على تلك الحال يتوكّأ على السَّعْدين: سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، ثمّ انصرَف إلى بيته والنَّاس في المسجد يوقِدون النِّيران يتمكدون بها من الجراح، ثمّ أذّن بلالٌ بالعشاء حين غاب الشَّفق، فلم يخرُج رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلس بلالٌ عند بابه صلى الله عليه وآله حتّى ذهبَ ثلث اللَّيل، ثمّ ناداه: الصَّلاه يا رسول الله! فخرج، وقد كان نائمًا،قال: فرمقْتُه فإذا هو أخفّ في مشيته منه حين دخل بيته، فصلّيت معه العشاء، ثمّ رجع إلى بيته قد صفّف له الرِّجالُ ما بين بيته إلى مُصَلّاه يمشي وحده حتّى دخل، ورجعتُ إلى أهلي فخبّرتهم بسلامته، فحمدوا الله وناموا، وكانت وجوه الأ وْس والخزْرج في المسجد على النَّبي صلى الله عليه وآله يحرُسونه فرَقًا من قريش أنْ تكرّ.

قال الواقديّ: وخرجت فاطمة عليها السلام في نساء وقد رأت الّذي بوجه أبيه صلى الله عليه وآله، فاعتنقَتْه، وجعلت تمسح الدّم عن وجهه، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اشتدَّ غضبُ الله على قوم دَمَّوْا وجهَ رسوله. وذهب عليّ عليه السلام فأُتِي بماء من المِهْراس، وقال لفاطمة: امسِكي هذا السَّيْف غيرذميم، فنظرإليه رسول الله صلى الله عليه وآله مختضبًا بالدَّم، فقال: لئن كنت أحسنت القتال اليوم، فلقد أحسن عاصمُ بن ثابت والحارث بن الصِّمّة وسهل بن حُنَيْف، وسيف أبي دُجانة غيرمذموم، هكذا روى الواقديّ.

وروى محمّد بنُ إسحاق أنّ عليًّا عليه السلام قال لفاطمة بيتي شِعْر، وهما:

أفاطِمَ هاء السَّيْف غيرذميمِ فلستُ برِعْديدٍ ولابلئيمِ

---

١ ـ يقال:جحش الجلد: سججه، وهو كالخدش أو فوقه.

٢ ـ من ا.

لَعِمري لقد جاهدتُ في نصر أحمدٍ وطاعة ربٍ بالعباد رحيم

فقال رسول الله ﷺ: لئن كنتَ صدقتَ القتال اليوم لقد صدَّق معك سِماك بن خَرَشة، وسهل بن حُنَيف.

قال الواقديّ: فلمّا أحضر عليٌّ عليه السلام الماء، أراد رسولُ الله ﷺ أن يشرب منه، فلم يستطع، وقد كان عطِشًا ووجد ريحًا من الماء كرهَها، فقال: هذا ماءٌ آجن، فتمضمض منه للدّم الّذي كان بفيه ثمّ مجّه، وغسلت فاطمةُ به الدَّمُ عن أبيها، فخرج محمّد بن مُسلمةَ يطلب مع النِّساء، وكنّ أربع عشرة امرأة، قد جئن من المدينة يتلقّين النّاس منهنّ فاطمة عليها السلام يحملن الطّعامَ والشّراب على ظُهورِهنّ، ويسقين الجرحى ويُداوينَهم.

قال الواقديّ: قال كعب بن مالك: رأيتُ عائشة وأمَّ سليم على ظهورهما القِرَب تحملانها يوم أحُد، وكانت حَمْنة بنتُ جحْش تسقي العطشَى وتداوى الجرحى، فلم يجد محمّد بن مسلمة عندهنّ ماء، ورسول الله ﷺ قد اشتدّ عطشه، فذهب محمّد بن مسلمة إلى قناة ومعه سقاؤه حتّى استقى من حُسى ـ قناة عند قصور التّميميين اليوم ـ فجاء بماء عذب، فشرب منه رسول الله ﷺ ودعا له بخير، وجعل الدّم لا ينقطع من وجهه عليه السلام وهو يقول: لن ينالوا منّا مثلها حتّى نَسْتلم الرُّكن! فلمّا رأت فاطمة الدّم لا يرقأ وهي تغسل جراحه، وعليٌّ يصبّ الماء عليها بالمجنّ، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتّى صار رمادًا، ثمّ ألصقته بالجرح، فاستمسك الدّم. ويقال: إنّها داوته بصوفة محرَقة، وكان رسول الله ﷺ بعد يداوِي الجراح الّذي في وجهه بعظْمٍ بال حتّى ذهب أثرُه. ولقد مكث يجد وَهنَ ضربة ابن قميئة على عاتقه شهرًا أو أكثر من شهر، ويداوي الأثر الّذي في وجهه بعظْم.

قال الواقديّ: وقال رسول الله ﷺ قبل أن ينصرف إلى المدينة: مَنْ يأتينا بخبر سعد بن الرَّبيع؟ فإنّي رأيته ـ وأشار بيده إلى ناحية من الوادي ـ قد شرع فيه اثنا عشر

سنانًا، فخرج محمّد بن مسلمة ـ ويقال أبيّ بن كعب ـ نحو تلك النّاحية. قال: فأنا وسط القتلى لتعرّفهم، إذ مررت به صريعًا في الوادي، فناديته فلم يجب، ثمّ قلت: إنّ رسول الله ﷺ أرسلني إليك. قال: فتنفّس كما يتنفّس الطّير، ثمّ قال: وإنّ رسول الله ﷺ لحيٌّ! قلتُ: نعم، وقد أخبرنا أنّه شرع لك إثنا عشر سنانًا، فقال: طعِنت اثنتى عشرة طعنة كلّها أجافتني، أبلغ قومك الأنصار السلام وقل لهم: الله الله وما عاهدتمْ عليه رسول الله ﷺ ليلة العقَبة! والله مالكم عُذْر عند الله إن خلِص إلى نبيّكم ومنكم عينٌ تطرِف ؛ فلم أرِمْ[1] من عنده حتّى مات، فرجعت إلى النّبيِّ ﷺ فأخبرته، فرأيته استقبل القبلة رافعًا يديه يقول: «اللّهمّ القَ سعدَ بن الرَّبيع وأنت عنه راض».

قال الواقديّ: وخرجت السّمداء بنتُ قيس؛ إحدى نساء بني دينار، وقد أصيبَ ابناها مع النّبيّ ﷺ بأحُد: النّعمان بن عبد عمر، وسُليم بن الحارث، فلمّا نُعِيا لها قالت: فما فَعَل رسولُ الله ﷺ؟ قالوا: بخير، هو بحَمْد الله صالح على ما تحبّين، فقالت: أرُونيه أنْظرُإليه، فأشاروا لها إليه، فقالت: كلُّ مصيبة بعدَك يا رسول الله جَلَلُ[2]! وخرجتْ تسوقُ بابنيها بعيرًا، [تردّهما إلى المدينة] [3]، فلقيتْها عائشةُ، فقالت: ما وراءكِ ؟ فأخبرتها [4]، قالت: فمن هؤلاء معك؟ قالت ابناى؛حلْ حلْ[5] تحملهما إلى القبر.

قال الواقديّ: وكان حمزةُ بنُ عبد المطّلب أوّل من جيء به إلى النّبيّ ﷺ بعد

---

١ ـ لم أرم: لم أبرح.

٢ ـ جلل، أى هينة.

٣ ـ من الواقديّ.

٤ ـ في الواقديّ: قالت: أما رسول الله ﷺ فبخير لم يمت، واتّخذ الله من المؤمنين شهداء: ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ الأحزاب/٢٥.

٥ ـ حلّ: زجر للبعير.

انصراف قريش ـ أو كان من أوّلهم ـ فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ، ثمّ قال: رأيتُ الملائكةَ تَغسله، ـ قالوا: لأنّ حمزة كان جُنُبًا ذلك اليوم ـ ولم يغسل رسول الله ﷺ الشهداءَيومئذ، وقال: لُفُّوهم بدمائهم وجراحِهم، فإنّه ليس أحد يُجرَح في سبيل الله إلّا جاء يومَ القيامة لونُ جُرحه لون الدّم، وريحه ريح المسك، ثمّ قال: ضَعوهم فأنا الشّهيد على هؤلاء يوم القيامة، وكان حمزةُ أوّل من كُبّرعليه أربعًا، ثمّ جمع إليه الشُّهداء فكان كلّما أُتِيَ بشَهيد وُضِع إلى جَنْب حمزة فصلّى عليه وعلى الشَّهيد، حتّى صلّى عليه سبعين مرّة، لأنّ الشهداء سبعون.

قال الواقديّ: ويقال: كان يُؤتَى بتسعة وحمزة عاشرهم، فيصلّي عليهم، وتُرفع التّسعة، ويُترك حمزة مكانه، ويُؤتَى بتسعةٍ آخرين فيوضعون إلى جنْب حمزة فيُصلّي عليه وعليهم،حتّى فعل ذلك سبعَ مرّات، ويقال:إنّه كَبّرعليه خمسًا وسبعًا وتسعًا.

قال الواقديّ: وقد اختَلفت الرّواية في هذا، وكان طلحة بنُ عُبيد الله وابنُ عبّاس وجابربن عبد الله يقولون: صلّى رسولُ الله ﷺ على قتلى أحُد، وقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء»؛ فقال أبو بكر: ألسْنَا إخوانهم أسلمْنا كما أسلموا، وجاهَدْنا كما جاهدوا! قال: بلى، ولكنّ هؤلاء لم يأكلوا من أُجورهم، شيئًا، ولاأدري ما تحدِثون بعدي! فبكى أبو بكروقال: إنّا لكائنون بعدَك! وقال أنس بنُ مالك وسعيد بنُ المسيّب: لم يصلّ رسول الله ﷺ على قتلى أُحُد.

قال الواقديّ: وقال لأهل القَتْلى: احفروا وأوسِعُوا وأحسنوا، وادفنوا الأثنين والثلاثة في القبر، وقدِّموا أكثرَهم قرآنًا. وأمربحمزة أن تمدّ بُردته عليه وهو في القبر، وكانت قصيرة، فكانوا إذا خمّروا بها رأسَه بدت رجلاه، وإذا خمّروا بها رجلَيْه انكَشَف وجهه، فبكَى المسلمون يومئذ، فقالوا: يا رسول الله: عمُّ رسول الله يُقتل فلا يوجد له ثوب! فقال: بلى؛ إنّكم بأرض جَرْديّة[1] ذات أحجار، وستفتح ـ يعنى الأرياف والأمصار ـ

---

١ ـ جردية؛ قال الواقديّ: الّتي ليس بها شيء من الأشجار.

فيخرج النَّاسُ إليها، ثمّ يبعثون إلى أهليهم، والمدينة خيرلهم لو كانوا يَعلمون؛ والّذي نفسي بيَدِه لا تصبرِ نفسٌ على لأوائها وشدّتها إلّا كنتُ لها شفيعًا ـ أو قال: شهيدًا ـ يومَ القيامة.

قال الواقديّ: وأُتِي عبدُ الرّحمن بنُ عوف في خلافة عثمانَ بثياب وطعام فقال: ولكنّ حمزة لم يوجدْ له كَفَن، ومصعب بنُ عُمَيرلم يوجد له كَفَن، وكانا خيرًا منّي!

قال الواقديّ: ومرّ رسول الله ﷺ بمُصعب بن عُميروهو مقتول مسجًّى ببردة خَلَق، فقال: لقد رأيتك بمكّة وما بها أحد أرقّ حُلّة ولا أحسن لِمّة منك، ثمّ أنت اليوم أشعث الرَّأس في هذه البُرْدة! ثمّ أمربه فقُبِر، ونَزَل في قبره أخوه أبو الرّوم وعامربن ربيعة وسُوَيبطة بن عمرو بن حَرْملة، ونزل في قبر حمزة عليٌّ عليه السلام والزُّبيرُ وأبو بكروعمر ورسولُ الله ﷺ جالسٌ على حفرته.

قال الواقديّ: ثمّ إنّ النّاس أو عامّتهم حَمَلوا قَتْلاهم إلى المدينة، فدُفن بالبقيع منهم عدّة، عند دار زيد بن ثابت، ودُفِن بعضهم ببني سَلِمة، فنادى منادِي رسول الله ﷺ: ردّوا القَتْلى إلى مضاجعهم ـ وكان النَّاس قد دفنوا قَتْلاهم ـ فلم يردّ أحدُ أحدًا منهم إلّا رجلًا واحدًا أدركه المنادي ولم يُدفَن، وهو ثمّاس بن عثمان المخزوميّ، كان قد حُمِل إلى المدينة وبه رَمَق، فأُدخل على عائشة فقالت أمّ سلمة: ابن عمّي يدخل إلى غيري! فقال رسولُ الله ﷺ: احملوه إلى أمّ سلمة، فحمَلوه إليها فمات عندها، فأمر رسولُ الله ﷺ أن يُردّ إلى أحُد فيُدفَن هناك كما هو في ثيابه الّتي مات فيها، وكان قد مكث يومًا وليلةً ولم يذق شيئًا، فلم يصلِّ عليه رسول الله ﷺ ولا غَسّله.

قال الواقديّ: فأمّا القبور المجتمعة هناك فكثيرمن النّاس يظنّها قبورَ قتلَى أحُد، وكان طلحة بن عبيد الله وعبّاد بن تميم المازنيّ يقولان: هي قبور قوم من الأعراب كانوا عامَ الرَّمادة في عهد عمرَ هناك، فماتوا ، فتلك قبورهم. وكان ابن أبي ذئب وعبدُ العزيزابن محمّد يقولان: لا نعرف تلك القبورَ المجتمعة، إنّما هي قبورُ ناس من أهل

البادية، قالوا: إنّا نعرف قبرَ حمزة وقبرَ عبد الله بن حزام وقبرَ سهل بن قيس، ولانعرف غيرَ ذلك.

قال الواقديّ: وكان رسولُ الله ﷺ يزور قتلَى أُحُد في كلِّ حَوْل، وإذا لقوه بالشِّعب رَفَع صوته يقول: السّلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقْبَى الدَّار! وكان أبو بكر يَفعل مِثْلَ ذلك، وكذلك عمرُ بن الخطّاب؛ ثمّ عثمان، ثمّ معاوية، حين يمرّ حاجًّا ومعتمِرًا.

قال: وكانت فاطمةُ بنتُ رسول الله ﷺ تأتيهم بينَ اليومَين والثّلاثة فتَبكي عندهم وتدعو، وكان سعدُ بن أبي وقّاص يَذهب إلى ماله بالغابة، فيأتي مِنْ خلف قبور الشُّهداء فيقول: السّلام عليكم؛ ثلاثًا، ويقول: لا يسلِّم عليهمْ أحدٌ إلّا ردُّوا عليه السلام إلى يوم القيامة.

قال: ومَرّ رسول الله ﷺ على قبر مُصعَب بن عُمير، فوقف عليه، ودعا وقرأ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَه وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1] ثمّ قال: إنّ هؤلاء شهداءُ عند الله يومَ القيامة، فأتوهم فزُوروهم وسلِّموا عليهم، والّذي نفسي بيَده لا يسلِّم عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلّا رَدُّوا عليه.

وكان أبو سعيد الخُدْريّ يقف على قبر حمزةَ فيدعو ويقرأ ويقول مِثْلَ ذلك.

وكانت أمُّ سَلَمة رحمها الله، تَذهب فتسلِّم عليهم في كلِّ شهر فتظلُّ يومَها، فجاءت يومًا ومعها غلامُها أنبهان، فلم يسلِّم، فقالت: أى لُكَع! أ لا تُسلِّم عليهم! والله لا يُسلِّم عليهم أحدٌ إلّا رَدُّوا عليه إلى يوم القيامة.

قال: وكان أبو هريرةَ وعبدُ الله بن عمر يذهبان فيسلِّمان عليهم، قالت فاطمة الخُزاعيّة: سلّمتُ على قبر حمزةَ يومًا ومعي أختٌ لي، فسمعْنا من القبر قائلًا يقول: وعليكما السّلام ورحمة الله! قالت: ولم يكن قربنا أحدٌ من النّاس.

قال الواقديّ: فلمّا فرغ رسولُ الله ﷺ من دفنهم دعا بفرسه فركبه، وخرج المسلمون

---

١ ـ الأحزاب/٢٣.

حوله عامّتهم جَرحي، ولا مثل بني سلِمة وبني عبد الأشهل، فلمّا كانوا بأصل الحَرّة قال: اصطفّوا، فاصطفّت الرِّجال صَفّين وخلفهم النِّساء وعدّتُهنّ أربع عشرةَ امراةً، فرفع يديه فدعا، فقال: اللّهمّ لك الحمد كلّه، اللّهمّ لا قابضَ لما بسطتَ، ولا مانعَ لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضِلّ لمن هَدَيت، ولا مقرِّب لما باعَدْت، ولا مباعِدَ لما قرّبت. اللّهمّ إنّي أسألك مِنْ بركتك ورحمتك وفضلِك وعافيتِك، اللّهمّ إنّي أسألك النَّعيمَ المقيمَ الّذي لا يحول ولا يزول، اللّهمّ إنّي أسألك الأمن يومَ الخوف، والغِناء يوم الفاقة، عائذًا بك، اللّهمّ من شرّ ما أعطيتَ، ومن شرّ ما منعت، اللّهمّ توفّنا مسلمين، اللّهمّ حبّب إلينا الإيمان، وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيان، واجعلنا من الرّاشدين، اللّهمّ عذِّب كَفَرة أهل الكتاب الّذين يُكَذّبون رسلك، ويصدُّون عن سبيلك، اللّهمّ أنزل عليهم رِجْسَك وعذابك إله الحقّ، آمين!

قال الواقديّ: وأقبل حتّى نزل ببني حارثة يمينًا حتّى طلع على بني عبد الأشهل وهم يبكون على قتلاهم، فقال: لكنّ حمزة لا بَواكي له! فخرج النِّساء ينظرن إلى سلامة رسول الله ﷺ، فخرجت إليه أمّ عامر الأشهليّة، وتركت النَّوح، فنظرتْ إليه وعليه الدِّرع كما هي، فقالت: كلّ مصيبة بعدك جَلَل. وخرجتْ كبشةُ بنت عُتْبة بن معاويّة بن بَلْحَارِث بن الخزرج تَعْدُو نحوَ رسول الله ﷺ وهو واقف على فرسه، وسعد بنُ معاذ آخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يا رسول الله، أمّي، فقال: مرحبًا بها! فدنت حتّى تأمّلته، وقالت: إذ رأيتُك سالمًا فقد شفّت[1] المصيبة. فعزّاها بعمرو بن معاذ، ثمّ قال: يا أُمَّ سعد: أبشري وبشّري أهليهم أنّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنّة جميعًا وهم إثنا عشر رجلًا، وقد شفعوا في أهليهم، فقالت: رضينا يا رسول الله، ومن يَبْكي عليهم بعدَ هذا! ثمّ قالت: يا رسول الله، أدع لمن خلَّفوا، فقال: أللّهمّ أذهب حزنَ قلوبهم، وآجر

---

١ ـ شفت المصيبة؛ أي هانت.

مصيبتَهم، وأحسِن الخلف على مَن خلَّفوا، ثمّ قال: لسعد بن مُعاذ: حُلّ أبا عمرو الدّابة فحَلّ الفرس، وتَبِعه النّاس، فقال: يا أبا عمرو، إنّ الجراح في أهل دارك فاشية، وليس منهم مجروح إلّا يأتي يومَ القيامة جُرحُه كأغزر ما كان، اللّون لونُ دم، والرّيح رِيحُ مسك، فمن كان مجروحًا فليقَرَّ في داره و ليداوِ جرحه، ولاتبلغ معي بيتي؛ عزمة منّي. فنادى فيهم سعد: عزمة من رسول الله ﷺ ألّا يتبعه جَريح من بني عبد الأشهل، فتخلّف كلّ مجروح، وباتوا يُوقِدون النّيران ويُداوُون الجراح، وإنّ فيهم لثلاثين جريحًا، ومضى سعد بنُ معاذ مع رسول الله ﷺ إلى بيته، ثمّ رجع إلى نسائه فساقهنّ، فلم تَبْقَ امرأةٌ إلّا جاء بها إلى بيت رسول الله ﷺ، فبكَيْن بين المغرب والعشاء، وقام رسولُ الله ﷺ حين فرغ من النّوم لثُلُث اللّيل، فسمع البكاء فقال: ما هذا؟ قيل: نساء الأنصار يَبكِين على حمزة، فقال رضي الله تعالى عنكنّ وعن أولادكنّ، وأمَرَ النّساء أن يرجعْن إلى منازلهنّ، قالت أُمّ سعد بن مُعاذ: فرجعْنا إلى بيوتنا بعد ليل ومعنا رجالُنا، فما بَكت منّا امرأة قطّ إلّا بدأتْ بحمزةَ إلى يومنا هذا.

ويقال: إنّ مُعاذ بن جَبَل جاء بنساء بني سَلِمة، وجاء عبدُ الله بن رُوَاحه بنساء بلحارث بن الخَزْرج، فقال رسولُ الله ﷺ: ما أردت هذا؛ ونهاهُنّ الغد عن النّوح أشدّ النّهى.

قال الواقديّ: وجعل ابنُ أبيّ والمنافقون معه يَشمَتون ويُسَرُّون بما أصاب المسلمين، ويُظهرون أقبحَ القول، ورجع عبدُ الله بن أبيّ إلى ابنه وهو جريح، فبات يَكوِي الجراحةَ بالنّار، حتّى ذهب عامّة اللّيل وأبوه يقول: ما كان خروجُك مع محمّد إلى هذا الوجه برأيي، عصاني محمّد وأطاع الولدان! واللهِ لكأنّي كنتُ أنظر إلى هذا، فقال ابنه: الّذي صَنع الله لرسوله وللمسلمين خيرإن شاء الله.

قال: وأظهرَت اليهودُ القول السيّء ، وقالوا : ما محمّد إلّا طالب مُلْك، ما أُصِيب

هكذا نبيّ قطّ في بدنه وأصيبَ في أصحابه، وجعل المنافقون يُخَذّلون[١] عن رسول الله ﷺ وأصحابه ويأمرونهم بالتفرّق عنه، وقالوا لأصحاب النّبيّ ﷺ: لو كان من قُتِل، منكم عندنا ما قُتِل، حتّى سَمِع عمر بن الخطّاب ذلك في أماكن، فمَشَى إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في قتل مَنْ سَمِع ذلك منهم من اليهود والمنافقين، فقال له: يا عمر، إنّ الله مُظهِر دينه ومعزّ نبيّه، ولليهود ذِمّة فلا أقتلهم.

قال: فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون، فقال: أليس يُظهِرون شهادةَ أن لا إله إلّا الله وأنّي رسولُ الله! قال: بلى، وإنّما يفعلون تعوّذًا من السّيف، وقد بان لنا أمرُهم، وأَبدَى الله أضغانَهُم عند هذه النّكبة، فقال: إنّي نهيت عن قتل من قال: لا إله إلّا الله محمّدٌ رسول الله يا بنَ الخطّاب، إنّ قريشًا لن ينالوا ما نالوا منّا مِثلَ هذا اليوم حتّى نَستلِم الرّكن[٢].

ورَوَى ابنُ عبّاس أنّ النّبيّ ﷺ قال: إخوانكم لما أصيبوا بأحُد جُعِلت أرواحُهم في أجواف طَيْر خُضر، ترِد أنهارَ الجنّة فتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب في ظِلّ العرش، فلمّا وجدوا طيب مَطعمِهم ومَشربِهم ورأوا حسنَ مُنقلَبهم قالوا: ليتَ إخواننا يَعلَمون بما أكرمنا الله وبما نحن فيه لئلّا يَزْهدوا في الجِهاد، ويكلُّوا عند الحرب! فقال لهم الله تعالى: أنا أبلّغهم عنكم، فأنزل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٣]. (١٥ : ٢٥ ـ ٤٣)

---

١ ـ يخذّلون عنه: يمنعون من نصرته.

٢ ـ استلم الرّكن: قبله أو لمسه بيده.

٣ ـ آل عمران/١٦٩.

القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكّة

قال الواقديّ: حدّثني موسى بن شيبة، عن قَطَن بن وهيب اللَّيثيّ، قال: لمّا تحاجز الفريقان، ووجّه قريش إلى مَكّة، وامتطوا الإبل، وجنَبوا الخيل، سار وَحْشيّ، عبد جُبَيْر ابنِ مُطعِم على راحلته أربعًا، فقدِم مكّة يبشّر قريشًا بمصاب المسلمين، فانتهى إلى الثّنِيّة الّتي تطلع على الحَجُون فنادى بأعلى صوته: يا معشرَ قريش، مرارًا حتّى ثابَ النّاس إليه وهم خائفون أن يأتيَهم بما يكرهون، فلمّا رضي منهم قال: أبشِروا فقد قتلْنا من أصحاب محمّد مقتلة لم نقتل مِثلَها في زَحْف قطّ، وجرحنا محمّدًا فأثبتْناه بالجراح، وقتلنا رأسَ الكتيبة حمزة بن عبد المطّلب، فتفرّق النّاسُ عنه في كلّ وجه بالشّماته بقتل أصحاب النّبيّ ﷺ وإظهار السُّرور، وخلا جُبير بنُ مُطعِم بوحشيّ، فقال: انظر ما تقول! قال وحشيّ: قد والله صدقت. قال: قتلتَ حمزة؟ قال: إى والله ولقد زَرَقْته بالمِزراق[1] في بطنه، فخرج من بين فخذيه، ثمّ نودي فلم يجب، فأخذت كبِدَه وحملتُها إليك لتراها. فقال: أذهبتَ حزن نسائنا، وبرّدت حرَّ قلوبِنا، فأمر يومئذ نسائه بمراجعَة الطِّيب والدّهن.

قال الواقديّ: وقد كان عبدُ الله بن أبي أميّة بن المغيرة المخزوميّ لمّا انكشف المشركون بأُحُد في أوّل الأمر، خرج هاربًا على وجهه، وكرِهَ أن يقدّم مكّة، فقَدِم الطّائف، فأَخبرَ ثقيفًا أنّ أصحاب محمّد قد ظفروا وانهزَمْنا، وكنت أوّل من قدم عليكم، ثمّ جاءهم الخبر بعدُ أنّ قريشًا ظفرتْ وعادت الدّولةُ لها.

قال الواقديّ: فسارت قريش قافلةً إلى مكّة، فدخلتْها ظافرةً، فكان ما دخل على قلوبهم من السّرور يومئذ نظير ما دخل عليهم من الكآبة والحُزن يومَ بدر، وكان ما دخل على قلوب المسلمين من الغَيْظ والحُزْن يومئذ نظير ما دخل عليهم من السّرور

---

١ ـ المزراق: الرّمح القصير، وزرقه، أي، رماه.

والجَذَل يومِ بدرٍ، كما قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[١] وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[٢]، قال: يعني إنّكم يوم بدر قَتلتم من قريش سبعين، وأسرتم سبعين، وأمّا يوم أُحُد فقُتل منكم سبعون، ولم يؤسَر منكم أحد، فقد أصبتم قريشًا بمثلَي ما أصابوكم يومَ أُحُد، وقوله: ﴿أَنَّى هَذَا﴾ أي كيفَ هذا، ونحن موعودون بالنّصر ونزولِ الملائكة، وفينا نبيّ يَنزِل عليه الوحيُ من السّماء! فقال لهم في الجواب: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني الرُّماةَ الّذين خالفوا الأمر وعصَوا الرّسول، وإنّما كان النّصر ونزول الملائكة مشروطًا بالطّاعة وألّا يُعصَى أمرُ الرّسول، ألا ترَى إلى قوله: ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[٣] فعلّقه على الشَّرط! (١٥ : ٤٤ ـ ٤٥)

القول في مقتل أبي عزّة الجُمَحِيّ ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس

قال الواقديّ: أمّا أبو عزّة ـ واسمه عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جُمح ـ فإنّ رسول الله ﷺ أخذه أسيرًا يومَ أحُد ـ ولم يؤخذ يومَ أحُد أسيرٌ غيره ـ فقال: يا محمّد، مُنَّ عليَّ، فقال رسولُ الله ﷺ: إنّ المؤمن لا يُلدَغ من جُحرٍ مرّتين، لا ترجع إلى مكّة تمسح عارضَيك، فتقول سخرتُ بمحمّد مرّتين. ثمّ أمر عاصم بن ثابت فضرَب عنقه.

قال الواقديّ: وقد سمعْنا في أسره غيرَ هذا، حدّثني بكير بن مسمار، قال: لمّا انصرف

---

١ ـ آل عمران /١٤٠.

٢ ـ آل عمران/١٦٥.

٣ ـ آل عمران/١٢٥.

المشركون عن أحُد نزلوا بحمراءَ الأُسد في أوّل اللّيل ساعةً، ثمّ رحلوا وتركوا أباعزّة مكانه حتّى ارتفع النّهار، فلحقه المسلمون وهو مستنبه يتلدّد، وكان الّذي أخذه عاصم بنُ ثابت، فأمره النّبيُّ ﷺ فضرب عنقه.

قلت: وهذه الرّواية هي الصّحيحة عندي، لأنّ المسلمين لم تكن حالهم يومَ أحُد حال مَنْ يتهيّأ له أسرُ أحد من المشركين في المعركةِ لِمَا أصابهم من الوَهَن.

فأمّا معاويه بن المغيرة فَرَوى البلاذريّ أنّه هو الّذي جَدَع أنف حمزة ومَثّل به، وأنّه انهزم يوم أحُد فمضى على وجهه، فبات قريبًا من المدينة، فلمّا أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفّان بن أبي العاص ـ وهو ابن عمّه لحًّا ـ فضَرَب بابه، فقالت أمّ كلثوم زوجتُه وهي ابنة رسول الله ﷺ: ليس هو هاهنا، فقال: ابعثي إليه، فإنّ له عندي ثمنَ بعير ابتعتُه منه عامَ أوّل، وقد جئتُه به فإنْ لم يجئ ذهبت فأرسلت إليه، وهو عند رسول الله ﷺ، فلمّا جاء قال لمعاوية: أهلكتَني وأهلكتَ[1] نفسَك! ما جاء بك؟ قال: يا بن عمّ، لم يكن أحدٌ أقرب إليَّ ولاأمَسّ رحِمًا بي منك، فجئتك لتُجيرني، فأدخله عثمان دَارَه وصيّره في ناحية منها، ثمّ خرج إلى النّبيّ ﷺ ليأخذَ له منه أمانًا، فسَمِعَ رسول الله ﷺ يقول: إنّ معاوية في المدينة، وقد أصبح بها فاطلبوه.

فقال بعضهم: ما كان ليَعْدُوَ منزل عثمان، فاطلبوه به، فدخلوا منزلَ عثمان فأشارت أمّ كلثوم إلى الموضع الّذي صيّره فيه، فاستخرجُوه من تحت حمارة لهم، فانطلقوا به إلى النّبيِّ ﷺ، فقال عثمان حين رآه: والّذي بعثك بالحقّ ما جئت إلّا لأطلبَ له الأمان، فَهبْه لي، فوَهَبه له، وأجلّه ثلاثًا، وأقسَم: لئن وجده بعدها يمشي في أرض المدينة وما حولها ليقتلنّه. وخرج عثمانُ فجهّزه واشْتَرى له بعيرًا، ثمّ قال: ارتحل.

وسار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليَعرف أخبارَ

---

١ ـ البلاذريّ: «أهلكتني ونفسك».

النّبيُّ ﷺ، ويأتي بها قريشًا، فلمّا كان في اليوم الرّابع قال رسول الله ﷺ: إنّ معاوية أصبح قريبًا لم ينفذ، فاطلبوه. فأصابوه وقد أخطأ الطّريقَ، فأدركوه، وكان اللّذان أسرعا في طلبه زيد بن حارثة وعمّار بنُ ياسر، فوجداه بالجمّاء[1] فضرَبَه زيد بالسّيف، وقال عمّار: إنّ لي فيه حقًّا، فرمياه بسهم فقَتَلاه، ثمّ انْصَرفا إلى المدينة بخبره، ويقال: إنّه أُدرك على ثمانية أميال من المدينة، فلم يزل زيدٌ وعمّار يرميانه بالنّبل حتّى مات.

قال: و معاوية هذا أبو عائشة بنت معاوية أمّ عبد الملك بن مروان.

قال: وذكر الواقديّ في كتابه مِثْلَ هذه الرّواية سواء.

قال البَلاذُريّ: وقال ابن الكَلْبي: إنّ معاوية بن المغيرة جَدَع أنفَ حمزةَ يومَ أحُد وهو قتيل، فأُخِذ بقرب أُحُد، فقُتل على أحُد بعد انصراف قريش بثلاث، ولا عَقب له إلّا عائشة أمّ عبد الملك بنِ مَرْوان.

قال: ويقال: إنّ عليًّا عليه السلام هو الّذي قَتل معاويةَ بن المغيرة[2].

قلت: وروايةُ ابن الكَلْبيّ عندي أصحّ، لأنّ هزيمة المشركين كانت في الصّدمة الأُولى عقيبَ قتلِ بني عبد الدّار أصحاب الألْوِيَة، وكان قتل حمزةَ بعد ذلك لمّا كرّ خالدُ بنُ الوليد الخيلَ من وراء المسلمين، فاختَلَطُوا وانتقَض صفُّهم، وقتل بعضُهم بعضًا، فكيف يصحّ أن يجتمع لمعاوية كونه قد جَدَع أنف حمزة، وكونه قد انهزم مع المشركين في الصّدمة الأولى! هذا متناقض، لأنّه إذا كان قد انهزم في أوّل الحرب استحال أن يكون حاضرًا عند حمزةَ حين قُتل.

والصّحيح ما ذكره ابنُ الكَلْبيّ من أنّه شهد الحربَ كلَّها، وجدَع أنف حمزة، ثمّ حصل في أيدي المسلمين بعد انصراف قريش، لأنّه تأخّر عنهم لعارضٍ عَرَض له فأدركه حِينُه، فقُتِل. (١٥: ٤٥ ـ ٤٨)

---

١ ـ الجمّاء: تطلق على ثلاثة مواضع بالمدينة.

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٣٧، ٣٣٨ مع تصرّف واختصار.

القول في مقتل المجذّر بن زياد البلويّ والحارث بن سويد بن الصّامت

قال الواقديّ: كان المجذّر بن زياد البَلَوِيّ حليف بني عوف بن الخَزرج ممّن شهد بَدْرًا مع رسول الله ﷺ، وكانت له قصّة في الجاهليّة قبل قدوم النّبيّ ﷺ المدينة، وذلك أنّ حُضَير الكتائب والد أُسَيْد بن حُضَيْر، جاء إلى بني عَمرو بن عوف، فكلّم سويد بنَ الصّامت وخوّات بن جُبَير وأبا لُبابة بنَ عبد المنذر ـ ويقال سهل بن حُنَيْف ـ فقال: هل لكم أن تَزُوروني فأسقيَكم شرابًا، وأنحَر لكم، وتقيمون عندي أيّامًا! قالوا: نعم، نحن نأتيك يومَ كذا، فلمّا كان ذلك اليوم جاءوه فَنَحَر لهم جَزورًا، وسقاهم خَمرًا، وأقاموا عنده ثلاثة أيّام حتّى تغيّر اللَّحم ـ وكان سويدُ بنُ الصامت يومئذ شيخًا كبيرًا ـ فلمّا مضت الأيّام الثّلاثة قالوا: ما نرانا إلّا راجِعين إلى أهلنا! فقال حُضَيْر: ما أحبَبْتُم! إنْ أحببتم فأقيموا، وإن أحبَبْتم فانصرفوا، فخرَج الفَتَيان بسُوَيْد بن الصّامت يَحملانه على جَمَل من الثَّمَل[1]، فمرُّوا لاصقِين بالحرّة حتّى كانوا قريبًا من بني عيينة[2] فجلس سُويد يبول وهو ثَمِلٌ سُكْرًا، فبَصُر به إنسان من الخزرج، فخرج حتّى أتى المجذّر بن زياد، فقال: هل لك في الغَنيمة الباردة! قال: ما هي؟ قال: سويد بن الصامت، أعزَل لا سِلاحَ معه، ثَمِل، فخرج المجذّر بن زياد بالسَّيْف مُصلَتا، فلمّا رآه الفَتَيان وهما أعزَلان لا سلاح معهما وَلّيا، والعَداوة بين الأوس والخزرج شديدة. فانصَرفا مسرِعَيْن، وثبت الشيخُ ولا حَرَاكَ به، فوقف المجذّر بن زياد، فقال: قد أمكنَ الله منك! قال: ما تريد بي؟ قال: قَتْلَك. قال: فارفع عن الطَّعام، واخفض عن الدِّماغ، فإذا رجعتَ إلى أمّك، فقل: إنّي قتلت سويدَ بن

---

١ ـ الثَّمَل بفتحتين: أي السّكر.

٢ ـ الواقديّ: «غصينة».

الصامت. فقَتَله، فكان قتلُه هو الّذي هَيّج وقعة بُعاث.

فلمّا قَدِم رسول الله ﷺ المدينة أسلم الحارث بنُ سويد بن الصّامت، وأسلَم المجذّر فشهِدَا بدرًا، فجعل الحارث بنُ سُوَيد يطلب المجذّر في المعركة ليقتله بأبيه، فلا يقدِر عليه يومئذ؛ فلمّا كان يومُ أحُد وَ جَالَ المسلمون تلك الجَوْلة، أتاه الحارث مِنْ خلفِه فضَرَب عُنُقَه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثمّ خرج إلى حَمْراء الأسد، فلمّا رجع من حمراء الأسد أتاه جبرائيل عليه السلام، فأخبره أنّ الحارث بنَ سُويد قَتل المجذر غِيلةً، وأمَرَه بقتله، فرَكِب رسولُ الله ﷺ إلى قُبَاء في اليَوْم الّذي أَخبَره جبرائيل في يوم حارّ ـ وكان ذلك يومًا لا يَركَب فيه رسول الله ﷺ إلى قُبَاء، إنّما كانت الأيّام الّتي يأتي فيها رسول الله ﷺ قُبَاء يوم السَّبْت، ويوم الأثنين ـ فلمّا دخل رسول الله ﷺ مسجدَ قُباء صلّى فيه ما شاء الله أن يصلّى، وسمعت الأنصارُ فجاءوا يسلِّمون عليه، وأنكروا إتيانَه تلك السَّاعة، في ذلك اليوم، فجلس عليه السلام يتحدّث ويتصفّح النّاسَ حتّى طلع الحارثُ بن سويد في مِلحفةٍ مورَّسة[1]، فلمّا رآه رسول الله ﷺ دعا عُوَيْم بن ساعدة فقال له: قدّم الحارثَ بن سويد إلى باب المسجد فاضربْ عنقه بمجذّر بن زياد، فإنّه قتَلَه يومَ أحُد، فأَخذه عويم، فقال الحارث: دعنى أكلّمْ رسول الله ـ ورسول الله ﷺ يريد أن يَركَب، ودعا بحماره إلى باب المسجد ـ فجعل الحارث يقول: قد والله قتلتُه يا رسول الله، وما كان قَتْلي إيّاه رجوعًا عن الإسلام ولاارتيابًا فيه، ولكنّه حَمِيّة الشيطان، وأمرُ وكِلتُ فيه إلى نفسي وإنّي أتوب إلى الله وإلى رسوله ممّا عَمِلت، وأُخرج دِيتَه وأصوم شهرين متتابعين، وأعتق رقبةً، وأُطعِم ستّين مسكينًا، إنّي أتوب إلى الله يا رسول الله! وجعل يُمسِك بركاب رسول الله ﷺ وبنو المجذّر حضور، لا يقول لهم رسول الله ﷺ شيئًا، حتّى إذا اسْتَوْعب كلامه قال: قدّمه يا عويم فاضرب عنقَه. و رَكِب رسول الله ﷺ، فقدّمه عويم بن ساعدة على باب

---

١ ـ مورسة: مصبوغة بالورس وهو نبات باليمن معروف.

المسجد، فضَرَب عنقه.

قال الواقديّ: ويقال: إنّ الّذي أعلمَ رسول الله قتلَ الحارث المجذّر يومَ أُحد حبيب ابن يَساف، نظر إليه حين قَتَله، فجاء إلى النّبيّ ﷺ، فأخبره، فركب رسول الله ﷺ يتفحّص عن هذا الأمر، فبينا هو على حِماره نزل جبرائيل عليه السلام، فخبّره بذلك، فأمر رسول الله ﷺ عُوَيمًا فضرَب عنقَه، ففي ذلك قال حسّان:

يا حارِ في سنة من نوم أوّلِكُمْ أم كنتَ ويحَكَ مغترًّا بجبريلِ[1]

فأمّا البلاذُريّ؛ فإنّه ذَكَر هذا، وقال: ويقال: إنّ الجُلاس بن سُوَيد بن الصّامت هو الّذي قتل المجذّر يوم أُحُد غِيلةً، إلّا أنّ شعر حسّان يَدلّ على أنّه الحارث[2].

قال الواقديّ والبلاذريّ: وكان سويدُ بن الصّامت حين ضربه المجذّر بقيَ قليلًا ثمّ مات، فقال قبل أن يموت يخاطب أولاده:

أبلغ جُلاسًا وعبدَ الله مألُكةً وإن دعيتَ فلا تَخذُلْهما حارِ

أقتلْ جِذارة إذ ما كنتَ لاقيَهمْ والحيّ عَوْفًا على عُرفٍ وإنكارِ

قال البلاذريّ: جذرة وجذارة أخَوان، وهما ابنا عوف بن الحارث بن الخزرج[3].

---

١ ـ ديوانه ٣١٨، وبعده:

أَمْ كُنتَ يا بْنَ زيَادٍ حِينَ تَقْتُلُه بغَيْرَةٍ في قَضَاءِ اللهِ مَجْهُولِ

وَقُلْتُمْ لَنْ نُرَى وَاللهُ مُبْصِرُكُمْ وَفيكُمُ مُحْكَمُ الآيَاتَ وَ الْقِيلِ

مُحَمَّدٌ والعزيزُ اللهُ يُخْبِرُهُ بِمَا يُكِنُّ سريرات الأقاويلِ

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٣٢.

٣ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٣٣.

قلت: هذه الرّوايات كما تَرَى وقد ذكر ابن ماكولا في «الإكمال» أنّ الحارث بنَ سويد قَتَل المجذّر غيلةً يوم أحُد، ثمّ التَحَق بمكّة كافرًا، ذكره في حرف الميم من هذا الكتاب، وهذا هو الأشبه عندي. (١٥ : ٤٨ ـ ٥١)

القول فيمن مات من المسلمين بأحُد جملةً

قال الواقديّ: ذكر سعيد بن المسيّب وأبو سعيد الخُدْريّ أنّه قُتِل من الأنصار خاصّة أحدٌ وسبعون، وبمثله قال مجاهد.

قال: فأربعةٌ من قريش، وهم حمزة بن عبد المطّلب، قتله وحشيّ، وعبد الله بن جحش بن رئاب، قَتَله أبو الحكم بن الأخْنَس بن شَرِيق، وشمّاس بن عثمان بن الشريد من بني مَخزوم، قتَله أبيُّ بن خَلَف، ومصعب بن عمير، قتله ابن قَمِيئة.

قال: وقد زاد قوم خامسًا، وهو سعدٌ مولى حاطب من بني أَسَد بن عبد العُزّى.

وقال قوم أيضًا: إنّ أبا سَلَمة بن عبد الأسد المخزوميّ جُرِحَ يومَ أحُد، ومات من تلك الجراحة بعد أيّام.

قال الواقديّ: وقال قوم: قتل ابنا الهبيب من بني سَعْد بن ليث، وهما عبد الله وعبد الرّحمن ورجلان من بني مُزَينة وهما وَهْب بن قابوس وابن أخيه الحارث بن عُتْبة بن قابوس، فيكون جميعُ من قُتِل من المسلمين ذلك اليوم نحو أحد وثمانين رجلًا، فأمّا تفصيل أسماءِ الأنصار فمذكورٌ في كتب المحدّثين، وليس هذا الموضع مكانَ ذكره. (١٥ : ٥١ ـ ٥٢)

القول فيمن قتل من المشركين بأحُد

قال الواقديّ: قُتل من بني عبد الدّار طلحةُ بن أبي طلحة صاحبُ لواء قريش؛ قتَلَه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مبارزة، وعثمان بن أبي طلحة؛ قتله حمزةُ بن عبد المطّلب

وأبو سعيد بن أبي طلحة؛ قتله سعدُبن أبي وَقّاص، ومسافع بن طلحة بن أبي طلحة، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكلاب بن طَلْحة بن أبي طلحة؛ قتله الزُبير بن العوّام والحارث بن طلحة بن أبي طلحة، قتله عاصم بن ثابت، والجُلاس بن طلحة بن أبي طلحة، قتله طلحة بن عبيد الله، وأرطاة بن عبد شُرَحبيل، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام و قارظ[1] بن شُرَيْح بن عثمان بن عبد الدّار ـ ويُروَى قاسِط بالسين والطّاء المهملتين ـ.

قال الواقديّ: لا يُدرَى من قَتَله، وقال البلاذريّ[2]: قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصواب مولاهم: قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وقيل: قتله قزمان[3]، وأبو عزيز بن عمير أخو مُصعَب بن عمير، قتله قزمان، فهؤلاء أحد عشر.

ومن بني أَسَد بن عبد العُزّى عبدُ الله بن حميد بن زُهير بن الحارث بن أسَد، قَتله أبو دُجانة في رواية الواقديّ، وفي رواية محمّد بن إسحاق، قَتَله عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقال البَلاذُرِيّ: قال ابن الكلبي: إنّ عبد الله بن حُميد قتلَ يوم بدر. ومن بني زُهْرة أبو الحكم بن الأخْنس بن شَرِيق، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وسباع بن عبد العُزّى الخُزاعي ـ واسم عبد العزّى عمر بن نَضْلة ابن عبّاس بن سليم، وهو ابن أمّ أنمار الحجّامة بمكّة ـ قتله حمزة بن عبد المطّلب، فهذان رجلان.

ومن بني مخزوم أميّه بن أبي حذيفة بن المغيرة؛ قتله عليٌّ عليه السلام، وهشام بن أبي أميّه ابن المغيرة، قتله قزمان، والوليد بن العاص بن هشام قتله قزمان، وخالد بن أعلم العُقَيلي، قتله قزمان، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة؛ قتله الحارث بن الصِّمّة،

---

١ ـ الواقديّ: «فارط»، والبلاذريّ: «قاسط».

٢ ـ أنساب الأشراف ١: ٣٣٤.

٣ ـ أنساب الأشراف: «غيره».

فهؤلاء خمسة.

ومن بني عامربن لؤيّ عبيد بن حاجز، قتله أبو دجانة، وشَيْبة بن مالك بن المضرّب قتله طلحةُ بن عبيد الله، وهذان اثنان.

ومن بني جُمَح أبيّ بن خَلَف، قتله رسول الله ﷺ بيَده، وأبو عزّةَ قتله عاصمُ بن ثابت صَبْرًا بأمْر رسول الله ﷺ، فهذان اثنان.

ومن بني عبدِ مناة بن كنانة خالدُ بنُ سُفْيان بن عُوَيف،وأبو الشَّعْثاء بن سُفْيان بن عويف، وأبو الحَمْراء بن سُفْيان بن عويف، وغراب بن سُفيان بن عُوَيف، هؤلاء الإخوة الأربعة قَتَلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رواية محمّد بن حبيب.

فأمّا الواقديّ فلم يذْكُرفي باب من قُتل من المشركين بأُحُد لهم قاتلًا معيّنًا، ولكنّه ذكرفي كلام آخرقبل هذا الباب أنّ أبا سَبْرة بن الحارث بن علقمة قَتَل أحد بني سفيان بن عويف، وأنّ رشيدًا الفارسيّ مولى بني معاوية لقي آخرمن بني سُفيان بن عويف مقنِّعًا في الحديد وهو يقول: أنا ابن عويف، فيعرض له سعد مولى حاطب، فضرَبه ابن عويف ضربةً جَزَله باثنتين، فأقبل رشيد على ابن عويف فضربه على عاتقه ـ فقطع الدَّرع ـ حتّى جزله باثنتين وقال: خذها وأنا الغلام الفارسي، فقال رسول الله ﷺ وهو يراه ويسمعه: أ لا قلتَ: أنا الغلام الأنصاريّ! قال: فيعرض لرشيد أخٌ للمقتول أحد بني سفيان بن عويف أيضًا، وأقبل يعدُو نحوَه كأنّه كلبٌ، يقول: أنا ابن عويف، ويضربه رشيد أيضًا على رأسه وعليه المغفر، ففلق رأسه، وقال: خذها وأنا الغلام الأنصاريّ! فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: أحسنت يا أبا عبد الله! فكنّاه رسول الله ﷺ يومئذ ولا ولَد له.

قلت: فأمّا البلاذريّ فلم يذكرلهم قاتلًا، ولكنّه عدّهم في جملة من قُتل من المشركين بأُحُد، وكذلك ابن إسحاق لم يذكرمَنْ قتلهم، فإنْ صحَّت رواية الواقديّ فعليّ عليه السلام لم يكن قد قتل منهم إلّا واحدًا، وإن كانت رواية ابن حبيب صحيحة

فالأربعة مِن قَتْلاه عليه السلام.

وقد رأيت في بعض كتب أبي الحسن المدائني أيضًا أنّ عليًا عليه السلام هو الّذي قتل بني سفيان بن عويف يوم أُحُد، وروى له شعرًا في ذلك. ومن بني عبد شمس معاوية ابن المغيرة بن أبي العاص، قتله عليٌّ عليه السلام في إحدى الرِّوايات، وقيل: قتله زيد بن حارثة وعمّار بن ياسر. فجميع من قُتل من المشركين يوم أُحُد ثمانية وعشرون، قتل عليٌّ عليه السلام منهم ـ ما اتّفق عليه وما اختلف فيه ـ اثنى عشر، وهو إلى جملة القتلى كعدّة من قتل يوم بدر إلى جملة القتلى يومئذ، وهو قريبٌ من النِّصف. (١٥ : ٥٢ ـ ٥٤)

القول في خروج النّبيّ صلى الله عليه وآله وبعد انصرافه من أُحُد إلى المشركين ليوقع بهم على ما هو به من الوَهَن

قال الواقديّ: بلغ[1] رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ المشركين قد عزموا أن يردُّوا إلى المدينة فينهبوها، فأحبّ أن يريَهم قوّة، فصلّى الصُّبح يوم الأحد لثمان خلوْن من شوّال ومعه وجوه الأوس والخزرج، وكانوا باتوا تلك الليلة في بابه يحرسونه من البيات، فيهم سعد بن عبادة، وسعد بن مُعاذ، والحُباب بن المنذر، وأوس بن خولي، وقتادة بن النُّعمان في عدّة منهم. فلمّا انصرف من صلاة الصُّبح أمر بلالًا أن ينادى في النّاس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرُكم بطلب عدوّكم، ولا يخرج معنا إلّا من شهد القتال بالأمس، فخرج سعد بن معاذ راجعًا إلى قومه يأمرهم بالمسير، والجراح في النّاس فاشية، عامّة بني عبد الأشهل جريح، بل كلّها، فجاء سعد بن معاذ فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تطلبوا عدوّكم. قال: يقول أُسَيْد بنُ حُضَيْر ـ وبه سبع جراحات، وهو يريد أن يداويها ـ: سمعًا وطاعةً لله و لرسوله! فأخذ سلاحه ولم يعرّج على دواء جراحه،

---

١ ـ مغازي الواقديّ: ٣٢٥ وما بعدها.

ولحق برسول الله ﷺ. وجاء سعد بن عبادة قومه بني ساعدة، فأمرهم بالمسير، فلبسوا ولحقوا، وجاء أبو قتادة أهل خربا، وهم يداوون الجراح، فقال: هذا منادي رسول الله ﷺ يأمركم بطلب العدوّ، فوثبوا إلى سلاحهم، ولم يعرّجوا على جراحاتهم فخرج من بني سَلِمة أربعون جريحًا، بالطُّفيل بن النُّعمان ثلاثة عشر جرحًا، وبخراش ابن الصِّمّة عشر جراحات، وبكعب بن مالك بضعة عشر جرحًا، وبقطبة بن عامر بن خديج بيده تسع جراحات، حتّى وافَوْا النّبيّ ﷺ بقبر أبي عتبة، وعليهم السَّلاح ، وقد صفّوا لرسول الله ﷺ. فلمّا نظر إليهم والجراح فيهم فاشية، قال: اللّهمّ ارحمْ بني سلِمة.

قال الواقديّ: وحدّثني عتبة بن جبيرة عن رجال [من] [1] قومه؛ أنّ عبد الله بن سهل ورافعِ بن سهل من بني عبد الأشهل رجعا من أحُد وبهما جراحٌ كثيرة وعبد الله أثقلهما جرحا، فلمّا أصبحا وجاء سعد بن معاذ قومه يخبرُهم أنّ رسول الله ﷺ يأمرُهم بطلب العدوّ، قال أحدهما لصاحبه: والله إن تركنا غزاة مع رسول الله ﷺ لغبن، والله ما عندنا دابّة نركبها، ولاندري كيف نصنع! قال عبد الله انطلق بنا. قال رافع: لا والله ما بي مشي، قال أخوه: انطلق بنا نقصد ونجوز، وخرجا يزحفان، فضعف رافع فكان عبدُ الله يحمله على ظهره عقبه، ويمشي.الآخر عقبه، حتّى أتوا رسول الله ﷺ عند العشاء وهم يوقدون النّيران، فأتى بهما رسول الله ﷺ وعلى حرسه تلك اللّيلة عباد بن بشر، فقال رسول الله ﷺ لهما: ما حبسكما؟ فأخبراه بعلّتهما فدعا لهما بخير، وقال: إن طالت لكما مدّة كانت لكما مراكبُ من خيل وبغال وإبل، وليس ذلك بخير لكما.

قال الواقديّ: وقال جابر بنُ عبد الله: يا رسول الله، إنّ مناديًا نادى ألّا يخرج معنا إلّا مَن حضر القتال بالأمس، وقد كنتُ حريصًا بالأمس على الحضور، ولكنّ أبي

---

١ ـ من الواقديّ.

خَلَفني على أخوات لي، وقال: يا بنيّ لا ينبغي لك أن تَدَعهنّ ولا رجلَ معهنّ، وأخاف عليهنّ، وهنّ نُسَيّات ضعاف، وأنا خارج مع رسول الله ﷺ لعلّ الله يرزُقني الشَّهادة، فتخلّفت عليهنّ فاستأثر عليَّ بالشَّهادة، وكنت رجوتُها، فأذَن لي يا رسول الله أن أسيرَ معك. فأذن له رسولُ الله ﷺ.

قال جابر: فلم يخرج معه أحدٌ لم يَشهد القتالَ بالأمس غيري، واستأذنه رجال لم يحضروا القتال. فأبَى ذلك عليهم، فدعا رسولُ الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يحلّ من أمس، فدفعه إلى عليّ عليه السلام، ويقال: دَفَعه إلى أبي بكر، فخرج رسولُ الله ﷺ وهو مجروح، في وجهه أثرُ الحلْقتين، ومشْجوج في جَبْهته في أصول الشَّعْر، ورباعيَتُه قد شظيتْ، وشفَتُه قد كُلِمتْ من باطنها، ومَنكِبه الأيمن مُوهَنٌ بضربة ابن قميئة، ورُكبتاه مَجْحوشَتان، فدخل المسجدَ فصلّى ركعتين، والنّاس قد حَشَدوا، ونزل أهلُ العوالي[1] حيث جاءهم الصّريخ[2]. ودعا بفرَسِه على باب المسجد، وتلقّاه طلحة بنُ عبيد الله، وقد سمع المنادي، فخرج ينظر متَى يسير رسولُ الله ﷺ! فإذا هو وعليه الدِّرع والمغفَر لا يُرَى منه إلّا عيناه، فقال: يا طلحة، سلاحَكَ؟ قال: قريبًا، قال طلحة: فأخرج، وأعدو فألبَس درْعي وآخذ سيفي، وأطرَح دَرَقَتي في صدري، وإنّ بي لتِسع جراحات، ولأنا أهْتَمّ بجراح رسول الله ﷺ منّي بجراحي، فأقبلَ رسولُ الله ﷺ على طلحة، فقال: أين تَرَى القوم الآن؟ قال: هم بالسيَّالة، فقال رسولُ الله ﷺ: ذلك الّذي ظننت، أمّا إنّهم يا طلحة لن ينالوا منّا مثلَ أمسِ حتّى يفتح الله مكّة علينا، قال: وبعث رسولُ الله ﷺ ثلاثة نفرٍ مِن أسْلم، طليعةً في آثار القوم، فانقطع أحدُهم، وانقطع قبالُ نعلِ الآخر، ولحق الثالث بقريش وهم بحَمْراء الأسد، ولهم زَجَل[3] يأتمرون[1] في الرُّجوع إلى

١ـ العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة أربعة أميال.

٢ـ الصَريخ: المغيث.

٣ـ زجل، أي صوت وجلبة.

المدينة، وصَفْوان بن أميّة ينهاهم عن ذلك، ولحق الّذي انقطع قَبال نعلِه بصاحبه، فبَصُرتْ قريش بالرَّجلين، فعطفتْ عليهما، فأصابوهما، وانتهى المسلمون إلى مَصرَعهما بحَمْراء الأسد، فقبرَهما رسول الله ﷺ في قبر واحد، فهما القرينان.

قال الواقديّ: اسماهما سَلِيط ونُعمانَ.

قال الواقديّ: قال جابر بنُ عبد الله: كانت عامّة أزوادنا ذلك اليوم التمر، وحمل سعد بن عبادة ثلاثين بعيرًا تمرًا حتّى وافت حمراء الأسد، وساق جزُرًا، فَنحرُوا في يوم ثِنْتين، وفي يوم ثَلاثًا، وأمَرهم رسولُ الله ﷺ بجَمْع الحَطَب، فإذا أمسَوْا أمرَهُم أن يُوقِدوا النّيران: فيوقِد كلّ رجل نارًا، فلقد كنّا تلك الليلَة نوقِد خمسَمائة نار حتّى نُرَى من المكان البعيد، وذهب ذكر معسكرِنا ونيرانِنا في كلِّ وجه، وكان ذلك ممّا كَبَت الله به عدوّنا.

قال الواقديّ: وجاء معبَد بن أبي مَعبَد الخُزاعيّ ــ وهو يومئذ مشرِك ــ إلى النّبيِّ ﷺ، وكانت خُزَاعة سِلْمًا[٢] للنّبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد عزَّ علينا ما أصابك في نفسك، وما أصابَك في أصحابك، ولودْنا أنّ الله تعالى أعْلَى كَعبك، وأنّ المصيبة كانت بغيرك، ثمّ مضى معبد حتّى يجد أبا سفيان وقريشًا بالرَّوْحاء[٣] وهم يقولون: لا محمّدًا أصبْتم، ولا الكواعب أردفتم، فبئسما صنعتمْ! وهم مجمِعون على الرّجوع إلى المدينة، ويقول قائلُهم فيما بينهم: ما صنعْنا شيئًا، أصبنا أشرافهم، ثمّ رجعْنا قبل أن نستأصِلهم، وقبل أن يكون لهم وَفْر، وكان المتكلّم بهذا عِكرمة بن أبي جهل، فلمّا جاء معبد إلى أبي سُفْيان، قال: هذا معبد، وعنده الخبر، ما وراءَك يا معبد؟ قال: تركت محمّدًا وأصحابه خَلْفِي يتحرّقون عليكم بمثل النّيران، وقد اجتمع معه من تخلّف

---

١ ـ يأتمرون: يتشاورون.

٢ ـ سلمًا، أى مسالمون.

٣ ـ الرَّوحاء: قطيعة كانت لعدى بن حاتم، على نحو أربعين ميلًا من المدينة.

عنه بالأمس من الأوس والخزرج، وتعاهدوا ألّا يرجعوا حتّى يَلحقُوكم فيثأروا منكم، وقد غضبوا[١] لقومهم غضبًا شديدًا ولمن أصبتم من أشرافهم. قالوا: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن تَرتحِلوا حتّى تروا نواصِيَ[٢] الخَيل، ولقد[٣] حملني ما رأيت منهم أن قلتُ أبياتًا، قالوا: وما هي؟ فأنشدهم هذا الشّعر:

كادت تهدّ من الأصوات راحِلتي ... إذ سالت الأرضُ بالجرْد الأبابيل[٤]

تَعْدو بأسْد ضِراءٍ لا تنابلةٍ[٥] ... عندَ اللّقاء ولا مِيلٍ مَعازيلِ[٦]

فقلتُ ويلُ ابن حرب من لقائهم ... إذا تَغطْمَطت البَطحاءُ بالجِيل[٧]!

وقد كان صفوان بن أميّة ردّ القوم بكلامه قبل أن يطلعَ معبد، وقال لهم صفوان: يا

---

١ ـ ا و الواقديّ: «وغضبوا».

٢ ـ ا و الواقديّ: «حتّى ترى نواصي الخيل».

٣ ـ الواقديّ: «ثمّ قال معبد...».

٤ ـ الأبيات في ابن هشام ٣: ٥٤. تهدّ، أي تسقط من الإعياء. والجرد: الخيل العتاق. والأبابيل: الجماعات.

٥ ـ ابن هشام: تردى بأسد كرام. والتّنابلة: القصار.

٦ ـ الميل: جمع أميل؛ وهو الّذي لا رمح له. والمعازيل: جمع معزال؛ وهو من لا سلاح معه.

٧ ـ تغطمطت: اهتزّت واضطربت. والبطحاء: السّهل من الأرض. والجيل: الصِّنف من النّاس، وبعدها في ابن هشام:

إنّي نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذي إرْبةٍ منهم ومَعْقُولِ

من جيشِ أحمد لا وخش قنابُله ... وليسَ يُوصَفُ ما أنذَرْتُ بالقيلِ

قوم،لا تفعلوا، فإنَّ القوم قد حربوا[١]، وأخشى أن يجمعوا عليكم من تخلّف من الخزرج، فارجعوا والدُّولة لكم، فإنّي لا آمن إن رجعتم إليهم أن تكون الدَّوْلة عليكم.

قال: فلذلك قال رسول الله ﷺ: أرشَدهم صفوانُ وما كان برشيد، ثمّ قال: و الّذي نفسي بيده لقد سوّمت لهم الحجارة، ولو رَجعوا لكانوا كأمْس الذّاهب، قال: فانصرَف القومُ سِراعًا خائفين من الطّلب لهم، ومرّ بأبي سُفْيَان قومٌ من عبد القيس يريدون المدينة، فقال لهم: هل أنتم مُبلِغو محمّد وأصحابه، ما أرسِلُكم به؛ على أن أَوقِرَ لكم أباعرَكم زَبيبًا غدًا بعكاظ؛ إن أنتم جئتموني! قالوا : نعم، قال: حيثما لقيتم محمّدًا وأصحابه فأخبروهم أنّا قد أجمعْنا الرّجعة إليهم، وأنّا آثاركم. وانطلق أبو سُفيان إلى مكّة، وقدمَ الرّكبَ على النّبيُّ ﷺ وأصحابه بالحمْراء فأخبروهم بالّذي أمرهم أبو سفيان، فقالوا: حسبُنا الله ونعم الوكيل، فَأُنزل ذلك في القرآن، وأرسل معبدٌ رجلًا من خزاعة إلى رسول الله ﷺ يعلِمه أنّه قد انصرف أبو سفيان وأصحابه خائفين وَجِلين، فانصرفَ رسولُ الله ﷺ بعد ثلاث إلى المدينة. (١٥: ٥٥ ــ ٦٠)

الفصل الخامس ـ في قصّة غزوة الخندق

وينبغي أن نذكرُ ملخَّص هذه القصّة من مغازِي الواقديّ وابن إسحاق، قالا:خرج عَمرو بن عبدِودّ يومَ الخندق وقد كان شهد بَدْرًا فارتُثَّ[٢] جريحًا، ولم يشهد أُحُدًا، فحضر الخندقَ شاهرًا سيفه[٣] معلِمًا، مُدِلًّا بشجاعته وبأسِه، وخرج معه ضِرارُ بن الخطّاب الفِهْرِيّ وعِكْرمة بنُ أبي جهل وهُبَيْرة بن أبي وَهْب ونَوْفَل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميّون، فطافوا بخيُولهم على الخَندقَ إصعادًا وانحدارًا، يَطلُبون مَوْضعًا

---

١ ـ حربوا، أى غضبوا.

٢ ـ ارتث: حمل من المعركة جريحًا وبه رمق.

٣ ـ ب: « نفسه» تحريف.

ضيّقا يَعبرُونه، حتّى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالمزار، فأكرهوا خيولَهم على العُبور فعبرتْ، وصاروا مع المسلمين على أرضٍ واحدة ورسولُ الله ﷺ جالسٌ وأصحابُه قيام على رأسِه، فتقدّم عمرو بن عَبد ودّ فدعا إلى البراز مرارًا، فلم يقم إليه أحد، فلمّا أكْثَر، قام عليٌّ عليه السلام فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمرَه بالجلوس، وأعاد عمرو النِّداء و النَّاس سُكوت كأنّ على رءوسهم الطّير، فقال عَمرو: أيّها النّاس، إنّكم تزعمون أنّ قتْلاكم في الجنّة وقَتْلانا في النّار، أفما يحبّ أحدكم أن يَقدم على الجنّة أو يُقدِّم عدوًّا له إلى النّار! فلم يقمْ إليه أحد، فقام عليٌّ عليه السلام دفعةً ثانية وقال: أنا له يا رسول الله، فأَمَره بالجلوس، فجال عَمرو بفرسَهُ مُقبِلًا ومدبِرًا، وجاءت عُظماء الأحزاب فوقفتْ مِن وراء الخندق ومدّت أعناقَها تنظر، فلمّا رأى عَمرو أنّ أحدًا لا يجيبه، قال:

ولقد بُحِحْتُ من النّدا ءِ بجَمْعِهِمْ: هل مِنْ مُبارِزْ!
ووقفتُ مذ جَبُن المشيَّـ ـع مَوقفَ القِرْن المُناجِزْ
إنّي كذلِكَ لم أزَلْ متسرِّعًا قبل الهزاهِزْ
إنّ الشُّجاعةَ في الفَتَى والجود من خير الغَرائزْ

فقام عليٌّ عليه السلام فقال: يا رسول الله، إئذَنْ لي في مُبارَزته، فقال: ادْن، فدنا فقلّده سيفَه، و عمَّمه بعِمامته، وقال: امضِ لشأنِك، فلمّا انصرَف قال: «اللّهمَّ أعِنه عليه»، فلمّا قَرُب منه قال له مجيبا إيّاه عن شِعره:

لا تَعجلنّ فقد أتا ك مجيبُ صَوْتك غير عاجزْ
ذو نيّة وبَصيرةٍ يرجو بذاك نَجَاةَ فائزْ
إنّي لآمل أن أقِيـ ـمَ عليكَ نائحةَ الجنائزْ

مِـــنْ ضَـــرْبَةٍ فَوْهَـــاءِ يَـــبْقَى ذِكرُهـــا عنـــد الهِزاهِـــزْ

فقال عَمرو: مَنْ أنت! وكان عَمرو شيخًا كبيرًا قد جاوزَ الثّمانين، وكان نديمَ أبي طالب بن عبدِ المطّلب في الجاهليّة، فانتَسب عليّ عليه السلام له وقال: أنا عليُّ بنُ أبي طالب، فقال: أجَلْ، لقد كان أبوك نديمًا لي وصديقًا، فارجع فإنّي لا أُحبُّ أن أقتلَك ـ كان شيْخنا أبو الخير مصدّق بن شَبيب النحويّ يقول: إذا مرَرْنا في القراءة عليه بهذا الموضع: والله ما أمَره بالرّجوع إبقاءً عليه، بل خوفًا منه، فقد عَرَف قَتْلاه ببَدْر وأُحُد، وعَلِم أنّه إنْ ناهَضَه قتَلَه، فاستَحْيا أن يُظهِر الفَشَل، فأظهر الإبقاء والإرعاء، وإنّه لكاذب فيهما ـ قالوا: فقال له عليٌّ عليه السلام: لكنّي أُحِبُّ أن أقتلَك، فقال: يا بن أخي، إنّي لأكره أن أقتلَ الرّجل الكريم مِثلك، فارجع وراءَك خيرٌ لك، فقال عليٌّ عليه السلام: إنّ قريشًا تتحدّث عنك أنّك قلت: لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاثٍ إلّا أجبتُ ولو إلى واحدةٍ منها، قال: أجَلْ، فقال عليٌّ عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى الإسلام، قال: دعْ عنك هذه، قال: فإنّي أدعوك إلى أن تَرجع بمن تَبِعك من قريش إلى مكّة، قال: إذَنْ تتحدّثَ نساء قريش عنّي أنّ غلامًا خدَعني، قال: فإنّي أدْعُوك إلى البراز، فحمِيَ عمرو وقال: ما كنتُ أظنّ أن أحدًا من العرب يَرومُها منّي، ثمّ نزل فعَقَر فرَسَه ـ وقيل: ضرب وجهه ففرّ ـ وتجاوَلَا، فثارت لهما غبرةٌ وارَتْهما عن العيون، إلى أن سمع النّاسُ التكبيرَ عاليًا من تحت الغَبَرة، فعَلِموا أنّ عليًّا قتَلَه، وانجلت الغَبَرة عنهما، وعليٌّ راكب صدره يحزّ رأسه، وفرّ أصحابُه ليعبرُوا الخَنْدق، فظفرتْ بهمْ خيلُهم إلّا نوْفلِ بن عبد الله، فإنّه قصر فرسه، فوقع في الخندق، فرمّاه المسلمون بالحجارة، فقال: يا معاشر النّاس، قتلة أكرَمُ من هذه، فنزل إليه عليٌّ عليه السلام فقَتَله، وأدرك الزُّبيرُ هبيرة بنَ أبي وهب فضَرَبه فَقَطع ثفرَ[1] فرسِه وسقطتْ دِرْعٌ كان حمَلَها من ورائه، فأخَذَها الزُّبير، وألقى عِكْرمة رمْحه، وناوش عُمَر بن الخطّاب ضرار بن عمرو، فحمَل عليه ضِرار حتّى إذا وجد عمرُ مَسَّ الرّمْح رَفَعه عنه، وقال:

---

١ ـ الثّفر: السّير في مؤخّر السّرج.

إنّها لَنِعمة مشكورة، فاحفَظْها يا بنَ الخطّاب، إنّي كنتُ آليتُ ألّا تُمكِنُني يَداىَ من قتلِ قرشيّ فأقتله. وانصَرَف ضرارٌ راجعا إلى أصحابه، وقد كان جرى له معه مِثل هذه في يوم أُحُد. وقد ذَكَر هاتَيْن القصّتين مَعًا محمّد بنُ عُمَر الواقديّ في كتاب المَغازي[1].

(١٩: ٦٢ ـ ٦٤)

قال شيخنا أبو جعفر رحمه الله: أمرُ عمرو بن عبد وَدّ أشهر و أكثر من أن يُحتجّ له، فلتتلمّح كتب المغازي والسِّيَر، ولينظر ما رَثَته به شعراء قريش لمّا قتل، فمن ذلك ما ذكره محمّد بن إسحاق في مغازيه، قال: وقال مُسافع بن عبد مناف بن زهرة بن حُذَافة بن جُمَح يبكي عمرو بن عبد الله بن عبد ودّ حين قتلَه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مبارزة لمّا جزع المذاد[2] أى قطع الخندق.

عمرو بن عبدٍ كان أوّل فارسٍ ... جَزَع المذاد وكان فارس مَلْيَلِ[3]

سمحُ الخلائِق ماجِدٌ ذو مِرَّةٍ ... يبغي القتالَ بشكّة لم يَنْكُلِ[4]

ولقد علمتم حينَ ولّوا عنكُمُ ... أنّ ابن عبدٍ منهمُ لم يَعْجلِ[5]

حتّى تكنَّفَهُ الكُماة وكلّهُم ... يبغِي القتال له وليس بمؤتَلِ[6]

---

١ ـ وانظر سيرة ابن هشام ٣: ٢٤١.

٢ ـ المذاد، بالذّال المعجمة: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق، وفي ط: «المزار» تصحيف، وجزع، أى قطع.

٣ ـ مليل، واد ببدر.

٤ ـ المرّة: القوّة، والشّكّة: السّلاح.

٥ ـ ابن هشام: «فيهم».

٦ ـ تكنفه الكماة: أحاطوا به والتفّوا حوله. وليس بمؤتل، أى ليس بمقصر.

ولقد تكنّفت الفوارسُ فارسًا بجنوبِ سَلْعٍ غيرِ نِكْسٍ أميلِ[١]
سال النّزال هناك فارس غالبٍ بجنوبِ سَلْعٍ ليته لم ينزلِ
فاذهب عليٌّ ما ظفرتَ بمثلِها فخرًا ولو لاقيت مثل المعضلِ[٢]
نفسي الفداء لفارسٍ من غالب لاقَى حمام الموت لم يتحَلْحَلِ[٣]
أعنى الّذِي جَزَعَ المذاد ولم يكن فَشِلًا وليس لَدَى الحروب بزُمَّلِ[٤]

وقال هُبيرة بن أبي وهب المخزوميّ، يعتذر من فراره عن عليّ بن أبي طالب، وتركه عمرًا يوم الخندق ويبكيه:

لعمرُك ما ولّيت ظهري محمّدًا وأصحابه جُبْنًا ولا خيفةَ القتلِ[٥]
ولكنّني قلّبت أمري فلم أجِدْ لسيفي غَنَاءً إن وقفتُ ولا نَبْلِي
وقفتُ فلمّا لم أجد لي مقدّمًا صدرتُ كضَرْغامٍ هزبرٍ إلى شِبْلِ[٦]
ثَنَى عِطفَه عَنْ قِرْنِه حين لم يَجِد مجالًا[٧] وكان الحزم والرّأى من فِعْلِي

---

١ ـ سلع: جبل بالمدينة. والنّكس: الدّنيء من الرّجال. والأميل: الّذي لا رمح معه.
٢ ـ المعضل: الأمر الشّديد.
٣ ـ لم يتحلحل: لم يبرح مكانه.
٤ ـ الزّمل: الضّعيف الجبان.
٥ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٣٠١، ٣٠٢.
٦ ـ مقدّمًا، أى لم أجد من يقدّمني. وصدرت: رجعت. الضّرغام: الأسد. الهزبر: الشّديد. والشّبل: ابن الأسد.
٧ ـ ابن هشام: «لم يجد مكرًا».

فَـلَا تَبْعَـدَنْ يَـا عَمْـرُو حيًّـا وهالكًـا فقـد مِـتَ محمـودَ الثَّنَـا ماجـدَ الفعـلِ[١]

ولاتبعـدنْ يـا عمـرو حيًّـا وهالكًـا فقد كنتَ في حرب العِدَا مُرهَف النَّصْلِ

فمـن لِطـرادِ الخيـل تُقْـدَعُ بالقَنَـا وللبـذل يومًـا عنـد قرقـرة البُـزُلِ[٢]

هنالـك لـو كـان ابـن عمـرٍو لزارهـا وَفَرَجَهَـا عـنهم فـتًى غيـر مـا وغْـلِ

كفتـك عـلىّ لـن تـرى مثـل موقـفٍ وقفـتَ عـلى شِـلْو المقـدّم كالفحـلِ[٣]

فمـا ظفـرت كفّـاك يومًـا بمثلهـا أمنـتَ بهـا مـا عشـت مـن زلّـةِ النَعْـلِ

وقال هُبيرة بن أبي وهب أيضًا، يرثي عَمْرًا ويبكيه:

لقد علمتْ عُلْيا لؤىّ بنِ غالبٍ لفارسـها عمـرٌو إذا نـاب نائـبُ[٤]

وفارسـها عمـرو إذا مـا يسـوقه علىّ وانَّ الموت لا شك طالبُ[٥]

عشـيّة يـدعوه عـلىٌّ و إنّـه لفارسُـها إذ خـام عنـه الكتائـبُ[٦]

فيا لهف نفسي، إنَّ عَمْرًا لكائنٌ بيثرب،لا زالت هناك المصائبُ

١ـ الثّنا: الذّكر الطّيب. والماجد: الشّريف.

٢ـ تقدع: تكفّ. والقرقرة: أصوات فحول الإبل. والبزل: جمع بازل؛ وهو في الأصل البعير الّذي فطر نابه، وذلك زمان اكتمال قوّته.

٣ـ ابن هشام: «فعنك علي».

٤ـ إذا ناب نائب، أى إذا عرض أمر مكروه.

٥ ـ ابن هشام: «لفارسها عمرو إذا ما يسومه».

٦ـ خام: جبن ورجع هيبة وخوفًا.

لقـد أحـرَز العَلْيـا عـليٌّ بقتلـه وللخيـر يومًـا لا محالـة جالـبُ

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري يذكر عمرًا:

أمسى الفتى عمرو بن عبدٍ ناظرًا كيـف العُبُـور وليتَـه لم ينظُـرِ[1]

ولقـد وجـدت سيوفنا مشـهورةً ولقد وجدت جيادنا لم تُقْصَرِ[2]

ولقـد لقيـتَ غـداة بـدرٍ عُصْـبةً ضَرَبوك ضَرْبًا غير ضرب الحسَّرِ

أصبحتَ لا تُدْعَى ليومِ عظيمةٍ يـا عَمـرُو أو لجسـيم أمـرٍ مُنْكَـرِ[3]

وقال حسّان أيضًا :

لقد شقيَتْ بنوجُمَح بنِ عمرو ومخـزوم و تَـيْمٌ مـا نُقِيـلُ

وعمرو كالحسّام فتى قريش كـأن جبينَـه سـيف صـقيلُ

فتًى من نسـل عـامر أريحيٌّ تطاولـه الأسـنَّةُ والنُّصُـولُ

دعـاه الفـارس المقـدام لَمّـا تكشَّـفَتِ المقانِـبُ والخُيُـولُ

أبـو حسـنٍ فقنّعـه حُسَـامًا جُـرازا لا أفـلّ ولانَكُـولُ

فغـادره مكبًّـا مُسْـلَحِبًّا عـلى عَفْـراءِ، لا بَعِـدَ القتيـلُ

١ـ رواية البيت في ابن هشام:

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغي بجنـوب يثـرب ثـأره لم ينظـر

٢ ـ مشهورة أى قد شهرها أصحابها. ولم تقصر: لم تكفّ ولم تحبس عن التّجوال.

٣ ـ قال ابن هشام: «وبعض أهل العلم بالشّعر ينكرها لحسان».

فهذه الأشعار فيه بل بعض[1] ما قيل فيه. وأمّا الآثار والأخبار، فموجودة في كتب السّيَر وأيّام الفرسان ووقائعهم، وليس أحدٌ من أرباب هذا العلم يذكر عمرًا إلّا قال: كان فارسَ قريش وشُجاعها، وإنّما قال له حسّان:

* ولقد لقيتَ غَدَاة بدرٍ عصبة *

لأنّه شهد مع المشركين بدرًا، وقتل قومًا من المسلمين. ثمّ فرّ مع مَنْ فرّ، ولحق بمكّة، وهو الّذي كان قال وعاهدَ الله عند الكعبة ألّا يدعوَهُ أحدٌ إلى واحدة من ثلاث إلّا أجابه. وآثاره في أيّام الفِجار مشهورة تنطِق بها كُتب الأيّام والوقائع، ولكنّه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم: عُتْبة وبِسْطام وعامر، لأنّهم كانوا أصحابَ غاراتٍ ونَهْب، وأهلَ بادية، وقريش أهل مدينة وساكنوا مَدَر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهبون غيرَهم من العرب، وهم مقتصرون على المقام ببلدتهم وحماية حَرَمهم، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء. ويقال له: إذا كان عمرو كما تذكُر ليس هناك، فما باله لمّا جَزَع الخندق في ستّة فرسان هو أحدُهم، فصار مع أصحاب النَّبيِّ ﷺ على أرْض واحدة، وهم ثلاثة آلاف، ودعاهم إلى البراز مرارًا لم ينتدب أحدٌ منهم للخروج إليه، ولا سمح منهم أحدٌ بنفسه، حتّى وبّخهم وقَرّعهم، وناداهم: ألستم تزعمون أنّه مَنْ قُتل منّا فإلى النّار، ومَنْ قُتِل منكم فإلى الجنّة! أفلا يشتاقُ أحدُكم إلى أنْ يذهب إلى الجنّة، أو يقدِّم عدوّه إلى النّار! فجبنوا كلُّهم ونَكلوا، ومَلكهم الرّعب والوَهل، فإمّا أن يكون هذا أشجع النّاس كما قد قيل عنه، أو يكون المسلمون كلّهم أجبنَ العرب وأذلّهم وأفشَلهم! وقد روى النّاس كلّهم الشّعر الّذي أنشدَه لمّا نكل القوم بجمعهم عنه، وأنّه جالَ بفرسه واستدار وذهب يَمْنة، ثمّ ذهب يَسْرة، ثمّ وقف تُجاه القوم، فقال:

ولقد بححتُ من النِّدا ء بجَمْعِهِمْ: هل من مبارزْ!

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٢٩٨ ـ ٣٠٤ (نشرة المكتبة التّجاريّة).

ووقفتُ إذْ جَبُن المشيّـ ـع وِقفة القِرْن المناجزْ
وكذاك أنّي لم أزلْ متسرّعًا نحو الهزاهِزْ
إنّ الشجاعة في الفَتَى والجودَ من خيرِ الغرائزْ

فلمّا برز إليه عليٌّ أجابه، فقال له:

لا تعجلنّ فقد أتا كَ مجيب صوتِك غير عاجزْ
ذُو نيّةٍ وبصيرةٍ يرجُو الغداةَ نجاةَ فائزْ
إنّي لأرجو أن أقـ ـيمَ عليك نائحة الجنائزْ
من ضربةٍ تفني ويَبْـ ـقَى ذكرُها عند الهزائزْ

ولعمري لقد سبق الجاحظ بما قاله بعضُ جُهّال الأنصاري، لمّا رجع رسول الله ﷺ من بدْر، وقال فتى من الأنصار شهد معه بدرًا: إن قتلْنا إلّا عجائز صُلْعًا! فقال له النّبيُّ ﷺ: «لا تقل ذلك يا بن أخ، اولئك الملأ!». قال الجاحظ: وقد أكثروا في الوليد بن عُتبة بن ربيعة قتيله يوم بدر، وما علمنا الوليد حضر حَرْبًا قطّ قبْلها، ولا ذكر فيها[1].

(١٣: ٢٨٨ ـ ٢٩٢)

الفصل السّادس ـ في شرح غزاة مؤتة

نذكرها من كتاب الواقديّ ونزيد على ذلك ما رواه محمّد بن إسحاق في كتابه على عادتنا فيما تقدّم.

---

١ ـ العثمانيّة: ٥٩.

قال الواقديّ: حدّثني[١] ربيعة بن عثمان، عن عمر بن الحكم، قال: بعث رسولُ الله ﷺ الحارث بنَ عُمير الأزديَّ في سنة ثمان إلى مَلِك بُصْرَى بكتاب، فلمّا نزلَ مؤتة عرض له شُرَحبيل بن عمرو الغسّاني، فقال: أين تريد؟ قال: الشّام، قال: لعلّك من رُسُل محمّد. قال: نعم، فأمَرَبه فأُوثِق رِباطًا ثمّ قَدّمه فضَرَب عنقه، ولم يُقتَل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيرُه، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فاشتدّ عليه، وندَب النّاس وأخبرَهم بمقتل الحارث، فأسرَعوا وخرجوا، فعسكروا بالجرف، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ الظُّهرَ جلسَ وجلسَ أصحابُه حوله، وجاء النُّعمان بن مهضّ اليهوديّ فوقَفَ مع النّاس، فقال رسولُ الله ﷺ: زيد بن حارثة أمير النّاس فإن قُتِل زيدُ بنُ حارثة فجعفرُبن أبي طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بنُ رَوَاحة، فإن أصيب ابن رَوَاحة فليرتض المسلمون من بينهم رَجُلًا فليجعلوه عليهم.

فقال النعمان بن مهضّ: يا أبا القاسم، إن كنت نبيًّا فسيصاب من سمّيت قليلًا كانوا أو كثيرًا، إنَّ الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرّجل على القوم ثمّ قالوا إن أصيب فلان فلو سَمّى مائة أصيبوا جميعًا. ثمّ جعل اليهوديّ يقول لزيد بن حارثة: اعهد فلا ترجع إلى محمّد أبدًا إن كان نبيًّا.

قال زيد: أشهد أنّه نبيّ صادق فلمّا أجمعوا المسير وعَقَد رسولُ الله ﷺ لهم اللِّواء بيده دفعَه إلى زيد بن حارثة، وهو لواء أبيض، ومشى النّاس إلى أُمراء رسول الله ﷺ يودّعونهم ويدعون لهم وكانوا ثلاثة آلاف، فلمّا ساروا في معسكرهم ناداهم المسلمون: دفع الله عنكم، وردّكم صالحين سالمين غانمين، فقال عبد الله بن رواحة:

لكنّني أسألُ الرَّحمنَ مغفرةً وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[٢]

١ـ أخبار غزوة مؤتة في الواقديّ صفحه ٤٠١ وما بعدها، وسيرة ابن هشام ٣: ٤٢٧ وما بعدها.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٤٢٩. ذات فرغ؛ أى واسعة، والزّبد، أصله ما يعلو الماء إذا غلا؛ وأراد هنا ما يعلو الدّم الّذي ينفجر من الطّعنة.

أو طعنةً بيديْ حرَّانَ مجهزةً بحَرْبةٍ تَنفُذ الأحشاءَ والكَبِدا[١]

حتّى يقولوا إذا مرُّوا على جَدَثي يا أرشَد الله من غازٍ فقد رَشَدَا[٢]

قلت: اتَّفق المحدِّثون على أنّ زيدَ بنَ حارثة كان هو الأمير الأوّل، وأنكرَتِ الشّيعة ذلك وقالوا: كان جعفرُ بن أبي طالب هو الأمير الأوّل، فإن قُتِل فزيد بنُ حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رَوَاحة، وَرَوْوا في ذلك رواياتٍ، وقد وجدتُ في الأشعار الّتي ذكرها محمّد بنُ إسحاقَ في كتاب المَغازي ما يَشهد لقولهم، فمن ذلك ما رواه عن حسّان بن ثابت وهو:

تأوَّبني ليلٌ بيثربَ أعسَرُ وهمٌّ إذا ما نُوِّم النّاسُ مُسهِرُ[٣]

لِذكرَى حبيب هَيَّجتْ لي عَبرةً سَفُوحًا وأسبابُ البكاء التّذكُّرُ

بَلَى إنّ فقدان الحبيب بليّةٌ[٤] وكم من كريم يُبتلَى ثمّ يَصبرُ!

فلا يُبعِدنّ الله قَتْلَى تتابعوا بمُؤتةَ منهمْ ذو الجناحَيْن جعفرُ

وزيد وعبد الله حين تتابعوا جميعًا وأسيافُ المنيَّة تَخطِرُ

رأيتُ خيارَ المؤمنين توارَدُوا شَعوبَ وخَلْق بعدَهمْ يتأخَّرُ[٥]

---

١ ـ مجهزة: سريعة القتل، تنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها.

٢ ـ ابن هشام: «وقد».

٣ ـ ديوانه: ١٧٩ ـ ١٨١، وسيرة ابن هشام ٣: ٤٤٠ ـ ٤٤٢ . تأوّبني: عاودني ورجع إلىّ، ومسهر: داع السّهر.

٤ ـ الدّيوان: «بلاء وفقدان الحبيب».

٥ ـ شعوب: من أسماء المنيّة.

غَـداةَ غَـدوْا بـالمؤمنين يقـودُهمْ إلى المـوت مَيمـونُ النَقيبـه أزهَـرُ
أغـرُّ كضَـوء البدرِ من آل هاشمٍ أبِنٌ إذا سِـيمَ الظُلامـةَ أصـعَرُ[1]
فطـاعَنَ حـتّى مـالَ غيـرَ موسّـدٍ بمُعتـرَكٍ فيـه القَنـا متكسِّـرُ
فصـارَ مع المستَشْـهَدِين ثوابُـه جِنـانٌ وملتـفّ الحـدائق أخضـرُ
وكنّـا نـرى في جعفـرٍ مـن محمّـدٍ وَقـارًا وأمـرًا حازمًـا حـين يـأمرُ
وما زال في الإسلام من آلِ هاشمٍ دعـائمُ صِـدْق لا تُـرام ومَفْخَـرُ
همُ جبل الإسلام والنّاس حولهمْ رضـامٌ إلى طُـورٍ يَطُـول ويَقهَـرُ
بَهَاليـلُ مـنهمْ جعفـر وابـنُ أمِّـه عـليٌّ ومـنهمْ أحمـدُ المتخيَّـرُ
وحمـزةُ والعبّـاس مـنهمْ ومـنهمُ عَقيلٌ وماء العُودِ من حيث يُعصَرُ
بهمْ تُفرَج الغَمّاء من كلّ مأزَقٍ عَماس إذا ما ضاقَ بالنّاس مَصدرُ
هـم أوليـاء اللهِ أنـزَلَ حكمَـه علـيهمْ وفـيهمْ والكتـابُ المطهَّـرُ

ومنها قولُ كَعْب بن مالك الأنصاريّ من قصيدةٍ أوّلها[2]:

نام العيونُ ودَمعُ عينكَ يَهمُلُ سَـحًّا كمـا وَكَـف الرّبـاب المسـبلُ[3]
وَجْدًا على النَّفر الّذين تتابعَوْا قـتلى بمؤتةَ أسـندوا لم يُنقَلـوا

---

٣ ـ ابن هشام والدّيوان: «محسر».

٢ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٤٤٢ـ٤٤٥، برواية مخالفة.

٣ ـ الرّباب: السّحاب، والمسبل: المنصب؛ وفي ابن هشام: «الطّباب المخضل».

سارُوا أمام المسلمين كأنّهمْ طَوْدٌ يقودهمُ الهِزبرُ المُشْبِلُ[١]
إذ يَهتَدون بجعفرٍ ولوائِه قدّام أوّلهمْ ونعم الأوّلُ
حتّى تقوّضتِ الصّفوفُ وجعفرٌ حيثُ الْتقى جمعُ الغُواة مجدَّلُ[٢]
فتغيّر القمرُ المنيرُ لفَقدِه والشّمس قد كسفت[٣] وكادت تأفلُ
قومٌ علا بنْيانهم من هاشم فرعٌ أشمُّ وسؤدَدٌ متأثِّلُ[٤]
قوم بهمْ عصم الإلهُ عباده وعليهمُ نزلَ الكتابُ المنزَلُ
فضَلُوا المَعاشرَ عفّةً وتكرّمًا وتعمّدت أخلاقُهم من يجهلُ[٥]

قال الواقديّ: فحدّثني ابن أبي سَبْرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن رافع بن إسحاق، عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خطبهم فأوصاهم فقال: أوصيكم بتقوَى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا، اغزُوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتِلُوا من كفرَ بالله، لا تَغدِروا ولا تَغُلّوا ولا تقتُلوا وَليدًا، وإذا لقيتَ عدوَّك من المشركين فادعُهم إلى إحدى ثلاث: فأيّتهنّ أجابوك إليها فاقبَلْ منهم، واكفُفْ عنهم، ادْعُهم إلى الدُّخول في الإسلام، فإن فعلوا فاقبَل واكفُف. ثمّ ادعُهم إلى التّحوّل من دارهم إلى المهاجرين، فإن فعلوا فأخبرهم أنّ لهم ما للمُهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، وإن دخلوا في الإسلام واختاروا دارَهم فأخبِرهم أنّهم يكونون كأعراب

---

١ ـ المشبَل: ذو الشّبل؛ والشّبل: ولد الأسد.

٢ ـ مجدل: مطروح على الجدالة، وهي الأرض. وفي ابن هشام: «وعت الصّفوف مجدل».

٣ ـ في ب «كاسفة»، وهو مستقيم الوزن أيضًا.

٤ ـ ابن هشام: «ما يثقل».

٥ ـ ابن هشام: «وتغمّدت أحلامهم».

المسلمين، يَجرِي عليهم حكم الله، ولايكون لهم في الفيءِ ولا في الغنيمة شيء، إلّا أن يُجاهدوا مع المسلمين، فإن أبوْا فادْعهم الى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفُف عنهم، فإن أبَوْا فاستعن بالله وقاتلهم، وإن أنت حاصرتَ أهل حصن أو مدينةٍ فأرادوا أن تَسْتنزلهم على حكم الله، فلا تستنزلهم على حكم الله، ولكن أنزِلهم على حكمك، فإنّك لا تدري أ تصيب حُكمَ الله فيهم أم لا! وإن حاصرتَ أهل حصنٍ أو مدينة وأرادوا أن تجعلَ لهم ذمّة الله وذمّة رسول الله فلا تجعل لهم ذمّة الله وذمّة رسول الله، ولكن اجعل لهم ذمّتك وذمّة أبيك وأصحابِك، فإنّكم إن تخفِروا ذِمَمكم وذمِمَ آبائكم خيرٌ لكم من أن تخْفروا ذمّة الله وذمّة رسوله.

قال الواقديّ: وحدّثني أبو صفوان، عن خالد بن يزيدَ، قال: خرج النّبيّ ﷺ مشيّعًا لأهل مُؤتة حتّى بلغ ثنيّة الوداع، فوقَفَ ووقفوا حوله، فقال: اغْزُوا بسم الله، فقاتِلوا عدوَّ الله وعدوَّكم بالشّام، وستجدون فيها رجالًا في الصّوامع معتزِلين النّاس، فلا تَعرِضوا لهم، وستَجدون آخرين للشّيطان في رؤوسهم مَفاحص، فاقلعوها بالسّيوف، ولاتَقتُلُنّ امرأةً، ولا صغيرًا ضَرَعًا[1] ولاكبيرًا فانيًا، ولاتقطعُنّ نخلًا ولا شجرًا، ولاتهدِمُنَّ بناء.

قال الواقديّ: فلمّا دعا ودّع عبدُ الله بنُ رواحةَ رسول الله ﷺ قال له: امُرْني بشيء أحفَظُه عنك، قال: إنّك قادم غدًا بلدًا، السُّجوُد فيه قليل، فأكثروا السُّجودَ. فقال عبدُ الله: زِدْني يا رسول الله، قال: اذكُر الله، فإنّه عونٌ لك على ما تَطلُب. فقام من عنده حتّى إذا مضى ذاهبًا رجع فقال: يا رسول الله، إنَّ الله وِتْريُحِبّ الوِتْر، فقال: يابن رَواحة: ما عجزتَ فلا تَعجَزإن أسأت عَشْرًا أن تُحسِنَ واحدة. فقال ابنُ رَواحة: لا أسألُك عن شيء بعدها.

وروى محمّد بنُ إسحاق أنّ عبد الله بنَ رواحةَ ودّع رسول الله ﷺ بشعرٍ منه:

---

١ ـ الضَّرع: الصّغير من كلّ شيء.

فثبّتَ اللهُ ما آتاكَ من حَسنٍ تثبيتَ مُوسَى ونَصرًا كالّذي نصِرُوا
إنّي تفرّستُ فيكَ الخيرَ نَافلةً فَراسةً خالفَتْهم في الّذي نَظَروا
أنتَ الرَّسولُ فمن يُحرَم نَوافله والبِشْرَ منه فقد أوْدَى به القَدَرُ

قال محمّد بن إسحاق: فلمّا ودّع المسلمين بكى، فقالوا له: ما يبكيك يا عبد الله؟ قال: والله ما بي حبّ الدُّنيا ولاصبابة إليها، ولكنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [١]، فلست أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود [٢]!

قال الواقديّ: وكان زيدُ بن أرقم يحدّث، قال كنتُ يتيمًا في حِجْر عبد الله بن رواحة، فلم أرَ واليَ يتيم كان خيرًا لي منه، خرجت معه في وجهةٍ إلى مؤتةَ وصَبَّ بِي وَصبِبْتُ به، فكان يُرْدِفني خلف رَحله، فقال ذات ليلة وهو على راحلته بين شعبتَيْ رَحْلِه:

إذا بلّغتــني وحَمَلْــتِ رَحْــلي مَسافة أربع بعدَ الحسَاءِ [٣]
فشأنَكِ فانعَمي وخلاكِ ذَمٌّ ولا أرجعْ إلى أهلي وَرَائي [٤]
وآبَ المســلمون وخلّفــوني بأرض الشام مشتهرَ الثَّواءِ
و زوّدني الأقاربُ مِنْ دعاء إلى الرَّحمن وانقطع الإخاءِ [٥]

---

١ ـ مريم/٧١.

٢ ـ سيرة ابن إسحاق٣: ٤٢٨، ٤٢٩.

٣ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٤٣٢.

٤ ـ ولاأرجع، جزم الفعل على الدّعاء؛ يدعو على نفسه بأن يستشهد في هذه الوقعة ولا يرجع لأهله.

٥ ـ في البيت إقواء.

هنالـكَ لا أبـالي طلـع نخـلٍ ولا نخـــل أســـافلها رواءِ

فلمّا سمعتُ منه هذا الشِّعرَ بكيتُ: فخفَقَني بالدِّرَة وقال: وما عليك يا لُكَع أن يرزُقني اللهُ الشَّهادة فأستريحَ من الدّنيا ونَصَبها، وهمومها وأحزانها وأحداثها، وترجعَ أنت بين شعبتَي الرّحل!

قال الواقديّ: ومضى المسلمون فنزلوا وادِيَ القُرَى فأقاموا به أيّامًا، وساروا حتّى نَزَلوا بمُؤتة، وبلغهم أن هرَقْلَ ملك الرّوم قد نزل ماءً من مياه البَلْقاء في بكْر وبَهْراء ولَخْم وجُذام وغيرهم مائة ألف مقاتل، وعليهم رجلٌ من بَلِيّ، فأقام المسلمون ليلتين ينظرون في أمرِهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنُخبره الخبر؛ فإمّا أن يردّنا أو يزيدَنا رجالًا، فبينا النّاس على ذلك من أمرهم جاءهم عبدُ الله بن رَوَاحة فشجّعهم، وقال: واللهِ ما كنّا نقاتلُ النّاسَ بكثرة عِدّة ولاكَثرةِ سِلاح ولاكثرة خَيل، إلّا بهذا الدِّين الّذي أكرَمَنا الله بِهِ، انطلِقُوا فقاتلوا؛ فقد والله رأيْنا يومَ بَدْر، وما معنا إلّا فرسان، إنّما هي إحدى الحُسْنَيَيْن: إمّا الظُّهورُ عليهم فذَاكَ ما وعَدَنا اللهُ ورسولُه، وليس لوعده خُلْف، وإمّا الشَّهادة فنلحق بالإخوان، نرافقهم في الجِنان. فشجع النّاس على قول ابن رَواحَة.

قال الواقديّ: وروَى أبو هريرة قال: شهدتُ مؤتة فلمّا رأينا المشركين رأيْنا ما لا قِبَل لنا به من العُدَد والسِّلاح والكُراع والدِّيباج والحَرير والذّهب، فبَرَق بَصَري، فقال لي ثابتُ بنُ أرقم: مَا لَكَ يا أبا هُرَيرة، كأنّك تَرى جُموعًا كثيرةً! قلتُ: نعم، قال: لم تَشهَدْنا ببَدْر، إنّا لم نُنْصَرْ بالكَثْرة.

قال الواقديّ: فالتقى القومُ، فأخذ اللِّواء زيدُ بنُ حارثة، فقَاتَل حتّى قُتِل، طعنوه بالرِّماح، ثمّ أخذه جعفر فنزل عن فرس له شَقْراء فعَرْقَبَها، ثمّ قَاتَل حتّى قُتِل.

قال الواقديّ: قيل إنّه ضرَبَه رجل من الرُّوم فقَطَعه نصفين، فوقع أحد نصفَيْه في كَرْم هُناك، فوُجِد فيه ثلاثون أو بضعٌ وثلاثون جُرْحًا.

قال الواقديّ: وقد رَوَى نافعٌ عن ابن عمَر أنّه وُجِد في بدن جَعفر بن أبي طالب

اثنتان وسبعون ضربة وطعنة بالسُّيوف والرِّماح.

قال البلاذريّ: قطِعتْ يداه، ولذلك قال رسولُ الله ﷺ: «لقد أبدَله اللهُ بهما جَناحينِ يطيرُ بهما في الجنَّة»، ولذلك سمّي الطّيّار.

قال الواقديّ: ثمّ أخذ الرّاية عبدُ الله بن رواحة فنكَل يَسِيرًا، ثمّ حمَل فقاتَل حتّى قُتِل، فلمّا قُتِل انهزَم المسلمون أسوأ هزيمة كانت في كلّ وجه، ثمّ تراجعوا، فأخذ اللِّواء ثابتُ بنُ أرقَم، وجعل يَصيح بالأنصار، فثابَ إليه منهم قليل، فقال لخالد بن الوليد: خذ اللِّواء يا أبا سليمان، قال خالد: لا بل خُذْه أنتَ فلك سِنّ، وقد شهدت بَدْرًا. قال ثابت: خذه أيّها الرّجل، فوالله ما أخذتُه إلّا لك. فأخَذَه خالد وحمَل به ساعةً، وجعل المشركون يحمِلون عليه حتّى دَهمه منهم بَشرٌ كثير، فانحازَ بالمسلمين، وانكَشفوا راجعين.

قال الواقديّ: وقد رُوِيَ أنّ خالدًا ثبت بالنّاس فلم ينهزموا، والصَّحيح أنّ خالدًا انهزَم بالنّاس.

قال الواقديّ: حدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم بنِ عمرَ بن قتادة، أنّ النّبيّ ﷺ لمّا التَقى النّاس بمُؤتة جلس على المِنبر، و كُشِفَ له ما بينه وبين الشّام، فهو ينظر إلى معرَكتهم، فقال: أخذ الرّاية زيدُ بنُ حارثة، فجاءه الشّيطان فحبّب إليه الحياة، وكرّه إليه الموت، وحبّب إليه الدُّنيا، فقال: الآن حين استحكم الإيمان في قلوبِ المؤمنين تحبّب إليّ الدُّنيا! فمَضَى قُدُما حتّى استُشهِد، ثمّ صلّى عليه، وقال: استغفرُوا له فقد دخل الجنّة وهو يَسعَى، ثمّ أخذ الرّاية جعفرُ بن أبي طالب، فجاءه الشّيطان فمنّاه الحياة وكرّه إليه الموت، ومنّاه الدُّنيا، فقال: الآن حين استَحكم الإيمانُ في قلوب المؤمنين تتمنّى الدُّنيا! ثمّ مَضَى قُدُما حتّى استُشهِد فصلّى عليه رسولُ الله ودَعَا له، ثمّ ﷺ قال: استغفروا لأخيكم فإنّه شهيدٌ قد دَخل الجنّة، فهو يطيرُ فيها بجناحين من ياقوت حيث شاء. ثمّ قال: أخذ الرّاية عبدُ الله بنُ رواحة، ثمّ دخل معترِضًا فشقّ ذلك على الأنصار، فقال رسولُ الله ﷺ: أصابتْه الجراح. قيل: يا رسول الله، فما

اعتراضُه؟ قال: لمّا أصابتْه الجراح نَكَل فعَاتَبَ نفسَهُ فشَجُع فاستُشْهِد، فدَخل الجنّة فَسرّيَ عن قومه.

وروى محمّد بن إسحاق[١] قال: لمّا ذكر رسولُ الله ﷺ زيدًا وجعفرًا سَكَت عن عبدِ الله بن رواحة حتّى تغيّرتْ وجوهُ الأنصار، وظنّوا أنّه قد كان من عبدِ الله بعضُ ما يَكرَهون، ثمّ قال: أخذَها عبدُ الله بنُ رَواحة فقاتل حتّى قُتِل شهيدًا، ثمّ قال: لقد رُفِعوا لي في الجنّة فيما يَرَى النّائم على سُرُرٍ من ذهب، فرأيتُ في سرير ابن رَواحة ازورارا عن سَريرَيْ صاحبَيْه، فقلت لم هذا؟ فقيل: لأنّهما مضيا، وتردّد هذا بعضَ التردّد، ثمّ مضى.

قال: ورَوَى محمّد بنُ إسحاق أنّه لمّا أخذ جعفرُ بنُ أبي طالب الرّاية قاتَلَ قتالًا شديدًا حتّى إذا لحمَه القِتال اقتَحَم عن فرس له شَقْراء فعَقَرها، ثمّ قاتل القومَ حتّى قُتِل[٢]، فكان جعفر رضي الله عنه أوّلَ رجل عَقَر فرسَه في الإسلام.

قال محمّد بنُ اسحاق: ولمّا أخذ ابنُ رَواحة الرّاية جعل يتردّد بعضَ التّردّد، ويَستَقدِم نفسَه يَستنزلها[٣]، وقال:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزِلنّهْ ... طَوْعًا وإلّا سوفَ تُكْرَهِنّهْ

ما لي أراكِ تكرَهين الجنّهْ ... إذ أجْلب النّاسُ و شَدُّوا الرّنّهْ[٤]

قد طالمًا قد كنتِ مطمئنّهْ ... هل أنتِ إلّا نطفة في شَنّهْ![٥]

---

١ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٤٠٦.

٢ ـ بعدها في ابن هشام.

٣ ـ ابن هشام: «يستنزل نفسه».

٤ ـ أجلب النّاس: اختلطت أصواتهم وضجّوا.

٥ ـ النّطفة: القليل من الماء الصّافي. و الشّنة: القربة الخلق.

ثمّ ارتجزَ أيضًا فقال:

يـا نفـسُ إلّا تُقـتلي تمـوتي هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ

ومـا تمنيّـتِ فقـد أعْطيـتِ إن تفعـلي فِعلهمـا هُـدِيتِ

* وإن تأخَّرتِ فقد شَقِيتِ *

ثمّ نَزَل عن فرسه فقاتَلَ، فأتاه ابنُ عمّ له ببَضْعةٍ من لحم، فقال: اشدُد بهذا صُلبك. فأخذها من يده فانتهشَ[1] منها نهشة ثمّ سمع الحطمة[2] في ناحية من النّاس، فقال: وأنتَ يا بن رواحة في الدّنيا! ثمّ ألقاها من يدِه وأخذ سيفه، فتقدّم فقاتلَ حتّى قُتِل[3].

قال الواقديّ: حدّثني داود بن سِنان، قال: سمعتُ ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكَشف خالدُ بنُ الوليد يومئذ بالنّاس حتّى عيّروا بالفرار، وتشاءَم النّاسُ به.

قال: ورَوَى أبو سعيد الخُدْريّ، قال: أقبل خالد بالنّاس منهزِمين، فلمّا سمِع أهلُ المدينة بهم تلقوهم بالجُرف، فجعلوا يَحثُون في وجوههم التّراب ويقولون: يا فُرّار، أ فرَرْتم في سبيلِ الله! فقال رسول الله ﷺ: ليسوا بالفُرّار، ولكنّهم كُرّار، إن شاء الله.

قال الواقديّ: وقال عُبَيْد الله بنُ عبدِ الله بن عُتْبة: ما لقِيَ جيشٌ بعثوا مَبْعثًا ما لقِيَ أصحابُ مؤتة من أهل المدينة، لقوهم بالشّرّ، حتّى إنّ الرّجل ينصرف إلى بيتِه وأهله فيدقّ عليهم فيأبَوْن أن يَفْتَحوا له يقولون: ألا تقدّمتَ مع أصحابك فقُتِلتَ، وجلس الكُبراءُ منهم في بيوتهم استحياءً من النّاس، حتّى أرسلَ النّبيُّ ﷺ رجلًا، يقول لهم: أنتم الكُرّار في سبيل الله، فخرجوا.

---

١ ـ انتهش منها: أخذ بفمه يسيرًا.

٢ ـ الحطمة: زحام النّاس.

٣ ـ سيرة ابن هشام ٣: ٤٣٤، ٤٣٥.

قال الواقديّ: فحدّثني مالك بن أبي الرّجال عن عبد الله بن أبي بكر بن حَزْم، عن أمّ جعفر بنت محمّد بن جعفر، عن جدّتها أسماء بنت عُمَيس، قالت: أصبحتُ في اليوم الّذي أصيب فيه جعفر وأصحابُه، فأتاني رسول الله ﷺ وقد مَنأْتُ أربعين منًّا من أدَم وعجنتُ عَجيني، وأخذت بَنَيَّ، فغسلتُ وجوههم ودهنتُهم، فدخلتُ على رسول الله ﷺ، فقال: يا أسماء، أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه ، فضمّهم وشمّهم، ثمّ ذَرفت عيناه، فبكَى، فقلتُ: يا رسول الله، لعلّه بلغك عن جعفر شيء! قال: نعم، إنّه قُتِل اليومَ، فقمتُ أصيح، واجتمع إليَّ النِّساءُ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا أسماء، لا تقولي هُجْرًا، ولاتَضربي صَدْرًا، ثمّ خرج حتّى دخل على ابنتِه فاطمةَ رضي الله عنها، وهي تقول: واعمّاه! فقال: على مثل جعفرٍ فلتَبِك الباكية. ثمّ قال: اصنَعُوا لآلِ جعفرٍ طعامًا، فقد شُغِلوا عن أنفسِهم اليوم.

قال الواقديّ: وحدّثني محمّد بنُ مسلم، عن يحيى بن أبي يَعلَى، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ جعفر يقول: أنا أحفظ حين دَخَل النّبيّ ﷺ على أمّي، فنَعَى إليها أبي، فأنظر إليه وهو يَمسَح على رأسِي ورأسِ أخي، وعيناه تُهراقان بالدَّمْع حتّى قطرتْ لِحْيته، ثمّ قال: اللّهمّ إنّ جعفرًا قَدّم إليّ أحسَنَ الثّواب، فاخلُفه في ذرّيته بأحسن ما خَلفت أحدًا من عبادك في ذرّيته، ثمّ قال: يا أسماء، ألا أبشّرك؟ قالت: بَلَى بأبي وأمّي.

قال: فإنّ الله جعل لجعفرٍ جَناحين يطيرُبهما في الجنّة، قالت: بأبي وأمّي، فأعلِم النّاسَ ذلك! فقام رسول الله ﷺ وأخَذَ بيَدي يَمسَح بيده رأسِي حتّى رَقِيَ على المنبر وأجلَسني أمامه على الدّرَجة السُّفلى، وإنّ الحزنَ ليُعرف عليه، فتكلّم فقال: إنّ المرءَ كثيرٌ بأخيه وابنِ عمّه، ألَا إنّ جعفرًا قد استُشهد وقد جعل الله له جناحين يطيرُبهما في الجنّة. ثمّ نزل، فدخل بيتَه وأدخلني، و أمر بطعام فصُنع لنا، وأرسل إلى أخي فتغدَّينا عندَه غَدَاءً طيّبًا، عمدتْ سلمى خادمتُه إلى شعيرٍ فطحنتْه، ثمّ نشّفَتْه، ثمّ أنضَجَتْه وآدَمتْه بزَيْت، وجعلتْ عليه فُلفُلًا، فتغدّيت أنا وأخي معه، وأقَمْنا عنده ثلاثة أيّام نَدُور معه في بيوت نسائِهِ، ثمّ أرجعنا إلى بيتِنَا، وأتاني رسولُ الله ﷺ بعد

ذلك وأنا أساوِم في شاةٍ، فقال: اللّهمّ بارك له في صَفْقَته، فوالله ما بعتُ شيئًا ولا اشتريتُ إلّا بورك فيه. (١٥: ٦١ ـ ٧١)

[فصل في ذكربعض مناقب جعفربن أبي طالب]

رَوَى أبوالفَرَج الإصْفِهاني في كتاب «مقاتِل الطالبيّين» أنّ كُنيةَ جعفربن أبي طالب أبو المَساكين، وقال: وكان ثالثَ الإخوة من ولد أبي طالب، أكبرهم طالب، وبعدَه عَقِيل، وبعده جعفر، وبعده عليّ، وكلّ واحد منهم أكبَرمن الآخربعشرِسنين،[و عليّ أصغرهم سنًّا][1]،وأمُّهم جميعًا فاطمةُ بنت أسدِ بنِ هاشم بنِ عبد مناف[2]. وهي أوّل هاشميّة ولدتْ لهاشميّ، وفضلُها كثيروقربُها من رسول الله ﷺ وتعظيمُه لها معلوم عند أهل الحديث. ورَوَى أبو الفرج: لجعفررضي الله عنه فضلٌ كثير. وقد ورد فيه حديثٌ كثير، من ذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا فتح خيبَرقدم جعفربن أبي طالب من الحبشة، فالتَزمه[3] رسولُ الله ﷺ وجعل يُقبّل بين عينيه ويقول: ما أدري بأيّهما أنا أشدّ فَرَحًا! بقدُوم جعفر، أم بفَتْح خَيْبر!

قال: وقَد روَى خالدُ الحَذّاء، عن عِكرِمة، عن أبي هريرة أنّه قال: ما ركب المَطايا، ولا رَكِب الكُور[4]، ولاانتعل، ولااحتذى النِّعال أحدٌ بعد رسول الله ﷺ أفضَل من جعفربن أبي طالب.

قال: وقد رَوَى عطيّة، عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قال رسول الله ﷺ، خيرُ النّاس حمزةُ و جعفرٌ و عليّ.

١ـ من مقاتل الطّالبيين.

٢ـ مقاتل الطّالبيين ٦، ٧ مع تصرّف.

٣ ـ التزمه: اعتنقه.

٤ ـ الكور «بضمّ الكاف»: الرّجل بأداته.

وقد رَوَى جعفربنُ محمّد عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلِق النَّاس من أشجار شتّى، وخلقتُ أنا وجعفرٌ من شَجرةٍ واحدة ـ أو قال ـ مِن طينةٍ واحدة.

قال: وبالإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجعفر: أنت أشبهتَ خَلْقي وخُلُقي.

قال أبو عُمَربنُ عبد البرّ في كتاب « الاستيعاب» كانت سنُّ جعفر عليه السلام يومَ قُتِل إحدى وأربعين سنة.

قال أبو عُمَر! وقد رَوَى سعيدُ بنُ المسيّب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: مُثِّل لي جَعفر وزيد وعبد الله في خَيْمة من درّ، كلّ واحد منهم على سرير فرأيت زيدًا وابنَ رواحة في أعناقهما صدودًا، ورأيت جعفرًا مستقيمًا ليس فيه صُدود، فسألتُ فقيل لي: إنّهما حين غشيَهما الموتُ أعرَضا وصَدّا بوجَهيْهما، وأمّا جعفر فلم يَفعَل. قال أبو عُمَر أيضًا: ورُوي عن الشّعبيّ، قال: سمعتُ عبدَ الله بنَ جعفر يقول: كنتُ إذا سألت عمّي عليًّا عليه السلام شيئًا ويمنَعني، أقول له: بحقّ جعفر، فيُعطِيني[1].

ورَوَى أبو عُمَر أيضًا في حرف الرّاء في باب زيد بن حارثة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أتاه قتل جعفر وزيد بمؤتة بَكى، وقال: أخَوَايَ ومؤنِساىَ ومحدِّثاى[2].

واعلم أنّ هذه الكلمات الّتي ذكرها الرَّضيُّ رحمة الله عليه ملتقَطة من كتابه عليه السلام الّذي كتبه جوابًا عن كتاب معاوية النّافذ إليه مع أبي مسلم الخوْلانيّ وقد ذكره أهلُ السِّيرة في كتبهم، رَوَى نصربنُ مزاحم في كتاب « صفّين » عن عمَربن سعد عن أبي وَرْقاء، قال: جاء أبو مسلم الخوْلانيّ في ناس من قُرّاء أهل الشام إلى معاوية قبل مسير أمير المؤمنين عليه السلام إلى صِفّين فقالوا له: يا معاوية، علام تقاتِل عليًّا وليس لك مثل صحبتِه ولاهجْرته ولاقَرابتِه ولاسابِقَتِه! فقال: إنّي لا أدّعي أنّ لي في الإسلام

---

١ ـ الاستيعاب: ٨١ و ٨٢.

٢ ـ الاستيعاب: ١٩١.

مِثْل صُحبتِه ولا مِثل هجرته ولا قَرابته[١]، ولكنْ خبّروني عنكم، ألستم تعلمون أنّ عثمان قُتِل مظلومًا! قالوا: بلى، قال: فليَدْفع إلينا قَتَلتُه لنقتلَهم به، ولا قِتال بيننا وبينه؛ قالوا: فاكتب إليه كتابًا يأتِه به بعضُنا، فكتب مع أبي مسلم الخَوْلاني: من معاوية بن أبي سفيان إلى عليّ بن أبي طالب، سلام عليك، فإنّي أحمدُ إليك الله الّذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد، فإنّ الله اصطَفى محمّدًا بعلْمِه، وجعله الأمين على وَحْيه، والرّسول إلى خَلْقِه، واجتبَى له من المسلمين أعوانًا أيّده الله تعالى بهم، فكانوا في منازلهم عنده على قَدْر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلُهم في الإسلام، وأنصَحُهم لله ورسولِه الخليفة من بعده، ثمّ خلِيفة خليفته من بعد خليفته، ثمّ الثالث الخليفة المظلوم عثمان، فكلّهم حسدت، وعلى كلّهم بغيت، عرَفْنا ذلك في نظرِك الشّزر، وقولك الهُجْر، وتنفُّسِك[٢] الصُّعداء، وإبطائك عن الخُلَفاء، تقاد إلى كلّ منهم كما يقاد الفَحْل المخشوش[٣] حتّى تُبايعَ وأنت كارِه، ثمّ لم تكن لأحد منهم بأعظمَ حسدًا منك لابن عمّك عثمان، وكان أحقّهم ألّا تفعل ذلك في قرابته وصِهره، فقطعتَ رَحمه، وقبّحتَ محاسنَه، وألبتَ[٤] النّاس عليه، وبطنتَ وظهرتَ حتّى ضُرِبَتْ إليه آباط الإبل، الإبل، وقيدتَ إليه الإبل العِراب، وحُمِلَ عليه السِّلاح في حَرَم رسول الله ﷺ، فقُتِل معكَ في المحلّة وأنتَ تَسمَع في دارِه الهائعة[٥]، لا تَردَع الظّن والتُّهمة عن نفسك بقولٍ ولا عمل. وأُقسِم قَسَمًا صادقًا لو قمتَ فيما كان من أمره مقامًا واحدًا تُنهنه النّاسَ عنه، ما عدل بك من قبلنا من النّاس أحدًا، ولمحَا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به

---

١ ـ صفّين: «ما أقاتل عليًا وأنا أدعى أنّ في الإسلام مثل صحبته ولا هجرته ولا سابقته».

٢ ـ صفّين: «وفي تنفّسك».

٣ ـ المخشوش: «الّذي جعل في عظم أنفه الخشاش، وهو بالكسر عويد يجعل في أنف البعير يشدّ به الزّمام ليكون أسرع في انقياده».

٤ ـ ألبت النّاس: جمعتهم عليه.

٥ ـ الهائعة: الصّوت الشّديد.

من المجانبَة لعُثمانَ والبغي عليه، وأخرى أنت بها عند أنصارِ عثمان ظَنِين[١] ... إيواؤك قَتَلَة عثمان، فهم عَضُدك وأنصارُك، ويدُك وبطانتُك؛ وقد ذكر لي أنّك تتنصّل من دمه، فإن كنتَ صادقًا فأمكِنّا من قَتَلتِه نقتلهم به، ونحن أسرع النّاس إليك، وإلّا فإنّه ليس لك ولأصحابك إلّا السَّيف، والّذي لا إله إلّا هو لنطلبنّ قتلةَ عثمانَ في الجبال والرّمال، والبرّ والبحر، حتّى يقتلهم الله أو لتلحقنّ أرواحنا بالله والسّلام[٢].

قال نصر: فلمّا قدِم أبو مسلم على عليّ عليه السلام بهذا الكتاب، قام فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّك قد قمتَ بأمرٍ وليتَه و والله ما أحبّ أنّه لغيرك. إن أعطيتَ الحقّ من نفسِك. إنّ عثمانَ قُتل مسلِمًا مُحرِمًا مظلومًا، فادفع إلينا قَتَلته، وأنتَ أميرُنا، فإن خالَفَك من النّاس أحدٌ كانت أيدِينا لك ناصرة، وألسنتُنا لك شاهدة، وكنتَ ذا عُذر وحجّة. فقال له عليّ عليه السلام: اغْدُ عليَّ غدًا، فخذ جوابَ كتابِك فانصرف، ثمّ رجع من غدٍ ليأخذ جوابَ كتابِه، فوجد النّاسَ قد بَلَغهم الّذي جاء فيه قبل، فلَبِست الشّيعةُ أسلحتَها ثمّ غَدَوا فملئوا المسجِدَ، فنادَوا: كلّنا قَتَلة عثمان، وأكثروا من النّداء بذلك وأَذِن لأبي مسلم، فدخَل فدفَع عليّ عليه السلام جوابَ كتاب معاوية، فقال أبو مسلم: لقد رأيت قومًا ما لَك معهم أمر، قال: وما ذاك؟ قال: بلَغَ القومَ أنّك تريد أن تدفع إلينا قَتَلةَ عثمان فضجّوا، واجتَمَعوا، ولبسوا السّلاحَ، وزعموا أنّهم قتلة عثمان. فقال عليّ عليه السلام، واللهِ ما أردت أن أدفعَهم إليكم طرفةَ عَيْن قطّ، لقد ضربتُ هذا الأمرَ أنفَه وعينَه، فما رأيتُه ينبغي لي أن أدفعَهم إليك، ولا إلى غيرك. فخرج أبو مسلم بالكتاب وهو يقول: الآن طاب الضِّراب!

وكان جوابُ عليّ عليه السلام: من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سُفيان. أمّا بعد، فإن أخا خَوْلان قَدِم عليَّ بكتابٍ منك تَذكُر فيه محمّدًا صلى الله عليه وآله وما أنعَم الله به

---

١ ـ ظنين: متّهم.

٢ ـ صفّين: ٩٧، ٩٨.

عليه من الهُدَى والوَحْى، فالحمدُ لله الّذي صَدَقه الوعد، وأيّده[١] بالنّصر، ومكّن له في في البلاد، وأظهَرَه على أهلِ العداوة[٢] والشّنآن من قومِه الّذين وَثَبوا عليه، وشنِفوا له[٣]، وأظهَرُوا تكذيبه[٤]، وبارَزُوه بالعَداوة، وظاهروا على إخراجِه وعلى إخراجِ أصحابه وأهله، وألبَوا عليه [العرب، وجادلوهم على حربه][٥]، وجَهَدوا في أمره كلّ الجَهْد، وقَلَبوا له الأمور حتّى جاءَ الحقّ وظهرَ أمْرالله وهم كارهون، وكان أشَدَّ النّاس عليه تأليبًا[٦] وتحريضًا أسرَتُه، والأدنى فالأدنى من قومِه، إلّا مَن عَصَم الله.

وذكرتَ أنّ الله تعالى اجتبى له من المسلمين أعوانًا أيّده الله بهم، فكانوا في منازلهم عندَه عَلَى قدر فضائلهم في الإسلام، فكان أفضلَهم ـ زعمت ـ في الإسلام، وأنصحَهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة، ولعَمري إنّ مكانَهما في الإسلام لعظيم، وإنّ المصابَ بهما لجُرحٌ في الإسلام شديد، فرحِمَهما الله وجزاهما أحسنَ ما عَمِلا!

وذكرتَ أنّ عثمان كان في الفضل تاليًا، فإن يَكُ عثمانُ محسنًا فسَيجزيه الله بإحسانِه، وإن يك مُسيئًا فسَيَلقَى ربًّا غفورًا لا يتعاظَمُه ذَنْب أنْ يغفره، ولَعَمْري إنّي لأرجو إذا أعطى الله النّاسَ على قدر فضائِلهم في الإسلام ونصيحتِهم لله ولرسوله، أنْ يكون نصيبُنا في ذلك الأوفر. إنّ محمّدًا ﷺ لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتّوحيد له كنّا أهلَ البيت أوّلَ من آمن به وصدَّقه فيما جاء، فبتْنا أحْوالًا كاملةً مجرّمة[٧] تامّة ، وما يُعبَد الله في رَبْع ساكنٍ من العَرَب غيرنا، فأراد قومُنا قتلَ نبيّنا، واجتياحَ أصِلنا، وهمُّوا

---

١ ـ صفّين: «وتمم له النّصر».

٢ ـ صفّين: «العداء» وهو يوافق ما في ا.

٣ ـ شنف له، أى أبغضه.

٤ ـ صفّين: «التّكذيب».

٥ ـ من صفّين.

٦ ـ صفّين: «إلبا».

٧ ـ مجرّمة، أى كاملة.

بنا الهُموم، وفَعَلوا بنا الأفاعيل، ومنَعونا المِيرة[١] وأمسكوا عنّا العَذب؛ وأخلسونا الخَوف[٢]. وجَعَلوا علينا الإرصاد والعيون؛ واضطرّونا إلى جَبَل وَعر، وأوقَدوا لنا نار الحَرب، وكَتَبوا بينهم كتابًا، لا يؤاكِلُوننا، ولايُشاربُوننا، ولايُناكحوننا، ولايُبايعوننا، ولا نأمن منهم حتّى ندفع إليهم محمّدًا فيقتلوه ويمثّلوا به، فلم نكن نأمن فيهم إلّا من مَوسم إلى مَوسم، فعَزم الله لنا عَلَى مَنعِه، والذّبِّ عن حَوزته، والرّمى من وراء حُرمته، والقيامِ بأسيافِنا دونه في ساعات الخوف باللّيل والنّهار، فمُؤمِننا يرجو بذلك الثّواب، وكافرُنا يُحامِي عن الأصل، وأمّا من أسلم من قريش فإنّهم ممّا نحن فيه خلَاء، منهم الحَليف الممنوع، ومنهم ذو العَشِيرة الّتي تدافع عنه، فلا يبغيه أحدٌ مثل ما بغانا به قومُنا من التّلف، فهم مِن القَتْل بمكان[٣] نجْوة وأمْن، فكان ذلك ما شاء اللهُ أن يكون.

ثمّ أمرَ الله تعالى رسوله بالهجرة، وأَذِن له بعد ذلك في قتال المشركين، فكان إذا احمرّ البأس، ودعيتْ نزالِ[٤] أقامَ أهلَ بيته، فاستقدموا، فوقى أصحابَه بهم حدَّ الأسنّة والسُّيوف، فقتِل عبيدة يومَ بدْر، وحمزة يوم أُحُد، وجعفروزَيد يوم مُؤتة، وأراد من لو شئتُ ذكرتُ اسمه مِثلَ الّذي أرادوا من الشّهادة مع النّبيّ ﷺ غير مرّة، إلّا أن آجالهم عُجّلتْ، ومنيّته أخرّتْ، والله وليّ الإحسان إليهم، والمِنّة عليهم،بما أسلفوا من أمر الصّالحات،فما سمعتُ بأحد ولارأيته هو أنصحُ في طاعة رسولِه ولالنبيّه، ولاأصبرَ على اللأواء[٥] والسّراء والضّراء وحين البأس، ومواطن المكْروه مع النّبي ﷺ من هؤلاء النّفر الّذين سمّيتُ لك، وفي المهاجرين خيرٌ كثير يعرَف، جزاهم الله خيرًا بأحسن أعمالهم.

---

١ ـ الميرة بالكسر: ما يجلب؛ ويريد بالعذب الماء.

٢ ـ أحلسونا الخوف؛ أى ألزموناه.

٣ ـ انظر صفّين ١٠٠، ١١١.

٤ ـ دعيت نزال، كقطام، أى تنازلوا للحرب.

٥ ـ اللّأواء: الشّدّة.

وذكرتَ حسدي الخلفاءَ وإبطائي عنهم، وبغيي عليهم، فأمّا البغي فمعاذ الله أن يكون، وأمّا الإبطاء عنهم والكراهيَة لأمرهم فلستُ أعتذر إلى النّاس من ذلك، إنّ الله تعالى ذكره لمّا قبض نبيّه ﷺ قالت قريش: منّا أميرٌ، وقالت الأنصار: منّا أمير، فقالت قريش: منّا محمّد، نحن أحقّ بالأمر، فعرفتْ ذلك الأنصار فسلّمت لهم الولاية والسُلطان، فإذا استحقّوها بمحمّد ﷺ دون الأنصار فإنّ أولى النّاس بمحمّد أحقُّ به منهم، وإلّا فإنّ الأنصار أعظمُ العرب فيها نصيبًا، فلا أدري أصحابي سلِموا من أن يكونوا حقّي أخذوا، أو الأنصار ظلموا، بل عرفت أنّ حقّي هو المأخوذ، وقد تركته لهم تجاوُزًا لله عنهم. وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان، وقطيعتي رحمه، وتأليبي عليه فإنّ عثمان عمل ما قد بلغك، فصنع النّاس به ما رأيت، وإنّك لتعلم أنّي قد كنت في عُزْلة عنه إلّا أن تتجنّى، فَتَجَنّ[1] ما بدا لك؛ وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان، فإنّي نظرتُ في هذا الأمر وضربتُ أنفه وعينه فلم أر دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك لا يكلّفونك أن تطلبهم في برّ ولا بحر ولا سهل ولا جَبَل، وقد أتاني أبوك حين ولّى النّاسُ أبا بكر، فقال: أنتَ أحقُّ بمقام محمّد، وأولى النّاس بهذا الأمر، وأنا زعيمٌ لك بذلك على من خالف، ابسُطْ يدك أبايعْك، فلم أفعل، وأنتَ تعلم أنّ أباك قد قال ذلك وأراده حتّى كنتُ أنا الّذي أبيتُ، لقرب عهد النّاس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الإسلام، فأبوك كان أعرف بحقّي منك، فإن تعرفْ من حقّي ما كان أبوك يعرِف تُصِبْ رُشدَك، وإنْ لم تفعل فسيُغني الله عنك، والسّلام[2]. (١٥ : ٧٢ ـ ٧٨)

---

١ ـ تجنّي عليه: ادعى ذنبًا لم يجنه.

٢ ـ صفّين: ١١٢، ٢١٣.

الفصل السّابع ـ[في فتح مكّة]

قوله: «وذكرت أنّك زائري في جَمْع من المهاجرين والأنصار، وقد انقطعَت الهجرةُ يوم أُسِر أخوك» هذا الكلامُ تكذيبٌ له في قوله: «في جمعٍ من المهاجرين والأنصار»،أى ليس معك مهاجر لأنّ أكثر من معك ممّن رأى رسولَ الله ﷺ هم أبناء الطُّلَقاء ومن أَسلَم بعد الفتح، وقد قال النّبيّ ﷺ: « لا هِجْرةَ بعد الفَتْح ». وعبّر عن يوم الفَتْح بعبارة حَسَنة فيها تقريع لمعاوية وأهلِه بالكفر، وأنّهم ليسوا من ذوي السّوابق، فقال: « قد انقطعتْ الهجرةُ يومَ أُسِر أخوك» يعنى يزيد بن أبي سُفيان أسِرَ يوم الفَتْح في باب الخَنْدَمة، وكان خَرَج في نفر من قريش يُحارِبون ويَمْنَعون من دخول مكّة فقُتِل منهم قومٌ وأُسِر يزيدُ بنُ أبي سفيان، أسرَه خالدُ بنُ الوليد، فخلّصه أبو سُفْيان منه، وأدخَلَه دارَه، فأَمِن لأنّ رسول الله ﷺ قال يومئذ: «من دخل دارَ أبي سُفْيانَ فهو آمِن».

[ذكر الخبر عن فتح مكّة]

ويجب أن نذكر في هذا الموضع ملخّصَ ما ذَكَره الواقديّ في كتاب « المغازِي» في فتح مكّة، فإنّ الموضع يقتضيه، لقوله عليه السلام: «ما أسلم مسلمُكم إلّا كَرْهًا»، وقوله: «يومَ أُسِر أخوك».

قال محمّد بن عمر الواقديّ في كتاب « المَغَازي»: كان رسولُ الله ﷺ قد هادن قريشًا في عام الحُدَيْبيَه عشر سنين، وجعل خزاعة داخلةً معه، وجعلت قريشٌ بني بكر بن عبد مناة من كنانة داخلةً معهم، وكان بين بني بكر وبين خُزاعة تِراثٌ في الجاهليّة ودماء، وقد كانت خُزاعةُ من قبلُ حالفتْ عبد المطّلب بن هاشم، وكان معها كتابٌ منه، وكان رسولُ الله ﷺ يَعرِف ذلك، فلمّا تَمّ صُلح الحُدَيْبيّة وأمِن

النَّاس، سَمِع غلامٌ من خُزاعة إنسانًا من بني كنانة يقال له: أَنَس بن زُنيم الدَّوْلِيّ [١] يُنشِد هجاءً له في رسول الله ﷺ، فضربه فشَجّه، فخرج أنس إلى قومه فأراهم شجّته فثار بينهم الشرّ، وتذاكروا أحقادَهم القديمة، والقوم مجاورون بمكّة، فاستنجدت بكر بن عبد مناة [٢] قُرَيْشًا على خُزاعة، فمن قريشٍ مَنْ كَرِه ذلك وقال: لا أنقُض عهدَ محمّد، ومنهم من خفّ إليه.

وكان أبو سُفْيان أحدَ من كَرِه ذلك، وكان صَفْوان بن أميّة وحُوَيْطب بن عبد العُزّى ومُكْرَز بن حَفْص ممّن أعان بني بكر، ودَسّوا إليهم الرِّجالَ بالسِّلاح سرًا، وبيّتوا خُزاعة ليلًا، فأوقعوا بهم، فقتلوا منهم عشرين رجلًا، فلمّا أصبحوا عاتبوا قريشًا، فجحدت قريشٌ أنّها أعانت بكرًا، وكذّبت في ذلك، وتبرّأ أبو سُفْيانَ وقوم من قريش ممّا جَرَى، وشَخَص قومٌ من خُزاعةَ إلى المدينة مستصرِخِين برسول الله ﷺ، فدَخَلوا عليه وهو في المسجد، فقامَ عمرو بن سالم الخُزاعيّ فأنشده:

لا هُـمَّ إنّي ناشـدٌ محمّـدًا ... حِلْـفَ أبينـا وأبيـه الأ تلـدَا [٣]

لكنـتَ والـدًا وكنّـا وَلَـدَا [٤] ... ثمّـتَ أسـلَمْنا ولم ننـزع يَـدَا

إنّ قريشًـا أخلفـوك الموْعِـدَا ... ونقَضُـوا ميثاقـك المؤكّـدا

هـمْ بيّتونـا بـالوَتير هُجَّـدا [٥] ... نتلـو القُـرآنَ رُكّعًـا وسُـجّدا

---

١ ـ ا «الدّيلي».

٢ ـ ب: «مناف»، وصوابه في ا، د.

٣ ـ في الأصول: «الأملدا» وصوابه من ابن هشام ٤: ١٠. والأتلد: القديم.

٤ ـ ابن هشام: «قد كنتم ولدا».

٥ ـ الوتير: اسم ماء بعينه.

وَزَعمـوا أن لسـتَ تـدْعُو أحَـدَا وهـمْ أذَلّ وأقـلّ عَـددَا
فانصـرْ هَـداك الله نَصـرًا أيَـدا[1] وادْعُ عبـاد الله يـأتُوا مَـدَدا[2]
في فيلـقٍ كـالبَحْرِيَجـرى مُزْبِـدا[3] فـيهمْ رسـولُ الله قـد تَجـرّدا

*قرمٌ لقَوْمٍ من قُروم أصيَدَا *

ثمّ ذكروا له ما أثار الشرَّ، وقالوا له: إنّ أنَس بنَ زُنَيم هجاك ،وإنّ صَفْوان بن أُميّة وفلانًا وفلانًا دَسُّوا إلينا رجالَ قريش مُستنصرين، فبيَّتونا بمنزلنا بالوَتِير فقتَلونا، وجئناك مستصرخين بك، فزَعموا أنّ رسول الله ﷺ قام مُغضَبا يجرُّ رداءه ويقول: «لا نُصِرتُ إن لم أنصُرْ خُزاعةَ فيما أنصُرُ منه نفسي!»

قلتُ: فصادَفَ ذلك من رسول الله ﷺ إيثارًا وحُبًّا لنقْض العهد، لأنّه كان يريد أن يفتح مكّة وهمّ بها في عام الحُديْبيَّة فصُدّ، ثمّ همّ بها في عُمْرة القضيّة، ثمّ وقف لأجل العهد والميثاق الّذي كان عَقَده معهم، فلمّا جرى ما جَرَى على خُزاعة اغتَنَمها.

قال الواقديّ: فكتب إلى جميع النّاس في أقطار الحجاز وغيرها يأمُرهم أن يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمانٍ للهجرة فوافَتْه الوُفُود والقبائل من كلّ جهة، فخرج من المدينة بالنّاس يوم الأربعاء لعشرٍ خَلَون من رمضانَ في عشرةِ آلاف، فكان المهاجرُون سبعمائة، ومعهم من الخيل ثلثمائة فرسٍ، وكانت الأنصار أربعة آلاف، معهم من الخيل خمسمائه، وكانت مُزْيَنُة ألفًا، فيها من الخيل مائة فرس، وكانت أسلم أربعمائة، فيها من الخيل ثلاثون فرسًا، وكانت جُهَينةُ ثمانمائة معها خمسون فرسًا، ومن سائر النّاس تمامُ عشرة آلاف، وهم بنو ضَمْرة وبنو غِفار وأشجَع وبنو سُليم وبنو

---

١ ـ أيدًا: قويًّا؛ وفي ب: «أبدًا»؛ والصّواب ما في ا وابن هشام.

٢ ـ المدد: العون.

٣ ـ الفيلق: العسكر.

كَعْب بن عمرو وغيرهم. وعَقَد للمهاجرين، ثلاثة ألوية: لواء مع عليّ، ولواء مع الزُّبير، ولواء مع سعد ابن أبي وقّاص، وكانت الرّاياتُ في الأنصار وغيرهم، وكتم عن النّاس الخبر، فلم يعلم به إلّا خواصّه، وأمّا قريش بمكّة فنَدِمتْ على ما صنعتْ بخُزاعة، وعرَفَت أنّ ذلك انقضاءُ ما بينهم وبين النّبيّ ﷺ من العهد، ومَشَى الحارثُ بنُ هشام وعبدُ الله بنُ أبي ربيعة إلى أبي سُفْيان فقالا له: إنّ هذا أمرٌ لابدّ له أن يُصلَح، والله إن لم يُصلَح لا يَرُوعكم إلّا محمّدٌ في أصحابه.

وقال أبو سُفْيان: قدرأتْ هندُ بنتُ عُتْبة رؤيا كرِهتُها وأفظَعَتْها، وخفتُ من شرّها، قالوا: ما رأت؟ قال: رأت كأنّ دمًا أقبل من الحَجُون يَسيل حتّى وقف بالخَنْدَمة مَلِيًّا، ثمّ كأنّ ذلك الدَّم لم يكن؛ فكَرِه القومُ ذلك وقالوا: هذا شرّ.

قال الواقديّ: فلمّا رأى أبو سُفْيانَ ما رأى من الشرّ قال: هذا واللهِ أمرٌ لم أشهده ولم أَغِب عنه، لا يُحمَل هذا إلّا عليّ، ولا والله ما شُوورت ولا هوَنتَ[1] حيث بلغني، والله ليَغزُونا محمّدٌ إنْ صَدَق ظنّي وهو صادق، وما لي بُدّ أن آتي محمّدًا فأكلّمه أن يزيد في الهُدْنة ويجدّد العهد قبل أن يَبلُغه هذا الأمر.

قالت قريش: قد والله أصبتَ، وندمتْ قريشٌ على ما صنعتْ بخُزاعة وعرفت أنّ رسول الله ﷺ لا بدّ أن يُغزوها؛ فخرج أبو سُفْيانَ وخَرَج معه مولًى له على راحلتين، وأسرَعَ السَّيرَ وهو يرى أنّه أوّل من خرج من مكّة إلى رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: وقد رُوِيَ الخبر على وجهٍ آخر، وهو إنّه لمّا قَدِم رَكْبُ خُزاعةَ على رسول الله ﷺ فأخبَروه بمن قُتل منهم، قال لهم: بمن تُهمتكم وطلبتكم؟ قالوا: بنو بكر بن عبدِ مَناة قال: كلّها؟ قالوا: لا، ولكن تهمتنا بنو نُفاثة قَصْرةً[2]، ورأسهم نَوْفل بن معاوية النُّفاثيّ، فقال: هذا بطنٌ من بكر، فأنا باعث إلى أهل مكّة فسائلُهم عن هذا

---

١ ـ ب: «هويت»، وأثبت ما في ا، د.

٢ ـ قصرة: أى هم دون غيرهم.

الأمر، ومخيّرُهم في خصال. فبعثَ إليهم ضَمْرة يُخيّرهم بين إحدى خلال ثلاث: بين أن يَدُوا خُزاعةَ، أو يَبرءوا من حِلْف نُفاثة، أو ينبِذ إليهم على سواء، فأتاهم ضَمْرة فخيّرهم بين الخلال الثّلاث، فقال قُرَيظة بن عبد عمرالأعمى: أمّا أن نَدِيَ قتلي خُزاعة، فإنّا إنْ وَدَيْناهم لم يَبْق لنا سَبَد ولالَبَد[1]، وأمّا أن نبرأ من حلف نُفاثة، فإنّه ليس قبيلة تحجّ هذا البيت أشدّ تعظيمًا له من نُفاثة، وهم حُلَفاؤنا فلا نبرأ من حِلْفهم، ولكنّا نَنْبِذ إليه على سواء. فعاد ضَمْرة إلى رسول الله ﷺ بذلك، وندمتْ قريشٌ أن ردّتْ ضَمْرة بما ردّتْه به.

قال الواقديّ: وقد رُوِي غيرُ ذلك، رُوِي أنّ قريشًا لمّا ندمتْ على قتل خُزاعة وقالت: محمّد غازينا، قال لهم عبدُ الله بن سعد بن أبي سَرْح ـ وهو يومئذ كافر مرتدّ عندهم ـ: إنّ عندي رأيًا، إنّ محمّدًا ليس يَغْزوكم حتّى يُعذِر إليكم ويُخيّركم في خصال كلّها أهوَن عليكم من غَزْوه، قالوا: ما هي؟ قال: يرسل إليكم أن تَدُوا قَتْلَى خُزاعة، أو تَبْرَءوا من حِلْف من نَقَض العهد وهم بنو نُفاثة، أو ينبذ إليكم العهد. فقال القومُ: أحْرِبما قال ابنَ أبي سَرْح أن يكون! فقال سُهَيل بنُ عمرو: ما خَصْلة أيسر علينا من أن نبرأ من حلف نُفاثة، فقال شَيْبة بنُ عثمانَ العَبْدَرِيّ: حُطَتَّاخوالك[2] خُزاعة، وغضبت لهم! قال سهيل: وأيّ قريش لم تَلِد خُزاعة! قال شيبة: لا، ولكن نَدِي قَتلى خُزاعة فهو أهونُ علينا. فقال قُرَيظة بنُ عبد عمرو: لا والله لا نَدِيهم ولانَبْرأ عن نُفاثة أبرّ العَرَب بنا، وأعمرهُم لبَيْت ربّنا، ولكنْ نَنْبذ إليهم على سواء. فقال أبو سُفيان: ما هذا بشيء، وما الرّأيُ إلّا جَحْد هذا الأمر أن تكون قريش دخلتْ في نَقْض العهد، أو قطع مدّة، فإن قطعه قومٌ بغير هَوًى منّا ولا مَشورة فما علينا! قالوا: هذا هو الرّأى، لا رأى إلّا الجحْد لكلّ ما كان من ذلك؛ فقال: أنا أقسم أنّي لم أشْهَد ولم

---

١ ـ يقال: ما له سبد ولا لبد؛ أى لا قليل ولاكثير.

٢ ـ ب: «إخوانك»، وما أثبته من ا، د.

أُوَامر، وأنا صادق؛ لقد كرهتُ ما صَنَعتم، وعرفتُ أن سيكون له يوم غماس[١]، قالت قريش لأبي سُفيان: فاخرج أنتَ بذلك؛ فخرج.

قال الواقديّ: وحدَّثني عبد الله بن عامر الأسلميّ، عن عطاء بن أبي مروان، قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة صبيحة اللَّيلة الّتي أوقعتْ فيها نُفاثة وقُرَيش بخُزاعة بالوتير: يا عائشة لقد حَدث اللَّيله في خُزاعة أمر، فقالت عائشة: يا رسول الله، أترى قريشًا تجترئ على نَقْض العهد بينك وبينهم! أينقضون وقد أفناهم السَّيف! فقال: العهد لأمر يريدُه الله بهم، فقالت: خيرٌ أم شرٌّ يا رسول الله؟ فقال: خير.

قال الواقديّ: وحدّثني عبدُ الحميد بن جعفر قال: حدّثني عمْران بن أبي أَنس، عن ابن عبّاس، قال: قام رسول الله ﷺ وهو يَجُرّ طَرَف رِدائه ويقول: «لا نُصِرتُ إن لم أنصر بني كَعب ـ يعنى خزاعة فيما أنصرُ منه نفسي!».

قال الواقديّ: وحدّثني حرام بن هشام، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لكأنّكم بأبي سُفيان قد جاءكم يقول: جدِّد العهد وزِدْ في الهدنة وهو راجع بِسخْطه. وقال لبني خُزاعة عمرُو بن سالم وأصحابه: ارجعوا وتفرّقوا في الأودية، وقام فدخل على عائشة وهو مُغضَب، فدعا بماءٍ فدخل يغتسل؛ قالت عائشة: فأسمعُه يقول وهو يصُبّ الماء على رِجليه: «لا نُصِرْت إن لم أنصُرْ بني كعب»!

قال الواقديّ: فأمّا أبو سفيان فخرج من مكّة وهو متخوّف أن يكون عمرو بن سالم ورَهْطُه من خُزاعة سَبقوه إلى المدينة، وكان القوم لمّا رَجعوا من المدينة وأتوا الأبواء تفرّقوا كما أوصاهم رسول الله ﷺ، فذهبت طائفةٌ إلى السّاحل تعارض الطَّريق، ولزم بُدَيل بن أمّ أصرَم الطَّريق في نفر معه فلقيَهم أبو سُفيان، فلمّا رآهم أشفق أن يكونوا لقُوا محمّدًا ﷺ بل كان اليقينُ عنده، فقام للقوم: منذُ كم عهدكم بيثرب؟ قالوا: لا عهد لنا بها، فعَرَف أنّهم كتموه، فقال: أمّا معكم من تمْر يثرب شيء تُطعمونَاه، فإن

---

١ ـ يوم غموس، أى شديد.

لتمريثرب فَضْلًا على تمرتِهامة؟ قالوا: لا،ثمّ أبت نفسه أن تقَرّ، فقال: يا بُدَيل، هل جئت محمّدًا؟ قال: لا ولكنّي سرتُ في بلاد خُزاعة من هذا السَّاحل في قتيل كان بينهم حتّى أصلحتُ بينهم.

قال: يقول أبوسفيان: إنّك ـ والله ما علمتُ ـ برُّ واصل. فلمّا راح بُدَيل وأصحابه جاء أبو سفيان إلى أبعار إبلهم ففتها فإذا فيها النّوى، ووجد في منزلهم نوى من تمر عجوة كأنّه ألسنة العصافير، فقال: أحلف بالله لقد جاء القومُ محمّدًا. وأقبَل حتّى قَدِم المدينَة، فدخل على النّبيّ ﷺ، فقال: يا محمّد، إنّي كنت غائبًا في صُلْح الحُدَيبية، فأشدُد العهدَ وزِدْنا في المدّة فقال رسول الله ﷺ: ولذلك قدمتَ يا أبا سُفيان! قال: نعم قال: فهل كان قِبَلكم حَدَث؟ فقال: مَعَاذ الله! فقال رسولُ الله: فنحن على مَوثِقنا وصُلْحِنا يومَ الحُدَيبية لا نغيّر ولانبدّل. فقام مِنْ عندِه فدخل على ابنته أمّ حبيبة فلمّا، ذهب ليجلسَ على فِراش رسول الله ﷺ طَوَتْه دونَه، فقال: أرغبتِ بهذا الفراش عنى، أم رغبتِ بي عنه؟ فقالت: بل هو فراشُ رسول الله ﷺ، وأنت امرؤٌ نَجِسٌ مُشرِك. قال: يا بنيّة، لقد أصابَكِ بعدِي شرّ، فقالت: إنّ الله هداني للإسلام، وأنتَ يا أبتِ سيّدُ قريش وكبيرُها، كيف يَخفَى عنك فضلُ الإسلام، وتَعبُد حَجَرًا لا يَسمَع ولا يُبصر! فقال: يا عجبًا! وهذا منكِ أيضًا! أأترك ما كان يَعبُد آبائي وأتّبع دينَ محمّد! ثمّ قام من عندِها فلقِيَ أبا بكر! فكلّمه، وقال: تُكلِّم أنتَ محمّدًا، وتجيرأنتَ بين النّاس. فقال: أبو بكر: جِوارِي جوارُ رسول الله ﷺ،ثمّ لقِيَ عمرَ فكلّمه بمثل ما كلّم به أبا بكر، فقال عمر: واللهِ لو وجدتُ السِّنَّوْرَ تقاتِلكم لأعنتُها عليكم.

قال أبو سُفْيان:جُزِيت من ذِي رَحِم شرًّا! ثمّ دخل على عثمانَ بنِ عَفّان فقال له: إنّه ليس في القوم أحدٌ أمسّ بي رَحِمًا منك، فزِدْني الهدنة وجَدِّد العهدَ، فإنّ صاحبك لا يردّ عليك أبدًا، والله ما رأيتُ رجلًا قطّ أشدّ إكرامًا لصاحبٍ من محمّد لأصحابه، فقال عثمان: جِوارِي جوارُ رسول الله ﷺ، فجاء أبو سفيان حتّى دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فكلّمها، وقال: أجيرِي بين النّاس، فقالت: إنّما أنا امرأة، قال: إنّ

جِوارَك جائز، وقد أجارت أختُكِ أبا العاص بنَ الرّبيع، فأجازَ محمّد ذلك. فقالت فاطمة: ذلك إلى رسول الله ﷺ، وأبتْ عليه، فقال: مُري أحدَ هذين ابنيك يُجيرُ بين النّاس، قالت: إنّهما صبيّان، وليس يجيرُ الصّبيُّ. فلمّا أبت عليه أتى عليًّا ﷺ فقال: يا أبا حَسَن، أجِرْ بين النّاس وكلِّم محمّدًا لِيزيدَ في المُدّة، فقال عليّ ﷺ: وَيحك يا أبا-سُفْيان! إنّ رسول الله ﷺ قد عَزَم ألّا يَفعَل، وليس أحدٌ يستطيع أن يكلّمه في شيء يكرَهه، قال أبو سُفيان: فما الرّأيُ عندَك فتشير لأمري، فإنّه قد ضاقَ عليّ؟ فمرني بأمرٍ تَرَى أنّه نافعي، قال عليّ ﷺ: واللهِ ما أَجِدلكَ شيئًا مِثل أن تقوم فتُجيرَ بين النّاس، فإنّك سيّدُ كِنانة قال: أترى ذلك مُغنيًا عني شيئًا؟ قال عليّ: إنّي لا أظنّ ذلك واللهِ، ولكنّي لا أجدُ لكَ غيرَه. فقام أبو سُفيانَ بين ظَهْرَي النّاس فصاح: ألّا إنّي قد أجرتُ بينَ النّاس، ولاأظنّ محمّدًا[1] يحقِرني.

ثمّ دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد ما أظنّ أن تردّ جِواري! فقال ﷺ: أنت تقول ذلك يا أبا سُفيان! ويقال: إنّه لمّا صاح لم يأتِ النّبيّ ﷺ وركِب راحِلَته وانطَلَق إلى مكّة، ويُروَى أنّه أيضًا أَتَى سعدَ بنَ عُبادةَ فكلّمه في ذلك: وقال: يا أبا ثابت، قد عرفتَ الّذي كان بيني وبينَك، وإنّي كنتُ لك في حَرَمِنا جارًا، وكنتَ لي بيثربَ مِثلَ ذلك، وأنت سيّدُ هذه المَدَرَة، فأَجِرْ بين النّاس، وزِدْني في المُدّة. فقال سعد: جِوارِي جِوارُ رسول الله ﷺ، ما يُجير أحدٌ على رسول الله ﷺ، فلمّا انطلق أبو سُفيان إلى مكّة، وقد كان طالتْ غَيبتُه عن قريش وأبطأ، فاتّهموه وقالوا: نراه قد صَبَا واتّبع محمّدًا سِرًّا، وكَتَم إسلامَه، فلمّا دخل على هندٍ ليلًا قالت: قد احتُبستَ حتّى اتّهمك قومُك، فإن كنتَ جئتَهم بنُجْح فأنت الرّجل! وقد كان دنا منها ليَغْشاها، فأخبَرَها الخبر وقال: لم أجد إلّا ما قال لي عليّ، فضَربتْ برِجلها في صدرِه وقالت: قُبّحتَ من رسولِ قَوْم!.

---

١ ـ د: «يجيرني».

قال الواقديّ: فحدّثني عبدُ الله بنُ عثمانَ، عن أبي سليمان، عن أبيه، قال: لمّا أصبح أبو سُفيان حَلَق رأسَه عند الصَّنَمين: أُساف ونائلة، وذَبَح لهما، وجعل يَمسح بالدّم رءوسَهما، ويقول: لا أفارق عبادَتَكما حتّى أموت على ما ماتَ عليه أبي. قال: فَعَل ذلك ليبرّئ نفسَه ممّا اتّهمتْه قريش به.

قال الواقديّ: وقالت قريش لأبي سُفيان: ما صنعتَ؟ وما وراءَك؟ وهل جئتَنا بكتاب من محمّد وزيادةٍ في المُدّة؟ فإنّا لا نأمن من أن يَغزُوَنا، فقال: واللهِ لقد أبَى عليَّ، ولقد كلّمت عليه أصحابَه فما قَدَرتُ على شيء منهم، ورَمَوْني بكلمةٍ منهم واحدة، إلّا أنّ عليًّا قال لمّا ضاقت بي الأمور: أنت سيّد كِنانة، فأجِرْ بين النّاس، فناديتُ بالجوار، ثمّ دخلتُ على محمّد فقلت: إنّي قد أجرتُ بين النّاس، ومَا أظنّ محمّدًا يردّ جِواري، فقال محمّد: أنتَ تقول ذاك يا أبا سُفيان! لم يَزِد على ذلك قالوا: ما زاد عليّ علي أن يَلعَب بك تلعّبًا، قال: فو الله ما وجدتُ غير ذلك.

قال الواقديّ: فحدّثني محمّد بن عبد الله، عن الزّهريّ، عن محمّد بن جُبَير بن مُطعِم، قال: لمّا خرج أبو سُفيان عن المدينة قال رسولُ الله ﷺ لعائشة: جَهّزينا وأخفِي أمرَك. وقال رسولُ الله ﷺ: اللّهمّ خُذْ عن قريش الأخبارَ والعيونَ حتّى نأتيَهم بَغتةً؛ ورُوِي أنّه قال: اللّهمّ خُذْ على أبصارهم فلا يَرَوْني إلّا بغتة، ولا يَسمَعون بي إلّا فجأة.

قال: وأخذ رسولُ الله ﷺ الأنْقَابَ وجعل عليها الرِّجالَ، ومَنَع مَنْ يخرج من المدينة، فدخل أبو بكر على عائشةَ وهي تجهّز رسول الله ﷺ، تَعمَل له قَمْحًا سَوِيقًا ودَقيقًا، وتمرًا، فقال لها: أهَمَّ رسولُ الله ﷺ بغَزْوٍ؟ قالت: لا أدري، قال: إن كان هَمّ بسَفرٍ فآذِنينا نتهيّأ له؛ قالت: لا أدري لعلّه أراد بني سُلَيم، لعلّه أراد ثَقِيفًا أو هَوازِنَ! فاستعْجَمَتْ[1] عليه، فدَخَل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أردتَ سَفرا؟ قال:

---

١ ـ يقال: استعجم عليه؛ إذا سكت ولم يحر جوابًا.

نعم، قال: أفأتجهّز؟ قال: نعم، قال: وأين تريد؟ قال: قريشًا، وأخْفِ ذلكَ يا أبابكر، وأَمَر رسولُ الله ﷺ النَّاسَ فتجهّزوا. وطَوَى عنهم الوجهَ الّذي يريد، وقال له أبوبكر: يا رسول الله، أو ليسَ بيننا وبينهم مدّة؟ فقال: إنّهم غَدَروا ونَقَضوا العهد، فأنا غازِيهم، فاطوِ ما ذكرتُ لك، فكان النَّاسُ بين ظانٍّ يظُنّ أنّه يريد سُلَيْما، وظانٍّ يَظُنّ أنّه يريد هَوَازِنَ، وظانٍّ يَظُنّ أنّه يريد ثَقيفًا، وظانٍّ يَظُنّ أنّه يريد الشَّامَ، وبعَثَ رسول الله ﷺ أباقَتادَة بن رِبْعيّ في نفرإلى بطنٍ ليظنّ النَّاسُ أنّ رسول الله ﷺ قَدَّم أمامه أولئك الرِّجال لتوجّهه إلى تلك الجهة، ولتذهب بذلك الأخبارُ. قال الواقديّ: حدّثني المنذِر بنُ سعد،عن يزيدَ بن رُومان، قال: لمّا أجمَعَ رسولُ الله ﷺ المسيرَإلى قريش، وعَلِم بذلك مَن عَلِم من النَّاس، كتب حاطبُ ابنُ أبي بَلْتَعَة إلى قريش يُخبِرهم بالّذي أجمَعَ عليه رسولُ الله ﷺ في أمرِهم، وأعطى الكتابَ امرأةً من مُزَينة، وجعلَ لها على ذلك جُعْلًا على أن تُبلّغه قريشًا، فجعلتْ الكتابِ في رأسِها، ثمّ فَتلتْ عليه قُرونَها وخرجتْ به، وأتى الخبرُإلى النّبيّ ﷺ من السّماء بما صَنَع حاطب، فبَعثَ عليًّا عليه السلام والزُّبيرَ فقال: أَدرِكَا أمرأةً من مُزَينة قد كَتَب معها حاطبٌ كتابًا يُحذّر قريشًا، فخَرَجا وأدرَكاها بذي الحُلَيفة فاستنزَلاها والْتَمَسَا الكتابَ في رَحْلها فلم يَجدا شيئًا، فقالا لها: نَحلِف بالله ما كَذَب رسولُ الله ﷺ ولاكذَبْنا، ولتُخرِجنّ الكتاب أو لنَكْشِفَنَّكِ. فلمّا رأت منهما الجِدّ حلّت قُرونَها، واستخرجَتِ الكتابَ فدفعتْه إليهما، فأَقبَلَا به إلى رسول الله ﷺ، فدعا حاطبًا وقال له: ما حَمَلك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، والله إنّي لَمُسلم مؤمنٌ بالله ورسوله، ما غيّرتُ ولابدّلتُ، ولكنّي كنتُ امرأً ليس لي في القوم أصْل ولاعَشيرة، وكان لي بين أظهُرهم أهلٌ ووَلَد، فصانعتُهم. فقال عمر: قاتلك الله! ترى رسول الله ﷺ يأخُذ بالأ نقاب وتَكْتب إلى قريش تحذّرهم! دَعني يا رسول الله أضرب عُنُقه، فإنّه قد نافَق، فقال رسولُ الله ﷺ: وما يدريك يا عمرلعلّ الله قد اطّلع على أهلِ بَدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غَفرتُ لكم!

قال الواقديّ: فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ من المدينة بالألْويه المعقودة والرّايات بعدَ العصر من يوم الأربعاء لعشرٍ خلوْنَ من شهر رَمضانَ لم يحلّ عقده حتّى انتهى إلى الصلْصل[1]، والمسلمون يَقُودون الخيلَ، وقد امتَطوا الإبل، وقدّام أمامَه الزُّبير بن العوّام العوّام في مائتين، قال: فلمّا كان بالبَيْداء نظر إلى عَنانِ السَّماء، فقال: إنّي لأرَى السَّحابَ تستهِلّ[2] بنصرِ بني كعب ـ يعنى خُزاعة.

قال الواقديّ: وجاء كعبُ بن مالك لِيَعلَم أىّ جهةٍ يقصد؟ فَبَرك بين يديه على رُكْبتيه، ثمّ أنشده:

قَضَيْنا من تِهامةَ كلّ نَحْبٍ[3] وخيبَر ثمّ أحمَيْنَا السُّيوفَا

فسائِلْها ولو نَطقتْ لقالت قَواضِبُهن دَوْسًا أو ثَقِيفًا

فلستُ بحاضرٍ إن لم تَرَوْها بساحةِ دارِكم منها ألوفًا

فننتزِع الخِيام بِبَطْنِ وَجٍّ ونَتْرُك دُورَكم منها خُلُوفًا

قال: فتبسّم رسولُ الله ﷺ ولم يَزِد على ذلك، فجعل النّاسُ يقولون: واللهِ ما بَيّنَ لكَ رسولُ الله ﷺ شيئًا، فلم تَزَل النّاسُ كذلك حتّى نزلوا بمَرّ الظّهْران.

قال الواقديّ: وخرج العبّاس بنُ عبدِ المطّلب ومَخْرَمة بنُ نَوْفل من مَكّة يَطلُبان رسول الله ﷺ ظَنًّا منهما أنّه بالمدينة يريدان الإسلام، فلَقِياه بالسُّقيا.

قال الواقديّ: فلمّا كانت اللّيلة الّتي أصبَحَ فيها بالجُحْفة رَأَى فيها أبو بكر في مَنامِه

---

١ ـ صلصل: بنواحي المدينة على سبعة أميال منها؛ نزل بها رسول الله ﷺ يوم خرج من المدينة إلى إلى مكّة عام الفتح. ياقوت.

٢ ـ استهلّ السّحاب؛ إذا كثر انصبابه.

٣ ـ النّحب: النّذر.

أنّ النّبيّ ﷺ وأصحابَه قد دنَوْا من مكّة فخرجتْ عليهم كَلْبة تَهِرّ[١] فلمّا دَنَوْا منها استلْقَتْ على قَفاها، وإذا أَطْباؤها[٢] تَشخُب لبنا. فقَصَّها على رسول الله ﷺ، فقال: ذهب كَلَبهم، وأَقبَل دَرُّهم، وهم سائلونا بأرحامِهم، وأنتم لاقُون بعضَهم، فإن لقيتم أبا سُفْيانَ فلا تقتلوه.

قال الواقديّ: وإلى أن وَصَل مَرَّ الظَّهْران لم يَبلُغ قريشًا حرفٌ واحد من حاله، فلمّا نزل بمَرّ الظَّهْران أمر أصحابه أن يُوقِدوا النَّار، فأوقدوا عشرة آلاف نار، وأجمعتْ قريشٌ أن يَبعثُوا أبا سُفْيان يتجسّس لهم الأخبار، فخرج هو وحكيمُ بن حزام وبُدَيل بنُ وَرْقاء.

قال: وقد كان العبّاس بن عبد المطّلب قال: واسوء صَباح قُرَيش! والله إنْ دَخَلها رسولُ الله ﷺ عَنْوةً إنّه لهلاكُ قريش آخرَ الدَّهر، قال العبّاس: فأخذتُ بغله رسول الله ﷺ الشَّهباء فركبتها، وقلتُ: أَلتمس حطّابًا أو إنسانًا أبعثه إلى قريش فيَلْقُوا رسول الله ﷺ قبلَ أن يدخُلها عليهم عَنْوةً، فو الله إنّي لفي الأراك لَيْلًا أبتغي ذلك إذ سمعتُ كلامًا يقول: والله إنْ رأيتُ كاللّيلة نارًا، قال: يقول بُدَيل بن وَرْقاء: إنّها نيرانُ خُزاعة جاشها[٣] الحرب.

قال: يقول أبو سفيان: خُزاعة أذَلّ من أن تكون هذه نيرانُها وعسكرُها، فعرفتُ صوته، فقلتُ: أبا حَنْظلة! فعَرَف، صوتي، فقال: لبّيك أبا الفَضْل! فقلتُ: وَيْحك! هذا رسولُ الله في عشرة آلاف، وهو مصبِّحكم، فقال: بأبي وأمّي، فهل من حيلة! فقلت: نَعَمْ، تركَبُ عَجُزهذه البغلة، فأذهب بك إلى رسول الله ﷺ فإنّه إن ظُفِر بك دونَ ذلك ليقتلنّك، قال: والله أنا أرى ذلك، فرَكِب خَلْفي، ورَحَل بُدَيْل وحكيم

---

١ ـ تهرّ: تنبح.

٢ ـ الأطباء: حلمات الضّرع من ذات الخفّ والظّلف والحافر.

٣ ـ جاشها الحرب: أفزعها.

فتوجّهت به فلمّا مررتُ به على نار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوْني قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بَغْلة رسول الله حتّى مررتُ بنار عمرَ بن الخطّاب، فلمّا رآني قال: من هذا؟ قلت: العبّاس، فذهب يَنظُر فرأى أبا سُفْيان خَلْفي، فقال: أبو سُفْيان عدوّ الله! الحمدُ لله الّذي أمكَن منك بغير عَهْد ولا عَقْد!

ثمّ خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وركَضتِ البغلة حتّى اجتمعنا جميعًا على باب قُبّة رسول الله ﷺ، فدخلتُ ودخلَ عمرُ بنُ الخطّاب على أثري، فقال عمر: يا رسول الله، هذا أبو سُفْيان عدوّ الله قد أمكَن الله منه بغير عَقْد ولا عَهْد، فدعني أضرب عنقه، فقلت: يا رسول الله، إنّي قد أَجَرْته، ثمّ لزمتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: والله لا يُناجِيه اللَّيلة أحدٌ دوني، فلمّا أكثرَ عمرُ فيه قلت: مهلًا يا عمر! فإنّه لو كان رجلًا من عدىّ بن كعب ما قلت هذا، ولكنّه أحدُ بني عبدِ مناف. فقال عمر: مَهْلًا يا أبا الفَضْل، فو الله لإسلامُك كان أَحَبّ إلىّ من إسلام الخطّاب ـ أو قال: من إسلام رجلٍ من وَلَد الخطّاب ـ لو أَسلم؛ فقال رسولُ الله ﷺ: اذهب به فقد أجرْناه، فليَبِتْ عندَك حتّى تغدوَ به علينا إذا أصبحتَ. فلمّا أصبحتُ غدوتُ به، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: وَيْحك يا أبا سُفْيان! ألم يأنِ لك أن تعلم لا إله إلّا الله! قال: بأبي أنتَ ما أحلمَك وأكرمك وأعظم عَفوك! قد كان يَقع في نفسي أن لو كان مَعَ الله إله آخر لأغنى، قال: يا أبا سُفْيان ألم يأنِ لكَ أن تعلم أنّي رسول الله! قال: بأبي أنتَ ما أحلمَك وأكرمَك وأعظمَ عفوَك! أمّا هذه فو الله إنّ في النّفس منها لشيئًا بعدُ، قال العبّاس: فقلتُ: وَيْحك! تشهّد وقل لا إله إلّا الله محمّد رسول الله قبل أن تُقتَل. فتَشهّد.

وقال العبّاس: يا رسول الله. إنّك قد عرفت أبا سُفْيان وفيه الشّرف والفَخْر، فاجعل له شيئًا، فقال: مَنْ دخل دارَ أبي سُفْيان فهو آمن، ومن أغلق دارَه فهو آمن، ثمّ قال: خُذْه فاحبسه بمَضِيق الوادي إلى خَطْم الجبل حتّى تمرُّ عليه جُنُود الله فيراها. قال العبّاس: فعدلتُ به في مَضيق الوادي إلى خَطْم الجبل فحبستُه هناك، فقال: أغدرًا

يا بني هاشم! فقلت له: إنّ أهل النّبوّة لا يَغدِرون، وإنّما حبستُك لحاجةٍ، قال: فهلّا بدأتَ بها أوّلًا فأعْلَمْتَنيها، فكان أفرخَ لرُوعي! ثمّ مرّت به القبائل على قادَتِها، والكتائبُ على راياتها، فكان أوّل من مَرّبه خالدُ بن الوليد في بني سُلَيم، وهم ألف، ولهم لواءان يَحمِل أحدَهما العبّاسُ بنُ مرْداس والآخر خُفاف بن نُدْبة، ورايةٍ يَحمِلها المقداد، فقال أبو سُفيان، يا أبا الفَضْل، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء بنو سُلَيم، وعليهم خالدُ بنُ الوليد، قال: الغلام؟ قال: نعم، فلمّا حاذي خالد العبّاس وأبا سُفيان كبّر ثلاثًا وكبّروا معه، ثمّ مضوا.

ومرّ على أثره الزّبير بن العوّام في خمسمائة، فيهم جماعةٌ من المهاجرين وقومٌ من أفْناء النّاس، ومعه رايةٌ سوداء، فلمّا حاذاهما كبّر: ثلاثًا وكبّر أصحابُه فقال: مَن هذا؟ قال: هذا الزُّبير، قال: ابن أختك؟ قال: نعم، قال: ثمّ مرّت به بنو غِفار في ثلثمائة يَحمِل رايتهم أبو ذَرّ ـ ويقال: إياء بن رحضة ـ فلمّا حاذوهما كبّروا ثلاثًا، قال: يا أبا الفَضْل: مَنْ هؤلاء؟قال: بنو غِفار، قال: ما لي ولبني غِفار! ثمّ مَرّت به أسلم في أربعمائة يَحمِل لواءَها يزيدُ بن الخصيب، ولواء آخر مع ناجية بن الأعجم، فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا، فسأل عنهم فقال: هؤلاء أَسلَم، فقال: ما لي ولأسلم! ما كان بيننا وبينهم تِرَة قطّ، ثمّ مرّت بنو كعب بن عمرو بن خُزاعَة في خمسمائة يَحمل رايتَهم بشرُ بنُ سُفيان، فقال: من هؤلاء؟ قال كعب بن عمرو، قال نعم حلفاء محمّد، فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا. ثمّ مرّت مُزَينة في ألفٍ فيها ثلاثةُ ألوِية مع النّعمان ابن مقرِّن، وبلال بن الحارث، وعبد الله بن عمرو، فلمّا حاذوهما كبّروا، قال: من هؤلاء؟ قال: مُزَينة، قال: يا أبا الفَضْل، ما لي ولمُزَينة قد جاءتْني تُقعقع من شواهقها[1]. ثمّ مرّت جُهَينة في ثمانمائة، فيها أربعةُ ألْوِية مع معبد بن خالد، وسوَيْد بن صخر، ورافع بن مُكَيث، وعبد الله بن بدر، فلمّا حاذَوْه كبّروا ثلاثًا فسأل عنهم، فقيل: جُهَينه.

ثمّ مرّت بنو كنانة وبنو ليث وضَمْرة وسعد بنُ أبي بكر في مائتين، يَحمِل لواءَهم

---

١ ـ الشّواهق: الجبال.

أبو واقد اللّيثي، فلمّا حاذوه كبّروا ثلاثًا، قال من هؤلاء؟ قال: بنو بكر. قال: نعم أهلُ شؤم، هؤلاء الّذين غَزَانا محمّد لأجلهم! أمَا واللهِ ما شُوورت فيهم، ولا علمتُه، ولقد كنتُ له كارهًا حيث بلغني، ولكنّه أمرٌ حُمَ[1]، قال العبّاس، لقد خارَ الله لك في غزو محمّد إيّاكم، ودخلتم في الإسلام كافّة، ثمّ مرّت أشجعُ ـ وهم آخرُ من مَرّ به قبل أن تأتيَ كتيبةُ رسول الله ﷺ ـ وهم ثلاثة يحمل لواءَهم معقل بنُ سِنان، ولواء آخر مع نعيم بن مَسْعود فكبّروا، قال: مَن هؤلاء؟ قال: أشجَع، فقال: هؤلاء كانوا أشدَّ العرب على محمّد، قال العبّاس: نعم؛ ولكنّ الله أدخَل الإسلام قلوبَهم، وذلك من فضل الله. فسكت وقال: أما مرّ محمّد بعدُ؟ قال: لا، ولو رأيتَ الكتيبةَ الّتي هو فيها لرأيت الحديدَ والخيلَ والرّجال، وما ليس لأحدٍ به طاقة، فلمّا طلعت كتيبةُ رسول الله ﷺ الخَضْراء طَلَع سوادٌ شديد وغُبْرة من سنابك الخيل، وجعل النّاسُ يمرّون، كلّ ذلك يقول: أمامرّ محمّد بعدُ؟ فيقول العبّاس: لا، حتّى مرّ رسولُ الله ﷺ يسيرُ على ناقته القُصوى بين أبي بكر وأُسَيْد بن حُضَير، وهو يحدّثهما وقال له العبّاس: هذا رسولُ الله ﷺ في كَتيبته الخَضْراء، فانظر، قال: وكان في تلك الكتيبة وجوه المهاجرين و الأنصار وفيها الألوليّة والرّايات، وكلّهم مُنغمسون في الحديد، لا يُرَى منهم إلّا الحَدق، ولعمر بن الخطّاب فيها زَجَل[2] وعليه الحديد، وصوتُه عال وهو يزَعُها، فقال: يا أبا الفضل، من هذا المتكلّم؟ قال: هذا عمرُ بن الخطّاب؛ قال لقد أمِرَ أمر بني عَدِيّ بعدَ قلّة وذِلّة! فقال: إنّ الله يرفع من يشاء بما يشاء، وإنّ عمرَ ممّن رفعه الإسلام، وكان في الكتيبة ألفًا دارع، ورايةُ رسول الله ﷺ مع سعد بنِ عُبادة وهو أمام الكتيبة، فلمّا حاذاهما سعد نادَى: يا أبا سُفْيان:

اليومَ يومُ المَلْحَمهْ اليومَ تُسبَى الحُرُمَهْ

---

١ ـ حمّ، أى وقع.

٢ ـ زجل، أى صوّت.

اليومَ أذلّ الله قريشًا، فلمّا حاذاهما رسول الله ﷺ ناداه أبو سُفيان: يا رسولَ الله، أمَرت بقتل قومك؟ إنّ سعدًا قال:

اليومَ يوم الملحَمه اليومَ تُسبَى الحُرُمُهْ

اليومَ أذلّ الله قريشًا، وإنّي أَنشُدك اللهَ في قومِك فأنتَ أبرُّ النّاس، وأَرحَم النّاس، وأَوصَل النّاس.

فقال عثمان بنُ عفّان وعبدُ الرّحمن بنُ عوف: يا رسول الله، إنّا لا نأمنُ سعدًا أن يكون له في قريش صَوْلة فوقَفَ رسولُ الله ﷺ وناداه، يا أبا سُفيان، بل اليومَ يومُ المَرْحَمَة، اليومَ أعزّالله قريشًا، وأرسل إلى سعدٍ فعزَلَه عن اللّواء.

واختُلِف فيمن دَفَع إليه اللّواء فقيل: دَفَعَه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فذهب به حتّى دخل مكّة، فغرَزَه عند الرّكن ــ وهو قولُ ضِرار بن الخطّاب الفِهْريّ ــ وقيل: دَفَعه إلى قيس بن سَعْد بن عُبادة ورأَى رسولُ الله ﷺ أنّه لم يُخرِجه عن سعد حيث دَفَعه إلى ولدِه، فذهب به حتّى غرَزَه بالحَجون، قال: وقال أبو سفيان للعبّاس! ما رأيت مثل هذه الكتيبة قطّ، ولاأخبرنيه مخبر، سبحان الله! ما لأحد بهؤلاء طاقة ولا يدان! لقد أصبح ملك ابن أخيك يا عبّاس عظيمًا، قال: فقلت: وَيحك! إنّه ليس بمُلْك، وإنّها النّبوّة؛ قال: نعم. قال الواقديّ: قال العبّاس: فقلت له: انْج وَيْحَك، فأدرك قومَك قبل أن يدخل عليهم؛ فخرج أبو سُفْيانَ حتّى دخل من كَداءَ وهو يُنادِي: مَنْ دخَل دارَ أبي سُفيان فهو آمِن، ومن أَغلَق عليه بابَه فهو آمن، حتّى انتهى إلى هندٍ بنتِ عُتْبة فقالت: ما وراءك؟ قال: هذا محمّد في عَشْره آلافٍ، عليهم الحديد، وقد جَعَل لي أنّه من دَخَل داري فهو آمِن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمِن، ومَنْ أَلقَى سلاحَهُ فهو آمن، فقالت: قبّحك الله من رسول قوم! وجَعلتْ تقول: وَيْحَكم! اقتلوا وافدَكم قَبّحه الله مِنْ وافد قوم! فيقول أبو سُفيان: وَيْحكم! لا تغرّنّكم هذه من أنفسكم، فإنّي رأيتُ ما لم تَرَوْا: الرِّجالَ، والكُرَاعَ، والسّلاح، ليس لأحد بهذا طاقة، محمّد في عَشْرة آلاف، فأسلِمُوا تَسلموا.

وقال المبرّد في «الكامل»: أَمسكتْ هند برأس أبي سُفيان وقالت: بئس طليعةُ القوم! والله ما خدشت خدشًا، يا أهلَ مكّة، عليكم الحَميت الدَسم فاقتلوه. قال: الحَميت: الزّقّ المزفَّت.

قال الواقديّ: وخرج أهلُ مكّة إلى ذي طُوًى يَنظُرون إلى رسول الله ﷺ وانضَوَى إلى صَفْوان بن أميّة وعِكْرمة بن أبي جهل وسُهَيل بن عمرو ناسٌ من أهل مكّة ومن بني بكر وهُذَيل، فلَبِسُوا السَّلاحَ، وأقسموا لا يدخل محمّد مكّة عَنْوةً أبدًا؟

وكان رجلٌ من بني الدّؤل يقال له: حماس بنُ قيسِ بن خالد الدّؤليّ لمّا سَمِع برسول الله ﷺ جَلَس يُصلِح سلاحَه، فقالت له امرأته: لِمَ تُعِدّ السّلاح؟ قال: لمحمّد وأصحابه، وإنّي لأرجو أن أُخدِمَك منهم خادمًا، فإنّك إليه محتاجة، قالت: وَيحك لا تَفعَل! لا تُقاتل محمّدًا، والله ليضلّنّ هذا عنك لو رأيت محمّدًا وأصحابه، قال: ستَرَين، وأقبل رسولُ الله ﷺ وهو على ناقته القُصْوي معتجرًا[1] ببُرْد حِبَرة، وعليه عمامةٌ سوداء، ورايتُه سوداء، ولواؤه أَسْوَد، حتّى وقف بذي طُوًى، وتوسّط النّاسَ، وإن عُثْنونه ليمسّ واسطة الرّحل، أو يَقرُب منه تواضُعًا لله حيث رَأَى ما رَأَى من الفَتْح وكثْره المسلمين، وقال لا عيش إلّا عيشُ الآخرة.

وجعلت الخيلُ تعجّ بذى طُوًى في كلّ وَجْه، ثمّ ثابَتْ وسكَنَتْ، والتَفت رسولُ الله ﷺ إلى أُسَيْد بن حُضَير، فقال: كيف قال حسّان بن ثابت؟ قال: فأَنْشَده:

عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها ... تُثِير النَّقْع مَوعِدُها كَداءُ[2]

تَظَلّ جيادُنا متمطّراتٍ ... تلطّمهُنّ بالخُمُرِ النّساء[3]

---

١ ـ معتجرًا: لابسًا.

٢ ـ ديوانه: ٥؛ والنّقع: الغبار.

٣ ـ متمطرات: مسرعات. والخمر: جمع خمار.

فتبسّم رسولُ الله ﷺ وحَمِد الله، وأمرَ الزُّبير بنَ العوّام أن يدخُل من كَداءَ، وأمر خالدَ بنَ الوليد أن يدخُل من اللِّيط، وأَمَر قَيس بنَ سعد أن يَدخُل من كَدَاء، ودخل هو ﷺ من أَذاخر.

قال الواقديّ: وحدّثني مروان بنُ محمّد عن عيسى بن عميلة الفزاريّ، قال: دخل رسولُ الله ﷺ مكّة بين الأقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حِصْن.

قال الواقديّ: ورَوَى عيسى بنُ مُعَمّر، عن عَباد بنِ عبد الله، عن أسماءَ بنتِ أبي بكر، قالت: صعد أبو قُحافة بصغْري بناتِه وأسمها قريبة، وهو يومئذٍ أَعمى، وهي تَقودُه حتّى ظهرتْ به إلى أبي قُبيس، فلمّا أشرفَتْ به قال: يا بُنَيّة، ماذا تَرَيْن؟ قالت: أَرَى سوادًا مجتمعًا مقبلًا كثيرًا! قال: يا بُنَيّة، تلك الخيل فانظري، ماذا ترَيْن؟ قالت: أَرَى رجلًا يَسعى بين ذلك السّواد مُقْبلًا ومدبرًا، قال: ذاك الوازع، فانظري ما ذا تَرَيْن؟ قالت: قد تفرّق السَّواد، قال: قد تفرّق الجَيْش، البيتَ البَيْتَ، قالت: فنزلت الجارية به وهي تُرْعب لما ترى، فقال: يا بُنيّة، لا تخافي، فوالله إنْ أخاك عتيقًا لآثرُ أصحاب محمّد عند محمّد، قالت: وعليها طَوْق من فضّة، فاختَلَسَه بعضُ من دخل، فلمّا دخلُ رسول الله ﷺ مكّة جعل أبو بكر يُنادِي: أنشُدكم الله أيّها النّاس طَوْقَ أُختي! فلم يردّ أحد عليه، فقال: يا أَخَيّة احتسبي طَوْقَكِ فإنّ الأمانة في النّاس قليل.

قال الواقديّ: ونَهَى رسولُ الله ﷺ عن الحرب، وأَمَر بقتل ستّة رجال وأربع نسوة: عِكْرمة بن أبي جهل، وهبّار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، ومقيَس بن صُبابة اللَّيثي، والحُوَيْرث بن نفيل، وعبد الله بن هلال بن خَطَل الأدرميّ، وهند بنت عُتْبة وسارّة مولاةٌ لبني هاشم، وقَيْنَتَين لابن خَطَل: قريبًا وقريبة، ويقال: قرينًا وأرنب.

قال الواقديّ: ودخلت الجنودُ كلُّها، فلم تلقَ حَرْبًا إلّا خالد بن الوليد فإنّه وَجَد جَمْعًا من قريش وأحابيشها قد جمعوا له، فيهم صَفْوان بن أميّة، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، فمنعوه الدّخول، وشَهَروا السّلاح، ورمَوْه بالنّبل، وقالوا: لا

تدخلها عَنْوةً أبدًا، فصاح خالد في أصحابه، وقاتَلَهم، فقُتِل من قريش أربعةُ وعشرون، ومن هذيل أربعةٌ، وانهزموا أقبحَ انهزام حتّى قُتِلوا بالحزورة، وهم مُوَلّون من كلّ وجه، وانطلقتْ طائفةٌ منهم فوق رءوس الجبال، واتّبعهم المسلمون، وجعل أبو سُفيان بن حرب وحكيم بن حزام يناديان: يا معشرَ قريش، عَلام تقتُلون أنفسَكُم؟ من دخل دارَه فهو آمن، ومَنْ أغلَق عليه بابه فهو آمن، ومن وضع السّلاحَ فهو آمن، فجعل النّاسُ يقتحِمون الدّور ويُغلقون عليهم الأبواب، ويَطرَحون السّلاح في الطّرق حتّى يأخذه المسلمون.

قال الواقديّ: وأشْرَف رسولُ الله ﷺ من على ثَنِيّة أذاخر، فنظر إلى البارقَة فقال: ما هذه البارقة؟ ألم أنْهَ عن القتال؟ قيل: يا رسول الله، خالدُ بنُ الوليد قُوتِل، ولو لم يُقاتَل ما قاتَلَ، فقال: قضاء الله خير، وأقبل ابن خطل مدجّجًا في الحديد على فرس ذَنوب[1] بيَدِه قَناة يقول: لا والله لا يدْخُلها عَنْوة حتّى يرى ضَرْبًا كأفواه المزاد، فلمّا انتهى إلى الخَنْدَمة ورأى القتال دخَله رُعْب حتّى ما يَستمسِك من الرِّعدة، ومرّ هاربًا حتّى انتهى إلى الكعبة، فدخل بين أستارها بعد أن طرح سلاحَه وترك فرسَه، وأقبَل حماس بن خالد الدؤليّ منهزمًا حتّى أتى بيْتَه فدقّه، ففتحتْ له امرأتُه فدخل، وقد ذهبتْ رُوحُه، فقالت: أين الخادم الّتي وعدتَني؟ ما زلتُ مُنْتظرتُك منذُ اليوم، تَسخر به، فقال: دعي هذا وأغلِقي الباب، فإنّه من أغْلَق بابَه فهو آمن، قالت: وَيْحك! ألم أنهك عن قتال محمّد! وقلت لك: إنّي ما رأيتُه يقاتلُكم مرّة إلّا وظَهَر عليكم، وما بالُنا؟ قال: إنّه لا يفتح على أحدٍ بابه، ثمّ أنشَدها[2]:

إنّــك لــو شَــهِدْتنا بالخَنْدَمَــهْ إذ فَــرّ صَــفْوانُ وفَــرّ عِكْرِمَــهْ

---

١ ـ ذنوب: وافر الذّنب بالتّحريك.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٤: ٢٧.

وابــو يزيــد كــالعجوز المُؤتمــة وضَـرَبتناهم بالسُّيوف المُسلمة[1]

لهــم زئيــرٌ خلفنــا وغَمْغمــة لم تــنطق في اللّــوم أدنى كلمــة[2]

قال الواقديّ: وحدّثني قُدامة بن موسى، عن بشير مولى المازنيّين عن جابر بن عبد الله، قال: كنتُ ممّن لزم رسول الله ﷺ يومئذ، فدخلت معه يوم الفتح من أذاخر، فلمّا أشرف نظر إلى بيوت مكّة، فحمِد الله وأثنى عليه، ونظر إلى موضع قُبّة بالأبطح تُجَاه شعب بني هاشم حيث حُصر رسول الله ﷺ وأهله ثلاث سنين، وقال: يا جابر، إنّ منزلنا اليومَ حيث تقاسمتْ علينا قريش في كُفْرها، قال جابر: فذكرتُ كلامًا كنتُ أسمعه في المدينة قبل ذلك، كان يقول: منزلُنا غدًا إن شاء الله إذا فَتَح علينا مكّة في الخَيْف حيث تقاسموا على الكُفْر.

قال الواقديّ: وكانت قبّته يومئذ بالأَدَم ضُرِبت له بالحَجون، فأَقبل حتّى انتهى إليها ومعه أمّ سَلَمة وميمونة قال الواقديّ: وحدّثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي رافع، قال: قيل للنّبيّ ﷺ ألا تنزل مَنزِلك من الشُّعب؟ قال: وهل ترك لنا عَقِيل من منزل! وكان عقيل قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنازل إخوته من الرِّجال والنِّسَاء بمكّة، فقيل لرسول الله ﷺ: فانزل في بعض بيوت مكّة من غير منازلك. فأبى وقال: لا أدخُل البيوت؛ فلم يزل مضطربًا بالحجون لم يدخل بيتًا، وكان يأتي إلى المسجد من الحَجون، قال: وكذلك فعل في عُمرة القضيّة وفي حجّته.

قال الواقديّ: وكانت أمّ هانىء بنتُ أبي طالب تحت هُبيرة بن أبي وَهْب المخزوميّ

---

١ ـ المؤتمة: الّتي قتل زوجها فبقي لها أولاد أيتام، والمسلمة، أراد المسلمين، وبعده في ابن هشام:

يَقْطَعْنَ كلّ ساعدٍ وجُمْجُمَهْ ضَرْبًا فلَا يسمع إلّا غمغمهْ

٢ ـ ابن هشام: «لهم نهيت».

فلمّا كان يوم الفتح دخل عليها حَمَوان لها: عبدُ الله بنُ أبي ربيعة والحارث بن هشام المخزوميّان، فاستجارا بها، وقالا: نحن في جِوارك، فقالت: نعم، أنتما في جواري. قالت أمّ هانىء: فهما عندي إذ دخل عليَّ فارسٌ مدجّج في الحديد ولاأعرفه، فقلت له: أنا بنت عمّ رسول الله، فأسفرعن وجهه، فإذا عليٌّ أخي فاعتنقته، ونظرإليهما فشهر السّيف عليهما، فقلتُ: أخي من بين النّاس تصنع بي هذا؟ فألقيتُ عليهما ثوبًا، فقال: أتُجيرين المشركين؟ فحُلت دونهما، وقلت: لا والله وابتدىء بي قبلهما، قالت: فخرج ولم يكذ، فأغلقتُ عليهما بيتًا، وقلت: لا تخافَا، و ذهبتُ إلى خِباء رسول الله ﷺ بالبطحاء فلم أجده، ووجدتُ فيه فاطمة فقلت لها: ما لقيتُ من ابن أمّي عليّ! أجرتُ حَمَوَين لي من المشركين، فَتفلّتَ عليهما ليقتلهما، قالت: وكانت أشدَّ عليَّ من زوجها، وقالت: لِمَ تُجيرين المشركين! وَطلع رسول الله ﷺ وعليه الغُبار فقال: مرحبًا بفاخِتة ـ وهو اسمُ أمّ هانىء ـ فقلتُ: ماذا لقيت من ابن أمّي عليّ ما كدتُ أفلت منه! أجرتُ حَمَوَين لي من المشركين، فتفلّت عليهما ليقتلهما، فقال: ما كان ذلك له، قد أَجَزنا من أجرتِ وأَمَّنّا من أَمَّنتِ،ثمّ أمر فاطمةَ فَسَكَبت له غُسلًا فاغتسَل،ثمّ صلّى ثماني رَكعات في ثوب واحد ملتحفًا به وقت الضُّحى، قالت: فرجعتُ إليهما وأخبرتُهما، وقلت: إن شئتما فأقيما، وإن شئتما فارجعا إلى منازلكما، فأقاما عندي في منزلي يومين،ثمّ انصرفا إلى منازلهما.

وأتى آتٍ إلى النّبيّ ﷺ فقال: إنّ الحارث بن هشام وعبد الله ابن أبي ربيعة جالسان في ناديهما متفضّلان في المُلاء المُزعفر، فقال:لا سبيل إليهما، قد أجرناهما.

قال الواقديّ: ومكث رسول الله ﷺ في قبّته ساعةً من النّهار، ثمّ دعا براحلته بعد أن اغتسل وصلّى، فأدنِيت إلى باب القبّة، وخرج وعليه السّلاح والمِغفر على رأسه، وقد صفّ له النّاس، فركبها والخيلُ تمَعَّج[1] ما بين الخندمه إلى الحَجون، ثمّ مرَّوأبو بكر

---

١ ـ تمعّج: تسرّع.

إلى جانبه على راحلةٍ أخرى يسيرويُحادِثه، وإذا بناتُ أبي أُحَيحة سعيد بن العاص بالبطحاء حذاء منزل أبي أحيحة، وقد نَشَرن شعورهنّ، فلطمن وجوه الخيل بالخمرُ، فنظر رسول الله ﷺ إلى أبي بكر، فتبسَّم وأنشده قولَ حسّان:

تظَلّ جيادُنا متمطِّراتٍ يلطِّمهن بالخُمُرِ النّساءُ

فلما انتهى إلى الكعبة تقدّم على راحلته، فاستلم الرّكن بِمِحْجنه، وكبّر فكبّر المسلمون لتكبيره، وعجّوا بالتّكبير حتّى ارتجّت مكّة، وجعل رسول الله ﷺ يشير إليهم أن اسكتوا، والمشركون فوق الجبال ينظرون، ثمّ طاف بالبيت على راحلته، ومحمّد بن مسلمة آخِذٌ بزمامها، وحول الكعبة ثلثمائة وستّون صنما مرصوصة بالرَّصاص، وكان هُبَلُ أعظَمَها، وهو تجاه الكعبة على بابها، وإساف ونائلة حيث ينْحَرون ويذبّحون الذبائح، فجعل كلّما يمرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]، فيقع الصَّنم لوجهه، ثمّ أمرَ بهُبَل فكسر وهو واقف عليه، فقال الزُّبير لأبي سفيان: يا أبا سُفيان، قد كُسِر هُبَل، أمّا إنّك قد كنت منه يوم أحُد في غرور حين تزعم أنّه قد أنعم، فقال: دع هذا عنك يا بن العوّام فقد أرى أن لو كان مع إله محمّد غيره لكان غير ما كان.

قال الواقديّ: ثمّ انصرف رسولُ الله ﷺ فجلس ناحيةً من المسجد وأرسل بلالًا إلى عثمان بن طلحة يأتيه بالمِفتاح مفتاح الكعبة، فقال عثمان: نعم، فخرج إلى أمّه وهي بنت شَيبة، فقال لها والمفتاح عندها يومئذ: إنّ رسول الله ﷺ قد طلب المفتاح، فقالت: أعيذُك بالله أن يكون الّذي يذهب مأثره قومه على يده! فقال: فو الله لتأتينّي به أو ليأتينّك غيري فيأخذه منك، فأدخلته في حُجْرتها، وقالت: أيّ رجل يدخِل يده هاهنا! فبينما هما على ذلك وهو يكلّمها إذ سمعت صوت أبي بكر وعمر في الدّار، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان أبطأ: يا عثمان اخرج، فقالت أمّه: خذ المفتاحَ، فلأنْ

---

١ ـ الإسراء/٨١.

تأخذَه أنت أحبُّ إليّ من أن يأخذه تيم وعديّ، فأخذه فأتى به رسول الله ﷺ، فلمّا تناوَله بَسَط العبّاس بنُ عبد المطّلب يدَه وقال: يا رسول الله، بأبي أنت! اجمع لنا بين السِّقاية والحجابة، فقال: إنّما أُعطيكم ما ترضَوْن فيه، ولاأعطيكم ماترزَءون منه، قالوا: وكان عثمانُ بن طلحة قد قَدِم على رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص مسلمًا قبل الفَتح.

قال الواقديّ: وبعَثَ رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب ومعه عثمان بن طلحة، وأمره أن يفتح البيت فلا يَدَع فيه صورةً ولاتمثالًا إلّا صورة إبراهيم الخليل عليه السلام، فلمّا دخل الكعبة رأى صورة إبراهيم شيخًا كبيرًا يستقسم بالأزلام[1].

قال الواقديّ: وقد روى أنّه أمره بمحوِ الصُّور كلِّها لم يستثن، فترك عمر صورة إبراهيم، فقال لعمر: ألم آمُرْك ألّا تدَع فيها صورةً! فقال عمر: كانت صورة إبراهيم، قال فامحُها، وقال: قاتلهم الله، جعلوه شيخًا يستقسم بالأزلام!

قال: ومحا صورة مريم. قال وقد رُوِي أنّ رسول الله ﷺ محا الصُّور بيده، رَوَى ذلك ابن أبي ذئب، عن عبد الرَّحمن بن مِهران، عن عُمَير مولى ابن عبّاس، عن أسامة بن زيد، قال: دخلتُ مع رسول الله ﷺ الكعبة، فرأى فيها صورًا، فأمرني أن آتيَه في الدَّلو بماء، فجعل يبُلُّ به الثّوب ويضرب به الصّور ويقول: «قاتل الله قومًا يصوِّرون مالا يخلقون!»

قال الواقديّ: وأمَرَ رسول الله ﷺ بالكعبة فأُغلقت عليه، ومعه فيها أُسامةُ بن زيد، وبلال بنُ رَباح، وعثمانُ بنُ طلحة، فمكث فيها ما شاء الله، وخالد بنُ الوليد واقفٌ على الباب يَذُبّ النّاس عنه، حتّى خرج رسولُ الله ﷺ، فوَقَف وأخَذَ بعِضادَتَي[2] الباب، وأَشرَف على النّاس وفي يده المفتاح، ثمّ جعله في كمّه، وأهلُ مكّة قيامٌ تحتَه،

---

١ ـ الأزلام: القداح.

٢ ـ عضادتا الباب: جانباه.

وبعضُهم جلوس قد ليطَ بهم؛ فقال: الحمد لله الّذي صدَقَ وعدَه، ونصَرَ عَبدَه، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه، ماذا تقولون؟ وما ذا تَظنّون؟ قالوا: نقول خيرًا، ونظنّ شرًّا! أخٌ كريم، وابنُ أخ كريم، وقد قدرتَ، فقال: إنّي أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُاللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[1] ألا إنّ كلّ ربًا في الجاهليّة أو دَم أو مأثُرةٍ فهو تحتَ قَدَميّ هاتَيْن إلّا سِدانة الكَعْبة وسقاية الحاجّ. ألا وفي قَتيلِ شِبْه العَمْد، قتيل العصا والسّوط الدّية مغلّظة مائة ناقة، منها أربعون في بطونها أولادُها. إنّ الله قد أَذهبَ نخوَةَ الجاهليّة وتكبّرها بآبائها، كلّكم لآ دَم، وآدمُ من تُراب. وأَكرَمُكم عند الله أتقاكُم. ألا إنّ الله حَرّم مكّة يومَ خَلَق السّموات والأرض، فهي حرام بحَرامِ الله، لم تَحِلّ لأحد كان قبلُ، ولا تحلّ لأحد يأتي بَعدِي، وما أحِلّت لي إلّا ساعه من النّهار ـ قال: يقصدها رسولُ الله ﷺ بيَدِه هكذا ـ لا ينفّر صَيدُها، ولايُعضَد عِضاهُها، ولا تحلّ لقطتُها إلّا لمنشِد، ولايُختلَى خلاها.

فقال العبّاس: إلّا الإذْخِر يا رسول الله، فإنّه لابدّ منه للقبور والبيوت، فسَكَت رسولُ الله ﷺ ساعةً ثمّ قال: إلّا الإذخر، فإنّه حلال، ولا وصيّة لوارِث، والوَلَد للفِراش، وللعاهِر الحَجَر، ولايحلّ لامرأةٍ أن تعطيَ مِنْ مالِها إلّا بإذنِ زَوْجها، والمسلمُ أخو المسلِم، والمسلمون إخوة، يدٌ واحدةٌ على مَنْ سِواهم، تتكافأُ دِماؤهم، يَسعَى بذِمَّتِهم أدناهم، ويردّ عليهم أقصاهم، ولايُقتَل مسلم بكافر، ولاذو عَهْد في عَهْده، ولايَتوارَث أهلُ ملّتين مختلفتين، ولاتُنكَح المرأةُ على عمّتها ولاعلى خالتها، والبيّنة على من ادّعي، واليمين على من أَنكَر، ولاتسافر امرأةٌ مسيرة ثلاث إلّا مع ذي مَحرَم ولاصلاةَ بعد العصر، ولابعدَ الصُّبح، وأنهاكم عن صيام يومين: يومِ الأضحَى ويومِ الفِطْر.

ثمّ قال: ادعُوا لي عثمانَ بنَ طلحة، فجاء وقد كان رسولُ الله ﷺ قال له يومًا بمكّة

---

١ ـ يوسف/٩٢.

قبل الهجرة ومع عثمانَ المِفتاح: لعلّك سَتَرى المفتاحَ بيَدي يومًا أضعُه حيث شئت؛ فقال عثمان: لقد هلَكتْ قريش إذًا وذَلّت! فقال عليه السلام: بل عمرتْ وعَزّت، قال عثمان: فلمّا دعاني يومئذ والمِفتاح بيَدِه ذكرتُ قولَه حين قال؛ فاستقبلتُه ببِشْر، فاستقبَلَني بِمِثْله، ثمّ قال: خذوها يا بنى أبي طلحة خالدة تالدة، لا يَنزِعها منكم إلّا ظالم، يا عثمان، إنّ الله استَأمَنَكم على بيته، فكُلوا بالمعروف قال عثمان: فلمّا ولّيت ناداني فرجعتُ، فقال: ألم يكن الّذي قلتُ لك! يعنى ما كان قالَه بمكّة من قبلُ، فقلتُ: بلى أَشهَد أنّك رسولُ الله صلى الله عليه وآله.

قال الواقديّ: وأمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله يومئذ برَفْع السلاح، وقال: إلّا خُزاعة عن بني بكر إلى صلاة العصر. فخبطوهم بالسَّيف ساعةً، وهى السَّاعةُ الّتي أُحِلّت لرسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الواقديّ: وقد كان نوفل بن معاوية الدؤليّ من بني بكر استأمن رسول الله صلى الله عليه وآله على نفسه، فأمّنه، وكانت خُزاعة تطلُبه بدماء من قتلتْ بكر وقريش منها بالوتير، وقد كانت خُزاعةُ قالت أيضًا لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أنسَ بن زُنَيْم هجاك، فهدَرَ رسول الله صلى الله عليه وآله دَمَه، فلمّا فتح مكّة هرب والْتحق بالجبال، وقد كان قَبَل أن يفتح رسولُ الله صلى الله عليه وآله مكّة قال شعرا يَعتذِر فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، من جُملِته:

أنتَ الّذي تُهدَى معَدٌّ بأمره ... بكَ الله يَهدِيها وقال لها ارشُدِي

فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ كورِها ... أبرّ وأوفى ذِمّة من محمّدِ

أحَثَّ على خيرٍ وأوسَعَ نائلًا ... إذا راحَ يهتزّ اهتزازَ المهنّدِ

وأكسَى لبُرد الخالِ قبل ارتدائِه ... وأعطى لرأس السابق المتجرّدِ

تَعلّم رسول الله أنّكِ مُدرِكي ... وأنّ وَعيدًا منكَ كالأخْذ باليَدِ

تعلّـم رسـول الله أنّـك قـادرٌ على كلّ حيّ من تهام ومُنجدِ
ونُـبيّ رسـولُ الله أنّي هجوتُـه فلا رفعتْ سَوْطي إلَيَّ إذَنْ يدي
سوَى أنّني قد قلتُ يا وَيْح فتيةٍ أصيبوا بنَحْس يومَ طلق وأسعُدِ!
أصـابهمُ مـن لم يكـن لـدمائهمْ كِفـاءً فعـزّت عَبْـرتي وتلـدُّدِي
ذُؤَيبـا وكُلْثومـا وسـلمى تَتـابَعوا جميعًـا فـإلّا تـدمَع العـينُ أكْمَـدِ
على أنّ سلميَ ليس منهمْ كمثلِه وإخوتِـه وهـلْ مُلـوكٌ كاعُبـدِ!
فـإنّي لا عرْضًـا خَرَقـتُ ولادمًـا هَرَقتُ ففكّر عـالم الحـقّ واقْصِـدِ

قال الواقديّ: وكانت كلمته هذه قد بلغتْ رسول الله ﷺ قبل أن يفتَح مكّة، فنَهْنَهتْ عنه، وكلّمه يوم الفتح نَوفلُ بنُ معاوية الدّؤليّ، فقال: يا رسول الله أنت أَولَى النّاس بالعَفْو، ومَنْ منّا لم يعادِك ولم يُؤذك، ونحنُ في جاهليّة لا ندري ما نأخذ وما نَدَع، حتّى هدانا الله بك، وأنقَذنا بيُمْنِك من الهَلَكة، وقد كَذَب عليه الرَّكْب، وكثّروا في أمره عندَك، فقال رسولُ الله ﷺ: دَع الرّكبَ عنك، إنّا لم نجد بتهامة أحدًا من ذَوِي رَحِم ولا بعيد الرّحم كان أبرَّ بنا من خُزاعة، فاسكُت يا نوفل، فلمّا سكت قال رسولُ الله ﷺ: قد عفوتُ عنه فقال نوفل: فداك أبي وأمّي.

قال الواقديّ: وجاءت الظُّهر، فأمَرَ رسولُ الله ﷺ بلالًا أن يؤذّن فوقَ ظَهْر الكعبة وقريش في رءوس الجبال، ومنهم من قد تَغيّب وسَتَر وجهه خوفًا من أن يُقتلوا ومنهم من يَطلب الأمان، ومنهم من قد أُمِّن، فلمّا أذّن بلال وبلغ إلى قوله: «أَشْهد أنّ محمّدًا رسولُ الله»، ﷺ رَفَع صوتَه كأشدّ ما يكون؛ قال: تقول جُوَيْريه بنت أبي جَهْل: قد لَعَمْري رُفِع لك ذِكْرُك فأمّا الصّلاة فسنصلّي، ولكنْ والله لا نحبّ مَنْ قَتَل الأحبّة أبدًا، ولقد كان جاء أبي الّذي جاء محمّدًا من النُّبوّة، فردّها ولم يُرِدْ خلاف قومه.

وقال خالدُ بن سعيدِ بنِ العاص: الحمد لله الّذي أكرم أبي فلم يُدرِك هذا اليوم؛ وقال الحارث بنُ هشام: واثُكْلاه! ليتَني مِتّ قبلَ هذا اليوم قبل أن أَسمع بلالًا ينهق فوقَ الكعبة! وقال الحكم بنُ أبي العاص: هذا والله الحَدَث العظيم، أن يَصيحَ عبدُ بني جُمَح، يَصِيحُ بما يَصيحُ به على بيت أبي طلحة؛ وقال سُهَيل بنُ عمرو، إن كان هذا سُخْطًا من الله تعالى فسيغيّره، وإن كان لله رضًا فسيقرّه، وقال أبو سُفْيان: أمّا أنا فلا أقول شيئًا، لو قلتُ شيئًا لأخبرتْه هذه الحصباء، قال: فأتى جبرائيلُ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبَرَه مقالة القوم.

قال الواقديّ: فكان سهيلُ بن عمرو يحدّث فيقول: لمّا دخل محمّد مكّة انقَمعتُفدخلتُ بيتي وأَغلقتُه عليّ، وقلتُ لابني عبدِ الله بنِ سُهَيل: اذهبْ فاطلب لي جوارًا من محمّد، فإنّي لا آمن أن أُقتَل، وجعلتُ أتذكّر أثَري عنده وعند أصحابه فلا أَرَى أسوأ أثرًا منّي، فإنّي لقيتُه يوم الحُدَيبية بما لم يَلقه أحدٌ به، وكنتُ الّذي كاتَبه، مع حضوري بَدْرًا وأُحُدًا، وكلّما تحرّكتْ قريش كنتُ فيها، فذهب عبدُ الله بنُ سُهَيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله،أبي تؤمّنه؟ قال: نعم، هو آمن بأمان الله، فلْيَظهر،ثمّ التفت إلى من حَوْله فقال: من لقي سُهَيل بن عمرو فلا يُشدَّنّ النّظر إليه.ثمّ قال: قل له: فلْيَخرج، فلَعمري إنّ سهيلًا له عقلٌ وشَرَف، وما مثلُ سُهَيل جَهل الإسلام، ولقد رأَى ما كان يُوضَع فيه إن لم يكن له تتابع، فخرج عبدُ اللهِ إلى أبيه فأخبَرَه بمقالةِ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال سهيل: كان واللهِ بَرًّا صغيرًا وكبيرًا، وكان سُهَيل يُقبِل ويُدبِر غيرَ خائف، وخرج إلى خَيْبَر مع النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو على شِرْكه حتّى أَسلَم بالجِعْرانة.

(١٧: ٢٥٦ ـ ٢٨٤)

[ذكر بقيّة الخبر عن فتح مكّة]

قال الواقديّ: وهرب هبيرةُ بن أبي وَهْب وعبدُ الله بن الزِّبعرِي جميعًا حتّى انتهيا إلى نَجْران فلم يأمنَا الخوف حتّى دخلا حِصْن نَجْران، فقيل: ما شأنكما؟قالا: أمّا

قريش فقد قتِلت ودخل محمّد مكّة، ونحن والله نرى أنّ محمّدًا سائر إلى حصنكم هذا، فجعلت بلْحارث بن كعب يصلحون ما ربّ من حصنهم، وجمعوا ماشيتَهم، فأرسل حسّان بن ثابت إلى ابن الزّبعريّ:

لا تعدمَنْ رجلًا أحَلّك بُغْضُهُ نجرانَ في عيشٍ أجَدَّ ذميمِ[1]

بليَتْ قناتُك في الحرُوب فألفيتْ جوفاءَ ذات معايبٍ و وُصومِ[2]

غضب الإله على الزّبَعْري وابنهِ بعذابِ سوءٍ في الحياةِ مقيمِ

فلمّا جاء ابنَ الزّبَعْري شعرُ حسّان تهيّأ للخروج، فقال هبيرة بن وهب: أين تريد يا بن عمّ؟ قال له: أريد والله محمّدًا، قال: أتريد أن تتبعه؟ قال أي واللهِ، قال هُبيرة: يا ليت أنّي كنتُ رافقتُ غيرَك، والله ما ظننتُ أنّك تتْبع محمّدًا أبدًا، قال ابن الزّبَعْرَى: هو ذاك، فعَلى أيّ شيء أقيمُ مع بني الحارث بنِ كعب وأترُك ابنَ عمّي وخيرَ النّاس وأبرَّهم، وبين قومي وداري! فانحدر ابنُ الزّبعرى حتّى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه، فلمّا نظر إليه قال: هذا ابنُ الزّبَعَرى ومعه وجهٌ فيه نورُ الإسلام، فلمّا وقف على رسول الله ﷺ قال: السّلام عليك يا رسول الله، شهدتُ أن لا إله إلّا الله، وأنّك عبدُه ورسوله، والحمد لله الّذي هَداني للإسلام، لقد عاديتُك وأجلَبْتُ عليك، وركِبتُ الفرس والبعيرَ، ومَشَيتُ على قدمي في عَداوتِك، ثمّ هربتُ منك إلى نجران، وأنا أريدُ ألّا أقرب الإسلام أبدًا، ثمّ أرادني اللهُ منه بخير، فألقاه في قلبي، وحبّبه إليّ، وذكرت ما كنتُ فيه من الضّلال و اتّباع ما لا ينفع ذا عقل؛ من حَجَر يُعبَد، ويُذبَح له لا يدري مَن عَبَده ومَن لا يَعبُده، فقال رسولُ الله ﷺ: الحمدُ لله الّذي هداك للإسلام، احمَدِ الله، إنّ الإسلام يَجُبّ ما كان قَبلَه. وأقامَ هُبيرة بنَجْرانَ، وأسلمتْ أمُّ

---

١ ـ ديوانه: ٣٦٠

٢ ـ الوصوم: العيوب؛ جمع وصم، و رواية الدّيوان: «خمانة جوفاء ذات وصوم».

هانيء، فقال هُبيرة حين بلغه إسلامها يومَ الفتح يؤنّبها شِعرا من جُملته[١]:

وإن كنتِ قد تابعتِ دينَ محمّدٍ وقطعتِ الأرحامَ منكِ حِبَالُها[٢]

فكوني على أعلى سَحُوقٍ بهَضْبةٍ[٣] مُلَمْلِمةٍ حمراءَ يَبْبس بلالُها[٤]

فأقام بنَجرانَ حتّى مات مُشركًا.

قال الواقديّ: وهرب حُوَيْطِب بنُ عبد العُزّى فدخل حائطًا[٥] بمكّة، وجاء أبو ذَرّ لحاجته، فدخل الحائط فرآه، فهرب حُوَيطب، فقال أبو ذَرّ: تعالَ فأنتَ آمِن، فرجع إليه فقال: أنت آمن، فاذهب حيثُ شئتَ، وإن شئتَ أدخلتُك على رسول الله ﷺ، وإن شئتَ فإلى منزلك. قال: وهل من سبيل إلى منزلي ألْقَى فأقتَل قبل أن أصِلَ إلى منزلي، أو يدخل عليّ منزلي فأقتَل! قال: فأنا أبلُغ معك منزلَك، فبلغ معه منزلَه، ثمّ جعل يُنادي عَلَى بابه: إنّ حُوَيْطبا آمِن فلا يهيَّج. ثمّ انصَرَف إلى رسول الله ﷺ فأخبرَه فقال: أوَ ليس قد أمّنّا النّاس كلَّهم إلّا من أمَرْتَ بقتلِه!

قال الواقديّ: وهربَ عكرمةُ بن أبي جهل إلى اليمن حتّى ركب البحْر، قال: وجاءت زوجته أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام إلى رسول الله ﷺ في نِسوةٍ منهنّ

---

١ ـ من قصيدة له في ابن هشام ٤: ٤٢؛ و أوّلها:

أشَاقَتْكَ هِنْدٌ أَمْ أَتَاكَ سُؤالُهَا كذاكَ النَّوَى أسبَابُهَا وَانفتَالُهَا

٢ ـ ابن هشام: «وعصفت الأرحام منك حبالها».

٣ ـ كذا في ا، وفي ب «سخوف»؛ وفي د: «سجوف». وفي ابن هشام: «سحيق».

٤ ـ الململمة: المستديرة، والغبراء: الّتي علاها الغبار. واليبس: المكان اليابس.

٥ ـ الحائط هنا: البستان.

هند بنتُ عُتبة ـ وقد كان رسول الله ﷺ أمر بقتلِها ـ والبَغُوم[1] بنت المعدّل الكِنانيّة امرأة صفوان ابن أميّة، وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة امرأة الحارث بن هشام، وهند بنت عتبة بن الحجّاج أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص، ورسول الله ﷺ بالأبطح فأسلَمن، ولمّا دخلنَ عليه دخَلْنَ وعنده زَوْجتاه وابنته فاطمة ونساءٌ من نساء بني عبد المطّلب وسألنَ أن يُبايعهنّ، فقال: إنّي لا أُصافح النّساء ـ ويقال: إنّه وَضع على يده ثوبًا فمسَحن عليه، ويقال: كان يؤتَى بقَدَح من ماء فيدخِل يدَه فيه ثمّ يرفَعُه إليهنّ، فيُدْخلن أيديهنّ فيه ـ فقالت أمّ حكيم امرأةُ عِكْرمة: يا رسول الله، إنّ عِكْرمة هرَبَ منك إلى اليمن، خاف أن تَقتُله، فأمِّنه، فقال: هو آمن. فخرجتْ أمّ حكيم في طلبه، ومعها غلامٌ لها رُوميّ، فراوَدَها عن نفسها، فجعلتْ تمنّيه حتّى قِدمتْ به على حيّ، فاستغاثتْ بهم عليه، فأوثَقُوه رباطًا، وأدرَكَت عِكْرمة وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تِهامة، فركب البحر، فهاج بهم، فجعل نُؤتيُ السَّفينة يقول له: أن أخلص، قال: أيّ شيء أقول؟ قال: قل لا إله إلّا الله، قال عكرمة: ما هَرَبتُ إلّا من هذا، فجاءت أمّ حكيم على هذا من الأمر، فجعلتْ تُلِحّ عليه وتقول: يا بن عمّ، جئتُك مِن عند خير النّاس، وأوصَل النّاس، وأبرّ النّاس، لا تُهلِك نفسك، فوقف لها حتّى أدرَكته، فقالت: إنّي قد استأمَنتُ لك رسول الله ﷺ فأمّنك، قال: أنتِ فعلتِ؟ قالت: نعم أنا كلّمتُه، فأمّنك، فرجع معها، فقالتْ: ما لقيت من غلامِك الرّوميّ! وأخبرتْه خَبَره، فقتَله عكرمةُ، فلمّا دنا من مكّة قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه: يأتيكم عِكرمة بنُ أبي جهل مؤمنًا، فلا تَسُبّوا أباه، فإنّ سبّ الميّت يُؤذي الحيّ، ولا يبلُغ الميّت.

فلمّا وصل عِكرمة ودَخل على رسول الله ﷺ وثب إليه ﷺ وليس عليه رداء فرحًا به، ثمّ جلس فوقف عِكرمة بين يديه ومعه زوجته منقّبة، فقال: يا محمّد، إن هذه أخبرتْني أنّك أمّنتني، فقال: صدقت، أنت آمِن، فقال عكرمة: فإلامَ تَدْعو؟ فقال: إلى

---

١ ـ ا، ب: «البعوم». د: «النّعوم»، تحريف، والصّواب ما أثبته، وانظر: القاموس.

أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّي رسولُ الله، وأن تُقيم الصَلاة، وتُؤتي الزَكاة ... و عدَ خصال الإسلام، فقال عِكْرمة: ما دعوتَ إلّا إلى حقّ، وإلى حَسن جميل، ولقد كنتَ فينا مِن قبل أنْ تدعوَ إلى ما دعوتَ إليه، وأنت أصدقُنا حديثًا، وأعظمُنَا برًّا.

ثمّ قال: فإنّي أشهد أن لا إله إلّا الله، و أنّك رسولُ الله، فقال رسول الله ﷺ: لا تسألني اليوم شيئًا أعطيه أحدًا إلّا أعطيتُكه؟ قال: فإنّي أسألك أن تغفرلي كلّ عداوة عَادَيْتُكَها أو مَسير أوضَعْتُ فيه، أو مُقامٍ لقيتُك فيه، أو كلام قُلتُه في وجهك، أو أنت غائبٌ عنه. فقال: اللّهمّ اغفرله كلّ عداوة عادانيها، وكلّ مَسيرسار فيه إليّ يريد بذلك إطفاء نُورك، واغفرله ما نالَ منّي ومن عِرْضي، في وَجهي أو أنا غائبٌ عنه. فقال عِكْرمة: رضيتُ بذلك يا رسول الله،ثمّ قال: أمّا والله لا أدَع نفقةً كنت أنفِقُها في صدٍّ عن سبيل الله إلّا أنفقتُ ضعفها في سبيل الإسلام وفى سبيل الله، ولأجتهدنّ في القتال بين يديك حتّى أُقتلَ شهيدًا، قال: فردّ عليه رسول الله ﷺ امرأته بذلك النّكاح الأوّل.

قال الواقديّ: وأمّا صَفْوان بن أميّة فهرب حتّى أتى الشّعبة، وجعل يقول لغلامه يسار ـ وليس معه غيرُه: وَيْحك! انظرمن تَرَى! فقال: هذا عُمَيْربن وهب، قال صفوان: ما أصنع بعُمير؟ والله ما جاء إلّا يريد قَتْلي، قد ظاهَرَ محمّدًا عليَّ، فلحِقه، فقال صفوان: يا عُمَير، مالك؟ ما كفاك ما صنعتَ، حمّلتني دَيْنَك وعيالك،ثمّ جئت تريد قَتْلي! فقال: يا أبا وهب، جُعِلت فِداك! جئتُك من عند خيرالنّاس، وأَبَرّالنّاس وأَوصل النّاس، وقد كان عميرٌ قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، سيّد قومي صفوان ابن أميّة خرج هاربًا ليقذف نفسه في البحر؛ خاف ألّا تؤمّنه، فأمّنه فداك أبي وأمّي! فقال: قد أمّنتُه، فخرج في أثره، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قد أمّنك، قال صَفوان: لا والله حتّى تأتِيَني بعلامةٍ أعرفُها، فرَجَع إلى رسول الله ﷺ فأخبره وقال: يا رسول الله، جئته وهو يريدُ أنْ يَقْتل نفسه فقال: لا أرجع إلّا بعلامة أعرِفها، فقال: خذ عمامتي، فرجع عميرإليه بعمامة رسول الله ﷺ ـ وهي البرْدُ الّذي دخل فيه رسول الله ﷺ

مكّة معتجرًا به، برد حِبَرة أحمر ـ فخرج عمير في طلبه الثّانية [1] حتّى جاءه بالبُرْد فقال: يا أبا وَهب، جئتك مِن عند خير النّاس وأوصل النّاس وأبرّ النّاس وأحلم النّاس، مَجدُه مَجدُك، وعِزّه عِزّك، ومُلكُه مُلكك، ابنُ أبيك وأمّك، أذكّرك الله في نفسك، فقال: أخافُ أن أقتَل، قال: فإنّه دَعاك إلى الإسلام فإن رضيتَ وإلّا سيّرك شهرين، فهو أوفى النّاس وأبرّهُم، وقد بعث إليك ببردِه الّذي دَخَل به معتجرًا، أتعرِفه؟ قال: نعم، فأخرجه، فقال: نعم هو هو، فرجع صفوانُ حتّى انتهى إلى رسول الله ﷺ فوجَده يصلّي العصر بالنّاس، فقال: كم يصلّون؟ قالوا: خمس صلوات في اليوم واللّيلة، قال: أمحمّدٌ يصلّي بهم؟ قالوا: نعم فلمّا سلّم من صلاته صاح صَفوان: يا محمّد، إنّ عميرَ بن وهب جاءني ببُرْدك، وزَعَم أنّك دعوتني إلى القدوم إليك، فإن رضيت أمرًا، وإلّا سيرتني شهرين. فقال رسول الله ﷺ: أنزل أبا وهب فقال: لا والله أو تبيّن لي، قال: بل سِرْ أربعة أشهر. فنزل صفوانُ وخرج معه إلى حُنَين وهو كافر، وأرسل إليه يستعير أدْراعه ـ وكانت مائة دِرْع ـ فقال: أطوْعا أم كَرْهًا ؟ فقال عليه السلام بل طَوْعًا عاريةً مؤدّاة، فأعاره إيّاها، ثمّ أعادها إليه بعد انقضاء حُنين والطّائف، فلمّا كان رسول الله ﷺ بالجِعْرانة يسير في غنائم هوازن ينظر إليها، فنظر صفوان إلى شِعب هناك مملوء نَعَما وشاءً ورعاءً، فأدام النّظر إليه ورسول الله ﷺ يَرْمُقه، فقال: أبا وهب: يعجبك هذا الشِّعب! قال: نعم، قال: هو لك وما فيه. فقال صفوان: ما طابت نفسُ أحدٍ بمثل هذا إلّا نفس نبيّ، أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله.

قال الواقديّ: فأمّا عبدُ الله بن سَعْد بن أبي سَرْح فكان قد أسلم، وكان يَكتُب لرسول الله ﷺ الوحى، فربّما أملي عليه رسولُ الله ﷺ «سميعٌ عليم» فيكتب «عزيزٌحكيم» ونحو ذلك، ويقرأُ على رسول الله ﷺ فيقول: كذلك الله، ويقرأ، فافتتن، وقال: والله ما يَدْرِي ما يقول! إنّي لأكتب له ما شئتُ فلا يُنكر، وإنّه ليوحَى إلىّ كما

---

١ ـ ا، ب: «ثابته»؛ وأثبت ما في د.

يوحَى إلى محمّد، وخرج هاربًا من المدينة إلى مكّة مرتدًّا، فأهْدَر رسولُ الله دمَه، وأمر بقَتْله يوم الفتح، فلمّا كان يومئذ جاء إلى عثمان ـ وكان أخاه من الرَّضاعة ـ فقال: يا أخي، إنّي قد أجَرْتك فاحتبِسْني هاهنا واذهبْ إلى محمّد فكلّمه فيّ، فإنّ محمّدًا إنْ رآني ضَرَب عُنُقي، إنّ جُرْمي أعظم الجُرْم، وقد جئتُ تائبًا، فقال عثمان: قم فاذهب معي إليه، قال: كلّا، والله إنّه إنْ رآني ضرَبَ عنقي ولم يناظرْني، قد أهدَرَ دمي وأصحابُه يطلبُونني في كلّ موضع، فقال عثمان: انطلق معي فإنّه لا يقتلك إن شاء الله ـ فلم يُرَعْ رسولُ الله ﷺ إلّا بعثمانَ آخذًا بيَدِ عبدِ الله بن سعد، واقفيْن بين يديه، فقال عثمان: يا رسول الله، هذا أخي من الرّضاعة، إنّ أمّه كانت تحمِلني وتمشّيه وتُرضِعني وتَفْطِمه وتُلْطِفني وتَتْركه، فهَبْه لي. فأعرض رسولُ الله ﷺ عنه، وجعل عثمانُ كلّما أعرض رسولُ الله عنه استقبَلَه بوجهه، وأعادَ عليه هذا الكلام، وإنّما أعرَض عليه السلام عنه إرادةً لأن يقوم رجلٌ فيضربَ عنقَهُ، فلمّا رأى ألّا يقوم أحدٌ وعثمان قد انكَبَّ عليه يقبّل رأسَه ويقول: يا رسول الله، بايعْه فِدَاك أبي وأمّي على الإسلام! فقال رسول الله ﷺ: نَعَمْ، فبايعه.

قال الواقديّ: قال رسول الله ﷺ بعد ذلك للمسلمين: ما مَنَعكم أن يقومَ منكم واحدٌ إلى هذا الكلب فيقتله! أو قال الفاسق! فقال عبّاد بن بشْر: والّذي بَعَثك بالحقّ، إنّي لأتْبَع طرفَك من كلّ ناحية، رجاء أن تشيرَ إليّ فأضرِبَ عنقه.

ويقال: إنّ أبا البشير هو الّذي قال هذا؛ ويقال: بل قاله عمرُ بنُ الخطّاب، فقال ﷺ: إنّي لا أقتلُ بالإشارة، وقيل: إنّه قال: إنّ النّبيّ لا يكون له خائنةُ الأعين.

قال الواقديّ: فجعل عبدُ الله بنُ سعد يفرّ من رسول الله ﷺ كلّما رآه، فقال له عثمان: بأبي أنتَ وأمّي! لو ترى ابنَ أمّ عبدٍ يفرّ منك كلّما رآك! فتبسّم رسولُ الله ﷺ فقال: أو لم أبايعْه وأؤمّنه؟ قال: بلى، ولكنّه يتذكّر عُظْم جُرْمه في الإسلام، فقال: إنّ الإسلام يَجُبُّ ما قَبْلَه.

قال الواقديّ: وأمّا الحُوَيرث بنُ مَعْبد ـ وهو من وَلَد قصيّ بن كلاب ـ فإنّه كان

يؤذِي رسول الله ﷺ بمكّة، فأهدَرَدمه، فبينما هو في منزله يوم الفتح وقد أغلق عليه بابه جاء عليٌّ عليه السلام يَسأل عنه، فقيل له: هو في البادية، وأخبر الحُوَيرث أنّه جاء يطلبُه وتَنحَّى عليٌّ عليه السلام عن بابه فخرج الحُوَيْرث يريد أن يَهربُ من بيتٍ إلى بيتٍ آخر، فتلقّاه عليّ عليه السلام فضَرَب عنقه.

قال الواقديّ: وأمّا هبّار بنُ الأسود، فقد كان رسول الله ﷺ أمر أن يُحرقَه بالنّار، ثمّ قال: إنّما يعذّب بالنّار رَبّ النّار، اقطعوا يدَيْه ورجليه إن قدَرْتم عليه، ثمّ اقتُلوه، وكان جُرمُه أن نَخَس زينبَ بنتَ رسول الله ﷺ لمّا هاجرتْ، وضرَبَ ظهرها بالرّمح وهي حُبْلَى، فأسقطتْ، فلم يَقدِر المسلمون عليه يومَ الفتح، فلمّا رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة طَلَع هَبّار بنُ الأسود قائلًا: أشهدَ أن لا إله إلّا الله، وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله، فقبل النّبيّ ﷺ إسلامه، فخرجتْ سَلْمَى مولاةُ النّبيّ ﷺ فقالت: لا أنعم الله بك عَيْنا! أنتَ الّذي فعلت وفعلت! فقال رسولُ الله ﷺ وهبّار يعتذِر إليه؟ إنّ الإسلام محا ذلك، ونَهَى عن التّعرّض له.

قال الواقديّ: قال ابن عبّاس رضي الله عنه: رأيتُ رسول الله ﷺ و هَبّار يَعتذِر إليه وهو يُطأطئ رأسَه استحياءً ممّا يَعتذِر هبّار ويقول له: قد عفوتُ عنك!

قال الواقديّ: وأمّا ابن خَطَل فإنّه خرج حتّى دخل بين أستارِ الكعبة، فأخرَجه أبو بَرْزة الأسلَميّ منها، فضرَبَ عنقَه بين الرُّكن والمقام ـ ويقال: بل قَتَله عمّار بن ياسِر، وقيل: سعدُ بن حُريث المخزوميّ، وقيل: شُرَيك بن عَبدة العَجْلانيّ، و الأثبتُ أنّه أبو بَرْزة ـ قال: وكان جُرْمه أنّه أسلَم وهاجَر إلى المدينة وبعَثَه رسولُ الله ﷺ ساعِيًا[1]، وبعث معه رجلًا من خُزاعةَ فَقَتَله، وساق ما أَخَذ من مال الصّدقة، ورَجَع إلى مكّة، فقالت له قريش: ما جاء بك؟ قال: لم أَجِد دينًا خيرًا من دِينكم، وكانت له قَيْنتان: إحداهما قريني، والأخرى قرينة ـ أو أرنب ـ وكان ابن خَطَل يقول الشّعرَ يَهجُو به

---

١ ـ ساعيًا: أي جابيًا للزّكاة.

رسول الله ﷺ ويغنّيان به، ويَدخُل عليه المشركون بيتَه فيَشرَبون عنده الخَمر، ويَسمعون الغِناء بهجاءِ رسول الله ﷺ.

قال الواقديّ: وأما مِقْيس بن صُبابة فإنّ أمّه سهميّة، وكان يومَ الفتح عند أخوالِه بني سَهْم، فاصطَبَح الخَمرَ ذلك اليوم في نَدامَى له، وخرج ثَمِلًا يتغنّي ويتمثّل بأبياتٍ منها:

دَعيني أصطبِحْ يا بَكْرُ إنّي ... رأيتُ الموتَ نَقّبَ عن هِشامِ

ونقّب عن أبيكِ أبي يزيدٍ ... أخِي القَيْنات والشَّربِ الكِرامِ

يخبّرنا ابنُ كَبْشة أنْ سنَحْيَا ... وكيف حياةُ أصداءٍ وهامِ!

إذا ما الرَّأسُ زالَ بمنكِبَيه ... فقد شَبِع الأنيسُ من الطّعامِ

أتقتُلُني إذا ما كنتُ حيًّا ... وتُحييني إذا رَمّت عِظامِي!

فلقيَه نُمَيلة بنُ عبد الله اللّيثيّ وهو من رَهْطه، فضَرَبه بالسَّيف حتّى قَتَله، فقالت أختُه ترثيه:

لَعَمري لقد أخزَى نميلةَ رهْطَه ... و فَجّع أصناف النِّساء بمقيسِ

فلله عَيْنَا مَنْ رَأى مِثْلَ مَقيسٍ ... إذا النَّفَساء أصبحتْ لم تخرّس[1]

وكان جُرْم مِقْيَس مِن قِبَل أنّ أخاه هاشم بن صُبابة أسلَم وشَهِدَ المُرَيْسِيعَ مع رسول الله ﷺ، فَقَتله رجلٌ من رَهْط عُبادَة بن الصّامت وقيل: مِن بني عمرو بن عَوْف وهو لا يعرفه، فظنّه من المشركين، فقَضَى له رسولُ الله ﷺ بالدّيَة على العاقلة، فقَدِم مِقْيَس أخوه المدينةَ فأخذ دِيتَه، وأسلَم، ثمّ عدا على قاتِل أخِيه، فقَتَله، وهَرَب

---

١ ـ يقال: خرست المرأة تخريسًا؛ إذا أطعمت في ولادتها؛ والبيت في اللّسان (خرس).

مرتدًّا كافرًا يَهجُو رسول الله ﷺ بالشّعر، فأهدَرَ دَمه.

قال الواقديّ: فأمّا سارة مولاةُ بني هاشم ـ وكانت مغنّيةً نوّاحة بمكّة، وكانت قد قَدِمتْ على رسول الله ﷺ المدينة تَطلُب أن يَصِلَها، وشكتْ إليه الحاجةَ وذلك بعدَ بَدْر وأُحُد ـ فقال لها: أما كانَ لكِ في غِنائكِ ونِياحِكِ ما يُغْنِيك! قالت: يا محمّد، إنّ قريشًا منذ قُتِل مَنْ قُتِل منهم ببَدْر تركوا استماعَ الغِناء، فوَصَلها رسولُ الله ﷺ وأوقَر لها بعيرًا طعامًا، فرجعتْ إلى قُريش وهي على دِينها، وكانت يُلقَى عليها هِجاءُ رسول الله ﷺ فتُغنّي به، فأمر بها رسول الله ﷺ يومَ الفتح أن تقتُلَ، فقُتِلت، وأمّا قَيْنتا ابن خَطَل فقَتَل يومَ الفتح إحدَاهما، وهي أرنب، أو قرينة، وأمّا قريني فاستؤمن لها رسولُ الله ﷺ، فأمّنها وعاشت حتّى ماتت في أيّام عثمان.

قال الواقديّ: وقد رُوِي أنّ رسول الله ﷺ أَمر بقَتْل وَحْشِيّ ، يومَ الفَتْح، فهَرَب إلى الطّائف، فلم يزل بها مقيمًا حتّى قَدِم مع وفد الطّائف على رسول الله ﷺ ، فدخل عليه فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّك رسولُ الله، فقال: أوحشيّ؟ قال: نعم، قال: اجلس وحدِّثْني كيف قتلتَ حمزة؟ فلمّا أخبَرَه قال: قم وغَيّب عنّي وجهَك، فكان إذا رآه تَوَارَى عنه.

قال الواقديّ: وحدّثني ابن أبي ذئب ومَعمَر عن الزُّهريّ، عن أبي سَلَمة بنِ عبدِ الرّحمن بن عوف، عن أبي عمرو بن عَدِيّ بن أبي الحمراء، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول بعد فَراغِه من أمر الفَتْح وهو يريد الخروجَ من مكّة: أمَا واللهِ إنّكِ لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ بلادِ الله إلىّ، ولو لا أنّ أهلَكِ أخرجوني ما خرجتُ.

وزاد محمّد بن إسحاق في كتاب «المغازي» أنّ هند بنت عُتْبة جاءت إلى رسول الله ﷺ مع نساءِ قريش متنكِّرة متنقّبة لحدَثها الّذي كان في الإسلام، وما صنعتْ بحمزة حين جدعَتْه وبَقَرَتْ بطنَه عن كبده؛ فهي تخاف أن يأخذها رسول الله ﷺ بحدثها ذلك، فلمّا دنَتْ منه، وقال حين بايعنه على ألّا يُشرِكن بالله شيئًا

قلن: نعم، قال: ولايَسرِقْن، فقالت هند: والله أنا كنت لأصيب من مال أبي سُفيان الهَنَة والهُنَيهة فما أعلَم أَحَلالٌ ذلك أم لا! فقال رسولُ الله ﷺ: وأنتِ لهند! قالت: نعم، أنا هند، و أنا أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله، فاعفُ عمّا سَلَف عفا الله عنك؛ فقال رسول الله ﷺ: ولايزنِينَ، فقالت هند: وهل تزني الحرّة! فقال: لا، ولا يقتُلْنَ أولادَهُنّ، فقالت هند: قد لَعَمْري ربّيناهم صغارًا وقتلتَهم كبارًا ببَدر، فأنت وهم أعرَفُ. فَضَحِك عمرُبن الخطّاب من قولها حتّى أسفَرتْ نَواجِذه، قال: ولايأتِين ببهْتان [يَفْتَرِينَهُ[1]]، فقالت هند: إنّ إتيان البُهْتان لَقَبيح، فقال: ولايَعْصِينك في معروف؛ فقالت: ما جلسْنا هذه الجلسة ونحن نريد أن نعصِيَك.

قال محمّد بن إسحاق: ومِن جيّد شعرِعبدِ الله بن الزّبعرَى الّذي اعتذَر به إلى رسول الله ﷺ حين قدِمَ عليه:

مَنَـــع الرُّقـــادَ بلابـــلَ وهُمـــومُ فاللّيـــلَ ممتـــدُّ الـــرّواق بَهـــيمُ[2]

ممّـــا أتـــاني أنّ أحمـــدَ لامَـــنِي فيـــه، فبِـــتّ كـــأنّني محمـــومُ

يـا خيـرَمـن حملَـتْ عـلى أوْصـالِها عَيرانَـــة سُـــرُح اليَـــدَيْن سَـــعُومُ[3]

إنّي لمعتـــذِرٌإليـــكَ مـــن الّـــذِي أسـدَيْت إذْ أنـا في الضّـلال آهـيمُ[4]

---

١ ـ من د.

٢ ـ سيرة ابن هشام ٤: ٣٩. البلابل: الوساوس المختلطة. والبهيم: الّذي لا ضياء فيه. وفي ابن هشام: «والليل معتلج الرّواق».

٣ ـ العيرانة: النّاقة الّتي تشبه العير«حمار الوحش» في شدّته ونشاطه. سرح اليدين: خفيفتهما. وسعوم: سريعة. وفي ابن هشام: «غشوم».

٤ ـ أسديت: صنعت.

أيّـانَ[1] تـأمُرني بـأغْوَى خُطّـةٍ سَـهْمٌ، وتـأمُرني بـه مخـزومُ
وأمـدُّ أسـبابَ الـرّدى ويَقـودُني آمـرُ الغُـواة وأمـرُهم مشـئومُ
فـاليومَ آمـنَ بـالنّبيّ محمّـدٍ قلـبي، ومُخطِـئ هـذه محـرومُ
مضـت العـداوةُ وانقضَـت أسبابُها ودَعَـتْ أواصـرُ بيننـا وحُلـومُ[2]
فـاغفرْ فِـدًى لـك والـدىَّ كلاهُمـا زَلّـلي، فإنّـك رَاحِـمٌ مرْحُـومُ
وعليـك مِـن عَلَـم المليـكِ عَلامـةٌ نـورٌ آغـرُّ وخـاتَمٌ مختـومُ
أعطـاكَ بعـد محبَّـةٍ برهَانُـه شـرفًا وبُرْهـان الإلـه عظـيمُ
ولقـد شَـهِدْتُ بـأنّ دينَـك صـادقٌ بَـرٌّ و شـأنَك في العبـاد جسـيمُ
والله يَشـهد أنّ أحمـدَ مصـطفًى متقَبَّـلَ في الصّـالحين كـريمُ
فـرعٌ عَـلا بنيانُـه مِـن هاشـمٍ دَوْح تمكّـنَ في العُـلا وأرومُ[3]

قال الواقديّ: وفي يوم الفَتْح سمىَّ رسولُ الله ﷺ أهلَ مكّة الّذين دخلها عليهم الطُّلَقاءَ، لمنّة عليهم بعد أن أظفرَهُ الله بهم، فصاروا أرقّاءَ له. وقد قيل له يوم الفتح: قد أمكنك الله تعالى فخذ ما شئت من أقمارٍ على غصون ـ يعنُون النّساء، فقال عليه السلام: يأبى

---

١ ـ في د: «أيّام».

٢ ـ الحلوم: جمع حلم؛ وهو العقل.

٣ ـ ابن هشام:

قـرمٌ عَـلَا بنيانُـهُ مـن هاشـمٍ فـرعٌ تمكّـنَ في الـذُّرَا و أُرومُ

قال ابن هشام: «وبعض أهل العلم بالشّعر ينكرها».

ذلك إطعامُهم الضَّيف، وإكرامُهم البيت، و وَجْؤهم مناحرَ الهَدى. (١٨: ٧ ـ ١٨)

الفصل الثّامن ـ[في معجزات النّبيّ صلى الله عليه وآله]

(الخطبة: ٢٣٨؛ المسمّى بالقاصعة) . . . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله لَمَّا أَتَاهُ المَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِن بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ رَسُولٌ، وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «وَمَا تَسأَلُونَ؟». قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ؛ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: «إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللهُ لَكُمْ ذَلِكَ، أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ!». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَ إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الْأَحْزَابَ». ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله: «يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رسولُ الله، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللهِ». وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رسول الله صلى الله عليه وآله مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صلى الله عليه وآله، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا؛ وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرسول الله صلى الله عليه وآله، فَقَالُوا كُفْرًا وَعُتُوًّا: فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ صلى الله عليه وآله، فَرَجَعَ، فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رسول الله وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَصْدِيقًا لِنُبُوَّتِكَ، وَ إِجْلاَلًا لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا! يَعْنُونَنِي وَ إِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ الْأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ، وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ

يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَ أَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ!

... وأمّا أمرُ الشّجرة الّتي دعاها رسول الله ﷺ، فالحديث الوارد فيها كثيرٌ مستفيض، قد ذكره المحدّثون في كتبهم، وذكره المتكلّمون في معجزات الرّسول ﷺ، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوَضْع الّذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروى ذلك مختصرًا أنّه دعا شجرة فأقبلت تخُدّ إليه الأرض خَدًّا. وقد ذكر البيهقي في كتاب «دلائل النُّبوة» حديث الشّجرة، ورواه أيضًا محمّد بن اسحاق بن يسار في كتاب السّيرة والمغازي على وجْه آخر، قال محمّد بن إسحاق: كان رُكانة [1] بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطّلب بن عبد مناف أشدَّ قريش كلّها، فخلا يومًا برسول الله ﷺ في بعض شِعاب مكّة، فقال له رسول الله ﷺ يا رُكانة، تتّقي الله، وتقبل ما أدعوك إليه؟ قال لو أعلم أنّ الّذي تقول حقٌّ لاتّبعتك، قال: أفرأيت إن صرعتُك؛ أتعلم أنّ ما أقول لك حقّ؟ قال: نعم، قال: فقم حتّى أصارعَك، فقام رُكانة، فلمّا بطش به رسولُ الله ﷺ أضْجَعه لا يملك مِنْ نفسه شيئًا، فقال: عُدْ يا محمّد، فعادَ فصرعه، فقال: يا محمّد، إن هذا لعجبٌ حينَ [2] تصرعُني، فقال رسول الله ﷺ: وأعجب من ذلك إن شئت أريتُكَه، إن اتّقيتَ الله، واتّبعت أمري، قال: ما هو؟ قال: أدعو لك هذه الشّجرة الّتي تراها، فتأتي، قال: فادْعُها، فدعاها، فأقبلت حتّى وقفت بين يدىْ رسول الله ﷺ، ثمّ قال: ارجعي إلى مكانك، فرجعتْ إلى مكانها، فرجع رُكانة إلى قومه، وقال: يا بني عبد مناف، ساحِروا [3] بصاحبكم أهل الأرض! فما رأيت أسحَر منه قطّ، ثمّ أخبرهم بالّذي رأى، والّذي صنع [4]. (١٣: ٢١٢ ـ ٢١٥)

---

١ ـ كذا ضبطه صاحب الاشتقاق ٧٨، بضمّ الرّاء.

٢ ـ ب: «حتّى»، تصحيف، وفي ابن هشام «أتصرعني».

٣ ـ ساحروا: أى غالبوهم بالسّحر.

٤ ـ سيرة ابن هشام ١: ٤١٨ (نشرة المكتبة التّجاريّة).

الباب التّاسع

[وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله وما ورد في السّقيفة]

وفيه فصولٌ:

الفصل الأوّل

[مرض رسول الله ﷺ وإمرة أُسامة بن زيد على الجيش]

لمّا مرض رسول الله ﷺ مرضَ الموت، دعا أُسامةَ بن زيد بن حارثة، فقال: سِرْ إلى مقتَل أبيك، فأوطِئْهم الخيل، فقد ولّيتُك على هذا الجيش، وإن أظفرَك الله بالعدوّ، فأَقْلِل اللَّبْث، وبثّ العيون، وقَدّم الطّلائع؛ فلم يبقَ أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلّا كان في ذلك الجيش؛ منهم أبو بكر وعُمر، فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلامَ على جِلّة المهاجرين والأنصار! فغضب رسولُ الله ﷺ لمّا سمع ذلك، وخرجَ عاصبًا رأسه، فصَعِد المنبر وعليه قَطيفة[1] فقال: «أيّها النّاس، ما مقالة بلغتْني عن بعضكم في تأْميري أسامة! لئن طعنتم في تأميري أسامة، فقد طعنتم في تأْميري أباه مِنْ قبله، وايمُ الله إن كان لخليقًا بالإمارة، وابنُه من[2] بعده لخليق بها، وإنّهما لمن أحبِّ النّاس إليّ؛ فاستوصوا به خيرًا، فإنّه من خياركم»، ثمّ نزل ودخل بيته، وجاء المسلمون يودّعون رسول الله ﷺ، ويمضون إلى عسكر أسامة بالجُرْف[3].

وثَقِل[4] رسول الله ﷺ، واشتدّ ما يجده، فأَرسل بعضَ نسائه إلى أسامة وبعض مَنْ كان معه، يُعلمونهم ذلك، فدخل أسامة من معسكره ــ والنّبيّ ﷺ مغمور، وهو اليوم الّذي لَدُوه[5] فيه ــ فتطأطأ أسامة عليه فقَبّله، ورسول الله ﷺ قد أسكت، فهو لا يتكلّم، فجعل يرفع يديه إلى السّماء ثمّ يضعهما على أسامة؛ كالدّاعي له، ثمّ أشار

---

١ ـ القطيفة: كساء له أهداب.

٢ ـ ا: «وإنّ ابنه من بعده الخليق بها».

٣ ـ الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشّام.

٤ ـ ثقل، بالكسر: اشتدّ مرضه.

٥ ـ يقال: لدّ المريض، بالبناء للمجهول أى دووي باللّدود؛ بالفتح؛ وهو من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقّي الفم؛ وانظر: النّهاية لابن الأثير ٣: ٥٥، واللّسان ٤: ٣٩٣.

إليه بالرّجوع إلى عسكره، والتّوجّه لما بَعثه فيه، فرجع أسامة إلى عسكره ،ثمّ أرسل نساء رسول الله ﷺ إلى أسامة يأمُرْنه بالدّخول، ويقلْن: إنّ رسول الله ﷺ قد أصبح بارئًا، فدخل أسامة من معسكره يوم الأثنين، الثّاني عشر من شهر ربيع الأوّل فوجَد رسول الله ﷺ مُفيقًا، فأمره بالخروج وتعجيل النّفوذ، وقال: اغْدُ على بركة الله، وجعل يقول: أنفذوا بَعْث أسامة، ويكرّر ذلك، فودّع رسول الله ﷺ، وخرج ومعه أبو بكر وعمر، فلمّا ركب جاءه رسول أمّ أيمن، فقال: إنّ رسول الله ﷺ يموت، فأقبل ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فانتهوْا إلى رسول الله ﷺ حين زالت الشّمس من هذا اليوم، وهو يوم الأثنين، وقد مات واللّواء مع بُرَيْدة بن الحُصَيب، فدخل باللّواء فركَزه عند باب رسول الله ﷺ وهو مُغْلق، وعليّ عليه السلام وبعض بني هاشم مشتغلون بإعداد جهازه وغَسْله، فقال العبّاس لعليّ وهما في الدّار: امْدُد يدَك أبايعْك، فيقول النّاس: عمّ رسول الله بايع ابنَ عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان، فقال له: أوَ يطمعُ يا عمّ فيها طامع غيري! قال: ستعلم؛ فلم يلبثا أنْ جاءتهما الأخبار بأنّ الأنصار أقعدتْ سعدًا لتُبايعَه، وأنّ عمر جاء بأبي بكر فبايَعه وسبق الأنصارَ بالبَيْعة، فندم عليّ عليه السلام على تفريطه في أمر البيعة وتقاعده عنها، وأنشده العبّاس قول دُرَيد:

أمَرْتُهُمُ أمري بمنعرَجِ اللِّوَى فلم يستبينُوا النَّصحَ إلّا ضُحَى الغدِ[1]

وتزعُم الشّيعةُ أنّ رسول الله ﷺ كان يعلَمُ موته، وأنّه سيَّر أبابكر وعمر في بَعْث أسامة لتخلُوَ دارُ الهجرة منهما، فيصفُوَ الأمرُ لعليّ عليه السلام، ويبايعَه مَن تَخَلّف من المسلمين بالمدينة على سكون وطمأنينة، فإذا جاءهما الخبر بموت رسول الله ﷺ وبيعة النّاس لعليّ عليه السلام بعده، كانا عن المنازعة والخلاف أبعدَ، لأنّ العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيْعة، ويُحتاجُ في نقضها إلى حروب شديدة، فلم يتمّ له ما قَدّر، وتثاقل أسامة

١ـ ديوان الحماسة ـ بشرح المرزوقيّ ٢: ٨١٤ ، وروايته: «فلم يستبينوا الرّشد».

بالجيش أيّامًا، مع شدّة حثّ رسول الله ﷺ على نفوذه وخروجه بالجيش، حتّى مات ﷺ وهما بالمدينة، فسبقا عليًّا إلى البيعة وجَرى ما جرى.

وهذا عندي غير منقدح، لأنّه إن كان ﷺ يعلم موتَه، فهو أيضًا يعلم أنّ أبابكر سيلي الخلافة، وما يعلمه لايحترِس منه، وإنّما يتمّ هذا ويصحّ إذا فرضنا أنّه عليه السلام كان يظنّ موتَه ولايعلمه حقيقة، ويظنّ أنّ أبا بكر وعمر يتمالآن على ابن عمّه، ويخاف وقوع ذلك منهما ولايعلمه حقيقة، فيجوز إن كانت الحال هكذا أن ينقدح هذا التّوهّم، ويتطرّق هذا الظّنّ، كالواحد منّا، له ولدان: يخاف من أحدهما أن يتغلّب بعد موته على جميع ماله، ولايوصِل أخاه إلى شيء من حقّه؛ فإنّه قد يخطر له عند مرضه الّذي يتخوّف أن يموتَ فيه أن يأمر الولد المخوّف جانبه بالسّفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلّمها إليه، يجعل ذلك طريقًا إلى دفع تغلّبه على الولد الآخر. (١: ١٥٩ ـ ١٦٢)

الفصل الثّاني ـ [ذِكْر خبر وفاة الرّسول ﷺ]

وقد روي مِنْ قصّة وفاة رسول الله ﷺ أنّه عرَضت له الشّكاة الّتي عرضت، في أواخر صفر من سنة إحدى عشرة للهجرة، فجهّز جيش أسامة بن زيد، فأمرهم بالمسير إلى البَلقاء حيث أصيب زيد وجعفر عليهما السّلام من الرّوم، وخرج في تلك اللّيلة إلى البقيع، وقال: إنّي قد أُمِرْت بالاستغفار عليهم، فقال عليه السلام: السّلام عليكم يا أهلَ القبور، ليهنِكُم ما أصبحتم فيه مِمّا أصبح النّاس فيه، أقبلت الفِتَن كقِطَع اللّيل المظلم، يتبع أوّلَها آخرُها. ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلًا، ثمّ قال لأصحابه: إنّ جبريل كان يعارِضُني القرآن في كلّ عام مرّة، وقد عارضني به العامَ مرّتين، فلا أراه إلّا لحضور أجلي. ثمّ انصرف إلى بيته، فخطب النّاس في غدِه، فقال[1]: معاشر النّاس، قد حان منّي خُفُوق من بين أظهركم، فمَن كان له عندي عِدَة، فلْيأتني أعْطِه إيّاها، ومَنْ كان

---

١ ـ ساقطة من ب.

علىّ دَيْن، فليأتني أقضِه. أيّها النّاس، إنّه ليس بين الله وبين أحد نسبٌ ولا أمريؤتيه به خيرًا، أو يصرف عنه شرًّا إلّا العمل، ألا لايدّعينّ مُدَّعٍ ولايتمنّينّ متمنٍّ. والّذي بعثني بالحقّ لاينجّى إلّا عملٌ مع رحمة، ولو عَصَيْت لهويت. اللّهمّ قد بلّغت.

ثمّ نزل فصَلّى بالنّاس صلاةً خَفيفةً، ثمّ دخل بيت أمّ سلَمة، ثمّ انتقل إلى بيت عائشة يعلّله النّساء والرّجال، أمّا النّساء فأزواجه وبنته عليهما السّلام، وأمّا الرّجال فعليّ عليه السلام والعبّاس والحسن والحسين عليهم السلام، وكانا غلامَيْن يومئذٍ، وكان الفضل بن العبّاس يدخل أحيانًا إليهم، ثمّ حدث الاختلاف بين المسلمين أيّام مَرَضِه، فأوّل ذلك التّنازع الواقع يوم قال صلى الله عليه وآله: «ائتوني بدواةٍ وقرطاس»؛ وتلا ذلك حديث التّخلّف عن جيش أسامة، وقول عيّاش بن أبي ربيعة: أيولّي هذا الغلام على جُلّة المهاجرين والأنصار!

ثمّ اشتدّ به المرض، وكان عند خفّة مرضه يصلّي بالنّاس بنفسه، فلمّا اشتدّ به المرض، أمر أبا بكر أن يصلّي بالنّاس.

وقد اختلف في صلاته بهم، فالشّيعة تزعم أنّه لم يصلِّ بهم إلّا صلاةً واحدةً، وهي الصّلاة الّتي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فيها يتهادَى بين عليّ عليه السلام والفَضْل، فقام في المحراب مقامه، وتأخّر أبو بكر.

والصّحيح عندي ـ وهو الأكثر الأشهر ـ أنّها لم تكنْ آخرَ صلاة[1] في حياته صلى الله عليه وآله بالنّاس جماعة، وأنّ أبا بكر صلّى بالنّاس بعد ذلك يومَيْن، ثمّ مات صلى الله عليه وآله؛ فمِنْ قائلٍ يقول: إنّه توفّيَ لليلتَيْن بقيَتا من صَفَر، وهو القول الّذي تقوله الشّيعة؛ والأكثرون أنّه توفّي في شهر ربيع الأوّل بعد مضى أيّام منه.

وقد اختلفت الرّواية في موته، فأنكر عمر ذلك، وقال: إنّه لم يَمُتْ، وإنّه غاب وسيعود، فثنّاه أبو بكر عن هذا القول، وتلا عليه الآيات المتضمّنة أنّه سيموت، فرجع

---

١ ـ ب: «الصّلاة».

إلى قوله.

ثمّ اختلفوا في موضع دَفْنه، فرأى قوم أن يدفنوه بمكّة لأنّها مَسْقطُ رأسه، وقال مَنْ قال: بل بالمدينة: ندفنه بالبقيع عند شهداء أُحُد. ثمّ اتّفقوا على دَفْنه في البيت الّذي قبِض فيه، وصلّوا عليه إرسالًا لايؤمّهم أحد.

وقيل: إنّ عليًّا عليه السلام أشار بذلك فقبلوه.

وأنا أعجب من ذلك؛ لأنّ الصّلاة عليه كانت بعد بَيْعة أبي بكر، فما الّذي منع من أن يتقدّم أبو بكر فيصلّي عليه إمامًا!

وتنازعوا في تلحيدِه وتضريحِه، فأرسل العبّاس عمُّه إلى أبي عبيدة بن الجرّاح ــ وكان يحفِر لأهل مكّة ويضرَح[1] على عادتهم ــ رجلًا، وأرسل عليّ رجلًا إلى أبي طلحة الأنصاريّ ــ وكان يَلحَد لأهل المدينة على عادتهم ــ وقال: اللّهمّ اختر لنبيّك، فجاء أبو طلحة فلحَد له، وأدخِل في اللّحد.

وتنازعوا فيمن ينزل معه القَبْر، فمَنَع عليّ عليه السلام النّاس أن ينزلوا معه، وقال: لاينزل قبرَه غيري وغير العبّاس، ثمّ أذن في نزولِ الفضل وأسامة بن زيد مولاهم، ثمّ ضجّت الأنصار، وسألت أن ينزل منها رجل في قبره، فأنزَلوا أوْس بن خوليّ ـ وكان بدريًّا ـ.

فأمّا الغسل فإنّ عليًّا عليه السلام تولّاه بيده، وكان الفضل بن العبّاس يصبّ عليه الماء.

وروي المحدّثون عن عليّ عليه السلام، أنّه قال: ما قَلَبْتُ منه عِضْوًا إلّا وانقلب، لا أجِدُ له ثِقلًا، كأنّ معي مَنْ يساعدني عليه، وما ذلك إلّا الملائكة.

وأمّا حديث الهينمة وسماع الصّوت، فقد رواه خَلْق كثير من المحدّثين، عن عليّ عليه السلام، وتروِي الشّيعة أنّ عليًّا عليه السلام عَصَب عَيْنَى الفضل بن العبّاس، حين صبّ عليه الماء، وأنّ رسول الله عليه السلام أوصاه بذلك، وقال: إنّه لايبصر عورتي أحدٌ غيرُك إلّا عَمِيَ.

(١٠: ١٨٣ ــ ١٨٦)

١ـ يضرح: أي يشقّ ويحفر له ضريحًا.

(الخطبة : ١٩٥) ومن كلام له عليه السلام رُوي عنه أنّه قاله عند دَفن سيّدة النّساء فاطمة عليها السلام، كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره:

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رسول الله عني، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ يَا رسول الله، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِيَ بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ...

الشّرح : . . . ثمّ ذكر حاله معه وقتَ انتقاله صلواتُ الله عليه إلى جوار ربّه، فقال: لقد وسَدْتُك في ملحودة قبرك، أى في الجهة المشقوقة من قبرك، واللّحْد: الشّقّ في جانب القبر، وجاء بضمّ اللّام في لغة غير مشهورة.

قال: «وفاضت بين نحري وصدري نفْسك»، يروى أنّه صلى الله عليه وآله قذف دمًا يسيرًا وقت موته. ومَنْ قال بهذا القول زعم أنّ مرضه كان ذات الجنْب، وأنّ القُرحة الّتي كانت في الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت في تلك الحال، وكانت فيها نفسُه صلى الله عليه وآله.

وذهبَ قومٌ إلى أنّ مرضه إنّما كان الحمىّ والسّرسام الحارّ، وأنّ أهل داره ظنّوا أنّ به ذاتَ الجنب فلدُّوه وهو مغمًى عليه، وكانت العرب تداوي باللّدود[1] مَنْ به ذات الجنب، فلمّا أفاق عَلِم أنّهم قد لدُّوه، فقال: «لم يكن الله ليسلّطها عليّ، لُدّوا كلَّ مَن في الدّار»، فجعل بعضهم يَلُدّ بعضًا.

واحتجّ الذّاهبون إلى أنّ مرضه كان ذات الجنب بما روي مِن انتصابه وتعذّر الاضطجاع والنّوم عليه، قال سلمان الفارسيّ: دخلتُ عليه صبيحةَ يوم قبل اليوم الّذي مات فيه، فقال لي: يا سلْمان، ألا تسأَلُ عَمّا كابدته اللّيلةَ مِنَ الألم والسّهر أنا وعليّ! فقلت: يارسول الله، ألا أسهرُ اللّيلة معك بَدَله؟ فقال: لا هو أحقّ بذلك منك.

---

١ ـ في «اللّسان» عن الفرّاء: «اللّدّ: أن يوخذ بلسان الصّبيّ فيمدَّ إلى أحد شقّيه، ويوجر في الآخر الدّواء في الصّدف. بين اللّسان وبين الشّدق؛ وفي الحديث أنّه لدّ في مرضه».

وزعم آخرون أنّ مرضه كان أثرًا لأكَلَة السّمّ الّتي أكلها عليه السلام، واحتجُّوا بقوله صلى الله عليه وآله: «مازالت أكلة خَيْبر تعاودني؛ فهذا أوانُ قطعت أبْهَري»[1].

ومَنْ لم يذهبْ إلى ذات الجنْب، فأوّلوا قولَ عليّ عليه السلام: «وفاضت بين نحري وصدري نفسُك»، فقالوا: أراد بذلك آخر الأنفاس الّتي يخرجُها الميّت ولا يستطيع إدخال الهواء إلى الرّئة عوضًا عنها، ولابدّ لكلّ ميّت من نفخةٍ تكون آخر حركاته.

ويقول قوم: إنّها الرّوح، وعبّر عليّ صلى الله عليه وآله عنها بالنّفس، لمّا كانت العرب لاترى بين الرّوح والنّفس فَرْقًا.

واعلم! أنّ الأخبار مختلفة في هذا المعنى، فقد روى كثير من المحدّثين عن عائشة أنّها قالت: تُوفّي رسولُ الله صلى الله عليه وآله بين سَحْرِي[2] ونحْري.

وروى كثير منهم اللّفظ عن عليّ عليه السلام، أنّه قال عن نفسه، وقال في رواية أخرى: «ففاضت نفسُه في يدي، فأمررتها على وجهي».

والله أعلم بحقيقة هذه الحال، ولايبعد عندي أن يصدُق الخبران معًا، بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وقت الوفاة مستندًا إلى عليّ وعائشة جميعًا، فقد وقع الاتّفاق عَلَى أنّه مات وهو حاضر لموته، وهو الّذي كان يقلّبه بعد موته، وهو الّذي كان يعلّله ليالِيَ مرضه، فيجوز أن يكون مستندًا إلى زوجته وابن عمّه، ومثل هذا لايبعد وقوعه في زماننا هذا، فكيف في ذلك الزّمان الّذي كان النّساء فيه والرّجال مختلطين،لايستتر البعض عن البعض!

فإن قلت: فكيف تعمل بآية الحجاب، وما صحّ من استتار أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله عن النّاس بعد نزولها؟

---

١ ـ الأبهر: عرق إذا انقع مات صاحبه، وهما أبهران يخرجان من القلب، ثمّ يتشعّب منهما سائر الشّرايين.

٢ ـ السّحر هنا: الرّئة.

قلت: قد وقع اتّفاق المحدّثين كلّهم على أنّ العبّاس كان ملازمًا للرسول الله ﷺ أيّامَ مرضه في بيت عائشة، وهذا لا ينكره أحدٌ، فعلَى القاعدة الّتي كان العبّاس ملازمه ﷺ كان عليّ عليه السلام ملازمه، وذلك يكون بأحد الأمرين: إمّا بأنّ نساءه لا يستترن من العبّاس وعليّ لكونهما أهل الرّجل وجزء منه، أو لعلّ النّساء كنّ يختمرنَ بأخمرتهنّ، ويخالطنَّ الرّجال فلا يرونَ وجوههنّ، وما كانت عائشة وحدَها في البيت عند موته، بل كان نساؤه كلّهنّ في البيت، وكانت ابنته فاطمة عند رأسه ﷺ.

فأمّا حديثُ مرضه صلوات الله عليه و وفاته، فقد ذكرناه فيما تقدّم.

(١٠: ٢٦٦ ــ ٢٦٨)

الفصل الثّالث ـ[ذِكْرُ طَرَف من سيرة النّبيّ ﷺ عند وفاته]

(الخطبة:٢٣٠) الأصل: ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله ﷺ و تجهيزه:

بِأَبِي أَنْتَ وأُمّي يَا رسول الله، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّماءِ، خَصَّصْتَ حَتّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَواءً، وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُماطِلًا، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا، وَقَلَّا لَكَ! وَلكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!

الشّرح: ...قوله عليه السلام: «خصّصت و عمّمت»، أي خصّت مصيبتك أهل بيتك حتّى إنّهم لا يكترثون بما يصيبهم بعدك من المصائب، ولا بما أصابهم من قَبْلَ، وعمّت هذه المصيبة أيضًا النّاس،حتّى استوى الخلائق كلّهم فيها، فهي مصيبة خاصّة بالنّسبة، وعامّة بالنّسبة.

ومثل قوله: «حتّى صرت مسلّيًا عمّن سواك»، قول الشّاعر:

رُزِئنا أباعمرٍ ولاحيّ مثلُه فللّه درُّ الحادثات بمن تقعْ!
فإن تكُ قد فارقتنا وتركتنا ذوي خَلّة ما في انسدادٍ لها طمعْ
لقد جرّ نفعًا فقدُنا لك أنّنا أمنّا على كلّ الرّزايا من الجزَعْ

وقال آخر:

أقول للموت حين نازله والموت مِقْدامة على البهَمِ
اظفَرْ بمن شئتَ إذ ظفرتَ به ما بعد يحيى للموت من ألمِ

ولي في هذا المعنى كتبته إلى صديق غاب عنّي من جملة أبيات:

وقد كنت أخشى من خطوبٍ غوائلٍ فلمّا نأى عنّي أمنتُ من الحذر
فأعجب لجسمٍ عاش بعد حياتِهِ و أعجب لنفع حاصل جَرّه ضرر

وقال إسحاق بن خَلَف يرثي بنتًا له[1]:

أمست أميمة معمورًا بها الرَّجمُ لَقًا صعيدٍ عليها التّرب مرتكمُ[2]
يا شِقّة النّفس إنّ النّفس واهمةٌ حَرّى عليك وإنّ الدّمع منسجم[3]
قد كنتُ أخشى عليها أن تُقدِّمَني إلى الحِمام فيبدى وجههَا العدمُ
فالآن نمتُ، فلا همٌّ يؤرّقُني تهدا العيون إذا ما أودت الحرَمُ[4]
للموت عندي أيادٍ لست أكفرُها أحيَا سرورًا وبي ممّا أتَى ألمُ

وقال آخر:

فلو أنّها إحدى يدىَّ رزيتُها ولكن يدي بانت على إثرها يدِي

---

١ ـ الكامل ٤ : ٢٠.

٢ ـ الرّجم: القبر، واللّقى: الشّيء الملقى.

٣ ـ الشّقة: نصف الشّيء.

٤ ـ أودت: هلكت.

فآليتُ لا آسى على إثرهالكٍ قدِي الآن من حزن على هالكٍ قدِي

وقال آخر:

أجاريَ ما أزداد إلّا صبابة عليك؛ وما تزداد إلّا تنائيَا
أجاريَ لو نفس فدت نفسَ مَيِّتٍ فديتُك مسرورًا بنفسي ومالِيَا
وقد كنت أرجو أن أملّاك حقبة فحالَ قضاءُ الله دون رجائيَا
ألا فليمُتْ مَن شاء بعدك إنّما عليك من الأقدار كان حذاريَا

وقال آخر:

لتغدُ المنايا حيث شاءت فإنّها محلّلة بعد الفتى ابن عَقيلِ
فتًى كان مولاه يحلّ بنجوةٍ فحلّ الموالي بعده بمسيلِ

... فأمّا وفاةُ رسول الله ﷺ وما ذكره أرباب السّيرة فيها فقد ذكرنا طرفًا منه فيما تقدّم؛ ونذكرها هنا طرفًا آخر ممّا أورده أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في «تاريخه».

قال أبو جعفر: روى أبو مويهبة [1] مولَى رسول الله ﷺ، قال: أرسل [2] إليّ رسول الله ﷺ في جوف اللّيل، فقال: «يا أبا مُوَيهبة إنّي قد أُمِرْت أن أستغفرَ لأهل البقيع، فانطلق معي»، فانطلقت معه، فلمّا وقف بين أظهرهم، قال: «السّلام عليكم يا أهلَ المقابر، ليهنِ لكم ما أصبحتُمْ فيه ممّا أصبَح النّاس فيه! أقبلتِ الفِتَن كَقِطع اللّيل المظلم، يتبع آخرُها أوّلَها، الآخرة شرٌّ من الأولى». ثمّ أقبل عليّ فقال: «يا أبا مُوَيهبة إنّي قد أُوهِبْت [3] مفاتيح خزائن الدُّنيا والخلْد فيها والجنّة [4]، فخيّرتُ بينها وبين الجنّة،

---

١ ـ ذكره الطّبريّ ١: ١٧٨٠ (طبع أوربا). في موالي رسول الله ﷺ. وقال: «قيل إنّه كان من مولدي مزينة، فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه».

٢ ـ الطّبريّ: «بعثني».

٣ ـ الطّبريّ: «أتيت».

٤ ـ الطّبريّ: «ثمّ الجنّة».

فاخترت الجنّة»، فقلت: بأبي أنتَ و أمّي! فخُذْ مفاتيح خزائن الدُّنيا والخلْد فيها والجنّة جميعًا، فقال: «لا، يا أبا مويهَبة، اخترت لقاء ربّي»، ثمّ استغفَر لأهل البقيع وانصرف، فبدأ بوَجْعه الّذي قبضه الله فيه[1].

وروى محمّد بن مسلم بن شهاب الزّهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة، عن عائشة، قالت: رجع رسولُ الله ﷺ تلك اللّيلة من البقيع، فوجدني وأنا أجدُ صُداعًا في رأسي، وأقول: وارأساه! فقال: بل أنا وارأساه! ثمّ قال: «ما ضرّكِ لو مِتِّ قبلي، فقمت عليكِ فكفّنتكِ، وصلّيت عليك ودفنتكِ»! فقلت: والله لكأنّي بك ـ لو كان ذلك ـ رجعتَ إلى منزلي، فأعرستَ ببعض نسائك! فتبسّم عليه السلام، و تتامّ به وَجعُه، وهو مع ذلك يدور على نسائه، حتّى اسْتُعِزَّ[2] به؛ وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يمرَض في بيتي، فأذنّ له، فخرج بين رجُلَيْن من أهله، أحدهما الفَضْل ابن العبّاس ورجل آخر، تخطّ قدماه في الأرض،عاصبًا رأسه حتّى دخل بيته.

قال عُبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة: فحدّثت عبد الله بن العبّاس بهذا الحديث، فقال: أتدري مَن الرّجل الآخر؟ قلت: لا، قال: عليّ بن أبي طالب، لكنّها كانتْ لا تقدرُ أن تذكره بخير وهي تستطيع. قالت: ثمّ غُمِرَ[3] رسول الله ﷺ واشتدّ به الوجع، فقال: «أهريقوا عليّ سبعَ قِرَبٍ من آبار شتّى حتّى أخرج إلى النّاس، فأعهد إليهم»، قالت: فأقعدته في مِخْضَب لحفصة بنت عمر، وصببنا عليه الماء حتّى طفق يقول بيده: «حسبُكم حسبُكم[4]».

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٧٩٩ـ ١٨٠٠.

٢ ـ استعزّ به: اشتدّ عليه وجعه وغلبه على نفسه.

٣ ـ غمر: اشتدّ به الوجع.

٤ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٠٠، ١٨٠١.

قلت: المخضب: المِرْكن[١].

وروى عطاء، عن الفضل بن عبّاس رضي الله عنه: قال: جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله حين بدأ به مرضُه، فقال: اخرج، فخرجت إليه، فوجدته موعوكًا قد عُصِب رأسه، فقال: خُذ بيدي، فأخذت بيده حتّى جلس على المنبر، ثمّ قال: نادِ في النّاس، فصِحْتُ فيهم فاجتمعوا إليه، فقال: «أيّها النّاس، إنّي أحمَد إليكم الله، إنّه قد دَنَا منّي حقوق من بين أظهركم؛ فمَنْ كنتُ جلدتُ له ظهرًا فهذا ظَهْري فليستقِدْ منه، ومَنْ كنت شتمتُ له عِرْضًا فهذا عِرْضي فليستقدْ منه، ومَن كنت أخذْتُ له مالًا فهذا مالي فليأخذْ منه، ولا يقلْ رجلٌ: إنّي أخاف الشّحناء مِنْ قِبَل رسول الله. ألا وإنّ الشَّحْناء ليست من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإنّ أحبّكم إليّ مَنْ أخذ منّي حقًّا إن كان له، أو حلّلَني فلقيتُ الله وأنا طيّب النَّفس، وقد أراني أنّ هذا غيرُ مُغْنٍ عنّي حتّى أقوم فيكم به مرارًا». ثمّ نزل فصلّى الظُّهر. ثمّ رجعَ فجلس على المنبر، فعاد لمقالته الأولى في الشَّحناء وغيرها، فقام رجلٌ، فقال: يا رسول الله، إنّ لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: إنّا لانكذّب قائلًا ولانستحلفه على يمين، فيم كانتْ لك عندي؟ قال: أتذكُريا رسول الله يوم مَرّبك المسكين، فأمرتني، فأعطيتُه ثلاثة دراهم؟ قال: أعْطِه يا فضل، فأمرتُه فجلس، ثمّ قال: «أيّها النّاس مَنْ كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقلْ: فضُوح الدّنيا؛ فإنّ فضوح الدُّنيا أهونُ من فضُوح الآخرة». فقام رجل، فقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم غللتُها في سبيل الله، قال: ولِمَ غللتَها؟ قال: كنت محتاجًا إليها، قال: خُذْها منه يا فضل. ثمّ قال: «أيّها النّاس، مَنْ خشي من نفسه شيئًا فليَقُمْ أدعو له»، فقام رجلٌ، فقال: يارسول الله، إنّي لكذّاب، وإنّي لفاحش، وإنّي لنئوم. فقال: «اللّهمّ ارْزُقه صِدْقًا وصلاحًا[٢]، وأذهب عنه النَّوْم إذا أراد».

ثمّ قام رجل، فقال:يارسول الله، إنّي لكذّاب، وإنّي لمنافق، وما شيء ـ أو قال: وإن

---

١ ـ المركن: الإجانة الّتي تغسل فيها الثّياب.

٢ ـ الطّبريّ: «وإيمانًا».

من شيء ـ إلّا وقد جئته[1]. فقام عمر بن الخطّاب، فقال: فضحتَ نفسك أيّها الرَّجل! الرَّجل! فقال النّبيّ ﷺ: «يابن الخطّاب: فضُوح الدُّنيا أهون من فضوح الآخرة، أللّهمّ ارْزُقه صدقًا وايمانًا وصَيِّر أمرَه إلى خير»[2].

وروى عبد الله بن مسعود، قال: نَعَى إلينا نبيّنا وحبيبُنا نفسَه قبل موته بشهر، جمعنا في بيت أُمّنا عائشة فنظر إلينا [وشدّد] [3] ودمعت عينه، وقال: مرحبًا بكم! حيّاكم الله، رحمكم الله، آواكم الله، حفظكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، وفّقكم الله، رزقكم الله، هداكم الله، نصركم الله، سلّمكم الله، تقبّلكم الله! أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، إنّي لكم منه نذيرٌ وبشيرٌ، ألّا تعلُوا على الله في عباده وبلاده، فإنّه قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4]. فقلنا: يا رسول الله، فمتى أجلك؟ قال: «قد دنا الفراق، والمنقلَب إلى الله وإلى سدرة المنتهى، والرَّفيقِ الأعلى وجنّة المأوى والعيش المهنّا»، قلنا: فمَن يغسّلُك يا رسول الله؟ قال: «أهلي الأدنى فالأدنى»، قلنا: ففيم نكفّنك؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر، أو حلّة يمنيّة»، قلنا: فمَن يصلّي عليك؟ فقال: «إذا غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبري، ثمّ اخرجوا عنّي ساعة، فإنّ أوّلَ مَن يصلّي عليّ جليسي وحبيبي وخليلي جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ إسرافيل، ثمّ مَلَك الموت مع جنوده من الملائكة، ثمّ ادخلوا عليّ فوجًا فوجًا، فصلّوا عليّ وسلّموا ولاتؤذوني بتزكية ولاضجّة ولارنّة، و ليبدأ بالصّلاة عليّ رجالُ أهل بيتي ثمّ نساؤهم، ثمّ أنتم بعد، وأقرئوا أنفسكم منّي السّلام، ومَن غاب من أهلي فأقرئوه منّي السّلام، ومَن تابعكم بعدي على ديني

---

٢ ـ الطَبريّ: «جنيته».

٢ ـ تاريخ الطَبريّ ١: ١٨٠١ ـ ١٨٠٣.

٣ ـ من تاريخ الطَبري.

٤ ـ القصص/ ٨٣.

فاقرئوه منّي السّلام، فإنّي أشهدكم أنّي قد سلّمت على مَن بايعني على ديني من اليوم إلى يوم القيامة». قلنا: فمَنْ يدخلُك قبرَك يا رسول الله؟ قال: «أهلي مع ملائكة كثيرة يرونكم ولا ترونهم»[1].

قلت: العجب لهم كيف لم يقولوا له في تلك السّاعة: فمَنْ يلي أمورنا بعدك! لأنّ ولاية الأمر أهمّ من السّؤال عن الدّفن، وعن كيفيّة الصّلاة عليه، وما أعلم ما أقول في هذا المقام!

قال أبو جعفر الطّبريّ: ورَوى سعيد بن جُبَير، قال: كان ابنُ عبّاس رضي الله عنه يقول: يومُ الخميس وما يومُ الخميس! ثمّ يبكي حتّى تبلّ دموعُه الحصباءَ، فقلنا له: وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وجعُه، فقال: «ائتوني باللّوح والدّواة ـ أو قال بالكتِف والدّواة ـ أكتب لكم ما لا تضلُّون بعدي، فتنازعوا، فقال: اخرجُوا ولا ينبغي عند نبيّ أن يتنازع، قالوا: ما شأنه، أهَجَر[2]؟ استفهموه، فذهبوا يُعيدون عليه، فقال: «دعوني فما أنا فيه خير ممّا تدعونني إليه»، ثمّ، أوصى بثلاث؛ قال: «أخرجوا المشركينَ من جزيرة العرب، وأجيزوا الوَفْدَ بنحوٍ ممّا كنت أجيزهم»، وسكت عن الثّالثة عَمْدًا، أو قالها ونسيتها[3].

وروى أبو جعفر، عن ابن عبّاس. قال: خرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله في وَجَعِه الّذي تُوفّيَ فيه، فقال له النّاس: يا أبا الحسن، كيف أصبَح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا. فأخذ العبّاس بيده، وقال: ألا تَرَى أنّك بعد ثلاث عبدُ العصا! إنّي لأعرِف الموت في وجوه بني عبد المطّلب، فاذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسَلْه فيمنْ يكون هذا الأمر، فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٠٤ـ١٨٠٦.

٢ ـ هجر، أي اختلف كلامه.

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٠٦.

غيرنا وصّى بنا، فقال عليّ: أخشى أن أساله فيمنعنَاها فلا يعطيناها النّاسُ أبدًا.[١]

وروت عائشة قالت: أغْمِي على رسول الله ﷺ والدّار مملوءةٌ من النّساء: أمّ سلمة، وميمونة، وأسماء بنت عُميس، وعندنَا عمّه العبّاس بن عبد المطلّب، فأجمعوا على أن يلدُّوه، فقال العبّاس: لا ألدُّه، فلدُّوه، فلمّا أفاق قال: مَنْ صنع بي هذا؟ قالوا: عمّك، قال لنا: هذا دواء جاءنا من نحو هذه الأرض ـ وأشار إلى أرض الحبشة ـ قال: فلِمَ فعلتم ذلك؟ فقال العبّاس: خشينا يا رسول الله، أن يكون بك ذات الجَنْبِ، فقال: «إنّ ذلك لداءٌ ما كان الله ليقذفني به، لايبقي أحدٌ في البيت إلّا لدّ إلّا عمّي». قال: فلقد لُدّت ميمونة وإنّها لصائمة لقسَم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعُوا.

قال أبو جعفر: وقد وردت رواية أخرى عن عائشة، قالت: لَدَدْنا رسول الله ﷺ في مرضه، فقال: لاتلدّوني، فقلنا: كراهيّة المريض للدّواء؛ فلمّا أفاق قال: لايبقى أحدٌ إلّا لُدّ غير العبّاس عمّي فإنّه لم يشهدكم.

قال أبو جعفر: والّذي تولّى اللّدود[٢] بيده أسماء بنت عميس.

قلت: العَجَب من تناقُض هذه الرّوايات! في إحداها أنّ العبّاس لم يشهد اللّدود، فلذلك أعفَاه رسول الله ﷺ من أن يُلَدَّ ولدّ مَنْ كان حاضرًا، وفي إحداها أنّ العبّاس حضر لدّه عليه السلام، وفي هذه الرّواية الّتي تتضمّن حضور العبّاس في لَدّه كلام مختلف، فيها أنّ العبّاس قال: لا ألدّه، ثمّ قال: فلدّ فأفاق، فقال: مَنْ صنع بي هذا؟ قالوا: عمّك، إنّه قال: هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لذات الجَنْب؛ فكيف يقول: لا ألدّه، ثمّ يكون هو الّذي أشار بأن يلَدّ، وقال: هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة لكذا!

وسألت النّقيب أباجعفر يحيى بن أبي زيد البصريّ عن حديث اللّدود، فقلت: ألُدَّ عليّ بن أبي طالب ذلك اليوم؟ فقال: معاذ الله! لو كان لُدّ لذكرتْ عائشة ذلك فيما

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٠٧.

٢ ـ اللّدود، بالفتح من الأدوية: ما يسقاه المريض في أحد شقّي الفم.

تذكره وتنعّاه عليه. قال: وقد كانت فاطمة حاضرةً في الدّار، وابناها معها، أفتراها لُدَت أيضًا، ولدَ الحسنُ والحسين! كلّا، وهذا أمر لم يكن، وإنّما هو حديث ولَده مَنْ ولَده تقرّبًا إلى بعض النّاس، والّذي كان أنّ أسماء بنت عُميس أشارت بأنْ يُلدَ، وقالت: هذا دواء جاءنا من أرض الحبشة جاء به جعفر بن أبي طالب، وكان بَعْلها، وساعدتها على تصويب ذلك والإشارة به ميمونة بنت الحارث، فلُدَ رسولُ الله ﷺ، فلمّا أفاق أنكره، وسأل عنه فذكر له كلام أسماء، وموافقة ميمونة لها، فأمر أن تُلَدَ الامرأتان لا غير، فلُدتا ولم يجرِ غير ذلك. والباطل لا يكاد يخفى على مستبصر.

وروت عائشة، قالت: كثيرًا ما كنتُ أسمع رسول الله يقول: إنّ الله لم يقبض نبيًّا حتّى يخيّره، فلمّا احتضر رسولُ الله ﷺ كان آخر كلمة سمعتُها منه: «بل الرَّفيق الأعلى»، فقلت: إذًا والله لا يختارنا، وعلمتُ أنّ ذلك ما كان يقوله من قبل[1].

وروى الأرقم بن شُرَحبيل، قال: سألتُ ابنَ عبّاس رضي الله عنه: هل أوصَى رسولُ الله ﷺ؟ فقال: لا، قلت: فكيف كان؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتابًا لا تضلّون بعده»، فقالت عائشة: ألا نبعث إليك أبا بكر؟ فسكت، فقلت: ألا نبعث إليك عمر؟ فسكت، فقال: «لا، ولكن ادعوا لي عليًّا»، فقالت عائشة: لو بعثتَ إلى أبي بكر! وقالت حفصة: لو بعثتَ إلى عمر! فاجتمعوا عنده جميعًا ـ هكذا لفظ الخبر على ما أورده الطّبريّ في التّاريخ، ولم يقل: «فبعث رسول الله ﷺ إليهما» ـ قال ابن عبّاس: فقال رسولُ الله ﷺ: «انصرفوا، فإن تكن لي حاجه أبعث إليكم»، فانصرفوا. وقيل لرسول الله: الصّلاة! فقال: «مروا أبا بكرٍ أن يصلّي بالنّاس»، فقالت عائشة: إنّ أبا بكر رجل رقيق فمرّ عمر، فقال: مروا عمر، فقال عمر: ما كنت لأتقدّم وأبو بكر شاهد، فتقدّم أبو بكر، فوجد رسولُ الله ﷺ خفّة، فخرج، فلمّا سمع أبو بكر حركَتَهُ تأخّر، فجذب رسول الله ﷺ ثوبه، فأقامه مكانه، وقعد رسول الله ﷺ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر[2].

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨١٠.

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨١١ ـ ١٨١٢.

قلت: عندي في هذه الواقعة كلام، ويعترضني فيها شكوك واشتباه؛ إذا كان قد أراد أن يبعث إلى عليّ ليوصِيَ إليه، فنفَسَتْ عائشة عليه، فسألت أن يحضُر أبوها، ونَفَست حفصة عليه، فسألت أن يحضر أبوها، ثمّ حضرا ولم يُطْلبا، فلا شبهة أنّ ابنتيهما طلبتاهُما. هذا هو الظّاهر، وقول رسول الله ﷺ وقد اجتمعوا كلّهم عنده: «انصرفوا فإنْ تكن لي حاجة بعثت إليكم»، قول مَنْ عنده ضَجَر وغضب باطن لحضورهما، وتُهمة للنِّساء في استدعائهما، فكيف يطابق هذا الفعل وهذا القول ما روِي من أنّ عائشة قالت لمّا عيّن على أبيها في الصّلاة: إنّ أبي رجلٌ رقيق، فمرّ عمر! وأين ذلك الحرص من هذا الاستعفاء والاستقالة! وهذا يُوهم صحّة ما تقوله الشّيعة من أنّ صلاةأبي بكر كانت عن أمرِ عائشة، وإن كنت لاأقول بذلك، ولاأذهب إليه، إلّاأنّ تأمّل هذا الخبر ولَمْحَ مضمونه يُوهِم ذلكَ، فلعلّ هذا الخبر غير صحيح.

وأيضًا ففي الخبر ما لايجيزه أهلُ العدل، وهو أن يقول: «مروا أبا بكر»، ثمّ يقول عَقِيبة: «مروا عمر»، لأنّ هذا نسخُ الشّيء قبل تقضِّي وقت فعله.

فإن قلتَ: قد مضى من الزّمان مقدارُ ما يمكّن الحاضرين فيه أن يأمروا أبا بكر، وليس في الخبر إلّاأنّه أمرهم أن يأمروه، ويكفي في صحّة ذلك مضيّ زمان يسير جدًّا يمكن فيه أن يقال: يا أبا بكر صلِّ بالنّاس.

قلتُ: الإشكال ما نشأ من هذا الأمر، بل من كَوْن أبي بكر مأمورًا بالصّلاة، وإن كان بواسطة، ثمّ نُسِخ عنه الأمر بالصّلاة قبل مضيّ وقت يمكن فيه أن يفعل الصّلاة.

فإن قلتَ: لمَ قلتَ في صدر كلامك هذا: إنّه أراد أن يبعث إلى عليّ ليوصِيَ إليه؟ ولم لايجوز أن يكون بعث إليه لحاجة له؟

قلت: لأنّ مخرج كلام ابن عبّاس هذا المخرج، ألا ترى أنّ الأرقم بن شُرحبيل الرّاوي لهذا الخبر قال: سألتُ ابن عبّاس: هلْ أوصَى رسولُ الله ﷺ؟ فقال: لا، فقلت: فكيف كان؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ابعثوا إلى عليّ فادعُوه»، فسألته المرأة أن يبعث إلى أبيها، وسألته الأخرى أن يبعث إلى أبيها، فلولا أنّ ابن

عبّاس فَهِم من قوله ﷺ: «ابعثوا إلى عليّ فادعوه» أنّه يريد الوصيّة إليه، لمّا كان لإخبار الأرقم بذلك متّصلًا بسؤاله عن الوصيّة معنًى.

وروى القاسم بن محمّد بن أبي بكر، عن عائشة، قالت: رأيتُ رسول الله ﷺ يموت وعنده قَدَحٌ فيه ماء يُدخل يده في القَدَح ثمّ يمسح وجهه بالماء، ويقول: «اللّهمّ أعنّي على سَكْرة الموت!»[1].

وروى عُروة عن عائشة، قالت: اضطجع رسولُ الله ﷺ يوم موتِه في حِجْري، فدخل عَلَيّ رجلٌ من آل أبي بكر، في يدِه مسواك أخضر، فنظر رسولُ الله ﷺ إليه نظرًا عرفت أنّه يريده، فقلت له: أتحبّ أن أعطيَك هذا المسواك؟ قال: نعم، فأخذته فمضغتُه حتّى ألنته ثمّ أعطيته إيّاه، فاستنّ به كأشدّ ما رأيته يستنّ بسواك قبله، ثمّ وضعه، ووجدتُ رسول الله ﷺ يثقُل في حِجْري، فذهبت أنظر في وجهِه، فإذا بصرُه قد شخص، وهو يقول: «بل الرَّفيق الأعلى من الجنّة»! فقلت: لقد خُيِّرتَ فاخترت والّذي بعثك بالحقّ! وقبض رسول الله ﷺ[2].

قال الطّبريّ: وقد وقع الاتّفاق على أنّه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأوّل، واختلف في أيّ الأثنين كان؟ فقيل: لليلتين خَلَتا من الشّهر، وقيل: لاثنتيْ عشرة[3] خَلَتْ من الشّهر. واختلف في تجهيزه أيّ يوم كان! فقيل: يوم الثّلاثاء الغد من وفاته، وقيل: إنّما دفن بعد وفاته بثلاثة أيّام، اشتغل القوم عنه بأمر البيعة.

وقد روى الطّبريّ مايدلُّ على ذلك عن زياد بن كُلَيب، عن إبراهيم النَّخَعِيّ أنّ أبا بكرٍ جاء بعد ثلاث إلى رسول الله ﷺ، وقد اربدّ بطنُه، فكشف عن وجهه، وقبّل

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ٣: ١٨١٢.

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨١٤.

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨١٥.

عينيه، وقال: بأبي أنت وأمّي! طبتَ حيًّا وطبتَ مَيّتًا[1]!

قلت: وأنا أعجبُ من هذا! هبْ أنّ أبا بكر ومَنْ معه اشتغلوا بأمر البيعة، فعليّ بن أبي طالب والعبّاس وأهل البيت بماذا اشتغلُوا حتّى يبقى النّبيّ ﷺ مسجًّى بينهم ثلاثة أيّام بلياليهنّ لا يغسلونه ولا يمسّونه!

فإن قلت: الرّواية الّتي رواها الطّبريّ في حديث الأيّام الثّلاثة، إنّما كانت قبل البيعة؛ لأنّ لفظ الخبر عن إبراهيم، وأنّه لمّا قُبِض النّبيّ ﷺ كان أبو بكر غائبًا فجاء بعد ثلاث، ولم يجترئ أحدٌ أن يكشِفَ عن وجهه عليه السلام حتّى ارْبدّ بطنه، فكشف عن وجهه وقبّل عينيه، وقال: بأبي أنت وأمّي! طبت حيًّا وطبت ميّتًا، ثمّ خرج إلى النّاس، فقال: مَنْ كان يعبدُ محمّدًا، فإنّ محمّدًا قد مات... الحديث بطوله.

قلت: لَعمري، إنّ الرّواية هكذا أوردها، ولكنّها مستحيلة، لأنّ أبا بكر فارق رسول الله ﷺ وهو حيّ، ومضى إلى منزله بالسُّنح في يوم الأثنين، وهو اليوم الّذي مات فيه رسول الله ﷺ، لأنّه رآه بارئًا صالح الحال. هكذا روى الطّبريّ في كتابه، وبين السُّنح وبين المدينة نصف فرسخ، بل هو طائفة من المدينة، فكيف يبقَى رسولُ الله ﷺ ميّتًا يوم الاثنين ويوم الثّلاثاء ويوم الأربعاء لا يعلم به أبو بكر، وبينهما غَلْوة ثلاثة أسهم! وكيف يبقى طريحًا بين أهله ثلاثة أيّام لا يجترئ أحدٌ منهم أن يكشِف عن وجهه، وفيهم عليّ بن أبي طالب وهو رُوحه بين جنبيه، والعبّاس عمّه القائم مقام أبيه، وابنا فاطمة، وهما كولَديه، وفيهم فاطمة بَضْعة منه، أفما كان في هؤلاء مَنْ يكشف عن وجهه، ولا مَنْ يفكّر في جهازه، ولا مَنْ يأنف له من انتفاخ بطنه واخضرارها وينتظر بذلك حضورَ أبي بكر ليكشِفَ عن وجهه!

أنا لا أصدّق ذلك، ولا يسكنُ قلبي إليه. والصّحيح أنّ دخول أبي بكر إليه وكشفه عن وجهه، وقوله ما قال، إنّما كان بعد الفراغ من البيْعة، وأنّهم كانوا مشتغلين بها كما

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨١٧.

ذكر في الرّواية الأخرى.

وبقي الإشكال في قعود عليّ عليه السلام عن تجهيزه. إذا كان أولئك مشتغلين بالبَيْعة، فما الّذي شغله هو؟

فأقول: يغلب على ظنّي ـ إنْ صحّ ذلك ـ أن يكون قد فعله شناعة على أبي بكر وأصحابه، حيث فاته الأمر، واستُؤثر عليه به، فأراد أن يتركه صلى الله عليه وآله بحاله لا يحدث في جهازه أمرًا ليثبت عند النّاس أنّ الدُّنيا شغلتهم عن نبيّهم ثلاثة أيّام، حتّى آل أمره إلى ما ترون؛ وقد كان عليه السلام يتطلّب الحيلة في تهجين أمرِ أبي بكر حيث وقع في السَّقيفة ما وقع بكلّ طريق، ويتعلّق بأدنى سببٍ من أمورٍ كان يعتمدها، وأقوالٍ كان يقولها، فلعلّ هذا من جُمْلة ذلك، أو لعلّه إنْ صحّ ذلك، فإنّما تركه صلى الله عليه وآله بوصيّة منه إليه وسرٍّ كانا يعلمانه في ذلك.

فإن قلت: فلِمَ لا يجوز أن يقال ـ إن صَحّ ذلك ـ: إنّه[1] أُخِّرَ جهازه ليجتمع رأيه ورأى المهاجرين على كيفيّة غسله وتكفينه، ونحو ذلك من أموره؟

قلت: لأنّ الرّواية الأولى تبطل هذا الاحتمال، وهي قوله صلى الله عليه وآله لهم قبل موته: «يغسلني أهلي الأدنى منهم فالأدنى، وأكفّن في ثيابي أو في بياض مصر أو في حلّة يمنيّة».

قال أبوجعفر: فأمّا الّذين تولّوا غَسْله فعليّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطّلب، والفضل بن العبّاس، وقُثَم بن العبّاس، وأسامة بن زيد، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، وحضر أوْس بن خوليّ أحد الخزرج، فقال لعليّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا عليّ وحظّنا من رسول الله! وكان أوْس من أصحاب بدر، فقال له: ادْخل، فدخل فحضر غسله عليه الصّلاة و السّلام، و صبّ الماء عليه أسامة و شُقران، و كان عليّ عليه السلام يغسله وقد أسنده إلى صدره، وعليه قميصُه يدلّكه من ورائه، لا يفضي بيده

---

١ ـ ساقط من ب، وأثبته من ا.

إلى بدن رسول الله ﷺ، وكان العبّاس و ابناه الفضل وقُثَم يساعدونه على قَلْبه من جانب إلى جانب[١].

قال أبوجعفر: وروت عائشة أنّهم اختلفوا في غَسْله: هل يجرّد[٢] أم لا؟ فألقى الله عليهم السِّنة حتّى ما منهم رجل إلّا وذقنه على صدره، ثمّ كلّمهم متكلّم من ناحية البيت لايدرَى مَنْ هو: غسّلوا النّبيّ وعليه ثيابه. فقاموا إليه فغسّلوه، وعليه قميصه، فكانت عائشة تقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرتُ، ما غسله إلّا نساؤه[٣].

قلت: حضرتُ عند محمّد بن معدّ العلويّ في داره ببغداد، وعنده حسن بن معالي الحِلّيّ المعروف بابن الباقلاويّ، وهما يقرآن هذا الخبر، وهذه الأحاديث من تاريخ الطّبريّ، فقال محمّد بن معدّ لحسن بن معالي: ما تراها قصدَتْ بهذا القول؟ قال: حسدت أباك على ما كان يفتخر به من غَسْل رسول الله ﷺ! فضحك محمّد، فقال: هبها، استطاعت أن تزاحمه في الغسل، هل تستطيع أن تزاحمه في غيره من خصائصه!

قال أبوجعفر الطّبريّ: ثمّ كُفّن عليه الصّلاة و السلام في ثلاثة أثواب: ثوبين صُحاريّين[٤] وبُرْد حبرة[٥] أدرج[٦] فيها إدراجًا، ولُحِد له على عادة أهل المدينة، فلمّا فرغوا منه وضعوه على سريره[٧].

واختلفوا في دَفْنه، فقال قائل: ندفنه في مسجدِه، وقال قائل: ندفنه في البَقيع مع أصحابه، وقال أبو بكر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما قُبِض نبيٌّ إلّا ودُفن حيث

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٠ـ١٨٣٣.

٢ ـ الطّبريّ: «أنجرد».

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣١.

٤ ـ صحاريّان: منسوبان إلى صحار، قرية باليمن.

٥ ـ حبرة بوزن عنبة، أي مخطّط، وهو برد يمان أيضًا على الوصف أو الإضافة.

٦ ـ أي لُفّ فيه.

٧ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣١.

قُبِض»، فرفع فراش رسول الله الّذي تُوفِّي فيه، فحفرَ له تحته.

قلت: كيف اختلفوا في موضع دفنه، وقد قال لهم: «فضعوني على سريري في بيتي هذا، على شفير قبري»، وهذا تصريح بأنّه يُدفن في البيت الّذي جمعهم فيه، وهو بيت عائشة؛ فإمّا أن يكون ذلك الخبر غيرَ صحيح، أو يكون الحديث الّذي تضمّن أنّهم اختلفوا في موضع دفنه، وأنّ أبا بكر رَوَى لهم أنّه قال: «الأنبياء يدفنون حيث يموتون» غيرَ صحيح، لأنّ الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن.

وأيضًا، فهذا الخبر ينافي ما ورَد في موت جماعةٍ من الأنبياء نُقلوا من موضع موتهم إلى مواضع أُخَر، وقد ذكر الطّبريّ بعضهم في أخبار أنبياء بني اسرائيل.

وأيضًا فلو صحّ هذا الخبر لم يكن مقتضيًا إيجاب دفنِ النّبيّ ﷺ حيث قُبِض، لأنّه ليس بأمرٍ، بل هو إخبار محض، اللّهمّ إلّا أنْ يكونوا فهمُوا من مخرج لفظه عليه السلام ومن مقصده أنّه أراد الوصيّة لهم بذلك، والأمر بدفنه حيث يقبض.

قال أبوجعفر: ثمّ دخل[1] النّاس فصلّوا عليه أرسالًا، حتّى إذا فرغ الرّجال أدخل النّساء، حتّى إذا فرغ النّساء أدخل الصّبيان، ثمّ أدخِل العبيد، ولم يؤمّهم[2] إمام، ثمّ دفن عليه السلام وَسَط اللّيل من ليلة الأربعاء[3].

قال أبوجعفر: وقد روت عَمْرة بنت عبد الرّحمان بن أسعد بن زُرارة، عن عائشة قالت: ما علمْنا بدفن رسول الله ﷺ حتّى سمعنا صوت المساحي في جَوْف اللّيل ليلةَ الأربعاء[4].

قلت: وهذا أيضًا من العجائب، لأنّه إذا مات يوم الاثنين وقتَ ارتفاع الضُّحَى ـ

---

١ ـ الطّبريّ: «ودخل».

٢ ـ الطّبريّ: «ولم يؤم النّاس».

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٢.

٤ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٣.

كما ذكر في الرّواية ــ ودفن ليلة الأربعاء وسَط اللّيل، فلم يمض عليه ثلاثة أيّام كما ورد في تلك الرّواية.

وأيضًا فمن العجَب كَوْن عائشة، وهو في بيتها لا تعلم بدفنه حتّى سمعت صوتَ المساحي، أتراها أين كانت! وقد سألتُ عن هذا جماعة، فقالوا: لعلّها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء كما جرت عادة أهل الميّت؛ وتكون قد اعتزلت بيتَها وسكنت ذلك البيت، لأنّ بيتَها مملوء بالرّجال من أهل رسول الله عليه السلام وغيرهم من الصَّحابة، وهذا قريب، ويحتمل أن يكون.

قال الطّبريّ: ونزل في قبرِ رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والفضل بن عبّاس، وقُثم أخوه، وشُقران مولاهم. وقال أوس بن خوليّ لعليّ عليه السلام: أنشدُك الله يا عليّ و حَظّنا من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: انزل، فنزل مع القوم، وأخذ شُقران قطيفة كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلبسها، فقذفها معه في القبر، وقال لا يلبَسُها أحد بعده [1].

قلت: مَنْ تأمّل هذه الأخبار، علم أنّ عليًّا عليه السلام كان الأصل والجملة والتّفصيل في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وجهازه، ألا ترى أنّ أوسَ بن خوليّ لا يخاطب أحدًا من الجماعة غيرَه، ولا يسأل غيره في حضور الغسل والنّزول في القبر! ثمّ انظر إلى كرم عليّ عليه السلام وسَجاحة أخلاقه وطهارة سَيْمته، كيف لم يضنّ بمثل هذه المقامات الشّريفة عن أوس؛ وهو رجل غريب من الأنصار، فعرف له حقّه و أطلبه [2] بما طلبه! فكَمْ بين هذه السَّجيّة الشّريفة، وبين قول مَنْ قال: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا نساؤه! ولو كان في ذلك المقام غيره من أُولِي الطّباع الخشنة، وأربات الفظاظة والغلظة، وقد سأل أوس ذلك لزجر وانتهر ورجع خائبًا!

قال الطّبريّ: وكان المغيرة بن شعبة يدّعي أنّه أحدثُ النّاس عهدًا برسول الله صلى الله عليه وآله

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٣.

٢ ـ أطلبه: أجابه إلى ما طلب.

ويقول للنّاس: إنّني أخذت خاتمي فألقيته في القبر، وقلت: إنّ خاتمي قد سقط منّي، وإنّما طرحته عمدًا؛ لأمسّ رسول الله ﷺ، فأكون آخر النّاس به عهدًا[1].

قال الطّبريّ: فرَوَى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: اعتمرتُ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام في زمان عمر ـ أو عثمان ـ فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبي طالب، فلمّا فرغ من عُمرته رجع وقد سكب له غسل، فلمّا فرغ من غسله دخل عليه نَفَرٌ من أهل العراق، فقالوا: يا أبا الحسن، جئناك نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به! فقال: أظنّ المغيرة يحدّثكم أنّه أحدَثُ النّاس عهدًا برسول الله ﷺ! قالوا: أجل، عن ذا جئنا نسألك! قال: كذب! أحدثُ النّاس عهدًا برسول الله ﷺ قُثَم بن العبّاس، كان آخرنا خروجًا من قبره[2].

قلت: بحقّ ما عاب أصحابُنا رحمهم الله المغيرة وذمّوه وانتقصوه! فإنّه كان على طريقة غير محمودة، وأبى الله إلّا أن يكونَ كاذبًا على كلّ حال، لأنّه إن لم يكن أحدثهم بالنّبيّ عهدًا، فقد كذب في دعواه أنّه أحدثهم به عهدًا، وإن كان أحدثهم به عهدًا كما يزعم فقد اعترف بأنّه كذب في قوله لهم: «سقط خاتمي منّي»؛ وإنّما ألقاه عمدًا، وأين المغيرةُ ورسول الله ﷺ ليدّعي القرب منه، وأنّه أحدث النّاس عهدًا به! وقد علم الله تعالى والمسلمون أنّه لولا الحدَثُ الّذي أحدث، والقوم الّذين صحبهم فقتلهم غَدْرًا، واتّخذ أموالهم؛ ثمّ التجأ إلى رسول الله ﷺ ليعصِمَه لم يُسلم، ولا وطئ حصا المدينة.

قال الطّبريّ: وقد اختلف في سنّ رسول الله ﷺ، فالأكثرون أنّه كان ابنَ ثلاث وستّين سنة، وقال قوم: ابن خمس وستّين سنة، وقال قوم: ابن ستّين.

---

١ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٣.

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ١: ١٨٣٣ـ١٨٣٤.

فهذا ما ذكره الطّبريّ في «تاريخه»[1].

وروى محمّد بن حبيب في «أماليه» قال: تولّى غسل النّبيّ صلى الله عليه وآله علي عليه السلام والعبّاس رضي الله عنه.

وكان عليّ عليه السلام يقول بعد ذلك: ما شممت أطيبَ من ريحه، ولا رأيت أضوأ من وجهه حينئذٍ، ولم أره يعتاد فاه ما يعتاد أفواه الموتى.

قال محمّد بن حبيب: فلمّا كشف الإزار عن وجهه بعد غَسْله انحنى عليه، فقبّله مرارًا؛ وبكى طويلًا: وقال بأبي أنت وأمّي! طبت حيًّا وطبت ميتًّا! انقطع بموتك ما لم ينقطِعْ بموت أحد سواك من النّبوّة والأنباء وأخبار السّماء! خصّصت حتّى صرت مسلّيًا عمّن سواك؛ وعمّمت حتّى صارت المصيبة فيك سواء! ولو لا أنّك أمرت بالصّبر، ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشّئون؛ ولكن أتى ما لا يُدفع! أشكو إليك كمدًا وإدبارًا مخالفين وداء الفتنة، فإنّها قد استعرّت نارها وداؤها الدّاء الأعظم! بأبي أنت وأمّي! اذكرنا عند ربّك، واجعلنا من بالك وهَمّك!

ثمّ نظر إلى قَذَاة في عينه فلفظها بلسانه، ثمّ ردّ الإزار على وجهه.

وقد روى كثير من النّاس ندبة فاطمة عليها السلام أباها يومَ موته وبعد ذلك اليوم، وهي ألفاظ معدودة مشهورة، منها: «يا أبتاه! جنّة الخلد مثواه، يا أبتا! عند ذي العرش مأواه! يا أبتاه! كان جبرائيل يغشاه! يا أبتاه لست بعد اليوم أراه!».

ومن النّاس مَن يذكر أنّها كانت تشوبُ هذه النّدبة بنوع من التّظلّم والتّألّم لإمر يغلبها. والله أعلم بصحّة ذلك.

والشّيعة تروي أنّ قومًا من الصّحابة أنكروا بكاءها الطّويل، ونهوْها عنه، وأمروها بالتّنحّي عن مجاورة المسجد إلى طرف من أطراف المدينة.

وأنا أستبعد ذلك، والحديث يدخله الزّيادة والنُّقصان، ويتطرّق إليه التّحريف

---

١ ـ نفس المرجع ١: ١٨٣٤ـ ١٨٣٥.

والافتعال، ولاأقول أنا في أعلام المهاجرين إلّا خيرًا! (١٣: ٢٤ ـ ٤٣)

الفصل الرّابع ـ[اختلاف الرّأي في الخلافة بعد وفاة رسول الله ﷺ]

لمّا قبض رسول الله ﷺ، واشتغل عليّ عليه السلام بغسله ودفنه، وبُويع أبو بكر؛ خلا الزُّبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين بعبّاس وعليّ عليه السلام، لإجالة الرّأي، وتكلّموا بكلام يقتضي الاستنهاضَ والتّهييج، فقال العبّاس رضي الله عنه: قد سمعنا قولَكم فلا لِقِلّة نستعين بكم، ولا لِظِنّةٍ نترك آراءكم، فأمهلونا نراجع الفكر؛ فإن يكنْ لنا من الإثم مخرج يصرّبنا وبهم الحقّ، صَرِيرالجدجد، ونبسط إلى المجد أكُفًّا لا نقبضُها أو نبلغَ المدى، وإن تكن الأخرى، فلا لقِلّة في العدد ولالوَهَنٍ في الأيد، والله لو لا أنّ الإسلام قَيَد الفتك، لتدكدكت جنادل صخريسمع اصطكاكها من المحلّ العليّ.

فحلّ عليّ عليه السلام حَبْوته، وقال: الصَّبْرحلم، والتّقوى دين، والحجّة محمّد، والطّريق الصِّراط، أيُّها النّاس شُقُّوا أمواج الفتن ... الخطبة، ثمّ نهض فدخل إلى منزله و افترق القوم.

وقال البَراء بن عازب: لم أزل لبني هاشم محبًّا، فلمّا قبض رسول الله ﷺ خِفْتُ أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمرعنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العَجُول، مع ما في نفسي من الحُزْن لوفاة رسول الله ﷺ، فكنت أتردّد إلى بني هاشم وهم عند النّبيّ ﷺ في الحجرة، وأتفقّد وجوهَ قريش، فإنّي كذلك إذْ فقدت أبا بكروعمر، وإذا قائل يقول: القومُ في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخريقول: قد بُويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكرقد أقبل ومعه عمروأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السّقيفة، وهم محتجزون بالأزُر الصّنعانيّة لايمرُّون بأحد إلّا خبطوه،وقدّموه فمُدُّوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه؛ شاء ذلك أو أبى؛ فأنكرتُ عقلي، وخرجت أشتدُّ حتّى انتهيت إلى بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضربًا عنيفًا، وقلت: قد بايع النّاس لأبي بكربن

أبي قُحافة، فقال العبّاس: تَرِبَتْ أيديكم إلى آخر الدَّهر؛ أمّا إنّي قد أمرتُكم فعصيتُموني. فكثتُ أكابِد ما في نفسي ، ورأيت في اللَّيل المقداد وسلمان وأبا ذَرّ وعبادة بن الصّامت وأبا الهيثم بن التَّيهان وحُذَيفة وعمّارًا، وهم يريدون أن يُعِيدوا الأمرَ شورى بين المهاجرين.

وبلغ ذلك أبا بكر وعمر، فأرسلَا إلى أبي عبيدة وإلى المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرَّأى، فقال المغيرة: الرّأىُ أن تلقوا العبّاسَ فتجعلوا له ولولده في هذه الإمرة نصيبًا، ليقطعوا بذلك ناحية عليّ بن أبي طالب.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتّى دَخلوا على العبّاس، وذلك في اللّيلة الثّانية من وفاة رسول الله ﷺ، فحمِد أبو بكر الله وأثنى عليه، وقال: إنّ الله ابتعث لكم محمّدًا ﷺ نبيًّا، وللمؤمنين وليًّا؛ فمنّ الله عليهم بكَوْنه بين ظَهْرانيهم؛ حتّى اختار له ما عنده؛ فخلَّى على النّاس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متّفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم واليًا، ولأمورهم راعيًا، فتولّيت ذلك، وما أخاف بعَوْنِ الله وتسديده وَهْنًا ولا حَيْرةً ولا جُبْنًا، وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب، وما أنفكُّ يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامّة المسلمين، يتّخذكم لجأ فتكونوا حِصْنه المنيع، وخطبه البديع،فإمّا دخلتم فيما دخل فيه النّاس، أو صرفتموهم عَمّا مالوا إليه، فقد جئناك، ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبًا، ولمن بعدك من عقبك، إذ كنتَ عمَّ رسول الله ﷺ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ، ومكان أهلِك ثمّ عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بني هاشم؛ فإنّ رسول الله ﷺ منّا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال: إى والله، وأُخرى إنّا لم نأتكم حاجةً إليكم، ولكنْ كرهنا أن يكونَ الطَّعنُ فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقمَ الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامّتهم، ثمّ سكت.

فتكلّم العبّاس، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ الله ابتعث محمّدًا نبيًّا، كما وصفت، ووليًّا للمؤمنين، فمنّ الله به على أمّته حتّى اختار له ما عنده، فخلّى النّاس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحقّ مائلين عن زَيغ الهوى؛ فإن كنت برسول الله طلبت فحقّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، ما تقدّمنا في أمركم فرَطًا، ولا حللنا وسطًا، ولا نَزحْنا شَحَطًا؛ فإنْ كان هذا الأمرُ يجب لك بالمؤمنين، فما وجب؛ إذ كنّا كارهين وما أبعد قولك إنّهم طعنوا من قولك أنّهم مالوا إليك، وأمّا ما بذلْت لنا، فإن يكنْ حَقّك أعطيتَناه فأمْسِكْه عليك، وإن يكن حقّ المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن يكن حقّنا لم نَرْضِ لك ببعضه دون بعض. وما أقول هذا أرومُ صرفَك عمّا دخلت فيه، ولكنّ للحجّة نصيبها من البيان. وأمّا قولُك: إنّ رسول الله ﷺ منّا ومنكم، فإنّ رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها، وأنتُم جيرانُها، وأمّا قولك: يا عمر؛ إنّك تخاف النّاس علينا، فهذا الّذي قدمتموه أوّل ذلك، وبالله المستعان.

لمّا اجتمع المهاجرون على بَيْعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: أمّا والله إنّي لأرى عجاجة لا يطفئها إلّا الدَّم؛ يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم! أين المستضعفان؟ أين الأذلّان! يعنى عليًّا والعبّاس، ما بالُ هذا في أقلّ حيّ من قريش. ثمّ قال لعليّ: أبسط يدك أبايعك، فو الله إن شئت لأملأنّها على أبي فضيل ـ يعنى أبا بكر ـ خَيلًا ورَجلًا، فامتنع عليه عليّ عليه السلام، فلمّا يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمّس:

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرادُ بِهِ ... إلّا الأذَلّانِ عَيْرُ الحَيّ والْوَتَدُ[1]

هذا على الخَسْفِ مربوط برُمَّتِهِ ... وَذَا يُشَجُّ فلا يَرْثِي لَهُ أحَدُ[2]

---

١ ـ معاهد التّنصيص٢: ٣٠٦. والعير هنا: الحمار.

٢ ـ الخسف: النّقيصة. والرّمة: القطعة من الحبل.

قيل لأبي قُحافة يوم ولي الأمر ابنُه: قد ولّى ابنك الخلافة، فقرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾[1]، ثمّ قال: لِمَ ولّوه؟ قالوا: لسِنّه، قال: أنا أسنّ منه. نازع أبو سفيان أبا بكر في أمر فأغلظ له أبو بكر، فقال له أبو قحافة: يا بنيّ، أتقول هذا لأبي سُفيان شيخ البطحاء! قال: إنّ الله تعالى رَفع بالإسلام بيوتًا، ووضع بيوتًا، فكان ممّا رفع بيتُك يا أبت، وممّا وضع بيتُ أبي سفيان. (١: ٢١٨ ـ ٢٢٢)

الفصل الخامس ـ [الأوّل: حديث السّقيفة]

اختلفت الرّوايات في قصّة السّقيفة، فالّذي تقوله الشّيعة ـ وقد قال قوم من المحدِّثين بعضَه و رووا كثيرًا منه ـ أنّ عليًا عليه السلام امتنع من البَيْعة حتّى أخرج كُرهًا، وأنّ الزُّبيرَ بن العوّام امتنع من البيعة، وقال: لا أبايع إلّا عليًا عليه السلام، وكذلك أبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس، والعبّاس بن عبد المطّلب وبنوه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب، وجميعُ بني هاشم. وقالوا: إنّ الزُّبَير شَهَر سيفه، فلمّا جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم، قال في جملة ما قال: خُذُوا سيفَ هذا فاضربوا به الحجرَ. ويقال: إنّه أخذ السّيف من يد الزُّبير فضرب به حَجرًا فكسره، وساقهم كلّهم بين يديه إلى أبي بكر، فحملهم على بيعتِه ولم يتخلّف إلّا عليّ عليه السلام وحدَه، فإنّه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام، فتحامَوْا إخراجه منه قَسْرًا، وقامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فأسمَعت مَنْ جاء يطلبُه، فتفرّقوا وعلموا أنّه بمفرده لا يضرّ شيئًا، فتركوه.

وقيل: إنّهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه. وقد روى أبو جعفر محمّد ابن جرير الطَّبريّ كثيرًا من هذا.[2]

---

١ ـ آل عمران/٢٦.

٢ ـ تاريخ الطّبريّ ٣: ١٩٩ وما بعدها.

فأمّا حديث التَّحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة، وقول مَن قال: إنّهم أخذوا عليًّا عليه السلام يُقاد بعمامته والنّاس حوله؛ فأمْرٌ بعيد، والشّيعة تنفرد به، على أنّ جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه، وسنذكر ذلك.

وقال أبوجعفر: إنّ الأنصار لمّا فاتَها ما طلبت من الخلافة، قالت ـ أو قال بعضها ـ: لا نبايع إلّا عليًّا. وذكر نحو هذا عليّ بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصليّ في تاريخه.[1]

فأمّا قولُه: «لم يكن لي مُعين إلّا أهل بيتي فضنِنْتُ بهم عن الموت» فقولٌ ما زال عليّ عليه السلام يقوله، لقد قاله عَقِيبَ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: لَوْ وَجَدتُ أربعين ذوي عزم!

ذكر ذلك نصر بن مُزاحم في كتاب «صفّين»، وذكره كثير من أرباب السّيرة.

وأمّا الّذي يقوله جمهور المحدّثين وأعيانهم، فإنّه عليه السلام امتنع من البيعة ستّة أشهر، ولزِم بيتَه، فلم يبايع حتّى ماتت فاطمة عليها السلام، فلمّا ماتت بايع طوعًا.

وفي صحيحيْ مسلم والبخاري: كانت وجوه النّاس إليه و فاطمة باقية بعدُ، فلمّا ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه النّاس عنه، وخرَج من بيته فبايع أبا بكر، وكانت مدّةُ بقائها بعد أبيها عليه الصّلاة والسّلام ستّة أشهر.[2]

وروى أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ في التّاريخ، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال لي عبد الرّحمان بن عوف: وقد حَجَجْنا مع عمر[3] شهدت اليومَ أمير المؤمنين بمنى،

---

١ ـ الكامل ٢: ٢٢٠ وما بعدها.

٢ ـ صحيح البخاريّ بسنده عن عائشة في كتاب المغازي ٣: ٥٥ ، وصحيح مسلم بسنده أيضًا عن عائشة، في كتاب الجهاد والسّير ٣: ١٣٨.

٣ ـ صدر الخبر في الطّبريّ: «عن ابن عبّاس، قال كنت أقرىء عبدالرّحمان بن عوف، قال: فحجّ عمر وحججنا معه، قال: فإنّي لفي منزل بمنى إذ جاءني عبد الرّحمان بن عوف فقال: شهدت».

وقال له رجل [١]: إنّي سمعتُ فلانًا يقول: لو قد مات عمر لبايعتُ فلانًا، فقال عمر[٢]: إنّي لقائم العشيّةَ في النّاس أُحذِّرهم هؤلاء الرَّهْطَ الّذين يريدون أن يغتصبوا النّاس أمرَهم. قال عبد الرّحمان: فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ الموسمَ يجمع رَعاع النّاس وغَوْغاءهم، وهم الّذين يقرِبون من مجلسك ويغلبون عليه، وأخاف أن يقولوا مقالة لا يَعونها ولا يحفظونها فيطيروا بها [٣] ولكن أمهلْ حتّى تقدَم المدينة[٤] وتخلَص بأصحاب رسول الله، فتقول [ما قلت متمكّنًا] [٥]،فيسمعوا[٦] مقالتك. فقال: والله لأقومَنّ بها أوّلَ مَقامٍ أقومُه بالمدينة.

قال ابن عبّاس: «فلمّا قدمناها، هجَّرتُ يوم الجمعة لحديث»[٧] عبد الرّحمن، فلمّا جلس (عمر على المنبر حمد الله وأثنى عليه،ثمّ قال[٨] بعد أن ذكر الرَّجْم وحدّ الزِّنا: إنّه

---

١ ـ الطّبريّ: «وقام إليه رجل فقال».

٢ ـ الطّبريّ: «فقال أمير المؤمنين».

٣ ـ عبارة الطّبريّ: «وإنّهم الّذين يغلبون مجلسك، وإنّي لخائف إن قلت اليوم مقالة ألّا يعوها ولا يحفظوها، ولا يضعوها على مواضعها، وأن يطيروا بها كلّ مطير».

٤ ـ الطّبريّ: «دار الهجرة والسّنّة».

٥ـ تكملة من تاريخ الطّبريّ.

٦ ـ الطّبريّ: «فيعوا».

٧ ـ الطّبريّ: «فلمّا قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة هجرت للحديث الّذي حدّثنيه عبد الرّحمان فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتّهجير، فجلست».

٨ ـ عبارة الطّبريّ: «فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتّهجير،فجلست إلى جنبه عند المنبر، ركبتي ركبتي إلى ركبته، فلمّا زالت الشّمس لم يلبث عمر أن خرج، فقلت لسعيد وهو مقبل: ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالة لم تقل قبله، فغضب وقال: فأيّ مقالة يقول لم تقل قبله! فلمّا جلس عمر على المنبر أذّن المؤذّنون، فلمّا قضى المؤذّن أذانه قام عمر، فحمد الله وأثنى عليه وقال...».

بلَغني أنّ قائلًا منكم يقول: لو مات أميرُ المؤمنين بايعت فلانًا، فلا يغرّنّ امرأ أن يقول: إنّ بيعةَ أبي بكر كانت فَلْتَةً، فلقد كانت كذلك ؛ ولكنّ[1] الله وقى شرّها، وليس فيكم مَنْ تُقَطَّع إليه الأعناقُ كأبي بكر، وإنّه كان من خبَرنا حين توفّي رسول الله ﷺ. أنّ عليًا والزُّبير تخلّفا عنّا في بيت فاطمة ومَنْ معهما، وتخلّفت عَنّا الأنصار، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت له: انطلق بنا إلى أخواننا من الأنصار. فانطلقنا نحوهم، فلقِيَنا رجُلان صالحان من الأنصار قد شهدا بدرًا: أحدهما عُوَيم بن ساعدة، والثّاني مَعَن بن عَديّ، فقالا لنا: ارْجعوا فاقضوا أمرَكم بينكم[2] فأتينا الأنصار، وهم مجتمعون في سَقيفة بني ساعدة، وبين أظهرهم رجل مُزَمّل، فقلت: مَن هذا؟ (قالوا: سعد بن عبادة وجِع)[3] فقام رجل منهم، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: أمّا بعدُ، فنحن الأنصار، وكتِيبة الإسلام وأنتم يا معشر قريش رَهْطُ نبيّنا، قد دفّت إلينا دافّة من قومكم[4] فإذا أنتم تريدون أن تغصبونا الأمر.

فلمّا سكت، (وكنت قد زوّرت في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر)[5]، فلمّا ذهبت أتكلّم، قال أبو بكر: عَلَى رِسْلك! فقام فحمد الله وأثنى عليه، فما ترك شيئًا كنت زَوّرت[6] في نفسي إلّا جاء به أو بأحسنَ منه، وقال: يا معشرَ الأنصار، إنّكم لا تَذْكرون فضلًا إلّا وأنتم له أهل، وإنّ العربَ لا تعرِف هذا الأمرَ إلّا لقريشٍ ، أوسطِ العرب دارًا و نسبًا، وقد رَضِيتُ لكم أحدَ هذيْن الرَّجلين.

---

١ ـ الطَبريّ: «غير أن».

٢ ـ بعدها في الطَبري: «فقلنا والله لنأتينّهم».

٣ ـ عبارة الطَبريّ: «فقلت: ماشأنه؟ قالوا: وجع».

٤ ـ الدّافّة: الجماعة من النّاس تقبل من بلد إلى بلد.

٥ ـ الطَبريّ: «قال فلمّا رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر، وقد كنت زوّرت في نفسي مقالة أقدّمها بين يدي أبي بكر».

٦ ـ زوّرت في نفسي كلامًا، أي هيّأت وأصلحت، والتّزوير: إصلاح الشّيء.

وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجرّاح ـ والله ما كرِهْتُ من كلامه غيرَها ؛ إنْ كنتُ لأُقَدَّم فتضربُ عُنقي فيما لايقرّبني إلى إثم ؛ أحبّ إليّ من أن أؤمَّر على قوم فيهم أبو بكر. فلمّا قضى أبو بكر كلامه، قامَ رجل[1] من الأنصار، فقال: أنا جُذَيلُها المحكّك، وعُذَيقُها المرجّب[2]؛ منّا أمير و منكم أمير.

وارتفعت الأصوات واللّغط، فلمّا خِفْتُ الاختلاف ، قلت لأبي بكر: ابسُط يدك أبايعْك، فبسط يده فبايعتُه وبايعه النّاس، ثمّ نزونا على سعد بن عبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعدًا ! فقلت: اقْتلوه قَتَلَه الله، وإنّا والله ما وجدنا أمرًا هو أقوى من بيعة أبي بكر، خشِيت إن فارقت القوم ولم تكن بيعة، أن يحدِثوا بعدنا بيعة، فإمّا أنْ نبايِعَهم على ما لانرضي أو نخالَفهم فيكون فساد.

هذا حديث مُتّفق عليه من أهل السّيرة وقد وردت الرّوايات فيه بزيادات.

روى المدائنيّ قال: لمّا أخذ أبو بكر بيدِ عمر و أبي عبيدة وقال للنّاس: قد رضيت لكم أحدَ هذين الرَّجلين، قال أبو عبيدة لعمر: امْدُدْ يدَك نبايعْك، فقال عمر: ما لك في الإسلام فَهَةٌ [3] غيرها. أتقول هذا وأبو بكر حاضر! [4] ثمّ قال للنّاس: أيّكم يَطِيب نفسًا أن يتقدّم قدمَيْن قدّمهما رسول الله صلّى الله عليه للصّلاة؟ رضيَك رسول الله صلى الله لديننا، أ فلا نرضاك لدنيانا! ثمّ مدّ يده إلى أبي بكر فبايعه.

---

١ ـ هو الحباب بن المنذر الخزرجي، ذكره الزّمخشري في الفائق ١: ١٨١، وأورد كلامه.

٢ ـ الجذيل في الأصل: تصغير الجذل؛ وهو عود ينصب للإبل الجربي تستشفي بالاحتكاك به. والمحكك: الّذي كثر به الاحتكاك حتّى صار مملسًا. والعُذيق: تصغير العذق، وهو النّخلة. والمرجّب: المدعوم بالرّجبة؛ وهي خشبة ذات شعبتين؛ وذلك إذا كثر وطال حمله؛ والمعني أنّي ذو رأى يشفي بالاستضاءة به كثيرًا في هذه الحادثة، وأنا في كثرة التّجارب والعلم بموارد الأحوال فيها وفي أمثالها ومصادرها كالنّخلة الكثيرة الحمل. الفائق ١: ١٨١ـ١٨٢.

٣ ـ الفهَة: السّقطة والجهلة ونحوها.

٤ ـ في رواية اللّسان: «أتبايعني وفيكم الصّديق ثاني اثنين!».

وهذه الرّواية هي الّتي ذكرها قاضي القضاة ﵀ في كتاب« المغني». وقال الواقديّ في روايته في حكاية كلام عمر: والله لأن أقدّم فأُنحَرَ كما يُنحَر البعير، أحبُّ إليّ من أن أتقدّم على أبي بكر.

وقال شيخُنا أبو القاسم البلخيّ: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: إنّ الرَّجلَ الّذي قال: لو قد مات عمر لبايعت فلانًا، عمّارُ بن ياسر، قال: لو قد مات عمر لبايعت عليًّا ﷺ. فهذا القولُ هو الّذي هاج عمرَ أن خطب بما خطب به.

وقال غيره من أهل الحديث: إنّما كان المعزوم على بيعته لو مات عمر طلحة بن عبيد الله.

فأمّا حديث الفَلْتة، فقد كان سبق مِنْ عمر أن قال: إنّ بيعةَ أبي بكر كانت فَلْتة وَقَى الله شرَّها؛ فمَن عاد إلى مثلها فاقْتلوه.

وهذا الخبر الّذي ذكرناه عن ابن عبّاس وعبد الرّحمان بن عوف فيه حديث الفَلْتة؛ ولكنّه منسوِق على ما قاله أوّلًا، ألَا تراه يقول: فلا يغرّنّ امرَأً أن يقول: إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة، فلقد كانت كذلك، فهذا يُشعر بأنّه قد كان قال مِنْ قبل: إنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة.

وقد أكثر النّاس في حديث الفَلْتة، وذكرها شيوخنا المتكلّمون، فقال شيخنا أبو عليّ ﵀: الفلتة ليستِ الزّلّةَ والخطيئة، بل هي البَغْتة، وما وقع فجأة من غير رويّة ولا مشاورة، واستشهد بقول الشّاعر:

مَنْ يأمَنِ الحدَثانَ بَعْدَ صُبَيْرة القرشيِّ ماتَا[1] سَبَقَتْ مَنِيَّتُهُ المَشيبَ وكانَ مِيتَتُه افْتِلاتَا

يعني بغتة.

وقال شيخنا أبو عليّ ﵀: ذكر الرّياشيّ أنّ العرب تسمّي آخر يوم من شوّال فَلْتَةً، من حيث إنّ كلّ مَنْ لم يدرك ثأره فيه فاتَه؛ لأنّهم كانوا إذا دخلوا في الأشهر الحُرُم

---

١ ـ البيان في الكامل ٣: ٦١ ـ بشرح المرصفيّ.

لايطلبون الثّأر، وذو القعدة من الأشهر الحرم، فسمَّوْا ذلك اليوم فَلْتة، لأنّهم إذا أدركوا فيه ثأرهم، فقد أدركوا ما كان يفوتهم. فأراد عمرُ أنّ بيعة أبي بكر تَدارَكها بعد أن كادت تفوت.

وقوله: «وقَى الله شرّها» دليل على تصويب البَيْعة، لأنّ المراد بذلك أنّ الله تعالى دفع شرّ الاختلاف فيها.

فأمّا قوله: «فمَن عاد إلى مثلها فاقْتلوه»، فالمراد مَنْ عاد إلى أن يُبَايع من غير مُشاورة ولاعدد يُثبت صحّة البيعة به، ولاضرورة داعية إلى البيعة ثمّ بسط يده على المسلمين يدخلهم في البيعة قهرًا فاقتلوه[1].

قال قاضي القضاة رحمه الله: وهل يشكّ أحدٌ في تعظيم عمر لأبي بكر وطاعته إيّاه! ومعلوم ضرورةً من حال عمر إعظامُه له، والقول بإمامته والرّضا بالبيعة والثّناء عليه، فكيف يجوز أن يترك ما يُعلم ضرورة، لقولٍ محتمل ذي وجوه وتأويلات! وكيف يجوز أن تحمَل هذه اللّفظة من عمر على الذّمّ والتّخطِئة وسوء القول!

واعْلم أنّ هذه اللّفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جَبَله الله تعالى عليه من غِلظ الطّينة وجفاء الطّبيعة: ولاحيلَة له فيها؛ لأنّه مجبول عليها لا يستطيع تغييرَها، ولاريب عندنا أنّه كان يتعاطى أنْ يتلطّف، وأن يُخرجَ ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطّبع الجاسي، والغريزة الغليظة، إلى أمثال هذه اللّفظات، ولا يقصد بها سوءًا، ولايريد بها ذمًّا ولاتخطئةً، كما قدّمنا من قبلُ في اللّفظة[2] الّتي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وكاللّفظات[3] الّتي قالها عام الحديبيّة وغير ذلك، والله تعالى لايجازى المكلّف إلّا بما نواه، ولقد كانت نيّتُه من أطهرِ النّيات وأخلصها لله سبحانه وللمسلمين.

---

١ ـ نقله المرتضى في الشّافي: ٢٤١.

٢ ـ الجزء الأوّل: ١٦١.

٣ ـ انظر: سيرة ابن هشام ٣: ٣٦٥.

ومَنْ أنصف عَلم أنّ هذا الكلام حقّ، وأنّه يُغني عن تأويل شيخنا أبي عليّ.

ونحن من بعدُ نذكر ما قاله المرتضى رحمه الله في كتاب «الشافي»[1] لمّا تكلّم في هذا الموضع، قال: أمّا ما ادّعي من العلم الضروريّ برضا عمر ببيعة أبي بكر وإمامته، فالمعلوم ضرورةً بلا شبهة أنّه كان راضيًا بإمامته، وليس كلّ مَنْ رضِيَ شيئًا كان متديّنًا به، معتقدًا لصوابه؛ فإنّ كثيرًا من النّاس يرضون بأشياء من حيث كانت دافعةً لمّا هو أضرُّ منها، وإن كانوا لا يرونَها صوابًا، ولو ملكوا الاختيار لاختاروا غيرَها، وقد علمنا أنّ معاوية كان راضيًا ببيعة يزيد وولاية[2] العهد له من بعده، ولم يكن متديّنًا بذلك ومعتقدًا صحّته، وإنّما رضيَ عمر ببيعة أبي بكر، من حيث كانت حاجزةً عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، ولو ملك الاختيارَ لكان مصيرُ الأمرِ إليه[3] أسرَّ في نفسه، وأقرَّ لعينه. وإن ادّعى أنّ المعلوم ضرورةً تديّنُ عمر بإمامة أبي بكر، وأنّه أولى بالإمامة منه، فهذا مدفوع أشدّ دفْع، مع أنّه قد كان يبدر من عمر[4] في وقتٍ بعد آخر ما يدلّ على ما أوردناه.

روى الهيثم[5] بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش الهَمْدانيّ[6] عن سعيد بن جُبير، قال:

---

١ ـ كتاب الشّافي في الإمامة والنّقض على كتاب المغني للقاضي عبدالجبّار، وقد اختصره أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ المتوفّى سنة٤٦٠، وطبع الكتاب والمختصر في العجم سنة: ١٣٠١ في جزأين.

٢ ـ الشّافي: «وولايته».

٣ ـ الشّافي: «آثر».

٤ ـ الشّافي: «منه أعنّي عمر».

٥ ـ هو الهيثم بن عديّ الطّائيّ المنبجيّ الكوفيّ؛ كان أخباريًا روى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عيّاش ومجالد؛ قال ابن عديّ: إنّما هو صاحب أخبار. وقال ابن المدينيّ: هو أوثق من الواقديّ ولا أرضاه في شيء. وقال النّسائيّ: متروك الحديث. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير. توفّي سنة ٢٠٦، لسان الميزان ٤: ٢١٠.

٦ ـ في الأصول والشّافي: «عبّاس»، تصحيف؛ وهو عبد الله بن عيّاش بن عبد الله الهمدانيّ

ذُكر أبو بكر وعمر عند عبد الله بن عمر، فقال رجل: كانا والله شمسَىْ هذه الأمّة ونورَيْها، فقال ابنُ عمر: وما يُدْرِيك؟ قال الرَّجل: أو ليسَ قد ائتلفا! قال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون! أشهدُ أنّي كنتُ عند أبي يومًا، وقد أمرني أن أحبس النّاس عنه، فاستأذن عليه عبد الرّحمن بن أبي بكر، فقال عمر: دويبّة سوء، ولهو خيرٌ من أبيه، فأوحشني ذلك منه، فقلت: يا أبت، عبد الرّحمن خير من أبيه! فقال: ومَنْ ليس بخير من أبيه لا أمّ لك! ائْذن لعبد الرّحمن، فدخل عليه فكلّمه في الحُطيئة الشّاعر أنْ يرضي عنه، وقد كان عمر حبسه في شعر قاله، فقال عمر: إنّ في الحطيئة أَوَدًا[1] فدعني أُقوّمه بطول حبسه، فألحّ عليه عبد الرّحمن وأبَى عمر، فخرج عبد الرّحمن، فأقبلَ عَليّ أبي وقال: أفي غفلة أنت إلى يومك هذا عَمّا كان من تقدّم أحيمِق بني تَيم عَلَيّ وظلمه لي! فقلت: لا عِلْمَ لي بما كان من ذلك، قال: يا بُنيّ فما عسيت أن تعلم؟ فقلت: والله لَهُوَ أحبُّ إلى النّاس من ضياء أبصارهم، قال: إنّ ذلك لكذلك على رغم أبيك وسُخطه، قلت: يا أبت، أفلا تجلّى عن فعله[2] بموقفٍ في النّاس تُبيّن ذلك لهم؟ قال: وكيف لي بذلك مع ما ذكرتَ أنّه أحبُّ إلى النّاس من ضياء أبصارهم! إذن يُرْضَخ[3] رأسُ أبيك بالجندل. قال ابن عمر: ثمّ تجاسر والله فجسَر، فما دارت الجمعة حتّى قام خطيبًا في النّاس، فقال: أيُّها النّاس؛ إنّ بيعةَ أبي بكر كانت فَلْتة وقى الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقْتلوه.

وروى الهيثم بن عديّ، عن مجالد[4] بن سعيد، قال: غدوت يومًا إلى الشّعبيّ وأنا

الكوفيّ؛ كان راوية للأخبار والآداب؛ ويقع في أخباره المناكير. مات سنة ١٥٨، لسان الميزان ٣: ٣٢٢.

١ ـ الشّافي: «إنّ الحطيئة لبذيء».

٢ ـ الشّافي: «أفلا تحكي عن فعله».

٣ ـ الرّضخ: كسر الرّأس بالحجر.

٤ ـ هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانيّ الكوفيّ. قال البخاريّ: كان يحيى بن سعيد يضعّفه، وكان ابن مهديّ لا يروي عنه، وكان أحمد بن حنبل لا يراه شيئًا. وقال ابن مَعين: ضعيف واهي الحديث.

أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنّه كان يقوله، فأتيتُه وهو في مسجد حَيّه وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرّفت إليه، وقلت: أصلحك الله! كان ابن مسعود يقول: ما كنت محدِّثًا قومًا حديثًا لا تبلُغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة، قال: نعم، كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عبّاس يقوله أيضًا ـ وكان عند ابن عبّاس دفائنُ علم يعطيها أهلَها، ويصرِفها عن غيرهم ـ فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزْد، فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشّعبيّ وقال: لقد كان في صدر عمر ضِبّ[1] على أبي بكر، فقال الأزديّ: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قطّ كان أَسلسَ قيادًا لرجل، ولا أَقْوَلَ فيه بالجميل من عمر في أبي بكر، فأقبل عَلَيّ الشّعبيّ وقال: هذا ممّا سألتَ عنه، ثمّ أقبل على الرّجل وقال: يا أخا الأزْد، فكيف تصنع بالفَلْتَة الّتي وقى الله شرّها! أترى عدوًّا يقول في عدوٍّ يريد أن يهدم ما بني لنفسه في النّاس أكثر من قول عمر في أبي بكر! فقال الرّجل: سبحان الله! أنت تقول ذلك يا أبا عمرو! فقال الشّعبيّ: أنا أقوله، قاله عمر بن الخطّاب على رءوس الأشهاد، فلُمْه أو دَعْ. فنهض الرّجل مُغضَبًا وهو يُهَمْهِم في الكلام بشيء لم أفهمه. قال مجالد: فقلت للشّعبيّ: ما أحسِب هذا الرّجل إلّا سينقل عنك هذا الكلام إلى النّاس ويَبُثُّه فيهم! قال: إذَنْ والله لا أحفِلُ به، وشيء لم يحفِلْ به عمر حين قام على رءوس الأشهاد من المهاجرين والأنصار أحفِل به أنا! أذيعوه أنتم عنّي أيضًا ما بدا لَكُمْ.

وروى شريك بن عبد الله النّخعيّ[2]، عن محمّد بن عمرو بن مُرّة عن أبيه عن عبد

مات سنة ١٤٤. تهذيب التّهذيب ١٠: ٣٩.

١ ـ الضّبّ: الحقد والعداوة؛ وجمعه ضباب؛ قال الشّاعر:

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِبَابِي

٢ ـ هو شريك بن عبدالله بن أبي شريك النّخعيّ أبو عبد الله الكوفيّ؛ قال ابن مَعين: شريك صدوق ثقة؛ إلّا أنّه إذا خالف فغيره أحبّ إلينا منه. وقال ابن المبارك: شريك أعلم بحديث الكوفيّين من الثّوريّ. وقال الجوزجانيّ: شريك سيّيء الحفظ مضطرب الحديث مائل. مات سنة

الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعريّ، قال: حججتُ مع عمر، فلمّا نزلْنا وعظم النّاس خرجت من رَحْلي أريده، فلقيَني المغيرة بن شعبة، فرافقني، ثمّ قال: أين تريد؟ فقلت: أميرَ المؤمنين، فهل لكَ؟ قال: نعم، فانطلقنا نريد رَحْل عمر، فإنّا لَفي طريقنا إذ ذكرْنا تولّيَ عمر وقيامَه بما هو فيه، وحياطتَه على الإسلام، ونهوضَه بما قَبِله من ذلك، ثمّ خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لك الخير! لقد كان أبو بكر مسدَّدًا في عمر، لكأنّه ينظر إلى قيامه من بعده، وجِدّه واجتهاده وغَنائه في الإسلام فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظّ، فقلت له: لا أبا لك! ومَنِ القوم الّذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: لله أنت! كأنّك لا تعرف هذا الحيّ من قريش وما خُصّوا به من الحسد! فو الله لو كان هذا الحسدُ يُدرَك بحسابٍ لكان لقريش تسعة أعشاره، وللنّاس كلّهم عشر، فقلت: مَهْ يا مغيرة! فإنّ قريشًا بانتْ بفضلها على النّاس. فلم نزل في مثل ذلك حتّى انتهينا إلى رَحْل عمر فلم نجده، فسألنا عنه فقيل: قد خرج آنفًا، فمضَينا نقفو أثره، حتّى دخلْنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفْنا معه، فلمّا فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكّأ على المغيرة وقال: مِنْ أين جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أميرَ المؤمنين، فأتينا رَحْلك فقيل لنا: خرج إلى المسجد، فاتّبعناك. فقال: اتّبَعكما الخير، ثمّ نظر المغيرةُ إليّ وتبسّم، فرمقَه عمر، فقال: ممّ تبسَّمْتَ أيُّها العبد! فقال: مِنْ حديث كنت أنا وأبوموسى فيه آنفًا في طريقنا إليك، قال: وما ذاك الحديث؟ فقصَصْنا عليه الخبر حتّى بلغْنا ذِكر حَسَد قريش، وذِكر مَنْ أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفّس الصُّعداء ثمّ قال: ثكلتْك أُمّك يا مغيرة! وما تسعة أعشار الحسد! بل وتسعة أعشار العشر، وفي النّاس كُلّهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم أيضًا فيه! وسكت مَليًّا وهو يتهادى بيننا، ثمّ قال: ألا أخبركُما بأحْسَد قريش كُلّها؟ قلنا: بلى يا أمير

---

١٧٧. تهذيب التّهذيب ٤: ٣٣٥.

المؤمنين، قال: وعليكما ثيابكما، قلنا: نعم، قال: وكيف بذلك وأنتما ملبَسان ثيابكما؟ قلنا يا أمير المؤمنين، وما بالُ الثّياب؟ قال: خوف الإذاعة منها، قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثّياب أنت، وأنت من ملبِس الثّياب أخوف! وما الثّياب أردت! قال: هو ذاك، ثمّ انطلق وانطلقنا معه حتّى انتهينا إلى رَحْله، فخلّى أيدِيَنا من يده، ثمّ قال: لا تَرِيما، ودخل، فقلت للمغيرة: لا أبًا لك! لقد أثرْنا بكلامنا معه، وما كنّا فيه، وما نراه حبَسنا إلّا ليذاكرنا إيّاها، قال، فإنّا لكذلك إذ أخرج إذْنَه إلينا، فقال: ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقيًا على بَرْذَعة برَحْل، فلمّا رآنا تمثّل بقول كعب بن زهير:

لَا تُفْشِ سِرَّكَ إلّا عِنْدَ ذِي ثِقَةٍ أوْلَى وأفضل ما اسْتَوْدَعْتَ أسْرَارَا[1]

صدرًا رحيبًا وقَلْبًا واسعًا قَمِنًا ألّا تخافَ متى أودعْت إظهارَا[2]

فعلمنا أنّه يريد أن نضمّن له كتمانَ حديثه، فقلت أنا له: يا أميرَ المؤمنين، الزمْنَا وخُصَّنا وَ صِلْنا، قال: بماذا يا أخا الأشعريّين؟ فقلت: بإفشاء سرّك وإن تَشْرَكنا في همّتك فنعم المستشاران نحنُ لك. قال: إنّكما كذلك، فاسألا عَمّا بدا لكما، ثمّ قام إلى الباب ليُغلقه، فإذا الآذن الّذي أذن لنا عليه في الحجرة فقال: امْض عنّا لا أُمّ لك: فخرج وأغلق الباب خَلْفه، ثمّ أقبل علينا، فجلس معنا، وقال: سَلَا تُخبَرا، قلنا: نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحْسَد قريش: الّذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا، فقال: سألتُما عن مُعْضِلة؛ وسأخبركما فليكن عندكما في ذِمّةٍ منيعة وحرزٍ ما بقيت، فإذا مِتّ فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان.

قلنا: فإنّ لك عندنا ذلك، قال أبو موسى: وأنا أقول في نفسي.: ما يريد إلّا الّذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنّهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظًّا غليظًا: وإذا هو يذهبُ إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفّس، ثمّ قال: مَنْ تَرَيانه؟

---

١ ـ ملحق ديوانه: ٢٥٧؛ وغرر الخصائص: ١٨١.

٢ ـ الدّيوان: «لم تخش منه لمّا أودعت».

قلنا: والله ما ندري إلّا ظنًّا! قال: ومَنْ تَظُنّان؟ قلنا: عساك تريد القوم الّذين أرادوا أبا بكر على صَرْفِ هذا الأمر عنك، قال: كلّا والله! بل كان أبو بكر أعقَّ، وهو الّذي سألتما عنه، كان والله أحسَد قريشٍ كلّها. ثمّ أطرق طويلًا، فنظر المغيرة إلىّ ونظرت إليه، وأطرقْنَا مليًّا لإطراقه، وطال السُّكوت منّا ومنه، حتّى ظنّنا أنّه قد نِدم على ما بدا منه. ثمّ قال: وا لهفاه على ضئيل بني تيم بن مرّة! لقد تقدَّمني ظالمًا، وخرج إلىّ منها آثمًا، فقال المغيرة: أمّا تقدُّمه عليك يا أمير المؤمنين ظالمًا فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثمًا؟ قال: ذاك لأنّه لم يخرج إلىّ منها إلّا بعد يأس منها، أمّا والله لو كنت أطعتُ يزيد بن الخطّاب وأصحابَه لم يتلمّظْ من حلاوتها بشيء أبدًا، ولكنّي قدّمت وأخّرت، وصعّدت وصوّبت، ونقَضت وأبرمت، فلم أجد إلّا الإغضاء على ما نشب به منها، والتّلهّف على نفسي، وأملت إنابته ورجوعَه، فو الله ما فعل حتّى نَغَربها بَشَمًا.

قال المغيرة: فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرَضك لها يوم السّقيفة بدعائك إليها! ثمّ أنت الآن تنقِم وتتأسّف، قال: ثِكلَتْك أمّك يا مغيرة! إنّي كنت لأعدُّك[1] من دُهاة العرب، كأنّك كنت غائبًا عمّا هناك! إنّ الرَّجل ماكَرني فماكرتُه، وألفاني أحذَرَ من قطاة؛ إنّه لمّا رأى شَغَف النّاس به، وإقبالَهم بوجوههم عليه، أيقن أنّهم لا يريدون به بدلًا، فأحبّ لمّا رأى من حرص النّاس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها! وأحبّ أن يبلوَني بإطماعي فيها، والتّعريض لي بها، وقد علم وعلمت لو قبلتُ ما عرضه علىّ، لم يجب النّاس إلى ذلك، فألفاني قائمًا على إخمَصي مستوفزًا حذِرًا ولو أجبتُه إلى قبولها لم يسلّم النّاس إلىّ ذلك، واختبأها ضِغنا عليّ في قَلْبِه، ولم آمن غائلته ولو بعد حين: مع ما بدا لي من كراهة النّاس لي: أما سمعت نداءهم من كلّ ناحية عند عَرْضها علىّ: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها! فرددتُها إليه عند ذلك ؛ فلقد رأيته التمع وجهُه لذلك سرورًا. ولقد عاتبني مَرّة على

---

١ ـ ب: «أعدك».

كلام بلغَه عنى، وذلك لمّا قُدِم عليه بالأشعث أسيرًا، فمنّ عليه وأطلقه، وزوّجه أخته أمّ فروة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدوّ الله أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصًا على عَقِبيك! فنظر إليّ نظرًا علمت أنه يريد أن يكلِّمني بكلام في نفسه، ثمّ لقِيني بعد ذلك في سِككَ المدينة، فقال لي: أنت صاحبُ الكلام يابن الخطّاب؟ فقلت: نعم يا عدوّ الله؛ ولك عندي شرّ من ذلكَ، فقال: بئس الجزاء هذا لي منك! قلت: وعلام تريد منّي حُسْن الجزاء؟ قال: لأنَفَتِي لك من اتّباع هذا الرَّجل، والله ما جرّأني على الخلاف عليه إلّا تقدّمه عليك، وتخلّفك عنها، ولو كنتَ صاحبَها لما رأيتَ منّي خلافًا عليك. قلت: لقد كان ذلك، فما تأمر الآن؟ قال: إنّه ليس بوقت أمر، بل وقت صبر، ومضى ومضيت. ولقي الأشعث الزّبرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى أبي بكر؛ فأرسل إليّ بعتاب مؤلم، فأرسلت إليه: أمّا والله لَتَكُفّنّ أو لأقولنّ كلمة بالغة بي وبك في النّاس، تحملها الرّكبان حيث ساروا، وإن شئتَ استدمنا ما نحن فيه عفوا، فقال: بل نستديمه، وانّها لصائرة إليك بعد أيّام، فظننت أنّه لا يأتي عليه جمعة حتّى يردّها عليّ، فتغافل، والله ما ذكرني بعد ذلك حرفًا حتّى هلك.

ولقد مَدّ في أمَدها عاضًّا على نواجذه حتّى حضره الموت، وأَيِسَ منها فكان منه ما رأيتما، فاكتما ما قلت لكما عن النّاس كافّة وعن بني هَاشم خاصّة، ولْيَكُن منكما بحيث أمرتكما، قومًا إذا شئتما على بركة الله. فقمنا ونحن نعجب من قوله، فو الله ما أفشينا سرّه حتّى هلك[1].

قال المرتضى: وليس في طَعْن عمر على أبي بكر ما يؤدّي إلى فساد خلافتِه، إذْ له أن يُثبِت إمامةَ نفسه بالإجماع، لا بنصّ أبي بكر عليه. وأمّا الفلْتة فإنّها وان كانت محتمِلةً للبغْتة كما قاله أبو عليّ ﷺ؛ إلّا أنّ قوله: «وَقَى الله شرّها». يخصّصها بأنّ

---

١ ـ كتاب الشّافي ٢٤١ـ٢٤٤

مخرَجَها مخرج الذَّمّ.

وكذلك قوله: «فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه»، وقوله: المراد وقى الله شرّ الاختلاف فيها، عدولٌ عن الظّاهر؛ لأنّ الشّرَّ في الكلام مضاف إليها دون غيرها، وأبعدُ من هذا التّأويل قوله: إنّ المراد مَنْ عاد إلى مثلها من غير ضرورة وأكْرَهَ المسلمين عليها، فاقتلوه؛ لأنّ ما جرى هذا المجرى لا يكون مِثْلًا لبيعة أبي بكر عندهم؛ لأنّ كلّ ذلك ما جرى فيها على مذاهبهم؛ وقد كان يجب على هذا أن يقول: فمن عاد إلى خلافها فاقتلوه.

وليس له أن يقول: إنّما أراد بالمِثْل وَجْهًا واحدًا، وهو وقوعها من غير مشاورة، لأنّ ذلك إنّما تَمّ في أبي بكر خاصّة بظهور أمره اشتهار فضله. ولأنّهم بادروا إلى العَقْد خوفًا من الفتنة؛ وذلك لأنّه غير منكَر أن يتّفق من ظهور فضل غير أبي بكر، واشتهار أمره وخوف الفتنة ما اتّفق لأبي بكر، فلا يستحقّ قتلًا ولا ذمًّا؛ على أنّ قوله: «مِثلها» يقتضي وقوعُها على الوجه الّذي وقعت عليه، فكيف يكون ما وقع من غير مشاورة لضرورة داعية وأسباب موجبة، مِثْلًا لما وقع بلا مشاورة، ومن غير ضرورة ولا أسباب! والّذي رواه عن أهل اللُّغة من أنّ آخر يوم من شوّال يسمّى فَلْتة من حيث إنّ من لم يدرك فيه الثّأر، فإنّه قول لا نعرفه؛ والّذي نعرفه أنّهم يسمّون اللّيلة الّتي ينقضي بها آخرُ الأشهر الحُرُم ويتمّ، فلتة، وهي آخر ليلة من ليالي الشّهر، لأنّه ربّما رأى الهلالَ قوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباقون، فيغير هؤلاء على أولئك وهم غارّون[1]، فلهذا سُمِّيت تلك اللّيلة فَلْتة. على أنّا قد بيّنا أنّ مجموعَ الكلام يقتضي ما ذكرناه من المعنى، لو سُلِّم له ما رواه عن أهل اللُّغة في احتمال هذه اللّفظة.

قال: وقد ذكر صاحب كتاب «العين» أنّ الفلْتة الأمرُ الّذي يقع على غير إحْكام، فقد صحّ أنّها موضوعة في اللُّغة لهذا، وإن جاز ألّا تختصّ به، بل تكون لفظة

---

١ ـ غارّون: غافلون.

مشتركة. وبعد، فلو كان عمر لم يُرِدْ بقوله توهينَ بيعة أبي بكر؛ بل أراد ما ظنّه المخالفون، لكان ذلك عائدًا عليه بالنَّقص؛ لأنّه وضع كلامَه في غير موضعه، وأراد شيئًا فعبّر عن خلافه، فليس يُخرِج هذا الخبر من أن يكون طعنًا على أبي بكر؛ إلّا بأن يكون طعنًا على عمر.[1]

واعلم أنّه لا يبعد أن يقال: إنّ الرِّضا والسَّخط، والحبّ والبغض، وما شاكل ذلك، من الأخلاق النّفسانيّة وإن كانت أُمورًا باطنه، فإنّها قد تُعلَم ويضطرّ الحاضرون إلى حصولها بقرائنِ أحوال تفيدهم العلم الضَّروريّ؛ كما يُعلَم خوف الخائف وسرور المبتهج.

وقد يكون الإنسان عاشقًا لآخر فيعلم المخالطون لهما ضرورةً أنّه يَعْشَقُه، لما يشاهدونه من قرائن الأحوال، وكذلك يُعلم من قرائن أحوال العابد المجتهد في العبادة، وصوم الهواجر وملازمة الأوراد، وسهر اللَّيل، أنّه يتديّن بذلك. فغيرُ منكر أن يقول قاضي القضاة رحمه الله تعالى: إنّ المعلوم ضرورةً من حالِ عمر تعظيم أبي بكر ورضاه بخلافته وتديّنه بذلك، فالّذي اعترضه رحمه الله تعالى به غيرُ وارد عليه.

وأمّا الأخبار الّتي رواها عن عمر فأخبار غريبة؛ ما رأيناها في الكتب المدوّنة، وما وقفنا عليها إلّا من كتاب المرتضى، وكتاب آخر يعرف بكتاب «المسترشد»[2] لمحمّد ابن جرير الطّبريّ؛ وليس هو محمّد بن جرير صاحب «التّاريخ»، بل هو من رجال الشّيعة؛ وأظنّ أنّ أمّه من بني جرير من مدينة آمُل طبرستان، وبنو جرير الآمليّون شيعة مستهترون بالتّشيّع، فنسِب إلى أخواله، ويدلّ على ذلك شعر مرويٌّ له وهو:

بآمُـلَ مولِـدِي وبنـو جَريـرٍ فأخوالي، ويحكي المرءُ خالَهْ[3]

---

١ ـ كتاب الشّافي: ٢٤٤ مع اختصار وتصرّف.

٢ ـ كتاب المسترشد في الإمامة، طبع في النّجف وفي الأصول: «المستبشر» وهو خطأ، راجع: النّجاشيّ: ٢٦٦.

٣ ـ نسبهما ياقوت في معجم البلدان (١: ٦٣) إلى أبي بكر الخوارزميّ، وظنّ أنّه قالهما في خاله

فمن يك رافضيًّا عن أبيهِ فإنّي رافضيّ عن كَلاَلَهْ

وأنت تعلم حال الأخبار الغريبة؛ الّتي لاتوجد في الكتب المدوّنة كيف هي؟ فأمّا إنكارُه ما ذكره شيخنا أبوعليّ ﷺ من أنّ الفلْتة هي آخر يوم من شوّال، وقوله: إنّا لا نعرفه؛ فليس الأمر كذلك، بل هو تفسير صحيح، ذكره الجوهريّ في كتاب «الصّحاح»، قال: الفلتة آخر ليلة من كلّ شهر، ويقال: هي آخر يوم من الشّهر الّذي بعده الشّهر الحرام. وهذا يدلّ على أنّ آخر يوم من شوّال يسمّى فَلْتة، وكذلك آخر يوم من جمادي الأخيرة ؛ وإنّما التّفسيرُ الّذي ذكره المرتضى غيرُ معروف عند أهل اللُّغة.

وأمّا ما ذكره من إفساد حَمْلِ الفلتة في الخبرَ على هذه الوجوه المتأوّلة؛ فجيّد، إلّا أنّ الإنصاف أنّ عمرَ لم يخرج الكلام مخرجَ الذّمّ لأمر أبي بكر؛ وإنّما أراد باللّفظة محضَ حقيقتها في اللُّغة، ذكر صاحب «الصّحاح» أنّ الفلتةَ الأمر الّذي يُعمل فجأة من غير تردّد ولاتدبّر؛ وهكذا كانت بيعة أبي بكر؛ لأنّ الأمر لم يكن فيها شورى بين المسلمين، وإنّما وقعت بغتة لم تمحَّص فيها الآراء، ولم يَتناظر فيها الرّجال، وكانت كالشّيء المستلَب المنتهَب، وكان عمر يخاف أن يموت عن غير وصيّة، أو يُقتل قتلًا فيبايَع أحد من المسلمين بغتة كبيعة أبي بكر، فخطب بما خطب به، وقال معتذرًا: ألا إنّه ليس فيكم مَنْ تُقطع إليه الأعناق كأبي بكر!

وأيضًا قول المرتضى الّذي قد سبق من ظهورِ فضل غير أبي بكر، وخوف الفتنة مثل ما اتّفق لأبي بكر، فلا يستحقّ القتل، فإنّ لقائل أن يقول: إنّ عمر لم يخاطب بهذا إلّا أهلَ عصره، وكان هو رحمه الله يذهبُ إلى أنّه ليس فيهم كأبي بكر، ولامَن يُحتمل له أن يبايَع فَلْتة، كما احتمِل ذلك لأبي بكر؛ فإن اتّفق أن يكون في عصرٍ آخر بعد عصره مَنْ يظهر فضله، ويكون في زمانه كأبي بكر في زمانه، فهو غيرُ داخل في نهي عمر وتحريمه.

الطَّبريّ المؤرّخ؛ وحقّقه محمّد باقر، وذكر أنّ الأمر اشتبه على ياقوت. وانظر: روضات الجنّات: ٦٧٣.

واعلم[١]: أنّ الشّيعة لم تسلِّم لعمر أنّ بيعة أبي بكر كانت فَلْتة، قال محمّد بن هانئ المغربيّ:

وَلَكِنّ أمرًا كان أبرَم بينهم ... وإن قال قوم فَلْتَةً غَيْرُ مُبْرَمِ[٢]

وقال آخر:

زعموهـــا فَلْتَـــةً فاجِئَـــةً ... لا وَ رَبِّ البيت و الرُّكن المشيدِ

إنّمـا كانـت أمـورًا نُسِـجَتْ ... بيـنهم أسـبابُها نَسْـجَ الْبُـرود

وروى أبوجعفر أيضًا في[٣] التّاريخ أنّ رسول الله ﷺ لمّا قبِض اجتمعت الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عبادة، ليولّوه الخلافة، وكان مريضًا، فخطبهم ودعاهم إلى إعطائه الرّياسة والخلافة، فأجابوه، ثمّ ترادّوا الكلام فقالوا: فإن أبَى المهاجرون، وقالوا: نحن أولياؤه وعِتْرته! فقال قوم من الأنصار: نقولُ مِنّا أمير ومنكم أمير، فقال سعد: فهذا أوّل الوَهَن! وسمِع عمر الخبر، فأتى منزل رسول الله ﷺ، وفيه أبو بكر، فأرسل إليه أن اخرج إليّ، فأرسل إنّي مشغول، فأرسل إليه عمر أن اخرج، فقد حدث أمر لا بدّ أن تحضُرَه، فخرج فأعلمه الخبر، فمضيًا مسرعيْن نحوهم، ومعهما أبو عُبيدة، فتكلّم أبو بكر، فذكر قُرْبَ المهاجرين من رسول الله ﷺ وأنّهم أولياؤه وعِتْرته، ثمّ قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لانفتاتُ عليكم بمشورة، ولانقضي دونكم الأمور.

فقام الحُباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشرَ الأنصار، امْلِكوا عليكم أمرَكم؛ فإنّ النّاس في ظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خِلافكم، ولايَصدُرُ أحد إلّا عن رأيكم، أنتم أهل العِزّة والمَنعة، وأولو العَدَد والكثرة، وذوو البأس والنَّجدة، وإنّما ينظر

---

١ ـ ب: «قلت».

٢ ـ ديوانه: ٦٨٩ (طبع المعارف).

٣ ـ تاريخ الطّبريّ ٣: ٢٠٧، و ما بعدها مع اختصار وتصرّف.

النّاس ما تصنعون، فلا تختلِفوا فتفسد عليكم أمورُكم فإن أبَى هؤلاء إلّا ما سمعتم؛ فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع سَيْفانِ في غِمْد، والله لا ترضي العرب أن تؤمِّركم ونبيُّها من غيركم، ولا تمتنع العربُ أن تولِّيَ أمرَها مَنْ كانت النُّبوّة منهم؛ مَنْ ينازعنا سلطان محمّد، ونحن أولياؤه وعشيرته!

فقال الحُبَاب بن المنذر: يا معشرَ الأنصار، امْلِكوا أيديَكم، ولا تسمعوا مقالةَ هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبَوْا عليكم فأجلُوهم من هذه البلاد، فأنتم أحقُّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان النّاس بهذا الدّين؛ أنا جُذَيلُها المحكَّك، وعُذَيقُها المرجّب، أنا أبو شِبْل في عرِيسَة الأسد؛ والله إن شئتم لَنُعِيدَنَّها جَذَعة.

فقال عمر: إذن يقتلَك الله، قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشرَ الأنصار؛ إنّكم أوّلُ مَنْ نَصَر، فلا تكونوا أوّل من بَدّل وغَيّرَ.

فقام بشير بن سعد، والد النُّعمان بن بشير فقال: يا معشرَ الأنصار؛ ألا إنّ محمّدًا من قُريش، وقومُه أوْلى به، وايمُ الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر.

فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيّهما شئتم، فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين، وخليفة رسول الله صلّى الله عليه في الصّلاة، وهي أفضلُ الدِّين، ابْسط يدك؛ فلمّا بسط يدَه ليبايعاه، سبَقَهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بَشير، عَقِقْتَ عقاقِ[1]! أنَفِسْت على ابنِ عَمّك الإمارة[2]!

فقال أسيد بن حُضَيْر[3] رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكوننَّ للخزرج

---

١ ـ عقاق: مبنيّة على الكسر، مثل حذام.

٢ ـ بعده كما في التّاريخ: «فقال: لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم».

٣ ـ في الطّبريّ: «ولمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش؛ وما تطلب الخزرج

عليكم الفَضيلةُ أبدًا، فقاموا فبايعوا أبا بكر.

فانكسر على سعد بن عبادة والخزرج ما اجتمعوا عليه، وأقبل النّاس يبايعون أبا بكر مِنْ كلّ جانب، ثمّ جُمِل سعد بن عبادة إلى داره، فبقي أيّامًا، وأرسل إليه أبو بكر ليبايع، فقال: لا والله ـ حتّى أرمِيَكم بما في كنانتي، وأخضّب سِنان رمحي، وأضربَ بسيفي ما أطاعني وأقاتلَكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجنّ والإنسُ ما بايعتكم حتّى أُعرَض على ربّي.

فقال عمر: لاتَدَعْه حتّى يبايع، فقال بشير بن سعد: إنّه قد لجّ، وليس بمبايع لكم حتّى يُقتل، وليس بمقتول حتّى يُقتلَ معه أهله وطائفة من عشيرته، ولا يضرّكم تركه؛ إنّما هو رجل واحد، فتركوه.

وجاءت أسلم فبايعت، فقوِيَ بهم جانب أبي بكر، وبايعه النّاس.

وفي كتب غريب الحديث في تتمّة كلام عمر: فأيّما رجل بايع رجلًا بغير مشورة من النّاس فلا يؤمّر واحد منهما تَغِرّةً أن يقتلَا[1]. قالوا: غرّر تغريرًا وتَغِرّة، كما قالوا: حلّل تحليلًا وتَحِلّة، وعلّل تعليلًا وتَعِلّة، وانتصب «تغرةً» هاهنا لأنّه مفعول له؛ ومعنى لكلام أنّه إذا بايع واحد لآخر بغتة عن غير شورى، فلا يؤمّر واحد منهما، لأنّهما قد غرّرا بأنفسهما تَغِرّةً وعرّضاهما لأن تُقتلا.

وروى جميع أصحاب السّيرة أنّ رسول الله ﷺ، لمّا توفّي كان أبو بكر في منزله[2] بالسُّنح، فقام عمر بن الخطّاب فقال: ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتّى يظهر دينُه على الدّين كلّه، ولَيرجِعَنّ، فَلْيُقطّعن أيديَ رجال وأرجلهم مِمّن أرْجَف بموته، لا

من تأمير سعد بن عبادة؛ فقال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حضير...» ثمّ ذكر كلام أسيد.

١ ـ النّهاية لابن الأثير ٣: ١٥٦.

٢ ـ السّنح؛ بالضّمّ ثمّ السّكون: إحدى محال المدينة؛ كان بها منزل أبي بكر؛ وهي منازل بني الحارث ابن الخزرج بعوالي المدينة.

أسمع رجلًا يقول: مات رسول الله إلّا ضربتُه بسيفي. فجاء أبو بكر وكشَف عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمّي! طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، والله لا يذيقك اللهُ الموتتيْن أبدًا؛ ثمّ خرج والنّاس حول عمر، وهو يقول لهم: إنّه لم يمت، ويحلف، فقال له: أيُّها الحالف على رسْلك! ثمّ قال: مَنْ كان يعبد محمّدًا فإنّ محمّدًا قد مات ومن كان يعبد اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1]،وقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[2]، قال عمر: فو اللهِ ما ملكتُ نفسي حيث سمعتُها أن سقطت إلى الأرض، علمتُ أنّ رسول الله ﷺ قد مات.

وقد تكلّمت الشّيعة في هذا الموضع، وقالوا: إنّه بلغ من قلّة عِلْمه أنّه لم يعلم أنّ الموتَ يجوز على رسول الله ﷺ، وأنّه أُسوة الأنبياء في ذلك. وقال: لمّا تلا أبو بكر الآيات، أيقنتُ الآن بوفاته، كأنّي لم أسمع هذه الآية، فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكّر فيه، ما قال ذلك، ومَنْ هذه حاله لا يجوز أن يكون إمامًا.

وأجاب قاضي القضاة رحمه الله في «المغني»[3] عن هذا؛ فقال: إنّ عمر لم يمنع من جواز موته عليه السلام، ولا نَفَى كونه ممكنًا، ولكنّه تأوّل في ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[4].وقال: كيف يموت ولم يظهَر صلوات الله عليه على الدِّين كُلِّهِ؟ فقال أبو بكر: إذا ظهر دينُه فقد ظهر هو، وسيظهر دينُه بعد وفاته.

فحمَل عمر قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ﴾ على تأخّر الموت، لا على نفيه بالكلّيّة،

---

١ ـ الزّمر/٣٠.

٢ ـ آل عمران/١٤٤.

٣ ـ المغني للقاضي عبدالجبّار، في أصول الدّين ومنه نسخة مصوّرة في دار الكتب المصريّة؛ عن مكتبة صنعاء.

٤ ـ التّوبة/٣٣.

قال: ولا يجب فيمن ذَهل عن بعض أحكام القرآن ألّا يحفظَ القرآن، لأنّ الأمر لو كان كذلك لوجب ألّا يحفظَ القرآن إلّا من عرف جميع أحكامه، على أنّ حفظَ جميع القرآن غير واجب، ولا يقدح الإخلال به في الفضل[1].

واعترض المرتضى رحمه الله في كتاب «الشّافي» هذا الكلام، فقال: لا يخلو خلاف عمر في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ أن يكون على سبيل الإنكار لموته على كلّ حال، والاعتقاد أنّ[2] الموت لا يجوز عليه على كلّ وجه، أو يكون منكِرًا لموته في تلك الحال من حيث لم يظهر على الدِّين كلِّه، فإن كان الأوّل فهو ممّا لا يجوز خلاف عاقل فيه، والعلم بجواز الموت على جميع البشر ضروريّ. وليس يحتاج في حصول هذا العلم إلى تلاوة الآيات الّتي تلاها أبو بكر. وإنْ كان الثّاني، فأوّل ما فيه أنّ هذا الاختلاف لا يليق بما احتجّ به أبو بكر عليه من قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾[3]، لأنّ عمر لم ينكِر على هذا الوجه جوازَ الموت عليه وصحّتَه، وإنّما خالف في وقته. فكان يجب أن يقول لأبي بكر: وأيّ حجّة في هذه الآيات عليّ! فإنّي لم أمنع جوازَ موته، وإنّما منعتُ وقوع موته الآن، وجوزته في المستقبل، والآيات إنّما تدلّ على جواز الموت فَقَطْ، لا على تخصيصه بحال معينه.

وبعد، فكيف دخلت هذه الشُّبهة البعيدة على عُمر من بين سائر الخلْق! ومن أين زعم أنّه سيعود فيقطع أيديَ رجال وأرجلَهم! وكيف لم يحصل له من اليقين لمّا رأى من الواعية[4] وكآبة الخلْق وإغلاق الباب وصُراخ النّساء ما يدفع به ذلك الوهْم والشُّبهة البعيدة فلم يحتجَّ إلى موقِف.

وبعد، فيجب إن كانت هذه شبهته أن يقول في مرض النّبيّ صلى الله عليه وآله: وقد رأى جَزَع

---

١ ـ نقله المرتضى في الشّافي: ٢٥٢ مع اختلاف في الرّوايتين.

٢ ـ ب: «لأن»، والأصوب ما أثبته من ا.

٣ ـ الزّمر/٣٠.

٤ ـ الواعية: الصّراخ على الميّت.

أهلِه وخوفهم عليه الموت، وقولَ أسامة صاحب الجيش: لم أكنْ لأرحَل وأنت هكذا وأسأل عنك الرَّكْب؛ يا هؤلاء لا تخافوا ولا تجزعوا، ولا تخفْ أنت يا أسامة، فإنّ رسول الله ﷺ لا يموت الآن لأنّه لم يَظْهر على الدِّين كلِّه.

وبعد، فليس هذا من أحكام الكتاب الّتي يُعْذَر من لا يعرفها على ما ظنّ المعتذِر له.[1]

ونحن نقول: إنّ عمر كان أجلّ قدرًا من أن يعتقد ما ظهر عنه في هذه الواقعة؛ ولكنّه لمّا علم أنّ رسول الله ﷺ قد مات، خاف من وقوع فتنة في الإمامة، وتقلّب أقوام عليها، إمّا من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضًا من حدوث رِدّة، ورجوع عن الإسلام، فإنّه كان ضعيفًا بعد لم يتمكّن، وخاف من تِراتٍ تُشَنّ، ودماء تراق، فإنّ أكثرَ العرب كان مَوْتورًا في حياة رسول الله ﷺ لِقتْل مَنْ قَتَل أصحابُه منهم، وفي مثل ذلك الحال تنتهز الفرصة، وتُهْتَبَلُ الغِرّة، فاقتضت المصلحة عنده تسكينَ النّاس بأنْ أظهر ما أظهره من كون رسول الله ﷺ لم يمت، وأوقَع تلك الشُّبهةَ في قلوبهم، فكسر بها شِرَّةَ كثير منهم، وظنُّوها حقًّا، فثناهم بذلك عن حادث يُحدّثونه، تخيّلًا منهم أنّ رسول الله ﷺ ما مات؛ وإنّما غاب كما غاب موسى عن قومه، وهكذا كان عمر يقول لهم: إنّه قد غاب عنكم كما غاب موسى عن قومه، وليعودَنّ فليقطّعنّ أيديَ قوم أرجفوا بموته.

ومثلُ هذا الكلام يقع في الوهْم، فيصدّ عن كثير من العزم؛ ألا ترى أنّ المِلك إذا مات في مدينة وقع فيها في أكثر الأمر نَهْب وفساد وتحريق، وكلّ مَنْ في نفسه حِقْد على آخر بلَغ منه غرضه، إمّا بقتلٍ أو جرح أو نهْب مال؛ إلى أن تتمهّد قاعدةُ المِلك الّذي يلي بعده؛ فإذا كان في المدينة وزير حازم الرَّأى، كتم موت الملك، وسجن قومًا ممّن أرجف نداء بموته، وأقام فيهم السّياسة، وأشاع أنّ المِلك حيّ، وأنّ أوامره وكتبه

---

١ ـ الشّافي: ٢٥٢.

نافذة، ولا يزال يلزم ذلك النّاموس إلى أن يمهّد قاعدة الملك الوالي بعده؛ وكذلك عمر أظهر ما أظهر حِراسة للدِّين والدّولة، إلى أن جاء أبو بكر وكان غائبًا بالسُّنح، وهو منزل بعيد عن المدينة، فلمّا اجتمع بأبي بكر قوِيَ به جأشُه، واشتدّ به أزره، وعَظُم طاعة النّاس له وميلهم إليه، فسكت حينئذٍ عن تلك الدّعوى الّتي كان ادّعاها، لأنّه قد أمِنَ بحضور أبي بكر من خَطْبٍ يحدث، أو فساد يتجدّد؛ وكان أبو بكر محبّبًا إلى النّاس؛ لا سيّما المهاجرين.

يجوز عند الشّيعة وعند أصحابنا أيضًا أن يقول الإنسان كلامًا ظاهر الكذب على جهة المعاريض؛ فلا وَصْمَةَ على عمر إذا كان حَلَف أنّ رسول الله ﷺ لم يمُت، ولا وَصْمَةَ عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة ما تلا: كأنّي لم أسمعها، أو قد تيقّنت الآن وفاته ﷺ، لأنّه أراد بهذا القول الأخير تشييدَ القول الأوّل، وكان هو الصّواب، وكان من سيِء الرّأي وقبيحه أن يقول: إنّما قلتهُ تسكينًا لكم، ولم أقله عن اعتقاد، فالّذي بَدَأ به حَسن وصواب، والّذي ختم به أحسن وأصوب.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب «السّقيفة» عن عمر بن شبّة، عن محمّد بن منصور، عن جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: كان النّبيّ ﷺ قد بعثَ أبا سفيان ساعيًا[1] فرجع من سِعايته، وقد مات رسول الله ﷺ، فلقيَه قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول الله ﷺ، فقال: مَنْ وليَ بعده؟ قيل: أبو بكر، قال: أبو فُضَيْل! قالوا: نعم، قال: فما فعل المستضعفان: عليّ والعبّاس! أمّا والّذي نفسي بيده لأرفعنّ لهما من أعضادهما.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وذكر الرّاوي ـ وهو جعفر بن سليمان ـ أنّ أباسفيانَ قال شيئًا آخر لم تحفظه الرُّواة؛ فلمّا قدم المدينة قال: إنّي لأرى عَجاجة لا يطفئها إلّا الدّمّ! قال: فكلّم عمرُ أبا بكر، فقال: إنّ أبا سُفيان قد قَدِم، وإنّا لا نأمن شَرّه، فدفع له

---

١ ـ السّعاية: مباشرة أعمال الصّدقات.

ما في يده، فتركه فرضيَ.

وروى أحمد بن عبد العزيز أنّ أبا سفيان، قال لمّا بويع عثمان: كان هذا الأمر في تَيْم، وأنّي لتَيْم هذا الأمر! ثمّ صار إلى عديّ فأبعد وأبعد، ثمّ رجعت إلى منازلها، واستقرّ الأمر قراره، فتلقّفوها تلقّف الكرة.

قال أحمد بن عبد العزيز: وحدّثني المغيرة بن محمّد المهبليّ قال: ذاكرت إسماعيلَ ابن إسحاق القاضي بهذا الحديث، وأنّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت! أنفق ولا تكنْ كأبي حجر، وتداولوها يا بني أميّة تداول الولدانِ الكُرة، فو الله ما من جَنّة ولا نار وكان الزّبير حاضرًا، فقال عثمان لأبي سفيان: اعْزُب، فقال: يا بنيّ أهاهنا أحدٌ! قال الزُّبير: نعم والله لا كتمتُها عليك. قال: فقال إسماعيل: هذا باطل. قلت: وكيف ذلك؟ قال: ما أنكِر هذا من أبي سفيان، ولكن أنكِر أن يكون سَمِعه عثمان، ولم يضرب عنقه.

وروى أحمد بن عبد العزيز، قال: جاء أبو سفيان إلى عليّ عليه السلام، فقال: ولّيتم على هذا الأمر أذلّ بيت في قريش، أمّا والله لئن شئت لأملأنّها على أبي فُضَيل خيلًا ورجلًا، فقال عليّ عليه السلام: طالما غششتَ الإسلام وأهلَه فما ضررتَهُم شيئًا! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك، لولا أنّا رأينا أبا بكر لها أهلًا، لما تركناه.

وروى أحمد بن عبد العزيز، قال: لمّا بويع لأبي بكر كان الزُّبير و المقداد يختلفان في جماعة من النّاس إلى عليّ، وهو في بيت فاطمة، فيتشاورون ويتراجعون أمورهم، فخرج عمر حتّى دخل على فاطمة عليها السلام، وقال: يا بنتَ رسول الله، ما من أحد من الخلْق أحبّ إلينا من أبيك، وما من أحد أحبّ إلينا منك بعد أبيك، وايمُ الله ما ذاك بما نعي إن اجتمع هؤلاء النَّفَر عندك أن آمرَ بتحريق البيت عليهم. فلمّا خرج عمر جاءوها، فقالت: تعلَمون أنّ عمر جاءني، وحلف لي بالله إن عُدتم لَيحرقَنّ عليكم البيت، وايمُ الله ليمضينّ لما حَلَف له. فانصرفوا عنّا راشدين. فلم يرجعوا إلى بيتها، وذهبوا فبايعوا لأبي بكر.

وروى أحمد ـ وروى المبرّد في «الكامل» صدر هذا الخبر[١] ـ عن عبد الرَّحمن ابن عوف، قال: دخلتُ على أبي بكر أعودُه في مرضه الّذي مات فيه، فسلّمت، وسألته: كيف به؟ فاستوى جالسًا، فقلت: لقد أصبحتَ بحمد الله بارئًا، فقال: أمّا إنّي على ما تَرى لوَجِع، وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلًا مع وجَعِي، وجعلت لكم عهدًا منّي من بعدي، واخترت لكم خيرَكم في نفسي، فكلّكم وَرِم[٢] لذلك أنفُه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيتم الدُّنيا قد أقبلت؛ والله لتتَّخِذُنّ ستورَ الحرير ونضائد الدّيباج[٣]، وتألمون ضجائع الصّوف الأذربيّ[٤]، كأنّ أحدَكم على حَسَك[٥] السَّعْدان. والله لأن يقدّم أحدكم فتضربَ عنقه في غير حَدّ لخير له من أن يَسْبَح في غمرة الدُّنيا، وإنّكم غدًا لأوّل ضالّ بالنّاس يجورون عن الطّريق يمينًا وشمالًا، يا هاديَ الطّريق جُرْتَ؛ إنّما هو البَحْر أو الفَجْر[٦]. فقال له عبد الرّحمن: لا تُكْثر على ما بك فيهيضَك[٧]، والله ما أردتَ إلّا خيرًا[٨]، وإن صاحبَك لذو خير؛ وما النّاس إلّا رجلان: رجل رأى ما رأيت؛ فلا خلاف عليك منه، ورجل رأى غيرَ ذلك؛ وإنّما يشير عليك برأيه. فسكنَ وسكتَ هُنَيهة. فقال عبدُ الرّحمن: ما أرى بك بأسًا والحمد لله، فلا بأس على الدُّنيا، فو الله إن علمْنَاك إلّا صالحًا مصلحًا. فقال: أما إنّي لا آسَى إلّا على ثلاث فعلتُهنّ، وددت أنّي لم أفعلْهنّ،

---

١ ـ والخبر أيضًا في تاريخ الطّبريّ (٣: ٢٣٤) وما بعدها.

٢ ـ ورم أنفه: أي امتلأ من ذلك غضبًا.

٣ ـ نضائد الدّيباج: واحدتها نضيدة؛ وهي الوسادة وما ينضد من المتاع.

٤ ـ الأذربي: منسوب إلي أذربيجان.

٥ ـ السّعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه.

٦ ـ قال في الكامل: «وقوله: والله هو الفجر أو البجر، يقول: إن انتظرت حتّى يضيء لك الفجر الطّريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظّلماء وركبت العشواء هجمًا بك على المكروه».

٧ ـ يهيضك؛ أي يعنّتك ويؤذيك؛ وأصله في العَظْم إذا كسر بعد الجبور؛ فإنّه يكون أشدّ وجعًا.

٨ ـ هذه آخر رواية المبرّد ـ مع تصرّف كثير في العبارة، في الكامل ١: ٥٤ ـ ٥٥ ـ بشرح المرصفيّ.

وثلاث لم أفعلهنّ ودِدْت أنّي فعلتهُنّ، وثلاث وددت أنّي سألت رسول الله ﷺ عنهنّ:

فأمّا الثّلاث الّتي فعلتُها و وددت أنّي لم أكن فعلتُها؛ فودِدْت أنّي لم أكنْ كشفتُ عن بيت فاطمة وتركتُه ولو أغْلق على حَرْب، وودِدْت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمرَ في عُنق أحد الرَّجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميرًا وكنت وزيرًا؛ و ودِدت أنّي إذ أتيت بالفُجَاءة[1] لم أكن أحرقته، وكنت قتلته بالحديد أو أطلقته.

وأمّا الثّلاث الّتي تركتها و وَدِدْت أنّي فعلتها؛ فوددت أنّي يوم أتيت بالأشعث كنت ضربت عنقَه، فإنّه يخيّل إليّ أنّه لا يرى شرًّا إلّا أعان عليه؛ و وددت أنّي حيث وجّهت خالدًا إلى أهل الرّدّة أقمت بذي القصّة، فإن ظَفِر المسلمون وإلّا كنتُ رِدْءًا لهُم، و ودِدْت حيث وجّهت خالدًا إلى الشّام كنت وجهت عمر إلى العراق، فأكون قد بسطتُ كلتا يديّ: اليمين والشِّمال في سبيل الله.

وأمّا الثّلاث اللّواتي ودِدْت أنّي كنت سألت رسول الله ﷺ عنهنّ: فوددت أنّي سألته فيمن هذا الأمر، فكُنّا لا ننازعه أهلَه، [و وددت أنّي كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب][2] و وددت أنّي سألته عن ميراث العمّة وابنة الأخت؛ فإنّ في نفسي منهما حاجة.

ومن كتاب معاوية المشهور إلى عليّ عليه السلام:

وأَعهدَك أمس تحملُ قعيدةَ بيتِك ليلًا على حمار، ويَداك في يدي ابنَيْك الحسن والحسين يوم بُويع أبو بكر الصّدّيق، فلم تدع أحدًا من أهلِ بَدْر والسّوابقِ إلّا دعوتَهم إلى نفسك، ومشيْت إليهم بامرأتك، وأدلَيْت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم إلّا أربعة أو خمسة؛ ولَعَمْري لو كنت محقًّا

---

١ ـ هو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل السُلميّ، وكان قد استعرض النّاس يقتلهم ويأخذ أموالهم، فأمر أبي بكر بإحراقه. وانظر تفصيل الخبر في الطّبريّ ٣: ٢٣٤.

٢ ـ زيادة من الطّبريّ يقتضيها السّياق.

لأجابوك؛ ولكنّك ادّعيتَ باطلًا، وقلت ما لا يعرف، ورُمتَ ما لا يُدرك؛ ومهما نسيتُ فلا أنسى قولك لأبي سفيان، لمّا حرّكك وهَيّجك: لو وجدتُ أربعين ذوِي عزم منهم لناهضتُ القوم؛ فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغْيُك على الخلفاء بطريف ولا مستبدَع.

وسنذكر تمام هذا الكتاب وأوّله عند انتهائنا إلى كتب عليّ عليه السلام.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن أبي المنذر وهشام بن محمّد بن السّائب عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس، قال: كان بين العبّاس وعليّ مباعدة، فلقيَ ابنُ عبّاس عليًّا، فقال: إن كان لك في النَّظَر إلى عمّك حاجة فأْته، و ما أراك تَلْقاه بعدها، فوجَمَ[1] لها وقال: تقدّمْني واستأذن، فتقدّمتُه واستأذنت له، فأذِن فأذِن فدخلَ، فاعتنق كلّ واحد منهما صَاحبَه، وأَقبل عليّ عليه السلام على يده ورجله يقبّلهما، ويقول: يا عمّ، ارْضَ عنّي رضيَ الله عنك، قال: قد رضيتُ عنك.

ثمّ قال: يابنَ أَخي، قد أشرتُ عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل، ورأيت في عاقبتها ما كرهت؛ وها أنذا أشير عليك برأي رابعٍ، فإن قبلتَه؛ وإلّا نالك ما نالك ممّا كان قبله. قال: وما ذاك يا عمّ؟ قال: أشرتُ عليك في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسأله، فإن كان الأمر فينا أعطاناه، وإن كان في غيرنا أَوصى بنا. فقلتَ: أخشى إن منعناه لا يعطيناه أحد بعده، فمضت تلك. فلمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله، أتانا أبو سفيان بن حرب تلك السّاعة، فدعوْناك إلى أن نبايعَك، وقلت لك: ابْسُط يدك أبايعك ويبايعك هذا الشّيخ، فإنّا إن بَايعناك لم يختلف عليك أَحد من بني عبد مناف، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك أحد[2] من قريش، وإذا بايعتْك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب، فقلت: لنا بجهاز رسول الله صلى الله عليه وآله شُغْل، وهذا الأمر فليس نخشى عليه؛

---

١ ـ ساقطة من ب.

٢ ـ ب: «قرشيّ».

فلم نَلْبَثْ أن سمعنا التّكبيرَ من سقيفة بني ساعدة، فقلت: يا عمّ، ما هذا؟ قلتُ: ما دعوناك إليه، فأَبيت! قلت: سبحان الله! أو يكون هذا! قلت: نعم. قلتَ: أفلا يردّ؟ قلت لك: وهل رُدّ مثلُ هذا قَطّ! ثمّ أشرتُ عليك حين طُعِن عمر فقلت: لا تُدْخِلْ نفسَك في الشّورى، فإنّك إن اعتزلتهم قدّموك، وإن ساويتَهم تقدّموك، فدخلتَ معهم، فكان ما رأيت.

ثمّ أنا الآن أشيرُ عليك برأى رابع، فإن قبلتَه وإلّا نالك ما نالك ممّا كان قبله. إنّي أرى أنّ هذا الرّجل ـ يعنى عثمان ـ قد أخذ في أُمور، والله لكأنّي بالعرب قد سارت إليه حتّى يُنْحَرُ في بيته كما يُنْحَرُ الجمل، والله إن كان ذلك وأنت بالمدينة ألزمك النّاس به؛ وإذا كان ذلك لم تنل من الأمر شيئًا إلّا من بعد شرٍّ لا خير معه.

قال عبدالله بن عبّاس: فلمّا كان يوم الجَمَل عَرَضْتُ له ـ وقد قُتِل طلحة، وقد أكثر أهل الكوفة في سَبِّه وغَمْصِه ـ فقال عليّ عليه السلام: أمّا والله لئن قالوا ذلك، لقد كان كما قال أخو جُعفيّ[1]:

فَتًى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

ثمّ قال: والله لكأنّ عَمّي كان ينظر من وراء سِتْرٍ رَقيق، والله ما نلتُ من هذا الأمر شيئًا إلّا بعد شرٍّ لا خيرَ معه.

وروى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن حُباب بن يزيد، عن جرير بن المغيرة أنّ سَلْمان والزُّبير والأنصار كان هواهم أن يُبايعوا عليًّا عليه السلام بعد النّبيّ صلى الله عليه وآله، فلمّا بُويع أبو بكر، قال سلمان: أصبتم الخِبْرَةَ وأخطأتم المَعْدِن.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن أبي هاشم، قال: حدّثنا عمرو بن ثابت، عن حبيب بن أبي ثابت، قال: قال سلمان يومئذٍ: أصبتم ذا

---

١ ـ هو سلمة بن يزيد بن مشجعة الجعفيّ، من كلمة له يرثي فيها أخاه لامه قيس بن سلمة. أمالي القالي ٢: ٧٣

السّنِ منكم وأخطأتم أهلَ بيت نبيِّكم؛ لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغدًا.

قال أبو بكر: وأخبرنا عمر بن شَبّة، قال: حدّثني محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا غَسّان ابن عبد الحميد، قال: لمّا أكثر النّاس في تخلُّف عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر، واشتدّ أبو بكر وعمر عليه في ذلك، خرجت أم مِسْطح بن أُثاثة، فوقفتْ عند القبر، وقالت:

كانـــتْ أمـــورٌ وأنبـــاءٌ وَهَنْبَثَـــةٌ ... لـو كنتَ شاهدَها لم تكثر الخُطَبُ[1]

إنّـا فَقَـدْناكَ فَقْـدَ الأرْضِ وَابِلَهـا ... واختلّ قومُك فاشْهَدْهُمْ ولا تَغِبِ[2]

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب عن ابن لَهِيعة عن أبي الأسود، قال: غضب رجالٌ من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب عليّ والزُّبير، فدخَلا بيت فاطمة عليها السلام، معهما السِّلاح، فجاء عمر في عصابة؛ منهم أُسَيْد بن حُضَير وسلَمة بن سَلامة بن وَقْش؛ وهما من بني عبد الأشهل، فصاحت فاطمة عليها السلام، وناشدتْهم الله. فأخذوا سيفَ عليّ والزُّبير، فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما، ثمّ أخرجهما عمر يَسُوقهما حتّى بايعا، ثمّ قام أبو بكر فخطب النّاس، واعتذر إليهم، وقال: إنّ بيعتي كانت فَلْتة وَقَى الله شرّها، وخشيتُ الفتنة، وايمُ الله ما حرَصت عليها يومًا قطّ، ولقد قُلِّدت أمرًا عظيمًا ما لي به طاقة ولا يَدان، ولوَدِدْتُ أنّ أقوى النّاس عليه مكاني. وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عُذْرَه.

وقال عليّ والزُّبير: ما غَضِبْنا إلّا في المشورة، وإنّا لَنَرَى أبا بكر أحقّ النّاس بها؛ إنّه

---

١ ـ الهنبثة، واحدة الهنابث؛ وهي الأمور الشّداد المختلفة؛ والبيتان في اللّسان (٣: ٢٠)، وذكر أنّه جاء في حديث أنّ فاطمة قالتهما بعد موت الرّسول صلى الله عليه وآله؛ وذكر أيضًا أنّه ورد هذا الشّعر في حديث آخر؛ قال: «لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله خرجت صفيّة تلمع بثوبها وتقول البيتين».

٢ ـ اللّسان: «فاختلّ».

لصاحبُ الغار، وإنّا لنعرف له سِنّه، ولقد أمّره رسول الله صلّى الله عليه بالصّلاة بالنّاس وهو حيّ.

قال أبو بكر: وقد روي بإسناد آخر ذِكره: إنّ ثابت بن قيس بن شَمّاس كان مع الجماعة الّذين حَضَرُوا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام، وثابت هذا أخو بني الحارث ابن الخزرج.

وروي أيضًا أنّ محمّد بن مسلَمة كان معهم، وأنّ محمَّدًا هو الّذي كسر سيف الزُّبير.

قال أبو بكر: وحدّثني يعقوب بن شيبة، عن أحمد بن أيّوب، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن الزّهريّ، عن عبد الله بن عبّاس، قال: خرج عليّ عليه السلام على النّاس من عند رسول الله صلى الله عليه في مرضه، فقال له النّاس: كيف أصبح رسول الله صلّى الله يا أبا حسن؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا، قال: فأخذ العبّاس بيد عليّ، ثمّ قال: يا عليّ، أنت عبد العصا بعد ثلاث؛ أحلِف لقد رأيتُ الموتَ في وجهه ـ وإنّي لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطّلب ـ فانطلِقْ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذكر له هذا الأمر؛ إن كان فينا أعْلَمَنا، وإن كان في غيرنا أوصَى بنا، فقال: لا أفعل، والله إن منعناه اليوم لا يؤتيناه النّاسُ بعده. قال: فتوفّي رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك اليوم.

وقال أبو بكر: حدّثني المغيرة بن محمّد المهلبيّ من حفظه، وعمر بن شَبّة من كتابه بإسنادٍ رفعه إلى أبي سعيد الخُدريّ، قال: سمعت البَرَاء بن عازب يقول: لم أزلْ لبني هاشم محبًّا، فلمّا قُبِض رسول الله صلى الله عليه وآله تخوّفتُ أن تَتمالأ قريشُ على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الوَالهَ العَجُول.

ثمّ ذكر ما قد ذكرناه نحن في أوّل هذا الكتاب في شرح قوله عليه السلام: «أمَا والله لقد تَقَمّصها فلان» وزاد فيه في هذه الرّواية: فمكثتُ أكابد ما في نفسي، فلمّا كان بليلٍ، خرجت إلى المسجد، فلمّا صرت فيه تذكّرت أنّي كنت أسمعُ همهمة رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرآن، فامتنعت من مكاني، فخرجت إلى الفضاء فضاء بني بياضة، وأجد نفرًا يتناجَون، فلمّا دنوت منهم سَكَتُوا، فانصرفت عنهم، فعرفوني وما أعرفهم، فدعوْني

إليهم، فأتيتُهم، فأجد المقداد بنَ الأسود وعبادة بن الصَامت، وسَلْمان الفارسيَ، وأبا ذرّ، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التَيّهان؛ وإذا حُذَيفة يقول لهم: والله ليكونَنّ ما أخبرتُكم به، والله ما كُذِبتُ ولاكذَبتُ؛ وإذا القوم يريدون أن يُعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين.

ثمّ قال: ائتوا أبيّ بن كعب، فقد علم كما علمت. قال: فانطلقنا إلى أبيّ، فضربنا عليه بابه حتّى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلّمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بَابَك، فإنّ الأمر أعظم من أن يجريَ من وراء حجاب، قال: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفتُ ما جئتم له، كأنّكم أردتم النَظر في هذا العقد. فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حُذيفَة؟ فقلنا: نعم، قال، فالقول ما قال؛ وبالله ما أفْتَح[1] عنى بابي حتّى تجريَ على ما هي جارية، ولما يكون بعدها شَرٌّ منها، وإلى الله المشتكى.

قال: وبلغ الخبرُ أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عُبيدة والمغيرة بن شُعْبة، فسألاهما عن الرَأى، فقال المغيرة: أن تَلْقوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبًا فيكون له ولعقِبه فتقطّعوا به من ناحية عليٍّ، ويكون لكم حُجّةٌ عند النّاس على عليّ، إذا مال معكم العبّاس.

فانطلقوا حتّى دخلوا على العبّاس في اللّيلة الثّانية من وفاة رسول الله ﷺ.

ثمّ ذكر خطبة أبي بكر وكلام عمر وما أجابهما العبّاس به، وقد ذكرناه فيما تقدَّم من هذا الكتاب في الجزء الأوّل.

وروى أبو بكر، قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدّثنا عبد الله بن عمر، عن حمّاد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، قال: لمّا توفّي النَبيّ ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عُبادة، فأتاهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فقال

---

١ ـ ب: «ما يفتح».

الحُباب بن المنذر: منّا أمير ومنكم أمير، إنّا والله ما ننفِس[1] هذا الأمر عليكم أيُّها الرَّهط؛ ولكنّا نخاف أن يَليَه بعدكم مَنْ قتلْنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم. فقال عمر ابن الخطّاب: إذا كان ذلك قمت إن استطعت. فتكلّم أبو بكر، فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراءُ، والأمر بيننا نصفان كشِقّ الأُبْلُمة[2] فبويع، وكان أوّل من بايعه بشير بن سعد والد النُعمان بن بشير.

فلمّا اجتمع النّاس على أبي بكر، قَسَم قَسْمًا[3] بين نساء المهاجرين والأنصار، إلى إمرأة من بني عديّ بن النَّجار قَسْمَها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال: قَسْم قَسَمه أبو بكر للنِّساء، قالت: أتراشونني عن ديني! والله لا أقبلُ منه شيئًا! فردّته عليه.

قلت: قرأت هذا الخبر على أبي جعفر يحيى بن محمّد العلويّ الحسينيّ المعروف بابن أبي زيد نقيب البصرة رحمه الله في سنة عشر وستّمائة من كتاب السَّقِيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ، قال: لقد صدقتْ فِراسة الحُباب، فإنّ الّذي خافه وقع يوم الحرّة، وأُخِذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بَدْر. ثمّ قال لي رحمه الله: ومن هذا خاف أيضًا رسول الله صلى الله عليه وآله على ذُرّيته وأهله، فإنّه كان عليه السلام قد وَتَر النّاس، وعلم أنّه إن مات وترك ابنتَه وولدها سُوقة ورعيّة تحت أيدي الولاة، كانوا بعرَض خطر عظيم فما زال يقرّر لابن عمّه قاعدة الأمر بعده، حفظًا لدمه ودماء أهل بيته، فإنّهم إذا كانوا وُلاة الأمر كانت دماؤهم أقربَ إلى الصِّيانة والعصمة؛ ممّا إذا كانوا سوقة تحتَ يد وَالٍ من غيرهم، فلم يساعده القضاء والقَدَر، وكان من الأمر ما كان. ثمّ أفضى أمر ذرّيّته فيما بعد إلى

---

١ ـ ننفس: نحسد.

٢ ـ في اللّسان: (١٤: ٣٢٠) وفي حديث السّقيفة: «الأمر بيننا وبينكم كقد الأبلمة»، والأبلمة، بضمّ الهمزة واللّام وفتحهما وكسرهما: خوصة المقلّ، وهمزتها زائدة، يقول: نحن وإيّاكم في الحكم سواء، لا فضل لأمير على مأمور، كالخوصة إذا شقّت اثنتين متساوتين.

٣ ـ القسم هنا: العطاء.

ما قد علمت.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: حدّثني يعقوب بن شيبة بإسناد رفعه إلى طلحة ابن مصرِّف، قال: قلت لهذيل بن شُرَحبيل: إنّ النّاس يقولون: إنّ رسول الله ﷺ أوصى إلى عليّ عليه السلام، فقال: أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله ﷺ! ودّ أبو بكر أنّه وجد من رسول الله ﷺ عهدًا فخزم أنفه.

قلت: هذا الحديث قد خرّجه الشّيخان: محمّد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجّاج القُشَيريّ في صحيحيهما عن طلحة بن مصرّف، قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى: أوصى[1] رسول الله ﷺ؟ قال: لا، قلت: فكيف كُتِب على المسلمين الوصيّة[2]؟ أو كيف أمر بالوصيّة ولم يوصَ[3]؟ قال: أوصى بكتاب الله[4]. قال طلحة: ثمّ قال ابن أبي أوفى: ما كان أبو بكر يتأمّر على وصيّ رسول الله ﷺ؛ ودّ أبو بكر أنّه وَجَد مِنْ رسول الله ﷺ عهدًا، فخزم أنفه بخزامه.

وروى الشّيخان في الصّحيحين عن عائشة أنّه ذُكِر عندها أنّ رسول الله ﷺ أوصى، قالت: ومتى أوصى؟ ومن يقول ذلك؟ قيل: إنّهم يقولون قالت: مَنْ يقوله؟ لقد دعا بطِسْت ليبول وإنّه بين سَحْري ونَحْري فانخنث[5] في صدري فمات وما شَعَرت.[6]

---

١ ـ لفظ مسلم: «هل أوصى؟».

٢ ـ لفظ مسلم: «فلم كتب على المسلمين الوصيّة؟».

٣ ـ لفظ مسلم: «أو فلم أمروا بالوصيّة؟».

٤ ـ صحيح مسلم ٣: ١٢٥٦.

٥ ـ انخنث: مال وسقط.

٦ ـ لفظ مسلم ٣: ١٢٥٧ بسنده عن الأسود بن يزيد: «ذكروا عند عائشة أنّ عليًّا كان وصيًّا، فقالت: متى أوصى إليه؟ فقد كنت مسندته إلى صدري ـ أو قالت حجري ـ فدعا بالطّست، فلقد

وفي الصّحيحين أيضًا خرّجاه معًا عن ابن عبّاس، أنّه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثمّ بكى حتّى بلّ دمعه الحصا، فقلنا: يابْنَ عبّاس وما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وَجَعُه، فقال: ائتوني بكتاب أكتُبه لكم [١] لاتضلّوا بعدي أبدًا. فتنازعوا فقال: إنّه لا ينبغي عندي تنازُع فقال قائل: ما شأنه؟ أهَجَر؟ استفهموه. فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني والّذي أنا فيه خير من الّذي أنتم فيه، ثمّ أمَر بثلاثة أشياء، فقال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوَفد بنحو ما كنت أجيزُهم. وسُئِل ابن عبّاس عن الثّالثة فقال: إمّا ألّا يكون تكلّم بها، وإمّا أن يكون قالها فنسِيت. [٢]

وفي الصّحيحين أيضًا خرّجاه معًا عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لمّا احتُضِر [٣] رسول الله ﷺ وفي البيت رجالٌ منهم عمر بن الخطّاب؛ قال النّبيّ ﷺ: هلمّ أكتبْ لكم كتابًا لاتضِلّونَ بعده، فقال عمر: إنّ رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجَع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف القوم واختصموا؛ فمنهم مَن يقول: قَرّبوا إليه يكتبْ لكم كتابًا لن تضلّوا بعده، ومنهم مَن يقول: القولُ ما قاله عمر؛ فلمّا أكثروا اللّغو والاختلاف عنده عليه السلام قال لهم: قوموا فقاموا، فكان ابن عبّاس يقول: إنّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لكم [٤] ذلك الكتاب [٥].

انخنث في حجري، وما شعرت أنّه مات، فمتى أوصى إليه؟».

١ ـ لفظ مسلم: «ائتوني أكتب لكم كتابًا».

٢ ـ لفظ مسلم: «قال: وسكت عن الثّالثة أو قال: فأنسيتها»، والحديث في صحيحه ٣: ١٢٥٧ـ ١٢٥٨.

٣ ـ لفظ مسلم: «حضر»؛ وهما بمعني حضره الموت.

٤ ـ لفظ مسلم: «لهم».

٥ ـ صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ: وحدّثني أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدّثني عبد الله بن عمر بن معاذ عن ابن عون، قال: حدّثني رجل من زُرَيق أنّ عمر كان يومئذٍ ـ قال: يعني يوم بويع أبو بكر ـ محتجِزًا[1] يهرول بين يدي أبي بكر؛ ويقول: ألا إنّ النّاس قد بايعوا أبا بكر، قال: فجاء أبو بكر حتّى جلس على مِنبر رسول الله صلى الله عليه وآله فحمِد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّي ولِيتُكم ولست بخيركم، ولكنّه نزل القرآن، وسُنّت السُّنن، وعلمنا فتعلّمنا أنّ أكيس الكَيْس التّقيّ، وأحمق الحمْق الفجور، وأنّ أقواكم عندي الضّعيف حتّى آخذ له بالحقّ، وأضعفكم عندي القويّ حتّى آخذ منه الحقّ. أيّها النّاس إنّما أنا متّبع ولست بمبتدع، إذا أحسنتُ فأعينوني وإذا زُغْت فقوّموني.

قال أبو بكر: وحدّثني أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أحمد بن معاوية قال: حدّثني النّضر بن شُمَيل قال: حدّثنا محمّد بن عمرو، عن سلمة بن عبد الرّحمن، قال: لمّا جلس أبو بكر على المِنبر، كان عليّ عليه السلام والزُّبير وناسٌ من بني هاشم في بيت فاطمة، فجاء عمر إليهم، فقال: والّذي نفسي بيده لَتَخْرُجُنّ إلى البَيْعة أو لأُحْرِقَنّ البيت عليكم! فخرج الزُّبير مُصْلِتًا سيفه، فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لَبِيد فدقّ به فبدر السَّيف، فصاح به أبو بكر وهو على المنبر: اضرِبْ به الحجر، قال أبو عمرو بن حماس: فلقد رأيت الحجَر فيه تلك الضَّربة؛ ويقال: هذه ضربةُ سَيف الزُّبير.

ثمّ قال أبو بكر: دعوهم فسيأتي الله بهم، قال: فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه.

قال أبو بكر: وقد رُوِي في رواية أخرى أنّ سعد بن أبي وقّاص، كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام والمقداد بن الأسود أيضًا، وأنّهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليًّا عليه السلام، فأتاهم عمر ليَحرِق عليهم البيت فخرج إليه الزُّبَير بالسَّيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح؛ فنَهْنَهَتْ من النّاس، وقالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتمع

١ـ يقال: احتجز بالإزار إذا شدّه على وسطه.

عليه النّاس؛ وإنّما اجتمعنا لنؤلّف القرآن في مصحف واحد. ثمّ بايعوا أبا بكر، فاستمرّ الأمرُ واطمأنّ النّاس.

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد عمر بن شبّة قال: أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال: حدّثنا إسماعيل بن مجالد عن الشّعبيّ، قال: سأل أبو بكر، فقال: أين الزُّبير؟ فقيل: عند عليّ وقد تقلّد سيفه، فقال: قُمْ يا عمر قُمْ يا خالد بن الوليد؛ انطلقا حتّى تأتياني بهما، فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد على باب البيت من خارج، فقال عمر للزُّبير: ما هذا السَّيف؟ فقال: نبايع عليًّا فاخترطه عمر، فضرب به حجرًا فكسره، ثمّ أخذ بيد الزُّبير فأقامه، ثمّ دفعه، وقال: يا خالد دونَكَه فأمسكه، ثمّ قال لعليّ: قُمْ فبايِعْ لأبي بكر، فتلكّأ واحتبس، فأخذ بيده، وقال: قُمْ فأبَى أن يقومَ، فحمله ودفعه كما دفع الزُّبير، فأخرجه، ورأت فاطمةُ ما صنِع بهما، فقامت على باب الحجرة، وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتُم على أهلِ بيت رسول الله! والله لا أكلّم عمر حتّى ألقى الله. قال: فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشفَع لعمر، وطلب إليها فرضيت عنه.

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو زيد، قال: حدّثنا محمّد بن حاتم، قال: حدّثنا الحراميّ قال: حدّثنا الحسين بن زيد، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن ابن عبّاس، قال: مرّ عمر بعليّ وعنده ابنُ عبّاس بفِناء داره، فسلّم فسألاه: أين تريد؟ فقال: ما لي بَينبُع، قال عليّ: أفلا نصل جناحَك ونقوم معك؟ فقال: بلى، فقال لابن عبّاس: قُمْ معه، قال: فشبّك أصابعه في أصابعي، ومضى حتّى إذا خَلّفنا البقيع، قال: يابن عبّاس أما والله. أن كان صاحبُك هذا أوْلى النّاس بالأمر بعد وفاة رسول الله إلّا أنّا خفناه على اثنتين. قال ابن عبّاس: فجاء بمنطق لم أجد بُدًّا معه من مسألته عنه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هما؟ قال: خشيناه على حداثة سِنّه وحبّه بني عبد المطّلب.

قال أبو بكر: وحدّثني أبو زيد، قال: حدّثنا هارون بن عمر، بإسناد رفعه إلى ابن

عبّاس رضي الله عنه، قال: تفرّق النّاس ليلة الجابية [١] عن عمر، فساركلّ واحد مع إلفه، ثمّ صادفت عمر تلك اللّيلة في مسيرنا، فحادثتُه، فشكى إليّ تخلُّف عليّ عنه. فقلت: ألم يعتذر إليك؟ قال: بلى، فقلت: هو ما اعتذر به، قال: يابن عبّاس، إنّ أوّلَ مَن رَيَّثَكم عن هذا الأمر أبو بكر؛ إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنُّبوّة، قلت: لمَ ذاك يا أمير المؤمنين؟ ألم تُنلهم خيرًا؟ قال: بلى، ولكنّهم لو فعلوا لكنتم عليهم جَحْفًا جَحْفًا.[٢]

قال أبو بكر: وأخبرنا أبوزيد، قال: حدّثنا عبد العزيز بن الخطّاب، قال: حدّثنا عليّ بن هشام، مرفوعًا إلى عاصم بن عمرو بن قتادة، قال: لقِيَ عليّ عليه السلام عمر، فقال له عليّ عليه السلام: أنشُدك الله! هل استخلفك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، قال: فكيف تصنع أنت وصاحبك؟ قال: أمّا صاحبي فقد مضى لسبيله، وأمّا أنا فسأخلعها من عنقي إلى عُنُقك، فقال: جَدَع الله أنف مَنْ يُنقِذك منها! لا ولكن جعلني الله علَمًا، فإذا قمتُ فمن خالفَني ضَلّ.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد، عن هارون بن عمر، عن محمّد بن سعيد بن الفضل عن أبيه، عن الحارث بن كعب، عن عبد الله بن أبي أوفَى الخُزاعيّ، قال: كان خالد بن سعيد بن العاص مِنْ عُمّال رسول الله صلى الله عليه وآله على اليَمن، فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء المدينة، وقد بايع النّاس أبا بكر، فاحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أيّامًا، وقد بايع النّاس، وأتى بني هاشم، فقال: أنتم الظُّهر والبطن والشّعار دون الدّثار[٣]، والعصا دون اللِّحا[٤]، فإذا رضيتم رضينا، وإذا أسخطتم سخطنا. حدّثوني إن كنتم قد بايعتمْ هذا الرَّجل! قالوا: نعم، قال: على برد ورضىً من جماعتكم؟ قالوا: نعم، قال: فأنا أرضي

---

١ ـ الجابية: قرية من أعمال دمشق، ذكرياقوت أنّ عمر خطب فيه خطبته المشهورة.

٢ ـ جحفًا ،جحفًا، أي فخرًا فخرًا وشرفًا شرفًا . النّهاية لابن الأثير١: ١٤٥.

٣ ـ الشّعار: مايلي شَعر الجسد؛ وهو تحت الدّثار.

٤ ـ اللِّحاء: ما على العصا من قشرها، يمدّ ويقصّر؛ وفي خطبة الحجّاج: لألحونّكم لحو العصا.

وأبايع إذا بايعتم. أما والله يا بني هاشم، إنّكم الطّوال الشّجر الطّيب الثّمر. ثمّ إنّه بايع أبا بكر، وبلغت أبا بكر فلم يحفل بها، واضطغنها عليه عمر، فلمّا ولّاه أبو بكر الجند الّذي استنفر إلى الشّام، قال له عمر: أتولّى خالدًا وقد حَبسَ عليك بيعته، وقال لبني هاشم ما قال! وقد جاء بوَرِق من اليمن وعبيد وحُبْشان ودُروع ورماح! ما أرى أن تولّيه، وما آمن خلافه فانصرف عنه أبو بكر، وولّى أبا عبيدة بن الجرّاح، ويزيد بن أبي سفيان وشُرَحْبيل بن حَسَنة.

واعلم! أنّ الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جدًّا، ومَنْ تأمّلها و أنصف، علم أنّه لم يكن هناك نصّ صريح ومقطوع به لا تختلجه الشّكوك، ولا تَتطرّق إليه الاحتمالات كما تزعم الإماميّة: فإنّهم يقولون: إنّ الرّسول ﷺ نصّ على أمير-المؤمنين عليه السلام نصًّا صريحًا جليًّا ليس بنصّ يوم[1] الغدير، ولا خبر المنزلة[2]، ولا ما شابههما من الأخبار الواردة من طرق العامّة وغيرها،[3] بل نصّ عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين،

---

١ ـ هو غدير خم، موضع بين مكّة والمدينة، نقل المحبّ الطّبريّ في «الرّياض النّضرة» (٢: ١٦٩) أنّ الرّسول ﷺ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه».

٢ ـ يشير إلى حديث: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».

(٣) كيف يدّعي ابن أبي الحديد عدم وجود نصّ صريح مقطوع لا تختلجه الشّكوك ولاتتطرّق إليه الاحتمالات و هو نفسه يعترف بوجود نصّ يوم الغدير و المنزلة. و الشّيعة لا يقول بأنّ النّصّ غيرهما بل يقول النّصّ هما مع أحاديث كثيرة كحديث خاصف النّعل و ماجاء في نزول آية «و انذر عشيرتك الأقربين» الشّعراء: ٢١٤، و غيرها من الأحاديث، الّتي نقل كثيرًا منها ابن أبي الحديد في تضاعيف كلامه في هذا الفصل.

نقل حديث الغدير أحمد النّسائيّ (المتوفّى ٣٠٣ هـ ق) في «الخصائص» ص ٨٠ ح ٥٠ [تحقيق: محمّد هادي أميني، تهران مكتبة نينوا]

و أبو يعلي محمّد (المتوفّى ٣٠٧ هـ ق) في مسنده [تحقيق: حسين أسد، دمشق، دار المأمون للتّراث]

و ابن المغازلي (المتوفّى ٤٣٨ هـ ق) في «مناقب أهل البيت» ص ٦٨ [تحقيق محمد كاظم محمودي، تهران، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، الطبعة الأولى ١٤٢٧]

و حديث الغدير بلفظ «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» من الأحاديث المتواترة نصّ على تواتره السّيوطيّ (المتوفّى ٩١١هـ ق) في «قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» [تحقيق: خليل محيي الدّين الميس، بيروت المكتب الإسلاميّ ١٤٠٥ ق]

و قال الذّهبيّ (المتوفّى ٧٤٨ هـ ق) «صحيح ثابت لاريب فيه» «سير أعلام النّبلاء» ج٥ ص ٤١٥، [بيروت، طبع الرّسالة، ١٤٠٢ ق] . و «تذكرة الحفّاظ» ج ٢ ص ٧١٣، [تحقيق عبد الرّحمان المعلّميّ، مكّة المكرّمة، مكتبة حرم المكّي، ١٣٧٤ هـ ق]

و ماجاء في الأخبار من أمره ﷺ، بتوقّف القافلة بعد رجعته ﷺ من حجّة الوداع، و إرجاع ما سبقوا عليه من النّاس و الصّبر للحوق ما تأخّروا عنه ثمّ أمره باتّخاذ المنبر من أقتاب الإبل ثمّ قيامه عليه حتّى يراه النّاس ثمّ تحميد الله و تقديسه و قال: يا أيّها النّاس أُوحي إليّ «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» [المائدة: ٦٧] فِي عَلِيٍّ يَعْنِي فِي الْخِلَافَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ»، مَعَاشِرَ النَّاسِ مَا قَصَّرْتُ فِي تَبْلِيغِ مَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى إِلَيَّ وَأَنَا مُبَيِّنٌ لَكُمْ سَبَبَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ. إِنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام هَبَطَ إِلَيَّ مِرَاراً ثَلَاثاً يَأْمُرُنِي عَنِ السَّلَامِ رَبِّي وَهُوَ السَّلَامُ أَنْ أَقُومَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ فَأُعْلِمَ كُلَّ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَالْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَهُوَ وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ [إلى أن قال:] أَ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَأَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثاً- كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ مِثْلَ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ- وَ يَقُولُ النَّاسُ كَذَلِكَ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرَفَعَهَا حَتَّى بَدَا لِلنَّاسِ بَيَاضُ إِبْطَيْهِمَا ثُمَّ قَالَ: «أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ- اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَ عَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ» .

وأقول: إذا لم يدلّ قول النّبيّ ﷺ «أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَخِي وَ وَصِيِّي وَ خَلِيفَتِي وَ الْإِمَامُ مِنْ بَعْدِي الَّذِي مَحَلُّهُ مِنِّي مَحَلُّ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَ هُوَ وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِ اللهِ وَ رَسُولِهِ» على إمامته و خلافته فأيّ نصّ و عبارة تدلّ على ذلك حتّى تقنع منكري هذه الفضيلة وهي

وأمر المسلمين أن يسلّموا عليه بذلك، فسلّموا عليه بها، وصرّح لهم في كثير من المقامات بأنّه خليفة عليهم من بعده، وأمرهم بالسّمع والطّاعة له. ولا رَيْب أنّ المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، يعلم قطعًا أنّه لم يكن هذا النّصّ، ولكن قد سبق إلى النّفوس والعقول أنّه قد كان هناك تعريض وتلويح، وكناية وقول غير صريح، وحكم غير مبتوت، ولعلّه ﷺ كان يصدّه عن التّصريح بذلك أمرٌ يعلّمه، ومصلحة يراعيها، أو وقوف، مع إذن الله تعالى في ذلك.

فأمّا امتناع عليّ عليه السلام من البيعة حتّى أخرج على الوجه الّذي اخرج عليه، فقد ذكره المحدّثون ورواه أهل السّير. وقد ذكرنا ما قاله الجوهريّ في هذا الباب؛ وهو من رجال الحديث ومن الثِّقات المأمونين، وقد ذكر غيرُه من هذا النّحو ما لايحصي كثرة.

فأمّا الأمور الشّنيعة المستهجَنة الّتي تذكرها الشّيعة من إرسال قُنْفُذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنّه ضربها بالسَّوْط فصار في عَضُدها كالدُّملج وبقي أثره إلى أن ماتت، وأنّ عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! وألقت جنينًا

إمامته وخلافته لرسول الله ﷺ؟ أليس هذا الإنكار من الجهل بحديث النّبيّ المصطفى ﷺ؟

و كذا جملة «مَنْ كُنتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ» مع ملاحظة ماتقدّم من كيفيّة بيانه ﷺ و أخذه ﷺ بيد عليّ عليه السلام و الإقرار على ولاية نفسه ﷺ بقوله: «أَلَسْتُمْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» فهذه إن لم تدلّ على نصبه للخلافة و الإمامة فأيّ عبارة و حركة تدلّ على ذلك؟

و أنت أيّها القارئ إن كنت في شكٍّ في إسناد الحديث أو دلالتها فارجع:

ـ الشّوشتريّ نور الله، إحقاق الحقّ و إزهاق الباطل، طبع قم، مكتبة المرعشيّ.

ـ الهنديّ حامد حسين، عبقات الأنوار في الأئمّة الأطهار، تحقيق غلامرضا بروجردى، طبع قم، مكتبة أمير المؤمنين، ١٣٦٦هـ ش.

ـ الأميني، عبد الحسين، الغدير، طبع بيروت، دار الكتب العربيّ، ١٣٧٨ هـ ق.

ميّتًا[1]، وجُعل في عُنق عليّ عليه السلام حَبلٌ يقاد به وهو يُعتَل، وفاطمة خلفه تصرخ

---

(١) هذا الأمر الّذي عبّر عنه ابن أبي الحديد بـ «الأمور الشّنيعة المستهجنة الّتي تذكرها الشّيعة...» إلخ أُمورٌ، رواه العامّة فهؤلاء:

ـ ابن أبي شيبه، عبد الله، (المتوفّى ٢٣٥ هـ ق) في كتابه «المصنّف في الأحاديث و الآثار»، [تحقيق سعيد محمّد اللّحّام ، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ ق] قال: «إنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله كان عليّ و الزّبير يدخلان على فاطمه بنت رسول الله، فيشاورونها و يرتجعون في أمرهم.

فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطّاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنت رسول الله و الله ما أحد أحبّ إلينا من أبيك و ما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، و أيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النّفر عندك أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت. قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمون انّ عمر قد جاءني، و قد حلف بالله لئن عدتم ليُحرقنّ عليكم البيت، و أيم الله ليَمضينّ لما حلف عليه .

ـ و ابن قتيبة عبد الله، (المتوفّى ٢٧٦ هـ ق)، في كتابه « الإمامة و السّياسة» ج ١ ص ٢١ [طبع مصر، مكتبة الحلبيّ، ١٣٨٢ هـ ق] قال: «فدعا بالحطب وقال: والّذي نفس عمر بيده. لتخرجنّ أو لأحرقنّها على مَن فيها، فقيل له يا أبا حفص. إنّ فيها فاطمة ؟ فقال وإن، فخرجوا فبايعوا إلّا عليًا» و هو تهديدٌ صريح من إحراق بيت فاطمه عليها السلام

ـ و قال ابن قتيبة في «الإمامة و السّياسة ج ١ص ١٣» : «ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا فاطمة فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها يا أبتاه رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، و ابن أبي قحافة فلمّا سمع القوم صوتها و بكائها انصرفوا. و بقي عمر و معه قوم فأخرجوا عليًا فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا له بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ فقالوا: إذًا و الله الّذى لا إله إلّا هو نضرب عنقك...! »

ـ و قال أبو بكر عبد العزيز الجوهريّ في كتاب «السّقيفة» الّذى نقل عنه ابن أبي الحديد، وقال في حقّه في شرح نهج البلاغه (ج٢ص٦٠): قد ذكرنا ما قاله الجوهريّ في هذا الباب، و هو من رجال الحديث ومن الثّقات المأمونين، وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ص٥٦ نقلًا عنه «لمّا جلس أبو بكر على المنبر كان عليّ عليه السلام و الزُّبير و ناس من بني هاشم في بيت فاطمة فجاء

وتنادى يالوَيْل والثّبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان. وأنّ عليًّا لمّا أحضِر

عمر إليهم فقال: والّذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت عليكم ! فخرج الزّبير مصلتًا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لبيد فدقّ به فبدر السّيف فصاح به أبو بكر وهو على المنبر: إضرب به الحجر»

ـــ و قال أحمد بن يحيى البغداديّ المعروف بالبلاذريّ (المتوفّى ٢٧٩ هـ ق) في «أنساب الأشراف» ج ١ ص ٥٨٦ ح ١١٨٤ [تحقيق، سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، الطّبعة الأولى، ١٤١٧ ق]: «أنّ أبابكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر و معه فتيلة! فتلقّته فاطمة على الباب. فقالت فاطمة: يابن الخطاب، أتراك محرقًا عليّ بابي؟ قال: نعم، و ذلك أقوى فيما جاء به أبوك...

ـــ و ذكر الطّبريّ (المتوفّى ٣١٠ هـ ق) في «تاريخ الأمم و الرّسل و الملوك» ج٢ص٢٣٣ [طبع قاهرة، الاستقامة]: «أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَنْزِلَ عَلِيٍّ وَفِيهِ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَرِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَتَخْرُجُنَّ إِلَى الْبَيْعَةِ فَخَرَجَ عَلَيْهِ الزُّبَيْرُ مصلتا بالسّيف، فَعَثَرَ فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فأخذوه....».

ـــ شهاب الدّين أحمد المعروف بـ ابن عبد ربّه الأندلسيّ المتوفّى (٣٢٧هـ ق) في كتابه «العقد الفريد ج ٤ ص ٩٣ » [تصحيح أحمد أمين و غيره، طبع بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤٣٠ ق] قال في المتخلّفين عن البيعة لأبي بكر:

«فأمّا عليّ و العبّاس و الزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتّى بعثت إليهم أبوبكر، عمر بن الخطّاب ليُخرجهم من بيت فاطمة و قال له: إن أبَوا فقاتِلهم، فأقبل بقبسٍ من نار أن يُضرم عليهم الدّار، فلقيته فاطمة فقال: يا ابن الخطّاب أجئت لتحرق دارنا؟ !قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة!.

و قال الشّهرستانيّ، محمّد، المتوفّى (٥٤٧ هـ ق) في «الملل و النّحل ص ٨٣»[تحقيق محمّد سيد گيلاني، بيروت، دار المعرفة] نقل عن النّظّام: «إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتّى ألقت الجنين (المحسن) من بطنها وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها وما كان في الدّار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين».

و فيما ذكرناه كفاية .

سلّموه البيعة فامتنع، فتهدّد بالقتل، فقال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسول الله! فقالوا: أمّا عبدُ الله فنعم! وأمّا أخو رسول الله فلا. وأنّه طعن فيهم في أوجههم

---

(١) هذا الّذي جعله ابن أبي الحديد من الأمور الشّنيعة المستهجنة هو ما جاء في كتاب له عليه السلام إلى معاوية الرّقم: ٢٨، و نقله ابن ابي الحديد في شرحه المجلّد الخامس عشر الصّفحة: ١٨٣، حيث قال عليه السلام خطابًا لمعاوية: «وقلتَ: إنّي كنتُ أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتّى أبايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلومًا ما لم يكن شاكًّا في دينه، ولا مرتابًا بيقينه! وهذه حُجّتي إلى غيرك قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها».

ــ ونقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٢: ٥٠) عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز قال: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا إبراهيم ابن المنذر عن ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الأسود، قال: «غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب عليّ والزّبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام، معهما السّلاح، فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش، وهما من بني عبد الأشهل، فصاحت فاطمة عليها السلام، وناشدتهم الله. فأخذوا سيفَي عليّ والزّبير، فضربوا بهما الجدار حتّى كسروهما ثمّ أخرجهما عمر يسوقهما حتّى بايعا».

ــ وقال ابن قتيبة: في «الإمامة و السّياسة ١: ١٦»

«فقال عمر الثّانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة فقال أبو بكر رضي الله عنه لقُنفُذ: عُد إليه فقل له خليفة رسول الله يدعوك لتبايع فجاءه قُنفذ فأدّى ما أمر به، فرفع عليٌّ صوتَه فقال: سبحان الله لقد ادّعى ما ليس له، فرجع قُنفذ فأبلغ الرّسالة، فبكى أبو بكر طويلًا ثمّ قام عمر فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلمّا سمعت أصواتهم، نادت بأعلى صوتها يا أبت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تنصدع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر و معه قوم فأخرجوا عليًّا فمضَوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع فقال: إن أنا لم أفعل فمَه؟ قالوا: إذًا والله الّذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، فقال: إذًا تقتلون عبد الله وأخا رسوله قال عمر أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخو رسوله فلا وأبو بكر ساكت لا يتكلّم فقال له عمر ألا تأمر فيه بأمرك فقال لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه فلحق عليّ بقبر رسول

بالنِّفاق، وسطر صحيفة الغدر الّتي اجتمعوا عليها، وبأنّهم أرادوا أن ينفِّروا ناقة رسول الله ﷺ ليلة العقبة؛ فكلّه لا أصل له عند أصحابنا، ولايُثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنّما هو شيء تنفرد الشّيعة بنَقْله. (٢: ٢١ ـ ٦٠)

(الخطبة: ٦٦) الأصل: ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار:

قالوا: لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السَّقيفة بعد وفاة رسول الله ﷺ، قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير؛ قال عليه السلام:

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رسول الله ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ، وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ؟ قَالُوا: وَما فِي هذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: لَوْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ. ثُمَّ قال عليه السلام: فَمَاذَا[1] قَالَتْ قُرَيْشٌ؟ قَالُوا: احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ. فَقَالَ عليه السلام: احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ، وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ!

الشَّرح: قد ذكرنا فيما تقدّم طرفًا من أخبار السَّقيفة؛ فأمّا هذا الخبر الوارد في الوصيّة بالأنصار؛ فهو خبر صحيح، أخرجه الشّيخان محمّد بن إسماعيل البخاريّ ومسلم بن الحجّاج القُشَيْريّ في مسنديهما، عن أنس بن مالك، قال: مرّ أبو بكر والعبّاس رضى الله تعالى عنهما بمجلسٍ من الأنصار في مرض رسول الله ﷺ وهم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا محاسنَ رسول الله ﷺ. فدخلا على النَّبيّ ﷺ وأخبراه بذلك؛ فخرج ﷺ وقد عَصَب على رأسه حاشية بردة[2]، فصعد المِنبر ـ ولم يصعده بعد ذلك اليوم ـ فحمِدَ الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «أوصِيكم بالأنصار، فإنّهم كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وقد قضوا الّذي عليهم؛ وبقيَ الّذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا

الله ﷻ».

١ ـ مخطوطة النَّهج: «وماذا».

٢ ـ البخاريّ: «برد».

عن مسيئهم»[١].

فأمّا كيفيّة الاحتجاج على الأنصار، فقد ذكرها عليّ عليه السلام، وهي أنّه لو كان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ممّن يجعل الإمامة فيهم؛ لأوصى إليهم، ولم يوص بهم.

وإلى هذا نَظر عمرو بن سعيد بن العاصَ، وهو المسمّى بالأشْدَق؛ فإنّ أباه لمّا مات خَلّفه غلامًا، فدخل إلى معاوية، فقال: إلى مَنْ أوْصى بك أبوك؟ فقال: إنّ أبي أوصَى إليّ ولم يوصِ بي؛ فاستحسن معاوية منه ذلك؛ فقال: إنّ هذا الغلام لأشْدَق، فسمّي الأشْدَق.

فأمّا قول أمير المؤمنين: «احتجّوا بالشَّجرة وأضاعوا الثَّمرة»؛ فكلام قد تكرّر منه عليه السلام أمثالُه؛ نحو قوله: «إذا احتجّ عليهم المهاجرون بالقُرْب من رسول الله صلى الله عليه وآله كانت الحجّة لنا على المهاجرين بذلك قائمة؛ فإن فَلَجَتْ حَجّتهم كانت لَنَا دونهم؛ وإلّا فالأنصار على دعوتهم».

نحو هذا المعنى قول العبّاس لأبي بكر: «وأمّا قولك: نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّكم جيرانها؛ ونحن أغصانها». (٦ : ٣ ـ ٥)

[الثّاني: أخبار يوم السّقيفة]

ونحن نذكر خبر السَّقيفة؛ روَى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب «السَّقيفة»، قال: أخبرني أحمد بن إسحاق، قال: حدّثنا أحمد بن سيّار، قال: حدّثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاريّ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قُبِض، اجتمعت الأنصار في سَقِيفة بني ساعدة، فقالوا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبِض، فقال سعد بن عبادة لابنه قيس ـ أو لبعض بنيه: إنّي لا أستطيعُ أن أُسْمِعَ النّاسَ كلامي لمرضِي؛ ولكن تلقّ منّي قولِي فأسْمِعهم. فكان سعد يتكلّم، ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليُسمِع قومَه؛ فكان من

---

١ ـ صحيح البخاريّ ٢: ٣١٢ ـ صحيح مسلم: ١٩٤٩.

قوله، بعد حمد الله والثّناء عليه أن قال: إنّ لكم سابقةً إلى الدّين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب. إنّ رسول الله ﷺ لبثَ في قومه بضع عشرةَ سنة، يدعوهم إلى عبادة الرّحمن، وخلْع الأوثان؛ فما آمن به من قومه إلّا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله، ولا يُعِزُّوا دينَه، ولا يدفعوا عنه عِداه؛ حتّى أراد الله بكم خيرَ الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصّكم بدينه، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والإعزاز لدينه، والجهادَ لأعدائه؛ فكنتم أشدَّ النّاس على مَنْ تخلّف عنه منكم، وأثقله على عَدُوِّه من غيركم؛ حتّى استقاموا لأمر الله طوْعًا وكَرْهًا، وأعطى البعيد المقَادَة صاغرًا داحضًا، حتّى أنجز الله لنبيّكم الوعد، ودانت لأسيافِكم العربُ. ثمّ توفّاه الله تعالى؛ وهو عنكم راضٍ؛ وبكم قريرُ عَيْن، فشُدّوا يديْكم بهذا الأمر، فإنّكم أحقُّ النّاس وأولاهم به.

فأجابوا جميعًا: أنْ وُفّقت في الرّأي وأصبت في القول، ولن نعدُوَ ما أمرت، نولّيك هذا الأمر، فأنت لنا مقنَع، ولصالح المؤمنين رضًا.

ثمّ إنّهم ترادُّوا الكلام بينهم، فقالوا: إن أبتْ مُهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون، وأصحابُ رسول الله ﷺ الأوّلون؛ ونحن عشيرته وأولياؤه؛ فعلَام تُنازعوننا هذا الأمر من بعده؟ فقالت طائفة منهم: إذًا نقول: مِنّا أمير، ومنكم أمير؛ لن نرضى بدون هذا منهم أبدًا، لنا في الإيواء والنُّصرة ما لهم في الهجرة، ولنا في كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدُّون شيئًا إلّا ونعدّ مثله، وليس مِنْ رأينا الاستئثارُ عليهم؛ فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال سعد بن عبادة: هذا أوّل الوَهَن.

وأتى الخبرُ عمر، فأتى منزلَ رسول الله ﷺ، فوجَد أبا بكرٍ في الدّار وعليًّا في جهاز رسول الله ﷺ، وكان الّذي أتاه بالخبر مَعْن بن عديّ، فأخذ بيد عمر وقال: قُمْ، فقال عمر: إنّي عنك مشغول، فقال: إنّه لا بدّ من قيام؛ فقام معه، فقال له: إنّ هذا الحيَّ من الأنصار قد اجتمعُوا في سقيفة بني ساعدة، معهم سعد بن عبادة، يدورون حَوْله؛

ويقولون: أنت المرجّي، ونجلَك المرجّي، وثمّ أناسٌ من أشرافهم، وقد خُشِيت الفتنة، فانظر يا عمر ماذا ترى! واذكر لإخوتك من المهاجرين، واختاروا لأنفسكم، فإنّي أنظر إلى باب فتنة قد فتِح السّاعة إلّا أن يُغلِقَهُ الله. ففزِع عمر أشدَّ الفزع، حتّى أتى أبا بكر، فأخذ بيده، فقال: قُمْ. فقال أبو بكر: أين نبرح حتّى نواريَ رسول الله! إنّي عنك مشغول. فقال عمر: لابدّ من قيام؛ وسنرجع إن شاء الله.

فقام أبو بكر مع عمر، فحدّثه الحديث، ففزِع أبو بكر أشدَّ الفزع، وخرجا مسرعَيْن إلى سقيفة بني ساعدة؛ وفيها رجالٌ من أشراف الأنصار؛ ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم، فأراد عمر أن يتكلّم ويمهّدَ لأبي بكر؛ وقال: خشِيتُ أن يقصّر أبو بكر عن بعض الكلام؛ فلمّا نَبَس عمر، كَفّه أبو بكر وقال: عَلَى رِسْلك؛ فتلقّ الكلامَ ثمّ تكلّمْ بعد كلامي بما بدالك. فتشهّد أبو بكر، ثمّ قال:

إنّ الله جلّ ثناؤه بعثَ محمّدًا بالهدى ودين الحقّ، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه، وكُنّا معاشرَ المسلمين المهاجرين أوّلَ النّاس إسلامًا، والنّاس لنا في ذلك تَبَع، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ، وأوسطُ العرب أنسابًا، ليس من قبائل العرب إلّا ولقريش فيها ولادة؛ وأنتم أنصارالله، وأنتم نصرتُم رسول الله ﷺ، ثمّ أنتم وزراء رسول الله ﷺ، وإخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدّين؛ وفيما كُنّا فيه من خير؛ فأنتم أحبُّ النّاس إلينا، وأكرمُهم علينا، وأحقّ النّاس بالرّضا بقضاء الله، والتّسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين، وأحقّ النّاس ألّا تحسدوهم، فأنتم المؤثِرون على أنفسِهم حين الخصاصة، وأحقُّ النّاس ألّا يكون انتفاض هذا الدّين واختلاطه على أيدِيكم، وأنا أدعوكم إلى أبي عبيدة وعمر؛ فكلاهما قد رضِيت لهذا الأمر، وكلاهما أراه له أهلًا.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحدٍ من النّاس أن يكونَ فوقك، أنت صاحبُ الغار، ثاني اثنين، وأمرَك رسول الله بالصّلاة، فأنت أحقُّ النّاس بهذا الأمر.

فقال الأنصار: والله ما نحسدكُم على خيرٍ ساقه الله إليكم، ولاأحدَ أحبّ إلينا ولا

أرضى عندنا منكم. ولكنّا نشفِق فيما بعد هذا اليوم، ونحذر أن يغلبَ على هذا الأمر مَنْ ليس مِنّا ولا منكم؛ فلو جعلتم اليوم، رجُلًا منكم بايعْنا ورضينا؛ على أنّه إذا هلك اخترنا واحدًامن الأنصار؛ فإذا هَلَك كان آخرمن المهاجرين أبدًا ما بقيت هذه الأمّة؛ كان ذلك أجدر أن يعدَل في أُمّة محمّدﷺ، فيشفِق الأنصاريّ أن يزيغ فيقبض عليه القرشيّ، ويشفق القرشيّ أن يزيغَ فيقبض عليه الأنصاريّ .

فقام أبو بكر فقال: إنّ رسول اللهﷺ لمّا بُعِث عَظُم على العرب أن يتركُوا دينَ آبائهم، فخالفوه وشاقّوه، وخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومِه بتصديقه والإيمان به، والمواساة له، والصَّبرمعه على شدّة أذَى قومه، ولم يستوحشوا لكثرة عَدُوّهم؛ فهم أوّل مَنْ عَبَد الله في الأرض، وهم أوّلُ مَن آمَن برسول الله، وهم أولياؤه وعترته، وأحقّ النّاس بالأمربعده،لا ينازعهم فيه إلّا ظالم. وليس أحدٌ بعد المهاجرين فضلًا وقَدَمًا في الإسلام مثلكم. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لانمتاز دونَكم بمشورة، ولانقضي دونكم الأمور.

فقام الحُباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار، امْلِكُوا عليكم أيديَكم؛ إنّما النّاس في فيئكم وظلّكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا يصدر النّاس إلّا عن أمركم؛ أنتم أهل الإيواء والنُّصرة، وإليكم كانت الهجرة، وأنتم أصحاب الدّار والإيمان؛ والله ما عُبِدالله علانية إلّا عندكم وفي بلادكم، ولاجمعت الصّلاة إلّا في مساجدكم، ولاعُرِف الإيمان إلّا من أسيافكم، فامْلِكُوا عليكم أمرَكم، فإن أبَى هؤلاء فمنّا أميرٌ ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لايجتمع سَيْفان في غِمْد؛ إنّ العرب لاترضى أن تؤمّركم ونبيُّها من غيركم، وليس تمتنع العرب أن تولّيَ أمرَها مَنْ كانت النّبوّة فيهم؛ وأولوا الأمرمنهم، لنا بذلك الحجّة الظّاهرة على مَنْ خالفنا، والسُّلطان المبين على مَنْ نازعنا، مَنْ ذا يخاصِمُنا في سلطان محمّد وميراثه؛ ونحن أولياؤه وعشيرته؛ إلّا مُدْلٍ بباطل أو متجانفٌ لإثم أو متورّط في هَلَكة!

فقام الحُباب، وقال: يا معشر الأنصار؛ لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر، فإن أبوْا عليكم ما أعطيتموهم فأجلُوهم عن بلادكم، وتولَّوا هذا الأمر عليهم؛ فأنتم أوْلى النّاس بهذا الأمر؛ إنّه دانَ لهذا الأمر بأسيافكم مَنْ لم يكن يدين له، أنا جُذَيلُها المحكَّك، وعُذَيقُها المرجَّب[1]، إن شئتم لنعيدنَّها جَذعة[2]؛ والله لا يردّ أحدٌ عليّ ما أقول إلّا حطمت أنفه بالسَّيف.

قال: فلمّا رأى بشير بن سعد الخزرجيّ ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة ـ وكان حاسدًا له، وكان من سادة الخزرج ـ قام فقال: أيّها الأنصار؛ إنّا وإنْ كُنّا ذوِي سابقة، فإنّا لم نُرِدْ بجهادنا وإسلامِنا إلّا رضا ربّنا وطاعة نبيّنا، ولاينبغي لنا أن نستطِيل بذلك على النّاس، ولانبتغِي به عوضًا من الدُّنيا؛ إنّ محمّدًا ﷺ رجل من قريش؛ وقومُه أحقُّ بميراثِ أمره، وايمُ الله لايرانِي الله أنازعهم هذا الأمر؛ فاتّقوا اللهَ ولا تنازعوهم، ولاتخالفوهم.

فقام أبو بكر، وقال: هذا عمر وأبو عبيدة، بايعوا أيّهما شئتم؛ فقالا: والله لا نتولَّى هذا الأمر عليك؛ وأنت أفضلُ المهاجرين، وثاني اثنين، وخليفة رسول الله ﷺ على الصّلاة؛ والصّلاةُ أفضلُ الدّين، ابسُط يَدك نبايعْك. فلمّا بسَط يَده، وذهبا يبايعانه، سبقهما بشير بن سعد، فبايَعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير، عَقّك عقاق؛ والله ما اضطرّك إلى هذا الأمر إلّا الحسدُ لابنِ عَمّك. ولمّا رأت الأوس أنّ رئيسًا من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أُسَيد بن حُضَير ـ وهو رئيس الأوس ـ فبايَع حسدًا لسعد أيضًا

---

١ ـ قال الزّمخشريّ في الفائق ١: ١٨١: «الجذل: عود ينصب للإبل الجربيّ تحتك به فتشفي. والمحكك: الّذي كثر به الاحتكاك حتّى صار مملسًا. والعذق؛ بالفتح: النّخلة. والمرجّب: المدعوم بالرّجبة؛ وهي خشبة ذات شعبتين؛ وذلك إذا طال وكثر حمله. والمعنى: إنّي ذو رأى يشفي بالاستضاءة به كثيرًا في مثل هذه الحادثة، وأنا في كثرة التّجارب والعلم بموارد الأحوال فيها، وفي أمثالها ومصادرها كالنّخلة الكثيرة الحمل. ثمّ رمي بالرّأى الصّائب عنده، فقال: منّا أمير ومنكم أمير».

٢ ـ قال في اللّسان: «إن شئتم أعدناها جذعة، أي أوّل ما يبتدأ فيها».

ومنافَسَة له أن يليَ الأمرَ، فبايعت الأوس كلّها لمّا بايع أُسَيد وحِمل سعد بن عبادة وهو مريض، فأدخِل إلى منزله، فامتنع من البَيْعة في ذلك اليوم وفيما بعده. وأراد عمر أن يُكرِهه عليها، فأشير عليه ألّا يفعل، وأنّه لا يبايع حتّى يقتلَ وأنّه لايُقتل حتّى يقتل أهلُه، ولا يقتل أهلُه، حتّى يقتلَ الخزرج؛ وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها.

وفسد الأمر فتركوه، فكانَ لا يصلّي بصلاتِهم ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم؛ ولو وجد أعوانًا لضارَبهم، فلم يزلْ كذلك حتّى مات أبو بكر، ثمّ لقِيَ عمرَ في خلافته؛ وهو على فرس، وعمر على بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد! فقال سعد: هيهات يا عمر! فقال: أنت صاحب مَنْ أنت صاحبه؟ قال: نعم أنا ذاك؛ ثمّ قال لعمر: والله ما جاوَرني أحدٌ هو أبغضُ إليّ جوارًا منك، قال عمر: فإنّه مَنْ كَرِه جوار رجل انتقل عنه؛ فقال سعد: إنّي لأرجو أن أخلِيَها لك عاجلًا إلى جوار مَنْ هو أحبُّ إلىّ جوارًا منك ومن أصحابك؛ فلم يلبث سعدٌ بعد ذلك إلّا قليلًا حتّى خرج إلى الشّام، فمات بحُوران ولم يبايع لأحدٍ؛ لا لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما.

قال: وكَثُر النّاسُ على أبي بكر، فبايعه معظمُ المسلمين في ذلك اليوم؛ واجتمعت بنو هاشم إلى بيت عليّ بن أبي طالب، ومعهم الزّبير، وكان يعدّ نفسَه رجلًا من بني هاشم؛ كان عليّ يقول: «ما زال الزُّبير مِنّا أهلَ البيت؛ حتّى نشأ بنُوه، فصرفُوه عَنّا».

واجتمعتْ بنو أميّة إلى عثمان بن عفّان، واجتمعت بنو زُهْرة إلى سعد و عبد الرّحمن؛ فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة، فقال: مالي أراكم ملتاثين؟ قوموا فبايعوا أبا بكر؛ فقد بايع له النّاس، وبايعه الأنصار. فقام عثمان ومن معه، وقام سعد وعبد الرّحمن ومَنْ معهما، فبايعوا أبا بكر.

وذهب عمر ومعه عِصَابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حُضير وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايِعوا فأبوْا عليه؛ وخرج إليهم الزُّبَير بسيفِه، فقال عمر: عليكم الكلْب، فوثب عليه سلمة بن أسلم ،فأخذَ السَّيفَ من يدِه فضرب به الجِدار، ثمّ انطلقوا به وبعليّ ومعهما بنوهاشم، وعليّ يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ؛ حتّى

انتهوْا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايعْ، فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لاأبايعكم وأنتم[1] أوْلى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحْتَجَجْتُم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوْكم المقادَة، وسلَّموا إليكم الإمارة، وأنا أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتُم به على الأنصار. فأنصفونا إن كنتم تخافُون الله من أنفسِكم، واعْرِفوا لَنَا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلّا فبوّءوا بالظُّلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنّك لستَ متروكًا حتّى تبايع. فقال له عليّ: احْلب يا عمر حلبًا لك شطرُه! اشدُد له اليوم أمرَه ليردَ عليك غَدًا! ألا والله لا أقبل قولَك ولاأبايعه. فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكْرِهك، فقال له أبو عبيدة: يا أباالحسن، إنّك حديثُ السّنّ، وهؤلاء مَشْيَخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوَى على هذا الأمر منك، وأشدَّ احتمالًا له؛ واضطلاعًا به، فسلِّم له هذا الأمر وارْضَ به، فإنّك إن تعش وَيَطُلْ عمرك فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق؛ في فضلِك وقرابتِك، وسابقتِك وجهادِك.

فقال عليّ: يا معشرَ المهاجرين، اللهَ اللهَ! لا تخرِجوا سلطانَ محمّد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودُوركم، ولاتدفعوا أهلَه عن مقامه في النّاس وحَقّه؛ فوالله يا معشرَ المهاجرين، لَنَحْنُ ـ أهلَ البيت ـ أحقُّ بهذا الأمر منكم. أمَا كان منّا القارئ لكتابِ الله، الفقيه في دينِ الله، العالم بالسّنّة، المضطلع بأمر الرَّعيّة! والله إنّه لفينا، فلا تتَّبعوا الهوى، فتزدادوا من الحقّ بُعْدًا.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلامُ سمعتْهُ منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتِهم لأبي بكر؛ ما اختلف عليك اثنان؛ ولكنّهم قد بايعوا. وانصرف عليّ إلى منزله، ولم يبايع، ولزم بيتَه حتّى ماتت فاطمة فبايَع.

قلت: هذا الحديثُ يدلُّ على بُطْلان ما يُدَّعَى من النّصّ على أمير المؤمنين وغيره،

---

١ ـ هذه الزّيادة يقوّم العبارة.

لأنّه لو كان هناك نصٌّ صريح لاحتجّ به ولم يجر للنّصّ ذكر[1]؛ وإنّما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأنصار بالسّوابق والفضائل والقرب؛ فلو كان هناك نصٌّ على أمير-المؤمنين أو على أبي بكر، لاحتجّ به أبو بكر أيضًا على الأنصار، ولاحتجّ به أميرُ المؤمنين على أبي بكر؛ فإنّ هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة، يدلّ على أنّه قد كان كاشفهم وهَتَك القِناع بينه وبينهم، ألا تراه كيف نسبهم إلى التّعدّي عليه وظلمِه، وتمنّع من طاعتهم، وأسمعَهم من الكلام أشدّه وأغلظه! فلو كان هناك نصٌّ لذكره أو ذكره بعض مَنْ كان من شيعته وحِزْبه؛ لأنّه لا عِظْم بعد عَرُوس.

وهذا أيضًا يدلّ على أنّ الخبرَ المرويّ في أبي بكر في صحيحي البخاريّ ومسلم غيرُ صحيح؛ وهو ما رُوي من قوله عليه السلام لعائشة في مرضه: «ادعِي لي أباك، حتّى أكتب لأبي بكر كتابًا؛ فإنّي أخافُ أن يقول قائل، أو يتمنّى متمنٍّ ، ويأبى الله والمؤمنون ألا أبا بكر». وهذا هو نصّ مذهب المعتزلة.

وقال أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ أيضًا :حدّثنا أحمد وقال: حدّثنا ابن عفير، قال: حدّثنا أبو عوف عبد الله بن عبد الرّحمن، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ رضي الله

---

(١) كيف تدلّ ما نقلتَه من أبي بكر عبد العزيز الجوهري على عدم النّصّ على أمير المؤمنين عليه السلام و قد نقلت مرارًا حديث المنزلة و خاصف النّعل و يوم الدّار ولم تنكر حديث الغدير، و ماجاء في كلام الجوهريّ إمّا تصحيفٌ لم ينقل الاحتجاج بكلام النّبيّ و النّصّ على خلافته أو لم يكن مجالٌ للمحاجّة والاستدلال لأنّه كان مقام إكراهٍ وعُنفٍ علي البيعة لأنّهم أخرجوه من بيته كُرهًا وساقوه للبيعة كما اعترف الجوهريّ في نقلك عنه (٢: ٥٠) فأجاب بما استدلوا به أي إن كان حجّتكم على الخلافة ، القرابة و الفضائل أنا أولى به لأنّي أقرب إلى النّبيّ منكم، و أنتم لاتبلغوا فضائلي و مناقبي كما قال عليه السلام في موضع آخر: «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القُطب من الرّحى، ينحدر عنّي السّيل، ولا يرقى إليّ الطّير...».

ـ و كيف تبطل نقل قول عن شخص واحد ـ ولعلّه لم ينقل كلّ الخصوصيّات ـ الأحاديث المتكثرة و فيهم الأحاديث المتواترة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله كحديث الغدير.

عنهما، أنّ عليًّا عليه السلام حَمَل فاطمة على حمار، وسار بها ليلًا إلى بيوت الأنصار؛ يسألهم النُّصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنتَ رسول الله، قد مضت بيعتُنا لهذا الرَّجل؛ لو كان ابنُ عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عَدَلْنا به؛ فقال عليّ: أكنت أتركُ رسول الله ميِّتًا في بيته لا أجهّزه، وأخرجُ إلى النّاس أنازعهم في سلطانه! وقالت فاطمة: ما صنع أبو حسن إلّا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسبهم عليه.

وقال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز: وحدّثنا أحمد، قال: حدّثني سعيد بن كثير، قال: حدّثني ابن لهيعة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا مات وأبو ذَرّ غائب، وقدم ولي أبو بكر، فقال: أصبتم قناعه، وتركتم قرابه؛ لو جعلتم هذا الأمر في أهلِ بيت نبيّكم لما اختلف عليكم اثنان.

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثنا أبو قبيصة محمّد بن حرب، قال: لمّا توفّي النّبيّ صلى الله عليه وآله، وجرى في السّقيفة ما جرى تمثّل عليّ:

وأصبح أقوام يقولونَ ما اشتهوْا ويطغون لما غالَ زيدًا غوائلُهْ

(٦: ٥ ـ ١٤)

[قصيدة أبي القاسم المغربيّ وتعصّبه للأنصار على قريش]

وحدّثني أبو جعفر يحيى بن محمّد بن زيد العلويّ نقيب البصرة؛ قال: لمّا قدم أبو القاسم عليّ بن الحسين المغربيّ من مصر إلى بغداد، استكتبه شرفُ الدّولة أبو عليّ بن بويه، وهو يومئذ سلطان الحضرة، وأمير الأمراء بها، والقادر خليفة ففسدت الحالُ بينه وبين القادر؛ واتّفق لأبي القاسم المغربيّ أعداء سوء أوحشوا القادر منه، وأوهموه أنّه مع شرف الدّولة في القبض عليه وخلعه من الخلافة، فأطلق لسانَه في ذكره بالقبيح. وأوْصلَ القول فيه، والشّكوى منه، ونسبه إلى الرّفض وسبّ السّلف، وإلى كفران النِّعمة، وأنّه هرب من يدِ الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه.

قال النَّقيب أبو جعفر رحمه الله: فأمّا الرّفض فنعم؛ وأمّا إحسان الحاكم إليه فلا كان الحاكم! قتَل أباه وعَمّه وأخًا من إخوته، وأفلت منه أبو القاسم بخديعة الدِّين، ولو ظفر به لألحقه بهم.

قال أبو جعفر: وكان أبو القاسم المغربيّ، ينسب في الأزد، ويتعصّب لقَحْطان على عدنان، وللأنصار على قريش، وكان غاليًا في ذلك مع تشيّعه، وكان أديبًا فاضلًا شاعرًا مترسّلًا، وكثير الفنون عالمًا، وانحدر مع شرف الدّولة إلى واسط، فاتّفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطّه شبه مجموع؛ قد جمعه من خَطّه وشعره وكلامه مسود أتحفه به بعض مَنْ كان يشنّأ أبا القاسم، ويريد كيده، فوجد القادر في ذلك المجموع قصيدة من شعره، فيها تعصّب شديد للأنصار على المهاجرين حتّى خرج إلى نوع من الإلحاد والزّندقة، لإفراط غُلُوّه و فيها تصريح بالرّفض مع ذلك، فوجدها القادر تَمْرَة[1] الغراب، وأبرزها إلى ديوان الخلافة، فقرئ المجموع والقصيدة بمحضَرٍ من أعيان النّاس من الأشراف والقضاة والمعدّلين والفقهاء، ويشهد أكثرهم أنّه خَطّه، وأنّهم يعرفونه كما يعرفون وجهه، وأمر بمكاتبة شرف الدُّولة بذلك، فإلى أن وصل الكتاب إلى شرف الدّولة بما جَرى، اتّصل الخبر بأبي القاسم قبل وصول الكتاب إلى شرف الدّولة، فهرب ليلًا، ومعه بعضُ غلمانه، وجارية كان يهواها ويتحظّاها، ومضى إلى البَطِيحة ثمّ منها إلى الموصل، ثمّ إلى الشّام؛ ومات في طريقه. فأوصى أن تحمَلَ جثّته إلى مشهد عليّ، فحملت في تابوت، ومعها خفراء العرب حتّى دفن بالمشهد بالقرب منه عليه السلام[2]. وكنت برهةً أسأل النَّقيبَ أبا جعفر عن القصيدة، وهو يدافعني بها؛ حتّى أملاها عليّ بعد حين؛ وقد أوردت هاهنا بعضها، لأنّي لم أستجِز ولم أستحلّ إيرادها على وجهها، ـ فمن جملتها ـ وهو يذكر في أوّلها رسول الله صلى الله عليه وآله، ويقول: إنّه لولا الأنصار لم تستقمْ لدعوته

---

١ ـ يقال إذا أصاب الرّجل عند صاحبه أفضل ما يريد من الخير والخصب: وجد تمرة الغراب، وذلك أنّ الغراب إنّما يبتغي من التّمر أجوده. ثمار القلوب: ٣٦٦.

٢ ـ ج «بالغريّ».

دعامة، ولا أرست له قاعدة؛ في أبيات فاحشة كرهنا ذكرها:

نحنُ الّذين بنا استجارَ فلم يَضِعْ ... فينَا، وأصبَحَ في أعزَّ جِوارِ
بسيوفنا أمست سخينةُ بَرَّكا ... في بَدْرِها كنحائِرِ الجَزَّارِ[1]
ولَنحنُ في أُحُدٍ سَمَحْنَا دونه ... بنفوسنا للموت خوفَ العارِ
فنجا بمهجتِه، فلو لا ذُبْنَا ... عنه تنشّب في مخالِب ضارِ
وحميّة السَّعْدين بل بحماية السـ ... ـدين يوم الجحفلِ الجرَّارِ
في الخندق المشهور إذ ألقى بها ... بيدٍ، ورام دفاعها بِثمَارِ
قالا: معاذ الله إنَّ هضيمةً ... لم نعطَها في سالف الأعصارِ
ما عندنا إلّا السُّيوف، وأقبلَا ... نحو الحتُوف بها بَدَارِ بَدَارِ
ولنا بيوم حنين آثارٌ متى ... تذكرْ فهنّ كرائمُ الآثارِ
لما تصدّع جمعُه فغدَا بنا ... مستصرِخًا بعقيرَةٍ وجُؤارِ
عطفت عليه كماتُنا فتحصَّنَتْ ... مِنّا جموعُ هوازنٍ بفِرَارِ
وفدتْه من أبناء قَيْلَةَ عُصْبَةٌ ... شَرْوَى النّقير وجِنَّة البقَّارِ
أفنحنُ أولى بالخلافة بعدَهُ ... أم عبد تيم حامِلُو الأوزارِ!
ما الأمرُ إلّا أمرُنا وبسعدِنا ... زُفَّتْ عَرُوسُ الملك غير نوارِ!
لكنَّما حسدُ النُّفوس وشحّها ... وتذكّر الأذحالِ والأوتارِ
أفضى إلى هَرْجٍ وَمَرْجٍ فانبرَتْ ... عشواء خابطةً بغير نَهارِ
وتداولتها أربعٌ لولا أبو ... حَسَنٍ لقلتُ لؤمت من أسْتارِ[2]

---

١ ـ سخينة: لقب قريش، وفي ا، ج: «تركا».

٢ ـ الإستار، بالكسر: أربعة في العدد.

من عاجزٍ ضَرِعٍ[1]، ومن ذي غِلْظَةٍ جافٍ، ومن ذي لوثةٍ خوّارِ
ثمّ ارتدى المحرومُ فضلَ رِدائها فغلّت مراجل إحْنَةٍ ونِفَارِ
فتأكلّت تلك الجُذَى، وتلمَّظَتْ تلك الظُّبا، ورقى أجيج النَّارِ
تالله لو ألقوْا إليه زمامَها لمشى بهم سُجُحًا بغيرِ عِثَارِ[2]
ولو انَّها حلّت بساحةِ مجده بادِي بَدا سكنت بدارِ قَرَارِ
هو كالنّبيّ فضيلةً؛ لكنَّ ذا من حَظّه كاسٍ، وهذا عارِ
والفضلُ ليس بنافعٍ أربابَه إلّا بمسعدة من الأقدارِ
ثمّ امتطاها عبدُ شمس فاغتدَتْ هزؤًا، وَبُدِّل رِبحُها بخَسَارِ
وتنقلّت في عصبةٍ أمَويَّةٍ ليسوا بأطهارٍ ولا أبرارِ
مابين مأفونٍ إلى مُتَزَنْدِقٍ ومُداهِنٍ ومضاعَف وحِمَارِ

فهذه الأبيات؛ هي نظيفُ القصيدة، التقطناها وحذفْنا الفاحش، وفي الملتقط المذكور أيضًا ما لا يَجُوز؛ وهو قوله: «نحن الّذين بنا استجار»، وقوله: «ألقى بها بيدٍ»، وقوله: «فنجا بمهجته ...» البيت.

وقوله عن أبي بكر: «عبد تيم»، وقوله: «لو لا عليّ لقلت في الأربعة إنّهم إستار لؤم»، وذكره الثّلاثة رضي الله عنهم بما ذكرهم ونسبهم إليه. وقوله: «إنّ عليًّا كالنّبيّ في الفضيلة»، وقوله: «إنّ النُّبوّة حظّ أعطيه وحُرِمه عليّ عليه السلام».

فأمّا قوله في بني أميّة: «ما بين مأفون ...» البيت، فمأخوذ من قول عَبْد الملك بن مروان، وقد خطب فذكر الخلفاء من بني أميّة قبله، فقال: إنّي والله لستُ بالخليفة المستضعَف، ولا بالخليفة المداهن، ولا بالخليفة المأفون. عَنَى بالمستضعف عثمان،

---

١ ـ الضَرِع: الضَّعيف.

٢ ـ ج: «تبار».

وبالمداهِن معاوية، وبالمأفون يزيد بن معاوية؛ فزاد هذا الشّاعر فيهم اثنين: وهما المتزندِق؛ وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك والحمار وهو مروان بن محمّد بن مروان.
(٦: ١٤ ـ ١٧)

[أمر المهاجرين والأنصار بعد بيعة أبي بكر]

وروى الزُّبير بن بكّار في «الموفّقيّات» قال: لمّا بايع بشير بن سعد أبا بكر، وازدحَم النّاس على أبي بكر فبايعوه، مَرّ أبو سفيان بن حرب بالبيت الّذي فيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فوقف وأنشَد:

بَني هاشمٍ لا تطمِعُوا النّاس فيكُم ... ولا سيَّما تَيم بن مرّة أو عديّ
فما الأمر إلّا فيكمُ وإليكمُ ... وليس لها إلّا أبو حسن عليّ
أبا حَسَنٍ فاشدُد بها كفّ حازمٍ ... فإنّك بالأمر الّذي يرتجى مليّ
وأيّ امرئ يرمى قُصيًّا ورأيها ... منيع الحمى والنّاس من غالب قصيّ

فقال عليّ لأبي سفيان: إنّك تريدُ أمرًا لسْنَا من أصحابه، وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهدًا فإنّا عليه؛ فتركه أبو سفيان وعدل إلى العبّاس بن عبد المطّلب في منزله، فقال: يا أبا الفضْل[1]، أنت أحقّ بميراث ابن أخيك؛ امْدد يدك لأبايعك، فلا يختلف عليك النّاس بعد بيعتي إيّاك. فضحِك العبّاس، وقال: يا أبا سفيان، يدفعها عليّ ويطلبُها العبّاس! فرجع أبو سفيان خائبًا.

قال الزُّبير: وذكر محمّد بن إسحاق أنّ الأوس تزعم أنّ أوّل مَنْ بايع أبا بكر بشير بن سعد، وتزعم الخزرج أنّ أوّل مَنْ بايع أُسَيْد بن حُضير.

قلت: بشير بن سعد خزرجيّ وأسيْد بن حضير أوْسِيّ، وإنّما تدافَع الفريقان

---

١ ـ كذا في ب، ج، و في ا: «أنت لها».

الرّوايتين تفاديًا عن سعد بن عبادة وكراهيّة كلِّ حيٍّ منهما أن يكونَ نقض أمره جاء من جهة صاحبه؛ فالخزرج هُمْ أهله وقرابته، لايقرّون أنّ بشيربن سعد هو أوّل مَنْ بايع أبا بكروأبطل أمرسعد بن عبادة، ويُحيلون بذلك على أسيد بن حضير، لأنّه من الأوس أعداء الخزرج. وأمّا الأوس فتكره أيضًا أن ينسب أسيد إلىّ أنّه أوّل مَنْ نَقَضَ أمرسعد بن عبادة، كي لايرمُوه بالحسد للخزرج؛ لأنّ سعد بن عبادة خزرجيّ، فيحيلون بانتقاض أمره على قبيلته .وهم الخزرج ـ ويقولون: إنّ أوّلَ مَنْ بايع أبا بكر ونَقَض دعوة سعد بن عبادة بشيربن سعد؛ وكان بشيرأعور.

والّذي ثبت عندي أنّ أوّلَ مَنْ بايعه عمر، ثمّ بشيربن سعد ثمّ أسيد بن حضير، ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح، ثمّ سالم مولى أبي حذيفة.

قال الزُّبير: وقد كان مالأَ أبا بكروعمرعلى نقض أمرسعد وإفساد حاله، رجلان من الأنصار ممّن شهد بدرًا، وهما عويم بن ساعدة ومعن بن عديّ.

قلت: كان هذان الرّجلان ذوِي حُبّ لأبي بكرفي حياة رسول الله ﷺ؛ واتّفق مع ذلك بغض وشحناء؛ كانت بينهما وبين سعد بن عبادة، ولها سبب مذكور في كتاب «القبائل» لأبي عبيدة معمّربن المثنّى، فليُطلب من هناك.

وعويم بن ساعدة، هو القائل لمّا نصب الأنصار سعدًا: يا معشرَ الخزرج؛ إن كان هذا الأمرفيكم دونَ قريش فعرّفونا ذلك، وبرهنُوا حتّى نبايِعكم عليه؛ وإن كان لهم دونَكم، فسلِّموا إليهم؛ فوالله ما هلك رسول الله ﷺ حتّى عَرَفْنا أنّ أبا بكرخليفة حين أمرَه أن يصلّي بالنّاس. فشتّمه الأنصار وأخرجوه؛ فانطلق مُسرعًا حتّى التحقَ بأبي بكر، فشحَذَ عزمه على طلب الخلافة.

ذكرهذا بعينه الزُّبيربن بكّار في «الموفّقيّات».

وذكرالمدائنيّ والواقديّ أنّ مَعن بن عديّ اتّفق هو وعُوَيم بن ساعدة على تحريض أبي بكروعمرعلى طلب الأمروصرفه عن الأنصار. قالا: وكان معن بن عديّ يُشخصهما إشخاصًا ويسُوقهما سَوْقًا عنيفًا إلى السَّقيفة، مبادرةً إلى الأمرقبل فواته.

قال الزُّبير بن بكّار: فلمّا بُويع أبو بكر، أقبلَت الجماعة الّتي بايعته تزفّه زفًّا إلى مسجد رسول الله ﷺ، فلمّا كان آخر النّهار، افترقوا إلى منازلهم، فاجتمع قومٌ من الأنصار وقوم من المهاجرين، فتعاتبوا فيما بينهم، فقال عبد الرَّحمن بن عوف: يا معشرَ الأنصار، إنّكم وإن كنتم أُولي فضل ونَصْر وسابقة؛ ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا عليّ ولا أبي عبيدة.

فقال زيد بن أرقم: إنّا لا ننكر فضل مَنْ ذكرتَ يا عبد الرَّحمن؛ وإنّ مِنّا لسيّد الأنصار سعد بن عبادة، ومَنْ أمر الله رسولَه أن يقرئه السَّلام وأن يأخذ عنه القرآن أُبيّ ابن كعب، ومن يجئ يوم القيامة إمام العلماء مُعاذ بن جَبَل، ومَنْ أمضى رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين: خُزيمة بن ثابت، وإنّا لنعلم أنّ ممّن سمّيتَ من قريش مَنْ لو طلب هذا الأمر لم ينازعْه فيه أحد: عليّ بن أبي طالب.

قال الزُّبير: فلمّا كان من الغد، قام أبو بكر فخطب النّاس، وقال: أيّها النّاس؛ إنّي ولّيت أمرَكم ولستُ بخيركم فإذا أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوّموني؛ إنّ لي شيطانًا يعتريني؛ فإيّاكم وإيّاى إذا غضبت؛ لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم. الصِّدق أمانة، والكذب خيانة، والضّعيف منكم قويّ حتّى أردَّ إليه حقّه، والقويّ ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه. إنّه لا يدع قومٌ الجهادَ إلّا ضربهم الله بالذّلّ، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلّا عَمّهم البلاء؛ أطيعوني ما أطعت الله؛ فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

قال ابن أبي عبرة القرشيّ:

شكرًا لمن هو بالثَّنَاءِ حقيقُ ... ذهب اللّجَاجُ وبُويِع الصِّديقُ

مِنْ بعد ما زَلّتْ بسعدٍ نعلُه ... ورجا رجاءً دونه العَيُّوقُ

حفَّتْ به الأنصارُ عاصبَ رأسِه ... فأتاهُم الصِّدّيقُ والفاروقُ

وأبـــو عبيـــدة والّـــذين إلـــيهمُ نفـــس المؤمّـــل للّقـــاء تتـــوقُ[1]
كنّـــا نقـــول لهـــا عـــليّ والرّضـــا عُمَـــرُ وأولاهـــم بـــذاك عتيـــق
فـــدعتْ قـــريش باسمـــه فأجابهَـــا إنّ المنـــوّه باسمـــه الموثـــوقُ
قـــل لـــلألي طلبـــوا الخلافـــة زَلّـــةً لم يخـــط مثـــل خطـــاهُمُ مخلـــوقُ
إنّ الخلافـــة في قـــريش مـــالكم فيهـــا وربّ محمّـــد مَعْـــرُوقُ

وروى الزُّبير بن بكّار، قال: روى محمّد بن إسحاق أنّ أبا بكر لمّا بُويع افتخرت تَيْم ابن مرّة قال: وكان عامّة المهاجرين وجُلّ الأنصار لا يشكُّون أنّ عليًّا هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العبّاس: يا معشرَ قريش، وخصوصًا يا بني تَيْم؛ إنّكم إنّما أخذتم الخلافَة بالنّبوّة، ونحن أهلها دونَكم؛ ولو طلبنا هذا الأمرَ الّذي نحنُ أهلُه لكانت كراهة النّاس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسدًا منهم لنا، وحِقْدًا علينا؛ وإنّا لنعلم أنّ عند صاحبنا عَهْدًا هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطّلب بن هاشم شعرًا:

مـا كنـتُ أحسِـبُ أنّ الأمـر منصـرفٌ عـن هاشـمٍ ثمّ منهَـا عـن أبي حَسَـنِ
ألـيس أوّل مَـنْ صـلّى لقبلـتكمْ وأعلـمَ النّـاس بـالقرآن والسّـننِ
وأقـربَ النّـاس عهـدًا بـالنبيّ ومَـنْ جبريـل عَـوْن لـه في الغسْـلِ والكَفَـنِ
مـا فيـه مـا فـيهمُ لا يمترونَ بـه ولـيس في القـوم مـا فيـه مـن الحسـن
مـاذا الّـذي رَدّهُـمْ عنـه فنعلَمـه هـا إنّ ذَا غَبْنَنَـا مـن أعظـم الغـبَنِ

قال الزُّبير: فبعث إليه عليّ فنهاه وأمرَه ألّا يعود، وقال: سلامة الدّين أحبّ إلينا من غيره.

قال الزُّبير: وكان خالدُ بن الوليد شيعةً لأبي بكر، ومن المنحرفين عن عليّ، فقام

---

١ ـ ب: «تسوق».

خطيبًا، فقال: أيّها النّاس، إنّا رُمِينا في بدء هذا الدّين بأمر، ثَقُل علينا والله محملُه، وصعُب علينا مُرتقاه؛ وكنّا كأنّا فيه على أوْتار؛ ثمّ والله ما لبثنا أن خَفّ علينا ثقله، وذلّ لنا صَعْبُه، وعجِبْنَا ممّن شكّ فيه بعد عُجْبنا ممّن آمن به؛ حتّى أمِرنا بماكنّا نَنْهَى عنه، ونُهِينا عَمّا كنّا نأمُر به؛ ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول؛ ولكنّه التّوفيق. ألا وإنّ الوحى لم ينقطع حتّى أحكم؛ ولم يذهب النّبيّ ﷺ فنستبدل بعده نبيًّا؛ ولا بعد الوحى وحيًا؛ ونحن اليوم أكثر مِنّا أمسِ؛ ونحن أمسِ خيرُ منّا اليوم؛ مَن دَخَلَ في هذا الدّين كان ثوابه على حَسَب عمله، ومَنْ تركه رددناه إليه؛ وإنّه والله ما صاحب الأمر ـ يعنى أبا بكر ـ بالمسئول عنه، ولا المختَلَف فيه، ولا الخفيّ الشّخص، ولا المغموز القَنَاة. فعجِب النّاس من كلامه.

ومدحه حزن بن أبي وهب المخزوميّ؛ وهو الّذي سمّاه رسول الله ﷺ «سَهْلًا»، وهو جدّ سعيد بن المسيّب الفقيه، وقال:

وَقَامَتْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ كثيرةٌ ... فلم يكُ منهم في الرّجَالِ كخالدِ
ترقّى فلم يزلَقْ به صدرُ نعله ... وكفّ فلم يعرض لتلك الأوابدِ
فجاء بها غرّاء كالبدرِ ضوءها ... فسمّيتُها في الحسن أمّ القلائدِ
أخالد لاتعدم لؤيُّ بن غالب ... قيَامك فيها عند قَذْفِ الجلامدِ
كساك الوليدُ بن المغيرة مجدَه ... وَعلّمك الأشياخُ ضَرْبَ القَمَاحِدِ[1]
تقارع في الإسلام عن صُلْبِ دينه ... وفي الشِّرْكِ عن أحْسَابِ جَدٍّ ووالدِ
وكنت لمخزوم بن يقظة جُنَّةً ... يعدك فيها ماجدًا وابنَ ماجدِ
إذا ماسَمَا في حربها ألفُ فارسٍ ... عدلْت بألْفٍ عند تلك الشّدائدِ
ومن يَكُ في الحرب المثيرة واحدًا ... فما أنت في الحربِ العَوَان بواحدِ

١ـ القماحد: جمع قمحودة؛ وهي الهنّة النّاشزة فوق القفا.

إذا نـــاب أمـــرٌ في قـــريشٍ مخلّـــجٌ تشـيب لـه رؤس العـذارى النّواهـدِ
تولّيْـتَ منـه مـا يُخـافُ وإن تغـب يقولـوا جميعًـا حَظّنـا غيـر شـاهدِ

قال الزّبير: وحدّثنا محمّد بن موسى الأنصاريّ المعروف بابن مخرمة، قال: حدّثني إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عوف الزّهريّ، قال: لمّا بُويع أبو بكر واستقرّ أمرُهُ، نَدِم قوم كثير من الأنصار على بيْعته، ولام بعضُهم بعضًا، وذكروا عليّ ابن أبي طالب، وهتفوا باسمه؛ وإنّه في داره لم يخرجْ إليهم، وجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذلك الكلام، وكان أشدَّ قريش على الأنصار نفرٌ فيهم؛ وهم سهيل بن عمرو؛ أحد بني عامر بن لؤيّ، والحارث بن هشام وعكْرمة بن أبي جهل المخزوميّان؛ وهؤلاء أشراف قريش الّذين حاربوا النّبيّ ﷺ، ثمّ دخلوا في الإسلام، وكلُّهم موتورٌ قد وَتَرَهُ الأنصار.

أمّا سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدّخشم يوم بَدْر، وأمّا الحارث بن هشام، فضَرَبه عروة بن عمرو، فجرحه يوم بَدْر؛ وهو فارٌّ عن أخيه. وأمّا عِكْرِمة بن أبي جهل، فقتل أباه ابنا عَفْراء، وسلَبه دِرْعه يوم بدر زياد بن لبيد وفي أنفسهم ذلك.

فلمّا اعتزلت الأنصار تجمّع هؤلاء، فقام سهيل بن عمرو، فقال: يا معشرَ قريش؛ إنّ هؤلاء القوم قد سمّاهم الله الأنصار، وأثنى عليهم في القرآن؛ فلهم بذلك حَظٌّ عظيم؛ وشأن غالب؛ وقد دَعَوْا إلى أنفسهم وإلى عليّ بن أبي طالب؛ وعليّ في بيته لو شاء لردَّهم؛ فادْعوهم إلى صاحبكم وإلى تجديد بيعته؛ فإنْ أجابوكم وإلّا قاتلوهم؛ فو الله إنّي لأرْجُو الله أن ينصرَكم عليهم كما نُصِرْتم بهم.

ثمّ قام الحارث بن هشام، فقال: إن يكن الأنصارُ تبوأتِ الدَّار والإيمان مِنْ قبْل، ونقلوا رسول الله ﷺ إلى دُورهم من دُورنا، فآوَوْا ونصروا، ثمّ ما رضوا حتّى قاسمونَا الأموال[1]، وكفَوْنَا العمل؛ فإنّهم قد هَجُوا بأمرٍ إن ثبتوا عليه، فإنّهم قد خرجوا ممّا وُسِموا

---

١ ـ كذا في ج، وفي ا، ب: «الأمور».

به؛ وليس بيننا وبينهم معاتبة إلّا السَّيف؛ وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأَوْلى بهم والمظنون معهم.

ثمّ قام عِكْرِمة بن أبي جهل، فقال: والله لولا قولُ رسول الله ﷺ: «الأئمّة من قريش»، ما أنكرْنا إمرة الأنصار، ولكانوا لها أهلًا، ولكنَّه قولٌ لاشكّ فيه ولاخيار، وقد عجلت الأنصار علينا، والله ما قبضنا عليهم الأمرَ ولاأخرجناهم من الشُّورى؛ وإنّ الّذي هم فيه من فلَتات الأمور ونزغات الشّيطان، ومالايبلغه المُنى، ولايحملُه الأملُ. أعذِروا إلى القوم، فإنْ أبوْا فقاتلوهم؛ فوالله لو لم يبقَ من قريش كلّها إلّا رجل واحد لصيّر الله هذا الأمر فيه.

قال: وحضَر أبوسفيان بن حرب، فقال: يا معشرَ قريش، إنّه ليس للأنصار أن يتفضّلوا على النّاس حتّى يُقرُّوا بفضلنا عليهم، فإن تفضّلوا فحسبنا حيث انتهى بها وإلّا فحسبهم حيث انتهى بهم، وايمُ الله لئن بَطروا المعيشة، وكَفَروا النِّعمة، لنضربنّهم على الإسلام كما ضربوا عليه، فأمّا عليّ بن أبي طالب فأهْلٌ والله أن يُسوَّد على قريش وتطيعه الأنصار.

فلمّا بلغ الأنصار قول هؤلاء الرَّهط، قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس، فقال: يا معشرَ الأنصار، إنّما يكبرُ عليكم هذا القول لو قاله أهلُ الدِّين من قريش؛ فأمّا إذا كان من أهل الدُّنيا لاسيّما من أقوام كلِّهم موتور؛ فلا يكبُرَنّ عليكم؛ إنّما الرَّأي والقول مع الأخيار المهاجرين؛ فإن تكلّمت رجال قريش؛ الّذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء؛ فعند ذلك قولوا ما أحببتم وإلّا فأمسكوا؛ وقال حسّان بن ثابت يذكر ذلك:

تَنَادَى سُهَيْلٌ وابنُ حَرْبٍ وحَارِثٌ ... وعِكْرِمةُ الشَّانِي لَنَا ابن أبي جَهْلِ

قتلنا أباه وانتزعْنَا سِلَاحَهُ ... فأصْبَحَ بالبطْحَا أذلّ مِنَ النَّعْلِ

فأمّا سهيلٌ فاحتواهُ ابن دخشم ... أسيرًا ذليلًا لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي

وصخر بن حرب قد قتلنا رجالَه ... غداة لوا بَدْرٍ فِرَجْلُه يَغْلِي

وراكضنا تحتَ العجاجة حارثٌ ... على ظهر جَرْداء كباسِقة النَّخلِ
يقلّبها[1] طَوْرًا وطَوْرًا يَحُثّها ... ويعدِلها بالنَّفس والمالِ والأهلِ
أولئك رهطٌ من قريش تَبَايعُوا ... على خُطَّةٍ ليست من الخطط الفُضلِ
وأعجب منهم قابِلو ذاكَ منهمُ ... كأنّا اشتملْنا من قُرَيْشٍ على ذَخلِ
وكلّهمُ ثانٍ عن الحقِّ عِطفَه ... يقول اقتلوا الأنصار يا بِئس مِن فِعْل
نصرنا وآوينا النَّبيَّ ولم نخف ... صروفَ اللّيالي والبلاءِ عَلَى رَجُلِ
بذلنا لهمْ أنصاف مال أكفّنا ... كقسمة أيسارٍ الجَزُور من الفَضْلِ
و من بعد ذاك المال أنصاف دُورنا ... وكنّا أناسًا لا نعيّرُ بالبُخلِ
ونحمِي ذمار الحيّ فهر بن مالك ... ونوقد نارَ الحرْبِ بالحَطَب الجَزْلِ
فكان جزاء الفضل منّا عليهمُ ... جهالتهم حُمْقًا وما ذاك بالعدْلِ

فبلغ شعر حسّان قريشًا، فغضبوا وأمروا ابن أبي عَزّة شاعرهم أن يجيبه، فقال:

معشر الأنصارِ خافوا ربّكم ... واستجيروا الله من شَرِّ الفِتَنْ
إنّني أرهب حَرْبًا لاقحًا ... يشرَق المرضعَ فيها باللّبَنْ
جَرّهَا سعد وسعد فِتْنَةٌ ... ليت سعدَ بن عبّاد لم يكُنْ
خلف برهوتٍ خفيًّا شخصُه ... بين بُصرى ذي رعينٍ وَجَدَنْ
ليس ما قدّر سعد كائنًا ... ما جرى البحر وما دام حَضَنْ
ليس بالقاطع مِنّا شعرة ... كيف يُرجى خير أمرٍ لم يَحِنْ
ليس بالمدرك منها أبدًا ... غير أضغاثِ أمانيّ الوسَنْ

قال الزُّبير: لمّا اجتمع جمهور النّاس لأبي بكر أكرمت قريش مَعن بن عديّ وعويم

١ـ كذا في ج، وفي ب: «يقلّبها».

ابن ساعدة؛ وكان لهما فضلٌ قديم في الإسلام؛ فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما، فلمّا أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيّرُوهما بانطلاقهما إلى المهاجرين، وأكبروا فِعْلهما في ذلك؛ فتكلّم معن، فقال: يا معشرَ الأنصار؛ إنّ الّذي أراد الله بكم خيرٌ ممّا أردتم بأنفسكم، وقد كان منكم أمرٌ عظيم البلاء، وصغّرته العاقبة، فلو كان لكم على قريش ما لقريش عليكم ثمّ أردتموهم لمّا أرادوكم به، لم آمَنْ عليهم منكم مثل مَن آمن عليكم منهم؛ فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجْتم منه وإلّا فأنتم فيه.

قلت: قوله: «وقد كان منكم أمر عظيم البلاء، وصغّرته العاقبة»، يعنى عاقبة الكفّ والإمساك؛ يقول: قد كان منكم أمر عظيم؛ وهو دعوَى الخلافة لأنفسكم؛ وإنّما جعل البلاء معظّمًا له، لأنّه لو لم يتعقّبه الإمساك؛ لأحدث فتنة عظيمة؛ وإنّما صغّره سكوتُهم ورجوعهم إلى بيعة المهاجرين.

وقوله: «وكان لكم على قريش...» إلى آخر الكلام، معناه: لو كان لكم الفضل على قريش كفضل قريش عليكم، وادّعت قريش الخلافة لها، ثمّ أردتم منهم الرّجوع عن دعواهم وجرت بينكم وبينهم من المنازعة مثلُ هذه المنازعة الّتي جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم؛ وتُقْدِموا على سَفْك دمائهم؛ ولم يحصل لي من سكون النّفس إلى حِلْمكم عنهم وصبركم عليهم؛ مثل ما أنا آمن عليكم منهم، فإنّهم صبروا وحَلُموا، ولم يقدّموا على استباحة حَرْبكم والدّخول في دمائكم.

قال الزُّبير: ثم تكلّم عُويم بن ساعدة، فقال: يا معشر الأنصار؛ إنّ مِنْ نِعَم الله عليكم أنّه تعالى لم يُرِدْ بكم ما أردتم بأنفسكم، فاحْمدوا الله على حُسْن البلاء وطول العافية وصَرْف هذه البليّة عنكم، وقد نظرت في أوّل فتنتكم وآخرها فوجدتها جاءت من الأمانيّ والحسد؛ واحْذروا النِّقَم؛ فوددت أنّ اللهَ صَيّر إليكم هذا الأمر بحقّه فكنّا نعيش فيه.

فوثبت عليهما الأنصار؛ فأغلظوا لهما، وفحشوا عليهما، وانبرى لهما فروة بن عمرو، فقال: أنسيتما قولكما لقريش: «إنّا قد خلّفنا وراءنا قومًا قد حلّت دماؤهم بفتنتهم»،

هذا والله ما لا يغفر ولا ينسي؛ قد تصرَّفُ الحيّة عن وَجْهها وسمّها في[1] نابها. فقال مَعن في ذلك:

وقالَتْ ليَ الأنصارُ إنّك لم تُصِبْ ... فقلت: أما لي في الكلامِ نَصِيبُ!
فقالوا بلَى قل ما بدا لك راشدًا ... فقلت ومثلي بالجواب طبيبُ
تركتُكمُ والله لَمّا رأيتكمْ ... تُيوسًا لها بالحَرّتين نَبِيبُ[2]
تنادُون بالأمر الّذي النَّجم دُونَه ... ألا كلّ شيء ما سواهُ قَرِيبُ
فقلتُ لكمْ قول الشَّفيق عليكُم ... وللقَلْبِ من خَوْف البلاء وَجِيبُ
دعُوا الرَّكض واثنوا من أعنّة بَغْيكُم ... ودبُّوا فسَيْرُ القاصدين دَبِيبُ
وخلّوا قريشًا والأمور وبايعوا ... لمن بايعوه تُرْشدوا وتصِيبُوا
أراكم أخذتم حَقّكم بأكفِّكُمْ ... وما النَّاسُ إلّا مخطِىءٌ ومصيبُ
فلمّا أبيتم زُلْتُ عنكُمْ إليهمُ ... وكنتُ كأنّي يوم ذاك غَريبُ
فإن كان هذا الأمر ذنبي إليكمُ ... فلي فيكمُ بعد الذُّنوب ذنوبُ
فلا تبعثوا منِّي الكلام فإنّني ... إذا شئت يومًا شاعرٌ وخطيبُ
وإنّي لحلوٌ تعتريني مِرارةٌ ... ومِلحٌ أجاج تارةً وشَروبُ[3]
لكلّ امرىءٍ عندي الّذي هو أهلُه ... أفانين شَتّى والرِّجال ضروبُ

وقال عُويم بن ساعدة في ذلك:

وقالت لي الأنصار أضعاف قولِهِمْ ... لمعنٍ، وذاك القولُ جهلٌ من الجهلِ

---

١ ـ ج: «فيها».

٢ ـ النّبيب: صياح التّيس عند الهياج؛ ومنه قول عمر لوَفْد أهل الكوفة حين شكوا سعدًا إليه: «ليكلّمني بعضكم ولاتنبّوا عندي نبيب التّيوس».

٣ ـ الأجاج: الماء الملح شديد الملوحة. والشّروب: الماء دون العَذْب يصلح للشّرب مع بعض كراهة.

فقلت دَعُوني لا أبًا لأبيكُمُ ... فإنّي أخوكم صاحب الخطر الفَصلِ[1]
أنا صاحب القولِ الّذي تعرفونه ... أقطّع أنفاسَ الرّجال على مَهَلِ
فإنْ تسكتوا أسكتْ وفي الصّمْتِ راحةٌ ... وإن تنطِقُوا أصْمُتْ، مقالتكم تبلي
وما لُمْتُ نفسي في الخلاف عليكمُ ... وإن كنتمُ مُستجمعين على عَذْلِي
أريدُ بذاك الله لا شيءَ غيرهُ ... وما عند ربّ النّاس من دَرَجِ الفضلِ
وما ليَ رِحْمٌ في قريش قريبةٌ ... ولا دارها دارِي ولا أصلُها أصْلِي
ولكنّهمُ قومٌ عليناً أئمّةٌ ... أدينُ لهم ما أنفذت قَدَمِي نعلِي
وكانَ أحقّ النّاس أن تقنعُوا به ... ويحتمِلوا مَنْ جاء في قوله مِثْلِي
لأنّي أخفُّ النّاس فيما يسرّكُمْ ... وفيما يسوؤكُمْ لا أمِرّ ولا أحْلِي

قال فَرْوة بن عمر ـ وكان ممّن تخلّف عن بَيْعة أبي بكر ـ، وكان ممّن جاهد مع رسول الله، وقاد فَرَسَين في سبيل الله؛ وكان يتصدّق من نخله بألف وَسْق في كلّ عام؛ وكان سيّدًا، وهو من أصحاب عليّ؛ وممّن شهد معه يوم الجَمَل. قال: فذكر معنا وعويمًا، وعاتبهما على قولهما: «خلّفنا وراءنا قومًا قد حلّت دماؤهم بفتنتهم»:

ألاَ قُلْ لمعبدٍ إذَا جئتَه ... وذاك الّذي شيخه ساعدَهْ
بأنّ المقال الّذي قلتما ... خفيفٌ علينا سوى واحِدَهْ
مقالكُمُ إنّ مَنْ خَلْفنا ... مراضٌ قلوبهمُ فاسدَهْ
حلال الدّماء على فتنةٍ ... فيا بئسما رَبَّتِ الوالدَهْ!
فَلَمْ تأخذا قَدْر أثمانها ... ولم تستفيدا بها فائدَهْ
لقد كذَّب اللهُ ما قلتُما ... وقد يكْذب الرّائد الواعِدَهْ[2]

---

١ ـ ب: «الخطّة الفصل».

٢ ـ يقال: سحاب واعد؛ أى الّذي يعد بالمطر؛ ومؤنّثه «واعدة».

قال الزّبير: ثمّ إنّ الأنصار أصلحوا بين هذين الرَّجلين وبين أصحابهما؛ ثمّ اجتمعت جماعة من قريش يومًا وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط[1] من المهاجرين؛ وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة؛ فاتّفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفَركان فيه، فجاء إليهم، فأفاضوا في ذكريوم السَّقيفة وسعد ودعواه الأمر، فقال عمرو بن العاص: والله لقد دفع الله عنّا من الأنصار عظيمة؛ ولمّا دفع الله عنهم أعظم، كادوا والله أن يحلّوا حَبْلَ الإسلام كما قاتلوا عليه، ويخرِجُوا منه مَنْ أدخلوا فيه؛ والله لئن كانوا سمعوا قول رسول الله ﷺ: «الائمّة من قريش»، ثمّ ادّعَوْها، لقد هَلكُوا وأهلَكوا؛ وإن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين، ولا سعد كأبي بكر، ولا المدينة كمكّة، ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء؛ ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة. فلم يجبه أحد؛ وانصرف إلى منزله وقد ظفر، فقال:

ألَا قُلْ لأوسٍ إذا جئتها ... وقلْ إذاما جئت للخزْرِجِ
تمنّيتمُ الملك في يثربٍ ... فأنزلت القِدْر لم تنضجِ
وأخدَجْتمُ الأمرَ قبل التّما ... م وأعجبْ بذا المعجَل المخدَجِ[2]
تريدون نَتْج الحِيال العشا ... رَ ولم تلقحُوه فلم ينتجِ
عَجِبْتُ لسعدٍ وأصحابِه ... ولو لم يهيّجوه لم يَهْتَجِ
رجا الخزرجيّ رجاءَ السّراب ... وقد يخلف المرءَ ما يرتجِي
فكان كَمُنْحٍ على كفّه ... بكفٍّ يقطعها أهوجِ

فلمّا بلغ الأنصارَ مقالته وشعره؛ بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النُّعمان بن العجلان، وكان رجَلًا أحمر، قصيرًا تزدريه العيون، وكان سيّدًا فخمًا، فأتى عمرًا وهو في جماعة

---

١ ـ الأخلاط: المختلطون.

٢ ـ يقال: أخدج الأمر؛ إذا لم يحكمه، والمخدج: النّاقص.

من قريش؛ فقال: والله يا عمرو ما كرهتُم من حربنا إلّا ما كرهنا من حربكم؛ وما كان الله ليخرجَكم من الإسلام بمنْ أدخلكم فيه؛ إنْ كان النَّبيُّ ﷺ قال: «الأئمّة من قريش»، فقد قال: «لو سلك النّاس شِعبًا، وسلك الأنصار شِعبًا لسلكتُ شِعب الأنصار»، والله ما أخرجناكم من الأمر إذْ قلنا: «منّا أمير ومنكم أمير». وأمّا مَنْ ذكرت، فأبو بكر لَعَمْري خير من سَعْد؛ لكنّ سعدًا في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش؛ فأمّا المهاجرُون والأنصار؛ فلا فرق بينهم أبدًا؛ ولكنّك يا ابن العاص، وتَرْتَ بني عبد مناف بمسيرك إلى الحبشة لقتل جعفر وأصحابه، ووترت بني مخزوم بإهلاك عُمارة بن الوليد. ثمّ انصرف فقال:

فقُلْ لقريشٍ نحنُ أصحابُ مكّةٍ ... وَيَوْمَ حُنين والفوارس في بَدْر
وأصحاب أحدٍ والنَّضير وَخَيْبرٍ ... ونحن رجعنا من قُرَيْظةَ بالذِّكْر
ويوم بأرض الشَّام أدخل جعفر ... وزيد وعبد الله في عَلَقٍ يَجْرِي[1]
وفي كلِّ يوم ينكر الكلبُ أهلَه ... نطاعنُ فيه بالمثقّفةِ السُّمْرِ
ونضربُ في نَقْعِ العجاجَةِ أرْؤُسًا ... ببيضٍ كأمثال البروق إذا تَسْرِي
نَصَرْنَا وآوينا النَّبيَّ ولم نخف ... صروفَ اللّيالي والعظيمَ من الأمْرِ
وقلنا لقوم هاجروا قَبْلُ: مَرْحَبًا ... وأهلًا وسهلًا قد أمنتمْ من الفَقْرِ
نقاسمكمْ أموالَنا وبيوتَنا ... كقسمة أيسار الجزور على الشَّطْرِ
ونكفيكمُ الأمرَ الّذي تكرهونَهُ ... وكنّا أناسًا نُذْهِبُ العُسْرَ باليُسْرِ
وقلتُم: حرامٌ نصب سعد ونصبكمْ ... عتيقُ بن عثمان حلالٌ أبا بكرِ
وأهلُ أبو بكرٍ لها خير قائمٍ ... وإنَّ عليًّا كان أخلَقَ بالأمْرِ
وكان هوانًا في عليّ وإنّه ... لأهْلٌ لها يا عمرو من حَيْثُ لا تَدْرِي

---

١ ـ العلق: الدّم، وفي ا ، ب: «في طلق»، وما أثبته من ج و الاستيعاب.

فـذاك بعَـوْن الله يـدعو إلى الهـدى ... وينهَـى عـن الفحشـاء والبَغْـى والنُّكْـرِ
وصيُّ النّـبيّ المصـطَفَى وابـنُ عمّـه ... وقاتِـلُ فرسـان الضَّـلالة والكُفـرِ
وهـذا بحمـدِ الله يَهْـدِي مِـنَ الْعَمَـى ... ويفـتح آذانًـا ثَقُلْـنَ مـن الْـوَقْرِ
نَجِـيُّ رسـول الله في الغـار وحـدَه ... وصـاحبُه الصِّـدِّيقُ فِي سَـالِفِ الـدَّهْرِ
فلـو لا اتّقـاء الله لم تَـذهبوا بهـا ... ولكـنّ هـذا الخيـر أجمـع للصَّـبرِ
ولم نـرض إلّا بالرِّضـا ولربّمـا ... ضـربنا بأيـدينا إلى أسـفل القِـدْرِ

فلمّا انتهى شعر النُّعمان وكلامُه إلى قريش، غضب كثيرٌ منها، وألفى ذلك قدومُ خالد بن سعيد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله استعمله عليها، وكان له ولأخيه أثر قديم عظيم في الإسلام؛ وهما من أوّل من أسلم من قريش؛ ولهما عبادة وفضل. فغضب للأنصار، وشتمَ عمرو بن العاص، وقال: يا معشرَ قريش؛ إنَّ عمرًا دخل في الإسلام حين لم يجِدْ بُدًّا من الدُّخول فيه، فلمّا لم يستطِعْ أن يكيدَه بيده كاده بلسانه، وإنّ مِنْ كيده الإسلام تفريقَه وقطعه بين المهاجرين والأنصار. والله ما حاربْناهم للدِّين ولاللدُّنيا؛ لقد بذلوا دماءهم لله تعالى فينا؛ وما بذلنا دماءنا لله فيهم؛ وقاسمونا ديارَهم وأموالهم، وما فعلنا مثل ذلك بهم، وآثرونا على الفَقْر، وحرّمناهم على الغنى، ولقد وصّى رسول الله بهم، وعزّاهم عن جفوة السُّلطان؛ فأعوذ بالله أن أكونَ وإيّاكم الخلَف المضيّع، والسُّلطان الجاني.

قلت: هذا خالد بن سعيد بن العاص؛ هو الّذي امتنع من بيعة أبي بكر، وقال: لا أبايع إلّا عليًّا؛ وقد ذكرنا خبره فيما تقدّم.

وأمّا قوله في الأنصار: «وعزّاهم عن جَفْوة السُّلْطان»، فإشارة إلى قول النّبيّ ﷺ: «سَتَلْقَوْن بعدي أثَرَةً فاصبروا حتّى تقدَمُوا عليّ الحوض»؛ وهذا الخبر هو الّذي يكفِّر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به؛ وذلك أنّ النُّعمان بن بشير الأنصاريّ جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية، فشكوْا إليه فقرَهم، وقالوا: لقد صدق رسول الله ﷺ

في قوله لنا: «ستلقوْن بعدي أثرة»، فقد لقيناها. قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا: «فاصْبِروا حتّى تردوا عليّ الحوض»، قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدًا عند الحوض كما أخبركم، وحرّمهم ولم يعطهم شيئًا.

قال الزُّبير: وقال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك:

تفــوّه عمــرو بالّــذي لا نُريــدُه ... وصــرّح للأنصــار عــن شَــنْأةِ الــبُغْضِ
فــإن تكــن الأنصــار زَلّــتْ فإنّنــا ... نقيــل ولا نجــزيهم القَــرْض بــالقرضِ
فــلا تقطعــنْ يــا عمــرو ماكــانَ بيننــا ... ولا تحملــنْ يــا عمــرو بعضًــا عــلى بعــضِ
أتنســي لهــم يــا عمــرو مــا كــان منهمُ ... ليــاليَ جئنــاهم مــن النَفْــل والفــرضِ
وقســمّتنَا الأمــوال كــاللّحم بالمُــدَى ... وقســمتَنا الأوطــان كــلّ بــه يقضــي
ليــاليَ كُــلّ النّــاس بــالكفر جَهْــرة ... ثِقــالٌ علينــا مجمعــونَ عــلى الــبغض
فســاوَوْا وآووا وانتهيْنَــا إلَى المُــنَى ... و قَــرّ قَرَارانَــا مــن الأمــن والخفــض[1]

قال الزُّبير: ثمّ إنّ رجالًامن سفهاء قريش و مثيري الفِتَن منهم، اجتمعوا إلى عمرو ابن العاص، فقالوا له: إنّك لسانُ قريش و رجُلها في الجاهليّة والإسلام، فلا تَدَع الأنصار وما قالت، وأكثروا عليه من ذلك، فراح إلى المسجد، وفيه ناس من قريش وغيرهم، فتكلّم وقال: إنّ الأنصار تَرَى لنفسها ما ليس لها، وايمُ الله لوددت أنّ الله خلّى عنّا وعنهم، وقضى فيهم وفينا بما أحبّ، ولنحنُ الّذين أفسدْنا على أنفسنا، أحرزناهم عن كلّ مكروه، وقدّمناهم إلى كلّ محبوب؛حتّى أمنوا المخوف؛ فلمّا جاز لهم ذلك صَغَّروا حقّنا، ولم يراعُوا ما أعظمنا من حقوقهم.

ثمّ التفت فرأى الفضلَ بن العبّاس بن عبد المطّلب، وندِم على قوله، للخئولة الّتي بين ولد عبد المطّلب وبين الأنصار، ولأنّ الأنصار كانت تُعظّم عليًّا، وتهتِف باسمه

---

١ ـ كذا في ج، وفي ا، ب: «و وقر أمرانا».

حينئذٍ، فقال الفضل: يا عمرو، إنّه ليس لنا أن نكتُم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نجيبَك؛ وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلّا أن يأمرنا فنفعل.

ثمّ رجع الفضلُ إلى عليّ فحدّثه، فغضب وشتم عمرًا، وقال: آذى الله ورسوله، ثمّ قام فأتى المسجد، فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلّم مغضَبًا، فقال: يا معشرَ قريش، إنّ حبّ الأنصار إيمان، وبغضَهم نفاق، وقد قَضَوْا ما عليهم، وبقي ما عليكم؛ واذْكروا أنّ الله رغّب لنبيّكم عن مكّة، فنقله إلى المدينة، وكره له قريشًا، فنقله إلى الأنصار، ثمّ قدِمْنَا عليهم دارَهم، فقاسمونا الأموال، وكَفَوْنَا العمل، فصرْنا منهم بَيْن بذل الغنيّ وإيثار الفقير، ثمّ حاربَنَا النّاس فوقُونا بأنفسهم؛ وقد أنزل الله تعالى فيهم آيةً من القرآن، جمع لهم فيها بين خمس نِعَم، فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، ألا وإنّ عمرو بن العاص قد قام مقامًا آذى فيه الميّت والحيّ، ساء به الواتر و سرّ به الموتور؛ فاستحقّ من المستمع الجواب، ومن الغائب المقْت؛ وإنّه مَنْ أحبّ الله ورسوله أحبَّ الأنصار، فليكفُف عمرو عَنّا نفسَه.

قال الزُّبير: فمشت قريش عند ذلك إلى عمرو بن العاص، فقالوا: أيُّها الرَّجل؛ أمّا إذ غضب عليّ فاكفُف.

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاريّ يخاطب قريشًا:

أيـالَ قُـرَيْش أصـلِحُوا ذات بيننـا ... وبينكُمُ قد طَالَ حَبْلُ التّماحكِ[2]

فـلَا خَيْـرَ فـيكُمْ بعـدَنا فـارْفقُوا بنـا ... ولا خيـرَ فينـا بعـد فِهْـر بـن مالـكِ

---

١ ـ الحشر/٩.

٢ ـ التّماحك: اللّجاج.

كِلانَا على الأعداء كفٌّ طويلة ... إذا كان يومٌ فيه جَبُّ الحوَارِكِ[1]
فلا تذكرُوا ما كان مِنَّا و منكُم ... ففي ذِكْرِ ما قد كان مَشْىُ التَّسَاوُكِ[2]

قال الزُّبير: وقال عليّ للفضل: يا فضل، انصر الأنصار بلسانك ويدك، فإنّهم منك وإنّك منهم، فقال الفَضل:

قلتَ يا عمرُو مقالًا فاحشًا ... إن تعُد يا عمرو و الله فَلكْ
إنّما الأنصار سيفٌ قاطع ... مَنْ تُصِبْه ظُبَةُ السّيفِ هَلَكْ[3]
وسيوفٌ قاطع مَضْرَبُهَا ... وسهام الله في يوم الحَلَكْ
نصرُوا الدّين وآوَوْا أهلَه ... منزل رَحْبٌ ورِزْقٌ مُشْتَرَكْ
وإذا الحرب تلظَّتْ نارُها ... بركوا فيها إذا الموت بَرَكْ

ودخل الفضل على عليّ فأسمعه شعره، ففرح به، وقال: ورَيْتُ بك زنادي يا فَضل؛ أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شِعْرَك وابعث به إلى الأنصار؛ فلمّا بلغ ذلك الأنصار، قالت: لا أحد يجيبُ إلّا حَسّان الحسام؛ فبعثوا إلى حسّان بن ثابت، فعرضوا عليه شعر الفضل، فقال: كيف أصنع بِجوابه! إنْ لم أتحرّ قوافيَه فضحني، فرُوَيدًا حتّى أقفُوَ أثره في القوافي. فقال له خزيمة بن ثابت: اذْكر عليًّا وآله يكفِك عن كلّ شيء، فقال:

جزى الله عنَّا والجزاء بكَفِّه ... أبا حسنٍ عَنَّا ومَنْ كأبي حَسَنْ
سبقتَ قريشًا بالّذي أنت أهلُه ... فصدرُك مشروح، وقلبك ممتحَنْ
تمَنَّتْ رجالٌ من قريش أعِزَّةٌ ... مكانَك، هيهات الهُزال من السِّمَنْ!
وأنتَ من الإسلام في كلِّ موطن ... بمنزلة الدَّلْو البَطِينِ من الرَّسَنْ

---

١ ـ كناية عن الشّدّة؛ والحارك: عظم على الظَّهر.

٢ ـ التّساوك: المشى الضّعيف.

٣ ـ ظبة السّيف: حدّه.

غضبتَ لنا إذ قامَ عمرٌو بخطبة أمات بها التّقوى وأحيا بها الإحَنْ
فكنتَ المرجّى من لؤيّ بن غالب لما كان منهم، والّذي كانَ لم يكُنْ
حفظت رسول الله فينا وعهدَه إليك و مَنْ أوْلى به منك مَنْ و مَنْ!
ألستَ أخاه في الهُدى ووصيَّهُ وأعلمُ منهم بالكتابِ و بالسُّنَنْ
فحقّك ما دامت بنَجْد وشيجةٌ عظيم علينا ثمَّ بعد على اليمنْ

قال الزُّبير: وبعثت الأنصار بهذا الشِّعر إلى عليّ بن أبي طالب، فخرج إلى المسجد، وقال لمن به من قريش وغيرهم: يا معشرَ قريش، إنّ الله جعلَ الأنصار أنصارًا، فأثنى عليهم في الكتاب، فلا خيرَ فيكم بعدهم؛ إنّه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وَتَره الإسلام، ودفعه عن الحقّ، وأطفأ شرفه وفضّل غيره عليه؛ يقوم مقامًا فاحشًا فيذكر الأنصار؛ فاتّقوا الله وارعَوْا حقَّهم، فو الله لو زالوا لزلتُ معهم؛ لأنّ رسول الله قال لهم: «أزولُ معكم حيثما زُلتم»؛ فقال المسلمون جميعًا: رحمَك الله يا أبا الحسن! قلت قولًا صادقًا.

قال الزُّبير: وترك عمرو بن العاص المدينة، وخرج عنها حتّى رضيَ عنه عليّ والمهاجرون.

قال الزُّبير: ثمّ إنّ الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ـ وكان يبغض الأنصار، لأنّهم أسرُوا أباه يوم بَدْر، وَضَربوا عنقه بين يدي رسول الله ـ قام يشتُم الأنصار، وذكرهم بالهُجْر، فقال: إنّ الأنصار لَترى لها من الحقّ علينا ما لا نراه؛ والله لئن كانوا آوَوا لقد عزُّوا بنا، ولئن كانوا آسوا لقد مَنُّوا علينا، والله ما نستطيع مودَّتَهم؛ لأنّه لا يزال قائل منهم يذكر ذلّنا بمكّة، و عزّنا بالمدينة، ولا ينفكّون يعيّرون موتانا، ويغيظون أحياءنا؛ فإن أجبناهم قالوا: غضبتْ قريش على غاربها؛ ولكن قد هوّن علىّ ذلك منهم حرْصُهم على الدِّين أمس، واعتذارهم من الذّنب اليوم، ثمّ قال:

تباذَخَتِ الأنصار في النّاس باسْمِهَا ونسبتُها في الأزْد عَمْرو بن عامرِ

وقـــالوا: لَنَـــا حـــقٌّ عظـــيم ومِنَّـــةٌ ... عـلى كـلِّ بـادٍ مـن مَعَـدٍّ وحاضـرِ
فـإن يَـكُ للأنصـار فضـلٌ فلـم تَنَـلْ ... بحرمتِـه الأنصـار فضـلَ المهـاجرِ
وإن تكـــن الأنصـــار آوتْ وقاسَمَـــتْ ... معايشـها مَـنْ جـاء قسـمة جـازرِ
فقـد أفسـدت مـا كـان منهـا بمنِّهـا ... ومـا ذَاك فعـلُ الأكـرمين الأكـابرِ
إذا قـــال حسّـــانٌ وكعـــب قصـــيدةً ... بشـتْمِ قـريش غُنِّيـتْ في المعاشـرِ
وسَـارَ بهـا الرُّكبـان في كـلِّ وجهـة ... وأعمـلَ فيهـا كـلَّ خُـفٍّ وحـافرِ
فهـذا لنـا مـن كـلِّ صـاحب خطبـة ... يقـومُ بهـا مـنكم ومِـنْ كـلّ شـاعرِ
وأهـلٌ بـأن يُهجَـوْا بكـلِّ قصـيدة ... وأهـلٌ بـأن يُرْمَـوْا بنبـل فـواقرِ

قال: ففشا شعره في النَّاس، فغضبت الأنصار، وغضب لها من قريش قومٌ، منهم ضرار بن الخطّاب الفهريّ، وزيد بن الخطّاب، ويزيد بن أبي سفيان، فبعثوا إلى الوليد فجاء.

فتكلّم زيد بن الخطّاب، فقال: يابن عُقبة بن أبي معيط، أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الّذين أُخرِجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، لأحببتَ الأنصار، ولكنّك من الجُفاة في الإسلام البطآء عنه، الّذين دخلوا فيه بعد أنْ ظهر أمرُ الله وهم كارهون؛ إنّا نعلم أنّا أتيناهمْ ونحن فقراء، فأغنوْنا، ثمّ أصبنا الغِنَى فكفُّوا عنّا. ولم يرزءونا شيئًا. فأمّا ذكرهم ذلّة قريش بمكّة وعزّها بالمدينة، فكذلك كنّا، وكـذلك قـال الله تعـالى: ﴿وَاذْكُـرُوا إِذْ أَنْـتُمْ قَلِيـلٌ مُسْتَضْـعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَـافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾[1] فنصرنَا الله تعالى بهم، وآوانا إلى مدينتهم.

وأمّا غضبك لقريش فإنّا لا ننصُر كافرًا، ولا نوادّ مُلحِدًا ولا فاسقًا، ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب، وألجمكَ الشّاعر.

---

١ ـ الأنفال/٢٦.

وأمّا ذكرك الّذي كان بالأمس، فدَعِ المهاجرين والأنصار؛ فإنّك لست من ألسنتهم في الرّضا، ولانحن من أيديهم في الغضب.

وتكلّم يزيد بن أبي سفيان، فقال: يا بن عُقْبة، الأنصار أحقُّ بالغضب لقتْلَى أحُد، فاكْفُف لسانك، فإنّ مَنْ قَتَله الحقّ لايغضب له.

وتكلّم ضِرار بن الخطّاب، فقال: أمّا والله لو لا أنّ رسول الله ﷺ قال: «الأئمّة من قريش» لقلنا: الأئمّة من الأنصار، ولكن جاء أمر غلب الرّأى، فاقْمَع شِرَّتَك أيّها الرّجل؛ ولاتكن امرأ سَوْء، فإنّ الله لم يفرّق بين الأنصار والمهاجرين في الدُّنيا، وكذلك الله لا يفرّق بينهم في الآخرة.

وأقبل حسّان بن ثابت مغضَبًا من كلام الوليد بن عقبة وشعره، فدخل المسجد وفيه قوم من قريش، فقال: يا معشرَ قريش، إنّ أعظم ذنبنا إليكم قَتْلُنا كفّارَكم، وحمايتُنا رسول الله ﷺ؛ وإن كنتم تنقمون مِنّا مِنَّةً كانت بالأمس؛ فقد كفى الله شَرّها، فما لنا وما لكم؛ والله ما يمنعنا من قتالكم الجبنُ، ولا من جوابكم العِيّ. إنّا لحىّ فعّال ومقال؛ ولكنّا قلنا: إنّها حرب، أوّلها عار وآخرها ذلّ؛ فأغضيْنَا عليها عيوننا، وسحبنا ذيولَنا، حتّى نَرَى وتَرَوْا، فإن قلتم قلنا، وإن سكتّم سكتنا.

فلم يجبْه أحدٌ من قريش، ثمّ سكت كلٌّ من الفريقين عن صاحبه، ورضِيَ القوم أجمعون، وقطعوا الخلاف والعصبيّة.

إنتهى ما ذكره الزُّبير بن بكّار في «الموفقيّات»؛ ونعود الآن إلى ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب «السَّقيفة».

قال أبو بكر: حدّثني أبو يوسف يعقوب بن شيبة، عن بحر بن آدم، عن رجاله، عن سالم بن عبيد، قال: لمّا توفّي رسول الله، وقالت الأنصار: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ؛ أخذ عمر بيد أبي بكر، وقال: سَيْفَان في غِمْد واحد! إذًا لا يصلحان. ثمّ قال: مَنْ له هذه

الثَّلاثُ؟ ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[١]، مَنْ هُما؟ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾[٢] مَنْ صاحبه؟ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[٣] مَعَ مَنْ؟ ثمّ بسط يده إلى أبي بكر فبايعه، فبايعه النّاس أحْسَنَ بيعة وأجملها.

قال أبو بكر: حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار العطارديّ، عن أبي بكر بن عيّاش، عن زيد بن عبد الله، قال: إنّ الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجدَ قَلْب محمّد عليه الصّلاة والسّلام خَيْرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثمّ نظر في قلوب الأمم بعدَ قلبه، فوجد قلوبَ أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيّه؛ يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حسن، وما رأى المسلمون سيّئًا فهو عند الله سيّء.

قال أبو بكر بن عيّاش: وقد رأى المسلمون أن يولّوا أبا بكر بعد النّبيّ ﷺ، فكانت ولايته حسنة.

قال أبو بكر: وحدّثنا يعقوب بن شيبة قال: لمّا قُبض رسول الله ﷺ وقال الأنصار: «مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ»، قال عمر: أيّها النّاس، أيّكم يطيب نفسًا أن يتقدّم قدمين قَدّمهما رسول الله ﷺ في الصّلاة! رضيك الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا!

قال أبو بكر: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبّة، قال: حدّثني زيد بن يحيى الأنماطيّ، قال: حدّثنا صخر بن جُويرية، عن عبد الرّحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: أخذ أبو بكر بيد عمر، ويد رَجل من المهاجرين ـ يرونه أبا عبيدة ـ حتّى انطلقوا إلى الأنصار، وقد اجتمعوا عند سَعْد في سقيفة بني ساعدة، فقال عمر: قلت لأبي بكر، دعني أتكلّم، وخشيت جِدّ أبي بكر. وكان ذَا جِدّ. فقال أبو بكر: لا، بل أنا أتكلّم، فما

---

١ ـ التّوبة/٤٠.

٢ ـ التّوبة/٤٠.

٣ ـ التّوبة/٤٠.

هو والله إلّا أن انتهينا إليهم، فما كان في نفسي ـ شيء أريد أن أقولَه إلّا أتى أبو بكر عليه، فقال لهم: يا معشرَ الأنصار، ما ينكِرُ حقَّكم مسلم؛ إنّا والله ما أصبنا خيرًا قَطّ إلّا شَرَكتمونا فيه، لقد آويتم ونصرتم، و آزرتم و واسيتم ؛ ولكن قد علمتم أنّ العرب لاتُقِرّ ولاتطيع إلّا لامرىء من قريش، هم رهط النّبيّ ﷺ، أوسطُ العرب وشيجةَ رحِم، وأوسط النّاس دارًا، وأعرَبُ النّاس ألسنًا وأصبَحُ النّاس أوجهًا؛ وقد عرفتم بلَاء ابن الخطّاب في الإسلام وقدمه، هلمّ فلنبايعْه.

قال عمر: بل إيّاك نبايع، قال عمر: فكنتُ أوّل النّاس مدّ يده إلى أبي بكر فبايعه، إلّا رجلًا من الأنصار أدخل يده بين يدي ويد أبي بكر فبايعه قبلي. ووطىء النّاس فراش سعد، فقيل: قتلتم سعدًا، فقال عمر: قتل الله سعدًا! فوثب رجل من الأنصار، فقال: أنا جُذَيلُها المحكّك وعذَيقُها المرجَّب. فأخِذ ووطىء في بطنِه ودسُّوا في فيه التُّراب.

قال أبوبكر: وحدّثني يعقوب، عن محمّد بن جعفر، عن محمّد بن إسماعيل، عن مختار اليمان؛ عن عيسى ـ بن زيد، قال: لمّا بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى عليّ، فقال: أغلبكم علَى هذا الأمر أذلّ بيت من قريش و أقلُّها! أمَا والله لئن شئت لأملأنّها على أبي فصِيل خيلًا ورجلًا؛ ولأسدنّها عليه من أقطارها، فقال عليّ: يا أبا سفيان، طالمَا كدْت الإسلام وأهلَه، فما ضرّهم شيئًا، أمسك عليك فإنّا رأينا أبا بكر لها أهلًا.

قال أبوبكر: وحدّثنا يعقوب، عن رجاله، قال: لمّا بُويع أبو بكر تخلّف عليّ فلم يبايع، فقيل لأبي بكر: إنّه كره إمارتك، فبعث إليه: أكرِهت إمارتي؟ قال: لا، ولكنّ القرآن خشيت أن يُزاد فيه، فحلفتُ ألّا أرتديَ رِداءً حتّى أجمعه؛ اللّهمّ إلّا إلى صلاة الجمعة. **فقال أبوبكر:** لقد أحسنت، قال: فكتبه عليه الصّلاة والسّلام كما أُنزل، بناسخه ومنسوخه.

قال أبوبكر: حدّثنا يعقوب، عن أبي النّضر، عن محمّد بن راشد، عن مكحول، أنّ رسول الله ﷺ استعمل خالد بن سعيد بن العاص على عمل، فقدّم بعد ما قُبِض

رسول الله ﷺ وقد بايع النّاس أبابكر، فدعاه إلى البيعة، فأبى، فقال عمر: دَعنى وإيّاه، فمنعه أبو بكر حتّى مضت عليه سنة، ثمّ مرّ به أبو بكر وهو جالس على بابه، فناداه خالد: يا أبا بكر؛ هل لك في البيعة؟ قال: نعم، قال: فادْنُ، فدنا منه، فبايعه خالد وهو قاعد على بابه.

قال أبو بكر: وحدّثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبة، عن خالد بن مخلّد، عن يحيى ابن عمر، قال: حدّثني أبو جعفر الباقر، قال: جاء أعرابيّ إلى أبي بكر على عهد رسول الله ﷺ، وقال له: أوصني، فقال: لا تأمّر على اثنين. ثمّ إنّ الأعرابيّ شخص إلى الرَّبَذَة فبلَغه بعد ذلك وفاةُ رسول الله ﷺ، فسأل عن أمر النّاس: مَنْ وَلِيَه؟ فقيل: أبو بكر؛ فقَدِم الأعرابيّ إلى المدينة، فقال لأبي بكر: ألست أمرتَني ألّا أتأمّر على اثنين؟ قال: بلى، قال: فما بالُك؟ فقال أبو بكر: لم أجد لها أحدًا غيري أحَقَّ منّي.

قال: ثمّ رفع أبو جعفر الباقر يديه وخَفَضهما، فقال: صدق، صدق.

قال أبو بكر: وقد رُوي هذا الخبر برواية أتمّ من هذه الرّواية: حدّثنا يعقوب بن شيبة، قال: حدّثنا يحيى بن حمّاد، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن سليمانَ الأعمش، عن سُلَيمان بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن رافع بن أبي رافع الطّائيّ، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشًا، فأمّر عليهم عمرو بن العاص، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمرهم أن يستنفِرُوا مَنْ مرّوا به، فمرُّوا علينا فاستنفرونا، فنفرنا معهم في غزاةِ ذات السّلاسل ـ وهي الّتي تفخر بها أهل الشّام، فيقولون: استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر وعمر ـ، قال: فقلت: ؛ والله لأختارنّ في هذه الغزاه لنفسي رجلًا مِن أصحاب رسول الله ﷺ أستهديه، فإنّي لستُ أستطيع إتيانَ المدينة؛ فاخترتُ أبا بكر ولم آل؛ وكان له كِساء فَدَكيّ يُخِلّه[1] عليه إذا رَكِب، ويلبسه إذا نزل؛ وهو الّذي عيّرته به هوازن بعد النّبيّ ﷺ، وقالوا لانبايعُ ذا الخِلال، قال: فلمّا قضَيْنا

---

١ ـ يخلّه عليه، أي يجمع بين طرفي الكساء بخلال من عود أو حديد.

غزاتنا، قلت له: يا أبا بكر إنّي قد صحبتُك وإنّ لي عليك حقًّا، فعلِّمْني شيئًا أنتفع به. فقال: قد كنت أريدُ ذلك لو لم تقل لي: تعبدُ الله لاتشرك به شيئًا، وتقيم الصَّلاة المكتوبة وتؤدّي الزّكاة المفروضة، وتحجُّ البيت، وتصوم شهرَ رمضانَ ولاتتأمّر على رجلَيْن، فقلت: أمّا العبادات فقد عرفتها؛ أرأيت نهيك لي عن الإمارة! وهل يصيب النّاس الخير والشّرَّ إلّا بالإمارة! فقال: إنّك استجهدتَني فجهدت لك، إنّ النّاس دخلوا في الإسلام طَوْعًا وكَرْهًا فأجارهم الله من الظُّلم، فهم جيران الله وعواد الله وفي ذمّة الله، فَمَنْ يظلم منكم إنّما يحقِر ربّه، والله إنّ أحدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيره، فيظلُّ عملُه بأسًا بجاره، واللهُ منْ وراء جاره، قال: فلم يلبث إلّا قليلًا حتّى أتتنا وفاة رسول الله، فسألتُ: مَن استخلف بعده؟ قيل: أبو بكر، قلت: أصاحبي الّذي كان ينهاني عن الإمارة! فشددتُ على راحلتي، فأتيت المدينة، فجعلت أطلب خَلْوتَه، حتّى قدرت عليها، فقلت: أتعرفني؟ أنا فلان بن فلان، أتعرف وصيَّة أوصيتَني بها؟ قال: نعم، إنّ رسول الله ﷺ قُبض، والنّاس حديثو عهد بالجاهليّة، فخشيتُ أن يفتتنوا، وإنّ أصحابي حمّلونيها فما زال يعتذر إليّ حتّى عذرته،وصار من أمري بعد أن صرت عريفًا.

قال أبوبكر: وأخبرنا أبوزيد عمر بن شبّة، عن رجاله، عن الشَّعبيّ، قال: قام الحسن بن عليّ عليه السلام إلى أبي بكر وهو يخطُب على المنبر، فقال له: انْزل عن منبر أبي، فقال أبو بكر:صدقتَ؛ والله إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي، فبعث عليّ إلى أبي بكر؛ إنّه غلام حدَثٌ، وإنّا لم نأمره، فقال أبو بكر: صدقت، إنّا لم نتّهمك.

قال أبوبكر: وروى أبو زيد، عن حبّاب بن يزيد، عن جرير، عن المغيرة أنّ سلْمان والزُّبير وبعضَ الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليًّا بعد النّبيّ ﷺ، فلمّا بُويع أبو بكر، قال سلْمانُ للصّحابة: أصبتم الخير؛ ولكن أخطأتم المعدِن. قال: وفي رواية أخرى: أصبتم ذا السّنّ منكم، ولكنّكم أخطأتم أهلَ بيت نبيّكم. أمّا لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رَغَدًا.

قلت: هذا الخبر هو الّذي رواه المتكلّمون في باب الإمامة عن سلْمان أنّه قال: «كَرْديد و نَكَرْديد»، تفسّره الشّيعة، فتقول: أراد أسلمتم وما أسلمتم، ويفسّره أصحابنا فيقولون معناه: أخطأتم وأصبتم.

قال أبوبكر: وأخبرنا أبوزيد، قال: حدّثنا محمّد بن يحيى، قال: حدّثنا غسّان بن عبدالحميد، قال: لمّا أكثر في تخلّف عليّ عن البيعة، واشتدّ أبو بكر وعمر في ذلك، خرجت أمّ مسطّح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النّبيّ ﷺ ونادته: يا رسول الله!

قَدْ كَان بعدك أنباءٌ وهَيْنَمةٌ ... لو كنتَ شاهِدَها لم تكثر الخَطبُ[1]

إنّا فقدناك فَقْد الأرض وابلها ... فاختلّ قومك، فاشْهدهم ولاتَغِب

قال أبوبكر أحمد بن عبد العزيز: وسمعت أبا زيد عمر بن شبّة يحدّث رجلًا بحديث لم أحفظ إسنادَه، قال: مرَّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان على باب النّبيّ حين قُبِض، فقال: ما يقعدكما؟ قالا: ننتظر هذا الرَّجل يخرج فنبايعه ـ يعنيان عليًا ـ فقال: أتريدُون أن تنظروا حبَل الحبَلة[2] من أهِل هذا البيت! و سِعُوها في قريش تتّسع.

قال: فقاما إلى سقيفة بني ساعدة، أو كلامًا هذا معناه.

قال أبوبكر: وأخبرنا أبو جعفر محمّد بن عبد الملك الواسطيّ، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزّهريّ، عن أنس بن مالك، قال: لمّا مرض رسول الله ﷺ مرضه الّذي مات فيه، أتاه بلال يؤذّنه بالصّلاة، فقال بعد مرّتين: يا بلال، قد أبلغتَ؛ فمن شاء فليصلّ بالنّاس، ومن شاء فليدعْ.

قال: ورفعت السُّتور عن رسول الله ﷺ، فنظرنا إليه كأنّه ورقة بيضاء، وعليه

---

١ ـ الهينمة: الصّوت الخفيّ. وفي اللّسان .ونسب البيتين إلى فاطمة: «وهنبثة»، والهنبثة: الاختلاط في القول.

٢ ـ الحبلة في الأصل: الكرم؛ قيل: معناه حمل الكرمة قبل أن تبلغ؛ ولعلّه كناية عن صغرسنّ عليّ.

خَمِيصة[1] له، فرجع إليه بلال، فقال: مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالنّاس، قال: فما رأيناه بعد ذلك.

وقال أبوبكر: وحدّثني أبو الحسن عليّ بن سليمان النّوفليّ، قال: سمعتُ أُبَيًّا يقول: ذكَر سعد بن عبادة يومًا عليًّا بعد يوم السَّقيفة، فذكر أمرًا من أمره نسيَه أبو الحسن، يوجب ولايتَه، فقال له ابنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في عليّ بن أبي طالب، ثمّ تطلب الخلافة ويقول أصحابُك: منّا أمير ومنكم أمير! لا كلّمتك والله من رأسي بعد هذا كلمة أبدًا.

قال أبوبكر: وحدّثني أبو الحسن عليّ بن سليمان النّوفليّ، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني شريك بن عبد الله، عن إسماعيل بن خالد، عن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه عن جدّه، قال: قال عليّ: كنت مع الأنصار لرسول الله ﷺ على السّمع والطّاعة له في المحبوب والمكروه، فلمّا عزّ الإسلام، وكَثُر أهله، قال: يا عليّ؛ زِدْ فيها: «على أن تمنعوا رسول الله وأهلَ بيته ممّا تمنعون منه أنفسَكم وذراريكم»، قال: فحملها على ظهور القوم، فوفَى بها مَنْ وَفَى، وهلك مَنْ هَلَك.

قلت: هذا يطابق ما رواهُ أبو الفرج الإصفهانيّ في كتاب «مقاتل الطّالبيّين»: أنّ جعفر بن محمّد عليه السلام وقف مستترًا في خِفْية، يشاهد المحامل الّتي حُمِل عليها عبد الله ابن الحسن وأهلُه في القيود والحديد من المدينة إلى العراق، فلمّا مَرُّوا به بكى، وقال: ماوفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول الله ﷺ، بايَعهم على أن يمنعوا محمّدًا وأبناءه وأهله وذريّتَه ممّا يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذراريهم فلم يفوا. اللّهمّ اشْدُد وطأتك على الأنصار.

قال أبوبكر: وحدّثنا أبوسعيد عبد الرّحمن بن محمّد، قال: حدّثنا أحمد بن الحكم، قال: حدّثنا عبدالله بن وهب، عن ليث بن سعد، قال: تخلّف عليّ عن بيعة أبي بكر،

---

١ ـ الخميصة: كساء أسود مربّع؛ له علمان.

فأخرج مُلبّبًا [١] يُمْضَى به رَكْضًا؛ وهو يقول: معاشرَ المسلمين، عَلامَ تُضرب عُنُق رجل من المسلمين، لم يتخلّف لخلاف، وإنّما تخلّف لحاجة! فما مرّ بمجلس من المجالس إلّا يقال له: انطلق فبايع.

قال أبوبكر: وحدّثنا عليّ بن جرير الطّائيّ، قال: حدّثنا ابنُ فضل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد، قال: سمعت عليًّا عليه السلام يقول: أمَا وربّ السّماء والأرض، ثلاثًا؛ إنّه لعهد النّبيّ الأُمّيّ إليّ: «لتغدرَنّ بك الأمّة من بعدي».

قال أبوبكر: وحدّثنا أبو زيد عمر بن شبّة بإسناد رفعه إلى ابن عبّاس، قال: إنّي لأماشي عمر في سكّة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يابن عبّاس، ما أظنّ صاحبَك إلّا مظلومًا، فقلت في نفسي: والله لايسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين، فاردُدْ إليه ظُلامتَه. فانتزع يدَه من يدي، ثمّ مرّ يهمّهِم ساعة ثمّ وقف، فلحقته فقال لي: يابن عبّاس، ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلّا أنّهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأُولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمرَه أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر. (٦: ١٧ ـ ٤٦)

(الخطبة:١٦٣): ومن كلام له عليه السلام: لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السلام:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ! إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ؛ وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ؛ وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ.

أَمَّا الْاِسْتِبْدادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ؛ وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ [٢] إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيَامَةُ. . .

---

١ ـ يقال: لبب فلان فلانًا: أخذ بتلبيبه، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره ثمّ جرّه.

٢ ـ المعود، بسكون العين وفتح الواو؛ كذا ضبطت في اللّسان. وفي النّهاية لابن الأثير: هكذا جاء

الشّرح: ... ثمّ قال: فإن كشف الله تعالى هذه المِحنَ الّتي يحصل منها ابتلاء الصّابرين والمجاهدين، وحصل لي التّمكّن من الأمر، حملتُهم على الحقّ المحض الّذي لايمازجُه باطل، كاللّبن المحْضِ الّذي لايخالطه شيء من الماء، وإنْ تَكُن الأخرى، أي وإنْ لم يكشف الله تعالى هذه الغمّة ومِتّ أو قتلت ـ والأمور على ماهي عليه من الفتنة ودولة الضّلال ـ ﴿فَلَاتَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾؛ والآية من القرآن العزيز[1].

وسألت أباجعفر يحيى بن محمّد العلويّ نقيب البصرة، وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العَلَويّة منصفًا وافر العقل، فقلت له: مَنْ يعنى عليه السلام بقوله: «كانتْ أثَرة شحَّت عليها نفوس قوم، وسَخَت عنها نفوس آخرين؟» ومَن القومُ الّذين عناهم الأسديّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به»؟ هل المرادُ يوم السَّقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السَّقيفة؛ فقلت: إنّ نفسي لا تسامحني أن أنسُب إلى الصَّحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع النّص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضًا نفسي أن أنسب الرَّسول إلى إهمال أمر الإمامة، وأنْ يُتركَ النَّاس فوضى سُدًى مهمَلين؛ وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلّا ويؤمّر عليها أميرًا وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر وهو ميّت لا يقدر على استدراك ما يحدُث! ثمّ قال: ليس يشكّ أحدٌ من النَّاس أنّ رسول الله كان عاقلًا كامل العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم؛ وأمّا اليهود والنَّصارى والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمة، سديد الرَّأى، أقام ملّة، وشرَع شريعة، فاستجدّ ملكًا عظيمًا بعقله وتدبيره؛ وهذا الرّجل العاقل الكامل يعرفُ طباع العرب وغرائزهم

«المعود» على الأصل؛ وهو «مفعل»، من عاد يعود، ومن حقّ أمثاله أن تقلَب واوه ألفًا، كالمقام والمراح، ولكنّه استعلمه على الأصل.

١ ـ فاطر/٨.

وطلبَهم بالثّارات والذُّحول؛ ولو بعد الأزمان المتطاولة. ويقتُل الرَّجل من القبيلة رجلًا من بيت آخر، فلا يزال أهلُ ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه؛ حتّى يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قَتَلُوا بعضَ أقاربه وأهله، فإنْ لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحدًا أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنَيْن. والإسلام لم يُحِلّ طبائعهم، ولاغيّر هذه السَّجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهَم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وَتَر العرب، وعلى الخصوص قريشًا، وساعدَهُ على سَفْك الدِّماء وإزهاق الأنفس وتقلّد الضغائن ابنُ عمِّه الأدنى وصهرُه، وهو يعلم أنّه سيموت كما يموت النَّاس، ويتركه بعدَه وعنده ابنته وله منها ابنان يجريان عندَه مَجْرَى ابنَيْن من ظَهْره حُنوًّا عليهما، ومحبّة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولاينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقِنُ دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلمُ هذا العاقل الكامل؛ أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهلَه سوُقَةً ورعيّة؛ فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده؛ بل يكونُ هو عليه السلام الَّذي قتله، وأشاط[1] بدمائهم،لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم؛ وإنّما يكونون مُضغةً للآكل، وفريسةً للمفترِس، يتخطّفهم النَّاس، وتبلُغ فيهم الأغراض! فأمّا إذا جَعَل السُّلطان فيهم، والأمر إليهم؛ فإنّه يكون قد عَصَمهم وحَقَن دماءهم بالرّياسة الَّتي يَصُولون بها، ويرتدع النَّاس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتّجربة. ألا ترى أنّ ملِك بغداد أو غيرها من البلاد لو قَتَل النّاس ووتَرَهم، وأبقَى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثمّ أهمل أمر ولده وذريّته من بعده، وفَسَح للنّاس أن يقيموا مَلِكًا من عُرْضِهم، وواحدًا منهم، وجعل بنيه سوقَةً كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلًا بقاؤهم، سريعًا هلاكهم، ولَوثَب عليهم النَّاس ذوو الأحقاد والتِّرات من كلّ جهة، يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرَّد. ولو أنّه عَيّن ولدًا من أولاده للْملك، وقام خواصّه وخدمه وخَوَلُه بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بَيْته، ولم تطلْ يد أحد من

---

١ ـ أشاط بدمائهم: أهدر أو عمل على هلاكها .

النّاس إليهم لناموس الملك، وأبهّة السّلطنة، وقوّة الرّياسة وحرمة الإمارة!

أفترى ذهب عَنْ رسول الله ﷺ هذا المعنى؛ أم أحبّ أن يُستأصل أهله وذريّته من بعده! وأين موضعُ الشَّفَقة علَى فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه!

أتقول: إنّه أحبّ أن يجعلها كواحدةٍ من فقراء المدينة، تتكفّفُ النّاس، وأن يجعل عليًا، المكرّم المعظّم عنده، الّذي كانت حاله معه معلومةً، كأبي هريرة الدَّوْسِيّ وأنس ابن مالك الأنصاريّ، يحكّم الأمراء في دمه وعرْضِه ونفسه وولده، فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول؛ تتلظّى أكباد أصحابها عليه، ويودُّون أن يشربُوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم؛ قد قتل أبناءَهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامَهم، والعهدُ لم يَطُلْ، والقروح لم تتقرّف[1] والجروح لم تندمل!

فقلت له: لقد أحسنتَ فيما قلت، إلّا أن لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه، ألا تراه يقول: «ونحنُ الأعلَوْن نسبًا، والأشَدُّون بالرَّسول نَوْطًا»، فجعل الإحتجاج بالنَّسَب وشدّة القُرْب؛ فلو كان عليه نصّ، لقال عِوَض ذلك: «وأنا المنصوص علىّ، المخطوب باسمي».

فقال رحمه الله: إنّما أتاه من حيثُ يعلم، لا من حيث يجهل؛ ألَا ترى أنّه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه؛ وهم أحقّ به من جهة اللّحمة والعِتْرة؛ ولم يكن الأسديُّ يتصوّر النّصّ ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لم دَفَعك النّاس عن هذا المقام، وقد نصّ عليك رسول الله ﷺ؟ ولم يَقُل له هذا، وإنّما قال كلامًا عامًّا لبني هاشم كافّة: كيف دفعكم قومُكم عن هذا وأنتم أحقّ به! أى باعتبار الهاشميّة والقربَى. فأجابه بجوابٍ أعاد قبله المعنى الّذي تعلّق به الأسديّ بعينه؛ تمهيدًا للجواب، فقال: إنّما فعلوا ذلك مع أنّا أقربُ إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال

---

١ ـ تقرّف الجرح: طلعت فوقه فشرة، أى شارف البرء.

له: أنا المنصوص عليّ، والمخطوب باسمِي في حياة رسول الله ﷺ، لمّا كان قد أجابه، لأنّه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا ؟ ولا هل نصّ رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا؟ وإنّما قال: لم دَفَعكم قومُكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جوابًا ينطبق على السّؤال ويلائمه أيضًا، فلو أخذ يصرّح له بالنصّ، ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنَفَر عنه، واتّهمه ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه؛ فكان أولى الأمور في حكم السّياسة وتدبير النّاس؛ أن يجيب بما لا نُفْرة منه، ولا مطعن عليه فيه. (٩ : ٢٤٨ ـ ٢٥١)

(الحكمة: ٢٢) وَ قَالَ: لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَ إِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ، وَ إِنْ طَالَ السُّرَى.

. . . وهذا الكلام تزعم الإماميّة أنّه قاله يومَ السَّقيفة أو في تلك الأيّام، ويذهَب أصحابُنا إلى أنّه قاله يوم الشُّورى بعد وفاة عمر واجتماعِ الجماعةِ لاختيار واحد من السّتّة، وأكثر أرباب السِّير ينقُلونه على هذا الوجه. (١٨: ١٣٣)

الباب العاشر
في الإمامة و أهل البيت عليهم السلام
و فيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[في أمر الإمامة]

(الخطبة : ٢) منها : يعنى بها قوماً آخرين: زَرَعُوا الفُجُورَ، وَسَقَوْهُ الغُرُورَ، وَحَصَدُوا الثُّبُورَ، لا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّد صَلَّى عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَايُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ اليَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الغَالِي، وَبِهِمْ يَلْحَقُ التَّالِي. وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلايَةِ، وَفِيهِمُ الوَصِيَّةُ وَالوِرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

. . . ثمّ ذكر خصائص حقّ الولاية، والولاية الإمرة؛ فأمّا الإماميّة فيقولون: أراد نصّ النّبيّ ﷺ وعلى أولاده. ونحن نقول: لهم خصائص حقّ ولاية الرّسول ﷺ على الخلق.

ثمّ قال عليه السلام: «وفيهم الوصيّة والوراثة»، أمّا الوصية فلا ريبَ عندنا أنّ عليًّا عليه السلام كان وصيّ رسول الله ﷺ وإنْ خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعنى بالوصية النصّ والخلافة، ولكن أمورًا أخرى لعلّها ـ إذا لُمِحت ـ أشرفُ وأجلّ.

وأمّا الوراثة فالإماميّة يحملونها على ميراث المال، والخلافة، ونحن نحملها على وراثة العلم.

ثمّ ذكر عليه السلام أنّ الحقّ رجع الآن إلى أهله؛ وهذا يقتضي أن يكونَ فيما قبل في غير أهله، ونحن نتأوّل ذلك على غير ما تذكره الإماميّة، ونقول: إنّه عليه السلام كان أوْلى بالأمر وأحقّ، لا على وجه النصّ، بل على وجه الأفضليّة، فإنّه أفضلُ البشر بعد رسول الله ﷺ، وأحقُّ بالخلافة من جميع المسلمين، لكنّه ترك حقَّه لما علمه من المصلحة، وما تفرّس فيه هو والمسلمون من اضطراب الإسلام، وانتشار الكلمة، لحسد العرب له، وضغنهم عليه. وجائز لمن كان أوْلى بشيء فتركه ثمّ استرجعه أن يقول: قد رجع الأمر إلى أهله. (١: ١٣٩ ــ ١٤٠)

(الخطبة: ٤٣) . . . وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ

أَرَ فِيهِ[1] إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ[2] . . .

الشّرح: . . . وأمّا قوله: «ليس إلّا القتال أو الكفر» فلأنّ النّهيَ عن المنكَر واجبٌ على الإمام، ولا يجوز له الإقرار عليه، فإن تركَه فَسَق، ووجبَ عزلهُ عن الإمامة.
(٢: ٣٢٣)

(الخطبة: ٥٣) ومن كلام له عليه السلام وفيه يصف أصحابه بصفّين حين طال منعهم له من قتال أهل الشّام:

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَّبْتُ هذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعنى النَّوْمَ، فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعني إِلاَّ قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوَتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوتَاتِ الْآخِرَةِ.

الشّرح: . . . وجهاد البُغاة واجب على الإمام، إذا وجد أنصارًا، فإذا أخلّ بذلك أخلّ بواجب، واستحقّ العقاب. فإن قيل: إنّه عليه السلام قال: «لم يسعنى إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد ﷺ؟»، فكيف يكون تارك الواجِب جاحدًا لما جاء به النّبي ﷺ! قيل: إنّه في حكْم الجاحد، لأنّه مخالف وعاصٍ، لا سيّما على مذهبنا في أنّ تارك الواجب يخلُد في النّار وإن لم يجحد النُّبوَّة. (٤: ٦)

وروى ابن ديزيل، قال: حدّثنا يحيى بن زكريّا[3]، قال: حدّثنا عليّ بن القاسم، عن سعيد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيدُ بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلّكم على ما إن تَساءلتم عليه لم تَهْلِكوا؛ إنّ وَلِيّكم الله، وإنّ إمامَكم علىّ بن

---

١ ـ كذا في ب، وفي ا: «فلم أر إلّا القتال»، وفي ج: «فلم أر لي إلّا القتال».

٢ ـ كذا في ب، وهو ساقط من ا، ج.

٣ ـ ب: «زكريّا بن يحيى».

أبي طالب، فناصحوه وصدقوه، فإنّ جبريل أخبرني بذلك».

فإن قلت: هذا نصّ صريح في الإمامة، فما الّذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قلت: يجوز أن يريدَ أنّه إمامهم في الفتاوى والأحكام الشّرعيّة، لا في الخلافة.

وأيضًا فإنّا قد شرحنا من قول شيوخِنا البغداديّين ما محصّله: أنّ الإمامة كانت لعليّ عليه السلام إن رغب فيها ونازع عليها، وإن أقرّها في غيره وسكتَ عنها تولّينا ذلك الغير، وقلنا بصحّة خلافته، وأميرُ المؤمنين عليه السلام لم ينازع الأئمّة الثّلاثة، ولا جَرّد السّيف، ولا استنجد بالنّاس عليهم؛ فدلّ ذلك على إقراره لهم على ما كانوا فيه؛ فلذلك تولّيناهم، وقلنا فيهم بالطّهارة والخيْروالصّلاح، ولو حارَبَهم وجَرّد السَّيف عليهم، واستصرخ العرَب على حَرْبهم لقلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعاملة، من التّفسيق والتّضليل. (٣: ٩٨ ـ ٩٩)

(الحكمة: ١٦٨) الأصل: لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِحَقِّهِ إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ .

الشّرح: لعلّ هذه الكلمة قالها في جواب سائل سأله:لمَ، أخّرتَ المطالبة بحقّك من الإمامة؟ ولابدّ من إضمار شيء في الكلام على قولنا وقول الامامِيّة، لأنّا نحن نقول: الأمر حقّه بالأفضليّة وهم يقولون: إنّه حقّه بالنصّ، وعلى كلا التقديرين فلا بدّ من إضمار شيء في الكلام، لأنّ لقائل أن يقول له عليه السلام: لو كان حقّك من غيرأن يكون للمكلّفين فيه نصيب لجاز ذلك أن يؤخّر كالدّين الّذي يستحقّ على زيد، يجوز لك أن تؤخّره لأنّه خالص لك وحدك، فأمّا إذا كان للمكلّفين فيه حاجة ماسة لم يكن حقّك وحدك، لأنّ مصالح المكلّفين منوطة بإمامتك دون إمامة غيرك، فكيف يجوز لك تأخيرما فيه مصلحة المكلّفين؟ فإذن لابدّ من إضمار شئ في الكلام. وتقديره: لا يعاب المرء بتأخيرحقّه إذا كان هناك مانع عن طلبه، ويستقيم المعنى حينئذ على المذهبين جميعًا، لأنّه إذا كان هناك مانع جاز تقديم غيره عليه، وجاز له أن يؤخّر طلب حقّه خوف الفتنة، والكلام في هذا الموضع مستقصى في تصانيفنا

في علم الكلام. (١٨: ٣٩٠ ـ ٣٩١)

(الخطبة: ٦٨) . . . وَاللهِ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ، وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ، وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ، وَلكِنِّي واللهِ لَا أَرَي إِصْلاَحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ! لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلاَ تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ!

الشّرح: . . . فإن قلت: أليست نُصرة الإمام واجبةً عليهم؟ فلم لا يقتلهم إذْ أخلُّوا بهذا الواجب؟

قلت: ليس كلّ إخلال بواجب يكون عقوبته القتل، كمن أخَلّ بالحجّ. وأيضًا فإنّه كان يعلم عاقبةَ القتل فسادهم عليه واضطرابهم ،فلو أسرع في قتلهم لشَغَبُوا عليه شغبًا يُفْضِي إلى أن يقتلوه ويقتلوا أولادَه، أو يسلِّموه ويسلِّموهم إلى معاوية، ومتى علم هذا أو غلب على ظنّه لم يَجُزْ له أن يسوسَهم بالقتل الّذي يُفْضِي إلى هذه المفسدة، فلو ساسَهم بالقتل والحال هذه، لكان آثمًا عند الله تعالى، ومواقعًا للقبيح، وفي ذلك إفساد دينه كما قال: «لا تعرفون الحقَّ كمعرفتكم الباطل. . . .» إلى آخر الفصل، فكأنّه قال: لا تعتقدون الصَّواب والحقّ كما تعتقدون الخطأ والباطل، أي اعتقادكم الحقّ قليل واعتقادكم الباطل كثير، فعبّر عن الاعتقاد العام بالمعرفة الخاصّة، وهي نوع تحت جنسه مجازًا. (٦: ١٠٤)

الفصل الثّاني ـ [اختلاف الرّأي في القول بوجوب الإمامة]

ومن كلام له عليه السلام: في الخوارج لمّا سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله»، قال عليه السلام:

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ! نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لله، ولكِنَّ هؤُلَاءِ يَقُولُونَ:لَا إِمْرَةَ[1]، فَإِنَّهُ لَابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أُخري أنّه عليه السلام لمّا سمع تحكيمهم قال: حُكْمَ اللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ. وقال: أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فيها التَّقِيُّ، وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا[2] الشَّقِيُّ، إلى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

هذا نصٌّ صريح منه عليه السلام؛ بأنّ الإمامةَ واجبة؛ وقد اختلف النّاس في هذه المسألة فقال المتكلّمون: كلمة الإمامة واجبة؛ إلّا ما يحكَى عن أبي بكر الأصَمّ من قدماء أصحابنا أنّها غيرُ واجبة؛ إذا تناصفت الأمة؛ ولم تتظالم .

وقال المتأخّرون من أصحابنا: إنّ هذا القول منه غيرُ مخالف لما عليه الأُمّة؛ لأنّه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمورُ النّاس من دون رئيس يحكم بينهم؛ فقد قال بوجوب الرّياسة على كلّ حال؛ اللّهم إلّا أن يقول: إنّه يجوز أنْ تَستَقيم أمورُ النّاس من دون رئيس؛ وهذا بعيد أن يقوله؛ فأمّا طريق وجوب الإمامة ما هي؟ فإنّ مشايخَنا البصريّين رحمهم الله يقولون طريق وجوبها الشّرع، وليس في العقل ما يدلّ على وجوبها.

وقال البغداديّون وأبو عثمان الجاحظ من البصريين، وشيخنا أبو الحسين رحمه الله

---

١ ـ ب: «لا إمرة إلّا لله» وما أثبته عن ا، ج ومخطوطة النّهج.

٢ ـ ا: «بها».

تعالى: إنّ العقلَ يدلّ على وجوب الرِّياسة؛ وهو قول الإماميّة، إلّا أنّ الوجه الّذي منه يوجب أصحابنا الرِّياسة غير الوجه الّذي توجب الإماميّة منه الرِّياسة، وذاك أنّ أصحابنا يوجبون الرِّياسة عَلَى المكلّفين، من حيث كان في الرِّياسة مصالح دنيويّة، ودفع مضارّ دنيويّة. والإماميّة يُوجبون الرِّياسة عَلَى الله تعالى، من حيث كان في الرِّياسة لُطف وبعدٌ للمكلّفين عن مواقعة القبائح العقليّة.

والظّاهر من كلام أمير المؤمنين عليه السلام يطابِق ما يقوله أصحابنا، ألَا تراه كيف علّل قوله: «لابدَّ للنّاس من أمير»، فقال في تعليله: يُجمَع به الفيء، ويقاتَل به العدوّ وتؤمَن به السُّبل، ويؤخذ للضَّعيف من القويّ! وهذه كلّها من مصالح الدّنيا.

فإنْ قيل: ذكرتم أنّ النّاس كافّة قالوا بوجوب الإمام، فكيفَ يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن الخوارج إنّهم يقولون: «لا إمرة».

قيل: إنّهم كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك، ويذهبون إلى أنّه لا حاجةَ إلى الإمام، ثمّ رجعوا عن ذلك القول لمّا أمّروا عليهم عبد الله بن وهب الرّاسبيّ.

فإن قيل: فسّروا لنا ألفاظ أمير المؤمنين عليه السلام.

قيل: إنّ الألفاظَ كلّها ترجع إلى إمرة الفاجر.

قال: يعمل فيها المؤمن، أي ليست بمانعة للمؤمن من العمَل، لأنّه يمكّنه أن يصلّي ويصوم ويتصدّق، وإن كان الأمير فاجرًا في نفسه.

ثمّ قال: «ويستمتع فيها الكافر» أي يتمتّع بمدّته، كما قال سبحانه للكافرين: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[1].

ويبلّغ الله فيها الأجل، لأنّ إمارة الفاجر كإمارة البَرّ، في أنّ المدّة المضروبة فيها تنتهي إلى الأجل المؤقت للإنسان. ثمّ قال: «ويجمَع به الفيء ويقاتَل به العدوّ، وتأمن به السُّبل، ويُؤخذ به للضَّعيف من القويّ»، وهذا كلُّه يمكن حصوله في إمارة الفاجر

---

١ ـ إبراهيم/٣٠.

القويّ في نفسه، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليؤيّد هذا الدِّينَ بالرَّجُل الفاجر»، وقد اتّفقت المعتزلة عَلَى أنّ أمراء بني أميّه كانوا فُجّارًا عدا عثمان، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن الوليد. وكان الفيء يُجْمَع بهم، والبلاد تُفْتَح في أيّامهم، والثّغورُ الإسلامية محصّنة مَحُوطة، والسُّبُل آمنة، والضَّعيف منصور عَلَى القويّ الظّالم؛وما ضرّ فجورُهم شيئًا في هذه الأمور.ثمّ قال عليه السلام: «فتكون هذه الأمور حاصلة إلى أن يستريحَ برّ بموته، أو يُستراح من فاجر بموته أو عزله».

فأمّا الرِّواية الثّانية، فإنّه قد جعل التقيّ يعمل فيها للإمرة خاصّة. وباقي الكلام غنيّ عن الشّرح. (٢: ٣٠٧ ـ ٣٠٩)

[القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامة و التّفضيل و البغاة و الخوارج]

اتّفق شيوخُنا كافّة رحمهم الله، المتقدّمون منهم والمتأخّرون، والبصريّون والبغداديّون، على أنّ بَيْعةَ أبي بكر الصديق بَيْعة صحيحة شرعيّة، وأنّها لم تكن عن نصّ، وإنّما كانت بالاختيار الّذي ثبتَ بالإجماع، وبغير الإجماع كونُه طريقًا إلى الإمامة.

واختلفوا في التّفضيل، فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عُبيد، وأبي إسحاق إبراهيم بن سيّار النظّام، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وأبي معن ثُمامة بن أشرس، وأبي محمّد هشام بن عمرو الفُوَطيّ، وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشّحام، وجماعة غيرهم: إنّ أبا بكر أفضلُ من عليّ عليه السلام، وهؤلاء يجعلون ترتيبَ الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخِلافة.

وقال البغداديّون قاطبة؛ قدماؤهم ومتأخّروهم، كأبي سهل بِشْر بن المعتمر، وأبي موسى عيسى بن صبيح، وأبي عبد الله جعفر بن مبشّر، وأبي جعفر الإسكافيّ، وأبي

الحسين الخيّاط، وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلْخِيّ وتلامذته: إنّ عليًّا عليه السلام أفضلُ من أبي بكر.

وإلى هذا المذهب ذهب من البصريّين أبو عليّ محمّد بن عبد الوهّاب الجُبّائيّ أخيرًا، وكان من قبلُ من المتوقّفين، كان يميل إلى التّفضيل ولا يصرّح به، وإذا صنّف ذهب إلى الوقف في مصنّفاته. وقال في كثير من تصانيفه: إن صحّ خبرُ الطّائر فعليّ أفضل.

ثمّ إن قاضيَ القضاة رحمه الله ذكر في شرح « المقالات» لأبي القاسم البلخيّ أنّ أبا عليّ رحمه الله ما مات حتّى قال بتفضيل عليّ عليه السلام، وقال: إنّه نقل ذلك عنه سماعًا، ولم يوجد في شيء من مصنّفاته. وقال أيضًا: إنّ أبا عليّ رحمه الله يوم مات استدنَى ابنه أبا هاشم إليه، ـ وكان قد ضَعُف عن رفع الصّوت ـ فألقى إليه أشياء، من جملتها القولُ بتفضيل عليّ عليه السلام.

وممّن ذهب من البصريّين إلى تفضيله عليه السلام الشّيخ أبوعبد الله الحسين ابن عليّ البصريّ رضى الله عنه، كان متحقّقًا بتفضيله، ومبالغًا في ذلك، وصنّف فيه كتابًا مفردًا.

وممّن ذهب إلى تفضيله عليه السلام من البصريّين قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبّار بن أحمد رحمه الله؛ ذكر ابن مَتّويه عنه في كتاب « الكفاية» في علم الكلام أنّه كان من المتوقّفين بين عليّ عليه السلام وأبي بكر، ثمّ قطع على تفضيل عليّ عليه السلام بكامل المنزلة.

ومن البصريّين الذّاهبين إلى تفضيله عليه السلام أبو محمّد الحسن بن مَتّويه صاحب «التّذكرة» نصّ في كتاب « الكفاية» على تفضيله عليه السلام على أبي بكر؛ احتجّ لذلك، وأطال في الاحتجاج. فهذان المذهبان كما عرفت.

وذهب كثير من الشّيوخ رحمهم الله إلى التّوقف فيهما؛ وهو قول أبي حذيفة واصل ابن عطاء، وأبي الهُذَيْل محمّد بن الهُذَيْل العلّاف؛ من المتقدّمين. وهما ـ وإن ذهبا

إلى التّوقّف بينه عليه السلام وبين أبي بكر و عمر ـ قاطعان على تفضيله على عثمان.

ومن الذّاهبين إلى الوقف الشّيخ أبو هاشم عبدالسّلام بن أبي عليّ رحمهما الله، والشّيخ أبو الحسين محمّد بن عليّ بن الطيّب البَصريّ رحمه الله.

وأمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديّون؛ من تفضيله عليه السلام.

وقد ذكرنا في كتبنا الكلاميّة ما معنى الأفضل؛ وهل المراد به الأكثر ثوابًا أو الأجمعُ لمزايا الفضل والخلال الحميدة، وبيّنا أنّه عليه السلام أفضلُ على التّفسيرين معا.

وليس هذا الكتاب موضوعًا لذكر الحِجاج في ذلك أو في غيره من المباحث الكلاميّة لنذكرَه، ولهذا موضع هو أمْلَك به.

وأمّا القول في البُغاة عليه والخوارج، فعليّ ما أذكره لك:

أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلّهم إلّا عائشة وطلحة والزُّبير؛ (رحمهم الله) فإنّهم تابوا، ولو لا التّوبة لحُكِم لهم بالنّار لإصرارهم على البغي.

وأمّا عسكر الشّام بصِفّين فإنّهم هالكون كلّهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلّا بالنّار؛ لإصرارهم على البغي وموتهم عليه؛ رؤساؤهم والأتباع جميعًا.

وأمّا الخوارج فإنّهم مَرَقوا عن الدّين بالخبر النّبويّ المجمَع عليه، ولا يختلف أصحابُنا في أنّهم من أهلِ النّار.

وجملة الأمر أنّ أصحابنا يحكمون بالنّار لكلّ فاسق مات على فِسْقه؛ ولا رَيب في أنّ الباغيَ على الإمام الحقّ والخارجَ عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق؛ وليس هذا ممّا يخصّون به عليًّا عليه السلام، فلو خرج قوم من المسلمين على غيره من أئمة الإسلام العدول لكان حكمُهم حكمَ من خرج على عليّ صلوات الله عليه.

وكان شيخنا أبوالقاسم البلخيّ إذا ذكر عنده عبد الله بن الزّبير، يقول: لا خيرَ فيه.

وقال مرّة: لا يعجبني صلاته وصومه؛ وليسا بنافعيْن له مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «لا يبغضُك إلّا منافق». وقال أبوعبد الله البصريّ رحمه الله لمّا سئل عنه:

ما صحّ عندي أنّه تاب من يوم الجمل؛ ولكنّه استكثر ممّا كان عليه.

فهذه هي المذاهب والأقوال؛ وأمّا الاستدلال عليها فهو مذكور في الكتب الموضوعة لهذا الفنّ. (١: ٧ ـ ١٠)

قالت[عائشة]: وأذكرك أيضًا كنتُ أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سَفر له، وكان عليّ يتعاهد نَعْلَيْ رسول الله ﷺ فيخصِفها[١]، ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنَقِبت[٢] له نعلٌ، فأخذها يومئذ يخصِفها، وقعد في ظلِّ سَمُرة، وجاء أبوك ومعه عمر، فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ودخلا يحادثانه فيما أراد، ثمّ قالا: يارسول الله، إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا مَنْ يستخلف علينا؛ ليكون لنا بعدك مفزعًا؟ فقال لهما: أمّا إنّي قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرّقتم عنه، كما تفرّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران، فسكتا ثمّ خرجا، فلمّا خرجْنا إلى رسول الله ﷺ، قلتُ له، وكنت أجرأ عليه مِنّا: مَنْ كنتَ يا رسول الله مستخلفًا عليهم؟ فقال: خاصف النّعل، فنظرنا فلم نرأحدًا إلّا عليًّا، فقلت: يارسول الله، ما أرى إلّا عليًّا، فقال: هو ذاك، فقالت عائشة: نعم، أذكر ذلك، فقالت: فأيّ خروج تخرجين بعد هذا؟ فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بين النّاس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله، فقالت: أنت ورأيك. فانصرفت عائشة عنها، وكتبتْ أمّ سلمة بما قالت وقيل لها إلى عليّ عليه السلام.

فإن قلت: فهذا نصٌّ صريح في إمامة عليّ عليه السلام، فما تصنعُ أنت وأصحابك المعتزلة به؟

قلت: كلّا إنّه ليس بنصّ كما ظننت، لأنّه ﷺ لم يقل: قد استخلفته، وإنّما قال: «لو قد استخلفتُ أحدًا لاستخلفته» وذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف؛ ويجوز أنْ

---

١ ـ خصف النّعل: حرزها.

٢ ـ نقبت النّقل: ثقبت.

تكونَ مصلحةُ المكلّفين متعلّقة بالنصّ عليه لو كان النّبيّ ﷺ مأمورًا بأنْ ينصّ على إمام بعينه من بعده؛ وأن يكون من مصلحتهم أن يختارُوا لأنفسهم من شاءوا إذا تركهم النّبيّ ﷺ وآراءهم ولم يعين أحدًا. (٦: ٢١٨ ـ ٢١٩)

الفصل الثّالث ـ[معنى الوليّ]

(الحكمة : ٤٤١) وَ قَالَ عليه السلام: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَ اشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا أَحَسُّوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَ تَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ، وَ رَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا، وَ دَرَكَهُمْ لَهَا فَوَاتًا، أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ النَّاسُ، وَ سِلْمُ مَا عَادَى النَّاسُ، بِهِمْ عُلِمَ الْكِتَابُ، وَ بِهِ عَلِمُوا، وَ بِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللهِ تعالى، وَ بِهِ قَامُوا، لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ، وَ لَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .

الشّرح: هذا يَصلُح أن تَجعله الإماميّة شرح حال الأئمّة المعصومين على مذاهبهم، لقَوله: فوقَ ما يَرْجون، بهم عُلِم الكتاب، وبه عُلموا؛ وأمّا نحن فنجعله شرح حالِ العلماء العارفين وهم أولياءُ الله الّذين ذكرهم عليه السلام لما نظر النّاسُ إلى ظاهر الدُّنيا وزُخرُفها من المناكح والملابس والشَّهَوات الحِسّية، نظروا هُمْ إلى باطن الدُّنيا، فاشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة والزُّهد في المَلاذّ الجُسمانيّة، فأمَاتُوا من شَهَواتِهم وقُواهم المذمومة كقوّة الغَضب وقوّة الحسد ما خافوا أن يُميتَهم، وتَركُوا من الدُّنيا اقتناءَ الأموال لعلمهم أنّها ستترُكهم، وأنّه لا يمكن دوامُ الصُّحْبة معها، فكان استِكثارُ النّاس من تلك الصِّفات استقلالًا عندهم، وبلوغ النّاس لها فَوْتًا أيضًا عندهم، فهم خَصْم لِما سالَمَه النّاسُ مِن الشَّهوات، وسِلْم لِما عاداه النّاس من العُلوم والعبادات، وبهم عُلم الكتاب، لأنّه لولاهم لِما عُرِف تأويل الآيات المتشابهات، ولأَخَذَها النّاسُ على ظواهرها فضلّوا وبالكتاب عُلموا، لأنّ الكتابَ دلّ عليهم، ونبّه النّاس على

مواضعهم، نحو قوله: ﴿إِنَّمَا يَخشَى اللهَ مِن عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١].

وقوله: ﴿هَلْ يَستَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٢].

وقوله: ﴿ومَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[٣].

ونحو ذلك من الآيات الّتي تنادى عليهم، وتَخْطُب بفَضلهم، وبهم قام الكتاب لأنّهم قرّروا البَراهين على صِدْقه وصحّة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولاهم لم يَقُم على ذلك دَلالة للعوامّ، وبالكتاب قاموا، أى باتباعِ أوامر الكتاب وآدابه قاموا، لأنّه لو لا تأدُّبهم بآداب القرآن، وامتثالهم أوامرَه، لما أَغنى عنهم عِلمُهم شيئًا، بل كان وَبالُه عليهم ،ثمّ قال: إنّهم لا يَرَوْن مَرْجُوًّا فوق ما يَرْجون، ولا مَخُوفا فوق ما يخافون، وكيف لا يكونون كذلك ومَرْجُوُّهم مجاوَرة الله تعالى في حظائر قُدْسه، وهل فوق هذا مَرْجُوّ لراجٍ، ومخوّفهم سخط الله عليهم وإبعادُهم عن جَنَابه، وهل فوق هذا مخوّفٌ لخائف. (٢٠: ٧٧ ـ ٧٨)

(الخطبة: ١٨٣)... قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ...

الشّرح: هذا الكلام فسّره كلّ طائفة على حسب اعتقادها ، فالشّيعة الامامية ، تزعم أنّ المرادَ به المهدى المنتظر عندهم، والصوفيّة يزعمون أنّه يعنى به ولىّ الله في الأرض ، وعندهم أنّ الدّنيا لا تخلُو عن الأبدال، وهم أربعون، وعن الاوتاد، وهم سبعة ، وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطبًا عوضه،

---

١ ـ فاطر/٢٨.

٢ ـ الزّمر/٩.

٣ ـ البقرة/٢٦٩.

وصار أحد الأربعين وتِدًا، عوض الوتد، وصار بعض الأولياء الّذين يصطفيهم الله تعالى أبدالًا عوض ذلك البدَل. وأصحابُنا يزعمونأنّ الله تعالى لا يخلِي الأمّة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدْل والتّوحيد، وأنّ الإجماع إنّما يكون حجّةً باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنّه لما تعذّرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبرإجماع سائر العلماء، وإنّما الأصل قول أولئك. قالوا: وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة؛ ولكنّه يصف حال كلّ واحد منهم ، فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا. والفلاسفة يزْعمون أنّ مرادَه عليه السلام بهذا الكلام العارف ، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرِفه مَنْ له أنس بأقوالهم، وليس يبعد عندي أن يريدَ به القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالى، وإن لم يكن الآن موجودًا، فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن؛ وقد وقع إتّفاق الفِرَق من المسلمين أجمعين على أنّ الدُّنيا والتّكليف لا ينقضي إلّا عليه.

ثمّ عاد إلى صفة الخَص المذكور. وقال: «بقيّة من بقايا حججه ،خَلِيفة من خلائف أنبيائه» ، الضمير هاهنا يرجع إلى الله سبحانه وإنْ لم يجرِ ذكره للعلم به،كما قال: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[1] ، ويمكن أن يقال: إنّ الضّمير راجع إلى مذكور وهو الإسلام ،أي من بقايا حجج الإسلام وخليفة من خلائف أنبياء الإسلام. فإن قلت: ليس للإسلام إلّا نبيّ واحد. قلت: بل له أنبياء كثير، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[2] وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[3] ، وكلّ الأنبياء دَعَوْا إلمادعا إليه محمّد صلى الله عليه وآله من التّوحيد والعدل، فكلّهم أنبياء للإسلام. فإن قلت: أليس لفظ «الحجّة» ولفظ «الخليفة» مشعرًا بما تقوله

---

١ ـ ص/٣٢.

٢ ـ الحجّ /٧٨.

٣ ـ النّحل/١٢٣.

الإماميّة؟ قلت:لا، فإنّ أهل التّصوّف يسمّون صاحبهم حجّة وخليفة ، وكذلك الفلاسفة وأصحابنا لا يمتنعون من إطلاق هذه الألفاظ على العلماء المؤمنين في كلّ عصر؛ لأنّهم حجج الله، أي إجماعهم حجّة ، وقد استخلفهم الله في أرضه ليحكُموا بحكمه. وعلى ما اخترناه نحن فالجواب ظاهر. (١٠: ٩٦ ـ ٩٩)

الفصل الرّابع ـ[في الولاية]

(الخطبة: ٢٠٧) . . . وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ، يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ، يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ، وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ . . .

واعلم أنّ إطلاق أمير المؤمنين عليه السلام عليهم لفظة «الولاية» في قوله: «يتواصَلُون بالولاية ويتلاقون بالمحبّة» يستدعي الخوْض في مقامَيْن جليلين من مَقامات العارفين: المقام الأوّل الولاية، وهو مقام جليل، قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. وجاء في الخبَر الصّحيح عن النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى: «مَنْ آذى لي وليًّا فقد استحلّ محارمي وما تقرّب إليّ العبد بمثل أداء ما فرضتُ عليه، ولا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه، ولاتردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابُدّ لَهُ منه».

واعلم أنّ الوليّ له معنيان:

أحدهما: «فعيل» بمعنى «مفعول»، كقتيل وجريح، وهو من يتولّى الله أمره، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[2]، فلا يكِله إلى نفسه لحظة عين بل يتولّى رعايته.

وثانيهما: «فعيل» بمعنى «فاعل» كنذير وعليم؛ وهو الَّذِي يتولّى طاعةَ الله

---

١ ـ يونس/٦٢.

٢ ـ الأعراف/١٩٦.

وعبادته فلا يعصيه.

ومن شرط كون الولىّ وليًّا ألّا يعصِيَ مولاه وسيّده، كما أنّ من شرط كون النّبيّ نبيًّا العصمة، فمن ظنّ فيه أنّه من الأولياء، ويصدر عنه ما للشّرع فيه اعتراض، فليس بوليٍّ عند أصحاب هذا العلم. بل هو مغرور مخادع.

ويقال: إنّ أبا يزيدَ البِسْطاميّ قصد بعض مَنْ يوصف بالولاية، فلمّا وافي مسجده، قعد ينتظر خروجه، فخرج الرّجل وتنخّم في المسجد، فانصرف أبو يزيد ولم يسلِّم عليه، وقال: هذا رجلٌ غير مأمون على أدبٍ من آداب الشّريعة، كيف يكون أمينًا على أسرار الحقّ!

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتحبّ أن تكون لله وليًّا؟ قال: نعم، قال: لا ترغب في شيء من الدّنيا ولا من الآخرة، وفرّغ نفسك لله، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك.

وقال يحيى بن معاذ في صِفَة الأولياء: هم عبادٌ تسربَلُوا بالأنس بعد المكابدة، وادّرَعُوا بالرّوح بعد المجاهدة، بوصولهم إلى مقام الولاية.

وكان أبويزيدَ يقول: أولياء الله عرائس الله، ولا يرى العرائسَ إلّا المحارم فهم مخدّرون عنده في حجاب الأنس، لا يراهم أحدٌ في الدّنيا ولا في الآخرة.

وقال أبوبكر الصّيدلانيّ: كنت أصلِحُ لقبر أبي بكر الطمستانيّ لوحًا أنقر فيه اسمه، فيسرَق ذلك اللَّوح، فأنقر له لوحًا آخر وأنصبه على قبره، فسرق، وتكرّر ذلك كثيرًا دون غيره من ألواح القبور، فكنت أتعجبّ منه، فسألت أبا عليّ الدّقاق عن ذلك، فقال: إنّ ذلك الشّيخ آثر الخفاء في الدُّنيا وأنت تريد أن تشهره باللّوح الّذي تنصبه على قبره، فالله سبحانه يأبى إلّا إخفاء قبره، كما آثر هو سَتْر نفسه.

وقال بعضهم: إنّما سمّي الولىّ وليًّا، لأنّه توالت أفعاله على الموافقة.

وقال يحيى بن معاذ: الولىّ لا يرائى ولا ينافق، وما أقلّ صديق من يكون هذا خلقُه! (١١: ٧٥ ــ ٧٧)

(الخطبة: ١٨٣) . . . أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ أُمَمَهُمْ، وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا. لِلّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟ . . .

الشّرح: بثثتُ لكم المواعظ: فرّقتُها ونشرتُها. والأوصياء: الّذين يأتمّنهم الأنبياء على الأسرار الإلهيّة، وقد يمكن ألّا يكونوا خلفاء بمعنى الإمرة والولاية، فإنّ مرتبتهم أعلَى من مراتب الخلفاء. وحدوتكم: سقتكم كما تحدَى الإبل. فلم تستوسقوا، أى لم تجتمعوا، قال:

*مستوسقاتٍ لم يجِدْن سَائِقا[1] *

قوله: «يطأ بكم الطّريق»، أى يحملكم على المِنهاج الشّرعيّ، ويسلك بكم مسلَك الحقّ، كأنّه جعلهم ضالّين عن الطّريق الّتى يطلبونها.

وقال: أتريدون إمامًا غيري يوقفكم على الطّريق الّتي تطلبونها حتّى تطئوها وتسلكوها (١٠: ١٠٠ ـ ١٠١)

الفصل الخامس ـ[وظائف الإمام]

(الخطبة: ١٠٤) منها: ... فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لاَ يُشْكِي شَجْوَكُمْ، وَلاَ يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الْإِبْلاَغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْاِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا. فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي!

الشّرح: ...ثمّ ذكر أنّه ليس على الإمام إلّا ما قد أوضحه من الأُمور الخمسة.

---

١ ـ اللّسان (وسق)، وقبله: * إنّ لَنَا لَإِبِلًا نَقَانِقَا *

ثمّ أمرهم بمبادرة أخذ العلم من أهله ـ يعنى نفسَه عليه السلام ـ قبل أن يموت، فيذهب العلم. وتصويح النَّبْت، كناية عن ذلك.

ثمّ قال: وقبل أن تشغَلُوا بالفتَن وما يحدث عليكم من خطوب الدّنيا عن استثارة العلم من معدنه واستنباطه من قرارته.

ثمّ أمرهم بالنّهى عن المنكر، وأن يتناهوْا عنه قبل أن يَنْهَوْا عنه؛ وقال: إنّما النَّهىُ بعد التَّناهي. وفي هذا الموضع إشكال، وذلك أنّ لقائل أن يقول: النَّهى عن المنكر واجب على العدْل والفاسق، فكيف قال: «إنّما أمرتم بالنَّهى بعد التَّناهي»؛ وقد روى أنّ الحسنَ البصريّ قال للشّعبيّ: هلّا نهيتَ عن كذا! فقال: يا أبا سعيد، إنّي أكره أن أقولَ ما لا أفعل.

قال الحسن: غفر الله لك! وأيّنا يقول ما يفعل! ودّ الشَّيطان لو ظفِر منكم بهذه فلم يأمر أحدٌ بمعروف ولم ينهَ عن منكر!

والجواب: أنّه عليه السلام لم يردْ أنّ وجود النّهى عن المنكر مشروط بانتهاء ذلك النّاهي عن المنكَر؛ وإنّما أراد: أنّي لم آمركم بالنَّهى عن المنكر إلّا بعد أن أمرتُكم بالانتهاء عن المنكر؛ فالترتيب إنّما هو في أمره عليه السلام لهم بالحالتين المذكورتين؛ لا في نهيهم وتناهيهم.

فإن قلت: فلماذا قدّم أمرَهم بالانتهاء على أمرهم بالنَّهى؟

قلت: لأنّ إصلاح المرء نفسه أهمّ من الاعتناء بإصلاحه لغيره. (٧ :١٦٩ـ١٧٠)

الفصل السّادس ـ[ما ورد في وصاية عليّ من الشّعر]

وممّا رويناه من الشِّعر المقول في صدر الإسلام المتضمّن كونه صلى الله عليه وآله وصيّ رسول الله قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث ابن عبد المطّلب:

وَمنّا عليّ ذاك صاحبُ خَيْبَرٍ ... وَصَاحِبُ بَدْرٍ يوم سالتْ كتائبُهْ

وَصيُّ النّبيّ المصطَفى وابنُ عَمّه ... فمَنْ ذا يدانِيهِ ومَنْ ذَا يُقَارِبُهْ!

وقال عبد الرّحمن بن جُعَيل:

لعَمْـرِي لَقَـدْ بـايعتُمُ ذا حفيظـةٍ ... عـلى الدِّين، معروفَ العفافِ مُوفَّقَا
عليًّـا وصيّ المصـطَفى وابـنَ عمِّـه ... وأوّلَ مَـنْ صَـلّى أخـا الـدِّينِ والـتُّقى

وقال أبو الهيثم بن التّيهان، وكان بدريًّا:

قـل للزُّبيـرِ وقـلْ لطلحـة إنّنـا ... نحـنُ الّـذين شـعارنا الأنصـارُ
نَحْـنُ الّـذين رأتْ قـريش فِعْلَنَا ... يـوم القَلِيـب أولئـكَ الكفّـارُ
كنّـا شـعارَ نبيّنـا ودثـارَه ... يَفْدِيـهِ منّـا الـرُّوح والأبصـارُ
إنّ الـوصيّ إمامُنـا و وليُّنـا ... بَـرَحَ الخفـاءُ وباحـتِ الأسـرارُ[1]

وقال عمر بن حارثة الأنصاري، وكان مع محمّد بن الحنفيّة يوم الجمل، وقد لامه أبوه عليه السلام لمّا أمره بالحملة، فتقاعس:

أبـا حسـنٍ أنـت فصـل الأمـور ... يَبـين بِـكَ الحِـلّ والمَحَـرمُ
جمعـتَ الرِّجـال عـلى رَايـةٍ ... بهـا ابنُـكَ يـوم الـوغى مُقْحَـمُ
ولم يـنكص المـرءُ مـن خِيفـةٍ ... ولكـن توالـتْ لـه أسـهم
فقـال رويـدًا ولاتَعْجَلُـوا ... فـإنّي إذا رشـقوا مُقْـدِمُ
فأعجلتـه والفـتى مجمـعٌ ... بمـا يكـره الوَجِـل المحجِـمُ
سمـيّ النّـبيّ وشـبه الـوصيُّ ... ورايتُـه لونهـا العَنْـدَمُ

وقال رجل من الأزْد يوم الجمل:

هـذا عـليّ وهـو الـوصيُّ ... آخـاه يـومَ النَّجْـوَةِ النَّـبيُّ
وقـال هـذا بعـدِيَ الـوليُّ ... وَعَـاهُ واعٍ ونسِـي السَّـقيُّ

---

١ ـ برح الخفاء، أى ظهر ما كان خافيا وانكشف، مأخوذ من براح؛ وهو البارز الظّاهر.

وخرج يوم الجمل غُلام من بني ضَبّة شاب مُعْلِم[1] من عسكر عائشة، وهو يقول:

نَحْـنُ بَنُـو ضَـبّة أعـداءُ عَـلِي ذَاكَ الّـذِى يُعْـرَفُ قِـدْمًا بـالوصِيّ
وَفَـارِسِ الخيـل عـلى عهد النَّبِيّ مـا أنـا عـن فضـل عـلِيّ بـالعَمِي
لكنّـني أنعَـى ابـنَ عفّـانَ الـتَّقِي إنّ الـولِيَّ طالـبٌ ثـأرَ الـوَلِي

وقال سعيد بن قيس الهَمْدانيّ يوم الجمل وكان في عسكر عليّ عليه السلام:

أيَّـةُ حَـرْبٍ أضـرِمَتْ نِيرانُهـا وَكُسِـرَتْ يَـوْمَ الـوَغَى مُرّانُهـا[2]
قُـلْ لِلْـوَصِيّ أقْبَلَـتْ قَحْطَانُهـا فَـادْعُ بِهَـا تَكْفِيكَهَـا هَمْـدَانُهَا

* هُمُ بَنُوهَا وَهُمُ إخْوَانُهَا *

وقال زياد بن لبيدالأنصاريّ يوم الجمل، وكان من أصحاب عليّ عليه السلام:

كَيْفَ تَرَى الأنْصَارَ فِي يَوْمِ الْكَلَبْ إنّا أناسٌ لا نُبَالِي مَنْ عَطِبْ
وَلانُبَالِي فِي الوَصِيّ مَنْ غَضِبْ وإنّمـا الأنصـار جِـدٌّ لا لَعِـبْ
هَـذَا عَـلِيٌّ وابـنُ عبـد المَطّلِـبْ ننصره اليوم عَلَى مَنْ قَدْ كَذَبْ

* مَنْ يَكْسِب البغىَ فبئسما اكْتَسَبْ *

وقال حُجْربن عديّ الكِنْديّ في ذلك اليوم أيضًا:

يَـا ربَّنـا سَـلِّمْ لَنَـا عَلِيّـا سَـلِّم لَنَـا المُبَـارَكَ المُضِـيَّا
المـؤمنَ الموحِّـد التقيّـا لا خَطِـلَ الـرّأيِ وَلاغَوِيّـا
بَـلْ هَادِيًـا موفَّقًـا مَهْـدِيّا واحْفَظْـهُ رَبِّي واحفـظِ النَّبِيَّـا
فِيـهِ فَقَـدْ كَـانَ لَـهُ وليّـا ثُمّ ارتضـاه بعـدَهُ وَصِـيّا

وقال خُزيمة بن ثابت الأنصاري، ذو الشَّهادتين ـ وكانَ بدْريًّا ـ في يوم الجمل أيضًا:

---

١ ـ المُعلِم، بكسر اللّام: الّذي علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها.

٢ ـ المران: الرّماح الصّلبة اللّدنة، واحده مرانة.

لـيس بـين الأنصـار في جَحْمَـةِ الحـر ... ب وبـين العُـداة إلّا الطَعـانُ
وقـراع الكُمـاةِ بالقُضُـبِ البيـ ... ـض إذا مـا تَحَطَّـمَ المُـرّانُ
فادعهـا تستجِبْ فليس مـن الخـز ... رجِ والأوس يـا عـليّ جَبَـانُ
يـا وصيّ النَّـبيّ قـد أجلـت الحـر ... بُ الأعـادِي وسـارَتِ الأظعـانُ
وَاسْـتَقَامَتْ لَـكَ الأمُـور سِـوى الشّـ ... ـام وفي الشَّـام يظهـر الإذْعَـانُ
حَسْـبُهُمْ مـا رَأوْا وَحَسْـبُك مِنَّـا ... هَكَـذَا نَحْـنُ حَيْـثُ كُنَّـا وَكَـانُوا

وقال خزيمة أيضًا في يوم الجمل:

أعـائشَ خَـلِّي عَـنْ عـليٍّ وعَيْبِـهِ ... بمـا لـيس فيـه إنّمـا أنـتِ والِـدَه
وصيّ رسـول الله مِـنْ دُون أهلـه ... وأنـتِ عَـلَى مَـا كَـانَ مـنْ ذَاكَ شَـاهِدَهْ
وَحَسْـبُكِ مِنْـه بعـضُ مـا تعلمينَـهُ ... وَيَكْفِيـكِ لـو لم تعلمـي غيـرُ واحـدهْ
إذا قِيـلَ مَـا ذَا عِبْـتِ مِنْـهُ رَمَيتِـهِ ... بخـذل ابـن عَفّـانٍ ومـا تلـك آبـدَهْ
وَلَـيْسَ سَمَـاءُ الله قـاطرةً دمَـا ... لِـذَاكَ وَمَـا الأرْضُ الْفَضَـاءُ بمائِـدَهْ

وقال ابن بديل بن ورقاء الخُزاعيّ يوم الجمل أيضًا:

يَا قَوْمُ لِلْخُطّةِ العُظْمَى الّتي حَدَثَتْ ... حرب الوصيّ وما للحرب مِنْ آسِي
الفاصلُ الحكْمَ بالتّقوى إذا ضربت ... تلـك القبائـلُ أخْمَاسًـا لأسْـدَاسِ[1]

وقال عمرو بن أُحَيْحَة يوم الجمل في خطبة الحسن بن علي عليه السلام، بعد خطبة عبد الله ابن الزُّبير:

حَسَـنَ الخيـريـا شَـبيهَ أبِيـهِ ... قُمْـتَ فينـا مقـام خَيْـر خَطِيـبِ

---

١ ـ يقال لمن يظهر شيئا ويريد غيره: ضرب أخماسا لأسداس. والخمس والسّدس من أظماء الإبل، والأصل فيه أنّ الرّجل إذا أراد سفرًا بعيدًا عود إبله أن تشرب خمسًا، ثمّ سدسًا، حتّى إذا أخذت في السّير صبرت عن الماء. (مجمع الأمثال ١: ٤١٨).

قُمْـتَ بالخطبـة الّـتي صَـدَعَ اللّـ ـه بِهَا عَنْ أبِيكَ أهلَ العيوبِ
وكشـفت القنـاع فاتّضـح الأمـر وأصْـلَحْتَ فاسـداتِ القُلُـوبِ
لَسْـتَ كـابنِ الزُّبَيْـرِ لَجْلَـجٍ في القَـوْ لِ وَطَأطـأ عِنَـانَ فَسْـلٍ مُريـبِ
وأبى الله أنْ يقـوم بمـا قـا مَ بـه ابـنُ الـوصِيّ وابـنُ النَّجِيـبِ
إنّ شَخْصًا بَيْنَ النَّبِيّ ـ لـك الخيـ ـرُ ـ وبين الوصيّ غَيْـرُ مَشُـوبِ

وقال زَحْر بن قيس الجعفيّ يوم الجمل أيضًا:

أضْـرِبُـكُمْ حَتَّى تُـقِـرُّوا لعلِيّ خَيْرِ قُرَيْشٍ كلِّهَا بَعْدَ النَّبِي
مَـنْ زَانَـهُ الله وَسَمَّـاه الـوَصِي إن الوَلِيّ حـافظٌ ظَهْـرَ الـوَلِي

* كما الغويّ تابعٌ أمْرَ الغَوِي *

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مِخْنف لوط بن يحيى[1] في كتاب وقعة الجمل. وأبو مِخْنف من المحدّثين، وممّن يرى صحّة الإمامة بالاختيار، وليس من الشّيعة ولا معدودًا من رجالها.

وممّا رويناه من أشعار صفّين الّتي تتضمّن تسميته عليه السلام بالوصيّ ما ذكره نصر بن مزاحم[2] بن يسار المِنقريّ في كتاب صِفّين، وهو من رجال الحديث، قال نصر بن مُزَاحم: قال زَحْر[3] بن قيس الجعفيّ:

فَصَـلّى الإلـهُ عَـلَى أحْمَـدٍ رَسُـولِ المَلِيـكِ تمـام الـنِّعَمْ
رَسُـولِ المَلِيـك وَمِـنْ بَعْـدِهِ خليفتنـا القـائم المـدَّعَمْ

---

١ ـ هو لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي؛ كان راوية أخبار و صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام، توفّى سنة ١٥٧. معجم الأدباء ١٧: ٤١، الفهرست ٩٣.

٢ ـ ذكر ابن حرب في لسان الميزان ٦: ١٥٧؛ وقال: إنّه توفّى سنة ٢١٢.

٣ ـ زحر، ضبطه صاحب القاموس بفتح الزّاى وسكون الحاء المهملة؛ والّذي في كتاب صفّين صفحة ٢٢، أنّها لجرير بن عبد الله البجليّ، ضمن عشرة أبيات.

عَلِيًّا عنيتُ وصيّ النَّبيّ نُجالِدُ عَنْهُ غُواةَ الأُمَمْ

قال نصر: ومن الشعر المنسوب إلى الأشعث بن قيس[1]:

أتَانَا الرَّسُولُ رَسُولُ الأنَامِ فَسُرَّ بمقدَمِهِ المُسْلِمُونَا

رَسُولُ الوصيّ وصيّ النَّبيّ له السَّبْقُ والفضل في المؤمنينا

ومن الشِّعر المنسوب إلى الأشعث أيضًا:

أتانا الرَّسُولُ رسول الوصيّ عليّ المهذَّبُ من هَاشِمِ[2]

وزيرُ النَّبيّ وذو صِهْرِهِ وَخَيْرُ البريَّةِ والعالَمِ

قال نَصْر بن مُزاحم: من شعر أمير المؤمنين عليه السلام في صِفّين:

يَا عَجَبًا لقَدْ سمِعْتُ مُنْكَرَا كِذْبًا عَلَى الله يُشِيبُ الشَّعَرَا[4]

مَا كَانَ يَرْضَى أحْمَدٌ لو أخبرا أن يَقْرِنُوا وصيَّه والأبْتَرَا

شاني الرَّسول واللّعينَ الأخْزَرَا[5] إنّي إذا الموتُ دَنَا وحضرا[6]

شَمَّرْتُ ثَوْبي وَدَعَوْتُ قَنْبَرا: قَدِّمْ لِوائِي لا تؤخِّرْ حَذَرَا

---

١ ـ كتاب صفّين لنصر بن مزاحم ٢٧.

٢ ـ كتاب صفّين: ٢٨.

٣ ـ كتاب صفّين: «وخير البريّة في العالم».

٤ ـ كتا ب صفّين ٤٨، وبعد هذا البيت: *يَسْتَرِقُ السَّمْعَ وَيَغْشَى الْبَصَرَا*

٥ ـ كذا في ا، وفي كتاب صفّين، وفي ب «الأخورا»، وبعده هناك:

كِلَاهُمَا في جُنْدِهِ قد عَسْكَرَا قَدْ بَاعَ هَذَا دِينَهُ فَأفْجَرَا

مَنْ ذَا بِدُنْيَا بَيْعَهُ قَدْ خَسِرَا بِمُلْكِ مِصْرٍ أَنْ أَصَابَ الظَّفَرَا

٦ ـ ا: «وأحضرا».

لا يَـدْفَعُ الحِـذَارُ مَـا قَـدْ قُـدِّرَا[1] لـو أنّ عندِي يا بن حَرْبٍ جَعْفَرا
أو حمـزة القَـرْمَ الهُمـام الأزْهَـرَا رأت قـريش نَجْـمَ ليـلٍ ظهُـرا

وقال جرير بن عبد الله البَجَلِيّ، كتب بهذا الشِّعر إلى شُرَحبِيل بن السِّمط الكندي، رئيس اليمامة من أصحاب معاوية:

نَصَحْتُك يا بن السِّمط لا تَتّبع الهوى فما لك في الدُّنْيَا من الدِّين مِنْ بَدلْ[2]
وَلَا تَـكُ كـالمُجْرَى إلَى شَـرّ غايـةٍ فقد خُرِق السِّرْبَالُ واستَنْوَق الجمل
مقـالُ ابـن هنـد في عـليّ عضيهةٌ وَلله في صـدرِ ابـن أبي طالـبٍ أجَـلّ[3]
وَمَـا كَـانَ إلّا لازِمًـا قَعْـرَ بيتِـه إلى أنْ أتى عثمَـانَ في بيتـه الأجـلْ
وصيّ رسـول الله مِـنْ دُونِ أهلِـه وفارسـه الحـامِي بِـهِ يُضْـرَبُ المثـلْ[4]

وقال النّعمان بن عجلان الأنصاري[5]:

---

١ ـ كتا ب صفّين: «لن يدفع»، وبعده.

لَمَّـا رأيـت المَـوْتَ مَوْتًـا أَحْمَـرَا عَبَّـأْتُ هَمْـدَانَ وَعَبَّـوْا حِمْيَـرَا
حَـيٌّ يَمَـانٍ يُعْظِمُـونَ الخَطَـرَا قِـرْنٌ إذَا نَـاطَحَ قِرْنًـا كَسَـرَا
قُـلْ لابْـنِ حَـرْبٍ لَاتَـدِبَّ الخَمَـرَا أَزدِدْ قَلِـيلًا أَبَـدِ مِنْـكَ الضَّـجَرَا
لَا تَحْسَـبَنِّي يَـا بـنَ حَـرْبٍ عَمـرَا وَسَـلْ بِنَـا بَـدْرًا مَعًـا وَخَيْبَـرَا
كَانَـتْ قُـرَيْشٌ يَـوْمَ بَـدْرٍ جَـزَرَا إذْ وَرَدُوا الأَمْـرَ فَـذَمُّوا الصَّـدَرَا

٢ ـ كتاب صفّين ٥٣و٥٤، وروايته هناك: «شرحبل يابن السمط».

٣ ـ صفّين: «وقال ابن هند».

٤ ـ صفّين: «وفارسه الأولى به».

٥ ـ صفّين:٤١٥، وفيه: «النّضربن عجلان».

كيـف التّفـرُّق والـوصيُّ إمامُنَـا ... لا كيـف إلّا حَيْـرَةً وتخـاذُلا
لا تغبِـنُنَّ عقـولَكُم، لا خَيْـرَ في ... مَن لم يكن عند البلابل عاقِلا
وذرُوا معاويـةَ الغـويَّ وتـابِعوا ... ديـنَ الـوصيّ لتحمَـدوه آجـلا[1]

وقال عبدالرَّحمن بن ذُؤَيب الأسلميّ:

ألا أبلـغ معاويـةَ بْـنَ حَـرْبٍ ... فَمَـا لَـكَ لا تَهَـشُّ إلى الضِّـرَابِ؟
فـإنْ تَسْـلَمْ وتَبْـقَ الـدَّهْرَ يومًـا ... يَـزُرْكَ بجحفـلٍ عَـدَدَ التّـراب
يقـودهُم الـوصيُّ إليـك حَـتّى ... يـردّك عـن ضـلالٍ وارتِيـابِ

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب:

يَـا عُصْـبَةَ المـوتِ صَـبْرًا لا يهـولُكُمُ ... جيشُ ابْنِ حَرْبٍ فإنّ الحقَّ قَدْظَهَرَا[2]
وأيقِنـوا أنّ مَـن أضـحى يُخـالفُكم ... أضْـحَى شَـقِيًّا وأمْسَـى نَفْسَـه خَسِـرا
فـيكم وصيّ رسـول الله قائـدُكُمْ ... وصـهرُه وكتـاب‌الله قـد نُشِـرا

وقال عبد الله بن العبّاس بن عبدالمطّلب[3]:

وصيّ رسـول الله مـن دُونِ أهْلِـهِ ... وَفَارِسُـهُ إن قيـل هَـلْ مِـنْ مُنَـازِلِ
فَدُونَكَـهُ إنْ كُنْـتَ تَبْغِـي مهـاجِرًا ... أشَـمّ كنَصْـل السَّـيْفِ عَيْـرَ حَلاحِـلِ[4]

والأشعار الّتي تتضمّن هذه اللّفظة كثيرة جدًّا، ولكنّا ذكرنا منها هاهنا بعض ما قيلَ في هذين الحِزْبين، فأمّا ما عداهما، فإنّه يجلّ عن الحصر، ويعظُم عن الإحصاء والعَدّ، ولو لا خوفُ الملالة والإضجار، لذكرنا من ذلك ما يملأ أوراقًا كثيرة. (١: ١٤٣ ــ ١٥٠)

---

١ ـ صفّين: «تصادفوه عاجلا».

٢ ـ صفّين: ٤٣٧، وفيه: «يا شرطة الخير».

٣ ـ صفّين: ٤٧٤.

٤ ـ عير القوم: سيّدهم؛ والحلاحل بالفتح: جمع حلاحل، بالضّمّ، وهو الشّجاع.

الفصل السّابع ـ[في الإمامة والأقوال فيها]

(الخطبة : ١٧٤) ومن خطبة له في رسول الله ﷺ ،ومن هو جدير بأن يكون للخلافة وفي هوان الدّنيا

[رسول الله]: أَمِينُ وَحْيِهِ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِاللهِ فِيهِ، فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ، فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ.

وَلَعَمْرِي، لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لاَ تَنْعَقِدُ حَتَّى تَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ، فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ، وَلكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا، ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ. أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ: رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللهِ، وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَلاَ يَحْمِلُ هذَا الْعِلْمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ والصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاقِعِ الْحَقِّ، فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، وَلاَ تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَرًا.

الشّرح: صَدْر الكلام في ذكر رسول الله ﷺ، ويتلوه فُصول:

أوّلها: أنّ أحقّ النّاس بالإمامة أقواهم عليها، وأعلمهم بحكم الله فيها؛ وهذا لا ينافي مذهبَ أصحابنا البغداديّين في صحّة إمامة المفضول،لأنّه ما قال: إنّ إمامة غير الأقوى فاسدة، ولكنّه قال: إنّ الأقوى أحقّ؛ وأصحابنا لا ينكرون أنّه عليه السلام أحقُّ ممّن تقدّمه بالإمامة مع قولهم بصحّة إمامة المتقدّمين؛ لأنّه لا منافاة بين كونه أحقّ، وبين صحّة إمامة غيره.

فإن قلت: أيّ فرقٍ بين أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه؟

قلت: أقواهم أحسنُهم سياسة، وأعلمهم بأمر الله أكثرُهم علما وإجراء للتّدبير بمقتضى العلم؛ وبين الأمرين فرق واضح، فقد يكون سائسًا حاذقًا، ولايكون عالمًا

بالفقه، وقد يكون سائسًا فقيهًا، ولا يجرى التَّدبير على مقتضى علمه وفقهه.

وثانيها: أنّ الإمامة لا يشترط في صحة انعقادها أن يحضرُها النَاسُ كافّة، لأنّه لو كان ذلك مشتَرطًا لأدّى إلى ألّا تنعقد إمامة أبدًا لتعذّر اجتماع المسلمين من أطراف الأرض ولكنّها تنعقد بعقد العلماء وأهل الحلّ والعقد الحاضرين، ثمّ لا يجوز بعد عقدها لحاضريها أن يرجعُوا من غير سبب يقتَضِي رجوعَهم، ولا يجوز لمن غاب عنها أن يختار غير مَنْ عقد له، بل يكون محجوجًا بعقد الحاضرين، مكلّفًا طاعة الإمام المعقود له؛ وعلى هذا جرت الحال في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، وانعقد[1] إجماع المسلمين عليه؛ وهذا الكلام تصريح بصحّة مذهب أصحابنا في أنّ الاختيار طريق إلى الإمامة[2]، ومبطلٌ لما تقوله الإماميّة من دعوى النّصّ عليه؛ ومن قولهم: لا طريق

---

(١) كيف تقول: انعقد الإجماع، وقد تخلّف عن بيعته جمع من كبار الصّحابة منهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و عبّاس بن عبد المطّلب وأبو ذر الغفّاريّ و عمّار بن ياسر و المقداد و سلمان الفارسيّ و البراء بن عازب و الزّبير وسعد الأنصاري و ... لاحظ:

ـــ ابن سعد محمّد (المتوفّى٢٣٠هـ ق) الطّبقات الكبرى ج٤ ص ٣٦٨ [طبع بيروت، دار صادر، ١٣٨٠]

ـــ ابن عبد البرّ يوسف، (٤٦٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج١ ص ٩٤٥ [طبع بيروت، دار إحياء التّراث العربيّ، ١٣٢٨ق]

ـــ ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٢: ٥٠)

(٢) كيف يكون كلام الإمام عليه السلام تصريح بصحّة مذهب أصحابكم «في أنّ الاختيار طريق إلى الامامة، ومُبطل لما تقوله الإماميّة من دعوى النّصّ عليه، ومن قولهم: لا طريق إلى الإمامة سوى النّصّ أو المعجز». و الإمام عليه السلام يقول: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتّى تحضرها عامّة النّاس، ما إلى ذلك سبيل، و لكن أهلها يحكمون على مَن غاب عنها، ثمّ ليس للشّاهد أن يرجع و لا للغائب أن يختار». فصدر كلام الإمام عليه السلام جملةٌ شرطيّة تخاطب الإمام، الحاضر بما اعتقده أي تجادله و لا دليل على صحّة مذهبكم وإلّا ما استدلّ عليه السلام على أحقيّته بالخلافة بما قال النّبيّ صلى الله عليه وآله في حقّه،

إلى الإمامة سوى النصّ أو المعجز.

وثالثها: أنّ الخارج على الإمام يستعتَب أوّلا بالكلام والمراسلة، فإن أبى قُوتل؛ وهذا هو نصّ الكتاب العزيز: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِاللهِ﴾[1].

ورابعها: أنّه يقاتِل أحدَ رجلين: إمّا رجلين ادَّعى ما ليس له نحو أن يخرُج على الإمام مَنْ يدّعي الخلافة لنفسه، وإمّا رجلًا منع ما عليه، نحو أن يخرج على الإمام رجلٌ لا يدّعي الخلافة ولكنّه يمتنع من الطّاعة فقط.

فإن قلت: الخارج عَلَى الإمام مدّعٍ الخلافة لنفسه، مانع ما عليه أيضًا لأنّه قد امتنع من الطّاعة، فقد دخل أحدُ القسمَيْن في الآخر!

قلت: لمّا كان مدّعى الخلافة قد اجتمع له أمران: إيجابيّ وسلبيّ، فالإيجابي دعواه الخلافة، والسّلبيّ امتناعُه من الطّاعة، كان متميّزًا ممن لم يحصل له إلّا القسم السّلبيّ فقط، وهو مانع الطّاعة لا غير، فكان الأحسن في فنّ علم البيان أن يشتمل اللّفظ على التّقسيم الحاضر للإيجاب والسّلب، فلذلك قال: «إمّا مدعيًا ما ليس له، أو مانعًا ما هو عليه». (٩: ٣٢٨ـ٣٣٠)

(الحكمة: ١٨٥) وَ قَالَ عليه السلام: وَاعَجَبَاهْ أَتَكُونُ الْخِلَافَةُ بِالصَّحَابَةِ وَ الْقَرَابَةِ.

قال الرّضيّ ـ و روي له شعر في هذا المعنى ـ و هو:

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ ... فَكَيْفَ بِهَذَا وَ الْمُشِيرُونَ غُيَّبُ!

وَ إِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ ... فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَ أَقْرَبُ

الشّرح: حديثه في النّثر والنّظم المذكورين مع أبي بكر وعمر، أمّا النّثر فإلى عمر

يوم الدّار و يوم الغدير و غيرها.

١ ـ الحجرات/٩.

توجيهه لأنّ أبا بكر لمّا قال لعمر: امدد يدك، قال له عمر: أنت صاحب رسول الله في المواطن كلّها، شدّتها ورخائها، فامدد أنت يدك، فقال علي عليه السلام: إذا احتججتَ لاستحقاقه الأمر بصحبته إيّاه في المواطن كلّها، فهلّا سلّمت الأمر إلى من قد شركه في ذلك، وزاد عليه «القرابة»! وأمّا النَّظم فموجّه إلى أبي بكر؛ لأن أبا بكر حاجّ الأنصارَ في السّقيفة. فقال: نحن عِترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وبيضته الّتي تفقّأت عنه، فلمّا بويع احتجّ على النّاس بالبيعة، وأنّها صدرت عن أهل الحلّ والعقد، فقال عليّ عليه السلام: أمّا احتجاجك على الأنصار بأنّك من بيضة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قومه، فغيرك أقرب نسبًا منك إليه، وأمّا احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصّحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت!

واعلم أنّ الكلام في هذا تتضمّنه كتب أصحابنا في الإمامة، ولهم عن هذا القول أجوبة ليس هذا موضع ذكرها. (١٨: ٤١٦)

(كتابه: ٧) و منه: لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلاَ يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ. الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

الشّرح: لا يثنّى فيها النّظر، أي لا يعاود ولا يراجع ثانية. ولا يستأنف فيها الخيار: ليس بعد عقدها خيار لمن عقدها ولا لغيرهم، لأنّها تلزم غير العاقدين كما تلزم العاقدين، فيسقط الخيار فيها، الخارج منها طاعن على الأمّة، لأنّهم أجمعوا على أنّ الاختيار طريق الإمامة. والمرويّ فيها مداهن، أى الّذي يرتئي ويبطئ عن الطّاعة ويفكّر، وأصله من الرويّة والمداهن: المنافق. (١٤ : ٤٤)

(الحكمة: ٢٠٥) وَ قَالَ: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا ـ عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا ـ وَ تَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ ﴿وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1].

الشّرح: ...والإماميّة تزعم أنّ ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الّذي يملك الأرض في آخر الزّمان. وأصحابنا يقولون: إنّه وعْدٌ بإمام يملك الأرض ويستولي على الممالك، ولا يلزم من ذلك أنّه لابُدّ أن يكون موجودًا، وإن كان غائبًا إلى أن يظهر، بل يكفي في صحّة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت.

وبعض أصحابنا يقول: إنّه إشارة إلى مُلْك السّفّاح والمنصور و ابني المنصور بعده. فإنّهم الّذين أزالوا ملكَ بني أميّة، وهم بنو هاشم، وبطريقهم عطفت الدُّنيا على بني عبد المطّلب عطف الضّروس.

وتقول الزيديّة: إنّه لابدّ من أن يملك الأرض فاطميٌّ يتلوه جماعة من الفاطميّين على مذهب زيد، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجودًا. (١٩: ٢٩)

(الحكمة: ٤٩) وَ قَالَ: فَرَضَ اللهُ الإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاَةَ تَنْزِيهًا عَنِ الْكِبْرِ، وَ الزَّكَاةَ تَسْبِيبًا لِلرِّزْقِ . . . وَ الأَمَانَةَ نِظَامًا لِلأُمَّةِ، وَ الطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلإِمَامَةِ.

الشّرح: ... وفُرِضت الإمامة نظامًا للأمّة؛ وذلك لأنّ الخَلْق لايرتفع الهرْج والعَسَف والظُّلم والغَضَب والسّرقة عنهم إلّا بوازعٍ قويٍّ، وليس يَكْفي في امتناعهم قُبح القبيح، ولاوعيدُ الآخرة، بل لابدّ لهم من سلطان قاهرينظّم مصالحهم، فيَردَع ظالمَهم، ويأخذ على أيدِي سُفَهائهم. وفُرِضت الطّاعة تعظيمًا للإمامة، وذلك لأنّ أمْرَ الإمامة لا يتمّ إلّا بطاعة الرّعيّة، وإلّا فلو عَصَت الرّعيّة إمامَها لم ينتفعوا بإمامتِه ورئاستِه عليهم. (١٩: ٩٠)

(الحكمة: ٢٧٨) وَ قَالَ: لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ.

الشّرح: لسنا نَشُكّ أنّه كان يَذهب في الأحكام الشّرعيّة والقضايا إلى أشياءَ

---

١ ـ القصص/٥.

يُخالِف فيها أقوالَ الصّحابة، نحو قطعه السّارق من رُءوس الأصابع، وبيعِه أمّهات الأولاد، وغير ذلك، وإنّما كان يَمنَعه من تغيُّر أحكام مَن تَقدَّمه اشتغالُه بحَرب البُغاة والخَوارج، وإلى ذلك يشيرُ بالمَداحض الّتي كان يؤمِّل استواءَ قدمَيْه منها، ولهذا قال لقُضاتِه: «اقضُوا كما كنتم تَقضون حتّى يكونَ للنّاس جماعةٌ»، فَلفظة «حتّى» هاهنا مؤذِنةٌ بأنّه فَسَح لهم في اتّباع عادَتِهم في القضايا والأحكام الّتي يَعهَدونها إلى أن يصيرَ للنّاس جماعة، وما بعد «إلى» و «حَتّى» ينبغي أن يكون مخالِفًا لما قبلهما.

فأمّا أصحابُنا فيقولون: إنّه كان فيما يُحاوِل أن يَحكُم بين النّاس مجتهدًا، ويجوز لغيرِه من المجتهدين مخالَفتُه.

والإماميّة تقول: ما كان يَحكُم إلّا عن نَصّ وتوقيف، ولا يجوز لأحد من النّاسِ مخالَفته. والقول في صحّة ذلك وفسادِه فَرْعٌ من فروع مسألة الإمامة. (١٩: ١٦١)

(الخطبة: ١٣١) . . . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ، وَسَمِعَ وَأَجَابَ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رسول الله ﷺ بِالصَّلاَةِ. وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ، وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الأُمَّةَ.

الشّرح: . . . فإن قلت: أيّ وجه لإدخال هذا الكلام في غُضُون مقصده في هذه الخطبة؛ فإنّها مبنيّة على ذمّ أصحابه، وتقرير قاعدة الإمامة، وأنّه لا يجوز أن يليَها الفاسق، وأنّه لابدّ للإمام من صفات مخصوصة؛ عدّدها عليه السلام، وكلّ هذا لا تعلّق لسبقه إلى الإسلام!

قلت: بل الكلامُ متعلّق بعضُه ببعضٍ من وجهين: أحدُهما: أنّه لما قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي ما سلَلْتُ السَّيْفَ طلبا للملك، أراد أن يؤكّد هذا القول في نفوس السّامعين؛

فقال: أنا أوّل من أسلَم؛ ولم يكن الإسلام حينئذ معروفًا أصلًا، و مَن يكون إسلامه هكذا لا يكون قد قصد بإسلامه إلّا وجه الله تعالى والقربة إليه؛ فمَنْ تكونُ هذه حاله في مبدأ أمره، كيف يخطُربِبال عاقل أنّه يطلُب الدّنيا وحُطامها، ويجرّد عليها السّيْفَ في آخر عمره، و وقت انقضاء مدّة عُمْره!

والوجه الثّاني: أنّه إذا كان أوّلَ السّابقين، وجب أن يكون أقربَ المقرّبين، لأنّه تعالى قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1]، ألا ترى أنّه إذا قال الملك: «العالمون العاملون هم المختصّون بنا»، وجب أن يكون أعلمهم أشدّهم به اختصاصًا؛ وإذا كان عليه السلام أقربَ المقرّبين، وجب أن تنتفيَ عنه الموانع السّتّة، الّتي جعل كلّ واحد منها صادًّا عن الإمامة، وقاطعًا عن استحقاقها؛ وهي البخل والجهل والجفاء، أى الغِلْظة والعصبيّة في دولته، أى تقديم قوم على قوم؛ والارتشاء في الحكْم والتّعطيل للسّنّة، وإذا انتفتْ عنه هذه الموانع السّتّة تعيّن أن يكون هو الإمام لأنّ شروط الإمامة موجودة فيه بالإتّفاق؛ فإذا كانت موانُعها عنه منتفيةً ولم يحصل لغيره اجتماع الشّروط، وارتفاع الموانع، وجب أن يكون هو الإمام؛ لأنّه لا يجوز خُلوّ العصر من إمام سواء كانت هذه القضيّة عقليّة أو سمعيّة.

فإن قلت: أفَتَراه عَنَى بهذا قومًا بأعيانهم؟

قلت: الإماميّة تزعُم أنّه رَمَز في الجفاء والعصبيّة لقوم دون قوم إلى عمر، ورمز بالجهل إلى مَنْ كان قبله؛ ورمز بتعطيل السّنّة إلى عثمان ومعاوية؛ وأمّا نحن فنقول: إنّه عليه السلام لم يعن ذلك؛ وإنّما قال قولًا كلّيًّا غير مخصوص، وهذا هو اللّائق بشرفه عليه السلام، وقول الإماميّة دعوًى لا دليل عليها، ولايعدم كلّ أحد أن يستنبط من كلّ كلام ما يوافق غرضه وإن غمض، ولايجوز أن تبنِيَ العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدّقيقة. (٨ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦)

---

١ ـ الواقعة/١٠، ١١.

[كلام لعليّ عليه السلام قبل المبايعة لعثمان]

(الخطبة: ٧٣) ومن كلام له لمّا عزموا على بيعة عثمان:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَاسَلِمَتْ أُمُورُالْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌإِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاسًا لِأَجْرِذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ.

الشّرح: ... يقول لأهل الشّورى: إنّكم تعلمون أنّي أحقّ بالخلافة من غيري، وتعدلون عني. ثمّ أقسم لَيُسْلِمَنَّ وليتركَنّ المخالفة لهم؛ إذا كان في تسليمه ونزوله عن حَقّه سلامةُ أمور المسلمين، ولم يكن الجَوْرُ والحَيْفُ إلّا عليه خاصّة؛ وهذا كلام مثله عليه السلام؛ لأنّه إذا علم أو غلَب على ظنّه أنّه إن نازَع وحارَب دخل على الإسلام وَهْن وَثَلْم لم يَخْتَرْله المنازعة، وإن كان يطلب بالمنازعة ما هو حقّ؛ وإن عَلِم أو غَلب على ظنّه بالإمساك عن طلب حقّه أنّما يدخل الثّلْم والوَهَن عليه خاصّة، ويسلم الإسلامُ من الفتنة، وَجَب عليه أنْ يُغضِيَ ويصبر على ما أتوْا إليه من أخذ حقّه، وكفّ يده، حراسة للإسلام من الفتنة.

فإن قلت: فهلّا سلّم إلى معاوية وإلى أصحاب الجَمل، وأغضَى على اغتصاب حَقّه حفظًا للإسلام من الفتنة؟

قلت: إنّ الجَورَ الدّاخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام، لم يكن مقصورًا عليه خاصّة؛ بل كان يعمّ الإسلام والمسلمين جميعًا؛ لأنّهم لم يكونوا عنده ممّن يصلُح لرياسة الأُمّة وتحمّل أعباء الخلافة، فلم يكن الشَّرْط الّذي اشترطه متحقّقًا، وهو قوله: «ولم يكن فيه جَوْر إلّا عَلَيَّ خاصّة».

وهذا الكلام يدلّ على أنّه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أنّ خلافة عثمان كانت تتضمّن جَوْرًا على المسلمين والإسلام، وإنّما كانت تتضمّن جَوْرًا عليه خاصّة، وأنّها وقعت على جهة مخالفة الأولى؛ لا على جهة الفساد الكلّيّ والبطلان الأصليّ؛ وهذا محضُ

مذهب أصحابنا.

ونحن نذكر في هذا الموضع ما استفاض في الرّوايات من مناشدتِه أصحابَ الشّورى، وتعديده فضائله وخصائصه الّتي بان بها منهم ومن غيرهم. قد رَوَى النّاس ذلك فأكثروا؛ والّذي صحَّ عندنا أنّه لم يكن الأمر كما رُوِي من تلك التّعديدات الطّويلة؛ ولكنّه قال لهم بعد أن بايع عبدُ الرّحمن والحاضرون عثمانَ، وتلكّأ هو عليه السلام عن البيعة: إنّ لنا حقًّا، إن نعطَه نأخذه، وإن نمنَعْه نركب أعجاز الإبل وإن طال السُّرى؛ في كلام قد ذكره أهل السّيرة؛ وقد أوردنا بعضَه فيما تقدّم، ثمّ قال لهم: أنشدكم الله! أفيكم أحَدٌ آخَى رسول الله صلى الله عليه وآله بينه وبين نفسه؛ حيث آخى بينَ بعض المسلمين وبعضٍ غيري؟ فقالوا: لا؛ فقال: أفيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ كنت مولاه فهذا مولاه» غيري؟ فقالوا: لا، فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنتَ منّي بمنزلة هرون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» غيري؟ قالوا: لا، قال: أفيكُم من اؤتمن على سورة براءة، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله إنّه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل مِنّي غيري؟ قالوا: لا، قال: ألا تعلمون أنّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وآله فَرُّوا عنه في مأقِط[1] الحرب في غير موطن، وما فررت قَطّ! قالوا: بلى، قال: ألا تعلمون أنّي أوّل النّاس إسلامًا؟ قالوا: بلى.

قال: فأيُّنا أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نسبًا؟ قالوا: أنت. فقطع عليه عبدُ الرّحمن بن عوف كلامه، وقال: يا عليّ؛ قد أبَى النّاس إلّا على عُثمان، فلا تجعَلنّ على نفسك سبيلًا، ثمّ قال: يا أبا طلحة، ما الّذي أمرك به عمر؟ قال: أن أقتُل مَنْ شقّ عصا الجماعة، فقال عبد الرّحمن لعليّ: بايع إذن؛ وإلّا كنت متّبعًا غيرَ سبيل المؤمنين؛ وأنفذنا فيك ما أمِرنا به. فقال: «لقد علمتم أنّي أحقُّ بها من غيري، والله لأسلِمنّ . . . .» الفصل إلى آخره، ثمّ مدّ يده فبايع. (٦: ١٦٦ ـ ١٦٨)

---

١ ـ المأقط: موضع القتال.

[قول مَن طعن في سياسة عليّ عليه السلام و الردّ عليها]

[قال بعد ذكر أقوال أُخرى:]

ومنها قولهُم: إنّه قصّر في طلب الخلافة عند بيعة أبي بكر، وقد كان اجتمع له من بني هاشم وبني أميّة وغيرهم من أفناء النّاس مَنْ يتمكّن بهم من المنازعة وطلب الخلافة، فقصّر عن ذلك، لا جبنًا، لأنّه كان أشجع البَشر، ولكن قصور تدبير وضعف رأى، ولهذا أكفرته الكامليّة[1] وأكفرت الصّحابة، فقالوا: كفرت الصّحابة لتركهم بيعَته، وكفر هو بترك المنازعة لهم!

والجواب: أمّا على مذهبنا، فإنّه لم يكن عليه السلام منصوصًا عليه، وإنّما كان يدّعيها بالأفضليّة والقَرابة والسّابقة والجهاد ونحو ذلك من الخصائص، فلمّا وقعت بيعةُ أبي بكر رأى هو عليّ عليه السلام أنّ الأصلح للإسلام تركُ النِّزاع، وأنّه يخاف من النّزاع حدوثَ فتنة تحلّ معاقد المِلّة وتزعزع أركانها، فحضر وبايع طوعًا، و وجب علينا بعد مبايعته ورضاه أن نرضى بمنْ رضِيَ هو عليه السلام، ونطيع مَنْ أطاعه، لأنّه القدوة، وأفضل مَنْ تركه صلى الله عليه وآله بعده.

وأمّا الإماميّة: فلهم عن ذلك جواب آخر معروف من قواعدهم. (١٠: ٢٥٤ ـ ٢٥٥)

(الخطبة ٩١) ومن كلام له عليه السلام لمّا أراده النّاس على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه:

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي؛ فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ؛ لاَ تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي

---

١ ـ الكامليّة: أتباع رجل من الرّافضة كان يعرف بأبي كامل؛ وكان يزعم أنّ الصّحابة كفروا بتركهم بيعة عليّ، وكفر عليّ بتركه قتالهم؛ وكان يلزمه قتالهم كما لزم قتال أصحاب صفّين.
الفرق بين الفِرَق: ٣٩.

إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ، وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ، وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ؛ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ، وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا، خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا!

الشّرح: وهذا الكلام يحمِلُه أصحابُنا على ظاهره؛ ويقولون: إنّه عليه السلام لم يكن منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وإن كان أوْلى النّاس بها وأحقّهم بمنزلتها، لأنّه لو كان منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرَّسول عليه الصّلاة والسَّلام لما جاز له أن يقول: «دَعُوني والتمسوا غيري»؛ ولا أن يقول: «ولَعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم» ولا أن يقول: «وأنا لكم وزيرًا خيرٌ منّي لكم أميرًا». وتحمله الإماميّة على وجه آخر فيقولون: إنّ الّذين أرادوه على البَيْعة هم كانوا العاقدين بَيْعة الخلفاء من قبل؛ وقد كان عثمان مَنَعهم أو منع كثيرًا منهم عن حَقّه من العطاء؛ لأنّ بني أميّة استأصلوا الأموال في أيّام عثمان؛ فلمّا قُتِل قالوا لعليّ عليه السلام: نبايعك على أن تسيرَ فينا سيرَة أبي بكر و عمر؛ لأنّهما كانا لا يستأثران بالمال لأنفسهما ولا لأهلهما، فطلبوا من عليّ عليه السلام البَيْعة، على أن يقسّم عليهم بيوت الأموال قسمة أبي بكر وعمر؛ فاستعفاهم وسألهم أن يطلُبوا غيره ممّن يسير بسيرتهما؛ وقال لهم كلامًا تحته رمز؛ وهو قوله: «إنّا مُستقبلون أمرًا له وجوهٌ وألوان، لا تقوم له القلوب؛ ولا تثبت عليه العقول؛ وإنّ الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت».

قالوا: وهذا كلام له باطنٌ وغَوْر عميق؛ معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو ويجهلونه هم[1]؛ وهو الإنذارُ بحرب المسلمين بعضهم لبعض، واختلافُ الكلمة وظهورُ الفتنة.

و معنى قوله: «له وجوه وألوان» أنّه موضع شبهة وتأويل، فمن قائل يقول: أصاب عليّ، ومن قائل يقول: أخطأ؛ وكذلك القول في تصويب محارِبيه من أهل الجمل وصِفّين والنَّهروان وتخطِئتهم، فإنّ المذاهب فيه وفيهم تشعّبت وتفرّقت جدًّا.

---

١ ــ ساقطة من.

ومعنى قوله: «الآفاق قد أغامت، والمحجّة قد تنكّرت» أنّ الشّبهة قد استولت على العقول والقلوب، وجهل أكثرُ النّاس محجّة الحقّ أين هي؛ فأنا لكم وزيرًا عن رسول الله ﷺ أفتِي فيكم بشريعته وأحكامه خيرُ لكم منّي أميرًا محجورًا عليه مدبّرًا بتدبيركم، فإنّي أعلم أنّه لا قُدرة لي أن أسير فيكم بسيرة رسول الله ﷺ في أصحابه مستقلًّا بالتّدبير؛ لفساد أحوالكم، وتعذّر صلاحكم.

وقد حمل بعضُهم كلامه على محمل آخر، فقال: هذا كلام مُستزيد[1] شاكٍ من أصحابه؛ يقول لهم: دعوني والتمسوا غيري، على طريق الضَّجر[2] منهم، والتّبرّم بهم والتّسخّط لأفعالهم، لأنّهم كانوا عَدَلوا عنه من قَبْل، واختاروا عليه، فلمّا طلبوه بعدُ أجابهم جوابَ المتسخّط العاتب.

وحمل قوم منهم الكلام على وجه آخر، فقالوا: إنّه أخرجه مخرج التّهكّم والسّخرية، أي أنا لكم وزيرًا خيرٌ منّي لكم أميرًا فيما تعتقدونه، كما قال سبحانه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[3] أى تزعم لنفسك ذلك وتعتقده.

واعلم أن ما ذكروه ليس ببعيد أن يحمَلَ الكلام عليه لو كان الدَّليل قد دلّ على ذلك، فأمّا إذا لم يدلّ عليه، دليل فلا يجوز صَرْفُ اللّفظ عن ظاهره؛ ونحن نتمسّك بالظّاهر إلّا أن تقوم دلالة على مذهبهم تصدّنا عن حَمْل اللّفظ عن ظاهره؛ ولو جاز أنّ تصرّف الألفاظُ عن ظواهرها لغير دليل قاهر يصدف ويصدّ عنها، لم يبق وثوق بكلام الله عزّوجلّ وبكلام رسوله ﷺ ؟ وقد ذكرنا فيما تقدّم كيفية الحال الّتي كانت بعد قَتْل عثمان، والبيعة العلَويّة كيف وقعت. (٧: ٣٣ ـ ٣٥)

---

١ ـ مستزيد: أى مشال عاتب، وفي الأساس: «فلان يستزيد فلانًا، يستقصره ويشكوه؛ وهو مستزيد».

٢ ـ د: «المضجر».

٣ ـ الدّخان/ ٤٩.

(الخطبة: ١٥٠) . . . حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. . .

الشّرح: . . . فإن قلت: أليس هذا[1] الفصل صريحًا في تحقيق مذهب الإماميّة؟

قلت: لا، بل نحمله على أنّه عَنَى عليه السلام أعداءه الّذين حاربوه من قريش وغيرهم من أفناء العرب، في أيّام صِفّين، وهم الّذين نقلوا البناء، وهجروا السّبب، ووصلُوا غير الرَّحِم، واتّكلوا على الولائج، وغالتهم السُّبُل، ورجعوا على الأعقاب؛ كعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومَرْوان بن الحكم، والوليد بن عُقْبة، وحبيب بن مسلَمة، وبُسْر بن أرطاة، وعبد الله بن الزُّبير، وسعيد بن العاص، وحوشب، وذِي الكَلاع، وشُرَحْبيل ابن السّمط[2]، وأبي الأعور السّلميّ؛ وغيرهم ممّن تقدّم ذكرُنا له في الفصول المتعلّقة بصِفّين وأخبارها، فإنّ هؤلاء نقلوا الإمامة عنه عليه السلام إلى معاوية، فنقلوا البناء عن رصّ أصله إلى غير موضعه.

فإن قلت: لفظ الفصل يشهدُ بخلاف ما تأوّلتَه، لأنّه قال عليه السلام: حتّى إذا قبض الله رسوله رجع قوم على الأعقاب، فجعل رجوعَهم على الأعقاب عَقِيب قَبْض الرَّسول صلى الله عليه وآله، وما ذكرتَه أنتَ كان بعد قَبْض الرّسول بنيّف وعشرين سنة!

قلت: ليس يمتنع أن يكونَ هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب، لمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأضْمَرُوا في أنفسهم مشاقّة أمير المؤمنين وأذاه، وقد كان فيهم مَنْ يتحكّك به في أيّام أبي بكر وعمر وعثمان، ويتعرّض له؛ ولم يكن أحدٌ منهم ولا من غيرهم يُقدِم على ذلك في حياة رسول الله. ولا يمتنع أيضًا أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدَادهم عن الإسلام بالكلّيّة، فإنّ كثيرًا من أصحابنا يطعنون في إيمان

---

١ ـ ساقطة من د.

٢ ـ ب: «الصّمت».

بعض مَنْ ذكرناه ويعدّونهم من المنافقين، وقد كان سيفُ رسول الله ﷺ يقمَعُهم ويردَعُهم عن إظهار ما في أنفسهم من النِّفاق، فأظهر قومٌ منهم بعده ما كانوا يضمِرُونه من ذلك؛ خصوصًا فيما يتعلّق بأمير المؤمنين، الّذي وَرَد في حقّه: «ما كنّا نعرِفُ المنافِقين عَلَى عَهْدِ رسول الله إلّا ببغض عليّ بن أبي طالب»، وهو خَبَرٌ محقّق مذكور في الصّحاح.

فإن قلت: يمنعك من هذا التّأويل قوله: «ونقلوا البنَاء عن رصّ أساسه، فجعلوه في غير موضعه»، وذلك لأنّ «إذا» ظرف؛ والعامل فيها قوله: «رجع قومٌ على الأعقاب» وقد عطف عليه قوله: «ونقلوا البناء»؛ فإذا كان الرّجوع على الأعقاب واقعًا في الظّرف المذكور، وهو وقت قبض الرّسول، وجَب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعًا في ذلك الوقت أيضًا، لأنّ أحد الفعلين معطوف على الآخر، ولم ينقلُ أحدٌ وقتَ قبض الرسول ﷺ البناءَ إلى معاوية عن أمير المؤمنين عليه السلام، وإنّما نُقِل عنه إلى شخص آخر، وفي إعطاء العطف حقّه إثبات مذهب الإماميّة صريحًا! (٩: ١٣٤ ـ ١٣٥)

(الخطبة: ١٧٠) . . . إنَّ اللهَ تَعالَى بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ، لاَ يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ، وَإِنَّ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ الْمُهْلِكَاتُ إِلَّا مَا حَفِظَ اللهُ مِنْهَا، وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ، فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلاَ مُسْتَكْرَهٍ بِهَا. وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلاَمِ، ثُمَّ لاَ يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

الشّرح : ...ثمّ أمَرَهُم بلزوم الطّاعة، واتّباع السّلطان، وقال: إنّ فيه عصمة لأمركم. فأعطوه طاعتَكم غير مُلَوّمة، أى مخلصين ذوي طاعةٍ محضة لا يلامُ باذلها، أى لا ينسَب إلى النِّفاق. ولا مستكرَهٍ بها، أى ليست عن استكراهٍ، بل يبذلونها اختيارًا ومحبّة، ويروي: «غير ملويّة» أى معوجة، من لَوَيْتُ العود.

ثمّ أقسم إنّهم إن لم يفعلوا وإلّا نقل الله عنهم سلطان الإسلام ـ يعنى الخلافة ـ ثمّ لا يعيده إليهم أبدًا، حتّى يأرز الأمر إلى غيرهم؛ أي: حتّى ينقبض وينضمّ ويجتمع؛

وفي الحديث: «إنّ الإسلام ليأرِز إلى المدينة كما تأْرز الحيّة إلى جُحْرها»[١].

فإن قلت: كيف قال: إنّه لا يعيده إليهم أبدًا، وقد عاد إليهم بالخلافة العبّاسيّة؟

قلت: لأنّ الشَّرْط لم يقع؛ وهو عدم الطّاعة؛ فإنّ أكثرَهم أطاعوه طاعةً غيرملوّمة ولامستكرَهٍ بها، وإذا لم يتحقّق الشَّرط لم يتحقّق المشروط.

وقد أجاب قوم عن هذا، فقالوا: خاطب الشّيعة الطّالبيّة، فقال: إنْ لم تُعطوني الطّاعة المحضةَ نقل الله الخلافة عن هذا البيت حتّى يأرِز وينضمّ إلى بيت آخر؛ وهكذا وقع؛ فإنّها انضمّت إلى بيت آخر من بني هاشم.

وأجاب قوم آخرون، فقالوا: أراد بقوله: «أبدًا» المبالغة؛ كما تقول: احبِسْ هذا الغريم أبدًا، والمراد بالقوم الّذين يأرِز الأمر إليهم بنو أميّة؛ كأنّه قال: إن لم تفعلوا نقل الله الخلافة عنكم حتّى يجعلَها في قوم آخرين؛ وهم أعداؤكم من أهل الشّام وبني أميّة ولا يعيده إليكم إلى مدّة طويلة، وهكذا وقع.

وقد تمالأُوا: قد اجتمعوا. وتساعدوا على سَخْطة إمارتي: على كراهيّتها وبغضها. ثمّ وعد بالصّبر عليهم ما لم يُخَفْ من فرقة الجماعة، وانتشار حبل الإسلام . ...

ثمّ ذكر أنّ الحسد دعاهم إلى ذلك. وأفاءها عليه: ردّها عليه، فاء يفِيء: رجع. وفلان سريع الفَيْء من غَضَبه، أي سريع الرّجوع. وإنّه لحسن الفِيئَة بالكسر؛ مثال «الفِيعة» أى حسن الرّجوع؛ وهذا الكلام لا يشعر بأنّه عليه السلام كان يعتقد أنّ الأمر له، وأنّه غُلِب عليه ثمّ رجع إليه، ولكنّه محمول على أنّه من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة الجزء من الكلّ، وأنّهما من جوهر واحد، فلمّا كان الوالي قديمًا هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ تخلّل بين ولايته صلى الله عليه وآله وولاية أمير المؤمنين عليه السلام ولايات غريبة، سمّى ولايته فيئًا ورجوعًا، لأنّها رجعت إلى الدَّوْحة الهاشميّة، وبهذا يجب أن يتأوّل قوله: «فأرادوا ردّ الأمور على أدبارها» أى أرادوا انتزاع الخلافة من بني هاشم، كما انتزعت أوّلًا، وإقرارها في بيوت

---

١ ـ النّهاية لابن الأثير ١: ١٤.

بعيدة عن هذا البيت، أسوة بما وقع من قبل. (٩ : ٢٩٦ـ٢٩٨)

(الخطبة: ١٩٨) ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزّبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه [١] من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأُمور بهما:

لَقَدْ نَقَمْتُما يَسِيرًا، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، أَلاَ تُخْبِرَانِي، أَيُّ شَيْءٍ كان لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ! وَاللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي الْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ، وَلكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَسَنَّ [٢] النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ . . .

الشّرح: . . . ثمّ أقسم أنّه لم يكن له في الخلافة رغبة ولاإرْبة، بكسر الهمزة، وهي الحاجة. وصدَق عليه السلام فهكذا نَقَل أصحابُ التّواريخ وأرباب عِلْمِ السِّير كلُّهم، وروى الطّبريّ في التّاريخ ورواه غيره أيضًا أنّ النّاسَ غَشُوه وتكاثروا عليه يطلبون مبايعته، وهو يأبى ذلك ويقول: دعوني و التمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تثبت عليه العقول ولاتقوم له القلوب. قالوا: نَنْشُدك الله!ألَا تَرَى الفِتنة!ألاترى إلى ما حدث في الإسلام!ألا تخاف الله! فقال قد أجبتكم لما أرى منكم، واعلموا أنّي إنْ أجبتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنّما أنا كأحدِكم، بل أنا أسمعُكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمرَكم إليه. فقالوا: ما نحن بمفارقيك حتّى نبايعك. قال: إن كان لابدّ مِن ذلك ففي المسجد؛ فإنّ بَيْعتي لا تكون خَفيًا، ولاتكون إلّا عن رضَا المسلمين، وفي ملأ وجماعة. فقام والنّاس حوله، فدخل المسجد وانثال عليه المسلمون فبايعوه،

---

١ ـ سا قطة من مخطوطة النّهج.

٢ ـ مخطوطة النّهج «استسن».

وفيهم طلْحة والزُّبير[1].

قلت: قوله: «إنّ بيعتي لا تكون خَفيًا، ولاتكون إلّا في المسجد بمحضَرٍ من جمهور النّاس»، يشابه قوله بعد وفاة رسول الله ﷺ للعبّاس لمّا اسامَه مدّ يدِه للبيعة: إنّي أحبُّ أن أُصحِر بها[2] وأكره أنْ أبايع من وراء رِتاج.

ثمّ ذكر عليه السلام أنّه لمّا بُويع عمِل بكتاب الله وسنّة رسوله، ولم يحتجْ إلى رأيهما ولا رأيِ غيرِهما، ولم يقع حُكْم يجهله فيستشيرهما، ولو وقع ذلك لاستشارهما وغيرهما، ولم يأنَف من ذلك.

ثمّ تكلّم في معنى التَّنْفِيل في العطاء، فقال: إنّي عمِلت بسنّة رسول الله ﷺ ذلك. وصدَق عليه السلام! فإنّ رسول الله ﷺ سوّى في العطاء بين النّاس، وهو مذهب أبي بكر.

والعُتْبى: الرّضا، لست أرضيكما بارتكاب ما لا يحلّ لي في الشَّرع ارتكابُه. والضَّمير في «صاحبه»، وهو الهاء المجرورة يرجع الى الجوْر، أي وكان عونًا بالعمل على صاحب الجوْر. (١١: ٩ ـ ١٠)

(الخطبة: ٢١١) ومن كلام له عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَئُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفًا. فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَا، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وخْزِ الشِّفَارِ.

الشّرح: . . . واعلم أنّ هذا الكلام قد نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يناسبه، ويجري

---

١ ـ تاريخ الطبريّ ٥: ١٥٢ (المطبعة الحسينيّة) مع تصرّف.

٢ ـ أصحر: من قولهم: أصحر الأمر وبه إذا أظهره.

مجراه، ولم يؤرّخ الوقت الّذي قاله فيه، ولا الحال الّتي عَناها به، وأصحابنا يحملون ذلك على أنّه عليه السلام قاله عَقِيب الشّورى وبيعة عثمان، فإنّه ليس يرتاب أحدٌ من أصحابنا عَلَى أنّه تظلّم و تألّم حينئذ.

ويكره أكثر أصحابنا حمَل أمثال هذا الكلام على التألّم من يوم السَّقيفة.

ولقائل أن يقول لهم: أتقولون إنّ بيعة عثمان لم تكن صحيحة؟ فيقولون: لا، فيقال لهم: فعلَى ماذا تحملون كلامه عليه السلام مع تعظيمكم له وتصديقكم لأقواله؟ فيقولون: نحملُ ذلك على تألّمه وتظلّمه منهم إذ تركوا الأوْلَى والأفضل. فيقال لهم: فلا تكرهوا قول مَنْ يقولُ من الشّيعة وغيرهم: إنّ هذا الكلام وأمثاله صدرَ عنه عقِيب السَّقيفة، وحملوه على أنّه تألّم وتظلّم من كونهم تركوا الأوْلى والأفضل، فإنّكم لستم تنكرون أنّه كان الأفضلَ والأحقّ بالأمر، بل تعترفون بذلك، وتقولون: ساغت إمامة غيره، وصحّت لمانع كان فيه عليه السلام، وهو ما غلب على ظنون العاقدين للأمر من أنّ العرب لا تطيعه، فإنّه يخاف من فتنة عظيمة تحدث إن ولِيَ الخلافة لأسباب يذكرونها ويعدُّونها، وقد روى كثير من المحدّثين أنّه عقيب يوم السّقيفة تألّم وتظلّم، واستنجد واستصرخ، حيث ساموه الحضور والبيْعة، وأنّه قال وهو يشير إلى القبر: ﴿يَا بْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾[1] وأنّه قال: وا جعفراه! ولا جعفر لي اليوم! اليوم! واحمزتاه ولا حمزة لي اليوم!

وقد ذكرنا من هذا المعنى جملة صالحة فيما تقدّم، وكلّ ذلك محمول عندنا على أنّه طلب الأمر من جهة الفضل والقرابة، وليس بدالٍّ عندنا على وجود النّصّ، لأنّه لو كان هناك نصّ لكان أقلّ كُلفةً وأسهلَ طريقًا، وأيسرَ لما يريدُ تناولًا أن يقول: يا هؤلاء إنّ العهد لم يَطُلْ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمركم بطاعتي واستخلفني عليكم بعده، ولم يقع منه عليه السلام بعد ما علمتموه ونصّ ينسخ ذلك، ولا يرفعه، فما الموجب

---

١ ـ الأعراف/١٥٠.

لتركي والعدول عنّي!

فإن قالت الإماميّة: كان يخاف القتل لو ذكر ذلك، قيل لهم: فهلّا يخاف القتل وهو يعتلّ ويدفع ليبايع، وهو يمتنع، ويستصرخ تارة بقبر رسول الله ﷺ، وتارة بعمّه حمزة وأخيه جعفر ـ وهما ميّتان ـ وتارة بالأنصار، وتارة ببني عبد مناف، ويجمع الجموع في داره، ويبثّ الرّسل والدّعاة ليلًا ونهارًا إلى النّاس، يذكّرهم فضله وقرابته، ويقول للمهاجرين: خَصَمْتُم[1] الأنصار بكونكم أقربَ إلى رسول الله ﷺ وأنا أخصِمكم بما خَصَمْتُم به الأنصار، لأنّ القرابة إن كانت هي المعتبرة، فأنا أقربُ منكم.

وهلّا خاف من هذا الامتناع، ومن هذا الإحتجاج ومن الخلوة في داره بأصحابه، ومِن تنفير النّاس عن البيعة الّتي عقدت حينئذ لمن عقدت له!

وكلّ هذا إذا تأمّله المنصِف علم أنّ الشيعة أصابتْ في أمرٍ، وأخطأت في أمرٍ، أمّا الأمرُ الّذي أصابت فيه فقولها: إنّه امتنعَ وتلكّأ، وأراد الأمر لنفسه، وأمّا الأمرُ الّذي أخطأت فيه، فقولُها: إنّه كان منصوصًا عليه نصًّا جليًّا بالخلافة، تعلمُه الصّحابة كلّها أو أكثرها، وإنّ ذلك النّصّ خولف طلبًا للرّئاسة الدّنيويّة، وإيثارًا للعاجلة. وإنّ حال المخالفين للنّصّ لا تعدُو أحدَ أمرين: إمّا الكفر أو الفسق، فإنّ قرائن الأحوال وأماراتها لا تدلّ على ذلك، وإنّما تدلّ وتشهد بخلافه، وهذا يقتضي أنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام كان في مبدأ الأمر يظنّ أنّ العقد لغيره كان عن غير نظر في المصلحة، وأنّه لم يقصَدْ به إلّا صرفُ الأمرِ عنه والاستئثار عليه، فظهر منه ما ظهر من الامتناع والعقود في بيته، إلى أن صحّ عنده، وثبت في نفسه، أنّهم أصابوا فيما فعلوه، وأنّهم لم يميلوا إلى هوًى، ولا أرادوا الدّنيا، وإنّما فعلوا الأصلح في ظُنونهم، لأنّه رأى من بغض النّاس له، وانحرافِهم عنه، وميلهم عليه، وثوران الأحقاد الّتي كانت في أنفسهم، واحتدام النّيران الّتي كانت في قلوبهم، وتذكّروا التّراث الّتي وَتَرَهم فيما قبل بها، والدّماء الّتي سفكها

---

١ ـ خصّكم الأنصار: غلبوكم.

منهم، وأراقها.

وتعلّل طائفةأخرى منهم للعدول عنه بصغَر سنّه، واستهجانهم تقديمَ الشّباب على الكُهول والشّيوخ. وتعلّل طائفة أخرى منهم بكراهيّة الجمع بين النّبوّة والخلافة في بيت واحد، فيجفَخُون[1] على النّاس كما قاله من قاله. واستصعاب قوم منهم شكيمته وخوفهم تعدّيه وشدّته، وعلمهم بأنّه لا يداجي ولا يحابي، ولا يراقب ولا يجامل في الدّين، وأنّ الخلافة تحتاج إلى مَنْ يجتهد برأيه، ويعمل بموجب استصلاحه، وانحراف قوم آخرين عنه، للحسد الّذي كان عندهم له في حياة رسول الله ﷺ لشدّة اختصاصه له، وتعظيمه إيّاه، وما قال فيه فأكثر من النّصوص الدّالّة على رفعة شأنه وعلوّ مكانه، وما اختصّ به من مصاهرته وأخوّته، ونحو ذلك من أحواله معه، وتنكر قوم آخرين له لنسبتهم إليه العُجْب والتّيه، كما زعموا، واحتقاره العرب، واستصغاره النّاس كما عدّدوه عليه، وإن كانوا عندنا كاذبين، ولكنّه قول قيل، وأمر ذكر، وحال نسبت إليه، وأعانهم عليها ما كان يصدُر عنه من أقوال تُوهم مثل هذا، نحو قوله: «فإنّا صنائعُ ربّنا والنّاس بعد صنائع لنا» وما صحّ به عنده[2] أنّ الأمر لم يكن ليستقيم له يومًا واحدًا ولا ينتظم ولا يستمرّ، وأنّه لو ولّى الأمر لفتقت العرب عليه فتقًا يكون فيه استئصال شأفة الإسلام، وهدْم أركانه، فأذعن بالبَيْعة، وجنَح إلى الطّاعة، وأمسك عن طلب الإمْرة، وإن كان على مَضَض و رَمَض.

وقد روى عنه ﷺ أنّ فاطمةَ عليها السلام؟ حَرّضته يومًا على النُّهوض والوثوب فسمع صوتَ المؤذّن: «أشهد أنّ محمّدًا رسول الله»، فقال لها: أيسرّك زوال هذا النِّداء من الأرض! قالت: لا، قال: فإنّه ما أقول لك.

وهذا المذهب هو أقصَدُ المذاهب وأصحّها، وإليه يذهب أصحابنا المتأخّرون من

---

١ ـ يجخفون: يفخرون ويتكبّرون.

٢ ـ ب: «عنده»، وما أثبته من ا.

البغداديّين، وبه نقول.

واعلم أنّ حال عليّ عليه السلام في هذا المعنى أشهرُ من أن يحتاج في الدّلالة عليها إلى الإسهاب والإطناب، فقد رأيت انتقاضَ العرب عليه من أقطارها حين بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بخمسٍ وعشرين سنة، وفي دون هذه المدّة تنسَى الأحقاد، وتموت التّراث، وتبرُد الأكباد الحامية، وتسلُو القلوب الواجدة، ويعدَم قرنٌ من النّاس، ويوجد قَرن،ولا يبقى من أرباب تلك الشّحناء والبغضاء إلّا الأقلّ، فكانت حاله بعد هذه المدّة الطويلة مع قريش كأنّها حاله لو أفضت الخلافة إليه يوم وفاة ابنِ عمّه صلى الله عليه وآله، من إظهار ما في النّفوس، وهَيَجان ما في القلوب، حتّى إنّ الأخلافَ من قريش، والأحداث والفتيان الّذين لم يشهدوا وقائعه وفتكاته في أسلافهم وآبائهم، فعلوا به ما لو كانت الأسلاف أحياءً لقصّرت عن فعله، وتقاعست عن بلوغ شأوِه، فكيف كانت تكونُ حاله لو جلس على مِنبَر الخلافة، وسيفه بعد يقطُر دمًا من مُهج العرب، لا سيّما قريش الّذين بهم كان ينبغي ـ لو دهمه خطب ـ أن يعتضد، وعليهم كان يجب أن يعتمد! إذن كانت تدرُس أعلام الملّة وتنعفي رسومُ الشّريعة، وتعود الجاهليّة الجهلاء على حالها، ويفسدُ ما أصلحه رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث وعشرين سنة في شهر واحد، فكان من عناية الله تعالى بهذا الدّين أنْ ألهم الصّحابة ما فعلوه والله مُتمّ نوره ولو كره المشركون. (١١: ١١٠ ـ ١٤)

(الخطبة: ١٢٥) ومن كلام له عليه السلام في الخوارج لمّا أنكروا تحكيم الرّجال، ويذمّ فيه أصحابه في التّحكيم فقال:

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ، وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ. وهذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاَ يَنْطِقُ بِلِسَانٍ، وَلاَبُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ، وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ. وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ قَالَ اللهُ تعالى عَزَّمِنْ قَائِلٍ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ

وَالرَّسُولِ﴾[١]، فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ؛ فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رسول الله ﷺ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ و أَوْلاَهُمْ بِهَا. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَهذِهِ الْأُمَّةِ، وَلاَ تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا، فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقَادَ لأَوَّلِ الْغَيِّ.

الشّرح:. . . ثمّ قال: لمّا دعينا إلى تحكيم الكتاب، لم نكن القوم الّذين قال الله تعالى في حقّهم: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[٢]، بل أجبنا إلى ذلك، وعملنا بقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣].

وقال: معنى ذلك أن نحكم بالكتاب والسنّة، فإذا عمل النّاس بالحقّ في هذه الواقعة، واطّرحوا الهوى والعصبية، كنّا أحقّ بتدبير الأمّة وبولاية الخلافة من المنازع لنا عليها.

فإن قلت: إنّه عليه السلام لم يقل هكذا؛ وإنّما قال: إذا حُكِم بالصّدق في كتاب الله، فنحن أولى به، وإذا حُكِم بالسّنّة فنحن أحقّ بها!

قلت: إنّه رفع نفسه عليه السلام أن يصرّح بذكر الخلافة فكنّى عنها، وقال: نحنُ إذا حُكِم بالكتاب والسُّنّة أولَى بالكتاب والسنّة، ويلزم من كونه أوْلى بالكتاب والسُّنّة من جميع النّاس أن يكون أولى بالخلافة من جميع النّاس، فدلّ على ماكنّى عنه بالأمر المستلزم له.

فإن قلت: إذا كان الرّجال الّذين يترجمون القرآن ويفسّرونه، وقد كُلِّفوا أن يحكموا في

---

١ ـ النّساء/ ٥٩.

٢ ـ النّور/ ٤٨.

٣ ـ النّساء/ ٥٩.

واقعة أهل العراق وأهل الشّام، بما يدلهّم القرآن عليه؛ يجوز أن يختلفوا في تفسير القرآن وتأويله، فيدعى صاحب أهل العراق من تفسيره ما يستدلّ به على مراده، ويدّعي وكيل أهل الشّام ما يقابل ذلك ويناقضه، بطريق الشُّبهة الّتي تمسّكوا بها من دم عثمان، ومن كون الإجماع لم يحصل على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، احتاجَ الحكَمان حينئذ إلى أنْ يحكُم بينهما حكَمان آخران، والقول فيهما كالقول في الأوّل إلى مالا نهاية له؛ وإنّما كان يكون التّحكيم قاطعًا للشَّغَب لو كانَ القرآن ينصّ بالصّريح الّذي لا تأويل فيه، إمّا عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام وإمّا على معاوية، ولانصّ صريح فيه؛ بل الّذي فيه يحتمل التّأويل والتّجاذب؛ فما الّذي يفيد التّحكيم والحال تعود لا محالة جَذَعة!

قلت: لو تأمّل الحكَمان الكتاب حقّ التّأمّل، لوجدا فيه النّصّ الصّريح على صحّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ فيه النّصّ الصّريح على أنّ الإجماع حجّة، ومعاوية لم يكن مخالفًا في هذه المقدّمة ولاأهل الشّام، وإذا كان الإجماع حجّة، فقد وقع الإجماع لمّا توفّى رسول الله صلى الله عليه وآله، على أنّ اختيار خمسةٍ من صلحاء المسلمين لواحد منهم وبيعتِه توجب لزوم طاعته وصحّة خلافته، وقد بايع أميرَ المؤمنين عليه السلام خمسةٌ من صلحاء الصّحابة بل خمسون؛ فوجب أنْ تصحّ خلافته، وإذا صحّت خلافته نفذت أحكامه، ولم يجب عليه أن يقيد بعثمان، إلّا أن حضر أولياؤه عنده، طائعين له مبايعين، ملتزمين لأحكامه؛ ثمّ بعد ذلك يطلبون القصاص من أقوام بأعيانهم، يدّعون عليهم دمَ المقتول؛ فقد ثبت أنّ الكتاب لو تُؤمِّلَ حقّ التّأمّل لكَان الحقّ مع أهل العراق، ولم يكن لأهل الشّام من الشّبهة ما يقدح في استنباطهم المذكور.

ثمّ قال عليه السلام: فأمّا ضربي للأجل في التّحكيم فإنّما فعلته لأنّ الأناة والتّثبّت من الأمور المحمودة؛ أمّا الجاهل فيعلم فيه ما جهله، وأمّا العالم فيثبُت فيه على ما علمِه، فرجوت أن يصلح الله في ذلك الأجلِ أمرَ هذه الأمّة المفتونة. (٨: ١٠٤ ـ ١٠٦)

(كتابه عليه السلام: ٢٧) ومنه: فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءَ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ، وَلَقَدْ قَالَ لِي رسول الله صلى الله عليه وآله: (إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلاَ مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ. لٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مَنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ).

الشّرح: الإشارة بإمام الهُدَى إليهِ نفسه، وبإمام الرَّدى إلى معاويةَ، وسمّاه إمامًا، كما سَمَّى اللهُ تعالى أهلَ الضّلال أئمّة، فقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[1]. ثمّ وصفه بصفة أخرى وهو أنّه عدوّ النّبي صلى الله عليه وآله ليس يعنى بذلك أنّه كان عدوًّا أيّام حَرْب النّبي صلى الله عليه وآله لقريش، بل يريد أنّه الآن عدوّ النّبيّ صلى الله عليه وآله، لقوله صلى الله عليه وآله له: «وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله». وأوّل الخبر: «وليُّك وَلِيّي، ووليّي وَلِيّ الله»، وتمامُه مشهور، ولأنّ دلائلَ النِّفاق كانت ظاهرة عليه مِن فَلَتات لسانه ومِن أفعالِه، وقد قال أصحابنا في هذا المعنى أشياءَ كثيرة، فلتُطلَب من كتبهم، خصوصًا من كُتُب شيخنا أبي عبد الله، ومن كتب الشّيخين أبي جعفر الإسكافي، وأبي القاسم البَلْخي، وقد ذكرنا بعضَ ذلك فيما تقدّم.

ثمّ قال عليه السلام: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي لا أخاف على أمّتي مؤمنًا ولا مشركًا» أى ولا مشركًا يُظهِر الشّرك، قال: لأنّ المؤمن يَمنعه اللهُ بإيمانه أن يُضِلّ النّاسَ، والمُشرك مُظهِر الشّرك يَقمَعه الله بإظهار شِركه ويَخذُله، ويَصرِف قلوبَ النّاس عن اتّباعه، لأنّهم يَنفِرون منه لإظهاره كلمةَ الكُفر، فلا تطمئنّ قلوبُهم إليه، ولا تَسكُن نفوسهم إلى مقالته، ولكنّي أخاف على أمّتي المنافقَ الّذي يُسِرُّ الكفر والضّلال، ويُظهِر الإيمانَ والأفعال الصّالحة، ويكون مع ذلك ذا لَسَن وفصاحة، يقول بلسانه ما تعرفون صوابَه، ويَفعل سرًّا ما تُنكِرونه لو اطّلعتم عليه، وذاك أنّ مَن هذه صِفتُه تَسكُن نفوسُ النّاس إليه؛ لأنّ الإنسان إنّما يحكم بالظّاهر فيقلّده النّاس؛

---

١ ـ القصص/٤١.

فيضلّهم ويوقعهم في المفاسد. (١٥: ١٧٠ ـ ١٧١)

(كتابه عليه السلام: ٦٥) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضًا: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِإِدِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلاَ عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِيءَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلاَلُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ ؟ . . .

الشّرح: . . . يقول عليه السلام لمعاوية: قد حانَ لك أن تَنتفِع بما تَعلَمه من معايَنة الأمورِ والأحوالِ وتتحقّقه يقينًا بقَلْبك، كما يتحقّق ذو اللّمح الباصر ما يُبصِره بحاسّة بصرِه، وأراد ببَيان الأمور هاهنا معايَنَتها، وهو ما يعرفه ضرورة من استحقاق عليٍّ عليه السلام للخلافة دونَه، وبراءتِه من كلّ شُبْهة يَنسُبها إليه. ثمّ قال له: «فقد سلكتَ»، أى اتّبعت طرائق أبي سُفْيان أبيكَ وعُتْبة جَدّك وأمثالِهما من أهلِك ذَوِي الكُفْر والشّقاق . . .

ثمّ قال: «فِرارًا من الحقّ»، أى فعلتَ ذلك كلّه هَرَبًا من التّمسّك بالحقّ والدّين، وحبًّا للكُفْر والشّقاق والتّغلّب. قال: «وجُحودًا لما هو ألزَم»، يعنى فرض طاعةِ عليٍّ عليه السلام، لأنّه قد وَعَاها سَمْعُه، لا رَيْب في ذلك، إمّا بالنّص في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله كما تَذكُره الشّيعة ـ فقد كان معاوية حاضرًا يومَ الغَدِير لأنّه حجّ معهم حجّة الوَداع، وقد كان أيضًا حاضرًا يومَ تَبُوك حين قال له بمَحضَر من النّاس كافّة: «أنت منّي بمنزلة هَارُون مِن موسى»، وقد سُمِع غيرُ ذلك ـ وإمّا بالبَيْعة كما نَذكره نحن فإنّه قد اتّصل به خبرُها، وتواترَ عندَه وُقوعُها، فصار وقوعُها عنده معلومًا بالضّرورة كعِلمِه بأنّ في الدّنيا بلدًا اسمُها مِصر، وأن كان ما رآها. والظّاهر من كلامِ أميرِ المؤمنين عليه السلام أنّه يريد المعنى الأوّل! ونحن نخرّجه على وَجْهٍ لا يَلزَم منه ما تقوله الشّيعة، فنقول: لنَفرض أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ما نصّ عليه بالخلافة بعدَه، أليس يَعلَم معاوية وغيرُه من الصّحابة أنّه لو قال له في ألف مقام: «أنا حَرْبٌ لمن حارَبْتَ، وسِلْمٌ لمن سالَمْت»، ونحو ذلك من

قوله: «اللّهم عادِ من عادَاه، ووالِ مَن وَالاه»، وقوله: «حربُك حَرْبي وسِلْمُك سِلْمي» وقوله: «أنت مع الحقّ والحقّ معك »، وقوله: «هذا منّي وأنا منه»، وقوله: «هذا أَخِي»، وقوله: « يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه اللهُ ورسولُه»، وقولُه: «اللّهم ائتني بأحبّ خَلقِك إليك»، وقوله: «إنّه ولىّ كلّ مؤمن [ومؤمنة] بعدي»، وقوله: في كلام قاله: «خاصِف النّعل»، وقوله: «لا يحبّه إلّا مؤمن ، ولايَبغَضه إلّا مُنافِق»، وقوله: «إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة»، وجعله أوّلَهم، وقوله لعمّار: « تقتُلك الفِئة الباغية »، وقوله: «ستقاتل الناكثِين والقاسِطين والمارِقين بعدِي»، إلى غير ذلك ممّا يَطولُ تَعدادُه جدًّا، ويحتاج إلى كتابٍ مفرد يُوضَع له، أفما كان ينبغى لمعاويةَ أن يفكّر في هذا ويتأمّله، ويَخشَى الله ويتّقيه! فلعلّه ﷺ إلى هذا أشار بقوله: «وجُحودًا لما هو ألزَم لك من لَحمِك ودَمِك ممّا قد وعَاه سَمْعُك، ومُلِئَ به صَدْرُك». (١٨: ٢٢ ـ ٢٥)

(الحكمة: ١٤٣) . . . اللَّهُمَّ بَلَى؛ لَاتَخْلُو الأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لله بِحُجَّةٍ، إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَ إِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا، لِئَلَّاتَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وَ بَيِّنَاتُهُ.

الشّرح: . . . ثمّ استدرك فقال: « اللّهمّ بلى، لاتخلو الأرضُ مِنْ قائمٍ بحجّة الله تعالى» كَيلا يخلوَ الزّمان ممّن هو مُهَيمِنٌ لله تعالى على عبادِه، ومُسَيطِرٌ عليهم؛ وهذا يكاد يكونُ تصريحًا بمذهب الإماميّة، إلّا أنّ أصحابَنا يحملونه على أنّ المراد به الأبدال الّذين وَرَدتْ الأخبارُ النّبويّة عنهم أنّهم في الأرض سائحون، فمنهم مَنْ يُعْرَف، ومنهم مَن لايُعْرَف، وإنّهم لايموتون حتّى يُودِعُوا السّرّ، وهو العِرْفان عند قومٍ آخَرين يقومون مَقامَهم. (١٨: ٣٥١)

الفصل الثّامن ـ[عصمة الإمام]

(الخطبة: ٨٦) . . . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ! و أَنَّى تُؤْفَكُونَ ! وَالْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُمَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ،

وَ أَعَلَامُ الدِّينِ! وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ القُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

الشّرح: ... وعِتْرَة رسول الله ﷺ: أهلُه الأدْنَوْن و نسله؛وليس بصحيح قول مَنْ قال: إنّهم رهطُه وإن بعدوا؛ وإنّما قال أبو بكر يوم السَّقِيفة أو بعده: «نحن عِتْرة رسول الله ﷺ بيْضته الّتي فُقِئَتْ عنه»؛ على طريق المجاز؛ لأنّهم بالنّسبة إلى الأمصار عِتْرة له لا في الحقيقة؛ ألا تَرَى أنّ العدنانيّ يفاخر القحطانيّ؛ فيقول له: أنا ابن عمّ رسول الله ﷺ؛ ليس يعنى أنّه ابنُ عَمّه على الحقيقة، بل هو بالإضافة إلى القحطانيّ كأنّه ابن عمه، وإنّما استعمل ذلك ونطق به مجازًا. فإن قَدّر مقدِّر أنّه على طريق حذفِ المضافات؛ أى ابن ابن عمّ أب الأب؛ إلى عدد كثير في البنينَ والآباء، فكذلك أراد أبو بكر أنّهم عِتْرة أجداده، على طريق حذف المضاف. وقد بَيّن رسول الله ﷺ عِتْرته مَنْ هي، لما قال: «إنّي تارك فيكم الثَّقَلَيْن»، فقال: «عِترتي أهل بيتي»، وبيّن في مقام آخر مَنْ أهل بيته حيث طرح عليهم كساء. وقال حين نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ﴾[1]: «اللّهم هؤلاء أهلُ بيتي فأذهب الرِّجس عنهم».

فإن قلت: فمَنْ هي العِتْرة الّتي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام؟

قلت: نفسَه و ولداه؛ والأصلُ في الحقيقة نفسَه، لأنّ ولديه تابعان له؛ ونسبتهما إليه مع وجوده كنسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشّمس المشرقة، وقد نبّه النّبي ﷺ على ذلك بقوله: «وأبوكما خير منكما».

وقوله: «وهم أزمّة الحقّ»: جمع زمام؛ كأنّه جعل الحقّ دائرًا معهم حيثما داروا وذاهبًا معهم حيثما ذهبوا، كما أنّ النّاقة طَوْع زمامها، وقد نبّه الرسول ﷺ على صِدْق هذه القضيّة بقوله: «وأدِر الحقّ معه حيث دار».

---

١ ـ الأحزاب/ ٣٣.

وقوله: «و ألسنة الصّدق» من الألفاظ الشّريفة القرآنيّة، قال الله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخرين﴾[1] لما كان لا يصدُر عنهم حكم ولا قول إلّا وهو موافق للحقّ؛ والصّواب جعلُهم كأنّهم ألسِنَةُ صِدْقٍ لا يصدر عنها قول كاذب أصلا؛ بل هي كالمطبوعة على الصِّدق.

وقوله: «فأنزلوهُم منازل القرآن» تحته سرٌّ عظيم؛ وذلك أنّه أمر المكلَّفين بأنْ يُجْروا العِتْرة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها، والطّاعة لأوامرها مَجْرَى القرآن.

فإن قلت: فهذا القول منه يُشعِرُ بأنّ العِتْرة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟

قلت: نصّ أبو محمّد بن متّويه رحمه الله تعالى في كتاب «الكفاية» على أنّ عليًّا عليه السلام معصوم، وإنْ لم يكُنْ واجبَ العصمة، ولا العصمة شرط في الإمامة؛ لكن أدلّة النّصوص قد دلّتْ على عِصْمَتِه؛ والقطع على باطنه ومغيبه، وأنّ ذلك أمرٌ اختصّ هو به دون غيره من الصّحابة؛ والفرق ظاهرٌ بين قولنا: «زيد معصوم»، وبين قولنا: «زيد واجب العصمة»، لأنّه إمام؛ ومِنْ شرط الإمام أن يكون معصومًا، فالاعتبار الأوّل مذهبنا، والاعتبار الثّاني مذهب الإماميّة. (٦: ٣٧٦ ـ ٣٧٧)

(الخطبة: ١٦) . . . شُغِلَ مَنِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ أَمَامَهُ! سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا، وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. اَلْيَمِينُ وَالشِّمالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ، عَلَيْهَا بَاقِي[2] الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ.

الشّرح: . . . وقوله: «ساع مجتهد» إلى قوله: «لا سادس» كلام تقديره: المكلَّفون على خمسة أقسام: ساع مجتهد، وطالب راج، ومقصّر هالك. ثمّ قال: ثلاثة، أي فهؤلاء ثلاثة أقسام، وهذا ينظر إلى قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ

---

١ ـ الشّعراء/٨٤.

٢ ـ مخطوطة النّهج: «ما في الكتاب».

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾[1]، ثمّ ذكر القسمَين: الرّابع والخامس، فقال: هما مَلَك طار بجناحيه، ونبيّ أخذ الله بيده، يريد عِصْمَة هذين النّوعين من القبيح، ثمّ قال: «لا سادس»، أى لم يبق في المكلّفين قسم سادس. وهذا يقتضي أنّ العِصْمة ليست إلّا للأنبياء والملائكة، ولو كان الإمام يجب أن يكون معصومًا لكان قسمًا سادسًا، فإذن قد شهد هذا الكلام بصحّة ما تقوله المعتزلةُ في نفى اشتراط العصمة في الإمامة، اللّهم إلّا أنْ يُجعل الإمام المعصوم داخلًا في القسم الأوّل، وهو السّاعي المجتهد. وفيه بُعْد وَ ضَعْف. (١: ٢٧٧)

(كتابه: ٣١) . . . أَىْ بُنَىَّ، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًّا، وَرَأَيْتنِي أَزْدَادُ وَهْنًا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

الشّرح: . . . قوله عليه السلام: «أو أن أُنقص في رأيي»، هذا يدلّ على بطلان قول من قال: إنّه لا يجوز أن ينقص في رأيه، وأنّ الإمام معصوم عن أمثال ذلك، وكذلك قوله للحسن: «و يسبقني إليك بعض غلبات الهوى و فتن الدّنيا» يدلّ على أنّ الإمام لا يجب أن يعصم عن غلَبات الهوى؛ ولاعن فتن الدّنيا. (١٦: ٦٦ ـ ٦٧)

وقالت الإماميّة: لا يجوز أنْ يبعث الله تعالى نبيًّا قد وقع منه قبيح قبل النّبوة، لا صغيرًا ولاكبيرًا، لا عمدًا ولاخطأ، ولاعلى سبيل التّأويل والشُّبهة؛ وهذا المذهب ممّا تفرّدوا به؛ فإن أصحابنا وغيرهم من المانعين للكبائر قبل النّبوّة، لم يمنعوا وقوع الصّغائر منهم إذا لم تكن مسخّفة منفرة.

وأطردت الإماميّة هذا القول في الأئمّة فجعلت حكمهم في ذلك حكم الأنبياء في وجوب العصمة المطلقة لهم قبل النّبوّة وبعدها.

---

١ ـ فاطر/٣٢.

وقالت الإماميّة: لا تجوزُ عليهم الكبائر ولا الصغائر، لا عمدًا ولا خطأً، ولا سهوًا ولا على سبيل التّأويل والشّبهة؛ وكذلك قولهم في الأئمّة. (٧: ١٠ ـ ١٢)

(الخطبة: ٥٦) . . . فَإِنِّي وَلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

الشّرح: . . . ويمكن أن يفسّر بأنّه عليه السلام أراد بالفِطْرة العِصْمة؛ وأنّه منذ ولد لم يواقع قبيحًا، ولا كانَ كافرًا طَرْفَة عين قطّ، ولا مخطئًا ولا غالطًا في شيء من الأشياء المتعلّقة بالدّين. وهذا تفسير الإماميّة. (٤: ١١٥ ـ ١١٦)

(الخطبة: ٢١٠) . . . فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِيءَ، وَلاَ آمَنُ ذلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ اللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحَنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلاَلَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

الشّرح: .. ومنها قوله عليه السلام: «فإنّي لست بفوقِ أنْ أخطىء»؛ هذا اعتراف منه عليه السلام بعَدم العِصمة، فإمّا أن يكون الكلام على ظاهره، أو يكون قاله على سبيل هضم النّفس كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ولا أنا إلّا أن يتداركني الله برحمته». (١١: ١٠٧ ـ ١٠٨)

(الخطبة: ٧٤) ومن كلام له عليه السلام: لمّا بلغه اتّهام بني أُميّة له بالمشاركة في دم عثمان: أَوَلَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي؟! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي. أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ، عَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ!

الشّرح: ..يقول عليه السلام: أَمَا كانَ في عِلْم بني أميّة بحالي ما ينهاها عن قَرْفي بدم عثمان! وحاله الّتي أشار إليها؛ وذكر أنّ عِلْمَهم بها يقتضي ألا يقرفوه بذلك؛ هي منزلته في الدّين الّتي لا منزلةَ أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصّادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته؛ في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. وقول النَّبيّ ﷺ: «أنتَ مِنّي بمنزلة هارون من موسى»، وذلك يقتضي عصمتَه عن الدّم الحرام؛ كما أنّ هارون معصوم عن مثل ذلك، وترادف الأقوال والأفعال من رسول الله ﷺ في أمره الّتي يضطرّ معها الحاضرون لها والمشاهدون إيّاها إلى أنّ مثله لا يجوز أن يسعى في إراقة دم أمير مسلم، لم يُحدِث حدثًا يستوجب به إحلالَ دمه.

وهذا الكلامُ صحيح معقول؛ وذاك أنّا نَرى مَن يُظهر ناموس الدّين، ويواظب على نوافل العبادات، ونشاهِد مِنْ وَرَعِه وتقواه ما يتقرّر معه في نفوسنا استشعارَه الدّين، واعتقاده إيّاه، فيصرفنا ذلك عن قَرْفه بالعيوب الفاحشة، ونستبعد مع ذلك طَعْنَ مَنْ يطعن فيه، ونُنكِرُه ونأباه ونكذّبه؛ فكيف ساغ لأعداء أمير المؤمنين عليه السلام، مع علمهم بمنزلته العالية في الدّين، الّتي لم يصل إليها أحد من المسلمين، أن يُطلِقوا ألسنَتهم فيه، وينسُبوه إلى قَتْل عثمان أو المالأة عليه؛ لاسيّما وقد اتّصل بهم، وثَبَت عندهم؛ أنّه كان من أنصاره لا من المجلِبين عليه، وأنّه كان أحسنَ الجماعة فيه قولًا وفعلًا. (٦: ١٦٩ ـ ١٧٠)

(الحكمة: ٣٢٧) وَ قَالَ عليه السلام لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَ قَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ ـ لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعنِي.

الشّرح: الإمام أفضل من الرعيّة رأيًا وتدبيرًا، فالواجب على مَنْ يشير عليه بأمرٍ فلا يقبله أن يطيعَ ويسلّم ويعلم أنّ الإمام قد عَرَف من المصلحة ما لم يعرف.

ولقد أحسن الصّابي في قوله في بعض رسائله: ولو لا فضلُ الرّعاة على الرَّعايا في بُعْدِ مَطْرَح النّظرة، واستشفاف عيب العاقبة، لتساوت الأقدام، وتقاربت الأفهام، واستغنى المأموم عن الإمام. (١٩: ٢٣٣)

١ـ الأحزاب/٣٣.

(كتابه: ٦) ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذلِكَ لِلّٰهِ رِضًا، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَاخَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى. وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ.

الشّرح: .. قد تقدّم ذكرُ هذا الكلام في أثناء اقتصاص مراسلة أمير المؤمنين عليه السلام معاويةَ بجرير بن عبد الله البَجَلِيّ، وقد ذكره أرباب السّيرة، كلُّهم، وأورده شيوخنا المتكلِّمون في كتبهم احتجاجًا على صحّة الاختيار، وكونه طريقًا إلى الإمامة، وأوّل الكتاب: «أمّا بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتْك وأنت بالشّام، لأنّه بايعني القومُ الّذين بايعوا . .»، إلى آخر الفصل.

و المشهور المرويّ: «فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعن أو رغبة»، أي رغبة عن ذلك الإمام الّذي وقع الاختيار له.

والمرويّ بعد قوله: «ولّاه الله بعد ما تولّى»، «وأصلاه جهنّمَ وساءت مصيرًا. وإنّ طلحةَ والزُّبَيرَ بايعاني ثمّ نقضا بَيْعتي، فكان نقضُهما كرِدّتهما، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقُّ وظهر أمر الله وهم كارهون. فادخل فيما دخلَ فيه المسلمون، فإنّ أحبّ الأمور إليّ فيك العافية، إلّا أن تتعرّض للبلاء، فإن تعرّضْتَ له قاتلتك، واستعنت بالله عليك، وقد أكثرتَ في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل النّاسُ فيه، ثمّ حاكم القوم إليّ أَحمِلْك وإيّاهم على كتاب الله، فأمّا تلك الّتي تريدها فخدْعة الصّبيّ عن اللّبن، ولعمري يا معاوية إن نظرت بعقلك. . :» إلى آخر الكلام.

وبعده: «واعلم أنّك من الطُّلقاء الّذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعترض بهم الشّورى، وقد أرسلتُ إليك جريرَ بن عبد الله البَجَليّ، وهو من أهل الإيمان والهجرة،

فبايع ولاقوّة إلّا بالله».

واعلم أنّ هذا الفصلَ دالّ بصريحه على كون الاختيار طريقًا إلى الإمامة كما يذكره أصحابنا المتكلّمون، لأنّه احتجّ على معاوية ببيعة أهل الحلّ والعَقْد له، ولم يراعِ في ذلك إجماعَ المسلمين كلّهم، وقياسه على بيعة أهل الحلّ والعَقْد لأبي بكر، فإنّه ما رُوعِي فيها إجماع المسلمين، لأنّ سعد بن عُبادة لم يبايعْ، ولاأحدٌ من أهل بيته وولده، ولأنّ عليًّا وبني هاشم ومَنِ انضوَى إليهم لم يبايعوا في مبدأ الأمر، وامتنعوا؛ ولم يتوقّف المسلمون في تصحيح إمامة أبي بكر وتنفيذ أحكامه على بيعتهم، وهذا دليل على صحّة الاختيار وكونه طريقًا إلى الإمامة، وأنّه لا يقدح في إمامته عليه السلام إمتناعُ معاوية من البيعة وأهل الشّام؛ فأمّا الإماميّة فتحملُ هذا الكتابَ منه عليه السلام على التّقيّة، وتقول: إنّه ما كان يمكنه أن يصرّح لمعاوية في مكتوبه بباطن الحال، ويقول له: أنا منصوص عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعهود إلى المسلمين أن أكون خليفةً فيهم بلا فصل، فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدّمين، وتفسد حاله مع الّذين بايعوه من أهل المدينة؛ وهذا القول من الإماميّة دعوى لو عضّدَها دليل لوجب أن يقال بها، ويُصار إليها؛ ولكن لادليل لهم على ما يذهبون إليه من الأصول الّتي تسوقهم إلى حَمْلِ هذا الكلام على التّقيّة.

فأمّا قوله عليه السلام: «وقد أكثرتَ في قَتَلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثمّ حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله»، فيجب أن يذكر في شرحه ما يقول المتكلّمون في هذه الواقعة.

قال أصحابنا المعتزلة رحمهم الله: هذا الكلام حقّ وصواب، لأنّ أولياء الدّم يجب أن يبايعوا الإمام ويدخلوا تحت طاعته، ثمّ يرفعوا خصومهم إليه، فإنْ حَكَم بالحقّ استديمت إمامته، وإن حادَ عن الحقّ انقضت خلافته، وأولياءُ عثمان الّذين هم بنُوه لم يبايعوا عليًّا عليه السلام، ولادَخَلوا تحت طاعته ثمّ، وكذلك معاويةُ ابنُ عمّ عثمان لم يبايعْ ولاأطاع؛ فمطالبتهم له بأن يقتصّ لهم من قاتلي عثمان قبل بيعتهم إيّاه وطاعتهم له

ظلم منهم وعدوان.

فإن قلت: هب أنّ القصاص من قتلة عثمان موقوفٌ على ما ذكره عليه السلام؛ أمَا كان يجبُ عليه لا من طريق القصاص أن ينهى عن المنكر! وأنتم تذهبون إلى أنّ النَهي عن المنكر واجب على مَنْ هو سُوقة، فكيف على الإمام الأعظم!

قلت: هذا غير وارد هاهنا، لأنّ النَهى عن المنكر إنّما يجب قبل وقوع المنكَر، لكيلا يقع، فإذا وقع المنكر، فأيّ نهى يكونُ عنه! وقد نهى عليّ عليه السلام أهلَ مصر وغيرَهم عن قتلِ عثمان قبل قتلِه مرارًا، ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغن شيئًا وتفاقم الأمر حتّى قُتِل؛ ولا يجب بعد القتل إلّا القصاص، فإذا امتنع أولياءُ الدَم من طاعة الإمام لم يجبْ عليه أن يقتصَّ من القاتلين، لأنّ القصاص حقّهم، وقد سقط ببغيهم على الإمام وخروجهم عن طاعته. وقد قلنا نحن فيما تقدّم: إنّ القصاص إنّما يجب على مَنْ باشر القتل؛ والّذين باشروا قتل عثمان قُتِلوا يوم قتل عثمان في دار عثمان، والّذين كان معاوية يطالبُهم بدم عثمان لم يباشروا القتل، وإنّما كثّروا السّواد وحَصَروا عثمان في الدّار، وأجلبوا عليه وشتموه وتوعّدوه، ومنهم مَنْ تسوّر عليه داره ولم ينزل إليه، ومنهم مَنْ نزل فحضر محضر قتله ولم يشرك فيه، وكلّ هؤلاء لا يجب عليهم القصاص في الشّرع. (١٤: ٣٥ ـ ٣٨)

(الخطبة: ٣٧) قال: . . . فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي، فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا المِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

الشّرح:.. وهو من قوله:« فنظرت في أمري...» إلى آخر الكلام، هذه كلمات مقطوعة من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه كان معهودًا إليه ألّا ينازعَ في الأمر، ولا يثيرَ فتنة، بل يطلبه بالرِفق؛ فإن حَصَل له وإلّا أمسك.

هكذا كان يقول عليه السلام، وقوله الحقّ، وتأويلُ هذه الكلمات: فنظرت فإذا طاعتِي لرسول الله صلى الله عليه وآله، أى وجوب طاعتي، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه.

قد سَبَقَت بيعتي للقوم؛ أي وجوب طاعة رسول الله ﷺ عليّ، ووجوب امتثالي أمرَه سابقٌ على بَيْعتي للقوم؛ فلا سبيلَ لي إلى الامتناع من البَيْعة؛ لأنّه ﷺ أمرَني بها.

وإذا الميثاق في عُنُقي لغيري؛ أى رسول الله ﷺ أخذ عليّ الميثاق بترك الشِّقاق والمنازعة، فلم يحلّ لي أن أتعدّى أمرَه، أو أخالف نهيَه.

فإن قيل: فهذا تصريح بمذهب الإماميّة.

قيل: ليس الأمر كذلك؛ بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديّين؛ لأنّهم يزعمون أنّه الأفضل والأحقّ بالإمامة، وأنّه لولا ما يعلمه الله ورسوله من أنّ الأصلح للمكلّفين من تقديم المفضول عليه، لكان مَنْ تقدّم عليه هالكًا، فرسول الله ﷺ أخبره أنّ الإمامة حقّه، وأنّه أولى بها من النّاس أجمعين، وأعلمه أنّ في تقديم غيره وصَبْره على التأخّر عنها مصلحةً للدّين راجعة إلى المكلّفين، وأنّه يجب عليه أن يُمسك عن طلبها، ويُغْضِي عنها لمن هو دون مَرْتَبته، فامتثل ما أمره به رسول الله ﷺ، ولم يخرِجه تقدّم مَنْ تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحقّ. وقد صرّح شيخنا أبو القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى بهذا، وصرّح به تلامذتُه، وقالوا: لو نازع عُقَيْب وفاة رسول الله ﷺ، وسلّ سيفه لحكّمنا بهلاك كلّ من خالفه وتقدّم عليه كما حكمنا بهلاك مَنْ نازعه حين أظهر نفسه، ولكنّه مالك الأمر، وصاحب الخلافة؛ إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق مَنْ ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القولُ بعدالة مَنْ أغضى له عليها، وحكمه في ذلك حكُم رسول الله ﷺ، لأنّه قد ثبت عنه في الأخبار الصّحيحة أنّه قال: «عليّ مع الحقّ، والحقّ مع عليّ، يدور حيثما دار»، وقال له غير مرّة: «حربُك حربِي وسِلْمك سِلْمي».

وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندي، وبه أقول. (٢: ٢٩٥ ـ ٢٩٧)

(الخطبة: ١٩٥) . . . أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَاللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَاحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ. وَالْسَّلاَمُ عَلَيْكُمَا سَلاَمَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ وَلاَسَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَعَنْ مَلاَلَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَعَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ.

الشّرح: ... واستخبِرْها الحال؛ أي عن الحال، فحذف الجار، كقولك: اخترت الرّجال زيدًا، أى من الرّجال، أى سَلْها عمّا جرى بعدك من الاستبداد بعقد الأمر دون مشاورتنا، ولايدلّ هذا على وجود النصّ، لأنّه يجوز أن تكون الشّكوى والتّألّم من اطّراحهم وترك إدخالهم في المشاورة، فإنّ ذلك ممّا تكرهه النّفوس وتتألّم منه، وهجا الشّاعر قومًا، فقال:

وَيُقْضَى الأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلايُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ[1]

قوله: «هذا ولم يَطُل العهد، ولم يخلُق الذّكر» أى لم ينس.

فإن قلت: فما هذا الأمر الّذي لم ينسَ ولم يخلُق، إن لم يكن هناك نصّ؟

قلت: قوله ﷺ: «إنّي مخلّف فيكم الثّقلين»، وقوله: «اللّهمّ أدِرِ الحقّ معه حيث دار»، وأمثال ذلك من النّصوص الدالّة على تعظيمه وتبجيله ومنزلته في الإسلام، فهو عليه السلام كان يريد أن يؤخّر عَقْد البيعة إلى أن يحضر ويُستشار، ويقع الوفاق بينه وبينهم، على أن يكون العَقْد لواحدٍ من المسلمين بموجبه، إمّا له أو لأبي بكر، أو لغيرهما، ولم يكن ليليقَ أن يبرم الأمر وهو غير حاضر له، مع جلالته في الإسلام، وعظيم أثره، وما ورد في حقّه من وجوب موالاته والرّجوع إلى قوله وفعله، فهذا هو الّذي كان ينقِم عليه السلام، ومنه كان يتألّم ويُطِيل الشّكوى، وكان ذلك في موضعه.

---

١ ـ لجرير، من قصيدة له في ديوانه ١٦٠ـ١٦٦، يهجو فيها التّيم، قبيل عمر بن لجأ. وشهود، أى حاضرين.

وما أنكر إلّا منكرًا. فأمّا النّصّ فإنّه لم يذكره ﷺ، ولا احتجّ به، ولما طال الزّمان صَفَح عن ذلك الاستبداد الّذي وقع منهم، وحضر عندهم فبايعهم، وزال ما كان في نفسه.

فإن قلت: فهل كان يسوغُ لأبي بكر، وقد رأى وثوبَ الأنصار على الأمر أن يؤخّره إلى أن يخرج ﷺ ويحضر المشورة؟

قلت: إنّه لم يلمْ أبا بكرٍ بعينه، وإنّما تألّم من استبداد الصّحابة بالأمر دون حضوره ومشاورته. ويجوز أن يكون أكثر تألمّه وعتابه مصروفًا إلى الأنصار الّذين فتحوا باب الاستبداد، والتّغلّب. (١٠: ٢٧٠ ـ ٢٧١)

[قال بعد ذكر رسالة أبي بكر لعليّ في شأن الخلافة، رواية أبي حامد المرورّوذيّ:]

قلت: الّذي يغلب على ظنّي أنّ هذهِ المراسلات والمحاورات والكلام كلّه مصنوع موضوع، وأنّهُ من كلام أبي حيّان التّوحيديّ، لأنّه بكلامه ومذهبه في الخطابة والبلاغة أشبَه، وقد حفظنا كلامَ عمر ورسائله، وكلام أبي بكر وخُطبه، فلم نجدهما يذهبان هذا المذهب، ولا يسلكان هذا السَّبيل في كلامهما، وهذا كلام عليه أثر التّوليد ليس يخفى، وأين أبو بكر وعمر من البديع وصناعة المحدّثين! ومَنْ تأمّل كلامَ أبي حيّان عرف أنّ هذا الكلام من ذلك المعدِن خرج؛ ويدلّ عليه أنّه أسنده إلى القاضي أبي حامد المرورّوذيّ[1]؛ وهذه عادته في كتاب «البصائر» يسند إلى القاضي أبي حامد كلّ ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه، إذا كان كارهًا لأنْ ينسب إليه، وإنّما ذكرناه نحن في هذا الكتاب، لأنّه وإن كان عندنا موضوعًا منحولًا،

---

١ ـ هو أحمد بن عامر بن بشر بن حامد أبو حامد المرورّوذيّ؛ أحد فقهاء الشّافعيّة؛ ترجم له ابن خلّكان ١: ١٨، ١٩ توفّي سنة ٣٦٢.

فإنّه صورة ما جرت عليه حال القوم، فهم وإن لم ينطقوا به بلسان المقال، فقد نطقوا به بلسان الحال.

وممّا يوضّح لك أنّه مصنوع، أنّ المتكلّمين على اختلاف مقالاتهم من المعتزلة والشّيعة والأشعريّة وأصحاب الحديث، وكلّ مَنْ صنّف في علْم الكلام والإمامة لم يذكر أحد منهم كلمة واحدة من هذه الحكاية، ولقد كان المرتضى رحمه الله يلتقِطُ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام اللّفظة الشّاذّة، والكلمة المفردة الصّادرة عنه عليه السلام، في معرض التّألّم والتّظلّم، فيحتجّ بها، ويعتمِد عليها، نحو قوله: «مازلت مظلومًا مذ قبِض رسول الله حتّى يوم النّاس هذا».

وقوله: «لقد ظُلِمْت عَدَد الحجر والمَدر».

وقوله: «إنّ لنا حقًّا إن نعطَه نأخذه، وإن نُمنعْه نركبْ أعجازَ الإبل، وإن طال السُّرى».

وقوله: «فصبرتُ وفي الحلْق شجًا، وفي العين قذًى».

وقوله : «اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش فإنّهم ظلموني حقّي، وغصبوني إرْثي».

وكان المرتضى إذا ظفر بكلمة من هذه، فكأنّما ظفر بملْك الدّنيا ويودِعها كتُبه وتصانيفه، فأين كان المرتضى عن هذا الحديث! وهلا ذُكِر في كتاب «الشّافي في الإمامة» كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا، وكذلك من قبله من الإماميّة كابن النّعمان، وبني نُوبخت، وبني بابويه وغيرهم، وكذلك مَنْ جاء بعده من متأخّرى متكلّمي الشّيعة وأصحاب الأخبار والحديث منهم إلى وقتنا هذا! وأين كانَ أصحابُنا عن كلام أبي بكر وعمر له عليه السلام! وهلّا ذكره قاضي القضاة في «المغني» مع احتوائه على كلّ ما جرى بينهم حتّى إنّه يمكن أن يجمع منه تاريخ كبير مفرد في أخبار السّقيفة! وهلّا ذكره مَنْ كان قبل قاضي القضاة مَنْ مشايخنا وأصحابنا ومَنْ جاء بعده من متكلّمينا ورجالنا! وكذلك القول في متكلّمي الأشعريّة وأصحاب الحديث كابن الباقلانيّ وغيره، وكان ابنُ الباقلانيّ شديدًا على الشّيعة، عظيم العصبيّة عَلَى أمير المؤمنين عليه السلام،

فلو ظفرَ بكلمة من كلام أبي بكر وعمر في هذا الحديث لملأ الكتب والتّصانيف بها، وجعلها هِجّيرَاه ودَأْبه.

والأمر فيما ذكرناه في وضع هذه القصّة ظاهر لمن عنده أدنى ذوق من علم البيان، ومعرفة كلام الرّجال، ولمن عنده أدنى معرفة بعلم السِّيَر، وأقلّ أنس بالتّواريخ.

(١٠: ٢٨٥ ـ ٢٨٧)

(كتابه: ٦٢)... فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ بِيَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ، كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ.

الشّرح:... قال ما يخطر لي ببالٍ أنّ العرب تَعدِل بالأمر بعد وفاة محمّد ﷺ عن بني هاشم، ثمّ من بني هاشم عنّي؛ لأنّه كان المتيقّن بحكم الحال الحاضرة. وهذا الكلام يدلّ على بُطلان دعوَى الإماميّة النصّ وخصوصًا الجليّ.

قال: «فما راعنى إلّا انثيال النّاس»، تقول للشّيء يفْجَؤك بغتَةً: ما راعني إلّا كذا، والرَّوْع بالفتح: الفَزَع، كأنّه يقول: ما أفزعني شيءٌ بعد ذلك السّكون الّذي كان عندي، وتلك الثّقة الّتي اطمأنَنْتُ إليها إلّا وقوعُ ما وقع من انثيال النّاس ـ أى انصبابهم من كلّ وجه كما ينثال التُّراب ـ على أبي بكر، وهكذا لفظ الكتاب الّذي كتبه للأشتر، وإنّما النّاس يكتبونه الآن «إلى فلان» تذمّما من ذكر الاسم كما يكتبون في أوّل الشِقْشِقيّة: «أمَا والله لقد تقمّصها فلانٌ»، واللّفظ «أمَا الله لقد تقمّصها ابن أبي قُحافة».

قوله: «فأمسكتُ بيدي»، أى أمتنعتُ عن بيعته، حتّى رأيت راجعة النّاس، يعنى

أهل الرّدة كمسيلمة، وسَجاح وطُليحة بن خويلد ومانعي الزّكاة؛ وإن كان مانعوا الزّكاة قد اختلف في أنّهم أهل رِدّة أم لا . . .

رَوَى أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في التّاريخ الكبير أنّ رسول الله ﷺ لمّا مات اجتمعت أسدٌ وغطفانُ وطيّئ على طُلَيْحَة بن خُويلد إلّا ما كان من خواصّ أقوامٍ في الطّوائف الثّلاث فاجتمعَتْ، أسد بسَمِيْراء، وغَطَفان بَجنوب طيّبة[1] وطيّئ في حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن أسد ومن يليهم من قيس بالأبرق[2] من الرَّبَذة، وتأشّب[3] إليهم ناسٌ من بني كنانة، ولم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين: أقامت إحداهما بالأبرق، وسارت الأخرى إلى ذي القَصّة، وبعثوا وفودًا إلى أبي بكر يسألونه أن يقارّهم على إقامة الصّلاة ومنع الزّكاة، فعزم الله لابي بكر على الحقّ، فقال: لو مَنَعوني عِقالًا[4] لجاهدْتُهم عليه، ورجع الوفودُ إلى قومهم فأخبروهم بقِلّة من أهل المدينة، فأطمعوهم فيها وعلم أبو بكر والمسلمون بذلك، وقال لهم أبو بكر: أيّها المسلمون، إنّ الأرض كافرة، وقد رأى وفدُهم منكم قِلّة، وإنّكم لا تدرون أليلًا تُؤْتَوْن أم نهارًا، وأدناهم منكم عَلَى بريد، وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونُوادِعَهم، وقد أبينا عليهم، ونبذْنا إليهم، فأَعِدّوا واستَعِدّوا. فخرج عليّ عليه السلام بنفسه، وكان على نَقْب من أنقاب المدينة، وخرج الزّبير وطلحة وعبد الله بن مسعود وغيرُهم فكانوا على الأنقاب الثّلاثة، فلم يلبثوا إلّا قليلًا حتّى طرق القومُ المدينة غارة مع اللّيل، وخلّفوا بعضهم بذي حُسًى ليكونوا ردءًا لهم فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أن الزموا مكانكم ففعلوا، وخرج أبو بكر في جمع من أهل المدينة

---

١ ـ في الأصول: «طمية» والصّواب ما أثبته من تاريخ الطّبريّ.

٢ ـ في الأصول: «الأزرق»، والصّواب ما أثبته من الطّبريّ.

٣ ـ تأشّبوا إليهم: انضمّوا.

٤ ـ أراد بالعقال الحبل الّذي يعقل به البعير الّذي كان يؤخذ في إبل الصّدقة. وانظر نهاية ابن الأثير.

على النّواضح، فانتشر العدوّ بين أيديهم، واتّبعهم المسلمون على النّواضح حتّى بلغوا ذا حُسًى فخرج، عليهم الكَمين بأنحاء[١] قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثمّ دَهْدَهوها دَهْدَهوها بأرْجُلهم في وجوه الإبل، فتَدَهْدَه[٢] كلّ نَحْيٍ منها في طِوَله[٣] فنفرتْ إبلُ المسلمين، وهم عليها ـ ولاتنفر الإبلُ من شيء نفارَها من الأنحاء فعاجَت بهم لا يملكونها حتّى دخلتْ بهم المدينة، ولم يصرع منهم أحد ولم يُصَب، فبات المسلمون تلك اللّيلة يتهيّئون، ثمّ خرجوا على تعبية، فما طلع الفجرُ إلّا وهم والقومُ على صعيد واحد، فلم يَسمَعوا للمسلمين حِسًّا ولاهَمْسًا حتّى وضعوا فيهم السَّيف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذَرّ قرنُ الشّمس إلّا وقد وَلّوا الأدبار وغلبوهم على عامّة ظهرهم، ورجعوا إلى المدينة ظافرين[٤].

قلت: هذا هو الحديث الّذي أشار عليه السلام إلى أنّه نهض فيه أيّام أبي بكر. وكأنّه جوابٌ عن قول قائل: إنّه عمل لأبي بكر، وجاهد بين يدى أبي بكر، فبيّن عليه السلام عذرَه في ذلك، وقال: إنّه لم يكن كما ظنّه القائل، ولكنّه من باب دَفْع الضّرر عن النّفس و عن الدّين، فإنّه واجبٌ سواء كان للنّاس إمام أو لم يكن. (١٧: ١٥٢ ـ ٥٤)

(الحكمة: ١٥٧) وَ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ فِى جَهَالَتِهِ.

الشّرح: يعنى نفسَه عليه السلام؛ وهو حقّ على المذهَبين جميعًا، أمّا نحن فعندنا أنّه إمامٌ واجبُ الطّاعة بالاختبار، فلا يُعذَر أحدٌ مِن المكلّفين في الجهل بوجوب طاعته، وأمّا على مذهبِ الشّيعة فلأنّه إمامٌ واجبُ الطّاعة بالنّص، فلا يُعْذَر أحدٌ من

---

١ ـ الأنحاء: جمع نحى، وهو الزّقّ.

٢ ـ دهدهوها: دفعوها.

٣ ـ الطّول: الحبل يشدّ به.

٤ ـ تاريخ الطّبريّ ٣: ٢٤٤ (طبعة المعارف) مع تصرّف واختصار.

المكلّفين في جَهالة إمامته، وعندهم أنّ معرفة إمامته تَجري مجرى معرفةِ محمّد ﷺ وَمَجرى معرفة الباري سبحانه، ويقولون: لاتصحّ لأحد صلاةٌ ولاصَومٌ ولاعبادة إلّا بمعرفة الله والنّبيّ والإمام.

وعلى التّحقيق، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى، لأنّ من جَهل إمامة عليّ عليه السلام وأنكرَ صِحّتها ولزومها، فهو عند أصحابنا مخلّد في النّار، لا ينفعه صوم ولا صلاة، لأنّ المعرفة بذلك من الأصول الكلّيّة الّتي هي أركانُ الدّين ولكنّا لا نُسمّي مُنكر إمامته كافرًا، بل نسمّيه فاسقًا، وخارجيًا، ومارقًا، ونحو ذلك، والشّيعة تسميه كافرًا، فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو في اللّفظ لا في المعنى. (١٨: ٣٧٣)

الفصل التّاسع ـ[اختلاف الفِرَق الإسلاميّة في كون الأئمّة من قريش]

(الخطبة: ١٤٤) ...إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيشٍ غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

الشّرح: ثمّ قال: إنّ الأئمّة من قريش . . . إلى آخر الفصل.

وقد اختلف النّاس في اشتراط النّسب في الإمامة، فقال قوم من قدماء أصحابنا: إنّ النّسَب ليس بشرط فيها أصلًا، وإنّها تصلح في القرشيّ وغير القرشيّ إذا كان فاضلًا مستجمعًا للشرائط المعتبرة، واجتمعت الكلمة عليه، وهو قول الخوارج.

وقال أكثرُ أصحابنا: وأكثرُ النّاس أنّ النّسب شرط فيها، وأنّها لا تصلح إلّا في العرب خاصّة؛ ومن العرب فقريش خاصّة. وقال أكثرُ أصحابنا: معنى قول النّبي ﷺ: «الأئمة من قريش» إنّ القرشيّة شرط إذا وُجِد في قريش من يصلح للإمامة؛ فإن لم يكن فيها مَنْ يصلح، فليست القرشيّة شرطًا فيها.

وقال بعضُ أصحابنا: معنى الخَبر أنّه لا تخلُو قريش أبدًا ممّن يصلح للإمامة، فأوجبوا بهذا الخبر وجود مَنْ يصلُح من قريش لها في كلّ عصر وزمان.

وقال معظم الزّيديّة: إنّها في الفاطميّين خاصّة من الطّالبيّين، لا تصلُح في غير البطنيْن، ولاتَصحّ إلّا بشرط أن يقومَ بها ويدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس. وبعض الزّيديّة يجيز الإمامة في غير الفاطميّين من ولد عليّ عليه السلام؛ وهو من أقواهم الشّاذّة.

وأمّا الرّاونديّة فإنّهم خَصَّصُوها بالعبّاس رحمه الله وولده من بين بطون قريش كلّها؛ وهذا القول الّذي ظهر في أيّام المنصور والمهديّ، وأمّا الإماميّة فإنّهم جعلوها ساريةً في ولد الحسين عليه السلام في أشخاصٍ مخصوصين، ولاتصلح عندهم لغيرهم. وجعلها الكيْسانيّة في محمّد بن الحنفيّة وولده، ومنهم مَنْ نقلها منه إلى ولد غيره.

فإن قلت: إنّك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزلة وأصولهم، فما قولك في هذا الكلام وهو تصريح بأنّ الإمامة لا تصلح من قريش إلّا في بني هاشم خاصّة، وليس ذلك بمذهب للمعتزلة؛ لا متقدّميهم ولامتأخّريهم!

قلت: هذا الموضع مشكل، و لي فيه نظر؛ وإن صحّ أنّ عليًّا عليه السلام، قاله، قلت كما قال، لأنّه ثبت عندي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «إنّه مع الحقّ وإنّ الحقّ يدور معه حيثما دار»، ويمكن أن يتأوّل ويطبق على مذهب المعتزلة فيحمل على أنّ المراد به كمالُ الإمامة كما حمِل قوله صلى الله عليه وآله: «لا صلاة لجارِ المسجد إلّا في المسجد»، على نفي الكمال،لا على نفي الصّحّة. (٩: ٨٧ ـ ٨٨)

(الخطبة: ١٦٣) ومن كلام له عليه السلام لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟ فقال عليه السلام:

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ. إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الْإِسْتِبْدادُ عَلَيْنَا بِهذَا الْمَقامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَبًا، وَالْأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ صلى الله عليه وآله نَوْطًا، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا

نُفوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللهُ، وَالْمَعْوَدُ[1] إِلَيْهِ يَوْمُ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْبًا صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حَدِيثًا مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلاَ غَرْوَ وَاللهِ، فَيَا لَهُ خَطْبًا يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ! حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْبًا وَبِيئًا، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى، أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

الشّرح: . . . ثمّ قال: فإن كشف الله تعالى هذه المحنَ الّتي يحصل منها ابتلاء الصّابرين والمجاهدين، وحصل لي التّمكّن من الأمر، حملتُهم على الحقّ المحض الّذي لا يمازجُه باطل، كاللّبن المحْضِ الّذي لا يخالطه شئ من الماء، وإنْ تَكُن الأخرى، أي وإنْ لم يكشف الله تعالى هذه الغمّة ومتّ أو قتلت ـ والأمور على ماهي عليه من الفتنة ودولة الضّلال ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾؛ والآية من القرآن العزيز[2].

وسألت أبا جعفر يحيى بن محمّد العلويّ نقيب البصرة، وقت قراءتي عليه، عن هذا الكلام، وكان رحمه الله على ما يذهب إليه من مذهب العَلَويّة منصفًا وافر العقل، فقلت له: مَنْ يعنى عليه السلام بقوله: «كانتْ أَثَرة شحَّت عليها نفوس قوم، وسَخَت عنها نفوس آخرين؟» ومَن القومُ الّذين عناهم الأسديّ بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به»؟ هل المرادُ يوم السّقيفة أو يوم الشّورى؟ فقال: يوم

---

١ ـ المعود، بسكون العين وفتح الواو؛ كذا ضبطت في اللّسان. وفي النّهاية لابن الأثير: هكذا جاء «المعود» على الأصل؛ وهو «مفعل»، من عاد يعود، ومن حقّ أمثاله أن تقلب واوه ألفًا كالمقام والمراح ولكنّه استعمله على الأصل.

٢ ـ فاطر/٨.

السّقيفة؛ فقلت : إنّ نفسي ـ لا تسامحني أن أنسُب إلى الصَّحابة عصيان رسول الله ﷺ ودفع النَّص. فقال: وأنا فلا تسامحني أيضًا نفسي. أن أنسب الرَّسول ﷺ إلى إهمال أمر الإمامة، وأنْ يُتركَ النّاس فوضى سُدًى مهمَلين؛ وقد كان لا يغيبُ عن المدينة إلّا ويؤمّر عليها أميرًا وهو حيّ ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمّر وهو ميّت لا يقدر على استدراك ما يحدُث!

ثمّ قال: ليس يشكّ أحدٌ من النّاس أنّ رسول الله ﷺ كان عاقلًا كامل العقل، أمّا المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم؛ وأمّا اليهود والنّصارى والفلاسفة فيزعمون أنّه حكيم تامّ الحكمة، سديد الرَّأي، أقام ملّة، وشرَع شريعة، فاستجدّ ملكًا عظيمًا بعقله وتدبيره؛ وهذا الرّجل العاقل الكامل يعرفُ طباع العرب وغرائزهم وطلبَهم بالثّارات والذُّحول؛ ولو بعد الأزمان المتطاولة. ويقتُل الرَّجل من القبيلة رجلًا من بيت آخر، فلا يزال أهلُ ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه؛ حتّى يدركوا ثأرهم منه؛ فإن لم يظفروا به قَتَلُوا بعضَ أقاربه وأهله، فإنْ لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحدًا أو جماعة من تلك القبيلة به وإن لم يكونوا رهطه الأدنين. والإسلام لم يُحِلّ طبائعهم، ولا غيّر هذه السّجيّة المركوزة في أخلاقهم، والغرائز بحالها، فكيف يتوهّم لبيب أنّ هذا العاقل الكامل وَتَر العرب، وعلى الخصوص قريشًا، وساعدَهُ على سَفْك الدِّماء وإزهاق الأنفس وتقلّد الضّغائن ابنُ عمّه الأدنى وصهرُه، وهو يعلم أنّه سيموت كما يموت النّاس، ويتركه بعدَه وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عندَه مَجْرَى ابنيْن من ظَهْره حُنوًّا عليهما، ومحبّة لهما، ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينصّ عليه ولا يستخلفه، فيحقِنُ دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلمُ هذا العاقل الكامل؛ أنّه إذا تركه وترك بنيه وأهلَه سُوقَةً ورعيّة؛ فقد عرَّض دماءهم للإراقة بعده؛ بل يكونُ هو ﷺ هو الّذي قتله، وأشاط[1] بدمائهم، لأنّهم لا يعتصمون بعده بأمر يحميهم؛ وإنّما

---

١ ـ أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

يكونون مضغةً للآكل وفريسةً للمفترِس، يتخطّفهم النّاس، وتبلُغ فيهم الأغراض! فأمّا إذا جَعَل السُّلطان فيهم، والأمر إليهم؛ فإنّه يكون قد عَصَمهم وحَقَن دماءهم بالرّياسة الّتي يَصُولون بها، ويرتدع النّاس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتّجربة. ألا ترى أنّ ملِك بغداد أو غيرها من البلاد لو قَتَل النّاس و وتَرَهم، وأبقَى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثمّ أهمل أمر ولده وذريّته من بعده، وفَسَح للنّاس أن يقيموا مَلِكًا من عُرْضِهم، وواحدًا منهم، وجعل بنيه سوقَةً كبعض العامّة، لكان بنوه بعده قليلًا بقاؤهم، سريعًا هلاكهم، و لَوثَب عليهم النّاس ذوو الأحقاد والتِّرات من كلّ جهة، يقتلونهم ويشرّدونهم كلّ مشرَّد. ولو أنّه عَيّن ولدًا من أولاده للْملك، وقام خواصّه وخدمه وخَوَلُه بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بَيْته، ولم تطلْ يد أحد من النّاس إليهم لناموس الملك، وأبهّة السلطنة، وقوّة الرّياسة وحرمة الإمارة!

أفترى ذهب عَنْ رسول الله ﷺ هذا المعنى؛ أم أحبّ أن يُستأصل أهله وذرّيته من بعده! وأين موضعُ الشَّفَقة علَى فاطمة العزيزة عنده، الحبيبة إلى قلبه!

أتقول: إنّه أحبّ أن يجعلها كواحدةٍ من فقراء المدينة تتكفّفُ النّاس، وأن يجعل عليًّا ، المكرّم المعظَّم عنده، الّذي كانت حاله معه معلومةً، كأبي هريرة الدَّوْسِيّ وأنس ابن مالك الأنصاريّ، يحكّم الأمراء في دمه وعرْضِه ونفسه وولده، فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول؛ تتلظّى أكباد أصحابها عليه، ويودُّون أن يشربُوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم؛ قد قتل أبناءَهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامَهم، والعهدُ لم يَطُلْ، والقروح لم تتقرّف[1] والجروح لم تندمل!

فقلت له: لقد أحسنتَ فيما قلت، إلّا أن لفظه عليه السلام يدلّ على أنّه لم يكن نصّ عليه، ألا تراه يقول: «ونحنُ الأَعْلون نسبًا، والأشدُّون بالرَّسول نَوْطًا»، فجعل الاحتجاج بالنَّسَب وشدّة القرْب؛ فلو كان عليه نصّ، لقال عِوَض ذلك: «وأنا

---

١ ـ تتقرّف الجرح: طلعت فوقه قشرة، أى شارف البرء.

المنصوص عليّ، المخطوب باسمي».

فقال رحمه الله: إنّما أتاه من حيثُ يعلم، لا من حيث يجهل؛ ألَا ترى أنه سأله، فقال: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحقّ به؟ فهو إنّما سأل عن دفعهم عنه؛ وهم أحقّ به من جهة اللّحمة والعِتْرة؛ ولم يكن الأسديُّ يتصوّر النّصّ ولا يعتقده، ولا يخطر بباله، لأنّه لو كان هذا في نفسه، لقال له: لم دَفَعك النّاس عن هذا المقام، وقد نصّ عليك رسول الله ﷺ؟ ولم يَقُل له هذا، وإنّما قال كلامًا عامًّا لبني هاشم كافّة: كيف دفعكم قومُكم عن هذا وأنتم أحقّ به! أى باعتبار الهاشميّة والقربَى. فأجابه بجوابٍ أعاد قبله المعنى الَّذي تعلّق به الأسديّ بعينه؛ تمهيدًا للجواب، فقال: إنّما فعلوا ذلك مع أنّا أقربُ إلى رسول الله ﷺ من غيرنا لأنّهم استأثروا علينا، ولو قال له: أنا المنصوص عليّ، والمخطوب باسمِي في حياة رسول الله ﷺ، لما كان قد أجابه، لأنّه ما سأله: هل أنت منصوص عليك أم لا؟ ولا هل نصّ رسول الله ﷺ بالخلافة على أحد أم لا؟ وإنّما قال: لم دَفَعكم قومُكم عن الأمر وأنتم أقرب إلى ينبوعه ومعدنه منهم؟ فأجابه جوابًا ينطبق عليّ السّؤال ويلائمه أيضًا، فلو أخذ يصرّح له بالنّصّ، ويعرّفه تفاصيل باطن الأمر لنَفَر عنه، واتّهمه ولم يقبل قوله، ولم ينجذب إلى تصديقه؛ فكان أولى الأمور في حكم السّياسة وتدبير النّاس؛ أن يجيب بما لا نُفرة منه ولا مطعن عليه فيه. (٩: ٢٤٨ ـ ٢٥١)

(الخطبة: ١٧٣) منها: وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ. فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللهِ لأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلاءِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لاَ يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

[الاستنصار على قريش] اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ! فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ

أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

الشّرح: هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جَرى يوم الشُّورى بعد مقتَل عمر. والّذي قال له: «إنّك على هذا الأمر لحريص» سَعْد بن أبي وقّاص، مع روايته فيه: «أنت مِنّي بمنزلة هارون من موسى»، وهذا عجب؛ فقال لهم: بل أنتم والله أحرصُ و أبعد . . . الكلام المذكور. وقد رواه النّاس كافّة.

وقالت الإماميّة: هذا الكلام يوم السّقيفة، والّذي قال له: إنّك على هذا الأمر لحريص، أبو عبيدة بن الجرّاح؛ والرّواية الأولى أظهر وأشهر. . .

قطعوا رحِمي: لم يرعَوْا قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وصغّروا عظيم منزلتي: لم يقفوا مع النّصوص الواردة فيه.

وأجمعوا على منازعتي أمرًا هو لي، أى بالأفضليّة أنا أحقّ به منهم؛ هكذا ينبغي أن يتأوّل كلامه.

وكذلك قوله: « إنّما أطلب حقًّا لي وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه». قال: «ثمّ قالوا: ألَا إنّ في الحقّ أن تأخُذَه وفى الحقّ أن تتركه»،قال: لم يقتصروا على أخذ حَقّي ساكتين عن الدّعْوى؛ ولكنّهم أخذوه و ادّعوا أنّ الحقّ لهم. وأنّه يجبُ علىّ أن أترك المنازعة فيه؛ فليتهم أخذوه معترفين بأنّه حقّي، فكانت المصيبةُ به أخفّ وأهون.

واعلم أنّه قد تواترت الأخبار عنه عليه السلام بنحوٍ من هذا القول، نحو قوله: «ما زلتُ مظلومًا منذ قبضَ الله رسولَه حتّى يوم النّاس هذا».

وقوله: «اللّهمّ أخزِ قريشًا فإنّها منعتْني حقّي، وغصبتْني أمري».

وقوله: «فجزى قريشًا عنّي الجوازِي، فإنّهم ظلموني حقّي، واغتصبوني سلطان ابن أمّي».

وقوله، وقد سمع صارخًا ينادي: أنا مظلوم، فقال: «هلمّ فلنصرُخ معًا، فإنّي

ما زلتُ مظلومًا».

وقوله: «وإنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرَّحى».

وقوله: « أرى تراثي نهبًا».

وقوله: «أصغيا بإنائنا، وحَمَلا النّاس على رقابنا».

وقوله: «إنّ لنا حقًّا إن نُعْطَه نأخذه، وإن نمنعَه نركب أعجاز الإبل؛ وإن طال السُّرَى». وقوله: «مازلت مستأثرًا عليّ، مدفوعًا عمّا أستحقّه وأستوجبه».

وأصحابنا يحملون ذلك كلّه على ادّعائه الأمر بالأفضليّة والأحقيّة؛ وهو الحقّ والصَّواب؛ فإنّ حمله على الاستحقاق بالنّصّ تكفيرٌ أو تفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار؛ ولكنّ الإماميّة والزّيديّة حملوا هذه الأقوال على ظواهرها، وارتكبوا بها مركَبًا صعبًا. ولعمري إنَّ هذه الألفاظ مُوهِمةٌ مغلّبة على الظَّنّ ما يقوله القوم؛ ولكن تصفّح الأحوال يبطل ذلك الظّنّ؛ ويدرأ ذلك الوهم، فوجب أن يجرىَ مجرى الآيات المتشابهات الموهمة مالا يجوز على البارىء، فإنّه لا نعمل بها، ولانعوّل على ظواهرها، لأنّا لما تصفّحنا أدلّة العقول اقتضت العدول عن ظاهر اللّفظ، وأنْ تحمل على التّأويلات المذكورة في الكتب.

وحدّثني يحيى بن سعيد بن على الحنبليّ المعروف بابن عالية، من ساكني قَطُفْتا[1] بالجانب الغربيّ من بغداد، وأحد الشّهود المعدّلين بها، قال: كنت حاضرًا الفخر إسماعيل بن عليّ الحنبليّ الفقيه المعروف بغلام ابن المنى، وكان الفخر إسماعيل بن عليّ هذا، مقدّم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف؛ ويشتغل بشىء في علم المنطق، وكانَ حُلْوَ العبارة، وقد رأيته أنا وحضرت عنده، وسمعت كلامه، وتوفّى سنة عشر وستّمائة.

---

١ ـ قطفتا: بالفتح ثمّ الضّمّ والفاء ساكنة وتاء مثنّاة والقصر: محلّة بالجانب الغربيّ من بغداد، بينها وبين دجلة أقلّ من ميل (مراصد الاطّلاع).

قال ابن عالية: ونحن عنده نتحدّث؛ إذ دخل شخص من الحنابلة، قَدْ كان له دَيْن على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به، واتّفقَ أن حضرت زيارة يوم الغدير، والحنبليّ المذكور بالكوفة؛ وهذه الزّيارة هي اليوم الثّامن عشر من ذي الحجّة، ويجتمع بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام من الخلائق جُموعٌ عظيمة؛ تتجاوز حدّ الإحصاء.

قال ابن عالية: فجعل الشّيخ الفخري سائل ذلك الشّخص: ما فعلت؟ ما رأيت؟ هل وصل مالك إليك؟ هل بقيَ لك منه بقيّة عند غريمك؟ وذلك يجاوبه؛ حتّى قال له: يا سيّدي لو شاهدتَ يوم الزّيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضائح والأقوال الشّنيعة وسبّ الصّحابة جِهارًا بأصوات مرتفعة من غير مراقبة ولا خيفة! فقال إسماعيل: أيّ ذنب لهم! والله ما جرّأهم على ذلك، ولا فَتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذلك القبر! فقال ذلك الشّخص: ومَنْ صاحب القبر؟ قال: عليّ بن أبي طالب! قال: يا سيّدي، هو الّذي سنّ لهم ذلك، وعلّمهم إيّاه وطرّقهم إليه! قال: نعم والله، قال: يا سيّدي فإن كان محقًّا فما لنا أن نتولّى فلانًا وفلانًا! وإن كان مبطلًا فما لنا نتولّاه! ينبغي أن نبرأ إمّا منه أو منهما.

قال ابن عالية: فقام إسماعيل مسرعًا، فلبس نعليه، وقال: لعن الله إسماعيل الفاعل إنْ كان يعرف جواب هذه المسألة، ودخل دار حرمه، وقمنا نحن وانصرفنا.
(٩: ٣٠٥ ـ ٣٠٨)

الفصل العاشر ـ [رأي المعتزلة في عليّ عليه السلام و الصّحابة]

هذا محصول قولِ النّقيب أبي جعفر رحمه الله، قد حكيته والألفاظ لي والمعنى له؛ لأنّي لا أحفظ الآن ألفاظه بعينها، إلّا أنّ هذا هو كان معنى قوله وفحواه، رحمه الله. وكان لا يعتقد في الصّحابة ما يعتقده أكثر الإماميّة فيهم، ويسفّه رأيَ مَنْ يذهب فيهم إلى النّفاق والتّكفير. وكان يقول: حكمهم حُكْم مسلم مؤمن، عَصَى في بعض الأفعال وخالف الأمر، فحكمه إلى الله، إنْ شاء آخذه، وإن شاء غفر له.

قلت له مَرّة: أفتقولُ إنّهما من أهل الجنّة؟ فقال: إى والله! أعتقد ذلك، لأنّهما إمّا أن يعفوَ الله تعالى عنهما ابتداء أو بشفاعة الرّسول ﷺ، أو بشفاعة عليّ عليه السلام، أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثمّ ينقلهما إلى الجنّة؛ لا أستريب في ذلك أصلًا، ولا أشكُّ في إيمانهما برسول الله ﷺ وصحّةِ عقيدتهما.

فقلت له: فعثمان؟ قال: وكذلك عثمان. ثمّ قال: رحم الله عثمان! وهل كان إلّا واحدًا منّا، وغصنًا من شجرة عبد مناف! ولكنّ أهله كدّروه علينا، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا.

قلت له: فيلزمُك[1] على ما تراه في أمرِ هؤلاء أن تجوّزَ دخولَ معاوية الجنّة، لأنّه لم تكن منه إلّا المخالفة وترك امتثال الأمر النّبويّ!

فقال: كلّا؛ إنّ معاوية من أهلِ النّار، لا لمخالفته عليًّا، ولا بمحاربته إيّاه، ولكنّ عقيدتَه لم تكن صحيحة، ولا إيمانَه حقًّا، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلِمْ قلبُه قطّ، وإنّما أسلم لسانه؛ وكان يذكُرمِنْ حديث معاوية ومن فلَتات قوله، وما حفِظ عنه من كلامٍ يقتضى فساد العقيدة شيئًا كثيرًا، ليس هذا موضعَه فأذكره.

وقال لي مرّة: حاشَ لله أن يُثبتَ معاوية في جَريدة الشَّيْخيْن الفاضلين أبي بكر وعمر! والله ما هما إلّا كالذّهب الإبريز، ولا معاوية إلّا كالدّرهم الزّائف ـ أو قال: كالدّرهم القَسّيّ[2] ـ ثمّ قال لي: فما يقول أصحابُكم فيهما؟ قلت: أمّا الّذي استقرّ عليه رأىُ المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التّفضيل وغيره، أنّ عليًّا عليه السلام أفضلُ الجماعة، وأنّهم تركُوا الأفضلَ لمصلحة رأوْها؛ وأنّه لم يكن هناك نصٌّ يقطع العُذْر، وإنّما كانت إشارة وإيماء لا يتضمّن شئ منها صريحَ النّصّ، وإنّ عليًّا عليه السلام نازَع ثمّ بايع، وجمَح ثمّ استجاب. ولو أقام على الامتناع لم نقلْ بصحّة البيعة ولا بلزومها، ولو جرّد

---

١ ـ ب: «فيلزم لك».

٢ ـ درهم قسىّ، وتخفّف سينه، أى ردىء.

السَيف كما جرّده في آخِر الأمر لقلنا بفسق كلِّ مَن خالفه على الإطلاق، كائنا مَن كان، ولكنّه رضِيَ بالبيعة أخيرًا، ودخل في الطّاعة.

وبالجملة، أصحابنا يقولون: إنّ الأمر كان له، وكان هو المستحقّ والمتعيّن، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولّاه غيرَه، فلمّا رأيناه قد وافَق على ولاية غيره، اتّبعناه ورضِينا بما رضِيَ، فقال: قد بَقِيَ بيني وبينكم قليل؛ أنا أذهب إلى النّصّ وأنتم لا تذهبون إليه!

فقلت له: إنّه لم يثبت النّصّ عندنا بطريق يوجب العلم؛ وما تذكرونه أنتم صريحًا فأنتم تنفردون بنقله، وما عدَا ذلك من الأخبار الّتي نشارككم فيها، فلها تأويلات معلومة.

فقال لي وهو ضَجِر: يا فلان، لو فتحنا باب التّأويلات، لجاز أن يَتناول قولنا: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله»؛ دعنى من التأويلات الباردة الّتي تعلم القلوب والنّفوس أنّها غيرُ مرادة، وأنّ المتكلّمين تكلّفوها وتعسّفوها، فإنّما أنا وأنت في الدّار ولاثالث لنا، فيستحيي أحدُنا من صاحبه أويخافه.

فلمّا بلغنا إلى هذا الموضع؛ دخل قوم ممّن كان يخشاه؛ فتركنا ذلك الأسلوب من الحديث، وخضنا في غيره. (١٠: ٢٢٥ـ ٢٢٧)

... وإنّما روى قوله: «ولّيتكم ولستُ بخيركم».

واحتجّ بذلك من لم يشترط الأفضليّة في الإمامة. ومن رواها اعتذر لأبي بكر فقال: إنّما قال: أقيلوني، ليثَوِّر[1] ما في نفوس[2] النّاس من بيعته، ويَخبُر ما عندهم من ولايته، ولايته، فيعلم مريدهم وكارههم، ومحبّهم ومبغضهم. فلمّا رأى النّفوسَ إليه ساكنة، والقلوب لبيعته مذعنة، استمرّ على إمارته وحكَم حكم الخلفاء في رعيّته، ولم يكن منكرًا منه أن يعهد إلى من استصلحه لخلافته.

---

١ ـ يثور: يبحث.

٢ ـ ا: «قلوب».

قالوا: وقد جرى مثلُ ذلك لعلي عليه السلام، فإنّه قال للنّاس بعد قتل عثمان: دَعوني والتمسوا غيري، فأنا لكم وزيرًا خير منّي لكم أميرًا. وقال لهم: اتركوني، فأنا كأحدكم، بل أنا أسْمَعُكم وأطْوَعُكم لِمَنْ وليتموه أمركم، فأبوا عليه وبايعوه، فكرهها أوّلا، ثمّ عهد بها إلى الحسن عليه السلام عند موته.

قالت الإماميّة: هذا غير لازم، والفرق بين الموضعين ظاهر، لأنّ عليًّا عليه السلام لم يقل: إنّي لا أصلح، ولكنّه كره الفتنة، وأبو بكر قال كلامًا معناه: إنّي لا أصلح لها، لقوله: «لست بخيركم»، ومن نفى عن نفسه صلاحيتَّه للإمامة، لا يجوز أن يعهد بها إلى غيره.

واعلم أنّ الكلام في هذا الموضع مبنيّ على أنّ الأفضليّة هل هي شرط في الإمامة أم لا؟ وقد تكلّمنا في شرح «الغرر» لشيخنا أبي الحسين[1] رحمه الله تعالى في هذا البحث بما لا يحتمله هذا الكتاب. (١: ١٦٩)

قال أبو بكر [أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ صاحب كتاب السّقيفة]: وروى أبو زيد، عن حباب بن يزيد، عن جرير، عن المغيرة أنّ سلْمان والزّبير وبعضَ الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليًّا بعد النّبيّ عليه السلام، فلمّا بويع أبو بكر، قال سلْمانُ للصّحابة: أصبتم الخير؛ ولكن أخطأتم المعدِن. قال: وفي رواية أخرى: أصبتم ذا السّنّ منكم، ولكنّكم أخطأتم أهلَ بيت نبيّكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رَغَدًا.

قلت: هذا الخبر هو الّذي رواه المتكلّمون في باب الإمامة عن سلْمان أنّه قال: «كرديد ونكرديد»، تفسّره الشّيعة، فتقول: أراد أسلمتم وما أسلمتم، ويفسّره أصحابنا فيقولون معناه: أخطأتم وأصبتم. (٦: ٤٣)

قال جعفر[بن مكّيّ الحاجب]: فقلت [أي المؤلّف] له: أفتقول: لو أنّ عثمان خُلِع

---

١ ـ هو أبو الحسين محمّد بن على بن الطّيّب المتكلّم المعتزليّ؛ توفّى سنة ٤٣٦، وكتابه «غرر الأدلّة»، ذكره ابن خلّكان ١: ٤٨٢.

ولم يقتَل، أكان الأمرُ يستقيم لعليّ عليه السلام إذا بويع بعد خلعه؟ فقال: لا، وكيف يتوهَم ذلك بل يكون انتقاض الأمور عليه وعثمان حيّ مخلوع أكثَرَ من انتفاضها عليه بعد قتله؛ لأنّه موجود يُرجى ويُتوقّع عَوْده، فإن كان محبوسًا عَظُم البلاء والخطب، وهتف النّاس باسمه في كلّ يوم؛ بل في كلّ ساعة، وإن كان مُخَلًّى سِرْبُهُ، وممكّنًا من نفسه، وغير محولٍ بينه وبين اختياره، لجأ إلى بعض الأطراف، وذكر أنّه مظلوم غُصِبت خلافتُه، وقهِر على خلع نفسه؛ فكان اجتماع النّاس عليه أعظَمَ، والفتنة بِه أشدَ وأغلظ.

قال جعفر: فقلت له: فما تقول في هذا الاختلاف الواقع في أمر الإمامة من مبدأ الحال؛ وما الّذي تظنّه أصله ومنبَعه؟ فقال: لا أعلم لهذا أصلا إلّا أمرين: أحدُهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أهمَل أمر الإمامة فلم يصرّح فيه بأحدٍ بعينه، وإنّما كان هناك رَمْزٌ وإيماء، وكناية وتعريض؛ لو أراد صاحبُه أن يحتجّ به وقت الاختلاف وحالَ المنازعة لم يُقم منه صورة حجّة تُغْني، ولا دلالة تحسب وتكفي؛ ولذلك لم يحتجّ عليٌّ عليه السلام يوم السّقيفة بما ورد فيه، لأنّه لم يكن نصًّا جليًّا يقطع العذر، ويوجب الحجّة؛ وعادة الملوك إذا تمهّد مُلْكُهم، وأرادوا العَقْد لولد من أولادهم، أو ثقةٍ من ثقاتهم، أن يصرّحوا بذكره، ويخطبوا باسمه على أعناق المنابر، وبين فواصل الخطب، ويكتبوا بذلك إلى الآفاق البعيدة عنهم، والأقطار النّائية منهم؛ ومَنْ كان منهم ذا سرير وحصن ومدن كثيرة، ضرب اسمه عَلَى صفَحات الدّنانير والدّراهم مع اسم ذلك الملك؛ بحيث تزول الشّبْهة في أمره، ويسقُط الارتياب بحاله؛ فليس أمرُ الخلافة بهيّن ولا صغيرٍ ليترك حتّى يصيرَ في مظنّة الاشتباه واللّبس؛ ولعلّه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك عذرٌ لا نعلمه نحن؛ إمّا خشيةً من فساد الأمر أو إرجاف المنافقين، وقولهم: إنّها ليس بنبوّة وإنّما هي مُلْك به أَوْصَى لذرّيته وسلالته؛ ولما لم يكن أحدٌ من تلك الذّرية في تلك الحال صالحًا للقيام بالأمر لصِغر السّنّ، جعله لأبيهم؛ ليكون في الحقيقة لزوجته الّتي هي ابنته ولأولادِه منها من بعده.

وأمّا ما تقوله المعتزلة وغيرُهم من أهل العدل: إنّ الله تعالى علم أنّ المكلّفين يكونون عَلَى ترك الأمر مُهمَلًا غير معيّن أقرب إلى فعل الواجب وتجنّب القبيح. قال: ولعلّ رسول الله ﷺ لم يكن يعلم في مرضِه أنّه يموت في ذلك المرض، وكان يرجو البقاء فيمهّد للإمة قاعدة واضحَة، وممّا يدلّ عَلَى ذلك أنّه لمّا نوزع في إحضار الدّواة والكِتف ليكتب لهم ما لا يضلّون بعده، غضِب وقال: اخرجوا عنى، لم يجمعهم بعد الغضب ثانية و يعرّفهم رشدَهم، ويهديهم إلى مصالحهم، بل أرجأ الأمر إرجاءَ مَن يرتقب الإفاقة، ينتظر العافية.

قال: فبتلك الأقوال المحجمة، والكنايات المحتملة، والرّموز المشتبهة مثل حديث خصف النّعل، ومنزلة هارون من موسى، ومَنْ كنت مولاه، وهذا يعسوب الدّين، ولا فتى إلّا عليّ، وأحبّ خلقك إليك؛ وما جرى هذا المجرى، ممّا لا يفصِل الأمر، ويقطع العذر ويُسكِت الخصم، ويُفحم المنازِع؛ وَثَبت الأنصار فادّعتها، ووَثَب بنوهاشم فادّعَوْها، وقال أبو بكر: بايعوا عمر أو أبا عبيدة، وقال العبّاس لعليّ: امدد يدك لأبايعك؛ وقال قوم ممّن رَعَف به الدّهر فيما بعد؛ ولم يكن موجودًا حينئذ: إنّ الأمركان للعبّاس لأنّه لعمّ الوارث، وإنّ أبا بكر وعمر غصباه حقّه؛ فهذا أحدهما.

وأمّا السّبب الثّاني للاختلاف، فهو جَعْل عمرَ الأمر شورى في السّتّة، ولم ينصّ عَلَى واحد بعينه؛ إمّا منهم أو من غيرهم؛ فبقِيَ في نفس كلّ واحد منهم أنّه قد رُشّح للخلافة وأهّل للملك والسّلطنة؛فلم يزل ذلك في نفوسهم وأذهانهم مصوّرًا بين أعينهم، مرتَسِمًا في خيالاتهم، منازعة إليه نفوسهم، طامحة نحوه عيونهم؛ حتّى كان من الشّقاق بين عليّ وعثمان ما كان، وحتّى أفضى الأمرُ إلى قتل عثمان . . .

(٩: ٢٦ ـ ٢٨)

(الخطبة: ١٥٢) . . . وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلاَيَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ.

الشّرح: . . . ثمّ قال عليه السلام: «الأئمة قوّام الله على خلقه»، أى يقومون بمصالحهم، وقيّم المنزل: هو المدبّر له.

قال: «وعرفاؤه على عباده»: جمع عريف؛ وهو النّقيب والرّئيس؛ يقال: عَرُف فلان بالضّمّ عرافةً بالفتح، مثل خَطُب خطابة أى صار عريفًا، وإذا أردت أنّه عمِل ذلك قلت: عَرَف فلان علينا سنين، يعرُف عِرافة بالكسر، مثل كَتَبَ يكتبُ كِتابة.

قال: «ولا يدخل الجنّة إلّا مَنْ عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النّار إلّا مَنْ أنكرهم وأنكروه»، هذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوكُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1] قال المفسّرون: ينادى في الموقف: يا أتْبَاعَ فلان، ويا أصحاب فلان، فينَادَي كلّ قوم باسم إمامهم؛ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لا يدخل الجنّة يومئذٍ إلّا مَنْ كان في الدّنيا عارفًا بإمامه، ومَنْ يعرفه إمامه في الآخرة، فإنّ الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة، وإن لم يكونوا رأوهم في الدّنيا، كما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله يشهد[2] للمسلمين وعليهم؛ وإن لم يكُنْ رأى أكثرهم، قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[3]، وجاء في الخبر المرفوع: «مَنْ مات بغير إمام مات ميتةً جاهليّة»، وأصحابنا كافّة قائلون بصحّة هذه القضيّة؛ وهي أنّه لا يدخل الجنّة إلّا من عرَف الأئمة؛ ألا تَرَى أنّهم يقولون: الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان، ويعدّونهم واحدًا واحدًا، فلو أنّ إنسانًا لا يقول بذلك؛ لكان عندهم فاسقًا، والفاسق لا يدخل الجنّة عندهم أبدًا، أعنى مَنْ مات على فسقه.

فقد ثبت أنّ هذه القضيّة، وهي قوله: «لا يدخل الجنّة إلّا مَنْ عرفهم» قضيّة صحيحة على مذهب المعتزلة، وليس قوله: «وعرفوه» بمنكَر عند أصحابنا؛ إذا فسّرنا

---

١ ـ الإسراء/٧١.

٢ ـ ب: «شهد».

٣ ـ النّساء/٤١.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوكُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ على ما هو الأظهر والأشهر من التفسيرات، وهو ماذكرناه.

وبقيت القضيّة الثّانية ففيها الأشكال، وهي قوله عليه السلام: « ولايدخل النّار إلّا مَنْ أنكرهم وأنكروه»، وذلك أنّ لقائل أن يقول: قد يدخل النّار مَنْ لم ينكرهم؛ مثل أن يكون إنسان يعتقِد صحّة إمامة القوم الّذين يذهب أنّهم أئمة عند المتعزلة، ثمّ يزني أو يشربُ الخمر من غير توبة، فإنّه يدخل النّار؛ وليس بمنكر للأئمّة؛ فكيف يمكن الجمع بين هذه القضيّة وبين الاعتزال!

فالجواب أنّ الواو في قوله: «وأنكروه» بمعنى «أو» كما في قوله تعالى: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[1] فالإنسان المفروض في السُّؤال وإن كان لا ينكر الأئمّة إلّا أنّهم ينكرونه، أي يسخطون يوم القيامة أفعاله، يقال: أنكرت فعل فلان أي كرهته؛ فهذا هو تأويل الكلام على مذهبنا، فأمّا الإماميّة فإنّهم يحملون ذلك على تأويل آخر، ويفسّرون قوله : « ولايدخل النّار »، فيقولون: أراد ولايدخل النّار دخولا مؤبدًا إلّا من ينكرهم وينكرونه. (٩: ١٥٤ ـ ١٥٥)

(الخطبة: ٢٣٥) ... وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّالْأُمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لاَ يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّبِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلاَيَقَعُ اسْمُ الْاِسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

إِنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لاَ يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ...

الشّرح: قوله: «والهجرة قائمة على حدّها الأوّل»، فنقول: هذا كلام يختصّ به أمير المؤمنين عليه السلام، وهو من أسرار الوصيّة، لأنّ النّاس يروُون عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا

---

١ ـ النّساء/ ٣.

هجرة بعد الفتح»، فشفع عمّه العبّاس في نعيم بن مسعود الأشجعيّ أن يستثنيَه، فاستثناه، وهذه الهجرة الّتي يشير إليها أمير المؤمنين عليه السلام ليست تلك الهجرة، بل هي الهجرة إلى الإمام، قال: إنّها قائمة على حدّها الأوّل ما دام التّكليف باقيًا، وهو معنى قوله: «ما كان لله تعالى في أهل الأرض حاجة».

وقال الرّاوندي: ما هاهنا نافية، أى لم يكن لله في أهل الأرض من حاجة، وهذا ليس بصحيح، لأنّه إدخال كلام منقطع بين كلامين متّصل أحدهما بالآخر. ثمّ ذكر أنّه لا يصحّ أن يعدّ الإنسان من المهاجرين إلّا بمعرفة إمام زمانه، وهو معنى قوله: «إلّا بمعرفه الحجّة في الأرض» قال: «فمن عرف الإمام وأقرّ به فهو مهاجر». قال: ولا يجوز أن يسمّى مَنْ عرف الإمام مستضعفًا، يمكن أن يشير به إلى آيتين في القرآن:

إحداهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾[1] فالمراد على هذا أنّه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعَف كما كان هؤلاء مستضعَفين، وإن كان في بلده وأهله لم يخرج ولم يتجشّم مشقّة السَّفَر.

ثانيهما: قوله تعالى في الآية الّتي تلى الآية المذكورة: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾[2] فالمراد عَلَى هذا أنّه ليس من عرف الإمام وبلغه خبره بمستضعَفٍ كهؤلاء الّذين استثناهم الله تعالى من الظّالمين، لأنّ أولئك كانت الهجرة بالبدن مفروضةً عليهم، وعُفِيَ عن ذوي العجز عن الحركة منهم، وشيعة الإمام عليه السلام ليست الهجرة بالبدن مفروضةً عليهم، بل تكفي معرفتهم به وإقرارهم بإمامته، فلا يقع اسم الاستضعاف عليهم.

---

١ ـ النّساء/ ٩٧.

٢ ـ النّساء/ ٩٨، ٩٩.

فإن قلت: فما معنى قوله: «من مستسرّ الأمّة ومعلنها»، وبماذا يتعلّق حرف الجر؟

قلت: معناه، ما دام لله في أهل الأرض المستسرّ منهم باعتقاده والمعلن حاجة، فمن على هذا زائدة، فلو حذفت لجر المستسرّ بدلًا من أهل الأرض، ومن إذا كانت زائدة لا تتعلّق، نحو قولك ما جاءني من أحد.

قوله عليه السلام: «إنّ أمرَنا هذا صعب مستصعَب» ويروى: «مستصعِب ـ بكسر العين ـ لا يحتمله إلّا عبد امتحن الله تعالى قلبَه للإيمان»، هذه من ألفاظ القرآن العزيز، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[1] وهو من قولك: امتحِن فلان لأمر كذا وجُرّب ودُرِّب للنّهوض به، فهو مضطلع به غيروانٍ عنه، والمعنى أنّهم صبروا على التّقوى أقوياء على احتمال مشاقّها، ويجوز أن يكون وضع الامتحان موضع المعرفة، لأنّ تحقّقك الشّيء إنّما يكون باختباره كما يوضع الخبر موضع المعرفة، فكأنّه قيل: عرف الله قلوبهم للتّقوى، فيتعلّق اللّام بمحذوف، أى كائنة له، وهي اللّام الّتي في قولك: أنت لهذا الأمر، أى مختصٌّ به كقوله:

* أعداء مَنْ لليعمَلات على الوَجا *

وتكون مع معمولها منصوبة على الحال، ويجوز أن يكون المعنى: ضرب الله قلوبَهم بأنواع المحن والتّكاليف الصّعبة لأجل التّقوى، أى لتثبت فيظهر تقواها، ويعلم أنّهم متّقون، لأنّ حقيقة التّقوى لا تعلم إلّا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها. ويجوز أن يكون المعنى أنّه أخلصَ قلوبهم للتّقوى، من قولهم: امتحن الذّهب، إذا أذابه فخلّص إبريزه من خَبَثه ونَقّاه.

وهذه الكلمة قد قالها عليه السلام مرارًا، ووقفت في بعض الكتب على خُطبة من جملتها: إنّ قريشًا طلبت السعادة فشقِيت، وطلبت النّجاة فهلكَت، وطلبت الهدَى فضلّت، ألم يسمعوا ويحهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ

---

١ ـ الحجرات/٣.

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1] فأين المعدَل والمنزع عن ذرّية الرّسول، الّذين شيّد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رءوسهم فوق رءوسهم، واختارهم عليهم! ألَا إنّ الذّرّية أفنانُ أنا شجرتها، ودوحةٌ أنا ساقها، وإنّي مِن أحمَدَ بمنزلة الضّوء من الضّوء، كنّا ظلالًا تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطّينة الّتي كان منها البشر، أشباحًا عالية، لا أجسامًا نامية. إنّ أمرنا صعب مستصعَب، لا يعرف كنهه إلّا ثلاثة: مَلك مقرّب، أو نبيٌّ مرسَل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فإذا انكشف لكم سرٌّ، أو وضّح لكم أمر فاقبلوه، وإلّا فاسكُتوا تسلموا، وردُّوا علمَنا إلى الله، فإنّكم في أوسع ممّا بين السّماء والأرض. (١٣: ١٠٣ ـ ١٠٦)

(الحكمة: ٣٢٣) وَ قَالَ لبعضِ الْيَهُودِ حينَ قالَ له: مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ! فَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ؛ وَ لَكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2]

الشّرح: ما أحسن قوله: «اختلفنا عنه لا فيه»، وذلك لأنّ الاختلاف لم يكن في التّوحيد والنّبوّة؛ بل في فرُوع خارجة عن ذلك، نحو الإمامة والميراث، والخلاف في الزّكاة هل هي واجبة أم لا؛ واليهود لم يختلفوا كذلك، بل في التّوحيد الّذي هو الأصل.

قال المفسّرون: مرُّوا على قوم يعبدون أصنامًا لهم على هيئة البقَر؛ فسألوا موسى أن يجعلَ لهم إلهًا كواحد منها، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام، وخلاصِهم من رقّ العبوديّة، وعبورهم البحر، ومشاهدةِ غَرَق فرعون؛ وهذه غاية الجهل.

وقد روى حديث اليهوديّ على وجه آخر؛ قيل: قال يهوديٌّ لعليّ عليه السلام: اختلفتم بعد نبيّكم ولم يجفّ ماؤه ـ يعنى غسله ـ صلى الله عليه وآله ، فقال عليه السلام : وأنتم قلتم: اجعلْ لنا إلهًا كما لهم آلهة ولما يجفّ ماؤكم. (١٩: ٢٢٥)

---

١ ـ الطّور/٢١.

٢ ـ الأعراف/١٣٨.

الباب الحادي عشر
في أهل البيت عليهم السلام
و فيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[مَن أهل البيت عليهم السلام ؟]

(الخطبة: ٢١٩) . . . وَأَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا، كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا، فَقُلْتُ: أَصِلَةٌ، أَمْ زَكَاةٌ، أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَذلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ! فَقَالَ: لا ذَا وَلا ذَاكَ، وَلكِنَّهَا هَدِيَّةٌ. فَقُلْتُ: هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ ! أَعَنْ دِينِ اللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي! أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ، أَمْ تَهْجُرُ! . . .

الشّرح : . . . والصّدقة هاهنا: هي صدقة التّطوّع، وقد تسمّى الزّكاة الواجبة صدَقة إلّا أنّها هنا هي النّافلة.

فإن قلت: كيف قال: «فذلك محرَّم علينا أهل البيت»، وإنّما يحرم عليهم الزّكاة الواجبة خاصّة ولا يحرم عليهم صدقة التّطوّع ولا قبول الصِّلات؟

قلت: أراد بقوله: «أهل البيت»، الأشخاصَ الخمسة: محمّد، وعليّ، وفاطمة، وحسن؛ وحسين عليهم السلام، فهؤلاء خاصّة دون غيرهم من بني هاشم، محرّم عليهم الصّلة وقبول الصَّدقة، وأمّا غيرهم من بني هاشم فلا يحرُم عليهم إلّا الزّكاة الواجبة خاصّة.

فإن قلت: كيف قلت: إنّ هؤلاء الخمسة يحرُم عليهم قبول الصِّلات، وقد كان حسن وحسين عليهما السلام يقبلان صِلة معاوية؟

قلت: كلّا، لم يقبلا صِلته ومعاذ الله أن يقبلاها! وإنّما قَبِلا منه ما كان يدفعه إليهما من جملة حقّهما من بيت المال، فإنّ سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز، ولهما غير سهم ذوي القربى سهمٌ آخَر للإسلام من الغنائم . (١١: ٢٤٨ ــ ٢٤٩)

(الخطبة: ١٠٨) . . . نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، وَيَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

الشّرح: . . . قوله عليه الصّلاة والسّلام: « نحن شجرة النّبوّة»، كأنّه جعل النُّبوّة كثمرة أخرجتها شجرة بني هاشم. ومحطّ الرّسالة: منزلها. ومختلف الملائكة: موضع اختلافها في صعودها ونزولها، وإلى هذا المعنى نظر بعض الطّالبيّين، فقال: يفتخر على بني عمّ له ليسوا بفاطميين:

هل كان يقتعد البرّاق أبوكُمْ أم كان جبريل عليه ينزل

أم هَلْ يقولُ له الإله مُشافهًا بالوَحْى قم يا أيُّها المزمّل

وقال آخر يمدح قومًا فاطميين:

ويطرقه بالوحى وهنًا وأنتمُ ضَجيعانِ بين يدى جبريل

يعنى حسنًا وحسينًا عليهما السلام .

واعلم أنّه إن أراد بقوله: «نحن مختلف الملائكة » جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا ريب في صحّة القضيّة وصدْقها، وإن أراد بها نفسَه وابنيْه فهى أيضًا صحيحة؛ ولكن مدلوله مستَنبَط، فقد جاء في الأخبار الصّحيحة، أنّه قال: « يا جبريل، إنّه منّي وأنا منه»، فقال جبريل: وأنا منكما.

وروى أبو أيّوب الأنصاريّ مرفوعًا: «لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لم تصلّ على ثالث لنا»؛ وذلك قبل أن يظهر أمرُ الإسلام ويتسامع النّاس به. وفي خطبة الحسن بن علي عليه السلام لمّا قبض أبوه: «لقد فارقكُم في هذه اللّيلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون، كان يبعثه رسول الله عليه السلام للحرب وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ». وجاء في الحديث أنّه سُمِع يوم أحد صوتٌ من الهواء من جهة السّماء، يقول: «لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا عليّ»، وإنّ رسول الله عليه السلام قال: «هذا صوت جبريل».

فأمّا قوله: «ومعادن العلم، وينابيع الحُكْم » يعنى الحكمة أو الحكم الشّرعيّ، فإنّه

وإن عَنَى بها نفسه وذرّيته، فإن الأمر فيها ظاهر جدًّا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»، وقال: «أقضاكم عليّ» والقضاء أمر يستلزم علومًا كثيرة. وجاء في الخبر أنّه بعثه إلى اليمن قاضيًا، فقال: يا رسول الله، إنّهم كهول وذوُو أسنانٍ وأنا فتًى، وربّما لم أصِبْ فيما أحكُم به بينهم، فقال له: «اذهب فإنّ الله سيثبّت قلبك ويهدي لسانك».

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[1]: سألت الله أن يجعلها أذنَك ففعل.

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] أنّها أنزلت في عليّ عليه السلام، وما خصّ به من العلم. وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾[3]: أنّ الشاهد عليّ عليه السلام. وروى المحدّثون أنّه قال لفاطمة: «زوّجتُك أقدمَهم سِلْمًا، وأعظمهم حِلْمًا، وأعلمهم علمًا». وروى المحدّثون أيضًا عنه عليه السلام أنّه قال: «مَن أراد أن ينظُر إلى نوح في عَزْمه، وموسى في عِلْمِه، وعيسى في وَرَعه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب». وبالجملة فحاله في العلم حال رفيعة جدًّا لم يلحقه أحد فيها ولا قاربه، وحقّ له أن يصف نفسَه بأنّه معادن العلم وينابيع الحكم، فلا أحد أحقّ بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإن قلت: كيف قال: «عدوّنا ومبغضنا ينتظر السّطوة»، ونحن نشاهد أعداءه ومبغضيه، لا ينتظرونها!

قلت: لمّا كانت منتظرةً لهم ومعلومًا بيقين حلولها بهم، صاروا كالمنتظرين لها. وأيضًا فإنّهم ينتظرون الموت لا محالة الّذي كلّ إنسان ينتظره؛ ولما كان الموت مقدّمة العقاب

١ـ الحاقّة/١٢.

٢ ـ النّساء/٥٤.

٣ ـ هود/١٧

وطريقًا إليه جعل انتظاره انتظار ما يكون بعده. (٧: ٢١٨ ـ ٢٢٠)

(الخطبة: ٢٣٣) ومن خطبة له عليه السلام تختصّ بذكر الملاحم: **أَلا بِأَبِي وَأُمِّي، هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الأَرْضِ مَجْهُولَةٌ. . .**

الشّرح: الإماميّة تقول: هذه العدّة هم الأئمّة الأحد عشر من ولده عليه السلام. وغيرهم يقول: إنّه عَنَى الأبدال الّذين هم أولياء الله في الأرض، وقد تقدّم منّا ذِكر القُطب والأبدال، وأوضحنا ذلك إيضاحًا جليًّا.

قوله عليه السلام: «أسماؤهم في السّماء معروفة»، أى تعرفها الملائكة المعصومون، أعلمهم الله تعالى بأسمائهم. «وفي الأرض مجهولة»، أى عند الأكثرين لاستيلاء الضّلال على أكثر البشَر. (١٣: ٩٦)

(الخطبة: ١٤٧) . . . وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ. فَالْتَمِسُوا ذلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ؛ هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَصمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لاَ يُخَالِفُونَ الدِّينَ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ.

الشّرح: . . . ثمّ قال عليه السلام: «فالتمسوا ذلك عند أهله»، هذا كناية عنه عليه السلام؛ وكثيرًا ما يسلك هذا المسلك، ويعرّض هذا التّعريض؛ وهو الصّادق الأمين العارف بأسرار الألهيّة.

ثمّ ذكر أنّ هؤلاء الّذين أمَر باتّباعهم ينبيء حكمهم عن علمهم؛ وذلك لأنّ الامتحان يظهر خبيئة الإنسان. ثمّ قال: «وصمتهم عن نطقهم»، صمت العارف أبلغُ من نطق غيره؛ ولا يخفى فضل الفاضل وإن كان صامتًا.

ثمّ ذكر أنّهم لا يخالفون الدّين لأنّهم قوّامه وأربابه؛ ولا يختلفون فيه، لأنّ الحقّ في

التّوحيد والعدل واحد، فالدّين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه؛ كما يؤخذ بحكم الشّاهد الصّادق. وصامت ناطق؛ لأنّه لا ينطق بنفسه بل لا بدّ له من مترجم؛ فهو صامت في الصّورة، وهو في المعنى أنطق النّاطقين؛ لأنّ الأوامر و النّواهِيَ والآداب كلّها مبنيّة عليه ومتفرّعة عليه. (٩: ١٠٧ ـ ١٠٨)

(كلامه عليه السلام: ٢٨) . . . فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا. لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا؛ فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ.

الشّرح: قال عليه السلام: «فإنّا صنائع ربّنا، والنّاس بعدُ صَنائعُ لنا»، هذا كلام عظيم، عالٍ على الكلام، ومعناه عالٍ على المعاني، وصَنيعةُ الملِك من يصطنِعُه الملك ويرفع قدرَه.

يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل اللهُ تعالى هو الّذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والنّاس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطةُ بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقامٌ جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه أنّهم عبيدُالله، وأنّ النّاس عبيدهم. (١٥: ١٩٤)

قال المدائني: ولمّا توفّيَ عليّ عليه السلام خرج عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب إلى النّاس، فقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام توفّيَ، وقد ترك خلفًا، فإن أحببتم خرج إليكم، وإن كرهتم فلا أحد على أحد؛ فبكى النّاس، وقالوا: بل يخرج إلينا فخرج الحسن عليه السلام، فخطبهم فقال: أيّها النّاس؛ اتّقوا الله، فإنّا أمراؤكم وأولياؤكم، وإنّا أهل البيت الّذين قال الله تعالى فينا: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، فبايعه النّاس. (١٦: ٢٢)

١ـ الأحزاب/ ٣٣.

واستعدى رجلٌ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه وعليٌّ جالس، فالتفت عمرُ إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خَصْمك، فقام فجلس معه وتناظرا؛ ثمّ انصرف الرّجل ورجع عليّ عليه السلام إلى محلّه، فتبيّن عمر التّغيّر في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيّرًا! أكرهتَ ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنّيتَني بحضرة خَصْمي، هلّا قلتَ: قم يا عليّ فاجلس مع خَصْمك! فاعتنق عمرُ عليًّا، وجعل يقبّل وجهَه، وقال: بأبي أنتم! بِكم هدانا الله، وبِكم أخرجَنا من الظُّلْمة إلى النّور. (١٧: ٦٥)

(الخطبة : ٨٦) . . . وَأَعْذِرُوا مَنْ لاَ حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ أَنَا ـ أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ! وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ! قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي؟ . . .

الشّرح: . . . ثمّ قال: «واعذروا مَنْ لا حجّة لكم عليه وهو أنا»، يقول: قد عَدَلْتُ فيكم، وأحسنت السّيرة وأقمتكم على المحجّة البيضاء، حتّى لم يبق لأحد منكم حجّة يحتجّ بها علىّ، ثمّ شرح ذلك، فقال: «عملت فيكم بالثّقل الأكبر» يعنى الكتاب و «خلّفت فيكم الأصغر» يعنى ولديه؛ لأنّهما بقيّة الثّقل الأصغر؛ فجاز أن يطلق عليهما بعد ذهاب مَنْ ذهب منه أنّهما الثّقل الأصغر؛ وإنّما سمّي النّبيّ صلى الله عليه وآله الكتاب، والعِتْرة الثّقلين، لأن الثّقل في اللّغة متاع المسافر وَحَشَمُه، فكأنّه عليه السلام لمّا شارفه الانتقال إلى جوار ربّه تعالى، جعل نفسه كالمسافر الّذي ينتقل من مَنْزِلٍ إلى منزل؛ وجعل الكتاب والعِتْرة كمتاعه وحَشَمه، لأنّهما أخصّ الأشياء به.

قوله: «وركزت فيكم راية الإيمان»، أى غرزتها وأثبتها، وهذا من باب الإستعارة.

وكذلك قوله: «ووقفتكم على حدود الحلال والحرام» من باب الاستعارة أيضًا، مأخوذ

من حُدود الدّار وهي الجهات الفاصلة بينها وبين غيرها.
قوله: «وألبستكم العافية مَنْ عَدْلِي» استعارة فصيحة، وأفصح منها قوله: «وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي»، أى جعلته لكم فراشًا، وفَرَش هاهنا: متعد إلى مفعولين، يقال: فرشته كذا أى أوسعته إيّاه. ثمّ نهاهم أن يستعملوا الرَّأى فيما ذكره لهم من خصائص العِترة وعجائب ما منحها الله تعالى، فقال: إنّ أمرنا أمر صعب لا تهتدي إليه العقول، ولاتدرك الأبصار قعرَهُ، ولاتتغلغل الأفكار إليه. (٦: ٣٨٠ ـ ٣٨١)

الفصل الثّاني ـ[خُطَبه في أهل البيت عليهم السلام]

(الخطبة: ٩٦) . . . انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ، وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا، وَلاَتَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلاَتَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ! لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا، قَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ! كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ! إِذَا ذُكِرَاللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ، وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ، خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَرَجَاءً لِلثَّوَابِ!

الشّرح: السّمت: الطّريق، و لبد الشيء بالأرض، يلبد بالضّم لُبودًا: التصق بها. و يصبحون شعثًا غبرًا، من قشف العبادة و قيام اللّيل و صوم النّهار و هجر الملاذّ، فيراوحون بين جباههم و خدودهم، تارةً يسجدون على الجباه، و تارةً يضعون خدودهم على الأرض بعد الصّلاه، تذلّلًا و خضوعًا. و المراوحه بين العمل: أن يعمل هذا مَرّة و هذا مرّة، و يراوح بين رجليه، إذا قام على هذه تارةً و على هذه أخرى.
(٧: ٧٦ ـ ٧٧)

(الحكمة: ١٠٦) وَ قَالَ: نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى الَّتِي يَلْحَقُ التَّالِي، وَ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي.

الشّرح: النُّمرُق والنَمرُقة بالضَّمِ فيهما: وِسادةٌ صغيرةٌ، ويجوز النِمرِقة بالكسر فيهما؛ ويقال للطِّنفسة فوقَ الرّحل نُمْرقة. والمعنى أنّ كلّ فضيلة فإنّها مجنّحة بطَرَفَين معدُودَين من الرّذائل كما أوضحناه آنِفًا، والمراد أنّ آل محمّد عليه وعليهم السلام هم الأمرُ المتوسّط بين الطّرفين المذمومين فكلُّ مَن جاوَزَهم فالواجب أن يَرجع إليهم، وكلّ من قَصّر عنهم فالواجبُ أن يَلحَق بهم. فإن قلت: فلمَ استعار لفظَ النّمرقة لهذا المعنى؟ قلت: لما كانوا يقولون: قد رَكِب فلانٌ من الأمر منكرًا وقد ارتَكَب الرّأيَ الفلانيّ، وكانت الطِّنفِسة فوق الرّحل ممّا يُركَب، استعارَ لفظَ النّمرقة لما يراه الإنسانُ مَذهَبا يَرجع إليه ويكون كالرّاكب له، والجالِس عليه، والمتورّك فوقَه. ويجوز أيضًا أن تكون لفظة «الوُسطَى» يراد بها الفُضلى؛ يقال: هذه هي الطّريقةُ الوُسطى، والخَليقةُ الوسطى، أى الفضلى، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾[1] أى أفضلُهم، منه: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2]. (١٨: ٢٧٣)

(الخطبة: ٥) . . . أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ.

الشّرح: . . . فأمّا القطب الرّاوندي، فقال: قوله عليه السلام: «شُقّوا أمواجَ الفِتَن بسفُن النّجاة» معناه: كونوا مع أهل البيت لأنّهم سفن النّجاة، لقوله عليه السلام: « مثلُ أهل بيتي كسفينة نوح، مَنْ ركبها نجا، ومَنْ تخلّف عنها غَرِق». ولقائل أن يقول: لا شبهةَ أنّ أهلَ البيت سفُنُ النّجاة، ولكنّهم لم يُرادوا هاهنا بهذه اللّفظة؛ لأنّه لو كان ذلك هو المراد، لكان قد أمر أبا سفيان والعبّاس بالكوْن مع أهل البيت، ومرادُه الآن ينقُض

---

١ ــ القلم/ ٢٨.

٢ ــ البقرة/ ١٤٣.

ذلك، لأنّه يأمر بالتّقيّة وإظهار اتّباع الّذين عُقِد لهم الأمر، ويرى أنّ الاستسلام هو المتعيّن، فالّذي ظنّه الرّاونديّ لا يحتمله الكلامُ ولا يناسبه. (١ : ٢١٨)

(الخطبة : ١١٩) . . . وَعِنْدَنَا ـ أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الأَمْرِ.

الشّرح :...ثمّ كشف الغطاء وأوضح المراد فقال: «وعندنا - أهل البيت ـ أبوابُ الحُكْم»، يعنى الشّرعيّات والفتاوى. وضياء الأمر يعني العقليّات والعقائد، وهذا مقام عظيم لا يجسُر أحدٌ من المخلوقين يدّعيه سواه عليه السلام، ولو أقدم أحد على إدّعائه غيره لكذب وكذبه النّاس. (٧: ٢٨٩)

(الخطبة : ٩٢) . . . وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلاَّ كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ، تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعًا جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلاَ عَلَمٌ يُرَى. نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ: بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفًا، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفًا، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ . . .

الشّرح : .. ومنها: « فانظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لبَدُوا فالبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجَنّ الله الفتنة برجل منّا أهلَ البيت»، بأبي ابن خيرة الإماء؛ لا يعطيهم إلّا السّيف هَرْجًا هَرْجًا، موضوعًا على عاتقه ثمانية أشهر؛ حتّى تقول قريش: لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا، يغريه الله ببني أميّة حتّى يجعلهم حُطامًا ورفاتًا، ملعونين أينما ثقفوا أخذُوا وقُتّلوا تقتيلًا. سنّة الله في الّذين خَلَوْا من قبل ولن تجدَ لسنّة الله تبديلًا.

فإن قيل: لماذا قال: «ولو لم أكُ فيكم لما قوتل أهلُ الجمل وأهل النّهروان»،

ولم يذكر صِفّين؟

قيل: لأنّ الشُّبهة كانت في أهل الجمل وأهل النَّهروان ظاهرة الالتباس، لأنّ الزُّبير وطلحة مَوْعُودان بالجنّة، وعائشة موعودة أن تكون زوجة رسول الله ﷺ في الآخرة؛ كما هي زوجته في الدُّنيا، وحال طلحة والزُّبير في السَّبْق والجهاد والهجرة معلومة، وحال عائشة في محبّة الرَّسول ﷺ لها وثنائه عليها ونزول القرآن فيها معلومة؛ وأمّا أهل النَّهروان فكانوا أهلَ قرآن وعبادة وإجتهاد؛ وعُزوف عن الدُّنيا وإقبال على أمور الآخرة، وهم كانوا قرّاء أهل العراق وزهّادها؛ وأمّا معاوية فكان فاسقًا، مشهورًا بقلّة الدِّين والانحراف عن الإسلام؛ وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص؛ومن أتبعهما من طغام أهل الشَّام و أجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرُهم خافيًا في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم؛ بخلاف حال من تقدّم ذكره.

فإن قيل: ومَنْ هذا الرَّجل الموعود به الَّذي قال عليه السلام عنه: «بأبي ابن خيرة الإماء»؟

قيل: أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثّاني عشر، وأنّه ابن أمة اسمها نرجس؛ وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يولَد في مستقبل الزَّمان، لأمّ ولد، وليس بموجود الآن.

فإن قيل: فمن يكون من بني أميّة في ذلك الوقت موجودًا، حتّى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرَّجل منهم، حتّى يودّوا لو أنّ عليًّا عليه السلام، كان المتولّي لأمرهم عوَضًا عنه؟

قيل: أمّا الإماميّة فيقولون بالرُّجعة، ويزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني - أميّة وغيرهم؛ إذا ظهر إمامهم المنتَظر، وأنّه يقطع أيدى أقوام وأرجلهم؛ ويسمُل عيون بعضهم، ويصلُب قومًا آخرين، وينتقم من أعداء آل محمّد ﷺ المتقدّمين والمتأخّرين. وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزَّمان رجلًا من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجود الآن، وأنّه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا وظلمًا، وينتقم من الظالمين وينكّل بهم أشدّ النّكال، وأنّه لأم ولد، كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار،

وأنّ اسمه محمّد، كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه إنّما يظهر بعد أن يستوليَ على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بني أميّة، وهو السُفيانيّ الموعود به في الخبر الصَحيح، من ولد أبي سفيان بن حرب بن أميّة، وأنّ الإمام الفاطميّ يقتله ويقتل أشياعه من بني - أميّة وغيرهم؛ وحينئذ ينزل المسيح عليه السلام من السَماء، وتبدو أشراط السَاعة، وتظهر دابّة الأرض، ويبطل التَكليف، ويتحقّق قيام الأجساد عند نفخ الصُور، كما نطق به الكتاب العزيز.

فإن قيل: فإنّكم قلتم فيما تقدّم: إنّ الوعد إنّما هو بالسَفاح وبعمّه عبد الله بن علي، والمسودّة؛ وما قلتموه الآن مختلف لذلك!

قيل: إنّ ذلك التَفسير هو تفسير ما ذكره الرَضي رحمه الله تعالى من كلام أمير - المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» وهذا التَفسير هو تفسير الزِيادة الَّتي لم يذكرها الرَضيّ؛ وهي قوله بأبي ابن خيرة الإماء. وقوله: «لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا»، فلا مناقضةَ بين التَفسيرين. (٧: ٥٨ ـ ٦٠)

(الخطبة : ٩٩) . . . وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ. . .

الشّرح : .. وراية الحقّ: الثَّقلان المخلّفان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؛ وهما الكتاب والعِترة. (٧: ٨٥)

(الخطبة : ١٠٤) . . . فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مَسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ. أَلا إِنَّ لِكُلِّ دَم ثَائِرًا، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللهُ الَّذِي لاَ يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلاَ يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ.

الشّرح: . . . وسيوفكم مسلّطة على أهل البيت الّذين هم القادة والرُؤساء، وسيوفهم مقبوضة عنكم، وكأنّه كان يرمز إلى ما سيقع من قَتْل الحسين عليه السلام وأهله، وكأنّه يشاهد ذلك عيانًا، ويخطب عليه ويتكلّم على الخاطر الّذي سَنَح له، والأمر الّذي كان أخبر به، ثمّ قال: إنّ لكلّ دمٍ ثائرًا يطلب القَوَد والثّائر بدمائنا ليس إلّا الله وحدَه، الّذي لا يُعجزه مطلوب، ولا يفوته هارب. ومعنى قوله عليه السلام: «كالحاكم في حقّ نفسه»، أنّه تعالى لا يقصّر في طلب دمائنا كالحاكم الّذي يحكم لنفسه؛ فيكون هو القاضي وهو الخصم، فإنّه إذا كان كذلك يكون مبالغًا جدًّا في استيفاء حقوقه.

(٧: ١٢٠)

(الخطبة: ١٥٠) . . . حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله، رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.

الشّرح: . . . ووصلوا غير الرَّحِم، أى غير رحِم الرَّسول صلى الله عليه وآله، فذكرها عليه السلام ذِكْرًا مطلقًا غير مضاف للعلْم بها، كما يقول القائل: «أهل البيت»، فيعلم السّامع أنّه أراد أهلَ بيت الرَّسول. وهَجَرُوا السَّبب، يعنى أهلَ البيت أيضًا: وهذه إشارة إلى قول النّبي صلى الله عليه وآله: «خَلَّفْتُ فيكم الثَّقَلَيْن: كتاب الله وعِترتي أهل بيتي؛ حبْلان ممدودان من السّماء إلى الأرض، لا يفترقان حتّى يردَا عليّ الحوض»، فعبّر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ «السّبب» لما كان النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «حَبْلان»، والسّبب في اللُّغة: الحبل. عنى بقوله: «أمِرُوا بمودّته»، قولَ الله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

(٩: ١٣٣)

---

١ ـ الشّورى/ ٢٣.

(الخطبة: ١٥٤) . . . نَحْنُ الشِّعَارُ وَالْأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ، وَلَاتُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا. فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا.

الشّرح: . . . والخزنة والأبواب، يمكن أن يعنى به خزنة العلم وأبواب العلم، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمَن أراد الحكمة فلْيأتِ الباب». وقوله فيه: «خازن علمي»: وقال تارةً أُخرى: «عَيْبة عِلْمي». ويمكن أن يريد خزنة الجنّة وأبواب الجنّة، أى لايدخل الجنّة إلّا مَنْ وافى بولايتنا، فقد جاء في حقّه الخبر الشّائع المستفيض: إنّه قسيم النّار والجنّة، وذكرأبو عبيد الهرويّ في «الجمع بين الغريبين»، أنّ قومًا من أئمّة العربيّة فسّروه، فقالوا: لأنّه لمّا كان محبّه من أهل الجنّة، ومُبْغضه من أهل النّار، كأنّه بهذا الاعتبار قسيمُ النّار والجنّة. قال أبو عبيد: وقال غيرهؤلاء: بلْ هو قسيمها بنفسه في الحقيقة؛ يدخِل قومًا إلى الجنّة، وقومًا إلى النّار، وهذا الّذي ذكره أبو عبيد أخيرًا هو ما يطابق الأخبار الواردة فيه، يقول للنّار: هذا لي فَدَعيه، وهذا لك فَخُذِيه. . . .

. . . قوله: «فيهم» يرجع إلى آل محمّد صلى الله عليه وآله الّذين عناهم بقوله: «نحن الشّعار والأصحاب»، وهو يطلق دائمًا هذه الصّيغ الجمعيّة، ويعني نفسَه؛ وفي القرآن كثيرمن ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1]. (٩: ١٦٥ ـ ١٧٧)

الفصل الثّالث ـ [ذكربعض ما مُني به آلُ البيت من الأذى والاضطهاد]

وليس يجب من قولنا: إنّ بعضَ الأخبار الواردة في حقّ شخص فاضل مفتعَلة أن تكون قادحة في فضل ذلك الفاضل؛ فإنّا مع اعتقادنا أنّ عليًّا أفضلُ النّاس، نعتقد

---

١ ـ آل عمران/ ١٧٣.

أنّ بعضَ الأخبار الواردة في فضائله مفتعل ومختلق.

وقد رُوِي أنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، قال لبعض أصحابه: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيّانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من النّاس! إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُبِض وقد أخبرأنا أوْلى النّاس بالنّاس فتمالأت علينا قريش حتّى أخرجت الأمر عن معْدِنه، واحتجّت على الأنصار بحقّنا وحجّتنا. ثمّ تداولتْها قريش، واحدٌ بعد واحد، حتّى رجعت إلينا، فنكثت بيعَتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحبُ الأمر في صعود كئود، حتّى قتِل، فبويع الحسن ابنُه وعُوهد ثمّ غدِر به، وأسْلَم و وثب عليه أهلُ العراق حتّى طعن بخنجر في جَنْبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاليل أمّهات أولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهمْ قليلُ حقٍّ قليل. ثمّ بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفًا، ثمّ غدرُوا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثمّ لم نزل ـ أهلَ البيتِ ـ نُسْتَذَل ونُستضام، ونقصَى ونمتهَن، ونحرَم ونقتَل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعًا يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السُّوء وعمّال السُّوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، وروَوْا عنّا ما لم نقله وما لم نفعلْه، ليبغّضونا إلى النّاس، وكان عُظْمُ ذلك وكُبره زمنَ معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقُتِلَتْ شيعتُنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدى والأرجل على الظِّنّة وكان مَنْ يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجِن أو نهِبَ ماله، أو هُدِمت داره، ثمّ لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتلِ الحسين عليه السلام، ثمّ جاء الحجاج فقتلَهُم كلّ قِتْلة، وأخذهم بكلّ ظِنّه وتهمة، حتّى إنّ الرّجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحبّ إليه من أن يقال: شيعة عليّ، وحتّى صار الرّجل الّذي يذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعًا صدوقًا ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سَلَف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئًا منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنّها حقٌّ لكثرة مَنْ قد رَوَاها ممّن لم يعرف بكذبٍ ولا بقلّة ورع.

ورُوِيَ أبوالحسن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدايني في كتاب «الأحداث» قال: كتب معاوية نسخة واحدةً إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذّمّة ممّن روى شيئًا من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلّ كُورة، وعلى كلِّ منبر، يلعنون عليًّا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته؛ وكان أشدَّ النّاس بلاءً حينئذ أهل الكوفة؛ لكثرة مَنْ بها من شيعة عليّ عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سُمَيّة، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبّع الشّيعة وهو بهمْ عارف؛ لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام؛ فقتلهم تحت كلّ حَجَر وَمَدَر، وأخافهم، وقطع الأيدىَ والأرجل، وسَمَل العيون، وصَلَبهم على جُذوع النّخل، وطرّدهم وشرّدهم عن العراق؛ فلم يبق بها معروف منهم. وكتب معاويةُ إلى عُمّاله في جميع الآفاق: ألا يجيزوا لأحدٍ من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة. وكتب إليهم: أن انظروا مَنْ قبلَكم من شِيعَةِ عثمان ومحبّيه وأهل ولايته؛ والّذين يروون فضائله ومناقبه؛ فأدنوا مجالسَهم وقرّبُوهم وأكرمُوهم، واكتبُوا لي بكلّ ما يروِى كلّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثُه إليهم معاوية من الصّلات والكِساء والحِباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي؛ فكثر ذلك في كلّ مصر وتنافسوا في المنازل والدُّنيا، فليس يجيء أحد مردود من النّاس عاملا من عمّال معاوية، فيروى في عثمان فضيله أو منقبه إلّا كتب اسمه وقرّبه وشفّعه. فلبثوا بذلك حينًا.

ثمّ كتب إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كَثُروفَشَا في كلّ مِصْروفي كلّ وجه وناحية؛ فإذا جاءكم كتابي هذا فادعُوا النّاس إلى الرّواية في فضائل الصّحابة والخلفاء الأوّلين، ولاتتركوا خبرًا يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقِضٍ له في الصّحابة؛ فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرُّلعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ إليهم من مناقب عثمان وفضله. فقرئت كتبه على النّاس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصَّحابة مفتعلة لا حقيقة لها ، وجدّ النّاس في رواية ما يجرى هذا المجرى حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقِيَ إلى معلّمي الكتاتيب؛ فعلّموا

صبيانَهم وغلمانَهم من ذلك الكثير الواسع حتّى رَووه وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتّى علّموه بناتهم ونساءَهم وخدمَهم وحشمَهم، فلبثوا بذلك ما شاءالله.

ثمّ كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: انظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليًّا وأهل بيته، فامحُوه من الدّيوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه، و شفّع ذلك بنسخة أخرى: مَن اتّهمتمُوه بموالاة هؤلاء القوم، فنكّلوا به، واهدِمُوا داره. فلم يكن البلاء أشدّ ولاأكثر منه بالعراق؛ ولاسيّما بالكوفة، حتّى إنّ الرَّجلَ من شيعة عليّ عليه السلام لَيأتيه مَنْ يثق به، فيدخل بيتَه، فيلقي إليه سرّه، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدّثه حتّى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتُمَنّ عليه، فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة؛ وكان أعظمَ النّاس في ذلك بليّةً القراء المراءون، والمستضعَفون، الّذين يُظهرون الخشوع والنُّسُك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقرّبوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضّياع والمنازل؛ حتّى انتقلتْ تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدى الديّانين الّذين لا يستحلّون الكذب والبهتان؛ فقبلوها ورَووها، وهم يظنّون أنّها حقّ، ولو علمُوا أنّها باطلة لما رَووها، ولاتديّنُوا بها.

فلم يزل الأمر كذلك حتّى مات الحسنُ بن عليّ عليه السلام، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحدٌ من هذا القبيل إلّا وهو خائف على دمَه؛ أو طريد في الأرض. ثمّ تفاقم الأمر بعد قَتْل الحُسين عليه السلام، و ولّى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشّيعة، و ولّى عليهم الحجّاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النّسُك والصّلاح والدّين ببغض عليّ وموالاة أعدائه، وموالاة مَنْ يدّعي من النّاس أنّهم أيضًا أعداؤه، فأكثروا في الرّواية في فضلِهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغضّ من عليّ عليه السلام و عيبِه، والطّعن فيه، والشّنآن له حتّى إنّ إنسانًا وقف للحجّاج ـ ويقال إنّه جد الأصمعيّ عبد الملك بن قريب ـ فصاح به: أيّها الأمير إنّ أهلِي عقُّوني فسمَّوْني عليًّا، وإنّي فقير بائس، وأنا إلى صلَة الأمير محتاج. فتضاحك له الحجّاج، وقال: لِلُطْفِ ما توسّلت به قد ولّيتك موضع كذا.

وقد روى ابنُ عرفة المعروف بنفطويه ـ وهو من أكابر المحدّثين وأعلامهم ـ في تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصّحابة افتُعلت في أيّام بني أميّة، تقرُّبًا إليهم بما يظنّون أنّهم يُرغمون به أنوف بني هاشم.

قلت: ولا يلزم من هذا أن يكون عليّ عليه السلام يسوءه أن يذكر الصَّحابة والمتقدّمون عليه بالخير والفضل، إلّا أنّ معاوية وبني أميّة كانوا يبنُون الأمر من هذا على ما يظنّونه في عليّ عليه السلام من أنّه عدوّ مَنْ تقدّم عليه؛ ولم يكن الأمر في الحقيقة كما يظنُّونه، ولكنّه كان يرى أنّه أفضلُ منهم، وأنّهم استأثروا عليه بالخلافة من غير تفسيقٍ منه لهم، ولا براءة منهم. فأمّا قوله عليه السلام: «ورجل سمع من رسول الله شيئًا ولم يحفظه على وجهه فوهم فيه»، فقد وقع ذلك. وقال أصحابنا في الخبر الّذي رواه عبد الله بن عمر أنّ الميّت ليُعذّب ببكاء أهله عليه: إنّ ابن عباس لمّا رُوِي له هذا الخبر، قال: ذَهَل ابن عمر، إنّما مَرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على قبر يهوديّ، فقال: إنّ أهله ليبكون عليه، وإنّه ليعذّب. وقالوا أيضًا: إنّ عائشة أنكرت ذلك، وقالت: ذَهَل أبو عبد الرّحمن، كما ذهل في خبر قَلِيب بدر، إنّما قال عليه السلام: «إنّهم ليبكون عليه، وإنّه ليعذّب بجرمه». قالوا: و موضع غلطه في خبر القَلِيب أنّه روى أنّ النّبيّ عليه السلام وقف على قَلِيب بدر، فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربّكم حقًّا»؟ ثمّ قال: «إنّهم يسمعون ما أقول لهم»، فأنكرت عائشة ذلك، وقالت إنّما قال: «إنّهم يعلمون أنّ الّذي كنت أقوله لهم هو الحقّ» واستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[1].

فأمّا الرَّجل الثّالث، وهو الّذي يسمع المنسوخ ولم يسمع النّاسخ، فقد وقع كثيرًا، وكتُب الحديث والفقه مشحونة بذلك، كالّذين أباحوا لحوم الحُمر الأهليّة لخبر رووه في ذلك، ولم يرووا الخبر النّاسخ. وأمّا الرَّجل الرّابع فهم العلماء الرّاسخون في العلم. وأمّا قوله عليه السلام: «وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان»، فهذا داخلٌ في

---

١ ـ النمل/ ٨٠.

القسم الثّاني وغير خارج عنه، ولكنّه كالنّوع من الجنس، لأنّ الوهم والغلط جنس تحته أنواع.

واعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصًا من دون الصّحابة رضوان الله عليهم بخلوات كان يخلُو بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، لا يطّلع أحدٌ من النّاس على ما يدور بينهما، وكان كثيرَ السُّؤال للنّبيّ عليه السلام عن معاني القرآن وعن معاني كلامه صلى الله عليه وآله، وإذا لم يسأَل ابتدأه النّبيُّ صلى الله عليه وآله بالتّعليم والتّثقيف، ولم يكن أحدٌ من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله كذلك، بل كانوا أقسامًا: فمنهم مَنْ يهابه أن يسأَله، وهم الّذين يحبّون أن يجيء الأعرابيّ أو الطّارئ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم مَنْ كان بليدًا بعيد الفهم قليل الهمّة في النّظر والبحث، ومنهم مَنْ كانَ مشغولًا عن طلب العلم وفهم المعاني، إمّا بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلّد الّذي يرى أنّ فرضه السُّكوت وترك السُّؤال، ومنهم المبغض الشّانئ الّذي ليس للدّين عنده من الموقع ما يضيّع وقته وزمانه بالسُّؤال عن دقائقه وغوامضه، وانضاف إلى الأمر الخاصّ بعليّ عليه السلام ذكاؤه وفطنته، وطهارة طينته وإشراق نفسِه وضوءها، وإذا كان المحلّ قابلا متهيّئًا، كان الفاعل المؤثّر موجودًا ،والموانع مرتفعة. حصل الأثر على أتمّ ما يمكن؛ فلذلك كان عليٌّ عليه السلام ـ كما قال الحسن البصريّ ـ ربّانيّ هذه الأمّة وذا فضلها؛ ولذا تسمّيه الفلاسفة: إمام الأئمّة وحكيم العرب.

(١١: ٤٣ ـ ٤٨)

(الخطبة: ٢٤٣) ومن خطبة له عليه السلام، يذكر فيها آل محمّد صلى الله عليه وآله:

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، ظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ. لاَ يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلاَ يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ. وَهُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلاَمِ، وَوَلاَئِجُ الْاِعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ،

وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

الشّرح: يقول: بهم يحيا العلم ويموت الجهل: فسمّاهم حياة ذاك، وموت هذا، نظرًا إلى السّببيّة؛ يدلّكم حلمهم وصفحهم عن الذُّنوب على علمهم وفضائلهم، ويدلّكُم ما ظهر منهم من الأفعال الحسنة، على ما بطن من إخلاصهم، ويدلّكم صمتهم وسكوتُهم عَمَّا لا يعنيهم، عن حكمة منطقهم. ويروى: «ويدلّكم صمتُهم على منطقهم»؛ وليس في هذه الرِّواية لفظة «حكم». لا يخالفون الحقّ: لا يعدلون عنه، ولا يختلفون فيه كما يختلف غيرهم من الفرق وأرباب المذاهب؛ فمنهم من له في المسألة قولان وأكثر، ومنهم من يقول قولًا ثمَّ يرجع عنه، ومنهم من يرى في أصول الدِّين رأيًا ثمّ ينفيه ويتركه.

ودعائم الإسلام: أركانه. والولائج: جمع وَلِيجة، وهي الموضع يدخل إليه ويستَتر فيه، ويعتصم به. وعاد الحقّ إلى نصابه: رجع إلى مستقرّه وموضعه: وانزاح الباطل: زال. وانقطع لسانه: انقطعت حجّته. عقلوا الدِّين عقل رعاية، أى عرفوا الدِّين وعلموه معرفة مَن وعى الشّيء وفهمه وأتقنه. ووعاية، أي وعوا الدِّين وحفظوه وحاطوه، ليس كما يعقله غيرهم عن سماع وروايةٍ، فإنّ من يروي العلم ويسنده إلى الرِّجال ويأخذه من أفواه النَّاس كثير، ومن يحفظ العلم حفظ فهم وإدْرَاكٍ، أصالَةً لا تقليدًا قليل. (١٣: ٣١٧ ـ ٣١٨)

الفصل الرّابع ـ [في ظهور الإمام المهديّ عليه السلام]

(زيادة من الخطبة: ١٦ في كلام السّارح من رواية جعفربن محمّد عليهما السلام):

وزاد فيها في رواية جعفربن محمّد عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام: **ألا إنّ أبْرارَ عِتْرَتي، وأطايِبَ أُرومَتي، أحْلَمُ النَّاسِ صِغارًا، وأعْلَمُ النَّاسِ كِبارًا. ألا وإنَّا أهْلَ بَيْتٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلِمْنا، وبِحُكْمِ اللهِ حَكَمْنَا، ومِنْ قَوْلِ صَادِقٍ سَمِعْنَا، فإنْ تَتَّبِعُوا آثارَنَا تَهْتَدُوا بِبَصَائِرِنَا، وإنْ لم**

تَفْعَلُوا يُهْلِكْكُمُ اللهُ بِأيْدينَا. ومَعَنَا رَايَةُ الحَقِّ، مَنْ تَبَعَهَا لَحِقَ، ومَنْ تَأخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ. ألا وبِنَا يُدْرَكُ تِرَةُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وبِنَا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الذُّلِّ عَنْ أعْنَاقِكُمْ، وبِنَا فُتِحَ لا بِكُمْ، ومِنَّا يُخْتَمُ لا بِكُمْ.

الشّرح:... وأمّا التّتمّة المرويّة عن جعفر بن محمّد عليهما السلام؛ فواضحة الألفاظ، وقوله في آخرها: «وَبِنَا تُخْتَمُ لا بِكُمْ» إشارة إلى المهديّ الّذي يظهر في آخر الزّمان. وأكثر المحدّثين على أنّه من وُلْد فاطمة عليها السلام. وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه، وقد صرّحوا بذكره في كُتُبهم، واعترف به شيوخهم، إلّا أنّه عندنا لم يُخْلَق بعد، وسَيُخْلَقُ.

وإلى هذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضًا.

وروى قاضي القُضاة رحمه الله عن كافِي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عَبّاد رحمه الله بإسنادٍ متّصلٍ بعليّ عليه السلام أنّه ذكر المهديّ، وقال: إنّه من وُلْد الحسين عليه السلام، وذكر حِليَته[1]، فقال رجل: أجْلَى الجبين، أقنى الأنف، ضخم البطن، أزْيَل[2] الفَخِذين، أبلج الثّنايا، بفخذه اليمنى شامّة . . . وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قُتَيبة في كتاب «غريب الحديث». (١: ٢٨١ ـ ٢٨٢)

(الخطبة: ٩٢: أمّا بعد حمد الله، وَالثَّنَاءَ عَلَيْه ، أيُّها النّاس ، فَإنِّي فَقَأتُ عَينُ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُن لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِى بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُها ، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا...

الشّرح: . . . وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السِّيَر، وهي متداولة منقولة مستفيضة، خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النّهروان، وفيها ألفاظ لم يوردها الرّضيّ رحمه الله. من ذلك قوله عليه السلام: «ولم يكن ليجترىء عليها غيري؛ ولو لم أكُ فيكم ما قُوتل أصحاب الجمل والنّهروان. وأيمُ الله لولا أن تتّكلوا فتدعُوا العمل لحدّثتكم بما

---

١ ـ الحلية هنا: الصّفة.

٢ ـ الزَّيَل، محرّكة: تباعد ما بين الفخذين، وهو أزيل.

قضى الله عَزَّوجَلَّ على لسان نبيّكم ﷺ: لمَنْ قاتلهم مبصرًا لضلالتهم، عارفًا للهدى الَّذي نحن عليه؛ سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي ميّت عن قريب أو مقتول؛ بل قتلًا ما ينتظر أشقاها أن يخضَب هذه بدم». وضرب بيده إلى لحيته.

ومنها: في ذكر بني أُميّة: «يظهر أهلُ باطِلها على أهل حقّها، حتّى تُملأ الأرض عُدْوانًا وظُلْمًا وبِدَعًا إلى أن يضع الله عزّوجلّ جبروتها، ويكسر عَمَدَها، وينزع أوتادها.

ألا وإنّكم مُدْركوها فانصرُوا قومًا كانوا أصحاب رايات بدر وحُنين؛ تؤجروا، ولا تمالئوا عليهم عدوّهم، فتصرعكم البَليّة، وتحُلّ بكم النّقمة».

ومنها: «إلّا مثل انتصار العبد من مولاه إذا رآه أطاعه، وإن توارى عنه شَتَمَه. وأيمُ الله لو فرّقوكم تحتَ كلّ حَجَر؛ لجمعكم الله لشرّيوم لهم».

ومنها: «فانظروا أهل بيت نبيّكم، فإن لَبَدُوا فالْبدوا، وإن استنصروكم فانصروهم، فليفرجَنّ الله الفتنة برَجُلٍ منّا أهلَ البيت»، بأبي ابن خيرة الإماء؛ لايعطيهم إلّا السّيف هَرْجًا هَرْجًا . . .

فإن قيل: ومَنْ هذا الرّجل الموعود به الَّذي قال عليه السلام عنه: «بأبي ابن خيرة الإماء»؟

قيل: أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثّاني عشر، وأنّه ابن أَمَةٍ اسمها نَرْجِس؛ وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يُولَد في مستقبل الزّمان؛ لأُمّ ولد؛ وليس بموجودٍ الآن.

فإن قيل: فمَن يكون من بني أُميّة في ذلك الوقت موجودًا، حتّى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال مِن انتقام هذا الرّجل منهم، حتّى يودّوا لو أنّ عليًّا عليه السلام كان المتولّي لأمرهم عِوَضًا عنه؟

قيل: أمّا الإماميّة؛ فيقولون بالرَّجْعة، ويزعمون أنّه سيعاد قومٌ بأعيانهم من بني-أُميّة وغيرهم؛ إذا ظهر إمامهم المنتَظَر، وأنّه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم؛ ويسمُل عيون

بعضهم، ويصلُب قومًا آخرين، وينتقم من أعداء آل محمّد عليهم السلام المتقدّمين والمتأخّرين.

وأمّا أصحابنا؛ فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزّمان رجلا من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجودً ا الآن، وأنّه يملأ الأرض عدلا كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظُلْمًا؛ وينتقم من الظّالمين وينكّل بهم أشدّ النّكال، وأنّه لأمّ ولد، كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار، وأنّ اسمه محمّد، كاسم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّه إنّما يظهر بعد أن يستولىَ على كثيرٍ من الإسلام مَلِك من أعقاب بني أُميّة، وهو السُّفيانيّ الموعود به في الخبر الصّحيح، من ولد أبي سُفيان بن حرب ابن أُميّة، وأنّ الإمام الفاطميّ يقتله ويقتل أشياعه من بني أُميّة وغيرهم؛ وحينئذٍ ينزل المسيح عليه السلام من السّماء، وتبدو أشراط السّاعة؛ وتظهر دابّة الأرض، ويبطل التّكليف، ويتحقّق قيام الأجساد عند نَفْخ الصُّور، كما نطق به الكتاب العزيز.

فإن قيل: فإنّكم قلتم فيما تقدّم: إنّ الوعد إنّما هو بالسّفّاح وبعمّه عبد الله بن عليّ، والمسوّدة؛ وما قلتموه الآن مخالف لذلك!

قيل: إنّ ذلك التّفسير هو تفسير ما ذكره الرّضيّ رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» وهذا التّفسير هو تفسير الزّيادة الّتي لم يذكرها الرّضيّ؛ وهي قوله: «بأبي ابن خِيَرة الإماء». وقوله: « لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا »، فلا مناقضةَ بين التّفسيرين. (٧: ٥٧ ـ ٦٠)

(الخطبة: ٩٩) . . . حتّى يُطْلِعَ اللهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلاتَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلاتَيْئَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَعَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبُتَ الأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعًا.

أَلا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ؛ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

الشّرح: . . . ثمّ يُطلع الله لهم مَن يجمعهم ويضمّهم، يعنى من أهل البيت عليهم السلام،

وهذا إشارة إلى المهديّ الّذي يظهر في آخر الوقت. وعند أصحابنا أنّه غير موجود الآن وسيُوجَد، وعند الإماميّة أنّه موجود الآن.

قوله عليه السلام: «فلا تطمعوا في غير مُقْبِلٍ، ولاتيأسوا من مُدْبِرٍ»؛ ظاهر هذا الكلام متناقض؛ وتأويله أنّه نهاهم عن أن يطمعوا في صلاح أُمورهم على يد رئيس غير مستأنف الرّياسة؛ وهو معنى مقبل أى قادم؛ تقول: سوف أفعل كذا في الشّهر المقبل، وفي السّنة المقبلة، أى القادمة؛ يقول: كلّ الرّئاسات الّتي تشاهدونها فلاتطمعوا في صلاح أُموركم بشيءٍ منها، وإنّما تنصلح أُموركم على يد رئيس يقدم عليكم، مستأنف الرّياسة خامل الذّكر، ليس أبوه بخليفةٍ، ولاكان هو ولاأبوه مشهورين بينكم برياسةٍ، بل يتبع ويعلو أمرُه؛ ولم يكن قبل معروفًا هو ولاأهله الأدنَوْن، وهذه صفة المهديّ الموعود به.

ومعنى قوله: «ولاتيأسوا من مدبر»، أى وإذا مات هذا المهديّ وخلفه بنوه بعده، فاضطرب أمر أحدهم فلا تيأسوا وتتشكّكوا، وتقولوا: لعلّنا أخطأنا في اتّباع هؤلاء؛ فإنّ المضطرب الأمر منّا ستثبتُ دعائمه، وتنتظم أُموره، وإذا زلّت إحدى رِجْلَيه ثبتت الأُخرى فثبتت الأُولى أيضًا. ويُرْوى: «فلاتطعنوا في عين مقبل»، أى لاتحاربوا أحدًا منّا ولاتيأسوا من إقبال مَن يدبر أمره منّا. (٧: ٩٤)

(الخطبة: ١٣٨) يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى، إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ... أَلاوَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاتَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقَى إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ، وَ يُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَ السُّنَّةِ.

الشّرح: هذا إشارة إلى إمامٍ يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان، وهو الموعود به في

الأخبار والآثار، ومعنى «يعطف الهوى» يقهره ويثنيه عن جانب الإيثار والإرادة، عاملا عَمَل الهُدَى، فيجعل الهُدَى قاهرًا له، وظاهرًا عليه.

وكذلك قوله: «ويعطف الرّأى على القرآن» أى يقهر حكم الرّأي والقياس والعمل بغَلبة الظّنّ عاملا عمل القرآن.

وقوله: «إذا عطفوا الهدى» و «إذا عطفوا القرآن» إشارة إلى الفِرَق المخالفين لهذا الإمام، المشاقّين له، الّذين لايعملون بالهُدَى بل بالهَوَى، ولايحكمون بالقرآن بل بالرّأي . . .

قوله: «يأخذ الوالِي من غيرها عُمّالها على مساوئ أعمالها»، كلام منقطع عمّا قبله، وقد كان تقدّم ذكر طائفة من النّاس ذات مَلِكٍ وإمْرَةٍ، فذكر عليه السلام أنّ الوالي يعنى الإمام الّذي يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان ـ يأخذ عُمّال هذه الطّائفة على سُوء أعمالهم. (٩ : ٤٠ـ٤٦)

(الخطبة: ١٥٠) . . . فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ! يَاقَوْمِ، هذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ، وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاتَعْرِفُونَ. أَلا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ، لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا، وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقًّا، وَيَصْدَعَ شَعْبًا، وَيَشْعَبَ صَدْعًا؛ فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ؛ لايُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ، وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ؛ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ، تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ، وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ، وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ.

الشّرح: . . . ثمّ قال: يا قوم قد دنا وقت القيامة، وَظهور الفِتَن الّتي تظهر أمامها . .

وَكنى عن تلك الأهوال بقوله: «وَدُنُوٍّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاتَعْرِفُونَ؛ لأن تلك الملاحم والأشراط الهائلة غير معهود مثلُها، نحو: دابّة الأرض، والدّجّال وفتنته، وَما يظهر على يده من المخاريق وَالأُمور الموهِمة، وَواقعة السُّفياني، وَما يقتل فيها من الخلائق الّذين لا يحصَى عددهم.

ثمّ ذكر أنّ مهديّ آل محمّد صلى الله عليه وآله، وهو الّذي عنى بقوله: « وإنّ مَن أدرَكَها منّا يسري في ظلمات هذه الفِتَن بسراجٍ منيرٍ»؛ وهو المهديّ، واتّباع الكتاب والسُّنّة . . .

قوله عليه السلام: «في سترة عن النّاس»، هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الإنسان المشار إليه، وليس ذلك بنافع للإماميّة في مذهبهم، وإن ظنّوا أنّه تصريح بقولهم؛ وذلك لأ نّه من الجائز أن يكون هذا الإمام يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان، ويكون مستترًا مدّة، وله دُعاة يدعون إليه، ويقرّرون أمره، ثمّ يظهر بعد ذلك الاستتار؛ ويملك الممالك؛ ويقهر الدُّوَل؛ ويمهّد الأرض؛ كما ورد في قوله: « لايبصِر القائف» أى هو في استتارٍ شديدٍ لايدركه القائف، وهو الّذي يعرِف الآثار، والجمع « قَافة»؛ ولايعرف أثره ولو استقصى في الطّلب؛ وتابع النّظر والتّأمّل . . .

ثمّ صرّح بذلك فقال: «ويُرمى بالتّفسير في مسامعهم»، أى يكشف لهم الغطاء، وتخلَق المعارف في قلوبهم، ويلهَمون فَهْمَ الغوامض والأسرار الباطنة، ويغبَقون كأس الحكم بعد الصّبوح، أى لاتزال المعارف الرّبّانيّة والأسرار الإلهيّة تفيض عليهم صباحًا ومساءً؛ فالغَبوق كناية عن الفيْض الحاصل لهم في الآصال، والصّبوح كناية عمّا يحصل لهم منه في الغَدَوات، وهؤلاء هم العارفون الّذين جمعوا بين الزّهد والحكمة والشّجاعة؛ وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصارًا لولّى الله الّذي يجتبيه، ويخلقه في آخر أوقات الدّنيا، فيكون خاتمة أوليائه، والّذي يلقى عصا التّكليف عنده (٩: ١٢٨ ــ ١٢٩)

(الخطبة: ١٨٣) . . . قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الإِقْبَالِ عَلَيهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالتَّفَرُّغِ لَهَا؛ فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الإِسْلاَمُ، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِهِ؛ بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ؛ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَائِهِ.

الشّرح: هذا الكلام فسّره كلّ طائفةٍ على حسب اعتقادها، فالشّيعة الإماميّة؛

تزعم أنّ المرادَ به المهديّ المنتظر عندهم. والصّوفيّة يزعمون أنّه يعنى به وليّ الله في الأرض؛ وعندهم أنّ الدّنيا لاتخلُو عن الأبدال؛ وهم أربعون، وعن الأوتاد، وهم سبعة، وعن القُطب وهو واحد؛ فإذا مات القُطب صار أحد السّبعة قطبًا عِوَضه، وصار أحد الأربعين وَتِدًا، عِوَض الوَتِد، وصار بعض الأولياء الّذين يصطفيهم الله تعالى أبدالًا عِوَض ذلك البدَل.

وأصحابُنا يزعمون أنّ الله تعالى لايخلِي الأُمّة من جماعة من المؤمنين العلماء بالعدْل والتّوحيد، وأنّ الإجماع إنّما يكون حجّةً باعتبار أقوال أولئك العلماء لكنّه لما تعذّرت معرفتهم بأعيانهم، اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنّما الأصل قول أولئك.

قالوا: وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام ليس يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة؛ ولكنّه يصف حال كلِّ واحدٍ منهم؛ فيقول: من صفته كذا، ومن صفته كذا.

والفلاسفة يزعمون أنّ مرادَه عليه السلام بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وصفات أربابه كلام يعرِفه مَنْ له أُنس بأقوالهم، وليس يبعد عندي أن يريدَ به القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله في آخر الوقت، إذا خلقه الله تعالى؛ وإن لم يكن الآن موجودًا، فليس في الكلام ما يدلّ على وجوده الآن؛ وقد وقع اتّفاق الفِرَق من المسلمين أجمعين على أنّ الدّنيا والتّكليف لاينقضي إلّا عليه. (١٠: ٩٦)

(قال الحسن بن عليّ عليه السلام لسفيان بن أبي ليلى) : . . . فإنّي سمعتُ عليًّا يقول :سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يَرِد عليّ الحوضَ أهلُ بيتي ومَنْ أحبّهم من أُمّتي كهاتين ـ يعنى السّبّابتين، أوكهاتين يعنى السّبّابة و الوسطى ـ إحداهما تفضل على الأُخرى، أبشر يا سفيان؛ فإنّ الدّنيا تسع البرّ والفاجر؛ حتّى يبعث الله إمام الحقّ من آل

محمّد صلى الله عليه وآله .[١]

فإن قلت: فمَن هو إمام الحقّ من آل محمّد صلى الله عليه وآله ؟

قلت: أمّا الإماميّة فتزعم أنّه صاحبهم الّذي يعتقدون أنّه الآن حيّ في الأرض؛ وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يخلقه الله في آخر الزّمان. (١٦: ٤٥)

(الحكمة: ٢٥٨) : و من كلامه عليه السلام المتضمّن ألفاظًا منَ الغريبِ تحتاجُ إلى التّفسير: **قولهُ عليه السلام في حدِيثه: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قُزَعُ الْخَرِيفِ.**

الشّرح :. . . وهذا الخبر من أخبار المَلاحِم الّتي كان يُخبِر بها عليه السلام، وهو يَذكُر فيه المهديَّ الّذي يُوجَد عند أصحابنا في آخر الزّمان. ومعنى قوله:«ضَرَبَ بِذَنَبِهِ» أقام وثبت بعد اضطرابه، وذلك لأنّ اليَعسوب فَحْل النَّحْل وَسيِّدها، وهو أكثرُ زمانه طائرٌ بجَناحَيه، فإذا ضرَب بذَنَبه الأرضَ فقد أقام وَتَرَك الطَّيَران والحركة.

فإن قلت: فهذا يُشيد مذهبَ الإماميّة في أنّ المهديّ خائف مستتِر ينتقل في الأرض، وأنّه يظهر آخر الزّمان ويثبت ويقيم في دار مُلْكه.

قلت: لا يبعد على مذهبنا أن يكون الإمام المهديّ الَّذي يُظْهَر في آخر الزّمان مضطرب الأمر، منتشرُ المُلْك في أوّل أمرِه، لمصلحة يَعلَمها الله تعالى، ثمّ بعد ذلك يثبَت مُلْكُه، وتنتظم أُمورُه. وقد وردتْ لَفظةُ اليَعسوب عن أمير المؤمنين عليه السلام في غير هذا الموضع، قال يَوم الجَمَل لعبدالرّحمن بنِ عِتّاب بن أسيد وقد مرّ به قتيلا: «هذا يَعْسوب قريش»، أى سيِّدُها. (١٩: ١٠٤ ـ ١٠٥)

---

١ ـ مقاتل الطّالبيّن ٦٧ ـ ٦٨.

فهرس الموضوعات

الباب السّابع ـ[في أحوال الجاهليّة]، وفيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[في ذكر العرب بما كانوا عليه قبل البعثة]	٧
الفصل الثّاني ـ[في ذكر حال النّاس قبل البعثة و بعدها]	٨
الفصل الثّالث ـ[القول في أديان العرب في الجاهليّة]	١٥
الفصل الرّابع ـ[نُكَت في مذاهب العرب وتخيّلاتها]	١٨
الفصل الخامس ـ[في ذِكر الأسباب الّتي دَعَتِ العرب إلى وَأْد البَنات]	٦٣

الباب الثّامن ـ [في بعثة النّبيّ صلى الله عليه وآله و حروبه]، و فيه فصول:

الفصل الأوّل ـ[في البعثة]	٦٩
[إجلاب قريش على بني هاشم و حصرهم في الشّعب]	٧٣
الفصل الثّاني ـ[القول في المؤمنين والكافرين من بني هاشم]	٨٦
عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص في الحبشة	٨٧
أمر عمرو بن العاص مع جعفر بن أبي طالب في الحبشة	٩٠
الفصل الثّالث ـ[في غزوة بدر]	١٠٠
القول في نزول الملائكة يوم بدر ومحاربتها المشركين	١٧٤
القول فيما جرى في الغنيمة والأسارى بعد هزيمة قريش...	١٨١
القول في تفصيل أسماء أسارى بدر ومَن أسرهم	٢١١
القول في المطعمين في بدر من المشركين	٢١٦
القول فيمن استشهد من المسلمين ببَدر	٢١٨
القول فيمن قُتِل ببدر من المشركين وأسماء قاتليهم	٢١٩

القول فيمن شهد بدرًا من المسلمين ٢٢٣
الفصل الرّابع ـ في شرح قصّة غزوة أُحُد ٢٢٤
القول في أسماء الّذين تعاقدوا من قريش على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله ٢٩١
القول في الملائكة نزلت بأُحُد وقاتلت أم لا؟ ٢٩٧
القول في مقتل حمزة بن عبدالمطّلب رضي الله عنه ٢٩٨
القول فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحُد ٣٠٦
القول فيما جرى للمسلمين بعد إصعادهم في الجبل ٣١٢
القول فيما جرى للمشركين بعد انصرافهم إلى مكّة ٣٣٠
القول في مقتل أبي عزّة الجُمَحِيّ ومعاوية بن المغيرة... ٣٣١
القول في مقتل المجذّر بن زياد البلويّ..... ٣٣٤
القول فيمن مات من المسلمين بأُحُد جملة ٣٣٧
القول فيمن قتل من المشركين بأُحُد ٣٣٧
القول في خروج النبيّ صلى الله عليه وآله بعد انصرافه من أُحُد ٣٤٠
الفصل الخامس ـ في قصّة غزوة الخندق ٣٤٥
الفصل السّادس ـ في شرح غزاة مؤتة ٣٥٣
[فصل في ذكربعض مناقب جعفربن أبي طالب] ٣٦٥
الفصل السّابع ـ[في فتح مكّة] ٣٧٢
[ذكرالخبرعن فتح مكّة] ٣٧٢
[ذكربقيّة الخبرعن فتح مكّة] ٣٩٨
الفصل الثّامن ـ[في معجزات النّبيّ صلى الله عليه وآله] ٤١٠

الباب التّاسع ـ[وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله و ما ورد في السّقيفة]، و فيه فصول:
الفصل الأوّل ـ[مرض رسول الله صلى الله عليه وآله و إمرة أُسامة بن زيد على الجيش] ٤١٥
الفصل الثّاني ـ[ذِكر خبر وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله] ٤١٧
الفصل الثّالث ـ[ذِكر طَرَف من سيرة النّبيّ صلى الله عليه وآله عند وفاته] ٤٢٢
الفصل الرّابع ـ[اختلاف الرّأي في الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله] ٤٤٠
الفصل الخامس ـ[الأوّل حديث السّقيفة] ٤٤٣
[الثّاني أخبار يوم السّقيفة] ٤٨٨
[قصيدة أبي القاسم المغربيّ وتعصّبه للأنصار على قريش] ٤٩٦
[أمر المهاجرين والأنصار بعد بيعة أبي بكر] ٥٠٠

الباب العاشر ـ[في الإمامة و أهل البيت عليهم السلام] ، و فيه فصول:
الفصل الأوّل ـ[في أمر الإمامة] ٥٣٣
الفصل الثّاني ـ [اختلاف الرّأي في القول بوجوب الإمامة] ٥٣٧
[القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامة.... ٥٣٩
الفصل الثّالث ـ [معنى الوليّ] ٥٤٣
الفصل الرّابع ـ[في الولاية] ٥٤٦
الفصل الخامس ـ[وظائف الإمام] ٥٤٨
الفصل السّادس ـ[ما ورد في وصاية عليّ من الشّعر] ٥٤٩
الفصل السّابع ـ[في الإمامة والأقوال فيها] ٥٥٧
[كلام لعليّ عليه السلام قبل المبايعة لعثمان] ٥٦٤

[قول مَن طعن في سياسة عليّ عليه السلام و الرّدّ عليها] ٥٦٦
الفصل الثّامن ـ [عصمة الإمام] ٥٨٢
[قال بعد ذكر رسالة أبي بكر لعليّ عليه السلام في شأن الخلافة... ٥٩٣
الفصل التّاسع ـ [اختلاف الفرق الاسلاميّة في كون الأئمّة من قريش] ٥٩٨
الفصل العاشر ـ [رأي المعتزلة في عليّ عليه السلام و الصّحابة] ٦٠٦

الباب الحادي عشر ـ [في أهل البيت عليهم السلام]، و فيه فصول:
الفصل الأوّل ـ [مَن أهل البيت عليهم السلام ؟] ٦١٩
الفصل الثّاني ـ [خطبه في أهل البيت عليهم السلام] ٦٢٥
الفصل الثّالث ـ [ذكر بعض ما مُني به آل البيت من الأذى والاضطهاد] ٦٣١
الفصل الرّابع ـ [في ظهور الإمام المهديّ عليه السلام] ٦٣٧
فهرس الموضوعات ٦٤٧